

يؤتى الحكمة من بناء ومن يؤتى
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أو الألب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبينوا أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غمرة محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ١٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

(فائحة السنة الخامسة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم ،

وبعد فقد تم للمنار أربع سنين ودخل بهذا الجزء في السنة الخامسة
ولم يلبس القراء ان فوائده السنين الخالية من شرورها كانت تكسبهم
والبرم ، الى صحائف الأمل والتعلل ، لما أمنيته من ممارسة أضرار الجهل ،
ومناهضة الدين أنوار الدل ، وما تحملناه من مناصبة الظالمين ، ومفاضة
المقلدين ، مع البناء الكبير ، وقلة الدون والتصير ، ولو كان هذا المنار
منشأ لأجل الكسب ، وابتغاء الرزق ، لقوضته أنواء المناوأة والمناكدة ،
ودكته رياح الماكرة والمكايدة ، ولو قصد به التوصل الى الوظائف
والمناصب ، والتوصل الى الرتب والرواتب ، لنال منها ما أراد ، أو نالت

منه ما تريد ، ولو كان الغرض منه الرياء والفخر ، وحسن السمعة والذكر ،
لتلعبت به الأهواء ، وعيشت به أيدي الزعماء والرؤساء ، فأنته عن
الطريقة ، وصرفته عن طلب الحقيقة ، كلا والله ما كان شيء من ذلك
ولن يكون . « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله
عليه توكلت وإليه أنيب »

صرحت في فاتحة السنة الأولى بأنني كنت في هذا العمل بين يأس
ورجاء يحركني الباعثان ، ويتنازعني الماملان ، وفي خاتمها بان غوغا الناس
سلقونا بالسنة حديد ، وروونا بسهام الانتقاد ، ولم تكن السنة الثانية
بأمثل من الأولى ، ولا بأقل بلا ، وأكثر قبولاً ، وقلت في فاتحة السنة
الثالثة إن النار قد انتشرت تلاميجه ولم أقل أنه زاد هو انتشاراً ، وقلت إن
الكتاب والخطباء قد تداولوا مسأله ولم أقل أنهم كانوا أنوعاً له وأنصاراً ،
بل صرحت بأنهم كانوا « بين مخبط ومصيب ، ومتفقد ومجيب ، وهكذا
يكون الأمر في أوله وستتجلى الحقيقة للناس إن شاء الله عن قريب » .
وكتبت في فاتحة السنة الرابعة أنه « قد نما النمو الطبيعي المقدّر له من أول
نشأته (أي التدريجي البطيء) ولقي صاحبه من الألف في بعض ما لقي الدين
بصدوا للإصلاح من قبله وصبر كما صبروا والله مع الصابرين ، ثم إننا
كنّا نزع هذه الشكوى بشكر العلماء ، والاعتراف بفضل الفضلاء ،
الذين قبلوا المنار بأحسن القبول ، ورأوه من بواعث إحياء الأمل وحصول
الأمول ، مع الأيمان إلى قلوبهم ، والتبرم من عدم مجديهم ،
هذا مجمل تاريخ المنار من أول نشأته إلى سنة الرابعة التي كان آخرها
خيراً من أولها ، وخاتمها أفضل من فاتحتها ، ولم ينس القراء أننا اعترفنا

فيها بتضاعف قراء المنار : وكونه صار موضع الثقة في جميع الأقطار ، ونريد
 تحدثاً بالنعمة فنقول : لقد خشعت بفضل الله تعالى أصوات المشاغبيين ،
 وأعرض الناس عن جهل المعارضين ، تخذلت شياطين الوسائس ،
 وطاشت سهام أرباب الدسائس ، وصار لنا من مستحسني العمل في السر ،
 من يدعو إليه في الجهر ، ومن المتبرمين منه ، من يناضل دونه ويدافع عنه ،
 فلنا أن نقول الآن تحدثاً بالنعمة : اننا انتقلنا من مقام الصبر إلى
 مقام الشكر . فأما الصبر : فلا بد للداعي إلى الحق من الاعتصام به ولذلك
 قرن الله تعالى التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ومن فوائد الصبر الظفر
 وحسن الجزاء قال تعالى «وَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ» وقال عز وجل «وَجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا
 بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» بل وعد سبحانه أهل الصبر ، بتضاعف الجزاء والأجر ،
 فقال «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» وأما الشكر : فقد وعد
 الله تعالى صاحبه بالمزيد من النعمة والأمن من العذاب فقال عز شأنه
 «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»
 وقال جل ثناؤه «مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ
 شَاكِرًا عَلِيمًا» فنسأله تعالى أن يوفقنا للشكر على الآلاء ، كما وفقنا للصبر على
 البلاء ، فإن الشكر مقام عزيز لأن من شأن الإنسان أن تبطره النعمة ويشغله
 الغرورها عن الشكر عليها ولذلك قال تعالى «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ»
 الشكر هو معرفة النعمة للمنعم تعالى والثناء عليها وصرفها في إقامة
 مسننه وموافاة حكمته وموجبات محبته . ومن شكر الله شكر من أحسن

الممل من عباده . فقد روى أحمد وأبو داود وابن حبان من حديث
 أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا يشكر
 الله من لا يشكر الناس ، لهذا نشكر لأولئك الأفاضل الذين انتدبوا
 للدعوة إلى المنار والسعي في نشره عملهم ، ونعرف لهم فضلهم ، ونشكر
 أيضا للمشاركين الكرام الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وفاءهم . ونعترف
 بالسبق بالفضل ، لقوم سبقوا بالبذل : فأدوا قيمة الاشتراك عن السنة
 الخامسة قبل دخولها حتى إننا لم نقبل ذلك من بعضهم إلا بعد الإلحاح منهم
 والإصرار . ونرجو من سائر المشاركين الفضلاء ، أن يبادروا إلى حسن
 الأداد ، فإن من يُشكر له ، خير ممن يصبر عليه ، ونحمد الله تعالى أن
 أكثر قراء المنار ، من المصطفين الأخيار ، فمنهم العلماء الفضلاء ، والأمراء
 والوزراء ، والقضاة المقسطون ، والمحامون البارعون ، ونظار المدارس
 وأساتذتها ، والأذكياء النابغون من تلامذتها ، والتجار الأمناء ، والزراع
 الوجهاء ، وأهل الاستقامة من الموظفين ، وذوو الشهامة من الضباط
 المصريين ، ونعد الجميع بأننا سنبذل الجهد في زيادة الفوائد ، ونحرر
 المسائل ، والبحث عن أقرب الوسائل لتنهضة المسلمين ، ومنفعة جميع
 الشرقيين ، بل نرجو أن يكون عملنا خدمة للناس أجمعين .
 ونسأل الله أن يحفظنا من عثرة القلم ، وزلة القدم ، وأن يلهمنا
 السداد ، ويوفقنا للصواب ، وأن ينصر سلطاننا ، وينير برهاننا ، ويحقق
 آمالنا ، ويحسن مآلنا ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، بيده الخير وهو على
 كل شيء قدير

صاحب المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

﴿ باب الأخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

نشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدينتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه.

القضاء في الإسلام - النبرة الثانية

وجوب نصب القاضي (الحديث^(١)) قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أقروا عليهم أحدهم » وفي رواية : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم » استدلل العلماء بهذا الحديث على أن نصب الأمير الذي يسوس الناس والقاضي الذي يحكم بينهم واجب شرعا . لأن هذا أولى بالوجوب من تأمير البائسين وإن كانوا أقل الجمع واحداً منهم عابهم والعلّة ظاهرة والعمل عليها من أول الإسلام . وفي الحديث إرشاد إلى أن الأمة هي التي تولى الأمراء والحكام كما تقدم شرحه في باب الأحاديث الواردة في الأمراء من المجلد الرابع .

« ١ » رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو . والرواية الثانية : أخرجه أبو داود عن

أبي سعيد . وأخرج نحوهما البزار بسند صحيح عن عمر بن الخطاب .

موانع القضاء أو شروطه تقدم في الأحاديث السبعة التي أوردناها في
 النبعة الأولى ما يدل على أن الضميف لا يكون قاضياً وبيننا أنواع الضميف،
 وأن الجاهل لا يكون قاضياً. كما يؤخذ من حديث قاضي اللجنة وقاضي
 النار وغيره، وأن الجائر لا يكون قاضياً وأن المرأة لا تكون قاضية وخالف
 في هذا الشرط الحنفية ولو كان المخالف من علماء هذا المصالحم بكفره
 أكثر المساميين، ورموه بمصانعة الأجانب وتقاييد الأوربيين، وكذلك الصبي
 لا يكون قاضياً ونقل بعضهم الإجماع على هذا ويستدل له بما استدل به
 على منع قضاء المرأة وفي هذه الموانع أحاديث أخرى نورد بعضها
 (١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم «استعينوا بالله من رأس السبعين
 وإمارة الصبيان» والقضاء ضرب من الإمارة ولا تعرف في الناس من
 تولى الصبيان القضاء ولحكمهم يولونهم الإمارة والباطنة بالوراثة وقد نكح
 المسلمون الأوربيين في هذه الوراثة. فأما أولئك فإنهم آمنون من مضرة
 ولاية الصبي لأن حكوماتهم مقيدة بقوانين، ووزراء مسؤولين ومنفذين،
 وإنما الحاكم العام، (كالملك ورئيس الجمهورية) لأجل الوحدة في مصدر
 الأحكام، وهو لا يستبدد دورهم بتقضى ولا إبرام. وأما بلاد الشرق فلقد
 تأصل فيها الاستبداد ورسخت عروقه واعتادت أممها عليه وضعفت عن
 مقاومته فلو قضت شؤون السياسة وتقلب الحوادث على بعضها بوضع قانون
 يحمل أحكامها مقيدة بالقوانين، التي تغل أيدي الأمراء والسلاطين، لما
 وجد من الأمة كافل يضمن تنفيذ القانون ولا استبداد الحاكم الأكبر كيف
 شاء أو بمجد قوة أجنبية تأخذ على يده. وتوقفه عند حده. ولهذا المعنى كانت

تولية الصبي الملك خطراً في الشرق ومثله المرأة . وأما رأس السبعين في الحديث فقالوا إنه أنباء ما وقع في عشر السبعين من الفتن . كقتل سيدنا الحسين عليه السلام والرضوان ووقعة الحرة وغير ذلك .

(١٠) عن أبي بكره قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . والنظر في هذا الحديث الشريف من وجهين . أحدهما : كونه خبراً وثانيهما : كونه حكماً شرعياً لأنه يتضمن بمناه النهي عن تولية النساء الأمور العامة كالخلافة والقضاء . أما الأول فهو مبني على المادة التي كانت متبعة في الشرق بل في العالم كله وهي أن الأمر والنهي والتصرف السياسي والقضائي بأيدي الملوك والأمراء ولا شك أن هذه الوظائف لا يصح أن تسند إلى النساء لأنهن أضعف رأياً لاسيما في محافل الرجال وما يتعلق بأعمالهم وأقل جلدأ وثباتاً وأميل مع الهوى لركة قلوبهن وسرعة انفعالهن ولأنهن إن يشتغلن بذلك يضعفن عن وظائفهن الطبيعية وهي تربية الأولاد وتدبير المنزل فإذا كان في المرأة استعداد لأن تجاري الرجل وتكون مثله في كل شيء كما يزعم بعض الأوربيين فهذا الاستعداد لما يتحقق فعلا مع النهاية بتربية النساء في أوربا فلا يمترض به على حديث قيل في شأن الفرس من ثلاثة عشر قرناً ، ولا ينبغي السعي في تحقيقه بتربية المرأة كما يربي الرجل تماماً لأن هذا يضر النوع الإنساني من وجوه أهمها تربية الأولاد فإن المربي يجب أن يكون بينه وبين المربي تقارب وتناسب في السجيا والأخلاق والأفكار والرغائب ليسهل الائتلاف والامتزاج معه والتقليد له والأخذ

عنه بالطبع لا بالتكلف والمرأة وسط بين الأطفال وبين الرجال فهي التي
تربي البنات كل التربية وتربي الصبية التربية الأولى التي نعنيهم بالإخذ عن
الرجال والاقتداء بهم . وإذا اشتغل الرجال بتربية الأطفال ، فإنه يعامل
الذكور والإناث معاملة الرجال ، وفي ذلك خروج بالبنات عن سنة
الفطرة ، وذهاب بالصبيان مع الفطرة

وأما الثاني - وهو كون الحديث حكماً شرعياً يمنع ولا يه التمسك به
فهو من جهة مناسب لاستعداد النساء ولو طيفت بهن الفطرية ومن جهة
أخرى مناسب لما كانت عليه حالة الأمم في تلك العصر ولا حاجة لإباحته
في عصر آخر بل فيه السرر المذكور في الرجة الأولى ومن التعمد على
وظيفة النساء الطبيعية . ولا يعترض بحال أوروبا كون الدولة الانكليزية
أفلحت في عهد الملكة فكتي بإمامات ما زالت هي ولا غيرها من الدول
مثله لأن فرقاً بين أمم أوروبا والأمة الإسلامية وهو أن الملك فيهم
ليس له من الوظائف مثل ما كان في عهد المسلمين فإن الخليفة هو الإمام
الديني الذي يصلي بالناس ويخطبهم في المناسبات وعند حضوره الحج
وكل الأئمة والخطباء في البسداد الإسلامية من باب وكلاؤه وهو القاضي
الأكبر الذي يحكم فيهم حيث يكون وكل القضاة والمفتين نوابه وكلاؤه
فهو الذي يقدم هذا المنصب بشرط الكفاءة وإليه يرجعون في مسائل
الخلاف ليفصل فيها ، ومن شروط الكفاءة أن يكون القاضي والمفتي في
مرتبة الأئمة المجتهدين في الدين ومعرفة مسحة المسلمين ولا يعرف هذا
إلا من هو أهله . وإن فرضنا أن في استعداد المرأة الوصول إلى هذه
المرتبة وأنه لا ضرر في هذا على النوع الانساني فهناك مانع آخر من إمامتها

وهو أنها تكون في طور لا تصبح فيه صلاتها بنفسها فكيف تكون إماماً
لغيرها . ولا يقال : تستنيب لأن من ليس له الحق بشئ لا يصح أن يستنيب .
فيه إذ النائب يؤدي وظيفة المنيب ولا وظيفة له هنا هذا بعض ما يقال
في المنع من الجهة الدينية المحضة وثم موانع أخرى من الجهة الدنيوية وهي
كون الخليفة مدير السياسة والحروب ومتولى النظر في المصالح الداخلية
والخارجية ولذلك اشترطوا أن يكون شجاعاً فإن قيل : إن الإسلام شرع
المشاورة في الأمر وجمعها فرضاً لازماً ومنع الخليفة أن يستبد في أمر
بنفسه وهذا عين ما عليه الأوروبيون في تقييد الملك بالمجالس النيابية قلنا :
نعم هذا صحيح ولكن الإسلام أوجب على الخليفة أن يكون عاملاً
بالمشاورة لا أن يكون آلة تجري الأمور باسمه بدون شعور . والكلام
في هذا المقال كثير وفيما ذكرناه غناء للصبر .

وعن موانع القضاء عند الجاهل الرق وحكى عن الترة أنه يصح أن
يكون العبد قاضياً وكأنهم أخذوا بظاهر الحديث وهو

(١١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا وإن
استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » وفي رواية « اسمعوا وأطيعوا
ولو استعمل عليكم عبدي » وقد كتب الله « قل القسطلاني في شرح البخاري :
معناه : إن استعمله الإمام الأعظم على القوم لأن العبد الحبشي هو الإمام
الأعظم فإن الأئمة من قريش أو المراد به الإمام الأعظم على سبيل الفرض
والتقدير وهو مبالغة في الأمر بطاعته . والنهي عن شتمه ومخالفته . اهـ
أي ليس المراد به ظاهره فإن العبد إذا ولي الخلافة لا يطاع بل يخلع ويعزل :

« ١١ » رواه أحمد والبخاري عن أنس . والرواية الثانية لمسلم عن أم الحصين

قال الخطابي : قد يضرب المثل بما لا يتبع في الوجود وقال الحافظ في الفتح :
ونقل ابن بطال عن المهلب قال قوله «اسمعوا وأطيعوا» لا يوجب أن يكون
المستعمل للعبد إلا إمام قرشي لما تقدم من أن الإمامة لا تكون إلا في
قرش وقد أجمع الأمة على أنها لا تكون في العبيد ويحتمل أن يكون
سماه عبداً باعتبار ما كان قبل العتق اهـ

والحاصل في شروط القضاء في الشرع سبعة كما قال في الأحكام
السلطانية الرجولية والحرية والإسلام والمدالة والابتداء في العلم والعقل
وسلامة الخواص وجوز مالك قضاء الأعشى كما يجوز شهادته

﴿ آثار السلف عبرة للخلف ﴾

عبدل عمر روى ابن عبد الحكم عن أنس «أن رجلاً من أهل مصر
أتى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عاهد بك من الظلم : قال عذت
مما إذا . قال سأبقت ابن عمرو بن العاص فسيغتنه فجعل يضربني بالسوط
ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم : يقدم
ابنه معه فقدم فقال عمر : أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب فجعل
يضربه بالسوط وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين قال أنس فاضرب
فوالله لقد ضربه ونحن نحسب ضربه فما أفلح عنه حتى تكلمنا أنه يرفع عنه
ثم قال للمصري : ضع السوط على صلبة عمرو فقال يا أمير المؤمنين :
إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه فقال عمر لعمرو : مذكركم تعبدتم
الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » قال يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني
وروى عبد الرزاق في الجامع والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر قال :

شرب أخى عبد الرحمن وشرب معه أبو سروعة عتبة بن الحارث وهما
 بمصر في خلافة عمر فسكرا فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو
 أمير مصر فقالا: طهرنا فإننا قد سكرنا من شراب شربناه (يظهر من هذه
 الكلمة أنهما لم يكونا يقعدان السكر ولم يعرفا ما هو الشراب) قال
 عبد الله فذكر لي أخى أنه سكر، فقلت: أدخل الدار أظهر لك ولم أشعر أنهما
 قد أتيا عمرو فأخبرني أخى أنه أخبر الأمير بذلك فقلت لا تخلق اليوم على
 رؤس الناس أدخل الدار أحلقك، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد فدخلوا
 الدار. قال عبد الله فحقت أخى يدي، ثم جلدهم عمرو فسمع بذلك عمر
 وكتب إلى عمرو أن ابعث إلى عبد الرحمن على قتب فعمل ذلك فلما قدم
 على عمر جلدته وعاقبه لمسكانه منه ثم أرسله فثبت شهراً صحيحاً ثم أصابه
 مدره فمات فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمرو ولم يمض من جلد عمر
 وروى هذا الأثر ابن سعد في الطبقات مطولاً، ذكر فيه مجيء
 عبد الرحمن إلى مصر ونزوله في أقصاها وأن عمرو أخشى أن يزوره أو يهدي
 إليه شيئاً فيعلم أبوه همر بذلك فيعاقبه لأنه كان كتب إليه: إياك أن يقدم
 عليك أحد من أهل بيتي فتحبوه بأمر لا تصنعه بغيره، حتى جاءه هو
 ورفيقه أبو سرعة منكسرين يطلبان إقامة الحد عليهما. وفيه أن عمر لما علم
 أن عمرو أقام الحد على ولده في بيته وحلقه في بيته ظن أنها خصوصية
 اختص بها ولده فكتب إليه يوبخه ويهدده بالمزل ويطلب عبد الرحمن.
 وأن عمرو اعتذر له بأن يحد كل مسلم وذمي في بيته. اهـ ملخصاً من
 كتاب (كنز العمال، في سنن الأقوال والأفعال)

﴿ باب المبادئ من الأمانى الدينية ﴾
 « الدرس ٣١ — عصمة الأنبياء عليهم السلام »

(المسألة ٧٩) حقيقة العصمة هي في اللغة المنع ، وقال الجرجاني في التمرينات « العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها ، أي أن المصوم من الشيء يجد في نفسه قدرة عليه ويشعر بزاجر منها يحول دون الوقوع فيه ، فالعصمة وازع نفس راسخ في النفس وهي في الأنبياء فطرية وقد يكون لغيرهم بحسن التربية من ملكة الفضيلة ما يربأ بنفوسهم عن موافقة الفجور والدنبا ويسمى علماءنا هذا المعنى حفظاً للتفرقة وإنما يكون هذا بالتربية الفاضلة بين الفضلاء مع مساعدة الورثة واعتدال المزاج . وقد ينكر الدين ابتلوا باقتراف الكبائر هذا المعنى أن يكون لغير الأنبياء ، ويسلمون به للأنبياء تقليداً ولهم المنذر فإنه أمر لا يعرفه إلا من ذاقه وقليل ما هم .

(م ٨٠) العصمة في التبليغ جاء في المواقف أن أهل الملل والشرائع قد أجمعوا على عصمة الأنبياء عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يلقونه عن الله تعالى وإن عاقلاً لا يجمع بين الإيمان والوحي والنبوة وبين تجويز كذب النبي على الله تعالى فيما يبلغ منه فإن كان هذا جائزاً فأى ثقة بالوحي وكيف يميز المكلف بين ما هو عن الله وما عن غير الله والمبلغ غير موثوق بصدقه؟! ولقد أبعد القاضي أحد أئمة الأشعرية في قوله بجواز صدور الكذب منهم سهواً وهو قول مردود لا يمول عليه أحد ، والدليل على هذا النوع من العصمة هو عين الدليل

على النبوة من الآيات العلمية أو الكونية .

(م ٨١) العصمة من الكفر أجمع المسلمون من جميع الفرق على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها وليس هنا شبهة لأحد فتوسع فيه .

(م ٨٢) العصمة من كبار الذنوب قال في المواقف وشرحه : « أما الكبار » أى صدورها عنهم عمداً « فمنه الجمهور » من المحققين والأئمة ولم يخالف فيه إلا الحشوية « والأكثر » من المانعين « على امتناعه سمياً »

قال القاضى والمحققون من الأشاعرة إن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلاً إذ دلالة المعجزة عليه فامتناع الكبار عنهم سمياً مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين فى ذلك « وقالت المعتزلة بناء على أصولهم » الفاسدة فى التحسين والتقييع المقللين ووجوب رعاية الصلاح والأصالح « يمتنع ذلك عقلاً » لأن صدور الكبار عنهم عمداً يوجب سقوط هيتهم من القلوب والخطا طرقتهم فى أعين الناس فيؤدى إلى النفرة عنهم وعدم الاتقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلاق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة . « وأما » صدورها عنهم « سهواً » وعلى سبيل الخطأ فى التأويل « فجوزة الأكثرين » والمختار خلافه اه ولم يذكر ناقل الإجماع ولا كيف وقع هذا الإجماع ، وما أراه إلا الإجماع السكوتى وعجيب من سادتنا الأشاعرة كيف ينقضون الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء لأجل مخالفة المعتزلة ولو بالتكلف إذ استلزم دليلهم للتحسين والتقييع بالمعنى النافى لا اختيار الله تعالى ممنوع كما ينبغي . ثم إنهم جوزوا وقوع الكبار منهم سهواً وتأويلاً كما ترى وذكر السيد أن المختار خلاف ما عليه الأكثرين وقد جزم المتأخرون بهذا فى عقائدهم ولا شك

ان المتأخرين أشد تعظيماً بالقول للأَنْبياء والمصالحاء وكذلك في الاعتقاد التخلي
دون البرهاني على أنهم في هذه المسألة أقرب إلى الصواب من المتقدمين
(م ٨٣) العصمة من الصفات قال المواقف : « وأما الصفات عموماً
فيجوزها الجمهور إلا الجبائي وأما سهو آف هو جائز اتفاقاً إلا الصفات الحسية
كسرقة حبة أو لقمة وقال الجاحظ : يجوز بشرط أن ينهبوا عليه فينتهبوا
عنه وقد تبهم فيه كثير من المتأخرين وبه نقول » قال الشارح : (أي
نحن الأشاعرة) .

(م ٨٤) العصمة قبل النبوة قال المواقف بعد إيراد ما ذكر كله : « هذا
كله بعد الوحي وأما قبله فقال الجمهور : لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة إذ
لا دلالة للمعجزة عليه ولا حكم للعقل وقال أكثر المعتزلة : تمتنع
الكبيرة وإن تاب منها لأنه يوجب النفرة ، وهي تمتنع عن اتباعه ،
فتفوت مصالحة البهثة ومنهم من منع عما ينفر مطلقاً كمنع الأهمات
والفجور في الآباء والصفات الحسية دون غيرها ، وقالت الروافض :
لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة قبل الوحي ، فكيف بعد الوحي ؟ اه
وقول الروافض هذا هو الذي اعتمد المتأخرون من أهل السنة ، بل
منع بعضهم وقوع المكروه منهم إلا على سبيل التشريع .

(م ٨٥) رأينا^(١) إنما ذكرنا هذا الاختلاف في العصمة ليعرف من
يطالع عليه من دعاة النصارى ومجادليهم : أن المسلمين لم يتكفوا القول
بعصمة الأنبياء تكفاً لإثبات قدرتهم على إنجاء الناس من العذاب في

(١) راجع البند ١١ من شبهات المسيحيين وحجج المسلمين في عصمة الأنبياء

اليوم الآخر كما يزعمون وإغماحيتمون في ذلك كغيره ما يظهر لهم من الأدلة العقلية والسمعية أي أدلة الوحي . وإغما نقلنا عبارة كتاب المواقف الذي هو أعظم كتب الكلام عندنا لئلا يظن قليل الإطلاع من المسلمين أن الأقوال التي أوردناها في الخلاف هي أقوال شاذة أو مسندة لغير أصحابها سهواً أو جهلاً لاسيما إعتقاد متأخري أهل السنة قول الرافضة . والذي نراه أنه يصح الاستدلال بالمقل على عصمة الأنبياء عليهم السلام ولا يستلزم ذلك القول بقاعدة التحسين والتقبيح العقليين ولا سبب الاختيار عن الله تعالى . وكذلك يستنبط من كثير من الآيات القرآنية ما يدل على نزاهتهم وكونهم قدوة في الخير والفضائل وإن كان ليس فيها نص صريح على العصمة من الذنوب مطلقاً ولذلك قال صاحب المواقف بعد ما أراد تلك الآيات أنها ليست بالقوية فيما هو محل النزاع وهو الكبيرة سهواً والصغيرة عمداً . وفي الكتاب والسنة إسناد الذنوب إلى بعض الأنبياء عليهم السلام وما جاز على بعضهم جاز على الآخرين والعلماء يأولون ذلك وقصارى هذا كله وجوب الإعتناء على الدليل العقلي والتوفيق بينه وبين ما ورد من إسناد الذنوب إليهم فاطلب ذلك من الدرس الآتي .

باب الأسنة والرجوعية

(س ١) محمد توفيق أفندي حمزه بالقشن (المنيا) : هل يوجد حديث صحيح بأن في القرآن لحناً يستقيمه العرب بألسنتها وأن منه قوله تعالى « والمقيم الصلاة والمؤتون الزكاة » نرجو الرد على ذلك لإزالة الشبهة

(ج) لم يرد في هذا المعنى حديث صحيح ولا ضعيف ولا موضوع
ولكن الزنادقة الذين حاولوا العبث بدين الإسلام كما كان يفعل أمثالهم
في الأديان الأخرى لما عجزوا عن زيادة حرف في القرآن أو نقص حرف
منه لحفظه في الصدور والصحف أرادوا أن يشككوا ببعض المسلمين فيه
بشيء يضمنونه عن لسان الصحابة الكرام فزعم بعضهم أن عكرمة قال
لما كتبت المصحف عرضت على عثمان فوجد فيها حرفاً من اللحن فقال
« لا تغيروها فان العرب ستغيرها أو قال ستقرؤها بالسنتها ولو كان الكاتب
من ثقيف والمملى من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف » .
وفي لفظ آخر « أحسنتم وأجملتم أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب
بأسنتها ولو كان المملى من هذيل والكاتب من قريش لم توجد هذا »
ولما تصدى المحدثون رضي الله عنهم لنقد الحديث والأثر من جهة الرواية
التي راج في سوقها الطيب والخبيث تبين لهم في هذا الأثر ثلاث على
الانقطاع والضعف والاضطراب فهو لا يعول عليه لو كان في الحث على
فضائل الأعمال فكيف يلتفت إليه في موضوع هو أصل الدين الأصيل
وركنه الركين؟ ومن يدري إن كان الساقط من مسنده مجوسى أو دهرى
أو إسرائيلى؟ على أن الكلمة التي نسبت إلى عثمان تدل على أن اللحن في الرسم
وأنه لم يكن مما يشبهه في قراءته لأنه لا يحتمل في النطق وجهاً آخر كرسم
الصلاة والزكاة والحياة بالواو مثلاً (الصلاة الحيوّة) ولكن الموسوسين
حملوا ذلك على كلمات قليلة جاءت في المصحف على خلاف القواعد النحوية
التي وضعها الناس لكلام العرب وتحكمون بها عليهم ومن ذلك الآية
التي أشار إليها السائل وهي قوله تعالى « لكن الراسخون في العلم منهم

والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمؤمنين الصلوة
والمؤتون الزكاة » وإني لأعجب من دخیل فی لفة قوم یستعمل علیهم فی
شیء یخترعه هو ویجمله أصلاً لها . وأعجب من هذا أن یکون هذا
التحکم علی أصح شیء فی اللسان فان الذین يؤولون ماورد عن بعض منہاء
الأعراب من الشعر المخالف لافواعد أو یکتفون بأنه صحیح لأنه هكذا
یسع یوقوفون فی بعض الکلام من القرآن إذا رأوا أنها علی خلاف القیاس .
علی أن علماء العربیة خرجوا تلك الکلمات علی ما یوفق قواعدهم من
وجود مذکورة فی کتب التفسیر وکتب النحو لا محل لها هنا .
وسفصل القول فی مسئلة جمع القرآن فی دروس الأملی الدینیة بما یشتفی
الصدور إن شاء الله تعالی .

(س ٢) أحمد أفندی الألفی فی أبی کبیر (شرقیة) : ما أقرب الطرق
لمعرفة أحكام العبادات من الكتاب والسنة ؟ .

(ج) الكتاب العزیز لم یفصل القول فی صور العبادات وإنما بین
روح العبادات والمقصود منها وفيه کیفیة الوضوء وذكر الركوع والسجود
من أعمال الصلاة والسنة ینت صورها وأذکارها . وأصحاب الکتب
الستة التي هی أصح کتب الحدیث إنما ألفوا کتبهم لمعرفة الدین منها جامع
البخاری هو مذهبه الذی یعتمد علیه فی فهم الدین وقد قال بعض العلماء
إن سنن أبی داود کافیة فیما یشرط للاجتہاد من علم السنة . ویوجد کتاب
یسمى متقی الأخبار جمع فیہ صاحبہ أحادیث الأحکام من الکتب الستة
ومن مسند الإمام أحمد وقد شرحه الإمام الشوکانی وأورد فی شرحه
خلاف جمع أئمة المسلمین المشهورین من الصحابة والتابعین مع بیان

الترجيح في الاستدلال واسم الشرح (نيل الأوطار) فهو أجمع كتاب في أحكام الدين من السنة وهدى سلف الأمة لمن هو أهل للفهم والأحاديث الشريفة أسهل فهماً من كلام العلماء ، ولكن لا يستغنى عن هدايتهم في معرفة ما يحتاج به وما يختلف مع غيره .

(س ٣) ومنه : هل يفيد حفظ القرآن في اكتساب ملكة البلاغة

كغيره من الكلام البليغ ؟

(ج) لعل سبب السؤال نوح أن القرآن في علو أسلوبه وإعجازه لا يمكن أن يحتذى بلاغته ، من لا يطمع أن يبلغ غايته ، والصواب أن لحفظ القرآن مع فهمه أبلغ التأثير في ارتقاء ملكة البلاغة العربية ولقد ارتقى به كلام العرب أنفسهم فكان كلامهم في المنظوم والمنثور بعد الإسلام أعلى منه قبله . فالقرآن أنفع الكلام في ارتقاء اللغة كما أنه أنفعه في إصلاح الأرواح وتهذيب النفوس وإكمال العقول ولا يستلزم تفهمه في ارتقاء البلاغة إمكان التساق إلى درجته ، والجرى إلى غايته ، وإن لنا لعودة إلى هذه المسألة إن شاء الله تعالى

(س ٤) ع . ا . ر . في الإسكندرية : لا يخفى ما رسخ في أوهام العوام من مسألة كرامات الأولياء والخروج في فهم حقيقة قتها عن الحد الذي نهت عليه شريعتنا السمحة ، وبشرنا واحد من هؤلاء الدجالين الجهلاء المتعجلين لأنفسهم علم الغيب وله سبحة طويلة ينظر فيها عند سؤاله من العامة فيخبرهم بما يحصل لهم في غد من الحوادث فيصدقونه والمنتبهون منهم إن سألوا بعض العلماء عن ذلك جوزوه بدعوى أنه كرامة من غير توضيح ، ماهي الكرامة ومن يكرم الله بها من عباده المتقين غير الدجالين الذين هم عن

جلائهم ساهون . ولما كان في السلام والهدى صوى في منبره كثر الناس
 نراساً لهم ودليلهم في راس الخير في راس الخير في راس الخير في راس الخير
 السور اليكم ملتصقاً من بحر عظيم وواسع حكيم في توضيح بعدد الناس الذين
 (وان كان سبق توضيح) هل ورد في شرح ما يجب لأحد من الناس التوجه على
 غيب علم الله الذي ستره عن عباده وإخبار الناس بما يشيرون من خير أم شر . فان
 حصل أو استشعر منه الخطأ والخطأ قال : « السجدة الثانية السجدة تامة ومفترجوا ان
 انه ضجوا لما نزلت بشاركم بالخير وولوا هذه التعميم في القول
 (ج) لم يرد في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما يدل على جواز
 هذه التعميم لأحد بل ورد ما يدل على أن الأنبياء عليهم السلام قد أمروا بأن
 يصنعوا منه . « قل لا أقول لكم عسى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم
 نبي منكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أم لا تفكرون »
 « قل لا أملك لنفسي . نفعا ولا ضررا إلا ما شاء الله ونو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
 من الخير وما مسمى السوء إن كنت لا تدري وبشير لقوم يؤمنون » . « قل لا يعلم
 من في السموات والأرض الغيب إلا الله » والآيات في هذا المعنى كثيرة . واستشكل
 بعضهم نفى علم الغيب عن النبي مع انه أخبر بكثير منه وأحسن جواب أجابوه ما يؤيده
 الآيات كقوله تعالى « (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) فنقول فيما أخبر به من ذلك كما
 قال الله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » وأما المنق فيهما يتعلق
 بمصالح الدنيا وما يكون من أمر الناس فيها واستشهدوا له بالحديث الصحيح الوارد
 في تأييد النحل وقوله لما خرج خلاف ما قاله عليه السلام : (أتم أعلم بأمر دنياكم)
 وفي رواية لمسلم : (إن كان شيء من أمر دنياكم فشانكم وإن كان من أمر دينكم
 فإني) فالحديث يدل على أن الله تعالى لم يعط الأنبياء معرفة الغيب في مصالح الناس في
 دنياهم وإنما جعل علم الدنيا كسبياً يعلمه الناس بالبحث والجد . أما هؤلاء الدجالون من
 أصحاب السبع ونحوهم فلا تزال بضاعتهم تروج ما دام هذا الجهل فاشياً في جميع
 طبقات الأمة ولا ينفع في الجاهل تقلد الأعمى دليل ولا برهان . وراجعوا مقالات
 (كرامات الأولياء) في ص ٤٠١ و ٤١٧ و ٤٤٩ و ٤٨١ و ٥٤٥ من مجلد الثمار الثاني
 (٤ - النار)

القسم العمومي

(الكتاب الموعود بنشره)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المخلوقين وعلى آله وأصحابه أنصار دينه الأولين وعلى أتباعهم في مسالكهم إلى يوم الدين .
أما بعد فاقول لما كان عهدنا هذا وهو أوائل القرن الرابع عشر عهداً عم فيه الخلل والضعف لجميع المسلمين وكان من سنة الله في خلقه ان جعل لكل شيء سبباً فلا بد لهذا الخلل الطارئ والضعف النازل من أسباب ظاهرة غير سر القدر الخفي عن البشر . فدعت الحمية بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيين للبحث عن أسباب ذلك والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الاسلامية فأخذوا ينشرون آراءهم في ذلك بعض الجرائد الاسلامية الهندية والمصرية والسورية والتاتارية . وقد اطلعت على كثير من مقالاتهم الغراء في هذا الموضوع الجليل واتبعت أثرهم بنشر ملاح لي في جل هذا الشكل العظيم .

ثم بدا لي ان أسمى في توسيع هذا المسعى بعقد جمعية من سراة الاسلام في مهد الهداية أعنى (مكة) المكرمة فعقدت العريضة متوكلاً على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الافكار وتهيئة الاجتماع في موسم أداء فريضة الحج فخرجت من وطني أحد مدن الفرات في أوائل محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة والف وكلى ألسن تنشد :

دراك فمن يدنف لعمري يدفن وما نافع نوح متى قيل قد فنى
دراك فإن الدين قد زال عزه وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
فصكان له أهل يوفون حقه بهدى وتلقين وحسن تلقن
إلام وأهل العلم أحلاس بينهم اما صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلموا إلى (أم القرى) وتأمرؤا ولا تقنطوا من روح رب مهيمن
فان الذي شادته الاسياف قبلكم هو اليوم لا يحتاج الا ألسن
فسلكت الطريق البحري من اسكندرون معرجا على بيروت فدمشق ثم يافا
فالقدس ثم جنت الإسكندرية فمصر ثم من السويس يمت الحديد فصنعاء فصعدة إلى

البصرة ومنها رجعت إلى حائل إلى المدينة على منورها أفضل الصلاة والسلام إلى مكة المكرمة فوصلتها في أوائل ذي القعدة فوجدت أكثر الذين أجابوا الدعوة ممن كنت اجتمعت بهم من أفاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراياها قد سبقوني بموافاتها وما انتصف الشهر وهو موعد التلاقى الا وقدام الباكون ماعدا الأديب البيروني الذي حرمننا القدر ملاقاته لسبب انبأنا عنه فعذرناه .

وفي أثناء انتظارنا منتصف الشهر سميت مع بعض الاخوان الوافدين في تحري ونحري اثني عشر عضواً أيضاً لأجل اضافتهم للجمعية وهم من مراکش وتونس والقسطنطينية وبغجه سراي وتهايس وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين ودهلي وكلكتة وليمربول . واذ كنت للبشر لهذه الدعوة بادرت واتخذت لي داراً في حي منطرف في مكة لعقد الاجتماعات بصورة خفية ومع ذلك استأجرتها باسم بواب داعي تالي زوسي لتكون مصونة من التعرض لرعاية للاحتياط . وقد انعقد من منتصف الشهر إلى سلخه اثني عشر اجتماعاً غير اجتماع الوداع جرت فيها مذكرات مهمة صار ضابطاً ونسجلاً بكمال الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل المتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المناوصات والقرارات غير ما آثرت الجمعية كتبه كما سيشار إليه .

الاجتماع الأول

يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرة الأولى وعضاؤها اثنان وعشرون فاضلاً كلهم محسنون العربية فبعد أن عرفت كلا منهم بباقي اخوانه وتعارفوا بالوجوه بادرتهم بتوزيع اثنان وعشرين قائمة كن مهيئات قبلاً مطبوعات مطبوعة (الجلاتين) التي استعرتها من تاجر هندي في مكة لأجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق الجمعية محرراً في نسخ القائمة مختصر تراجم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمزية الخصوصية وموضحاً فيها أيضاً مفتاح الرموز التي يحتاج الاخوان لاستعمالها وأعضاء الجمعية هم السيد الفراتي ، الفاضل الشامي ، البليغ القدسي ، الكامل الاسكندري ، العلامة المصري ، المحدث اليمني ، الحافظ البهنري ، العالم النجدي ، المحقق المدني ، الاستاذ المكي ، الحكيم التونسي ، المرشد القاسمي ، السعيد الانكليزي ، المولى الرومي ، الرياضي الكردي ، المجتهد التبريزي . العارف التاتاري ، الخطيب الشازلي ، المدقد التركي ، الفقيه الافغاني ، صاحب الهندى ، الشيخ السندى ،

الإمام الصوفي . ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الأخوة التي يعرفونها متى من قبل وهي (لا نعبد الا الله) مسترعياً منهم وخاطبتهم بقولي : من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد في اعلاء كلمة الله والأمانة لـ اخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله (على عهد الله بالجهاد والأمانة) ومن كان لا يطيق العهد فليمتزلنا وما جال نظري فيهم الا وسارع الذي عن يميني إلى عقد العهد الذي يليه ثم الذي يليه إلى آخرهم . ثم التفت منهم ان يختبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومدكراتها وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل المقررات فاجابني العلامة المصري ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد وانك أشملهم معرفة بهم فأنا أترك الانتخاب لك وما أتم رأيي هذا الا وأجمع الكل على ذلك حينئذ اعلنت لهم اني أتخير للرئاسة الأستاذ السكي وأتخير نفسي لخدمة الكتابة تفادياً من اتعاب غيري في الخدمة التي يمكنني القيام بها واستأذنت الافاضل الاعجم منهم بنوع من التصرف في تحرير بعض القاطم فظهر الجميع الرضا والتصويب وصرح الأستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنهم به واستولى على الجمعية السكون ترقباً لما يقول الرئيس .

أما (الأستاذ الرئيس) فقطب جبينه مستجمعاً فكره ثم استهل فقال : الحمد لله على السر والنجوى ، الذي جمعنا على توحيدة ودينه وأمرنا بالتعاون على التقوى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه لم يشغلهم عن اعزاز الدين شاغل وكان أمرهم شوري بينهم يسعى بذمتهم أدناهم اللهم « إياك نعبد » لا نخضع لغيرك « وإياك نستعين » لا نتظر نفعاً من سواك ولا نخشى ضرراً « اهدنا الصراط المستقيم » الذي لا خفيات ولا ثنيات فيه « صراط الدين أنعمت عليهم » بنعمة الهداية إلى التوحيد « غير المغضوب عليهم » بما أشركوا « ولا الضالين » بعد ما اهتدوا سبحانه ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً .

وبعد فيا أيها السادة الكرام كل منا يعلم سبب اجتماعنا هذا من مفاوضات أخينا السيد الفرائي الذي أجنا دعوته لهذه الجمعية شاكرين سعيه . ولذلك لا أرى لزوماً للبحث عن السبب كما لا أجد حاجة لتنشيط هممكم ، وتأجيج نار حميتكم ، لأننا كلنا في هذا العناء سواء ولكن أذكركم بخلاصة تاريخ هذه المسألة فأقول .

ان مسألة تقهقر الإسلام بنت الف عام أو أكثر وما حفظ عز هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية الامتانة الأساس مع انحطاط سائر الأمم عن المسلمين في

كل ما يؤمن أن هذا بعض الأمر في السوء والنور النورية للمعارف قد فيها
فقدت نفوذها على أكثر البلاد والعباد من مسلمين وغيرهم وفي ذلك السوء في
سبيلهم إلى أن استولى الشيطان على كل أطراف جسم تلك الإسلامية وقرب الخطر
من قلب أعني (حريرة العرب) فتذهبت أفكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووقفهم
لنيل أجر المجاهدين فهبوا ينشرون الموعظ والتذكيرة والمباحث المندرة فكثرت المنهون
وتحركت الخواطر لسكنها حركة متحيرة الوجهة شائعة القوة فسي الله أن يرشد
جمعيتنا للتوصل إلى توحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوة .

وبتدقيق النظر في النشريات والمقالات التي جادت بها أقلام الفضلاء في هذا
الموضوع نرى كلها دائرة على أربعة مقاصد ابتدائية .

(الأول) منها بيان الحالة الحاضرة ووصف أعراضها بوجه عام وصفاً بديهاً
فبعد التأثر ويدعو إلى التدبير على أن ذلك لا يثبت إلا عشية أو ضحاها . (والثاني) بيان
أن سبب الخلل النازل ، هو الجهل الشامل ، بيان أحوال وتوزيع ، مع أن المقام يقتضي
عدم الاحتشام من التفصيل والتشريح . (والثالث) إنذار الأمة بسوء العاقبة المحدقة بها
الإنذار هائل لا تطير منه النفوس مع أن الخلل الواقع لا يغني فيه إنذار . (والرابع) توجيه
القوم والتمهيد على الأمراء أو العلماء أو على الأمة كلها لتقاعدهم عن استعمال قوة
الاتفاق على نهضة مع أن الاتفاق وهم وانشا كسبون متعذر لا متعسر .

فبذه المقاصد القولية قد استوفيت حقها من أنواع بدائع الأساليب وآن أوان
استنارها وذلك لا يتم إذا لم يشخص المرض أو الأمراض المشتركة تشخيصاً دقيقاً
سياسياً فليبحث أهلاً عن مراكز المرض ثم جرائمه ليتعين بعد ذلك الدواء
الشافى الأسهل وجوداً والأضمن نتيجة وبالنتيجة ثانياً عن تدبير إدخاله في جسم
الأمة بحكمة تصرع مناد والوهم ، وتغلب على مقاومة أعضاء الذوق والشم .

ثم أطمع بها سادة المستحسنون الاكتنام الذي اختاره أكثر هؤلاء الكتاب
الأفاضل لأن لذلك محسنت بل موجبات شتى ينبغي أن تستعملها جمعيتنا أيضاً فلنحرص
كلنا على الاكتنام لأن من موجباته التي مكل من نشر العلم على أعيان القول الصريح
في النصيحة للدين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامة أو عتاة لأن حياة
المريض مهلكة وكنتم الأمر المستفيض سخافة والدين النصيحة ولا حياة في الدين .
ومن موجبات الاكتنام أيضاً أن كل ما يخالج الفكر في موضوع مسائلنا معروف عند
الأكثرين والسكن بصورة مشتمة والناس فيه على أقسام فتنف العلماء إما حينئذ بها بون

الحوض فيه وأما مراؤن مداجون يأبون أن تخالف أقوالهم وأحوالهم وباقي الناس
يأتفون أن يذعنوا لنصح ناصح صادق غير معصوم ولذلك كان القول من غير معرفة
القائل ارعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأدعى للاجماع . .

ثم أظنكم أيها الاخوان تستصوبون أن تترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن
متبعوها تقليداً فلا نعرف مأخذ حكيم من أحكامها وأن نعتمد ما نعلم من
الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع وذلك لكيلا تتفرق في الآراء وليكون ما يقرره
مقبولاً عند جميع أهل القبلة إذ أن مذهب السلف هو الأصل الذي لا يرد ولا تستنكف
الامة أن ترجع إليه وتجتمع عليه في بعض أمهات المسائل لأن في ذلك التساوي بين
المذاهب فلا يثقل على أحد نيل تقليد أحد الأئمة في مسألة تخالف المتبادر من نص
الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة الثابتة في مدونات الصدر الأول .

ولا يكبرن هذا الرأي على البعض منكم فما هو برأي حدث بين المسلمين بل
جميع أهل جزيرة العرب ما عدا اخلاط الحرمين على هذا الرأي ولا يخفى عليكم أن
أهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين إلى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة الخبايلة أو
الزيدية أو الشافعية مذهباً وقد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم أهلهم وحملة وحافظوه وحماتهم
وقلما خالطوا الاغيار أو وجدت فيهم دواعي القرباء والتفاني في الدين لأجل الفخار ولا
يعظمون على البعض منكم أيضاً أنه كيف يسوغ لأحدنا أن يثق بفهمه وتحقيقه مع بعد
المهد ويترك تقليد من يعرف أنه أفضل منه وأجمع علماً وأكثر إحاطة واحتياطاً .
ولا أظن أن فينا من ليس في نفسه إشكال عظيم في تحرى من هو الاعظم من بين
الأئمة والعلماء والأحرى بالاعتماد على تحقيقه لوجود اختلافات واضطرابات مهمة
بينهم ما بين نفي وإثبات حتى في كثير من الأمور التعبدية الفعلية التي مأخذها المشاهدة
المتكررة ألوف مرات مثل هل كان النبي عليه الصلاة والسلام ثم جمهور أصحابه عليهم
الرضوان يصلون وتر العشاء بتسليمة أم بتسليمتين وهل كانوا يفتنون في الوتر أم في
الصبح وهل كان المؤمنون يقرأون أم ينصتون وهل كانوا يرفعون الأيدي عند تكبيرات
الانتقال أم لا يرفعون وهل يعقدون الأيدي أم يرسلونها . فإذا كان الأئمة والعلماء
الأقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف في تحقيق كيفية عبادة فعالية هي عماد
الدين أعنى الصلاة التي هي من المشهودات المتكررات وتؤدي بالجموع والجاهير
فكيف يكون شأنهم في الأحكام التي تستند إلى قول أو فعل أو سكوت صدر عن
النبي صلى الله عليه وسلم مرة أو مرات فقط ورواها فرد أو أفراد .

فعلى هذا لا أرى من مانع أن تترك القول المتخالفه خصوصاً منها المتعلق
بالبعض القليل من الأصول ونجتمع على الرجوع إلى مانعهم من النصوص أو ما
يتحقق عندنا حسب طاقتنا أنه جرى عليه السلف وبذلك تتحد وجهتنا ويتسنى لنا
الاتفاق على تقرير ما نقرره ويقوى الأمل في قبول الأمة منا ما ندعوها إليه .

وإني أسلفكم أيها السادات أنه ينبغي أن لا يهولنا ما يبسط في جمعيتنا من تفاقم
أسباب الضعف والفتور كيلا نياس من روح الله وأن لا نتوهم الإصابة في قول من
قال إننا أمة ميتة فلا ترجى حياتنا كما لا إصابة في قول من قال إذا نزل الضعف في
دولة أو أمة لا يرتفع فهدم الرومان واليونان والأمريكان والطيالان واليابان وغيرها
كلها أم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وفقد كل اللوازم الأدبية للحياة
السياسية بل ليس بيننا ولا سيما عرب الجزيرة منا وبين أعظم الأمم الحية المعاصرة
فرق سوى في العلم والأخلاق العالية على أن مدة حضارة العلم عشرون عاماً فقط ومدة
حضارة الأخلاق أربعون سنة . فعلينا أن نثق بعناية الله الذي لا يبد سواه وبهذا
الدين المبين الذي نشر لواء عزه على العالمين ولم يزل بالنظر لوضعه الإلهي ديناً حنيفاً
متيناً محكماً مكيناً لا يفصله ولا يقاربه دين من الأديان في الحكمة والنظام ورسوخ البنيان
ثم أيقنوا أيها الاخوان أن الأمر ميسور وأن ظواهر الأسباب ودلائل الأقدار
مبشرة بأن الزمان قد استدار ونشأ في الاسلام أنجاب أحرار وحكماء أبرار يعز
واحدهم بألف وجمعهم بألف ألف فقوة جمعية منتظمة من هؤلاء النبلاء كافية لأن
تخرق طبل حزب الشيطان وتستردعى سمع الأمة مهما كانت في رقاد عميق وتقودها
إلى النشاط وإن كانت في فتور مستحكم عتيق على أن محض انعقاد جمعيتنا هذه
لمن أعظم تلك المبشرات خصوصاً إذا وفقها الله تعالى بهنائه لتأسيس جمعية قانونية
منتظمة لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلاً يلي بما
لا يفي به عمر الواحد الفرد وتأتي بأعمالها كلها بعزائم صادقة لا يفسدها التردد وهكذا
هو سر ماورد في الأثر من أن يد الله مع الجماعة وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم
بالعظام وتأتي بالعجائب وهذا هو سر نشأة الأمم الغريبة وهذا سر النجاح في كل
الأعمال المهمة لأن سنة الله في خلقه أن كل أمر كلياً كان أو جزئياً لا يحصل
إلا بقوة وزمان متناسبين مع أهميته وأن كل أمر يحصل بقوة قليلة في زمان طويل
يكون أحكم وأرسخ وأطول عمراً مما إذا حصل بمزيد قوة في زمان قصير وكلنا يعلم
أن مسألتنا أعظم من أن يفي بها عمر إنسان ينقطع أو مسلك سلطان لا يطرده أو قوة

عصية حضرية حمقاء تفور سريعاً وتفور سريعاً
وإذا تفكرنا أن مبدأ اعظم الأعداد اثنان فكذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم
تزايد حتى تكمل وتتطلب اشكالا حتى ترسخ فعلى هذا لا يعد أن يتم لنا انعقاد جمعية
منتظمة تنعقد الآمال بناصيتها. ولا ينبغي الاسترسال مع الوهم إلى أن الجمعيات معرضة
في شرقنا لتيار السياسة فلا تعيش طويلا ولا سيما إذا كانت فقيرة ولم تكن كغالب
(الأكاديميات) أي الجامعات العلمية تحت حماية رسمية بل الا ليق بالحكمة والحزم
الاقدام والثبات وتوقع الخير إلى أن يتم المطلوب .

هذا وإن شرقنا مشرق العظام والزمان أبو العجائب وما على الله بعزير ان يتم
لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهوري إذا نادى مؤذنها حتى على الفلاح في رأس
الرجاء يبلغ أقصى الصين صدها .

ومن المأمول أن تكون الحكومات الاسلامية راضية بهذه الجمعية حامية لها ولو
بعد حين لأن وظيفتها الأساسية أن تنهض بالأمة من وهدة الجهالة وترقي بها في
معارج المعارف متباعدة عن كل صبغة سياسية ومنعود لبحث الجمعية فيما بعد .
ولنبدا الآن بتشخيص داء الفتور المستولى على الأمة تشخيصاً سياسياً مدققاً
فارجوكم أيها السادات أن يعمل كل منكم فكره الثاقب فيما هو سبب الفتور ليسين رأيه
وما يفتح الله به عليه في اجتماعتنا التي نواليها كل يوم ماعدا يومى الثلاثاء والجمعة من
بعد طلوع الشمس بساعة إلى قبيل الظهر أعني إلى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة
فنفتتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذكرات التي جرت في الاجتماع السابق ثم نشرع بالمفاوضات
وانى أختتم اجتماعنا اليوم ببرنامج المسائل الاساسية التي تدور عليها جمعيتنا وينبغي
لكل منا ان يفكر فيها ويدرسها وهي عشر مسائل .

(١) موضع الداء (٢) امراض الداء (٣) جرائم الداء (٤) ماهو الداء (٥) ماهي
وسائل استعمال الدواء (٦) ماهي الاسلامية (٧) كيف يكون الدين بالاسلامية (٨)
ما هو الشرك الخفي (٩) كيف تقاوم البدع (١٠) تحرير قانون لتأسيس جمعية تعليمية
ولما انتهى خطاب الرئيس وانتهت الجلسة قال السيد الفرائي . أرى أن يفيد كل منا هذه
المسائل العشر في جانب من ورقة التراجع لاجل التذكير فقلوا . ثم دعاهم إلى الطعام
فاجابوا وكان حديثهم على المائدة استقصاء أخبار المهتدين في ليفربول من السعيد الانكليزي .
وبعد ان طعموا عرض عليهم الشاي والقهوة والشراب المثلوج فاختر كل ما ألف وأحب
ثم انصرفوا أزواجاً وفرادى مجيئين دعوة خير الدعاة ، اذ كان قد دنا وقت الصلاة .

آثار علمية وأدبية

علم تلامذة العرب وبلغتهم

جاء في أمالي أبي علي القالي مانصه: حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناندي عن التوزي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مقاول حمير ابنان يقال لأحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد برعا في الأدب والعلم فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفي طي الفناء دعاها ليلا وعقولهما ويعرف مبلغ علمهما فلما حضرا قال لعمرو وكان الأكبر: أخبرني عن أحب الرجال إليك، وأكرمهم عليك، قال: السيد الجواد، القليل الأنداد، الماجد الأجداد، الراسي الأوتاد، الرفيع العباد، العظيم الرماد، الكثير الحساد، الباسل الذواد، الصادر الوراد. قال ما تقول يا ربيعة؟ قال ما أحسن ما وصف وغيره أحب إلى منه قال ومن يكون بعد هذا؟ قال: السيد الكريم، المانع للحريم، المفضل الخليم، المقام (١) الزعيم، الذي إن هم فعل، وإن سئل بذل.

قال أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك. قال: البرم اللئيم (٢)، المستخذي الخصيم (٣)، المبطان النهم (٤)، العبي البكم (٥)، الذي إن سئل منع، وإن هدد خضع، وإن طلب جشع (٦). قال ما تقول يا ربيعة؟ قال غيره أبغض إلى منه، قال ومن هو؟ قال: النجوم الكذوب، الفاحش الغضوب، الرغيب عند الطعام (٧)، الجبان عند الصدام. قال: أخبرني يا عمرو، أي النساء أحب إليك؟ قال الهر كولة اللفاء (٨).

(١) المقام من أسماء البحر ويطلق عليه السيد الكريم، ويطلق أيضا على الذي أخذنا من ققم فلان ماعلى المائدة كتقممه واقممه إذا تتبعه وآتى عليه (٢) البرم بالتحريك ثمر العضاء وهو لا ينتفع به فيطلقونه على الرجل لاخير فيه، والبرم أيضا من لا يدخل مع القوم في اليسر وهو جدير بالاستعمال (٣) استخذي — خضع وذل وأقبح بالمستخذي كثير الخصومة (٤) المبطان كبير البطن من كثرة الاكل. والنهم والنهم الشره (٥) العبي العاجز عن الإفصاح بالقول والبكم الابل (٦) الجشع الحرص على الاكل وغيره (٧) في الأساس: رجل رغيب واسع الجوف أكل (٨) الهر كولة الحسنه الجسم والحلق والمشيعة والجارية الضخمة الاوراك. واللفاء مؤنث الالف وهي الضخمة البغذين

المذكورة الجيداء (٩) ، التي يشفي السقيم كلامها ، ويرى الوصب إلامها (١٠) التي إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استعنت بها أعتبت (١١) ، القاترة الطرف . الطفلة الكف (١٢) ، العميمة الردف ، قال ما تقول يارية ؟ قال نعم فأحسن وغيرها أحب إلى منها قال ومن هي ؟ قال : الفتانة العنين ، الأسيلة الخدين ، الكاعب الثديين ، الرذاح الوركي (١٣) ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام ، الجماء العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام .

قال : فأى النساء أبغض إليك يا عمرو ؟ قال الفتاة (١٤) الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطواقة المهبوب (١٥) ، العابسة القطوب ، السبابة الوثوب ، التي إن اتهمها زوجها خاتمه ، وإن لان لها أهاته ، وإن أرضاها أغضبت ، وإن أطاعها عصته .

قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال بشى والله المرأة ذكر وغيرها أبغض إلى منها قال : وأيتهن التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السليطة اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وترته (١٦) ، وإن ناطقها اتهرته ، قال ربيعة وغيرها أبغض إلى منها . قال ومن هي ؟ قال التي شقى صاحبها ، وخزى خاطبها ، واقتضع أقاربها ، قال ومن صاحبها ؟ قال صاحبها مثلها في خصالها كلها ، لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها ، قال فصفه لى : قال الكفور غير الشكور ، اللئيم الفخور ، العبوس الكالح ، الحرون الجامح ، الراضى بالهوان ، المحتمل المنان ، الضميف الجنان ، الجعد البنان (١٧) ، القؤول غير للفعل ، الملول غير الوصول ، الذي لا يرع عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .

قال فأخبرني يا عمرو أى الخيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران للتحاليد ! قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفيت العريق (١٨) ، الشدييد الوثيق ، الذي يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب ، قال نعم الفرس والله نعم فما

(٩) المذكورة - المطوية الخاق . والجيداء الطويلة الجيد الحسنه (١٠) الوصب المرض والإلام الزيارة (١١) أى إن استرضيتها أرضت (١٢) الطفلة الناعمة (١٣) الثقيلتها (١٤) النمامة (١٥) يصفها بكثرة الطواف كالريح ويحسن من المرأة أن تعرفي بيتها (١٦) الوتر الثأر ووتره أصابه بالوتر أو ظلم فيه ووتره عمله أو حقه نقمه إياه (١٧) البغيل النقبض الكف (١٨) الكفيت السريع والعريق ماله عرق في السكر أو اللؤم

عمره : قال : أحب إلى منه ، قال وما هو ؟ قال الحصان الجواد ، الساس
 شيد ، النسيب ، المورث ، المصنوع ، إذا جرى ، الساس إذا جرى ، قال فأني أفض
 إليك يا عمرو . قال : نعم (١٩) ، الصؤول الضعيف ، المول
 الضعيف ، الذي ينز (٢٠) ، قال فما تقول يا ربيعة ؟ قال
 غيره أفض إلى منه (٢١) ، الطين ، الخرو ، السكين ، الذي
 إن ضربته قصص (٢٢) ، وإن دفوت منه سمس ، يدر كذا الطالب
 قال ربيعة : وغيره أفض إلى منه . قال وما هو ؟ قال الجموح الخبوط (٢٣) ، الركوس
 الخروط (٢٤) ، الشموس الضروط (٢٥) في الصعود والهبوط ، الذي
 لا يسلم الصاحب « لعلها بالصاحب » . ولا ينجو من الطالب

قال أخبرني يا عمرو أي العيش ألد ؟ قال عيش في كرامة . ونعم وسلامة ،
 واغتياق مدامة ، قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال نعم العيش والله وصف وغيره أحب إلى
 منه . قال وما هو ؟ قال : عيش في أمن ونعم ، وعز وغنى عميم ، في ظل نجاح ،
 وسلامة مساء وصباح ، وغيره أحب إلى منه قال وما هو ؟ قال غنى دائم ، وعيش
 سالم ، وظل ناعم .

قال فما أحب السيوف إليك يا عمرو؟ قال الصقيل الحسام ، النائر المجذام ، الماضي
 السطام (٢٦) ، المرفف الصمصام . الذي إذا هزته لم يكب . وإذا ضربت به لم ينب .
 قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال نعم السيف نعت وغيره أحب إلى منه . قال وما هو ؟
 قال الحسام : الناضع ، ذو الرنق اللامع ، الظمان الجائع ، الذي إذا هزته
 هتك ، وإذا ضربت به بتك (٢٧) . قال فما أفض السيوف إليك يا عمرو؟ قال الفطار
 الكهام (٢٨) الذي إذا ضرب به لا يقطع ، وإن ذبح به لم ينخع (٢٩) قال ما تقول يا ربيعة ؟
 قال بش السيف والله ذكر وغيره أفض إلى منه . قال وما هو ؟ قال الطبع الددان (٣٠) ،

(١٩) نكل عن الشيء : انكص ولم يقدم أو هم نكس ، وهاب اتيانه . وأنح انحأ
 وأنوحا زجر من ثقل مرض أو بهر نفس . والأنوح أيضا البخل يتنحض إذا سئل
 (٢٠) قمص الفرس ويحوه اسنان أي رفع يديه معاً ووضعهما معاً (٢١) الذي
 يخط الأرض برجله (٢٢) الجموح يجذب الرمن من ممسكه (٢٣) الذي يسى السير
 وييطىء (٢٤) الحد (٢٥) قطع (٢٦) الفطار مافيه تشقق فلا يقطع والكهام الكيال
 لا ينضى (٢٧) نخع الذبيحة جاز بالذبح إلى النخاع وذلك أقصاه (٢٨) الطبع الصدى ،

المضد (٢٥) المهان .

قال فأخبرني يا حمرو أي الرماح أحب إليك عند المراس ، إذا اعتكر البأس ،
واشتجر الدعاس (٢٥) ، قال أحبها إلى المارن المتقف (٢٦) ، المقوم الخطف (٢٧) ، الذي
إذا هز زته لم يتعطف ، وإذا طعنت به لم يتقصف . قال ما تقول ياربيعة؟ قال نعم الرمح
نبت وغيره أحب إلى منه ، قال وما هو؟ قال الدابل العسال ، المقوم العسال (٢٨) ،
الماضي إذا هز زته ، النافذ إذا هز زته (٢٩) ، قال فأخبرني يا حمرو عن أبغض الرماح
إليك . قال الأعصل (٣٠) عند الطعان ، الشلم السنان ، الذي إذا هز زته انعطف وإذا
طعنت به انصل . قال ما تقول ياربيعة؟ قال بش الرمح في كر وغيره أبغض إلى منه . قال
ما هو؟ قال : الضيف المهرز . اليابس الكز (٣١) . الذي إذا أكرهته انحطم ، وإذا
طعنت به انقصم . قال انصرف الآن طاب لي الموت اه فهل نجد في تلامذتنا أوشيوخنا
من لم يعمل هذه المهاني أو يحسن مثل هذا الوصف؟ أي ولالغة لنا ولا علم إلا بلغة حية
مرتبعة فليرجع الهاري إلى ما جاء في نبذة التفسير من الحكم بأننا أجهل الجاهلية الأولى .

الهدايا والتقاريط

(مسلم الارتقاء لمرقة دروس الأشياء) مجموعة كتب علمية في التاريخ الطبيعي
وحفظ الصحة والتدبير المنزلي والأشياء « الطبيعيات » شرع في تأليفها الفاضل
محمد الحمدي أمين من موظفي الإدارة بنظارة الأصفال العمومية وقد صدر الجزء
الأول منها وفيه ٢٦ درساً في مباحث التاريخ الطبيعي العمومية مع شيء من التفصيل
في الإنسان . والفرض الأول من هذا الكتاب تسهيل فهم هذه العلوم على تلامذة
المدرسين لأنهم يعلمونها باللغة الأجنبية في أثناء تعلم اللغة فيعسر عليهم فهمها كما يعسر
عليهم فهم الكتب العربية المؤلفة فيها لأنها لم توضع للمبتدئين : وقد تكرم المؤلف
الفاضل بإهداء با كورة عمله إلينا وزغب إلينا أن ندله على غلطه ليصلحه في طبعة ثانية

والدخان الكرام (٢٩) الذي يهان بعض الشجر أي قطعه (٣٠) الدعاس الطعان واشتجروا
اختلفوا وتشاجروا بالرماح تطاعنوا (٣١) اللين المقوم (٣٢) لا أعرف وصفاً للرمح
من حرف خطف ومن معانيه المناسبة استلبه بسرعة (٣٣) السريع والعسال اللين
المتحرك (٣٤) دفقته طاعناً (٣٥) الأعوج المتوى (٣٦) اليابس .

ولكن بعض الاصدقاء أخذ الكتاب منا ليطلع عليه ويعيده بعد يوم أو يومين فمر من ما اوجب تأخير إرجاعه زمناً طويلاً ولذلك لم تتمكن من مطالعته ولسكننا تصفحنا قليلاً منه فالعيناه في غاية السهولة فتمنى ان يقبل عليه مع التلامذة نهاء المجاورين في الازهر الذين سألونا عن كتاب في هذا الفن يسهل عليهم فهمه من غير أستاذ . وأسلوب كتابة الكتاب أسلوب الجرائد السيارة وفيها من الانتقاد مانوه ان نقاكر المؤلف فيه مشافهة . وفي آخر الكتاب عدة رسوم وثمنه خمسة قروش فقط

(الاحاطة في أخبار غرناطة) تاريخ عظيم لأديب الاندلس الشهير الوزير محمد اسان الدين بن الخطيب عثرت عليه شركة طبع الكتب العربية فاخترت طبعه وقد صدر الجزء الأول منه مطبوعاً طبعاً متقناً . وهو مبتدأ بكلام عام في تلك العاصمة كوضعها وفتحها وزول العرب الشاميين بها وما آل إليه حال سكانها الأولين معهم وحال ما يتصل بها وينسب إلى كورتها ووصف سورها ونحو ذلك وسائر الكتاب في تراجم من نشأ فيها من رجال السيف والقلم من الرجال والنساء . ولا شك ان كل قارئ بالمرية يتشوق إلى معرفة تاريخ الاندلس التي كانت أكبر نخر للعرب في العلم والمدنية وكل محب للأدب يتلذذ بقراءة كتاب اسان الدين بن الخطيب البليغة وكفى بهذين تشويقاً وترغيباً ولسكننا أسفنا لما رأيناه في الكتاب من الغلط والتحريف كأكثر المطبوعات الجديدة وانما نهنا على هذا لأن هذه الشركة أقدر على ضبط كتبها من الأفراد الذين يتجرون بطبع الكتب ولعل عذرهما في هذا الجزء انه لم يوجد منه الا نسخة واحدة وثمنه ١٥ قرشاً وصفحاته ٣٧٥

(الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم) تصنيف العلامة عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي الشهير واسم الكتاب يدل على سمو موضوعه وهو على اختصاره قد جمع من الفوائد في بابيه ما لم يجمعه الأسفار الكبيرة ولا شك انه من أنفع الكتب التي ألفها ملقنا . وقد طبعه واعتنى بضبطه وتصحيحه وشرح آياته وتفسير غريبه أخونا الفاضل الشيخ أحمد عمر الحمصاني الأزهرى بمراجعة امام الافة في هذا العصر الأستاذ الشيخ محمد محمود الشنقيطي الشهير فنحث جميع الذين يعملون على رأينا في اختيار الكتب النافعة على قراءته ثمنه ثلاثة قروش ولو لم أظفر به الا بثلاثة دنائير لبذلنا مراحاً وسنعود إلى الاقتباس منه بعد

« مرشد مأموري الضبطية القضائية . ضبط الوقائع الجنائية »

لقد أحسن صنعا الفاضل محمد بك صبرى عضو النيابة بمحكمة الزقازيق بتأليف

رمالة سهلة المباشرة في كيفية ضبط الوقائع الجنائية ليستعين بها العمد ومأمورو الضبطية فيما يهتد اليهم من هذا العمل العظيم الذي يتعلق بحفظ الدماء والاعراض وأكثر العمد وللمأمورين جهلاء بالطرق التي تتبع في ذلك ويصعب عليهم الاستمداد من كتب القوانين فسهل لهم هذا المؤلف ذلك فقصي ان يقبلوا عليه ويحيطوا بما فيه . وهو مطبوع طبعاً حسناً بمطبعة الشعب ويطلب من مكتبة الشعب ومن حضرة مؤلفه (الصور) جريدة أسبوعية سياسية أدبية مصورة بالالوان أنشأها حديثاً أحد الكتاب المشهورين بآثارهم القليلة في المؤلفات الصورية والجرائد اليومية الفاضل خليل أفندي زينة وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً أميرياً في السنة وهي جريدة بالرواج « الرأي العام » جريدة مشهورة في مصر يمتاز صاحبها البارغ اسكندر أفندي شلحوب بأسلوب في كتابة الجرائد يجذب القارئ إلى المطالعة فإذا أخذ جريدته قرأها كلها بلذة وإن كان ممن لا يقرأون من الجرائد إلا ما يحبون موضوعه . وقد كانت احتجبت ثم أسفرت فقصي أن تظل مسفرة دائماً

باب الرضا والرضا

« حرية الجرائد والشعور العام بالفضيلة في مصر »

أكبر النعم التي منحتها مصر في عهد الاحتلال الأمن العام وحرية المطبوعات . ومن العجائب ان المتتبعين بهذه الحرية يشكون في هذه الأيام منها ويطلب بعضهم أن تقيد الحكومة هذه الحرية المطلقة كمن يطلب احتكار الهواء الذي يحيا به الناس ليمطوا منه قدر ما يراه المحتكر لازماً لحياتهم . هذا ما يظهر باديء الرأي من الذين يردون على طالبي التقييد على انه لم يطلبه أحد ونحن نذكر الحقيقة مع بيان السبب . كثرت الجرائد الأسبوعية في مصر وأكثر أهلها ليسوا من أهل الصحافة فلا استمداد عندهم لجأها حاجة من حاجات البلاد ولذلك أشبعوا لهم طريقاً جديداً وهو التنديد أو التعريض بمساوي الأشخاص وقد وجدوا في هذا الطريق لما جا وعوارض يرضون بها قومهم فمن الناس من يفتدي عرضه منهم بقليل من المال أو الفروض ومنهم من يخرمهم بدم عدو له بأجر معلوم وقد أطمعهم معاملة هؤلاء السفهاء بالمطاء والفضلاء فلم يعلم منهم صنف من الاصناف وقد أكثروا في هاتين البنتين من الخوض « بالمعية السنية . . . » والارجاف بأعمالها

هذا كله - والرأي العام ساكت عنهم فما الذي أقام عليهم القيامة في هذه الأيام، وفاض التبرم والشكوى على جميع اللسان والأقلام؟ الجواب عن هذا السؤال يعرفه كل من يقرأ الجرائد المصرية وإنما نذكره صريحاً لأنه من البشرات بدخولنا في الحياة الاجتماعية بعد أن كانت حياتنا فردية آحادية وليكون مسجلاً في تاريخ مصر الأدبي وهو: أن جريدة (حمارة مندي) الهزلية التي تكتب غالباً باللغة العامية المصرية قد طعنت من عهد قريب بفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فهاج الرأي العام في مصر للطعن بهذا الإمام العظيم وذهب الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بنفسه إلى محكمة مصر الكبرى وطلب من رئيس النيابة فيها محاكمة صاحب جريدة الحمارة بعد أن طلب مقابلة النائب العمومي فقبل له أنه مسافر وتقدمت المحاضر العمومية من العلماء وطلاب الأزهر ومن الأهالي في القاهرة ومن بعض البلاد في خارجها يطلبون محاكمته وانطلقت أقلام الكتاب والشعراء في ذم صاحب الحمارة وأجهت الجرائد على ذمه وانبرى بعض الكتاب لإحصاء عيوب جريدته منذ أنشئت وذكروا منها اهانة القرآن وفساد الآداب وفساد اللغة والطعن بالسلطان والامير وغير ذلك. وقد قال بعض الأدباء إن بعض هذه الذنوب أكبر عقوبة من الطعن بمفتي الديار المصرية فلماذا سكوت الناس عنها إلى الآن؟ وقد ذكر صاحب الحمارة نفسه هذا المعنى في مقدمة العدد الأول من السنة الخامسة ونصه: « قل لي بحقك ما الذي جناه صاحب الحمارة اليوم حتى قامت عليه هذه القيامة وما هي بالله تلك الخطيئة التي ارتكبتها واستحق عليها اللام، وانجهت إليه أسنة الأقلام. وانصبت عليه كل هذه السهام؟ فلم يبق في أرض مصر جريدة ولا مجلة ولا قصيدة إلا وقد حملت عليه، بعد أن كانت في العادة تحمل منه لا عليه، ولا يبقى شاعر، ولا كاتب واعر، إلا وحرك في ذكره شفتيه، كأنهم يريدون ابتلاءه بكل مالهيه » الخ هذا هو السبب في تألم الرأي العام من اطلاق المطبوعات، وما من شيء في هذا الوجود إلا وله سيئات وحسنات، وهو دليل على أن الأمة المصرية قد دب فيها الشعور بشؤون الحياة الاجتماعية وصار الرأي العام يعرف لذي الفضل فضله ولذا طلب بعض أعضاء الجمعية العمومية الرغبة إلى الحكومة بالاتفاق مع وكلاء الدول لوضع قانون عام عادل لفوضوية المطبوعات ليأمن كل إنسان على عرضه واستحسن رأيه هذا بعض أصحاب الصحف الكبيرة وعده الآخرون وسيلة لتقييد حرية الصحافة والمطبوعات فانكروه ولا يزالون يتناقشون فيه وهم متفقون على أن حرية الطباعة والصحافة حسناتها أكثر من سيئاتها بأضعاف مضاعفة. وإذا رجعنا إلى مثلنا الأول نقول إن هذه الحرية كالهواء

الذي هو شرط للحياة فإذا مر في بعض الأيام على جيفة فحمل إلينا ربحها أو هب شديداً فأثار الغبار في وجوهنا فلا شك أننا نبادر إلى ذمه والشكوى منه ولكننا لا نطلب انقطاعه وإنما نطلب منع الجيف من طريقه وإزالة الغبار برش الأرض بالماء فلا خلاف إذن بين الناس في وجوب بقاء هذه الحرية

أما إزالة هذه الجيف فأمثل طرقها تصدى النيابة العمومية لها كمة أصحابها فيجب عليها أن تحاكم كل من ينتهك حرمت الآداب وينال من أعراض الناس وإن لم يطلب ذلك ممن يطعن فيه فإن لم تقم النيابة بهذه الخدمة الأمة فيجب على الناس أن يحاكموا من يطعن فيهم إلا عثرة الكريم فانها تقال شرعاً وأدباً . والامتناع عن محاكمتهم توهم أن ذلك يهلى شأنهم أو يخفض شأن من يحاكمهم خطأ كبير فإن الحدود والعقوبات لم تسن في الشرائع الإلهية ولم توضع في القوانين البشرية إلا لهؤلاء المعتدين «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون »

وأما صاحب الحمار فقد حاكمته النيابة العمومية فحكم عليه بالسجن مدة ثلاثة أشهر وبالنفقات ولم يدخل المفتي في الدعوى مطلقاً ولا طلب حقا مدنيا . وكان في الجرائد التي حملت على صاحب الحمار جريدة طلبت من المفتي العمود عنه ولو كان هو الذي طلب ذلك تائبا لأجيب طلبه قطعاً فإن الأستاذ سليم القلب واسع الحلم لا يحب أن ينتقم لنفسه على أن ما كتبه الحمار كان أكبر خدمة له لأنه أظهر له مكانة عالية في نفوس خواص الأمة وعوامها لا يدانيه فيها أحد مع العلم القطعي لكل أحد بأنه بريء من سبب نهب الحمار براءة عائشة من إفك المناققين وصاحب الحمار نفسه يعتقد ذلك أيضاً لأن هذا لا يمكن مبنياً إلا على الاستنباط من صورة اختراعها بعض المفسدين أما العبرة التي تقصد منها من إيراد هذه المسألة فهي إزالة شبهة علفت في أفهام أكثر الناس فكانت أضرب اعتقاد تقليدوه وهي أن من يشتغل بالعلوم الحقيقية ويتخلق بالأخلاق الفاضلة والسجايا السكاملة كالصدق والمروءة وعلو الهمة وبذل المعروف والسعي في خير الناس ومنفعتهم لا ينجح في عمله ولا يعرف له أحد فضله ويسندون بأمثال يضر بونها قد اشتبه عليهم حقها بباطلها وهذا المثل الحق الذي يدحضها وهو أن الشيخ محمدا عبده مالك هذه الطريقة خل من نفوس الأمة محلا علواً ونال فيها اسماً سمياً مازاحمه فيه عالم ولا أمير ، ولا شاركه فيه غنى ولا وزير ، والعاقبة كما قال الله تعالى للمتقين



فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتذكرون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

الحج

١٣١٥

ويعني الحجامة من بشاء ومن يؤتي
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى نو « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة ١٦ محرم الحرام سنة ١٣٢٠ — ٢٥ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب العقائد من الأموال الدينية ﴾

(الدرس ٣٣ — عصمة الأنبياء عليهم السلام)

(المسئلة ٨٦) الدليل العقلي على عصمة الأنبياء يؤخذ الدليل على عصمة الأنبياء من وجه الحاجة إليهم في الكمال الإنساني ومن وظائفهم المنطبقة على وجه الحاجة إليهم وقد تقدم الكلام في ذلك ومنه أن الوظائف خمس وهي نوعان - نوع في بيان الاعتقادات التي ترقى العقل وتعتقه من رقى العبودية لمظاهر الطبيعة التي خلق مستعداً لتسخيرها والتصرف فيها فجنت عليه الوثنية فسخرته لعبادة كل مظهر منها لا يعرف علمه ولا يحيط بحكمته ونوع في تهذيب النفس وتزكيتها بالأخلاق الفاضلة والأعمال النافعة . ولا يرقى النوع الإنساني إلا بمجموع ما يندرج في هذين النوعين من التكليف وبارتقائه يكون خليفة الله تعالى في الأرض وتلك غاية سمادته في هذه الحياة الدنيا التي تستتبع سمادته في الحياة الآخرة الباقية التي جمعت هذه الحياة مزوجة لها كما ورد

وبدهى أن العمدة في بيان النوع الأول صدق الخبر بحيث لا يحوم دواه الشك والريب والعمدة في الثاني صدق الخبر كذلك مع حسن الأسوة وصحة القدوة بالخبر لأنه تربية وإنما التربية بالقدوة والتعليم القولي مساعد للتأسي وأثره دون أثره . ولا تحصل الثقة القطعية بصدق الخبر إلا إذا كان الخبر ممدوماً من الكذب والخطأ في التبليغ ولا تتم القدوة وتحسن الأسوة إلا إذا كان الإمام المقتدى به بريئاً من النقائص منهيّاً عما ينهى عنه مؤمراً بما يأمر به متخلقاً بما يرغب في التخلق به . إذا لا تتم

حكمة الله تعالى في إرسال الرسل إلا إذا كانوا بحيث ذكرنا من المصدق
والنزاهة. والحكمة واجبة لله تعالى فوجب أن يكون الأنبياء المبلغون عنه
سبعانه صادقين معصومين « لا يصدون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »
ولا يلزم من هذا إيجاب شيء على الله تعالى فيكون حجة للمعتزلة وإنما
هو إيجاب الحكمة له كإيجاب العلم والقدرة

(م ٨٧) الدلائل الثلثي على عصمتهم ان الله تعالى ما أرسل المرسلين إلا
ليتبعوا ويقتدى بهم وقد أمر باتباعهم كقوله في خاتمهم عليه السلام « فامنوا
بالله ورسوله الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » فلو كانوا
يخالفون ما يجيئون به من الهدى لكان الله تعالى آمراً بالشيء ناهياً عنه في
آن واحد وهو محال على الله تعالى . ولو فعلوا الفاحشة لكان الله آمراً
بها من حيث أمر باتباعهم أمر تشريع وأمر بالتأسي بالمظاهير أمر تكوين
بأن أودع ذلك في فطرة الإنسان وقد قال تعالى « ان الله لا يأمر بالفحشاء »
على ان الطاعة هي ما أمر الله تعالى به فلو فرض ان المرسلين يرتكبون المعاصي
لكان معنى ذلك ان الطاعات هي من المعاصي كما قال السنوسي في الكبرى
وذلك تناقض لا يقول به عاقل . وهذا الاستدلال لا يصح على أصول
أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويجب أن يكون أصلاً يرجع إليه
جميع ما ورد في الوحي مما يظهر انه يخالفه والا كان الوحي غير منطبق
على الأدلة التي ثبت هو بها فيكون ناقضاً لنفسه

(م ٨٨) النسبة على العصمة يقولون ورد في القرآن اثبات الذنوب
للأنبياء والمرسلين إجمالاً وتفصيلاً . أما الإجمال فكقوله تعالى « لينفِرَ
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » وقوله « واستغفر لذنبك » وقوله

عن رجل « فسيح محمد ربك واستغفره » وأما التفصيل فكقوله « وعصى
آدم ربه قنوى » وكقصة داود وسليمان عليهما السلام وكقصة اخوة
يوسف ونحن نجيب عن ذلك بالتفصيل :

(م ٨٩) مغفرة الذنوب علمنا مما تقدم ان معنى عصمة الأنبياء في النوع
الثاني (المعالي) هو نزاهتهم وبمدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي
بمشورة الزكية الناس منها لئلا يكونوا قدوة سيئة مفسدين للأخلاق والآداب
وحجة للسفهاء على انتهاك حرمان الشرائع وليس معناها أنهم آلهة منزهون
عن جميع ما يقتضيه الضعف البشري من التقصير في القيام بحقوق الله
تعالى على الوجه الأكمل ومن الخطأ في الاجتهاد ببعض المصالح والمنافع
تورده المضار . كلا ان الانسان خلق ضعيفاً وما أوتي من العلم الا قليلاً
ولا يمكن أن يحيط بوجوده المصالح والمنافع ودرء المضار والمفاسد الا بمن
هو بكل شيء عليم ومن ليس له هذه الإحاطة قد يخطئ في اجتهاده
فيعمل العمل وهو يعتقد انه الصواب والخير فيجئ بخلاف ذلك ومثل هذا يسمى
فساداً من الكمال والمقرب لان الانسان مستمد لأدراك الصواب في تلك
الأمور التي أخطأ فيها فإذا وقع عتاس الأنبياء يعاقبهم الله تعالى عليه ويستغفره
ثم ويأمرهم بتبليغ ذلك لأمتهم ليعرفوا الفرق بين الرب والمبدع فلا يقصي بهم
الغلو بتنظيم أنبيائهم والاعجاب بفضائلهم ونزاهتهم الى عبادتهم مع الله تعالى
ومن أمثلة ذلك اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في استمالة رؤساء قومه
وأغنيائهم الى الإيمان الذي أدام الى الإعراض عن ابن أم مكتوم لما
جاءه يسأله أن يعلمه مما علمه الله وكان يدعو سنابذ قريش فانه كره أن
يشتمل به عنهم لئلا ينفرهم ولا يخفى ان أولئك النفر من كبارهم هم الذين كانوا

يحاذرون النبي ويناصبونه ولو آمنوا أولاً لتبهمهم سائر قریش فهذا هو وجه
اجتهاده صلى الله عليه وسلم في المنايا بهم والا عراض عن الأعمى اذ جاء
يشغله عنهم ، فعاتبه الله تعالى على ذلك وردعه عنه بالقول الشديد كقوله
« وما يدريك لعله يزكى » فلتتل الآيات في أول سورة (عبس) وذلك
ان سنة الله تعالى مضت في أن الأديان تقوم بالدعوة والاقتناع والرؤساء
والمترفون أبعد الناس عن معرفة الحق وعن الخضوع له اذا عرفوه وقد
جاء في هذا المبنى آيات

ومن الامثلة أيضاً عتابه في مسألة زيد وزينب (فلتراجع في ص ٦٣٠
و ٧١٤ من المجلد الثالث) . ومنها إذنه صلى الله تعالى عليه وسلم للذين
استأذنوه في التغلف يوم الخروج الى تبوك وقد عاتبه الله تعالى على ذلك
الطاف عتاب بقوله « عفا الله عنك ايم اذنت لهم » الآية . فكان الأولى
ان لا يأذن ليعلم الكاذب المنافق ، من المؤمن الصادق ، ومنها مسألة
أخذ الفداء من أسرى بدر وجهده صلى الله عليه وسلم وشاور فاختلف
أصحابه فوافق رأيه رأي نبي بكر بأخذ الفداء فعاتبه الله تعالى عتاباً شديداً
حتى بكى وبكى أبو بكر وذلك قوله تعالى : « ما كان لنبي أن يسخط الله
أمرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله
عزيز حكيم » . أولاً كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب
عظيم » قال البيضاوي في تفسيره : والآية دليل على أن الأنبياء يجتهدون
وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرؤون عليه .

فهذه هي ذنوب الأنبياء وهم يستغفرون منها وهي منقورة لهم
بفضل الله تعالى لانهم لم يريدوا الا الخير والنفع وليس فيها قدوة سيئة

وإنما فيها فائدة معرفة الناس أن النبي وإن جلت قدره وعلت نفسه فهو بشر . ثلثهم ميزه الله تعالى بالوحي وجمعه إماماً في الخير وأنه على هذه الخصوصية يمازى وينسب إليه الذنب والتقصير ويمنحه الله المغفرة دلالة على أن له أن يقدر له وله أن يمازى به « قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » وعلى أن توقع نزول المقوبة بأصحاب المعاصي التي تنتهك فيها الشرائع ومخالف الدين عمداً وهو ما لا يقع من الأنبياء أقرب وإنهم أولى بالخوف من وأجدر بالتوبة . وأن الكمال المطلق لله تعالى وحده فلا رب غيره ولا معبود سواه

﴿ باب الاستدلال بالاجوبه ﴾

(س ١) من الشيخ مقبل عبد الرحمن الذكر في البحرين : ما قول منار الاسلام وهداة الانام ساداتنا العلماء الاعلام في الاوراق المسماة بالانواط التي وضمها بعض الدول للتمامل عوضاً عن بعض المسكوكات الفضية كالروبيات مثلاً والتمرت تلك الدولة بتصويرها بالأثمان المتشعبة من تجري مجرى المروض كما هو واقع من كثير من التجار يتماطون بها بيعاً وشراءً رواجاً ومخساً أو تجري مجرى البين ؟ فان قلتم بالثاني فهل تقولون به من كل وجه وفي كل باب أو من بعض الوجوه وفي بعض الأبواب ؟ فان قلتم بالأول فيمتضي أن لا يجوز صرف تلك الاوراق بآية مسكة من السكك الفضية الا وزناً بوزن يدبلاً وهو في الظاهر بعيد كما ان ذلك يقتضي أن لا يجوز الريادة على الثمن الذي قدرت به بشيء مالى غير ذلك

مما يتعلق بهذه المسئلة ويتفرع عنها في باب الزكاة وباب الصرف وباب الدين والحوالة والبيع نقداً ونسيئة وما تقولون في الحديث الوارد اذ يختلف الجنس فيبيعوا كيف شئتم وبالضرورة ان الورق المذكور بل وجنس الورق كيف كان ليس هو من جنس أحد النقود الذهبية والفضية والنحاسية لالفة وهي مستبعدة هنا في الشرع ولا عقلاً وشرعاً ولا عرفاً عاماً والمأول ان يكون التقرير في غاية الوضوح والبيان والمثانة على منهج القواعد الشرعية والادلة المرعية والطرق الاصولية بالسيرة المرضية لان المسئلة بمصوم البلوى والضرورة العامة صار لها في البحث أهمية ولكم الأجر والثواب من الملك الوهاب

(ج) الورق ليس مالا ربوياً في عرف فقهاءنا ولذلك أفتى بعض علماء الشافعية بأن هذه الأوراق المالية المسماة بالأنواط (مفرد نوط) لا يجري فيها الربا ويفتي غيرهم من علماء المذاهب بذلك لان الربا مخصوص بالنقدين والأقوات عند الشافعية ومن وافقهم . والملة عند الحنفية الكيل مع الجنس أو الوزن . فكل مكيل أو وزون اذا بيع بجنسه متفاضلاً فهو ربا محرم ولكن هذا لا يأتي في هذه الأنواط وإن ورقتين منها يتساويان في الوزن وقيمة احدهما مائة روية والأخرى الف روية مثلاً . فلا بد من النظر في مقاصد الشريعة وحكمها وجعلها مداراً مرفقة الاحكام وإننا نأخذ بكلام الفقهاء ما لم يخل بهذه المقاصد فإذا اخل بشي منها كمنع الزكاة أو إباحة الربا الضار الذي حرّمه الله تعالى رحمة بالناس فإننا لا نقبله إذ لا يصح أن يكون الاجتهاد بطلاً للنص بل لا يصح مع النص والمبرة بالمقاصد بالماني لا بالالفاظ والمباني . ولا يخفى على أحد ان هذه الأوراق

المالية لا قيمة لها من حيث هي ورق وإنما هي سند بمبلغ من النقود
فقيمتها بحسب الرقم الذي يمين المبلغ . ولا يضر المتدين الأخذ بقول أي
فقيه ما لم يمنع الزكاة أو يستتبع الربا .

فأما الزكاة فلا تضع إذا اعتبرنا هذه الأنواع من عروض التجارة
لأنها تقوم في كل حول بقيمتها وتؤدي زكاتها . وأما الربا فالذي أجمع
المسلمون على تحريمه منه هو ربا النسيئة والجاهير من الأئمة الأربعة
وغيرهم على تحريم ربا الفضل أي الزيادة في أحد الموضين مع التقابض
فيما هو ربوي كالنقود والتمر والحنطة ونحوها وفيه خلاف
بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين كابن عمر وابن عباس
وأسماء بن زيد وابن الزبير وزيد بن أرقم وكسعيد بن المسيب وعروة بن
الزبير من التابعين واستدلوا بما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث
أسماء « إنما الربا في النسيئة » في رواية مسلم عن ابن عباس « لا ربا فيما
كان يداً بيد » ومثل ذلك الأحاديث الصحيحة في جواز الصرف
يداً بيد . والعلة أو الحكمة في منع الربا لا محل لتفصيلها في هذا الجواب
وإنما نقول بالاجمال إن من أكل شيئاً من مال أخيه بغير مقابل من عين
أو عمل فقد أكله بالباطل وإن أخذ زيادة عما يطي الإنسان لاخيه بمجرد
التأخير في الوفاء من دواعي فسوة القلوب ومحو عاطفة التراحم وقطع طريق
الصنعة وعمل المعروف فلا يليق بالدين أن يبيعه ومن بليغ الكلام ما قاله
الاستاذ الامام ، وهو ان الربا عبارة عن استغلالك حاجة أخيك . وإن
مشروعية التعامل بالنقود خاصة تنفي إلى الجناية على التجارة — وسن فصل
القول في الربا ومضاره في فرصة أخرى

أما حقيقة الربا فليس بمد بيان الله تعالى فيها بيان قال تعالى « ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا » فعملنا ان الربا قسم البيع ومقابلته فالجامع بينهما المماوضة والتفارق هو ان أحد الموضين في البيع وهو الثمن يقابل جميع الموض الآخر وهو الثمن بخلاف الربا فان أحد المتماوضين فيه يأخذ جزءاً من مال الآخر بدون عوض ولا مقابل وهذه التفرقة معتبرة في التسمية الى الآن فالربا لا يستوي بيعاً ولكن من البيع ما تدخله شبهة الربا بحسب ما توسع فيه الفقهاء من أحكامه وجزئياته ولكن من فهم حكمة الشارع المبينة على درء المفسدة وجاب المنفعة لمجموع الأمة بقدر أن يميز بتفقه في الدين بين المماوضة المقصود بها البيع ونفع أخيه بمثل ما ينفع به منه بالمرور وبين انتظار الفرص لضرورته واستغلال حاجته وأكل ماله بالباطل

وأني أنصح للأخ السائل وغيره من تجار المسلمين الذين يهمهم أمر الدين أن يلاحظوا هذا الفقه الحقيقي ويحملوه الاصل في معاملتهم لأنه هو روح الدين وسرّه الذي يتعلق بإصلاح القلب وتركيبه النفس فاذا افتأهم علماء الر - وم ينتوي تؤدي الى منع الزكاة بحياة من الليل ، أو أكل أموال الناس بلا بدل ، أو تجمل البيع رباً فليحتاطوا لأنفسهم فان الله تعالى ما تميدنا بظواهر الألفاظ ومدلولات كلم الناس وما يضمنون من الأقيسة والقواعد التي لا تصلح بها القلوب . وقد قال عليه السلام لو ابصرت نفسك انبر ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس والإيتم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك ، رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرهما . ومن فقه ما ذكرنا لا يحار سواء عليه أعد تلك الأنواط

عروضاً أم عدّها نقوداً والذي يتيل إليه القاب هو اعتبارها نقوداً
واما الحديث الذي ذكره فهو جزء من حديث صحيح أخرجه أحمد
وابن أبي شيبة في مسنديهما ومسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في
سنيهما عن عبادة بن الصامت ولفظه : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة
والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً مثل سواء بسواء
يداً بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم ان كان يداً بيد »
وههنا موم انه اذا اختلف الصنف بطل الربا ولا معنى لبيع شيء بمثله من صنفه
الا اذا كان منه جيد وردي وفي هذه الحالة أجاز النبي صلى الله عليه وسلم
المعاوضة بالتفاضل بشرط أن يكون بيعاً يقدر بالثمن كما في حديث البخاري
وغيره وليس هذا من الحياة التي تضعيها حكمة التشريع وانما هي مبدأ
لذريعة الربا وبيان لقاعدة نافذة وهي ان الربا ينتهي بقصد البيع فكل ما يتحقق
فيه معنى البيع فليس من الربا في شيء . هذا ما يتبع له المجال الآن وسنعود
الى الموضوع ونطلب من العلماء الكرام بيان رأيهم لنشره والله الموفق للصواب
(س ٢) السيد احمد منصور الباز بنني صالح : يمتري بعض الناس حال
تسببها العامة (جذبا) فيغيب عن وجوده حتى يصير كالمجنون لا يدري
ما يقول ويفعل ويظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة تعتقد المامة بل والعلماء
وكتب الصوفية طائفة بأخبارهم وأخبار القطب والأنجاء واللاتادوالبدال
ويسمون مجموع هؤلاء الدائرة القطبية ورئيسها القطب الملقب بالنوث
ويقال انه يتلقى الأوامر الالهية وتفيض منه الى الدائرة القطبية بترتيب
معروف عندهم فما رأيكم فيهم ؟ نرجو الافادة بالمنار ليظهر الحق للناس كافة .
(ج) أما الحال التي يسودها جذبا فهي فن من فنون الجنون وانما

يسمى صاحبها مجذوباً أو بهلولاً إذا كان سبب الخلل هو الإفراط في الرياضة
 والمجاهدة النفسية والانتقطاع للذكر والعبادة إكراماً لمن كان كذلك أن
 يساوى بسائر المجانين والاعتقاد بهؤلاء البهاليل قديم العهد عندنا وسببه
 أن منهم من كان يظهر على لسانه بعض الحكم لأن من يذهب عقله لا يعلم
 كل ما كان أدركه وعلمه وإنما يعدم النظام بين الأفكار والمعلومات ومنهم
 من ظهر على يديه بعض الفرائب أو أسنده اليهم بعض المفرورين الذين
 يضيفون الأشياء الغريبة إلى ما يقارنها من الحوادث وإن لم يكن علة لها
 كأن يؤدي إنسان آخر فيصاب عقيب ذلك بمصيبة تقع بوقوع سببها
 وأما القطب وسائر الموظفين الروحانيين في دائرة تصرفه الذين يسمونهم
 رجال الغيب كالأمهين والأوتاد والأبدال فلم يرد فيه شيء صحيح في السنة
 إلا ما روي في الأبدال وهي روايات ضعيفة مضطربة في بعضها بعدون ثلاثين
 وبعضها أربعين الخ. ومن عجيب تمحلمهم في الاستدلال على القطب ما نقله ابن
 حجر عن بعض المحدثين من حمله خبر أبي نعيم في الحلية على القطب وهو: «أن لله
 في كل بدعة كيدتها الإسلام وأهله ولياً صالحاً يذب عنه» الخ وأعجب من
 هذا أن المسلمين في الغالب لا يحفلون بمن يدافع عن البدع بل يلقون ولا
 يسمونه ولياً ولا قطباً بل ربما عادوه ولكن يسهل عليهم أن يقولوا إن الذي
 يدافع عن البدع رجل خفي من رجال الغيب يدافع في الغيب عن الإسلام
 فلا يعرف ولا تعرف مدافعتة. والحاصل أن الشرع لا يطالب أحداً بتصديق
 ما لم يقم عليه دليل ولا يكافئه بالإيمان بهؤلاء الرجال المجهولين بل يحرم عليه
 أن يقول ما لا يعلم. وهذا لا يمنع أن تصطحب طائفة الموفية على القاب
 تطلقها على أهل الخصوصيات وليس لهم أن يفضوا بذلك إلى من لا يعرف

تلك الخصوصية إلا يكافوه بالقول بغير علم ولا بحث ذبول سنقصاها تفصيلا
(س ٣) محمد افندي ، أمون كرشه بسنديون (غربية) : هل حكم
الحاكم يرفع الخلاف أم لا ومن هو هذا الحاكم فان كان رافعا فهل يبقى
كذلك بعد موته ؟ فانه اذا لم يبق يلزم أن لا يعمل بحكم قاضي مصر
السابق الا اذا أجازوه من يخلفه

(ج) حكم الحاكم الشرعي الذي رأيتم شروطه في الجزء الماضي
يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية فيجب تنفيذه ولو عزل أو مات .
ونعني بالمسائل الاجتهادية ما لا يخالف الكتاب والسنة والإجماع . قال
في الجامع الصغير « وما اختلف فيه الفقهاء ففرض به القاضي ثم جاء قاض
آخر يرى غير ذلك أمضاه » وعلمه الكمال في القمع بأن اجتهاد الثاني كاجتهاد
الأول ويرجع هذا باتصال القضاء به فلا ينقض بما دونه .

(س ٤) ومنه : هل يصح ما يقول الوعاظ وعصاة الزار من ان
الجنّ مسيطرون على الانسان وهل الزار على هذا منكر يجب النهي عنه
شرعا أم لا ؟ وان أجبتم بالسلب فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اتخذوا
الجسم القاصص فانها تلهي الجن عن صبيانكم » ومعنى ما ورد في الآثار ان الجن
يمجري في جسم الانسان مجرى الدم في الشرايين

(ج) لفظ الجن يطلق على المخلوقات الخفية ويقال ان منها ما هو
مادي وما هو روحاني وأجدر بهذه الاحياء التي يسمونها الميكروبات ان
تكون من المادي وهي سبب الامراض والأوبئة كالطاعون والهيضة وغيرها
يحمل ما ورد من ان الطاعون من وخز الجن فهي مسطرة على الانسان
وهو مسطر عليها بالعلم الصحيح وإن كان لما يقدر على كثير منها بعد تمكنها

في الجسم . وأما الروحانية فلا سلطة لها على الاجساد وانما هي منشأ
الوساوس والخواطر القبيحة الضارة فمن العلماء من يقول انها القوى المعنوية
الباعثة على الشر والا كثرون على انها عالم مستقل من جنس عالم الروح
يلابس افراد النفوس المستعدة للشر بسوء التربية فيقوي فيها الرغبة فيه .
وعليه يحمل حديث الصحيحين وغيرهما « ان الشيطان ليجري من ابن آدم
مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع »

وهو كناية عن تمكنه من الوسوسة . وأما الزارفر ومنكر تبيح يجب
ابطاله بانفعل فان لم يستطع فبالقول وأما حديث اتخاذ الحمام المقاصيص فغير صحيح
ويطابق لفظ الشياطين والجن على الاشرار من الناس وعلى الحيات
والثعابين وعلى الاول يحمل الحديث لو ثبت وكذا غيره مما ورد في النهي عن
خروج الصبيان في الليل لانه وقت انتشار الشياطين . وانما ترى شياطين
الازبكية وجنها ينتشرون اذا جنّ الليل ونحث من يهيم تربية أولادهم على
منعهم من الخروج لئلا يفسدهم هؤلاء الشياطين .

(ب هـ) ومنه : هل التسبيح في قوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح »
بحمده . بلسان المقال أم بلسان الحال أم المقصود انه سبب في تسبيح الراي
(ج) التبادر الذي اختاره المفسرون ان التسبيح من غير المقلاء
هو بلسان الحال أي ان إمكان الاشياء وحدوثها يدلان على تنزيه واجب
الوجود . وذهب بعض الى انه بلسان المقال لقوله « ولكن لا تفقهون
تسبيحهم » وأجابوا عنه بأن الخطاب للشركين لا للناس أجمعين . أي
لا تفقهون هذه الدلالة لاهمالكم النظر الصحيح والاستدلال العقلي

القسم العشر من

القرآن والكتب المنزلة

المقالة الثالثة للقس اسحاق طيلر نشرت في جريدة سنت جيمس في ١٣ مايو سنة ١٨٨٨

ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببشته وهو عندهم محدود في
اولى المزم من رسل الله الى خلقه فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم
نُحَد ونسأل الله أن يهديهم وإيانا الى الحق وطريق مستقيم ولا منافاة
عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وأنه كلام الله وتزيل من عنده وبين الاعتقاد
بناشر الكتب السماوية وأنها بوحى من الله والهام بل يعرف من صريح
كلام المسلمين ان اعتقادهم بالكتب السماوية انما ساقه الى قلوبهم الاعتقاد
بالقرآن فهم في اعتقادهم بها يمثلون أمراً من أوامره ويمجسون داعياً من
دواعيه وليس في المسلمين من يدعي ان القرآن يكذب شيئاً من الكتب
الالهية ولا في امكان مسلم أن يدعي ذلك لما يشهد به القرآن من انه مهيمن
على ما بين يديه من الكتب يقص على بنى اسرائيل أكثر الذي هم
فيه مختلفون مصدق لما معهم من الحق ولكنهم يقولون ان القرآن خاتمة الكتب
كما ان من أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم) خاتمة الانبياء ولا نجد مسلماً الا
يؤمن بالتوراة والانجيل والزيور والقرآن فكل صحيفة من الكتب
الالهية ثبت مجيئها على لسان نبي صادق فهي عندهم كلام الله المنزه عن
الخطأ والزال وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق
وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فيما يعرف بالاحاديث شيئاً

من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ويتلقونها بالقبول غير أن المروف
عندنا أن الانجيل المشهورة لم تكتب في عهد المسيح عليه السلام كما كتب
القرآن وغيره في حياة من أنزل عليهم فلا لوم على المسلم إذا طلب التثبت
وتحقيق السند لصحة النقل كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه (صلى الله
عليه وسلم) من الأحاديث لأن عروض الشبهة في نقل من تحقق عصمته
أمر طبيعي عند عموم البشر

قال لي أحد المسلمين إن القرآن يشهد بأن الله آتى عيسى عليه السلام
الانجيل وجعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة وما نعرفه من الكتب
الالهية قبله ولا ننكر شيئاً منه وإن كنا قد نختلف معهم على تفسيره
وتأويله كما اختلف الأحزاب من بينهم وعندنا أن كتابنا وديننا صلى الله
عليه وسلم قد بشر بهما أنبياءكم من قبل كما تقولون في المسيح عليه السلام
وكما لم يقدح إنكار اليهود لعيسى في اصطفاؤه الله له كذلك لا يقدح إنكار
من أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في ثبوت رسالته . ولقد أرشدني
الإطلاع على مذاهب المسلمين في التلميح إلى أنهم لا يأتون عن تسليم أدلة
التيسيس بالي التي ذكرها في كتابه المسمى بـ"إبراهيم دين المسيح غير أنهم
يتخذون منها حججاً قوية على أن دينهم الحق . مثلاً يمدون من بيانات دينهم
ودلائل أنه الحق سرعة انتشاره واستقبال القلوب وجهته على نحو غريب
عزيز المثال ثم اشراق نور الإخلاص من عقائد الذين اتبعوه كما يرشد إليه
أدنى الفكر في أحوالهم من ثباتهم معه في ساعات السرة ومصابتهم
في الشدائد وازدياد إيمانهم في الضراء واستقامة سيرهم في السراء . ومنها
ما يبرهنه قول من الحكم الدقيقة التي برعت بها أحكام القرآن وانطباقها

مجيب على ما تقتضيه طبيعة الانسان الدينية (أي من حيث يطلب ديناً) وتأثيرها القريب في قلوب الآخذين بها والقائمين على سبيلها واحتباسها لنفوسهم على الكمالات الانسانية واجتذابها لهممهم عن الانبعاث الى ما تدعو اليه الرعونة البدنية فهي تلبسهم ثوب الوقار والحشمة في النماء وتشرهم شعار التسليم والاصطبار في البأساء . وفي الحق أن لهم أن يسألونا هل يمكن لأي مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي بمقتائق زكية نقية عليه وأحكام تسطو بسلطانها على النفوس كالتي جاء بها القرآن بدون أن يكون ذلك بوحى من الله وامداد منه

أما ما يقال من أن القرآن لم يذكر فيه معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن نفسه فعلى فرض أن لا يصح شئ مما نقل في كتب الاحاديث من المعجزات مع أنها أشبه بالاناجيل عندنا بحجاب عنه بأن هذا لا يقدح في رسالته بل هو أوضح دليل على صدقه في دعواه اذ لو كان ملبساً أو مفترياً (والياذ بالله) لما أعوزه التمويه ببعض الثرائب المخترعة ليشبه على اصحابه ويحمل الناس على الإعجاب بفرائبه وقدرائنا ان المسيح عليه السلام كان يوجب اليهود على طالبتهم له بالمعجزات والذي يظهر لنا انه لو لا قساوة قلوبهم وعنادهم لما عول في دعواه عليها . على ان الاعاجيب التي رويت عن المسيح عليه السلام اصبحت في هذه الايام مما يعد عقبة في طريق الاعتقاد بدينه فكثير من الناس يحسبون الدين سهل القبول لولاها فمدول محمد (صلى الله عليه وسلم) في اثبات نبوته عن سبيل الثرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه وصدق انبائه والبراهين العقلية التي تحقق اليها البصائر السامية كل ذلك آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم عليها

صدقه ولا اشكال فيه بل هو عين ما يطلبه المسلمون
ثم ان المسلمين لا يثقون في اثبات دينهم عند نهاية هذا الجدول لكنهم
يذهبون أن لهم في الكتب السابقة أدلة بينة على صدق كتابهم ودينهم
(صلى الله عليه وسلم) وهم على يقين أن الانبياء السابقين (عليهم الصلاة
والسلام) قد تواتر أنباؤهم على التبشير بنبينهم كما تقول في عيسى عليه السلام
وما يذهب اليه المسيحيون في تأويل بعض الاخبار المأثورة عن الانبياء
أو الاصفياء الاولين يخالفهم فيه المسلمون الى تأويل أفضل لهم وقد نجد
التأويل الثاني الصق بعبارة النبأ فان لم يكن فانا نرى التأويلين في كفتين
متعادلتين وانما يرجع كلا الف صاحبه وميله ولذلك أمثال كثيرة يطول
سردها ويسهل على الطالب إيجادها

أذكر ما نهني اليه أحد أصدقائي المسلمين من معنى الممددين
المذكورين في آخر كتاب دانيال النبي عليه السلام وهما عدد ١٢٩٠ و عدد ١٣٣٥
فيمد ان بين بتاريخ انقطاع الذبيحة اليومية من يوم بني نبي. نفسه ملك اليهود مذبح
للاصنام في هيكل القدس وفسر الصنم المصوغ الذي نصبه الملك في القدس
بالرجس المخرب وعبر عن الشراب بتسخير اليهوديين لاورشليم فأراني
كيف أن أحد الممددين المذكورين يأتي بنا الى زمان الهجرة النبوية وأن
الثاني ينتهي بنا الى خلافة معاوية بن أبي سفيان عند ما أتم المسلمون
فوحاتهم في سورية ومصر وفارس وأفريقيا وكيف قطعت مصالح الحسن
ابن علي دابر الشقاق بين الأمة وسكن المسلمون الارض آمنين مطمئنين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولست أحكم بصحة التأويل ولا عدمها
ولكن أقول انه ليس بأقل جودة من بعض ما أول به قوم آخرون

وأهم ما نقصد الآن أن يعرف النصارى عندنا في انكسار كيف يستدل
المحمديون بأنباء كتب اليهود والنصارى على إثبات دينهم وتحقيق يقينهم
بشيء يشهد الانكار فيه منا على المسلمين وهو اعتقادهم بجنة
جسمانية فيها من الحور العين ما تشبهه نفوس المؤمنين على أني أقول وما
انكارنا ونحن نرى في كتاب نشيد الاناشيد المنسوب إلى سليمان بن داود
(عليه السلام) عبارات أن حملت على ظاهرها كانت أدخل في الجسمانية
وعالم المادة من كل ما ينسب إلى القرآن غير أننا لمنا من درس فصول
ذلك الكتاب في ترجمته المشهورة أن تلك كنايات عن محبة المسيح لأمة
ثم أننا نرى ذكرًا صريحًا للجنة الجسمانية في مكاشفات يوحنا المعمدة
عندنا خاتمة الاناجيل فانه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهي الجنة
ومساحتها الدقيقة وحدودها وما فيها من أبواب من لؤلؤ وأزقة من
ذهب وجدران من جوهر وبيض فيها رواء ذلك مما لم يأت القرآن عليه
وان لنا عبارة تألفها نفوسنا وترنم بها في عبادتنا مع الافتخار اذ نقول
«أورشليم المذهبة المباركة بالابن والعدل» وليس بخطئ قائل لنا أن نعمات
الظفرين وأثنائي الخلفين التي نجدناها في مكاشفات يوحنا تذكرنا بأن غاية
المسيحي من إيمانه وأمله المطلوب من عبادته أن يصل إلى جنة نعيمه فيها
أن يأكل ويشرب ويسكر ويثني كما نرى من عمله في هذه الدنيا أيام
الاعياد المشهورة على أننا نأول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ونحمل كل
لفظ وجدل مني محسوس على سر مقبول

وان المرفاء من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيمًا روحانيًا يتمالي إلى
غير النهاية عن النعيم الجسداني ولنا تكابر كما يكابر القسيس (مكول)

ونحكم بأن المسلم لا مطمح له في أخراها الا الاكل والشرب وقضاء شهوات
 أخر وقد ذكر في القرآن في سورة القيامة من جزاء المؤمنين ان تكون
 رجوعهم يوم القيامة ناضرة الى ربها ناظرة وفي الاحاديث عندهم ما يدل
 على ذلك ففيها عن نبهم (صلى الله عليه وسلم) ما معناه ان أعظم فوز
 به المبد في الآخرة هو لقاء ربه في القدر والآصال وهو نعم يفوق كل
 نعم كما يفوق البحر قطرات العرق وفي حديث آخر ان المؤمنين يرون
 ربهم كما يرون القمر ليلة البدر وفي آخر ما يشبه المعروف عندنا ان الله
 ندأه له المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
 وان في عقائد المحدثين ان رضوان الله أكبر من كل نعم فان وافقنا
 المسلم على ان الجنة جنة اية لا تيقن ان تكون جزاء الله في الآخرة
 أفلا يجوز له أن يأول ما ورد في كتابه من ذلك كما أرونا في التفسير
 وعبارات المكاشفات والتأويل عليه أسهل منه علينا فان عده في كتابه
 ما يشير الى أن بعض النص الله لهم من الجنة لا يجوز علم متأخره
 وله في السنة ماء مائه ليس في الجنة شيء مما في الدنيا الا ما يشاء الله
 ثم يذكر لنا في السجدة ما يدور في الأفق ويشير الى أن ما جاء فيها من
 الاوصاف ضرب من التمثيل لأن صاحب الكتاب بصرح لنا بأن ما في
 من الأقوال حق لا ريب فيه كما هو مذكور فلكم مدين حق ان طالبوا
 الجنة الروحانية والذائد السامية العقلية وهم مؤمنون بكتابهم ورواياتهم
 هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم وان أحسب من الظلم
 الفاحش أن لا نسوغ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نبتدك
 في البضاح غوامض كتابنا المقدس
 (اسحق طيلر)

مؤتمر الاجتماع الثاني - الداء أو الفتور العام

في مكة المكرمة يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع وبعد قراءة ضبط الجلسة الأولى افتتح الكلام (الأستاذ الرئيس) فقال : أما نجد الباحثين في الحالة النازلة بالمسلمين يشبهونها بالمرضى فيطلقون عليها اسم الداء مجرّداً أو مع وصفه بالدفين أو المزمّن أو المضال وأمل مأخذ ذلك ماورد في الأثر وألفته الأسباع من تشبيه المسلمين بالجسد إذا اشتكى منه عضو تدعى له سائرته بالسهر والحمى . ويلوح لي أن إطلاق الفتور العام اليتقن بأن يكون عنواناً لهذا البحث لما في الحالة النازلة بالأديان أكثر منها بالماديات ولأن آخر فيها ضعف الحس فيناسب التمييز منه بالفتور .

إن هذا الفتور في الحقيقة شامل لجميع أعضاء الجسم الإسلامي فيناسب أن يوصف بالعام وربما يتوقف الفكر في الوهامة الأولى عن الحكم بأن الفتور عام يشمل المسلمين كافة ولكن بعد التدقيق والاستقراء نجد شاملاً للجميع في مشارق الأرض ومغاربها لا يسلم منه إلا أفراد شاذة .

فما أيها السادة ما هو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين من أي قوم كانوا وأينما وجدوا وكيفما كانت شؤونهم الدينية أو السياسية أو الفردية أو المعاشية حتى أننا لانكاد نجد أقليمين متجاورين أو ناحيتين في إقليم أو قريتين في ناحية أو ييتين في قرية أهل أحدهما مسلمون وأهل الآخر غير مسلمين الا ونجد المسلمين أقل من غيرهم نشاطاً وانظماً في جميع شؤونهم الحيوية انسانية والعمومية وكذلك نجدهم أقل انثقاناً من نظرائهم في كل فن وصنعة مع أننا نرى أكثر المسلمين في الحواضر وجهتهم في البوادي محافظين على نمطهم عن غيرهم من غيراتهم ومخالفينهم في أمهات المزايا الاخلاقية مثل الامانة والشجاعة والسخاء .

فما هو والحالة هذه سبب شمول هذا الفتور وملازمته لجامعة هذا الدين كمالازمة العامة للمملول بحيث يقال اينما وجدت الاسلام وجدت هذا الداء حتى توهم كثير من الحكماء ان الاسلام والنظام لا يجتمعان . هذا هو المشكل العظيم الذي يجب على جميعتنا البحث فيه اولاً بحث تدقيق واستقراء عسى ان نهتدي الى جرثومة الداء عن يقين فندمى في مقاومتها حتى اذا ارتفعت العلة برى العليل ان شاء الله تعالى .

(قال الفاضل الشامي) أني أوافق الأستاذ الرئيس على تعريفه ووصفه الحالة النازلة بالفتور ولا أعلم ما يمارس كون هذا الفتور عاماً محيطاً بجميع المسلمين .
 قال (صاحب الهندي) اني وان كنت أقل الاخوان فضيلة ولكنني جوال وقد خبرت البلاد وأحوال البلاد ولا شك عندي في ان هذا الفتور عام وان كان لا يظهر في بعض المواقع التي ليس فيها غير المسلمين كقلب جزيرة العرب وبعض جهات أفريقيا ولا يظهر أيضاً في بعض مواقع أخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم من أهل التحل الوثنية القريبة الوضع انتهية في الشدة كقبايا الصابئة حول دجلة الذين يضيئون كثيراً من أوقاتهم منغمسين في الماء تميداً وكالكوثفون من الزنوج وكالبودية من الهنود المستعدين ان كل مصائبهم حتى الموت الطبيعي من تأثيرات أعمال السحرة عندهم فان أمثال هؤلاء أكثر فتوراً من المسلمين على ان ذلك لا يرفع صفة الفتور وعموميته عن المسلمين .

فقال (الأستاذ الرئيس) ان صاحب الهندي مصيب في تفتيله وتحريره ولذلك رجعت عن قولي بان المسلمين أحط من غيرهم مطلقاً الى الحكم بأنهم أحط من غيرهم ماعدا أهل التحل المتشدة في الدين .

قال (الحافظ البصري) يلوح لي انه يلزم استثناء الدهريين والطبيين وأمثالهم ممن لا دين لهم لانهم لا بد ان يكونوا على غير نظام ولا ناهوس في أخلاقهم معتدين منفسين في حياتهم منحطين عن أهل الأديان كما يعترف بذلك الطبيميون أنفسهم فيقولون عن أنفسهم انهم أشقى الناس في الحياة الدنيا .

فاجابه (صاحب الهندي) اني كنت أيضاً أظن انه يوجد في البشر أفراد ممن لا دين لهم وان عن كانوا كذلك لا خلاق لهم ثم ان احتباري الطويل قد برهن لي على ان الدين بمخاض العام وهو ادراك النفس وجود قوة غالبة تتصرف بالكائنات والخصوع لهذه القوة على وجه يقوم في الفكر هو أمر فطري في البشر وان قولهم فلان دهرى أو طيبي هو صفة لمن يتوهم ان تلك القوة هي الدهر أو الطبيعة فيدين لما يتوهم .
 فثبت عندي ما يقرره الأخلاقيون من أنه لا يصح وصف صنف من الناس بأنهم لا دين لهم مطلقاً بل كل انسان يدين إما صحيح أو فاسد عن أصل صحيح وإما باطل أو فاسد عن أصل باطل والفساد ان يكون فسادها إما بتقصان أو بزيادة أو بتخليط فهذه أقسام ثمانية .

فالدين الصحيح كافل بالنظام والنجاح في الحال والسعادة والفلاح في المال والباطل

والفاسدان يتعاضدان قد يكون أحدهما على نظام ونجاح في الحياة على مراتب مختلفة وأما الفاسدان بزيادة أو بخليط فهلكة حتمية ثم أقول ربما كان تقريرى هذا غريباً في بابه فأنس أن لا يقبل ولا يرد إلا بعد التدقيق والتطبيق لأنه أصل مهم لمسألة الفتور العام المستولي على المسلمين .

(قال الرئيس الأستاذ) انى اجلكم أيها السادة الافاضل عن لزوم تعريفكم آداب البحث والمناظرة غير انى أنبه فكركم لا مراً لا بد ان يكون في نفوسكم جميعاً او محبوا ان يصرح به الا وهو عدم الاصرار على الرأي الذاتي وعدم الانتصار له واعتبار ان مايقوله ويبيديه كل منا ان هو الا خاطر سنح له وربما كان صواباً أو خطأ وربما كان مغيراً لما هو نفسه عليه اعتقاداً وعملاً وهو انما يورده في الظاهر معتمداً عليه وفي الحقيقة مستشكلاً او مستتبهاً او مستظلاً رأي غيره فلا أحد منا ملزم برأي يبيديه ولا هو معلوم عليه وله أن يعدل او يرجع عنه الى ضده لاننا انما نحن باحثون لامتناظرون فاذا أعجبنا رأي المتكلم منا أثناء خطابه اعجاباً قوياً فلا بأس ان نجهر بلفظ (مرحى) (١) تأييداً لاصابة حكمه وانصاراً باستحقاقه فأنمض في بحثنا عن أسباب الفتور العام على هذا النسق

قال (الفاضل الشامي) انى أرى ان منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية والاخلاقية مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جمات الامة جبرية باطناً قدرية ظاهراً (مرحى) ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق وامانة المطالب النفسية كحب المجد والرياسة والتباعد عن الزينة والمفاخر والاقدام على عظام الامور وكالتغيب في أن يعيش المسلم كيت قبل ان يموت وكفى بهذه الامور مفترات مخدرات مشبكات معملات لا يرتضيها عقل ولم يأت بها شرع ولئلاها نفي عثمان بن عفان رضي الله عنه أباً ذر النعماني الى الرعدة .

فاجابه (البلغ القدسي) ان هذه الاصول الجبرية والزهدية المترجمة بعقائد الامة وما هو أشد منها تعطيلاً الاخذ بالاسباب ولفشاة الحياة موجودة في جميع الديانات لتمدل من جهة شره الطيعة البشرية في طلب الغايات وتدفعها الى التوسط في الامور وتكون من جهة اخرى تناية للعاجزين وتنفيساً عن المقهورين البائسين وتوسلاً الى حصول التساوي بين الاغنياء والفقراء في مظاهر التمتع .

الا يرى اجماع كل الاديان على اعتقاد القدر خيره وشره من الله تعالى او خيره

منه وغيره من النفس او من الشيطان ومع ذلك ليس في البشر من ينسب أمراً الى القدر الا عند الجهل بسببه ستراً لجهله او عند المعجز عن سبل الخير او دفع الشر ستراً لمعجزه وحيث غاب أخيراً على المسلمين جهل اسباب المسببات الكونية والمعجز عن كل عمل التجأوا الى القدر والزهد تمويهاً لا تديناً ، وهذا التبتل والخروج عن المسال من أعظم القربات في التصيرية فهل كان قصد شارح إلهانية ان ينقضى الناس كافة بعد جيل واحد ام كان قصده ان يشرعها على ان لا يتلبس بها الا القليل الغر؟ كلا لا يمتثل في هذا المقام الا التعميم وينتج من ذلك انه لا يصح اعتبار هذه الأصول الجبرية والزهدية سبباً للفتور بل هي سبب الاعتدال والنشاط وسيرة سير النظام ورسوخ . وفي النظر الى المشاق والمضام التي اقتحمها الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم لسبل الفنى والرياسة والفخار مع الاجر والثواب أقوى برهان مع ان الامة اذ ذاك كانت زاهدة فعلاً لا كآزهد الذي ندعيه الآن كذباً ورياء (مرحى)

واذا تتبعنا كل ما ورد في الاسلام حثاً على الزهد نجد موجهاً الى الترغيب في الايثار العام اي تحويل المسلم ثمره لخدمة العمومية دون خصوص نفسه حتى ان كل ما ورد في الحث على الجهاد في سبيل الله مراد به سعي المؤمن بكل الوسائل حتى يبذل حياته لا عنزاز كلمة الله واقامة دينه لافى خصوصية محاربة الكفار كما تنوهم العامة كما ان المراد من محاربة الكفار هو من جهة اعزاز الجامعة الاسلامية ومن أخرى خدمة الجامعة الانسانية من حيث الجاء الكفار الى مشاركة المسلمين في سمادة الدارين لان الامة المتقدمة علماً ولأية طبيعية على الامة المتخلفة فيجب عليها انسانية ان تهديها الى الخير ولو كرها باسم الدين أو السياسة .

ثم قال أماناً فيخيل إليّ أن سبب الفتور هو تحول نوع السياسة الاسلامية حيث كانت سياسية اشتراكية أي (ديمقراطية) عاماً فصارت بيد الراشدين بسبب تمادي الحروب الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الاساسية ثم صارت أشبه بالمطلقة . وقد نشأ هذا التحول من ان قواعد الشرع كانت في الأول غير مدونة ولا محررة بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين رضي الله عنهم بالفتوحات وتفرغهم في البلاد فظهر في أمر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء وتحكمت فيها آراء الدخلاء فرجحوا الاخذ بما يلائم بقايا نزعاتهم الوثنية (وايهم لم يدنسوا الاسلام بالدخول فيه) فاتخذ العمال السياسيون ولا سيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الاحكام وسيلة للإتقان والاستقلال السياسي فنشأ عن ذلك ان تفرقت المملكة الاسلامية

الى طوائف متباينة ، مذهباً متعدية سياسة متكاثفة على الدوام وهكذا خرج الدين من حضانة أهل ، وتشرقت كلمة الامة فطامع بها أعداؤها وصارت ممرضة للمحاربات الداخلية والخارجية مما لا تصادف سوى فترات قليلة تترقى فيها في العلوم والحضارة على حسبها ، وقد أثر استمرار الامة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثية امة جنديّة صنعة وأخلاقاً بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالرجوه الطيعية . ثم بسبب فقدان القواد والمعدات لم يبق مجال للحروب الراجحة فاقصرت الامة على المدافعات خصوصاً منذ قرنين الى الآن أي منذ صارت الجنديّة عند غيرنا صنعة عالمية مفعودة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بينما فميش بالتغالب والاحتيال لا بالتماون والتبادل وهذا شأن يمت الانتباء والنشاط ويولد التحول والفتور (مرحمي)

فابندر (الحاكم التونسي) وأجاب ان غيرنا من الاقوام كجرمانيا مثلاً وجدوا في حكومات مطلقة وفي اختلافات مذهبية وفي انقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ولم يشملهم الفتور بوجه عام فلا بد للفتور في المسلمين من سبب آخر . ثم قال وفيما انصهر ان بلاءنا من تأصل الجهل في غالب أمرنا المسترفين الأخرين أعمالاً الذين ضلوا وأضلونا سواء السبل وهم يحسبون انهم يتحسنون صنماً حتى بلغ جهل هؤلاء دركة أسفل من جهل المجرمات التي لها طبائع ونواميس فنما التي تحمي دمارها وتمنع عن حدودها وتدافع عما استحفظت عليه وهؤلاء ليس لهم طبائع ونواميس فيخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يشعرون . ومنهم الذين ضلوا على علم وهم الذين يشكون ويكونون حتى يظن انهم مغلوبون على أمرهم ويتشددون بالاصلاح السياسي مع انهم وأبهم الحق يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم يظهر من الرعيّة في الاصلاح ويبطون الإصرار والعناد على ما هم عليه من الفساد دينهم وديانهم وهمد مباني نجرهم واذلال أنفسهم والمسلمين وهذا داء عياه لا يرجي منه الشفاء ، لانه داء الضرور لا يقر صاحبه لفاحل بفضيلة ولا بجاري حازماً في مضمار وقد سرى من الامراء الى العلماء ثم الى سائر الطبقات

فأجاب (المولى الرومي) ان القاء النجاسة على الامراء خاصة غير سديد خصوصاً لان أمراءنا ان هم الالفيف منا فهم أمثالنا من كل وجه وقد قيل كما تكونوا يوالى عايكم فلو لم نكن نحن مرضى لم يكن أمراؤنا مدنفين

وعندي ان البلية هي فقدان الحرية وما أدراك ما الحرية ؟ هي ما حررنا منها حتى نسيناه ، وحررنا عنها لفظه حتى استوحشناه . وقد عرف الحرية من عرفها بأن

يكون الإنسان مختاراً في قوله وفعله لا يترصده مانع ظالم ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء وعدم الرهبة في المطالبة بالحقوق وبذلك التصحيح . ومنها حرية التعليم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية . ومنها العدالة بأسرها حتى لا يخشى إنسان من ظالم أو غاصب أو غدار . ومنها الأمن على الدين والأرواح والأمن على الشرف والأعراض والأمن على العلم واستثماره فالحرية هي روح الدين وينسب إلى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي رضي الله عنه وما الدين إلا أن تقام شرائع وتؤمن سبل بيتنا وهضاب

فليُنظر كيف حصر هذا الصحابي الدين في إقامة الشرع والأمن . هذا ولا شك أن الحرية أعز شيء على الإنسان بعد حياته وإن بفقدانها تفقد الآمال وتبطل الأعمال وتموت النفوس وتمطط الشرائع وتختل القوانين . وقد كان فينا راعي الحرفان حراً لا يعرف للملك شيئاً يخاطب أمير المؤمنين بيا عمر وباعثمان فصرنا ربما نقول الطفل في حجر أمه ونلزمها السكوت فتسكت ولا تجسر أن تزعج سمعنا ببكائها عليه . وكان الجندي الفرد يؤمن جيش المدو فلا يخفله عهد فصرنا نمنع الجيش العظيم من صلاة الجمعة والميدين وتسهرين بدنه لا حاجة غير الفخفخة الباطلة (مرعى)

فأمثل هذا الحال لا غرو أن تسأم الأمة حياتها فيستولى عليها الفتور وقد كرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصل فينا فقد الآمال . وترك الأعمال ، والبعد عن الجسد والارتياح إلى الكسل والهزل والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام أسير النفس والاخلاد إلى الحمول والتسفل طلباً لراحة الفكر المضغوط عليه من كل جانب إلى أن صرنا ننفر من كل الماديات والجذبات حتى لا نطبق معاملة الكتب النافعة ، ولا الأصغاء إلى النصيحة الواضحة . لأن ذلك يذكرنا بمقدورة العزيم شيئاً أرواحنا وتكاد ترهب إذا لم نلجأ إلى النسائي بأهاليات ، والخسرات المروحات ، وهكذا ضعف إحساسنا وماتت غيرتنا وصرنا نغضب ونحقده على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة لمجتزئاً عن القيام بها عجزاً واقصياً لا طيماً هذا ونمتزغ بأن فينا بعض أفرام قد ألفوا من ألوف سنين الاستعباد والاستبداد والدل والهوان فصار الأخطا طبعاً لهم وتوهم مفارقة وهذا هو السبب في أن السواد الأعظم من اليهود والمصريين والتونسيين صاروا بعد أن نالوا رغم أنوفهم الأمن على أنفسهم والأموال ، والحرية في الآراء والأعمال . لا يرثون ولا يتوجهون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون للناقضين على أمراءهم المسلمين شزراً وربما يعتبرون

ثاني الاسلحة من المارقين من الذين كأن مجرد كون الأمير مسلماً يعني عن كل شيء حتى عن العدل وكأن طاعته واجبة على المسلمين وإن كان بحرب بلادهم ، ويقتل اولادهم ، ويقتولهم ايضاً هم لحكومت اجنبية كما جرى ذلك قبلاً معهم والحاصل ان فقدان الحرية هو سبب الفتور والتفاسد عن كل سبب وميسور .

اجاب (المجتهد التبريزي) ان هذا الحال ليس بعام مع ان الفتور لم يزل في ازدياد واستحكام فلا بد لذلك من سبب آخر

ثم قال : ويلوح لي ان المحطاطنا من أنفسنا اذا كنا خير أمة اخرجت للناس نعبد الله وحده أي نخضع ونستذل له فقط ونطيع من أطاعه مادام مطيعاً له نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر أمرنا شورى بيننا نتعاون على البر والتقوى ولا نتعاون على الإثم والعدوان . فتركنا ذلك كله ماصبب منه وماهان . وقد يغتن أن أصعب هذه الأمور التي عن المنكر مع أن ازالة المنكر في شرعنا تكون بالفعل فان لم يمكن فبالقول فان لم يمكن فبالقاب وهذه الدرجة الثالثة هي الاعراض عن الحائن والفاسق والفتور منه وابطال بفضله في الله

ومن علام ذلك تجنب محاملته ومعاملته . ولا شك ان اقامة هذا الواجب الديني كافي لاردع ولا يتصور المعجز عنه قط قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) فهذا هو سبب ارسال الامة في عبادة الامراء والاهواء والافهام وفي طاعة العصاة اختياراً وترك الناصح والركون الى الفاسق والاذعان للاستبداد والتخاذل في الخير والشر قال تعالى (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وعنه صلى الله عليه وسلم (٠) « لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر أو يستمعين الله عذبتكم سراً ثم فليسوونكم سوء المذاب » الى غير ذلك من الآيات اللغات والاحاديث التذرات القاضيات بالخذلان على تاركي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا هو السبب الناشئ عنه الفتور .

(٠) المنار — انظر الحديث « او يستمعين الله عذبتكم سراً ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » رواد البزار عن عمر والطبراني عن أبي هريرة وسندها ضعيف . ولانرمذي من حديث حذيفة نحوه الا انه قال « أو لو شك الله ان يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » وقال حديث حسن

باب الترقى بالتعليم

هو التعليم الذي ترتق به الأمة

أكثر الناس في بلاد الشرق — بلاد البطالة والكسل — يقنون أزمهم بالعبث والافتر من القول فلا تسمع منهم في أنديةهم وسمازهم الا الخوض بفلان والازراء بفلان وما أشبه ذلك . فما هنا وهناك ، ورب فئة قليلة تحب الجهد وتختار للبحث والحوار المسائل النافعة وقد كتبنا مقالة في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية في موضوع حديثهم في سامر من سمازهم وهو اصلاح الدولة العلية . وتذكر ههنا أنهم رأوا أن يقرحوا على كل واحد منهم كياضهم ناد أو سامر أن يتكلم في مسألة من المسائل النافعة وابتدأوا بالاقتراح على كاتب هذه السطور أن يتكلم في التعليم النافع للمسلمين فأجاب واتي أذكر بعض مناقته هناك مائضاً وقد ابتدأت بذكر عيوب التعليم عندنا وهي

المسألة الأولى عدم اللثة احياء العلم لا يكون الا بامنة حية وائمة الاسلام والمسلمين المرنية وانكهم أهملوا تعلمها وتعليها حتى أحي أقول مناقته من قبل اتى لأعرف مدرسة في الدنيا تعلم فيها الائمة العربية الصحيحة ومن عده حظ من هذه الائمة قائما تعلمه بنفسه لا هتدائه الى طريقة التعلم بذكائه أو بإرشاد مرشد آخر ويستأني الاشارة الى كيفية هذا العلم وان كان النار قد فصله من قبل تفصيلاً .

المسألة الثانية في اختلاف مناهج التعليم التعليم النافع هو ما يكون به قوم الأمة وترقيهم والترقي انما يكون بالرجال المتعلمين العلم النافع لها لأن زمانها يكون في أيديهم وتكون الأمة يجب أن يكونوا متقنين في مقاصدهم الاصلاحية وانما يكون هذا الاتفاق والاتحاد اذا كانت تربية عقولهم وافكارهم متحدة ولن تكون متحدة الا اذا كان التعليم من منج واحد . والتعليم في بلادنا يمتد في مدارس الحكومة وبعضه في المدارس الأجنبية من فرنسية وأميركانية وإنكليزية وإسرائيلية وليس منه شيء موافق لحاجة الأمة وينطبق على مصالحها فان لكل صنف من هذه الاصناف مقصد من التعليم انما ياتي وأما ديني غير اسلامي والتعليم في المدارس الاهلية الإسلامية ناقص بحيث يسمع ان يقول انه دون كل تعليم . ولا استغني المدرسة الدينية الإسلامية الكبرى وهي

جامع الأزهر فكأننا نعرف أنها ليس فيها غناء وأنها مقصورة على التقصير في وطنها الأولى وهي أحياء اللغة العربية وعلوم الدين . على أن علم الدين لا يكاد يوجد في الأزهر وما يتبعه من المساجد فهو على نفسه خير من غيره من هذه الجهة . ومن اللغوي بالهوى .

السبب ٣ عدم التربية والتعليم لا يفيد النجاح المطلوب الأمة إلا إذا كان مقداراً للهوية المالية القومية وهذه التربية مفقودة عندنا لأن القائمين على أمر التعليم لا يهتمون أمراً بل هو مبادئ لتقصدهم السياسي والديني . على أنهم لو حاولوها لما أحسنوها لأنه لا يحسن الشيء إلا من يتوجه إليه بباعث الشعور بحاجته وحاجة أمته إليه مع العلم بطريقة الطبيعي . وقد علمنا أن أكثر المسلمين المشتغين بالتعليم جاهلون بطريقة وعادتهم الاحساس والشعور بالحاجة المالية القومية . وعلمنا حال مدارس الأجانب والمدارس الحكومية في مصر حكمها لأن روح التعليم فيها انكليزي استعماري لا انكليزي سكوني . ولا يحسن أحد أن مدارس الحكومة في بلاد الدولة العلية أمثل وأنفع من مدارس الحكومة في مصر بل انصواب أنها دونها في كل البلاد لاسيما العربية منها إلا مدارس دار السلطنة فإنها أرقى من مدارس مصر لأن فيها روحاً وطنياً حقيقياً عجزت السياسة عن ازهاقه

هذه هي العيوب الأساسية للتعليم في البلاد الإسلامية . أما إزالة هذه العيوب من مواطنها فلا سبيل إليه ولا طاقة لنا به ولكن من الممكن السعي في إيجاد تعليم نافع وتربية قديمة والطريق إليه واحد وهو إنشاء المدارس الكلية التي تربي الناشئين وتعلمهم التعليم الابتدائي والتجهيزي والمالي ولكنه طريق يصير طريقه وإشراعه لأننا فقراء في المال وفي العلوم والعقول وهذا الفقر المضموني أشد فناءً فثقل ولكنه لا يعوزنا ويحجزنا في طريقنا هذا كما يعجزنا ويعوزنا الفقر المادي فإن من أوتي نصيباً من العلم والعقل والأدب يجود بما عنده مرتاحاً إليه إذا رجا الانتفاع به ولكن الذين أوتوا المال منا قد أوتوا منه البخل والسفه معاً فهم يبذلون المال في طرق الفساد بغير حساب ولا يخرج من أيديهم درهم في طريق الخير إلا تكداً . وليس المقام مقام بيان طريق الطريق لإنشاء مدرسة كلية في مصر ولكنني أقول أن هذه الفئة تحب خدمة أمته إذا لم يتجهد في إنشاء هذه المدرسة فلنا أن نعلم بأنهم لم تعمل شيئاً يذكر وإذا هي لم تعمل فلا تدري متى تلد أرض مصر خيراً منها لعمل خيراً من عملها

أما التعليم والتربية في الكلية فلانبحث فيما لأن الحاضرين يعرفون هذا الفن (اليدا جوجيا) وإنما ننبه على وجوب أحياء اللغة العربية بالعمل بأن يكون الكلام

المربي الصحيح هو اللسان الرسمي فيها ويعلم كما تعلم اللغات الأخرى في المدارس لا كما يعلم هو فيها . وأما تعاليم الدين فيجب أن يكون أساسه القرآن والسنة الصحيحة ومعرفة الأجماع وإن يمد كل ما وراء هذا من الخلاف بين أئمة المسلمين وعلمائهم كالخلاف في المسائل العلمية ، لا ينكت من قتل الأخوة الإسلامية ، وكل ما هو من أعمال الجوارح يكون تعليمه بالعمل كالصلاة مثلا وما عدا ذلك يعلم بالقول . وأما التربية فما يجب التنبه عليه تربية الإرادة والمزينة التي هي منشأ الاستقلال الشخصي والنوعي تبع للشخصي وتربية الأخلاق بملاحظة السيرة والسلوك وتربية الخيال التي تعد للخطابة والشعريات المؤثرة في النفوس . هذا ما أراه نافعا من التعاليم الإسلامية وفق الله المسلمين للحقيقة ، والسير طريقه ، آمين

أشار على المشيئة

مقدمة لكتاب أسرار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن ، خالق الإنسان علمه البيان ، فله الحمد أن علم ، والشكر على ما أنعم ، ومنه الصلاة والسلام ، على نبيه الرؤوف الرحيم ، الذي جاء بتوحيد اللغة والدين ، وجعل الكتاب والحكمة في الآمين ، فكانوا بذلك أئمة وكانوا هم الوارثين الإنسان يمتاز بالعلم وإنما العلم بالتعلم والتعلم باللغة ، واللغات تفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان وهو تأدية المعاني التي تقوم بال نفس تامة على وجه يكون أقرب الى القبول وأدعى الى التأثير وفي صورتها وأجراس كلها بعدوبة التعلق وسهولة اللفظ واللقاء والخفة على السمع . وإن للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح ، والجواد الفارج ، يعرف ذلك من أخذها بحق ، وحري فيها على عرق ، فكان من مبرراتها على علم ، وضرب في أساليبهم ، ومن آية ذلك لغير العارف إن أوثك الشراذم والأوزاع من أهلها قد حملوها الى الأمم ، التي كان لغاتها في المعلوم قدم ، ولم يحملوها عليها بالإلزام ، ولا بالتعاليم العام ، وكان من أمرها مع هذا أن لم تحت

بطينها لغة المصريين من مصرهم والرومانيين من شامهم واستعملت على الفارسية
المذبة في مهدها وموطنها وامتد شاعها الى الاندلس في غربي أوروبا بعد ما طاف
ساحل أفريقيا الشمالي والى جدار الصين من الشرق — كل ذلك في زمن قريب لم
يعرف في التاريخ مثله للغة اخرى من لغات الفاتحين الذين يتخذون كل الوسائل لتشر
لغاتهم وتعميمها بالتعليم العام وضروب الترغيب والترهيب

كانت لغة أميين وثنيين جاهلين فظهر فيها كل الأديان فكانت له أكل مظهر ،
ونجلى لها العلم فكانت له خير متجلى ، وصارت بذلك لغة الدين والشريعة ، وعلوم
العقل والطبيعة ، ولكن عدت على أهلها عواد كونية ، وطرأت عليهم أمراض
اجتماعية ، فضعف فيهم كل مقوم من مقومات الأمم الحية ، ومن تلك المقومات
الحقيقية اللغة فقد فسدت ملكتها في الالسنه والتوى طريق تعليمها في المدارس ، حتى
كادت تكون من اللغات الدوارس

ظهر ضعف اللغة في القرن الخامس وكانت في ريمان شباها وأوج عزها وشرفها
وكان أول مرض ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ومدلول الالفاظ المفردة
والجمل المركبة والانصراف عن معاني الاساليب ، ومغازي التركيب ، وعدم الاحتفال
بتعريف القول ومناحيه ، وضروب التجوز والكناية فيه ، وهذا ما بست عزيمة
الشيخ عبد القاهر الجرجاني امام علوم اللغة في عصره الى تدوين علم البلاغة ووضع
قوانين للمعاني والبيان كما وضمت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الاعراب فوضع
هذا الكتاب في البيان ومن قامحته ينقسم القارئ ان دولة الالفاظ كانت قد تحكمت
في عصره واستبدت على المعاني وأنه يحاول بكتابه تأييد المعاني ونصرها ، وتعزيز
جانبها وتشد أسرها

كتب قبل عبد القاهر في مسائل من البيان بعض البلغاء تلاحظ وابن دريد
وقدامة الكاتب ولكنهم لم يبلغوا فيما بنوه أن يصلوه فنا مرفوع القواعد مفتاح
الابواب كما فعل عبد القاهر من بعدهم فهو واضع علم البلاغة كما صرح به بعض علمائها
وان لم يذكر له هذه المنقبة المؤرخون الذين رأينا ترجمته في كتبهم حتى ان ابن خلدون
الذي تصدى دون القوم للإمام بتاريخ الفنون اهل ذكره وزعم ان الذي هذب الفن
بعد أولئك الذين كتبوا في مسائل متفرقة منه هو السكاكي . وما كان السكاكي
الا عيالا على عبد القاهر تلاتلوه وأخذ عنه مع المخالفة في شيء من الترتيب والتبويب
ولكنه لم يسلم من التكلف في بعض عبارته ، والتعقيد في بعض منازعه ، فإذا جاز لنا

ان نقول أنه فاق لتأخره بالترتيب المعلوم ، وبما حرره من الحدود والرسوم ، قلنا لا نقى من فضل المتقدم سلامة عبارته ، وصفاء ديباجته ، وغوصه على أسرار الكلام ، ووضع دررها في أبدع نظام ،

كان السكاكي وسطاً بين عبد القاهر الذي جمع في البلاغة بين العلم والعمل وأضرابه من البلغاء العاملين وبين المتكافين من المتأخرين الذين سلكوا بالبيان مسلك المعلوم النظرية ، وفسروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغوية ، ثم تنافسوا في الاختصار والابحار ، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعجمات والألغاز ، فضاعت حدوده بتلك الحدود ، ودُرست رسومهُ بهائيك الرسوم ، وكان من أثر فساد ذوق اللغة اختيار هذه الكتب التي ملكت المعجمة عليها أمرها على الكتب التي تهديك الى العلم الصحيح بمعانيها ، وتهدي اليك الذوق السليم بأساليبها ومناحيها ، فكادت كتب عبد القاهر تمحى وتنسخ ، وصارت حواشي السعد تطبع وتنسخ ، وهذا هو حظ العلم النافع اذا اتى الى الامة في طور التدلي والضعف ، فمثل عبد القاهر في أسرار بلاغته ودلائل اعجازه كمثل ابن خلدون في مقدمته والساطان سليمان الصباني في قوانينه

رب غذاء طيب نافع عافته النفس لمرض ألم بها حتى اذا نقهت أو ابلت اشتته وطلبته وهذا هو مثلنا أمس واليوم فقد كنا متفقين على أخذ العلم من كتب علمائنا المتأخرين كما يختار المريض الغذاء الضار فظهر فينا هداة مرشدون يسعون في احياء مآلئهم الجهل من آثار سلفنا ومصنفات أئمتنا ويدلوننا على العلم الحي الذي تفجر من ينابيع النفوس الحية لفرق بينه وبين الرسوم الميتة التي سماها الجهل علماً

ولما هاجرت الى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الاسلامي أقيمت امام النهضة الاسلامية الحديثة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية اليوم مشغولاً في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضر نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابها على النسخة التي عنده فسأله عن كتاب (أسرار البلاغة) للإمام المذكور فقال انه لا يوجد في هذه الديار فأخبرته بان في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام نسخة منه فحتني على استحضارها وطبعها فطلبها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد القادر افندي المغربي وهي كما تركه له والده فابي الطالب ، وعامنا ان نسخة أخرى من الكتاب في إحدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنية فذهبنا بعض

طلاب العلم الأذكياء، ثمانية نسخاً، تلك النسخة تفرع لنا من مجموعها نسخة صحيحة شرعنا في طبعتها ووضعنا في ذيل المطوع شرحاً لطيفاً ضيقنا فيه كلمات الغريبة وفسرنا منها ومن حل الكتاب من آياته يد الحق التامير وأشرنا إلى الخلاف بين النسختين، فيما يحتمل صحة الاثنين،

أما كون عبد القاهر هو واضع الفن ومؤسسه فقد صرح به غير واحد من العلماء الاعلام أجلهم قدراً، وأرفعهم ذكراً، أمير المؤمنين، محي علوم اللغة والدين، السيد محي بن حمزة الحسيني صاحب كتاب (الطراز، في علوم حقائق الإعجاز)، فقد قال في فاتحة كتابه هذا وهو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبد القاهر مائة: « وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه وأظهر فوائده ورتب أقانيه » الشيخ العالم التحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني فلقد فك قيد القرائب بالقييد، وهد من سور المشكلات بالتسوير المشيد، وفتح أزاهره من أكامها، وفق أزواره بعد استملاكها واستبهاها، فخره الله عن الإسلام أفضل الجزاء، وجمال نصيبه من ثوابه أوفر النسيب والجزاء. وله من المصنفات فيه كتابان أحدهما لقبه بدلائل الإعجاز، والآخر لقبه بأسرار البلاغة، ولم أقف على شيء منهما، مع شغفي بجهما وشدة إعجابي بهما، إلا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما، »

وأما مكانة هذا الكتاب وبيان ما يمتاز به على كتب البيان فحسبي عرضيه على الأنظار مع الشيء على مسألتين نافعتين (أحدهما) أن العلم هو صورة المعلوم مأخوذة عنه بواسطة الإدراك كما تؤخذ الصورة الشمسية بالآلة المعروفة فإن كان المعنى المنزع من الجزئيات قانوناً كلياً يرشد إليها فهو القاعدة وإن كان صورة تناسلها وتقرها من الفهم فهو المثال. (والثانية) أن القاعدة الكلية هي صورة إجمالية للمعلومات الجزئية والأمثلة والشواهد صور تفصيلية لها. والتعلم أنفع إنما يكون بقرن الصور للفصلة بالصورة المجردة إذ بالتفصيل تعرف المسائل وبالأجمال تحفظ في العقل وبهذه الطريقة يجمع بين العلم والعمل الذي يثبت به العلم وهي طريقة عبد القاهر في كتابه هذا وكتاب دلائل الإعجاز على أن كلام الشيخ رحمه الله تعالى كله من آيات البلاغة فهو يعطيك عامها بعمانيه، وعملها بعمانيه، وبهذه المميزات يفضل هذا الكتاب جميع ما بين أيدينا من كتب الفن لأنها إنما تقتصر على سرد القواعد والأحكام بعبارات اصطلاحية، تنكرها بلاغة الأساليب العربية، ولا تذكر من الشواهد والأمثلة إلا القليل النادر، الذي أدلى به السابق إلى اللاحق والأول إلى الآخر،

لهذا يادر الأفاضل إذا أقمتم . معني الديار . فربما في هذه الأثناء . أم . إلى تدريس
الكتاب في الأزهر الشريف . غلبت شروعتنا في طبعه فأقبلت إلى حضور درسه مع
أدباء الطلاب . كثير من العلماء والمدرسين . وأثناء المدارس الأميرية . وقد قال
أحد فضلاء هؤلاء الأستاذين بعد حضور الدرس الأول : أننا قد اكتشفنا في هذه
الليلة معنى علم البيان .

وقد ظهر للأستاذ في غضون التدريس والمطالعة اغلاط في الكتاب بعضها من
الطبع وبعضها من تحريف النسخ في الاصل واغلاط أخرى في الموامش فأحصيناها
كلها من نسخته ووضعنا لها جدولاً في آخر الكتاب انعاماً للفاضة . وما يجب التنبيه
عليه ان بعض تراجم فصول الكتاب هي من وضعنا فان المصنف رحمه الله تعالى كان
يكتفي في كثير منها بكلمة (فصل) ام ولي هذا اثر من المصنف

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(فتح القدير شرح الهداية لجهد الحنفية في القرن السابع الكمال بن الهمام)
يتم طالب فقه الحنفية عشرين سنة أو أكثر ليكونوا فقهاء في هذا المذهب
فيضيع أغلب الأكثرين سدى لا شغلهم بكتب التأخرين المحسوسة بالفروع الشاذة وغير
الشاذة والاضطراب في التصحيح والترجيح ولا يكون الانسان بهذه الطريقة فقيهاً
ولو أفنى عمره في المداينة . وقد كان هؤلاء بعض العذر قبل أن يطبع هذا الكتاب
(فتح القدير) الذي هو أحسن كتب المذهب في تحرير المسائل وبسط أدلتها
وأرجعها إلى أصولها . وقد كان العلماء يتنافسون في الاطلاع عليه حتى ان ابن عابد
المتشهور ضمير نسخة منه فاشتراها بوزنها ذهباً . وقد كان طبع في الهند فطلب نسخاً منه
أكابر فقهاء الحنفية فألفوه كما كان يقول أحدهم (الشيخ عبد الغنى الرافعي رحمه الله
تعالى) : توراة مبدلة . أي انه كثير الغلط والتحريف . وقد طبعه أخير السيد عبد
الواحد بك الطولي وأخوه في المطبعة الأميرية واعتنى بتصحيحه وأضيف إليه تكملته
المادة (نتائج الأفكار) للمولى شمس الدين أحمد المعروف بقاضي زاده . ووضع في
هاتيه (شرح النهاية على الهداية) لأكمال الدين الباري وحاشية سمدي حاجي الملقب
الشهير فباع الجميع ثمانية مجلدات وجملة ثمنه ١٦٠ قرشاً و ١٦٥ من الورق الباتي
ويبدأ من مكتبة طابيه في مصر فتوجه إليه أنظار الحنفية عامة وأهل الهند خاصة

(جواهر الانشاء) أنشأ أخونا الأستاذ الفاضل الشيخ طه طناوي جوهري من
العربية في المدرسة الخديوية نبذا وفصولا في موضوعات مختلفة لتكون تمرينا للتلاميذ
على الكتابة والانشاء ثم ضم إليها بعض الأحاديث النبوية في الفضائل ومحاسن الأعمال
وشيئا من الحكم المتنوعة ومن الأشعار المختارة في الآداب ومنها نظم مخصص من كتاب
أدب الدنيا والدين وسمى هذه المجموعة [جواهر الانشاء] وقد طبعت في مطبعة الترقى
الشهيرة بالاتقان وثمنها قرشان وهي ٩٠ صفحة وتطلب من مكتبة الترقى ومن حضرة
مترجم طبعتها توفيق اقدى كاشف بشارع بركة الفيل

(رسالة الشيرازي في علم الاخلاق) هي رسالة مختصرة مفيدة في الاخلاق
والآداب سهلة العبارة اعتنى بطبعتها المحامي الفاضل الأديب عبد العظيم اقدى صالح
ولا يعرف مؤلفها وربما يتبادر الى الذهن انها للشيخ أبي اسحق وما هي له فيما
يظهر من اهدائها في قمتها على ان العبرة بالقول لا بالفاضل والرسالة نافعة في بابها
وهي ثلاثة أقسام أحدها في الاصول الكلية لمسلم الاخلاق وثانيها فيما يجري مجرى
الأمثال البارة من الكلمات النادرة وثالثها في محاسن أخلاق الملوك وآداب
اتباعهم وحواشيهم وهذا القسم يدلنا على استبداد الملوك في ذلك العصر واقرار العلماء
على ذلك فنشكر لطابعها فضله في احياء هذه الآثار الاخلاقية التي نحن أشد حاجة
إليها من سائر العلوم ونحث الناس على قراءة هذه الرسالة وثمنها قرشان

(تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان) كما يجب على الانسان أن يعرف نفسه
من حيث هو شخص يجب عليه أن يعرفها من حيث هو أمة أي عضو من أمة
شرفه بشرفها ومهاته بمهاتها والأثم الحية تقتضي بتاريخها فتعلمه أولادها بالتفصيل
وتاريخ سائر الأمم والدول بالأجمال ولكتنا نرى أكثر المسلمين يجهلون تاريخ الاسلام
وأكثر العثمانيين يجهلون تاريخ الدولة العلية وآل العظم فصل على الفريقين بالعثمانية
بالتأليف في التاريخين فاذا كان رفيق بك العظم مشغولا بتأليف تاريخ (أشهر مشاهير
الاسلام) فحتى بك العظم الفاضل مشغول بتاريخ الدولة العلية فبعد أن ألف كتاب
(دفاع بلقنا) وطبعه ألفنا كتاب تاريخ الحرب العثمانية اليونانية بالتفصيل وطبعه
فجاء كتابا حافلا بصفحاته ٢٢٥ وفيه مباحث تاريخية واجتماعية نافعة منها بحث في الامم
تخفف كان الشعب ومنها التعريف بمقدمات الحرب وأسبابها والجمعية الوطنية اليونانية
ومنها تحليل الحوادث والوقائع ونتائجها وختمه بنظرة سياسية في موقف الدولة العلية
قبل الحروب وبعدها وأحوال البانيا ومكدونيا واحتياج الدولة للرجال الاكفاء

وسبب سكوت الدولة عنها الآن . ، الكتاب مطبوع في مطبعة الترقى على يد
جيد ويطلب منها ومن ادارة المنار وتمتة عشرة قرون اميرية

(البيان) مجلة اخبارية تاريخية تصدر مرة في الشهر باللغتين العربية والاوردية
لنشرها الفاضل الشيخ عبد الله المهادي وصاحب امتيازها هو مولوي عبد الوهي بن الفاضل
الراسي عبد العلي المدراسي . والغرض منها جمع كلمة الامة الهندية ، واحياء النضال
العربية ، ومن المباحث النافعة فيها نبذة (الحضارة والهند) شكا فيها الكاتب من فقر
الامة وقلة الكسب وكثرة الاناوات والضرائب وهي نحو ٥٥٠ مليون روبية . منها ١٦٠
مليوناً من الخراج و ٨٥ مليوناً من المالح و ٣٥ مليوناً من القراطيس القضائية و ٥٥ مليوناً
من الخمر و ٣٥ مليوناً من الزيادات الخراجية و ٥ ملايين من التسجيل (السيكورتاه) .
ومنها نبذة في مقاصد ندوة العلماء لم تتم واطلنا نأخذها بعد تمامها ونرجو لهذه المجلة
الرواج فقيمة الاشتراك فيها ٨ روپيات في الهند و ٣٠ غرشاً او ٦ شلينات في الخارج
(تاييه) ضاق هذا الجزء من باب الاخبار النبوية وآثار السلف وعن الاخبار والآراء والاشعار من مختلف

للشاعر المجيد ، مصطفى افندي صادق الرافعي (في الساعة)

تضرب كالقالب شفة القم	كأن فيها الهموم تضطرم
ذات محبا اظلم اقرا من	خطوطه ما يخطه القلم
الفن لا اذم محبتها	وعني لي في اصطناعها السام
وما اراها سوى الزمان اما	يدور فيها التعميم والتقم
تذكرني ماثر من عمري	فكل يوم يجد لي ندم
ما ان تراعي لأهلها ذمها	ان رعيت عند أهلها الذم
وليس اما سمعت غنائها	يدب في غير ههنا جنى الأثم
ولا انما اعجبت فحائنها	في غير ضيق القلوب ردم
بأخت ذات البروج هل حجت	طوال السعد هذه الظلم
كانها والخطوب تكتمها	سر بقاء الزمان منكم
وهل تعود الحدود نايبة	من بعد هذا الميوس بقتم
ما أثبت الهم في الصدور اذا	أمنت لبالي الحياة تنهزم
وهذه الدار حكاها تعب	سبان فيها الوجود والمدم
والناس كالنائمين ما لبثوا	فكل ما يشهدونه حلم
أبدع ذات المهاد بيدعها	فأين راحض بأهلها ارم



فيستريح عبادي الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه أو يلقون الذين هم دام
الذين يلقونهم هم أولو الألباب

الحج
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يشا
الحكمة من يشاء من يشاء من يشاء
يذكر أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « مناراً » كنفار الطريق)

مصر في يوم الجمعة غرة صفر سنة ١٣٢٠ هـ ٩ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢ م

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٤ — الأجوبة عن شبهات العصمة)

(المسألة ٩٠) معصية آدم عليه السلام علمنا أن مذهب جمهور أهل السنة
 أن الأنبياء معصومون بعد النبوة لا قبلها فلا ترد معصية آدم على هذا
 المذهب لأنه لم يكن نبياً حتى عصي ربه بل لم يكن في طور التكليف إلا
 بالنسبة إلى النهي عن الأكل من الشجرة . ولا ترد أيضاً على ما اختاره
 المتأخرون من عصمتهم قبل النبوة (وإن كان يلزم منه أن هناك أحكاماً قبل
 التشريع والوحي) لأن الدليل العقلي الذي يمكن أن تثبت به هذه العصمة
 لا يأتي في مسألة آدم وهو أن يكون من اختاره الله للنبوة معروفاً في قومه
 بمكارم الأخلاق وأحسن الأفعال لأن سيء السيرة محقوت منبوذ تحفظ
 مساويه وجرائمه فتحول دول قبول دعوته وكون هذا لا يجيء في مسألة
 آدم بديهياً لا يحتاج إلى بيان . فإن قيل إن الدليل يرشد إلى أن فطرة
 الأنبياء زكية ونفوسهم عالية فهم ينفرون من المعاصي والجرائم بوازع
 نفسية راسخ فيها كما علم من إثبات النبوة والوحي فكيف يقترب آدم تلك
 المعصية مع كونه خالق في أحسن تقويم وأكمل صفة ؟ والجواب أن
 صاحب النفس الزكية تربأ به نفسه عن تعدد إتيان المنكر وارتكاب
 الفاحشه التي يعرف مضرتها وسوء عاقبتها وآدم لم يعتمد المخالفة بدليل
 قوله تعالى « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَنُوسٍ » ولم يكن عالماً بوجوه
 مضرتها لتنفّر فطرته منها بل كان يعتقد صدق الشيطان الذي وسوس إليه بأنها
 شجرة الخلد وملاك لا يبلى فهذا الاعتقاد دفعه عند نسيان النهي إلى الأكل

ليكون مظهراً لهذا النوع الذي هو أبوه وليعلم من بعده من ولده غير
المعصومين ما يجب على من عصى ربه من التوبة والإنيابة إلى الله تعالى
على أن في قصة آدم وجهاً في التأويل ، بأنها وردت مورد التمثيل ،
لإظهار طبيعة النشأة البشرية . في أطوارها التدريجية ، فالجنة والميش
الرغد فيها مثل لما كان عليه النوع البشري في طور السذاجة الأولى
وعصيان آدم وهبوطه هو وزوجه من الجنة مثل لدخول البشر في طور
المخالفات التي تجر عليهم الشقاء والبلاء . والتوبة والمفكرة مثل لطور
الكمال الكسبي والارتقاء المعنوي والعمل (سيأتي إيضاح ذلك في باب
التفسير المقتبس من مفتي الديار المصرية) .

(م ٩١) قصة داود عليه السلام ولع بالإسرائيليات بعض الذين اشتغلوا
بتفسير القرآن بالمأثور فألصقوا بالقرآن ما تلقوه من أهل الكتاب لأدنى
مناسبة ولولا ذلك لما كنا محتاجين إلى الجواب عن هذه الشبهة بعد
ما قررنا في الدرس الماضي الفرق بين ذنوب الأنبياء وبين المعاصي الحقيقية
التي عصمهم الله تعالى منها

القرآن مهيم على الكتب السماوية ، لأنه ثابت بالتواتر دونها فما
أثبتته فهو الثابت وما نفاه فهو المنفي . وقصة داود مع الخصب ليس فيها بحسب
نص القرآن إلا أن اجتهد داود اختلف في قضيتين متشابهتين فمرفه الله
خطأ الاجتهاد الأول بما عداه إليه في الثاني لأن خطأ الأنبياء في اجتهدهم
لا يقرؤون عليه كما تقدم في الدرس الماضي عن البيضاوي . هذا إذا كان
لقصة المرأة أصل وإلا فإن قضية الخصمين الذين تحاكموا إلى داود عليه السلام
ليست نصاً في أنه أخطأ في قضية أو تزوج امرأة بعد ما عرض زوجها

للاقتل أو غير ذلك مما يزعمون . القضية أن أحد الخصمين له تسع وتسعون
 نمجة والآخر نمجة واحدة فطلب الأول أن يضمها إلى نجاها وحاج
 صاحبها في بيان أن ذلك هو الصواب والأولى فعزّه وغلبه في الخطاب
 والكلام فحكم داود بأن صاحب التسع والتسعين ظالم وأن من شأن
 الخلطاء البنى . ولكن ختم النبأ بقوله تعالى : « وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ
 فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى
 وَحُسْنَ مَآبٍ » يدل على أن وراء القضية أو فيها هفوة لداود . ولقائل أن
 يقول : محتمل أن تلك الهفوة في نفس الحكم فإنه لا يبعد أن يكون الصواب
 ضم النمجة إلى القطيع لتحفظ وتأتي بالنسل وأن بقاءها عند صاحبها
 مضيمة لها فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية كما ورد في الحديث الشريف .
 واعتراف المدعي بأن خصمه عزّه في الخطاب دليل على أنه لم يطلبها إلا
 بحق وبمعرض كضمن المثل أو منفعة أخرى من اللبن أو النسل
 وفي البيض - اوى وغيره احتمال آخر في التأويل مروي وهو أن
 الذين تسوروا المحراب كانوا يقصدون اغتيال داود في يوم انقراذه
 فوجدوا عنده قوه ما فتصنعوا بالتحاكم فلم غرضهم وقصد أن ينتقم منهم
 ثم لم يجد مسوغا شرعيا فماتت نفسه وظن أن الله تعالى أراد ابتلاءه
 واختباره بذلك فاستغفر ربه مما تم به لأن ذلك ذنب بالنسبة إلى مقامه
 وإذا كان لقصة امرأة أوريا أصل فيجب أن يكون مطابقا لقضية
 الخصمين بأن يكون داود اعتقد أن امرأة جميلة في بيت جندي فقير
 حاف أسفار لا يعلم من تطلع السفهاء وتمرض الفجّار وأن الطريقة
 المثلى لصيانتها هي أن تكون في بيت النبوة والملك وأنه كلم زوجها في أن

يكفي ذلك ما تقدم وعنه في الخطاب ، لأن هذا هو الصواب ، وإنما استغفر
داود من ذلك لأنه ظن أن اجتماعه في أمر المرأة مشوب بشئ ومن ميل
النفس إلى كفالتها وأنه هذا الميل هو الذي رجح في نفسه الرأي الأول
بشليل أنه ظهر له خلافه في قضية تشابه الأولى ومثل هذا يمدده هؤلاء
الكلمة ذنباً وإن لم يكن فيه مخالفة لأمر الله تعالى وحيد عن شريعته .
ومن تأمل ما تقدم القصة وما تأخر عنها من الثناء على داود عليه السلام
علم أن القرآن يتنزه في حكمته وبلاغته أن يكون ذكر الفاحشة فيه محتفاً
بهذا الثناء والإطراء . ويقال إن تنازل الرجل عن امرأته لآخر ليتزوج بها
كان مشروعاً عندهم . وقد آثر الأنصار المهاجرين (رضي الله عنهم أجمعين)
بزوجاتهم فكان من عنده امرأتان يطلق إحداهما ليتزوج بها أخوه المهاجر .
وفي القصة روايات كثيرة في كل فرع من فروعها لا يعابها أهل العقل
ولا أهل النقل . فإن قبلنا منها شيئاً فلنقبل ما يوافق قواعدنا الثابتة كرواية
أن أورياً لم يكن متزوجاً بالمرأة وإنما كان خاطباً ورواية نهى الإمام علي
كرم الله وجهه عن التحديث بالقصة على ما يرويه القصاص ووعيده من
خالف بجند مائة وستين جلدة وذلك حد القرية على الأنبياء عليهم السلام
(م ٩٢) الشبهة الأولى على سليمان عليه السلام حاسب الله القصاص فلقد

شوهوا كتب التفسير بقصصهم ، استعرض سليمان نبي الله وملك بني
إسرائيل الخليل وهو نعم المبدؤ إذ عُرِضَ عليه بالمشي الصافيات الجياد .
فقال إني أخفيت حب الخير ، المقود بنواصي الخليل لا عن هوى نفسي
ولكن « عن ذكر ربي » ووجه الذي أمر برباط الخليل للدفاع عن الحق .
فما زالت تعرض « حتى توارت بالحجاب » فقال « دُؤِها علي » لأراها

مقبلة ومديرة أو لأختبر حالها . فقد قيل : إنه كان عالماً بها بأمرائها
أو لا تمتع بمسح سوقها وأعناقها فردوها عليه « فطَفِقَ مَسْحَ الْأَعْنَاقِ
وَالْأَعْنَاقِ » كما هو شأن محبي الخيل في كل جيل وزمان . فأى شبهة
شبهة في هذه الآيات على أن سليمان عليه السلام ترك صلاة العصر شغلاً
بالخيل حتى غربت الشمس وأنه انتقم منها بقطع سوقها وأعناقها . ولو كان
المسح هو القطع لكان قوله تعالى « فامسحوا برءوسكم وأرجلكم » بمعنى
اقطعوها . وأن قوله (ردوها علي) خطاب للملائكة الموكلين بالشمس
بأمرهم بردها بعد غروبها ليصلي العصر وأي حاجة لتطويل الفقهاء
البحث في هذه الصلاة هل هي أداء أم قضاء؟؟ ولكن هذا قضاء الله في
قوم اشتغلوا عن لباب العلم بلوك القشور ، ألا إلى الله تصير الأمور .

(م ٩٣) الشبهة الثانية على سليمان عليه السلام روي في تفسير قوله تعالى

« وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ذَا الْقَيْنَاعَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ » روايات مضطربة
متعارضة فإذا حكمنا علم الرواية فإننا نقبل رواية البخاري ومن واقعته
وملخصها أن سليمان قال : لأطوفن الليلة على أربعين امرأة (من نسائه) تأني كل
واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن إلا
واحدة جاءت بشق رجل فالتى على كرسيه عرضاً عليه وصي جسداً لأنه
ليس إنساناً كاملاً فكان ذلك فتوناً واختياراً من الله تعالى له فأناب إليه
وتاب أن مجرم بشيء دون الاستثناء بمشيئته فأين التمايل وعبادة الأصنام
ووثبان الشياطين على كرمي الملك وما أشبه هذا المذيان الذي روي؟؟

(م ٩٤) الشبهة على عصمة يوسف عليه السلام إن ما جرى ليوسف مع

امرأة العزيز كان قبل نبوته وليس فيما قصه الله تعالى علينا إلا أنه «مهم بها

لولا أن رأى برهان ربه» فيجوز أن يكون جواب لولا محذوفاً دل عليه ما قبله فتكون الآية ناطقة بأنه لم يهمل فبعض النحاة جوز تقديم جوابها أي أنه لولا رؤية برهان ربه لهم بها لتوفر الدواعي ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء فلم يهمل ولو فرضنا أن الجواب «لنفسها» وأن الهم وقع منه لكان لنا أن نقول إن الأنبياء ليسوا معصومين من حديث النفس ومراودة الشهوة البشرية ولكنهم معصومون من طاعتها والالتفات إليها ولولم توجد عندهم داعية إلى خطأ لما كانوا مأجورين على ترك المنكرات والمأضي لأنهم يكونون مجبورين على تركها طبعاً والمنين لا يؤجر ويثاب على ترك الزنا لأن الأجر لا يكون إلا على عمل والترك بغير داعية ليس عملاً وأما الترك مع الداعية فهو كف النفس عما تتشوف إليه فهو عمل نفسي

(م ٩٥) الشبهة على إخوة يوسف لا شك أن إخوة يوسف قد ارتكبوا

المصيبة المشتملة على عدة معاصي ولكنهم لم يكونوا أنبياء . وأما ذكر الأسباط فيمن أوحى الله تعالى إليهم من الأنبياء فالمراد به (والله أعلم) أنبياء الأسباط وهم فرق بني إسرائيل الاثني عشر قال تعالى « وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً انما » وقد بعث الله في كل أمة من هؤلاء الأسباط أنبياء وأوحى إليهم فعل الخيرات وهداية بني إسرائيل . وما رواه ابن جرير الطبري من استغفار يعقوب لهم في وقت السحر وتأمين يوسف عليهما السلام وأن الله استجاب له على رأس العشرين سنة من بعثته وأوحى إليه أنه غفر لهم « وعقد موثيقهم على النبوة » فهو غير صحيح هذا هو الحق في هذه القصص وقد انكشفت به الشبهة فينبغي أن يلحق للمسلمين في الدروس ويعلم للأطفال لكيلا يفتر أحد بما في كتب المهد

المتيق التي يسمونها التوراة وبما حشي في كتب قصص الأنبياء وبعض التفاسير من الإسرائيليات ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ وثنية في الإسلام ﴾

(نبذة من الجزء الثاني من كتاب أشهر مشاهير الإسلام الذي يطبع الآن)

« رأيت ما قاله عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار وهو قول لا تحب أن يفوتنا البحث فيه ، لهذا رأينا أن نقرده له هذا الفصل فنقول ﴿١﴾ أولع الإنسان بالإفراط ، كما أولع بالتفريط في كل شؤونه الروحية والجسمانية ، ولو أنصف واعتدل ولم يطلق لنفسه العنان ليلعب مقام الملائكة في أعلى عليين أو يهبط بها إلى مقر الشرور في أسفل سافلين لكانت السمادة الدائمة به ألزم وطريق النعيم الحيوي لديه أوسع ، ولما احتاج إلى كثير من هذه القوانين وقوامها وزعماء السيطرة وجنودهم والحكام وأعوانهم والسجون وحراسها ، بل ولكان اكتفى بدين واحد قويم وشرع إلهي مستقيم ولم يشوّه وجه الشرائع ولم يدع لتعدد الأديان وإرسال الرسل في آن وآن . -

أجل ، أولع الإنسان بالشطط حتى في المقائيد ، فبينما يكون هذا في طرف التفريط مارقاً من كل دين منكرّاً لكل نملة هائماً في المادة التي يتناولها حسه وينكر ما فوقها عقله يكون الآخر مسلماً لمقيدته بما لا يبعد طبعه عن طبيعته طالباً بخياله ما يظن له قدرة فوق قدرته وسلطة أعلى من سلطته وأول ما يلاقيه في طلبه يعلق بقلبه ويظنه منتجع عقله وانتهاء التي

(١) يريد قول عمر لكعب « ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخطبك فليك » وذلك حين استشاره في أمر قبة المسجد فأشار بحمل البصل إلى الصخرة

يطلبها في سيره فتولع به نفسه ويقوى فيه أملة ويختص به عمله فيغلو في عبادته غلو المادى في مادته حتى يساويه من طرف الأطراف بالتوجه تارة للأقار وأخرى للأشجار وآونة للأحجار ووقتاً للأرواح وآخر للأشباح إلى غير ذلك مما هو داخل في المادة قريب من تناول الحس . فكان العقل الإنسانى في حال الإيمان والكفر أسير المادة لا يفلت من شرك الحس ولا يذعن إلى ما فوق المادة ويصعد إلى أفق الكمال إلا هنيهة ريثما يتلقى برهان ربه بواسطة الأنبياء ويطمئن إلى التسليم بقوة إلهية تفوق قوى المادة وتعلو عن العقل وتتحكم على الكائنات تحكم الصانع المختار ثم لا يلبث أن ينحط عن هذه المرتبة فيعود إلى نحيزته الأولى للهبوط إلى هوة النقص والتوجه إلى مظاهر المادة ولو تدرجاً حتى يلتصق بالحضيض ويعود إلى الشرك وهو يظنه الإيمان ويخاله منتهى العبادة وإن من دين إلا أصيب أهله بهذا المصاب وأشركوا مع الله الأرواح تارة ، وأخرى الأنصاب . توصلاً إليه على زعمهم بالحس وارتياحاً إلى ما تحت النظر والعقل والله سبحانه وتعالى فوق ما يتصورون ليس من المادة ولا المادة منه بل هى مخلوقة له مفتقرة إليه وليس بينه وبين خلقه سبب منها يتوصل به إليه بل هو كما قال في كتابه الكريم (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) الآية ومن الثابت أن العرب كانوا على دين إبراهيم الذى هو كباقي الأديان الإلهية دين التوحيد بالله والإيمان بأنه تعالى خالق الكون وما فيه وإنكار ما دون ذلك من الاعتقاد بشيء من المادة ومن التمسك فى العمل بأهداب الشرك ولكن لم يلبثوا أن تدرجوا فى مدارج المادة وهبطوا إلى حضيض

للشرك وتدرجوا من الاعتقاد بالأرواح إلى الاعتقاد بالأشخاص ثم إلى الاعتقاد بالأنصاب والأحجار وغير ذلك مما هو داخل في المادة واقع تحت الحس وهم مع ذلك كانوا يزعمون أنهم مؤمنون لا مشركون وأنهم بعبادة المادة يعبدون الله ويتقربون بها إليه كما أخبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى « ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وهذا من الإغراق في الجهل والانحطاط في العقيدة والإفساد لأصل التوحيد ولم يكن هذا الإفساد قاصراً على العرب فقط بل عمّ سائر أرباب الأديان مما لا محل لبسطه الآن

إذا تمهد هذا علمنا أن الإسلام بما جاء به من آيات التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك إنما جاء لاستئصال شائبة الوثنية من نفوس العرب وغيرهم من أرباب الأديان بتحو شائبة الاعتقاد بأي أثر من آثار المادة وصرف النفوس عن التوجه إلى تلك الآثار بالحس لتتوجه إلى واجب الوجود بالضمائر والاكتفاء باستحضار هيئة جلالة في القلب وتمكين الاعتقاد بأن الأثر الواقع تحت الحس إنما يقوم قوامه بالوثر المستحضر في الضمير الخارج عن الحس إذ بغير هذا لا يقوم للتوحيد أثر متين في النفس ينجي من مزلّة القدم إلى الوثنية المفضية إلى الشرك المؤدى إلى الجحود وإنما الإنسان مادة وهذه أعراض منها تنمو وتكبر في النفس مادامت النفس مستشعرة بشيء من وجوب التعظيم لغير الله تعالى والتوجه لأي أثر من آثار المادة وساء منقلب الظالمين

هذا هو التوحيد الذي جاء به الإسلام ودعا إليه النبي محمد عليه الصلاة والسلام وإنما اضطربت العقول وساءت الأوهام لتفاوت الأفهام وتباين مراتب المسلمين في العلم بحقيقة الدين والإحاطة بأسراره والتوقف

على جميع مقاصده حتى على عهد الرسالة وإليك الدليل
أخرج الإمام أبو الفرج بن الجوزي في سيرة العمريّة عن المعرور بن
سويد قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب في حجة حجبها قال فقرأ بنا في
الفجر « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » « ولا يلاف قريش » فلما
انصرف رأى الناس مسجداً فبادروه فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجد
صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هكذا أهلك أهل الكتاب
قبلكم اتخذوا آثاري أنبيائهم بيماً . من عرضت له فيه صلاة فليصل ،
ومن لم تعرض له صلاة فليمض .

فلو كان أولئك المصلون يومئذ في مرتبة عمر في العلم واستشعروا من
إقبالهم على ذلك المسجد للصلاة فيه تعظيماً له كما استشعروا به عمر رضي الله
عنه وعنهم أجمعين لما بادروا للصلاة فيه إلا إذا عرضت لهم صلاة ، ولا
جرم أن أعظم الناس فهماً للإسلام وعلماً بفواضل الدين ووقوفاً على مقاصد
النبوّة المحمدية وما كانت تدعو إليه من التوحيد البحت الخالي عن كل
شائبة من الشوائب التي مرّ ذكرها ، هم أهل السابقة من المهاجرين الأولين
الذين تلقوا الدين آنحفاً كان ينزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لدن البعثة ولأزموا الرسول ملازمة الظل فاكتموا سرّ شريعته
وأدركوا مراعى غرضه وقلدوه في أعماله وأقواله واتبعوا منهجه واهتدوا
بسيرته فتفوقوا على غيرهم في العلم بالدين وعرفوا حقيقة التوحيد ، ومن
هؤلاء من هم في المرتبة الأولى في فهم مقاصد الإسلام ، ومنهم عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ومن تتبع سيرته وأمن النظر في أقواله وأفعاله
وانطباقها على الكتاب الكريم ونهج السنة القويم ، علم ما هو التوحيد

الذي أرشد إليه الإسلام وعرفه أولئك الصحابة الكرام ، فأراحوا أن يحجروا به كل أثر من آثار الوثنية عن صفحات الضمائر والقلوب وحسب الماقل دليلاً على هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الأحبار لما أشار عليه بحمل المصلى إلى الصخرة : « لقد ضاهيت اليهودية يا كعب إلى قوله : اذهب إليك ^(١) » فإننا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة » وقد مرّ الخبر في الفصل السابق نقلاً عن الطبري ، ولأجله عقدنا هذا الفصل ليكون به عبرة وذكرى لقوم يعقلون .

تقدم معنا كيف تدرّج العرب إلى الوثنية حتى أنسوا بلبس الأحجار وعكفوا على عبادة الأصنام وأن أصول التوحيد عند أرباب الأديان كلها أنسنت تدرّجاً كما حصل في دين العرب وإنما كان مبدأ هذا التدرّج الاستسلام للشعور بوجوب تعظيم مظهر من مظاهر المادة يظن أن له صلة بما فوق المادة كالعابد مثلاً ثم يأخذ هذا الشعور ينمو ويتعدى المظهر الأول إلى غيره ويتدرّج في أطوار التعبد له حتى تنقلب صورة التوحيد المرتسمة على صفحات الضمائر إلى صورة من صور المادة متجسمة للحس ويستحيل الإيمان بالله واحد فوق المادة إلى آلهة شتى كلها من المادة أولها صلة بها وهذا هو الشرك التام الجليّ ومبدؤه ذلك الشرك الخفيّ ولم تكن دعوة الإسلام قاصرة على استئصال الوثنية فقط ، بل كان من مقاصدها الأولى والغايات التي ترمى إليها بل من أولها بالاهتمام وأجدرها بالعناية تطهير النفوس من كل أثر من آثار ذلك الشعور الفاسد ولو أشبه بدقته دقة الجرثومة الحية التي لا ترى إلا بالنظارة المكبرة إلا أنها إذا وجدت

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في تاريخ الطبري بهذا اللفظ ولعلها إليك عنى أنه من الأصل

منبتاً صالحاً لها تولد عنها مالا يحصى من الجرائيم في بضع ثوان ، فمن قال بخلاف ذلك أو ظن أن الإسلام يتسامح في تلك الجزئيات أو يبيع تعظيم أي مظهر من مظاهر المادة تعظيماً دينياً فقد أخطأ ونسب الصبب إلى دين الله لهذا . ولما أشرب قلب عمر (رض) من التوحيد الحق الصادق لم يتسامح مع كعب الاحبار حتى في خلعه فعليه عند دخوله المسجد الأقصى وأخذه على عمله ذلك كما أخذه على رأيه في جعل المصلى إلى الصخرة كما رأيت وسترى من أخباره بهذا الصدد إن شاء الله .

هكذا كان فهم كبار الصحابة للدين ، ومن أممن النظر في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه في إحدى خطبه التي مرَّ إيرادها في هذا الكتاب وهو « ان الله لا شريك له وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره » يعلم كيف كان أولئك الصحابة الكرام يعلمون الناس التوحيد ويقتلون من أعماق قلوبهم أصول الشرك ورحم الله امرءاً حاسب نفسه وعرف دينه وتأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ونبذ بدع النفوس وأهواءها وتكذب مواضع الزال ومواقف الخطل وسوء الفهم والله ولي الرحمة وهو القاهر فوق عباده . اهـ

﴿ باب شبهات المسيحيين وحجج المسلمين ﴾

نشرت مجلة بشار السلام الانجيلية في الجزء الرابع عنها نبذة في الطمن بالمسلمين عامة وبأكابر الصحابة الكرام خاصة وذلك أن عابثهم وعابت دينهم بالرجاء لفضل الله والخوف من الله ، وهذا مبالغ القوم من

العلم بالله وبدين الله - أثبتت « أن كثيرين من المسلمين يموتون على بساط الرجاء بدخول الجنة والتنعم بنعيمها بناء على ما لهم من المواعيد الكريمة في قرآنهم » إلى أن قالت : « وما علة ذلك سوى جهلهم حقيقة أنفسهم وكلمات الباري تعالى » ثم قالت مستدركة : إن أولى العلم والذكاء من المسلمين غالوا في النسك والتعب والصلاة والابتهال إلى الله تعالى وجمعت علة هذه العبادة أنهم لم يجدوا ما يريح نفوسهم من الشهور بشغل حمل خطاياهم . واستشهدت على المماول دون العلة بكلام في الخوف من الله عن أبي بكر الصديق وعلى بن أبي طالب وسفيان الثوري وعدت سفيان من الصحابة وما هو من الصحابة ولكن العلم ليس شرطاً للقول عند هؤلاء المشاغبيين وفي العبارة أيضاً تحريف وليست الأمانة من شروط النقل عند هؤلاء المبشرين وما لنا وللبحث في الروايات التي نقلتها وبيان التخريف ، وصنف الضعيف ، نضرب عن ذلك صفحاً وعن المبارات التي أساء بها الكاتب الأدب مع هؤلاء الأئمة الذين يفتخرون بهم النوع الإنساني ، ولو صدق المسلمون هذه الكتب التي تسمى التوراة وسمع لهم دينهم بتفضيل أحد على الأنبياء لكان لهم من التاريخ ما يفضلون به هؤلاء الأئمة على أنبياء التوراة إذ لم ينقل عن واحد منهم مثلاً نقل القوم عن أنبياءهم من القسوة والظلم والسكر والزنا وسفك الدماء برأى الله مما قالوا . نقض الطرف عن هذا ونبين للقراء أن الغرض من ذم الخوف والرجاء اللذين هما الركنان لكل دين صحيح هو تقرير قاعدة إبادة الممادى والشرور التي هي المنوان لبشارتهم والجاذبة إلى دياتهم ، وهي أن النجاة في الآخرة من المذاب والحياة الأبدية في الملكوت إنما يحصلان باعتقاد أن الإله لم يجد وسيلة لنجاة البشر

من ذنب أبيهم آدم إلا بخلوله في جسم إنسان وتسلط طائفة كانت أفضل
الشموب عليه وصلبها إياه وصيرورته ملعونا بحكم الناهوس والشريرة !! فن
أطفأ مراح عقله وأفسد فطرة نفسه وسلم بهذه القاعدة فهو الناجي الذي يرت
الملكوت الأعلى وإن قتل وزنا وسكر وأكل أموال الناس بالباطل وظلم
المباد وكان آفة العمران . ولذلك صرح الكاتب الذي لا أقدر أن أصفه
إلا بكونه مبشراً داعياً إلى هذه المقيدة بأن سبب خوف أبي بكر وعلى
وسفيان من الله هو جهلهم بقاعدة الفداء ، يعني أنهم لو عرفوها وصدقوا بها
لكانوا أشوا آمنين من مكر الله وعذابه يسرحون ويمرحون في أهوائهم
وجظوظهم . والحاصل أن المسلم الذي يغلب عليه الرجاء بفضل الله ووعدده
الحسنين بالنعيم جاهل ضال ، والذي يخاف الله هيبته وتمظيماً أو لاتهام
نفسه بالتقصير في الأعمال الصالحة النافعة للناس وفي المعارف والكمالات
الزكية للنفس ، فهو جاهل ضال . وأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
من غير تفرقة بينهم وتهذيب الأخلاق وإصلاح الأعمال كل ذلك لا ينفع
المسلم الصادق ولا يفنى عنه شيئاً ، فاحيلة المسلم المسكين إذا ابتلاه الله
تعالى بسلامة الفطرة ونور العقل فلم يقبل تلك القاعدة التي تفصّي منها الدين
تربوا عليها تقايدياً لما عقلوا وميزوا . على أن كتب القوم لا تخلو من
نصوص تدل على أن رسالهم ومقدسيهم كانوا يخافون من الله تعالى
ويرجون رحمته لأنهم لم يكونوا إناحيين بل كانوا قوماً صالحين
إن القرآن الحكيم علمنا بأن دين الله تعالى واحد في جوهره ، وأن
جميع الأنبياء وصالحى المؤمنين بهم كانوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه
عن صفات الخواث وإفراده بالمعبادة والخوف الزاجر عن المعاصي والشرور

والرجاء الباعث على الخير والصلاح وإننا نرى جميع عقلاء المسيحيين يوافقوننا على هذه القاعدة ويودون أن يهتدى إليها دعاة كل دين ورؤساؤه ليكون الدين كما شرع الله سعادة للبشر ، لا وبالا وشقاء عليهم ، ومشاراً للخلاف والشحناء والبغضاء بينهم

وقد ذكر الإمام الغزالي أنواعاً للخوف كخوف الموت قبل التوبة وخوف نقض التوبة ونكث العهد وخوف ضعف القوة عن الوفاء بالحقوق وخوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة وخوف الميل عن الاستقامة وخوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة وخوف الغرور بالحسنات وخوف البطر بكثرة النعم وخوف الاشتغال عن الله بغير الله وخوف الاستدراج بثواتر النعم وخوف انكشاف غوائل الطامعات بأن يبدو للمرء ما لم يكن يحتسب وخوف تبعات الناس عنده في نحو غيبة أو خيانة أو غش أو إضرار سوء وخوف ماعساه يطرأ عليه في مستقبله وخوف نزول البلاء وخوف الاغترار بزخرف الدنيا وخوف اطلاع الله على السريرة في حال الففلة وخوف سوء الخاتمة ويمكن استنباط أنواع أخرى وأعلى الخوف خوف المهابة والإجلال لله عز وجل . وكل ذلك من الذنوب عنده مؤلاً للبشرين

﴿ القسم العمومي ﴾

﴿ الإسلام في انكلترا ﴾

رأينا في كرامة سياسية تسمى (ديبلوماسيك فلي شينس) أى المنشورات السياسية لشهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٨٧ مقالة بامضاء المستر جورج كرواشي أحد أعضاء البرلمان الانكليزي أخذنا منه ما يأتى تعرييه وهو

الإسلام دين لا يبتدع أحكاماً ولا يبتدع للوحي أساساً جديداً

ولا يوصى بغير معهود ليس له كهنوت خاص ولا رئاسة كنسية ولكنه
يسن للملة شرعاً وللدولة قانوناً يكون تنفيذها باسم الدين ، هذا ما قاله
(داود أرقوهارت) في المجلد الأول من كتابه المسمى بروح الشرق في
الصفحة الخامسة والعشرين من مقدمة طبعته الثانية سنة ١٨٣٩

إن حقيقة الإسلام التي أباط الحجاب عنها أولاً من اشتهر بروح
الشرق وأبرزها للمرتابين من الغربيين لم تزل تزداد وضوحاً منذ كشفها
حتى تجلت اليوم بنفسها على وجه لم يبق معه إلا كاذب المفتراة على
الإسلام مبدل لسلطانها على النفوس فيما بعد ذلك التجلي الباهر كان
فيما ألقاه القسيس (اسحق طيلر) من خطابه في المحفل الديني ، صدق
أرقوهارت في دعواه أن حقيقة الإسلام أمر مسلم عند كثيرين فالنبلاء
الكرام (بالكراد) و . ميري . و . راولنسون . و . لا يارد . و . رولاند
و . ستانلي أوف الدرلي . و . ديشانسكي وقوم آخرون من قبيلهم
شاركوه في البصيرة وصدقوه فيما قرره وكل مسافر عاشر الأقوام
المحمدية وأنس إليهم فله عنهم خبر محمود ومع ذلك كله نرى الجمهور في
انكلترا لم تزل آراؤهم في مواقفها الأولى كانت الحقيقة في احتجاجهم عن
أنظار العامة لأن أكثر أهالي انكلترا مصروفون إلى النصرانية عن
النظر فيما سواها وتوارثوا فيها عصبية تظهر لهم في شعار الدين أما الآن
وقد قام قسيس محترم من البيعة الإنكليزية يصدر بهذا الحق فلا بد أن
يؤيد إلى قوله ويدعي له ملايين ممن كانوا يحملون أصابعهم في آذانهم
وأسنون عن مقالات قوم يعدونهم سيئاً حينئذ في تفلسفهم

هذه الحقائق مما لا يقبل الإنكار وإنما كان الإشكال في طريق

اجتلاب الخواطر إليها حتى تحتلها وحيث زال هذا الإشكال بهبة أحد القسيسين المحترمين فالغاية المطلوبة أصبحت مما لا يشك فيه مasher الدين قبلوا نصيحة داود ارقو هارت . ليس السعى لبيان أن الإسلام مما يمكن احتماله فقط بل لم نزل نطلب أن يكون من النفوس في مكانة الاحترام وقد استيقنا الآن أن رجاءنا المرجأ قد تحقق ومدعانا الحق قد سلم به . لا ينبغي أن يظن أننا نحسب دين الاسلام مخالفاً للدين المسيحي فذلك مما لم يخطر لنا ببال قط وقصاري ما نقول إن الغاية من كل دين إنما هو العمل الصالح والمسلك المستقيم واسنا نحكم على أبناء جنسنا إلا كما قال المسيح عليه السلام « بشمرا تهم تعرفونهم » وحيث استمسكنا بهذا الأصل قلنا أن نجهر بأن المعتقدين بالدين المسيحي في هذه الأوقات ليسوا بمنزلة يفضلون بها على المسلمين . هذا الحق ننادى به ونحن على يقين منه ونحت الذين يقولون إنا نصارى على أن يضموا الإسلام في منزلة تنطبق على الواقع ونفس الأمر فإن استطاعوا أن يدحضوا حججتنا بالبراهين الساطعة فليعملوا على مكائدهم وإني لم يفعلوا ولن يفعلوا فإيكن نظرم إلى الإسلام على حد ما يتنا مناسباً للحقيقة الواقعية ولينصفوا الإسلام ذلك الدين القيم الذي هو نظام لم يشه قسم عظيم من أمم كريمة كثيرة العدد من النوع البشري مما يهيم الشعب الانكليزي خاصة أن يتخلصوا من أطوار التعصب التي لا تنحصر آثارها في إلحاق المار بهم فقط بل تمتد إلى جانب المضرة عليهم أيضاً لأن الحضرة الملكة ملابن من رعاياها . كما هم مسلمون ونحن في مقام على أحد جانبيه دولة الروسية وعلى الجانب الآخر الدولة العثمانية ولا يمكننا أن نزع عدم المبالاة بعقائيل الحروب التي قامت على سوقها

بين هاتين الدولتين من أمد بعيد ، وإلى الآن لم تضع أوزارها وضمناً حقيقياً . إن الدولة الروس لا يمكنها أن تكون في حرب مستمرة لكنها لا تراعى ما تكلف به من شروط السلام . ولا يزال وكلاؤها الخفيون مشتغلين بالعمل (كذا) وما من زمان إلا والحذرفي من الروسية ضروري للباب العالي وهذا مجموع أحوال توجب على دولة الانكليز أن تسأل نفسها آناً بعد آن : هل لنا أن تقاوم الروسية أو ندعها وشأنها ؟

كل وجه من وجوه السياسة يتعلق بسلامة الدولة الانكليزية وبقائها ، يرشدنا إلى الاعتراف لزوم عقد معاهدة مع الدولة التي لم تضرنا قط وفتحت فرصتها لتجارنا وأبواب بلادها لأشغالنا أما الصيحة الفارغة بأن الروسية دولة نصرانية وندوة العثمانية دولة محمدية فقد كان لها إلى الآن أسوأ الأثر في إعماء عقولنا وخطائنا في سياستنا ، فلأخذ من الآن بأصل صحيح وهو أن نعلق الحكم بالأعمال لا بالمقائد فإنه ليس خاصاً بالأفراد بل كما يكون بها يكون بالأقوام والدول أيضاً ، فإن قاربنا بين ررسيتهما النصرانية وبين العثمانية المحمدية لم يشك في أن المعاهدة مع العثمانية هي التي تظهر أفضليتها عند الحاكمين بالحق أجمعين وإذا ذكرنا المعاهدة العثمانية فلا نستعمل اللفظ فيها بمعناه السياسي أو تركيبه الدبلوماسي ولا ينبغي أن يفهم ذلك من كلامنا إنما المعاهدة التي كنا نجتهد في إعدادها لسنين طويلة كانت معاهدة مبنية على شروط مساواة مؤسسية على الاحترام من الجانبين وظهر لنا في الأزمان الماضية أن يكال مثل تلك المعاهدة من المحال . أما الآن فلا نقول إنها من قبيل الممكن التأتى فقط بل صارت من قبيل ما بالقوة القريبة من الفعل

﴿ تنمية الاجتماع ٢ الجمعية أم القرى — الداء أو الفتور العام ﴾

أجابه (المرشد الفاسي) إننا كنا على عهد السلف الصالح وشريعتنا سمحة واضحة المسالك معروفة الواجبات والمناهي فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة لكل مسلم ومسئلة وكنا في بساطة من العيش متفرغين لذلك ثم شغلنا شأن التوسع فخصصنا لذلك محتسبين ثم دخل في ديننا أقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا الاكتساب مكان الاحتساب وحصروا اهتمامهم في الجباية وآلها التي هي الجندية فقط فبطل الاحتساب وبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعاً فهذا يصاح أن يكون سبباً من جملة الأسباب ولكنه لا يكفي وحده لإيراث ما نحن فيه من الفتور. على أن انحسار مهمة الأمراء الدخلاء في الجباية والجندية أدى بهم إلى إهمال الدين كلياً ولو لا أن في القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهرياً أحدهما قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) مع الغفلة عن المراد بكلمة (أولى) وما تقتضيه صيغة الجمع وما يقتضيه قيد منكم . والثانية قوله تعالى (وجاهدوا في سبيل الله) مع اغفال بيان الجهاد المأمور به هل هو ما يكون به اعزاز كلمة الله أم ما تؤدي به سلطة الأمراء العاملين على الاطلاق ؟ فإهمال الاهتمام بالدين قد جر المسلمين إلى ما هم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية ولم يبق له عندهم أثر إلا على رؤس الألسن لاسيما عند بعض الأمراء الأعاجم الذين ظواهر أحوالهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم لا يترأون بالدين إلا لقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الأمة . كما أن ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم مشركون ولو شركاً خفياً من حيث لا يشعرون فإذا أضيف إلى شركهم هذا ما هم عليه من الظلم والجور يحكم عليهم الشرع والعقل بأن ملوك الأجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين لأنهم أقرب إلى العدل وإقامة المصالح العامة وأقدر على عمارة البلاد وترقية العباد وهذه هي حكمة الله في نزع الملك من أكثرهم كما يقتضيه مفهوم « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » (١) وقد افتخر النبي عليه السلام بأنه ولد في زمن كسرى انوشروان عابد الكواكب (٢) فقال : « ولدت في زمن الملك العادل » (٣)

- (١) الظلم هنا الشرك (٢) يظن أن اتخاذ الشمس إلى الآن شارة للملك في إيران وكذلك اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك هو من بقايا دياناتهم الأولى (٣) الحديث موضوع باطل وإن استشهد به بعض العلماء الأغلام ومنهم من هجى الاسلام

وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الإسلامية أنه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسي) بغداد سنة (٦٥٦) أمر أن يستقى علماءها أي الرجلين أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر؟ فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب حيث كان رضى الدين على بن طاووس حاضراً وكان مقدماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : إني أظن أن السبب الأعظم لمختنا هو انحلال الرابطة الدينية لأن مبني ديننا على أن الولاء فيه لعامة المسلمين فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشؤون العمومية رؤساء دين سوى الامام إن وجد وإلا فالأمر يبقى فوضى بين الجميع وإذا صار الأمر فوضى بين الكل فبالطبع تختل الجامعة الدينية وتتحل الرابطة السياسية كما هو الواقع . ومن أين لنا حكم (كبسمرك) أو ملزم (كفار بالله) يوفق بين أمرائنا أو يلزمهم بجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية أيضاً فان المسلمين في غير جزيرة العرب ليف اخلاط دخلاء وبقايا أقوام حتى لا تجمعهم جامعة غير التوجه إلى هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف أنه لولا رؤساء الدين في سائر الملل وروابطهم المنتظمة المطردة أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة أو مديري ومعلمي المدارس الجامعة المتحدة المبادئ لصاعت الأديان وتشعبت أخلاق الأمم ونالهم ما نالنا من كون كل فرد منا أصبح أمة في ذاته .

أجابه (المحقق المدني) أن فقد الرابطة الدينية والوحدة الحلقية لا يكفيان أن يكونا سبباً للفتور العام بل لابد لذلك من سبب أعم وأهم . ثم قال أما أنا فالذي يحول في فكري أن الظامة هي من تشوش الدين والدنيا على تعامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله . وذلك أن الدين إنما يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيمهم في الأمة مقام الأنبياء في الهداية إلى خير الدنيا والآخرة . ولا شك أن مثل هذا المقام في الأمة شرفاً باذخاً يتعاطى على نسبة المهيم في تحمل غنائه والتفاني بأعبائه . فبعض ضعيفي العلم وفاقدي العلم تطلعوإ إلى هذه العزة التي هي فوق طاقتهم وحسدوا أهلها المتعاليين عنهم فتجملوا للمراحمه والظهور في مظهر العفء ، تعظموا بأذغراب في الدين ، وسلوك مسلك الزاهدين ، ومن العادة أن يلجأ ضعيف العلم إلى التصوف كما يلجأ

فأخذ المجد إلى السكر وكما ياجأ قليل المال إلى زينة اللباس والاثاث (مرحى
فصار هؤلاء يتعالمون يدلسون على أسهمين بتأويل القرآن بما لا يمتثل له حكم المظهر
الكريم فيفسرون التسملة أو البناء منها مثلاً بسفر كبير تفسيراً ملوفاً بانط لا معنى
به أو تحكم لا يبرهان عليه ثم جاؤا الأمانة بوراثة اسرار ادعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها
وتسبم مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها . وبالأمعان
تجدهم قد جاؤا مصداقاً لما ورد في الحديث الصحيح « لتبعن سنن من قبلكم شراً
شبر وذراعاً بذراع - وفي رواية : حذو القذة بالقذة - حتى لو دخلوا جحر شيب
تبعتموهم قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال هو مني ؟ » . وذلك ان
هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هنالك كله أو جله عن أصحاب اليهود وتفسيرهم ومن
المجامع المسكونية ومقراتها ومن البابوية ووراثة السر ومن مناهاة مقامات البطارقة
والكردينالية والشهداء واسقفية كل بلد ومظاهر القديسين وعجائبهم والدعاة المبشرين
وصبرهم والرهبنة ورؤسائها وحالة الاديرة وبادريتها والرهبنة أى التظاهر بالفقر
ورسومها والحمية وتوقيتها ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم في ألبستهم وشعورهم
ومن مراسم الكنائس وزينتها والبيع واحتفالاتها والترنحات ووزنها والترنحات
واصولها وإقامة الكنائس على القبور وشد الرجال لزيارتها والاسراج عليها والخضوع
لديها وتعليق الآمال بسكانها . وأخذوا التبرك بالآثار كالتدح والحرية والستار من
احترام النخيرة وقدمية العكاز وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر بعض
الصالحين من امرارها على الصدر لاشارة التصليب . وانتزعوا الحقيقة من السر
ووحدة الوجود من الحلول والخلافة من الرسم والسقيا من تناول القربان والولاد
من الميلاد وحفلته من الاعياد ورفع الاعلام من حمل الصليان وتعليق ألواح الأسماء
المصدرة بالندامة على الجدران من تعليق الصور والتماثيل واستفاضة والمراقبة من
التوجه بالقلوب انحاء أمام الأصنام ومنع الاستهداء من نهوض الكتاب والسنة
من خطر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم وصمد اليهود باب الأخذ
من التوراة وتمسكهم باليهود إلى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليداً لهؤلاء شراً
شراً واقفاء لأثرهم بالدخول حيث دخلوا جحراً جحراً وهكذا إذا تتبعنا البدع
الطارئة نجد أكثرها مقتبساً وقليلها مخترعاً .

وقد فعل المدلسون ذلك سحراً لعقول الجهلاء واختلاباً لقلوب الضعفاء كالنساء

وذوى الاهواء والامراض القلبية أو العصبية من العامة والأمراء السلسى القياد طبياً إلى الشرك لأن التعبد رغبة أو رهبة لما بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب إلى مداركهم من عبادة إله ليس بجوهر ولا عرض وليس كئله شئ ولأن التعبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع كما وصف الله تعالى عبادة مشركى العرب فقال « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أى صغيراً وتصفيقاً وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقاً وشبهقاً وخلاعة ونميقاً (مرحى) .

والخاصل انه بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ولا سيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالتقدير وباسمائهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتعسف الشيطاني وبتزيينهم لهم رسوماً تميل إليها النفوس الضعيفة الحاملة سموها آداب السلوك ما أنزل الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابى ولا تابعى ظاهرها فادب وباطنها تشريع وشرك ويجذبهم إليه الجاهلين بتعصب الدين من طريق العلم والاصل بظاهر الشرع وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم وباصحاب القبور . وقد تجاسروا على وضع أحاديث مكذوبة أشاعوها في مؤلفاتهم حتى التبس أمرها على كثير من العلماء اخلصين من المتقدمين والمتأخرين مع أنها لا أصل لها في كتب الحديث المعتبرة . وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب أما الترغيب فبالاستفادة من الدحول في الرابطات والعصيات المنعقدة بين اشياعهم وأما الترهيب فبتهديدهم مناوئهم أو مسيئى الظن بهم باضرارهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم صرراً يتعجلهم في دنياهم قبل آخرتهم . (مرحى)

وقد قام هؤلاء المدلسين اسواق في بغداد ومصر والشام وفسان قديماً ولكن لا كسوقها القام في القسطنطينية منذ أربعة قرون إلى الآن حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات كأنها هي دس معظم أذهانها لا الإسلام وكأنهم لما ورثوا عن الروم الملك حرصوا على ان يورثوا طوائفهم أيضاً حتى توسع في هذه الممارع السيئة فاقبس لهم المدلسون كثيراً مما يدرسه الميموه على الناس وإن كان الدين يباه ويربته لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وآدابه وعن هذه العواصم سرى ذلك إلى الاتفاق بالعدوى من الأمراء إلى العلماء الأغبياء إلى العامة .

فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم^(١) تقوداً عظيماً به تشبه كثيراً في الدين وبه

(١) السحر لغة إخراج الباطل في صورة الحق بالتقية والتداع . والسحر

جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للباطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطبائين الذين ترد من دوى طبولهم قلوب المتوهمين وتكفهر أعصابهم فيتلبسهم نوع من الخبل يظنونه حالة من الخشوع . وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم وبه جعلوا ربع أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم مما نسمى في البلاد العثمانية (دعاكوا وطعامية) (مرحى) . وبذلك ضاق على العلماء الخناق لا رزق ولا حرمة وكفى بذلك مضيقاً للعلم والدين لأنه قد التبس على العامة علماء الدين بالفقراء الأدلاء من هؤلاء المدلسين الأغنياء الأعزاء فقشوش عقائدهم وضعف يقينهم فضيع الأكترون حدود الله وتجاوزوها وقعدوا قوة قوانين الله ففسدت أيضاً دنياهم واعتراهم هذا الفتور .

أجاب (المولى الرومى) إن كل الديانات معرضة بالتمادى لأنواع من التشوش والفساد ولكن لا تفقد من أهلها حكماء ذوى نشاط وعزم ينهون الناس ويرفعون الالتباس أو يعوضون قواعد الدين إذا كان أصابها واهياً (لامتينا كقواعد الإسلام) .

قوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم ويتحملون في سبيل ذلك ما يتحملون من المشاق خدمة لأفكارهم السامية ويبدلون ما عز وهان حفظاً لشرفهم القائم بشرف قومهم بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتاً متحركين في أيدي أقوام آخرين . ولقد أثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق أن المنشأ الأصلي لكل فساد في أخلاق العباد والنبت الأول لكل شقاء في بني حواء هو أمر واحد لا ثانى له ألا وهو وجود السطة القانونية منحلة ولو قليلاً لفسادها أو لفلبة سلطة شخصية عليها من فرد أو أكثر فما بال الزمان يضئ علينا برجال ينهون الناس ، ويرفعون الالتباس ، يفتكرون بحزم ، ويمهلون بعزم ، ولا ينفكون . حتى ينالوا ما يقصدون ، فينالوا حمداً كثيراً ، وغرراً كبيراً ، وأجرأ عظيماً ؟ وعندى أن داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين .

وهنا نبه السيد الفراتى الأستاذ الرئيس إلى قرب وقت الانصراف عندئذ جهر

= الذى جاء فى الشرع ليس غير هذا بدليل وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون فى قوله جلّت حكمته « فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم » وقوله « فإذا جبالهم وعصهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى »

(الأستاذ الرئيس) بشعار (لا نعبد إلا الله) تنبيهاً للاخوان وقال لهم ان أخانا المولى الرومى لقارس مغوار يحب ماعودنا من التفصيل والاشباع والان قد آن وقت الظهر وحن أن تفرق لتدرك الصلاة وموعدا غداً إن شاء الله تعالى .

باب التربية والتعليم

قانون التعليم الرسمي والجمعية العمومية

كان كل مصرى يسى الظن بكل عمل يحرى على أيدى المحتلين فما زالت الأعمال تنقض وتبرم وتمحو وتثبت حتى اعترفوا أن كثرون بأكثر نتائج الأعمال الاصلاحية النافعة في الري والمالية والإدارة والسياسة ولولا أن أكثر الناس أو كل الناس غير راضين عن سير نظارة المعارف لاعترفوا أجمعين بحسن نية المحتلين وأرادتهم الخير للبلاد وأهلها وأيس هذا مقام بسط هذه المسألة ولكن هذه الكلمة تهديد ما يأتي وهو ان سخط الناس من سير نظارة المعارف في التعليم جعل شأناً عظيماً لاقتراح توجيه الفاضل أمين بك الشمسى على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة عرض قوانين التعليم « بروجرامات » ومذشورات المعارف على مجلس شورى القوانين ومجلس النظار . وتوقع الناس أن تقبل الحكومة هذا الاقتراح بمقدار ما لهم من حسن الظن فيها وما كانوا ينتظرون أن يدافع صاحب السعادة ناظر المعارف الجمعية العمومية ويناضلها فزال بنى ثعلب ليدفع عن نظارته هذا الاقتراح لأنهم يعتقدون أنه مستريح من أعمال المعارف لثقته بأمين أسرارها العامل الدائب المستر دنلوب ومناظر الموظفين تحت يده ولأن من شأن الوثائق بحسن عمل ينسب إليه حقيقة أو عرفاً بالذات أو بالواسطة أن يحب عرضه على الناس ويسعى في توجيه أنظارهم إليه لا سيما إذا كان الغرض من العمل المنفعة العامة وكان تهد الناظرين فيه من أسباب ترقيه واتقانه كنظام التعليم ولكن الناظر جاء بما لم يكن في الحسبان ولا نخوض في تحليل ذلك مع الحائزين ولكننا نبحت في دفاعه وتعليقه في مناقشة الجمعية العمومية في جلسة ٦ ذي الحجة سنة ١٣١٩ ونختصر ما نورد من المناقشات غالباً ونحذف الألقاب الرسمية فنقول :

عند ما عرض اقتراح الشمسى بين الناظر للجمعية كيفية وضع قوانين التعليم

(البروجرامات) وهو أن نظار المدارس ومختشيها يقدمون في آخر كل سنة مكنة تقارير عما يرونه في نظام التعليم فتبحث فيه اللجنة العلمية المؤلفة من كبارهم وتقدم تقريره عليه منه إلى مجلس المعارف الأعلى فيبحث فيه ويقدم ما يراه منه إلى مجلس النظام (قال) : « والذي يتقرر بسدر الأمر بأجرائه »

تقال مفتي الديار المصرية : الذي يلاحظه الناس هو أن القوانين تمرض بمقتضى العادة على مجلس النظام ثم ترسل إلى مجلس شورى القوانين ومن ذلك ما يكون متعلقاً بوصف مائة قرش غرامة ونحوه . فالقوانين المتعلقة بالأصول العامة للتربية والتعليم أولى بهذا وهي لا تخص نظارة المعارف وحدها بل الفطر كله فيصح للجمعية العمومية أن تطلب ضماناً زائداً بالنسبة إلى حالة الأشخاص فإن الكثيرين يعتقدون أن تلامذة السنة الثانية في المدارس الابتدائية يعلمون بعض العلوم باللغات الأجنبية فلا يفهمونها طبعاً . ثم إن طرق التهذيب وتربية النفوس هي التي عليها مدار مستقبل الناشئين ومعرفتهم ما يجب عليهم لمصلحة أنفسهم فمن الضروري الاعتناء بأمثال هذه المسائل فلاو درس قانون التعليم بمجلس النظام وتحول إلى مجلس الشورى لكان ذلك أكثر ضماناً فإن المشتغل بعمل يحكم ذلك العمل عليه فيضيع منه كثير من الأشياء المتعلقة بالحالة العمومية

(الناظر) : « البروجرامات جار نشرها قبل دخول السنة المكتتية وما يفهمه البعض من أن السنة الثانية تدرس باللغة الأجنبية فهو خطأ لأن التلميذ يبتدىء في هذه السنة في تعلم مبادئ اللغة الأجنبية فقط ولم يكن المعلمون وحدهم منفردين في إبداء رأيهم في سير التعليم بل المشتغل بذلك هم ونظار المدارس والمفتشون الذين هم من حيار الناس فعندنا تقارير نظار المدارس وتقارير المفتشين وتقارير اللجنة العلمية وقرار مجلس المعارف وقرار مجلس النظام فهذه خمس ضمانات »

أوردنا جواب ناظر المعارف بلفظه كما نشر على ما فيه من ضعف العبارة لتظهر مغالطته بأنهم إضاح وهي من وجهين أحدهما قوله أن التلميذ يبتدىء في السنة الثانية بتعلم اللغة الأجنبية أي فلا يتعلم بها شيئاً من العلوم والصواب أنه يبتدىء بتعلمها في السنة الأولى كما ترى في الصفحة ١٠ من قانون التعليم الابتدائي الصادر بامضاء الناظر نفسه في جمادى الثانية سنة ١٣١٩ أي قبل هذه المناقشة بنحو نصف سنة وكون التلميذ يتعلم في السنة الأولى وكذا الثانية لغة أجنبية خطأ ظاهر وإثنا لتعرف كثيرين من المعلمين ونظار المدارس يتبرمون منه ولكنهم يعتقدون أنه أمر فيهم هبط من شأنه

القوة على أرض الضعف والاستكانة ولو علموا أن إبداء رأيهم يصل مجلس الشورى فيطالب به باسم الأمة لأبدوه آمنين من مقبته لأن كل ما يتوقعونه حينئذ من المؤاخذه على نكث شيء من قتل ذلك الأمر المبرم يكون معلوما للناس إذا وقع بعض إطلاع مجلس الشورى ومجلس النظار وسائر الناس على اقتراح المقترح .

ثم إن تعليم التاريخ الطبيعي (الأشياء) وتقويم البلدان يكون باللغة الانكليزية في السنة الثالثة الابتدائية والفرق بينها وبين السنة الثانية ليس كبير وإنهم ليعلمون أنه لا يمكن أن يحصل التلميذ من اللغة الأجنبية في سنتين ما يتمكن به من فهم العلوم الطبيعية فيها ولذلك يعيدون عليه في السنة الثالثة من دروس تقويم البلدان بالانكليزية ما كان تعلمه بالعربية فإن كان الغرض العلم فلا معنى لهذا الرجوع القهقري وإن كان المراد اللغة فالأوقات المخصصة لها ليست بقليلة كما سنبينه في نبذة أخرى

والوجه الثاني « الضمانات الخمس » وهي لا تصلح دفعا لقول المفتي لأنه قال إن عرض نظام التعليم على مجلس الشورى أكثر ضمانا أي أن الخمس تكون به سنا فإذا كان الناظر واثقا من إتقان نظام نظارته ويود أن تزداد اتقانا وارتقاء فماذا يضره لو عرض ذلك على كل من له رأى من الناس وعلم رأيه فيه ؟ ثم هو يعلم أن الحكومة أنشأت مجلس الشورى والجمعية العمومية لتعلم الأمة كيف تحكم ولتجعل لها رأيا في قوانينها ونظاماتها لتكون أمة حية كأمم أوروبا حتى إذا ما استعدت لذلك يكون كل شيء برأى مجلسها النائب عنها فلماذا يبخل عليها ناظر المعارف بالبحث في قوانين نظارته ونظام التعليم في مدارسها بواسطة أعضاء مجلس الشورى الذين هم من خيارها كما أن نظار المدارس ومفتشيها من الخيار كما قال وزيادة الخيار خير . ولا يخفى عليه أن الأمة تثق بمجلس الشورى أكثر من ثقتها بأي مجلس من مجالس الحكومة لأنها تعتقد أن أعضاءه لا سلطان عليهم للسياسة لأن الحكومة وضعهم للاتقاد على قوانينها ولأنهم لا يتوقعون خيرا من مخالفة رغبتها

أما « الضمانات الخمس » فهي في المعنى شيء واحد وإن شئت قلت لا شيء لأن العامل الذي تطلب الأمة الضمان على اتقان عمله هو نظارة المعارف فلا يصح أن تكون هي الخاتمة لنفسها بأن عمالها برأى الموظفين فيها . وذلك التعدد في « الضمانات » لا تأثير له لأن آراء المعلمين والناظرين والمفتشين يدغم بعضها في بعض ولا يعرض على مجلس النظار إلا ما يراه مجلس المعارف الأعلى وحده فمجلس النظار لا يبحث في آراء أصحاب « الضمانات » الثلاث ولا يعرفها . ذلك أن المعلمين يبدون آراءهم لنظار

مدارسهم فيختار منها هؤلاء، ما يرضونه أو ما يرضون به ويقدمونه للجنة العلمية فتعجز عنه ما تشاء، وشئت ما تشاء وترفعه إلى اللجنة العليا فتتسبب منه ما تشاء، وتقدم الباقي إلى مجلس النظار فيصدق عليه. وإنما يتحقق الضمان من معنى المدارس ونظارتها ومتشيها إذا أعطوا حرية بأن يقولوا ما يرونه وكان يعمل بما يقولون أو يبين المانع من العمل به وأعطوا مع ذلك ضماناً بأن من رأت اللجنة العلمية أو الغالية خطأ رأيه فإنه لا يؤخذ سرا ولا جهرا

ثم إن المفتي احتج على كون تلك «الضمانات» غير كافية بأمرين أحدهما استمرار التغيير في قانون التعليم (البروجرام) حتى في المسائل الكلية. قال: وهذا يدل على أن معلومات واضعي التقارير غير كافية. وأجاب الناظر عنه بأن التغيير يدل على دقة البحث. وظاهر أن هذا الجواب غير سديد لأن دقة البحث إذا سلمت وكان من المسلم أيضاً أن التغيير مستمر حتى المسائل الكلية فذلك دليل على أن هذه الدقة لم تأت بالفائدة المطلوبة وما ذلك إلا لأنها غير مبنية على علم كاف فهي تحتاج إلى الامداد والمساعدة وللحكومة مجلس أنشئ للبحث في القوانين خاصة فيجب أن يكون هو المساعد والممد لظارة المعارف في تقييع قوانينها

والأمر الثاني الذي احتج به المفتي هو أن لسكان ثقة الناس بسير التعليم أكبر شأن وأهمه وإن ذلك يكون بإطلاع مجلس النظار ومجلس الشورى على قوانينه. وأجاب الناظر بإعادة ذكر «الضمانات الخمس» وزاد ضامناً آخر سماه «الضمانة» الكبرى وهو طبع تلك القوانين ونشرها قال: وقبلما نرى واحداً من الناس يقرأها فيعرف سير التعليم. وظاهر أن هذا الجواب في غير موضوع الدعوى لأن الدعوى هي أن ثقة الأمة بالتعليم مظلومة وأنها تكون بكذا دليل طلب نوابها له. فكان ينبغي أن يكون الجواب إما بالتسامح وإما بمنع الحاجة إلى ثقة الأمة بالتعليم أو بمنع أن تثقها تكون بغرض قوانين التعليم على مجلس النظار ومجلس الشورى فاما المنع الأول فيستحيل أن يصدر من ناظر المعارف وأما الثاني فالفصل فيه للجمعية العمومية وقد وافقت أخيراً عند أخذ الآراء على وجوب عرض قوانين التعليم ومنشورات المعارف على مجلس الشورى فثبت رأي مفتي الديار المصرية وأما الجواب عن «الضمانة» الكبرى فهو أن عدم رؤية الناظر لقراء قوانين التعليم لا يدل على عدم التدبرين لها فإذا قال: كان يجب أن يتقدموها ان لم يرتضوها نقول ان العاقل لا يتوجه إلى عمل إلا إذا رجا فائدته ولا يطوف في ذهن أحد أن انتقاده قانون التعليم يكون

سبباً لرجوع نظارة المعارف عن خطأها فيه . وإذا كان قد خُص ان ناظر المعارف يدافع الجمعية العمومية الناطقة باسم الأمة المصرية كتابها ويعتبرها انتقادات عن طلب النظر في قوانين التعليم فهل كان ينتظر ان ينتفت إلى قول واحد من الناس أو اثنين أو أكثر إذا هم انتقدوا على قوانينه ؟ على ان الجرائد كثيراً ما تنتقد المعارف في سبب التعليم وسائر نظامها فيه ولم يخن ذلك شيئاً

ثم تكلم بعد المفق الشيخ على يوسف قد ذكر بعض مبدئيته على نظام التعليم وقوانينه مما يصح ان يذكر في مجلس رسمي وسند ذكر ذلك الجريدة الثانية مع جواب ناظر عنه وبيان الصواب وتزيد من الانتقاد على تلك القوانين منشاء الله ان تزيد

آثار علمية أدبية

إلى الأغنياء

قال الأديب الشيرحافظ أفندي إبراهيم في حريق ميت غمر الذي يذكر في باب الاخبار

سائلوا الليل عنهم والنهارا	كيف باتت نساؤهم والمنداري
كيف أمسى رضيعهم فقد الا	م وكيف اهطلت مع القوم نارا
كيف طاح العجوز تحت جدار	يتداعى وأسقف تتجاري
رب ان القضاء أنحى عليهم	فاكشف الكرب واحجب الاقدارا
ومر النار أن تكشف اذاها	وصر الغيث أن يسيل اهما را
أين طوفان صاحب الفلك بروى	هذه النار فهي تشك الأوارا
أشعلت فحمت الدياجي فباتت	تملا الأرض والسما شرا را
غشيم والنحس يحرق عينا	ورمهم وثيؤس يحرق يسارا
فأغارت وأوجه القوم بيض	ثم غارت وقد كسهن قارا
أكلت دورهم فلما استقلت	لم تغادر صغارهم والكبارا
أخرجتهم من الديار عمرا	حذر الموت يطلبون الفرارا
يلبسون الظلام حتى إذا ما	أشرق الصبح يلبسون النهارا
حلة لا تقيهم البرد والحر	ولا عنهم ترد الغبارا

أيها الراقلون في حلل الوثى يبحرون للذيول اقتخارا
 إن تحت العراء قوماً جياعا يتوارون ذلة وانكسارا
 أيها السجين لا تمنع السج ن كرمياً من أن يقل العثارا
 مر بألف لهم وإن شئت زدها وأجرهم كما أجرت النصارى
 قد شهدنا بالأمس في مصر عرسنا ملأ العين والفؤاد انبهارا
 سال فيه النصار حتى حسبنا أن ذاك القضاء يجرى نضارا
 بات فيه المنعمون بليل أخجل الصبح حسنه فتواري
 يكتسون السرور طورا وطورا في يد الكأس يخلعون الوقارا
 وصمنا في (ميت عمر) صياحا ملأ البر ضجة والبحارا
 جل من قسم الحظوظ فهذا يتغنى وذاك يسكى الديارا
 رب ليل في الدهر قد ضم نحاً وسعودا وعسرة ويسارا

﴿ الهدايا والتعاريف ﴾

(كتاب الفوز الأصغر) هو للفيلسوف الاسلامي الشيخ أحمد بن مسكويه الرازي صاحب كتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) المتوفى سنة ٤٢١ هـ وضعه لتحقيق البحث النظري في ثلاث مسائل (١) إثبات الصانع و (٢) النفس وأحوالها و (٣) النبوات وقد تزع فيه منازع دقيقة في الواقع بين الفلسفة والدين وجعل لكل مسألة عشرة فصول فمن فصول المسألة الأولى فصل في بيان أن وجود الأشياء كلها إنما هي بالله عز وجل وفصل في أن الله تعالى أبداع الأشياء من لا شيء ومعلوم أن الفلاسفة يقولون يستحيل إيجاد شيء من لا شيء . وفي فصول المسألة الثانية إثبات النفس وكونها ليست جسما ولا عرضاً وإثبات أنها جوهر حي باق وأنها ليست الحياة بعينها بل إنها تعطى الحياة وبيان ماهية النفس والحياة وبيان كمال النفس والكلام في السعادة وفي حال النفس بعد البدن . وفي فصول المسألة الثالثة بيان مراتب الموجودات واتصال بعضها ببعض وبيان أن الانسان عالم صغير وقواه متصلة ذلك الاتصال والكلام في كيفية الوحي وفي العقل وكونه ملكا مطاعاً وفي التام الصادق وفي الفرق بين النبوة والكهانة وفي النبي المرسل وغيره وفي أصناف الوحي وفي الفرق بين النبي والمتنبي وقد طبع الكتاب طبعا جميلا في بيروت وبياع في مكتبة أمين أفندي هندية بمصر

فبحث جميع المشتغلين بالعلم على مطالعته

(كتاب تفصيل النشأتين . وتحصيل السعادتين) هو للامام أبي القاسم الحسين بن محمد ابن الفضل الرابع الاصفهاني المتوفى في رأس المائة الخامسة ومباحث الكتاب فلسفية أخلاقية إسلامية وقد قرن جميع مسائله بالآيات القرآنية فجعلها شواهد وأدلة وبعضها لا يصلح لما وضعه له ولكن له منازع دقيقة فيها . وأبواب الكتاب على اختصاره ٣٣ وهي في معرفة الانسان نفسه وفي أجناس الموجودات وموضع الانسان منها وفي العناصر التي أوجد منها الانسان والقوى التي جمعت فيه وفي تدرج الانسان حتى يصير كاملاً وفي كونه مستصلاً للدارين وفي كونه هو المقصود من العالم وكون ما عداه خالق لأجله وفي تفاوت الناس وسببه وفي الشجرة النبوية وفضلها وفي الشرع والعقل والعبادة وغير ذلك وهو كالذي قبله جدير بالمطالعة وطبع حيث طبع ويباع حيث يباع

﴿ إقامة البراهين العظام . على نفي التعصب الديني في الاسلام ﴾

رسالة من تأليف الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري المدرس بجامع صفي في الجزائر الغرض منها اقناع مسلمي الجزائر بوجوب الخضوع لفرنسا وعدم الخروج عليها وقد جاء فيها بمسائل نافعة تثبت أن دين الاسلام يأمر بماملة الخالفين في الدين بالعدل ويحرم ابتداءهم والاعتداء عليهم وأنه شرع فيه ما ينقض التآلف مع أهل الكتاب كحل مؤاكلتهم وتزوج المسلم منهم وغير ذلك من الفوائد المسلمة . وفي الرسالة ما ينتقد . فمنه أنه أخطأ في بعض ما أسنده إلى الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عند الاحتجاج بكلامه واصفا إياه بكونه « خاتمة الأئمة وعلامة الآفاق على الإطلاق » فقد قال عن الأستاذ الامام أنه قال في درس التفسير بالأزهر : إن قوله تعالى « وقتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » خاص بالواقعة التي كانت متوقعة للمسلمين في رواحهم إلى مكة الح . والأستاذ الامام لم يقل بهذا التخصيص وإنما قال إن معنى « حتى لا تكون فتنة » هو أن يؤمن شر المعتدين ويؤمن الدعوة إلى الدين على أنفسهم وعلى من يجيبهم إلى مادعوا إليه . ومعنى « ويكون الدين لله » أن يكون دين كل شخص خالصاً لربه لا تدخله محاباة ولا مدحاجة ولا يهدده مهدد ، ولا ينقضه خوف من معتد ، فلا يكون لغير خشية الله أثر في نفوس المؤمنين . وانظر بهم يكون هذا . ونما ينتقد عليه أشد الانتقاد قوله في نصيحته للمسلمين بعد اطراء فرنسا ودمهم ووصف موء حالهم « فلا ينبغي لهم الاهتمام إلا بشؤونهم المعاشية » الخ كأنه يريد أن

يجعلهم بها ثم . وهل يرى ذلك الأستاذ أن فرنسا التي وصف عدلها وحريتها وفضلها ومدنيتها لا ترضى من المسلمين في الخضوع لها إلا أن يكونوا كالأنعام ، لا يهتمون إلا بالأكل والشرب والنام ، وهل يتأق خضوعهم لها اشتغالهم بالعلوم والآداب التي يرتقون بها ارتقاء معنويا ويسامون الأفرنج في الصفات البشرية ؟ إن كان يقول هذا فهو ناقض به كل مدح مدح به فرنسا ! فينبغي لهذا الشيخ المدرس وأمثاله إذا كتبوا بالكتابة في مثل هذا المقام أن يقصدوا ويقفوا عند حد معلوم وكان المجال واحداً لأقناع المسلمين بعدم الخروج على فرنسا وتعرض أنفسهم للهلكة من غير عيب بالأحكام ، ولا تكليف للمسلمين بأن يكونوا كالأنعام ، وبهذا القدر كفاية وسلام .

« الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية » للشيخ عبد الغني التالبي الفقيه الصوفي الشهير رحلتان أو ثلاث وهذه منها وهي أخصرها وقد طبعت في مطبعة جريدة الإخلاص الغراء على نفقتها ووقت على طبعتها أحد محرري الجريدة ديتري أفندي نقولا المحترم صاحب مجلة الفكاهة . أما المؤلف فإنه يذكر في هذه الرحلة كيفية سفره من الشام إلى القدس ونواحيه وما رآه وحرى له فيه وأهمه زيارة قبور الأنبياء والصالحين بحسب تعريف المعرفين الذين يصحبون الزائر في تلك البلاد وما في تلك الكتب المؤلفة في تاريخها . وقد ختم الكتاب ملتزم طبعه بإحصاء ما ذكر في الرحلة من المدن والقرى والأمكنة ومقامات الأنبياء والأجوامع والمساجد والمدارس والكنائس والأديرة والأبواب والعيون والآبار ومبوز أصحابها والأولياء والصالحين وذلك أحسن ما في الرحلة وربما نقل بعد في باب البدع شيئاً مما في الرحلة . وصفحاتها ٨٤ وهي تطلب من زيارة جريدة الإخلاص الغراء ونعنيها ٥ قروش صاغ .

« الدنيا في باريس » هي الرسائل التي وصف بها مشاهد معرض باريس الأخير صديقنا الفاضل الشهير أحمد زكي . إن الكتاب الثاني لأسرار مجلس النظارة وقد اشتهر أمر هذه الرسائل وانتشرت في البلاد لأن رصيفتنا البارع الدكتور عيد أفندي كان يطبعها في باريس مع مجلة « طيب العائلة » وقد سبق للمنازل تقريرها وبيان بعض فوائدها الآن شرفنا بالاطلاع على هذه الرسائل قد جمعت كلها في كتاب واحد من بالرسوم صفحاته ٢٧٢ ونعنيها ١٤ قشاً وسننقل بعض فوائدها عند منوح الفرصة إن شاء الله تعالى

« قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي » أهدي إلينا صديقنا مؤلف رسائل الدنيا في باريس « مع هذه الرسائل نسخة من هذا القاموس المختصر المفيد

الذي يعرف الكتاب حاجتهم إليه من اسمه . قال المؤلف في مقدمته : « هذا مجموع صغير أردت فيه كثير من الأعلام الجغرافية التي لها ذكر في تواريخ الأقدمين من المصريين وأشوريين ودرسم وعجم وغيرهم من الأمم جمعتها بعد بحث شتى ومضاعفات عديدة فكأبدت فيه عناء ليس باليسير يعرفه من أطلع عليه أو اشتغل بشيء من هذا القليل » ثم قال « وإذا نال هذا الكتاب الصغير من الإقبال ما هو خفيق به نشددت عزتي لأبرار المعجزة الكبير الوافي الذي جمعته في هذا الموضوع نفيد » فعسى أن تتحقق الآمال ، وينال فوق ما يطلبه مؤلفه الفاضل من الإقبال ، والكتاب مطبوع في المطبعة الأميرية وثمنه ٨ قروش وهو يطلب من مؤلفه ومن إدارة مجلة طبيب العائلة .

(مجموعة حقبة طبية هندسية . جمعية متخرجي المدرسة الخديوية لسنة ١٩٠١)
إذاً وجب أن نذكر ما يتقدم على نظارة المعارف في نظام التعليم وقوانينه من الواجب أيضاً أن نذكر ما لها من الحسنات لأن الله تعالى يحب العدل في كل شيء ولأن فائدة استحسان الحسن لا تنقص عن فائدة انتقاد المنقذ فكل واحد من الأمرين جعله الله سبباً لإتقان الأعمال واختيار النافع منها وتجنب الضار . ومن حسنات المعارف المصرية الأذن للتلامذة التخرجين في المدرسة الخديوية بإنشاء جمعية علمية أدبية في نفس المدرسة يعدون فيها المقالات الإضافية في مسائل العلوم التي يتعلمونها في المدرسة وفي المدارس العالية التي ينتقلون منها إليها ويعرضونها للانتقاد والبحث والتحصيل وقد حضرت اجتماعاً لهم في المدرسة فسررت سروراً عظيماً ورغبوا إلى في انتقاد ما تكلموا فيه وهو حقيقة الجنون وتاريخه وأنواعه فانتقدته علناً فتلقوا انتقادي بالقبول والشكر كما هو شأن الباحث المستفيد

وقد طبعوا في هذه الأيام الجزء الأول من مقالاتهم التي تليت في السنة الماضية وسموه بما ذكر في صدر الكلام . وتفضل وكيل الجمعية الفاضل النبل على بك ماهر نجل صاحب السعادة ماهر باشا محافظ مصر بتقديم نسخة إلينا بنفسه فشكراً له ذلك . وفي المجموعة ست مقالات « ١ » في التريه والتاريخ لعلى بك ماهر بمدرسة الحقوق و « ٢ » في أشعة رنتجن لعبد الرحمن افندي عمر بمدرسة الطب و « ٣ » في التكافل والضمائم لمحمد حلمي افندي عيسى بمدرسة الحقوق و « ٤ » في التنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح لمحمد افندي شكري بمدرسة الطب و « ٥ » في لوازم الحياة الأصلية لمحمود افندي ماهر بمدرسة الطب و « ٦ » شهران بسويسرا لعلى بك ماهر . وفي

المقالات فوائد كثيرة . وعدد صفحات المجموعة ٦١٢ فبحث جميع المصريين في اجتناء هذه الثمرة الشريفة ، التي انتجتها فروعهم الزكية

(مجلة الأحكام الشرعية) كثرت الجرائد والمجلات في مصر حتى تساوت كل موضوع يمكن ان تنشأ له الامور موضوع القضاء الشرعي كأن المحاكم الشرعية وأعمالها ليست من حاجات العمران التي يجب ان تخدمها الصحافة . وقد انبرى في أول هذا العام للقيام بهذه الخدمة الجليلة المحامي الشرعي الشهير حسن بك حمادة المتخرج في مدرسة الحقوق السلطانية في الاستانة العلية فانشأ هذه المجلة الشهرية وقد صدر الجزء الأول منها مفتوحاً بمقدمة بليغة في حالة القضاء الشرعي والمحاكم الشرعية وسيرها والحاجة إلى الإصلاح فيها على الوجه الذي حرره الأستاذ الامام مفتي الديار المصرية في تقريره المشهور . وقد كادت هذه المقدمة ان تكون تاريخاً للمحاكم الشرعية بصورة مجملة . وبلى ذلك مقالة في القضاء الشرعي بمصر ماضيه وحاضره وهي تاريخية مفصلة ومقالات أخرى في المحاماة والقضاء وفي المجالس الحسينية وتاريخها وفي المحاكم الشرعية وتنازع الاختصاص . وقد فتح فيها باباً لنشر تراجم المشهورين من علماء الشرع وبدأ بترجمة الإمام أبي حنيفة وباباً لأشهر القضايا الشرعية التي لها فائدة عامة . وفي المجلة غير ذلك من الفوائد العلمية والأدبية وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً في القطر المصري وعشرون فرنكاً في خارجه فتعنى لها النجاح الذي تستحقه

(تقويم المؤيد) صدر تقويم المؤيد لسنة ١٣٢٠ على ما يعهد اليه في ما يعهدون من الاتقان وكثرة الفوائد العلمية والفلكية والطبية والتاريخية وغير ذلك وقد جلد في هذه السنة تجليداً جميلاً مزخرفاً اجتلب له جاز من الزركشة منقوشاً عليه اسمه واسم مؤلفه فتهنى صديقنا الفاضل محمد أفندي مسعود بما سادفاه عمله المتقن من النجاح الذي هو جدير به

(النتيجة الوحيدة) اهدتنا مطبعة الموسوعات نسخة من هذه النتيجة التي تطبع فيها بالدقة والاتقان فنشكر لها اتقان طبها ولؤايف النتيجة الحاسب اندقس السيد مصطفى محمد الفسكي المحامي تلك الفوائد التي فيها

(التقويم الازهرى) يسر المسلمين ان يروا جميع الآثار العلمية سنوية في الازهر الشريف وصادرة من أهله . وهذا الشاب الفاضل الشيخ محمد محمد تيمر الاسطهاوى الفسكى قد أنشأ تقويميا يصدره في كل سنة هجرية وقد أنشأ

الأكبر شيخ الجامع الأزهر بأن يسميه التقويم الأزهرى فعسى أن يقبل عليه الناس
لزيدوا مؤلفه تنشيطاً على اتقان عمله

(باب الزخار)

الحريق في ميت غمر

« ميت غمر » بلدة في مديرية الدقهلية أصابها في آخر شهر الثامن حريق
عمر الدور ، وقوض القصور ، واهتم الأثاث والرياش ، وهبى على الناس ، إلا من
لجأ إلى الفرار . قبل أن تحيط به النار ، فبأخذه لسانها ، أو يحرقه دحانها ، ويقال
إن عدد البيوت التي احترقت بأهلها إلا من أنجاه الله تقارب ٥٠٠ وان الخسائر
تقدر بمئات الألوف من الجنيهات . وقد كان الهول عظيماً ، والخطب جسيماً ، وقد كاد
يكون حال الدين نجوا شراً من حال الدين فقدوا فان عذاب ساعة وإن كان شديداً
دون العذاب المستمر الذى يتلون ألواناً كثيرة وكيف حال من أمسى واجداً فأصبح
معدماً وكان كاسياً فصار عارياً وكان ذا مكان أهل فساد ولا مكان ولا أهل . صار
الزوج أعمى والمرأة أرملة والولد يتيماً كما صار الغنى فقيراً والعزير ذليلاً . وما من
هؤلاء أحد إلا وقد لفحته النار أو لدغته أو احترقت له عضواً وحاصل القول إن
هؤلاء الذين سلموا من هذا الحريق قد صبت عليهم جميع النوائب التي تفرقت في
العالمين فكان كل واحد منها باعثاً للرحمة والشفقة وسبباً للاغاثة والاعانة . وقد
توجهت النفوس لجمع الاعانات لهم ولا شك أن الباخل في هذا الموضع هو أبخل الناس
بل هو من جنس الجنادل من نوع الإنسان ولا من جنس الحيوان . لا عذر لاحد
من خلق الله في البخل على هؤلاء « ومن يبخل فأما يبخل عن نفسه » فمن وجد في
قلبه مساواة وفي نفسه شحاً مطاعاً وفي يده انقباضاً وامساكاً فليمثل في نفسه هذا
الصاب واقعابه وبأهله والناس معرضين عنهم لا يجودون عليهم بشيء ولنظر كيف
يكون حكمه عليهم ثم لينظر هل يرضى بأن يكون محكوماً عليه عند الله والناس
بمثل ما يحكم به عليهم . لينزل كل إنسان بما يستطيع ولولا الاعتماد على التعاون
لوجب عليه أن يذل كل ما يملكه إن كانت وقاية أخوانه متوقعة على ذلك « لينفق
ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه (أى ضيق) فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله
نفساً إلا ما آتاها فيجعل الله بعد عسر يسرا »

بوتني الحكمة من بستان روضه زيار
الحكمة فقد اوتي خبراً كثيراً
بذكر الامور الاثاب

المحكمة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبشروهم احسن اولئك الذين هداهم
الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « ناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت ١٦ صفر سنة ١٣٢٠ - ٢٤ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢)

—————

باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالحين

« نذكر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدنيهم ومنشأ ساداتهم التي ذهبت بهم »

١ - القضاء في الاستسارم - النبوة الثانية في آراء

نذكر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدنيهم ومنشأ ساداتهم التي ذهبت بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقضين حاكم بين اثنين وهو
غضبان » وروى عن غير أبي بكر أيضاً وهذا أدب عظيم لا بد من
مراعاته فان الغضب يذهب بالرؤية والفتنة ويحكم الهوى فلا يتيسر معه
استنباط النجى ولا حاطة بأسباب الحكم المادل ، وقد ذهب بعض الفقهاء
المسلمين الى أن الحكم في حال الغضب لا ينفذ لثبوت النهي عنه والنهي

(١٢) زوائد أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربعة

يقتضي الفساد . وقال الأكثرون أنه صحيح وإن كان آيانه مذكروها
وينفذ إذا وافق الحق وذلك لأن النهي الذي يفيد الفساد عند هؤلاء هو
ما كان لذات النهي عنه أو لجزئه أو لوصفه اللازم له والنصب وصف
مفارق للالزام وفي القاعدة خلاف لأجل للبحث فيه هنا

المساواة بين الخصمين ^(١٢) عن عبد الله بن الزبير (رض) قال : قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الخصمين يقدمان بين يدي الحاكم .
وهذا من المساواة التي جاء بها الإسلام . وقال بعض العلماء : إن هذه الهيئة
مشروعة لذاتها لا مجرد المساواة

^(١١) عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له : « يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من
الآخر كما سمعت من الأول فانك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء »

^(١٥) عن أم سلمة (رض) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
: « قال من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فليمدل بينهم في لحظة وإشارته
ومقدمه ومجلسه ولا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفع على الآخر »
وهذا هو العدل الأكمل الذي مابده غاية - وذكر المسلمين فيه لأن
الكلام في دينهم وشرعهم وحكومتهم وإن كان المتقاضون من غيرهم
كذلك إذ لا فرق في حكمهم المادل بين مسلم وذمي ومعاهد . وما روي

(١٣) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم وقد طعن بمصعب بن ثابت من رجاله
بأنه كان يميل كثيراً على صدقه ولا يعترنا هذا في مثل هذا الحديث (١٤) رواه أحمد
وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه وله طرق أخرى (١٥) رواه
الدارقطني والطبراني والبيهقي . وفي أسناده عبادة ابن كثير وقد ضعف ولكن الحديث
صحيح المتن

عن نبي كرم الله وجهه أنه جالس بجانب شرح القاضي في خدومة له مع
يهودي أو نصراني . قال لو كان خصمي مسلماً جلست معه بين يديك
ولكني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : « لا تساورهم في المجالس »
فقد قال المحدثون انه منكر وأورده ابن الجوزي في الملل وقال لا يصح تفرد
به أبو سمية . هذا ما قالوه في رواية ان الخصم كان يهودياً . ورواية البيهقي
التي ذكر فيها ان الخصم كان نصرانياً في إسناده عمر بن سمرة عن جابر
الجعفي وهما ضعيفان وقال ابن الصلاح لم أجده اسناداً فهو منكر وباطل
ومضطرب والمالة في سنده ومثته مما و كأن مروج من الجهلاء
الذين يرون تعظيم شأن المأمين بظلم غيرهم ولو كانوا كذلك لما قامت
لهم دولة .

ومما يجب ملاحظته هنا ان ملوك عصرنا وأمرائه لو فعلوا مثل
له ذلك ورضي أحدهم بأن يخضع للقضاء ويتحاكم مع بعض رعيته المواقين
او يخالفين في الدين وجالس مع ذلك بجانب القاضي أو على رأسه أو صاف
بأنه أعدل المادلين ، وفضل على الخلفاء الراشدين ، وانهم ليصفونهم بالعدل
وينتعلون لهم مناشاء الهدى من الفضل ، على حين أنهم دفعوا عنه هم فرق
التسوية الألفية ، بل نسخوا أكثر أحكامها بقوانينهم الوضعية ، فلا يمكن
أن يحاكم سلطان أو أمير ، مع كبير من رعيته ولا صغير ، فاضاعوا
بكبرياتهم الدين والدنيا والى الله المصير ،

(١٦) عن ابن أبي حنبل (رض) انه كان ليهودي عليه
أربعة دراهم فاستمدى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فقال : يا محمد

إن لي على هذا أربعة دراهم نبي فيها أربعة دراهم من الذهب
بملك بالحق ما أقدر عليها . ولـ « أعطاه حقه » . ولـ « أعطاه حقه » .
ما أقدر عليها قد أخبرته أنك تبتنا إلى خير وأرجو أن تبتنا شيئا نخرج
فأقضيه قال « أعطاه حقه » قال (الراوي) وكان نبي من نبي الله عليه وسلم
إذا قال ثلاثا لا يرجع . فخرج به ابن أبي حنيفة إلى السوق وعلى رأسه
عصابة وهو متزود بردة فتبع الإمامة عن رأسه فأتى بها ونزع البردة
وقال اشتر مني هذه البردة فباعها منه بأربعة دراهم فمرت عجوز فبات
مالك يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها فقالت : هادوك
هذا أبزذ عليها طرحته عليه وقد أوردت هذا في أدب المساواة وإن كان
من باب آخر لمناسبة له . وانظر إلى شدة الإسلام في أداء الحقوق وإن
قساوة اليهود في أخذ دينهم فقد ترك اليهودي صاحب النبي (ص) عريانا
لا سائر لعورته الأعمامة لأجل أربعة دراهم لم ينظره بها

الاحتجاب عن المتظامين^(١٧) عن عمر بن مرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من إمام أو وال يفتق بابا دون ذوي
الحاجة وإنما لا أغلق الله دونه أبواب السماء دون خلقه وحاجته ومساكنته »
استدلوا بالحديث على منع الحاكم من اتخاذ حاجب لبابه في مجلس حكمه .
والحديث ناطق بأن المراد منع المظلومين من التقاضي والشكوى اشتغالا
عنهم بشؤون النفس أوجبا بالراحة أو ترفعا عن الناس ونحو ذلك ولا يدخل
في النهي الحجاب الذين يقفون على أبواب الحاكم لحفظ النظام ومنع
التوضى والحلل وهو الذي قال بعض علماؤنا بجوازهم باستجابته

(١٧) رواد أحمد والترمذي والحاكم والبزار وقد قدم غيرهم في الكلام على الأمر في المجلد الرابع

وإنما يدخل فيه حجاب الأمراء والولاة الذين يذودون الناس عن مجالسهم لأنهم لا يقابلون إلا أشخاصا معلومين لهم صفة رسمية عندهم ومجهلون سائر أصناف رعيهم بدون عذر . ونقل ابن التين عن الداودي أنه قال : « يعني أحدثه القضاة من شدة الاحتجاب وإدخال بطائق من الخصوم لم يكن من فعل السلف » ثم قال متعبا له : ان كان مراده البطائق التي فيها الإخبار بما جرى فصحیح وان كان مراده البطائق التي يكتب فيها السبق ليبدأ بالنظر في خصومة من سبق فهو من المدل في الحكم . وقال الشوكاني لو لم يحتجب الحاكم لدخل عليه الخصوم وقت طعامه وشرابه وخلوه بأهله وصلاته الواحدة وجميع أوقات ليله ونهاره . وهذا ظاهر لا نزاع فيه مع الرشوة ^(١٨) عن عبد الله بن عمرو (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن الله الراشي والمرثي » والرشوة هي السحت في قوله تعالى « سراعون لأكتاب أكالون للسحت »

(١٩) عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمنة الله على الراشي والمرثي في الحكم » وفي هذا زيادة بيان .
(٢٠) عن ثوبان (رض) قال لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرثي والرائش يعني الذي يمشي بينهما . وفي هذا زيادة فائدة . ولا حاجة بيان مسدة الرشوة وتدميرها للمالك وثأرها لأمراء والولاة . فان هذا يكاد يكون معلوما للناس أجمعين

(١٨) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن إلا النسائي . وابن حبان والطبراني والدارقطني

(١٩) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه (٢٠) رواه أحمد

منع الحاكم من الهدية ^(٢١) عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من بني أسد يقال له ابن اللاتية على صدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي اليّ فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر (قال سفيان أيضاً) فصعد المنبر فمد الله وأتى عليه ثم قال : « ما بال المامل تبعه فيأتي يقول هذا لكم وهذا لي فإلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظار أهدي له أم لا . والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء يوم القيامة بحمله على رقبته إن كان بمسيره رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه « الأهل بلغت ثلاثاً . ويعر الشاة بمعنى تصيح » ^(٢٢) عن أبي حميد الساعدي (رض) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« هدايا المال غلول » وفي رواية هدايا الأمراء . الغلول في الأصل الخيانة في النعمة وهي المال الذي كان يأتي إلى أيدي الأمراء والمال في الأكثر وورد في الكتاب العزيز التشديد فيه والهدية للحاكم مثلاً أو منه بحكم السنة . قال الحافظ ابن حجر استاده ضعيف . ولكن له شواهد وطرقاً متعددة تقويه . والهدية مستحبة لغيره الحكم وما يعمناه ^(٢٣) عن بريدة (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ به ذلك فهو غلول »

^(٢٤) عن علي (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم « أخذ الأمير الهدية سمحت وقبول القاضي الرشوة كفر » وأتى لا تقسم من تشديد الوضع

^(٢١) رواه البخاري بن هو متفق عليه . ^(٢٢) رواه أحمد والبيهقي وابن عدي وكذا أبو سعيد النقاش زاد في كنز العمال بسند ذكر أبي حميد الساعدي في الأولى « عن عرياض » وفي الثانية « وعن أبي سعيد عن أبي هريرة » . وابن جرير وابن عساكر وغيرهم ^(٢٣) أخرجه أبو داود ^(٢٤) رواه أحمد في الزهد عن علي

﴿ آثار السلف عبرة للخلق ﴾

عدل عمر وسبأه (٧) روى سعيد بن أبي منصور في سننه وأبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اشتريت ابلا وارجمتها الى الحمى فلما سمعت قدمت بها فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا فقال : لمن هذه الابل ؟ قيل لبيد الله بن عمر فجعل يقول : يا عبد الله بن عمر منخ بنخ ابن أمير المؤمنين !! فجئت أسمى فقلت مالك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما هذه الابل ؟ قلت إبل اشتريتها وبيئت بها الحمى ابتغي ما يبتغي المسلمون . فقال : ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين . اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين . يا عبد الله بن عمر اغد على رأس مالك واجعل الفضل في بيت مال المسلمين . اه قوله « ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين » الخ حكاية قول الناس .

فإذا يقول أمراؤنا الذين يستبدون رعايهم ما استطاعوا . ويمتدحون دماءهم ان استطاعوا . ويسخرونها في خدمة أرضهم ومواشيهم . ما لم يأخذ الاجنبي الذي يسمونه كافرا على أيديهم . فما هذا الزمان الذي يملنا فيه الكفار ، العدل بل يلزموننا به الزاماً حتى يطعن الرعية على أهوالهم ويأمروا على أنفسهم من أمرائهم وانتمهم الذين انحلوا أنفسهم إمامة الدين .

(٨) روى ابن سعد في الطبقات وابن راهويه عن عطاء قال : كان عمر ابن الخطاب يأمر عماله ان يوافوه بالوسع فإذا اجتمعوا قال : يا أيها الناس اني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبتشاركم ولا من أهوالكم ولا من اعراضكم إنما بعثهم ليحجزوا بينكم وليقسوا فيكم بينكم فمن فصل

به غير ذلك فليتم . فما قام أحد الأرجل قام فقال أمير المؤمنين إن شاء الله
فلانا ضربني مائة سوط . قال فيم ضربته ؟ ثم فاقص منه . فقال عمرو بن
الماص فقال يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك وتكون
سنة يأخذ بها من بعدك . قال أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتيد من نفسه^(١) . قال فدعنا لرضيه . قال دونكم فأرضوه .
فاقتدى منها بماني دينار عن كل سوط بدينارين .

فإذا يقول الناس هنا في أمرائهم الذين كانوا يضربونهم السياط
بغير حساب لتحصيل الاموال الاميرية ويضربونهم بغير حساب لتحصيل
الضرائب والمكوس الظالمة ويضربونهم بغير حساب لتحصيل ديون
الخوارج ويضربونهم بغير حساب لتسخيرهم في الاعمال العامة والخاصة .
ومع هذا كله يمتنون على البلاد انهم اتقذوها من ظلم الظالمين السابقين أي
انهم حصروه في أنفسهم واحتكروه لها ولا فرق عند المظلوم بين
ان يسمى ظاله مالكا أو مملوكا . وانه ليفرح بما يقاذه سواء سمي منفذه
مسلا أم سمي كافرا . فالحقائق لا تبدل بتبدل الاسماء والالقب وبالمعدل
قامت ممالك الاسلام وبالنظم سقطت ممالك المسلمين « عسى ربكم ان
يرحمكم » وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا .

(٤) روى ابن عساكر من مسند عمر عن الأحنف بن قيس
قال : ما كذبت الاصرة قالوا وكيف يا أبا بجر ؟ قال وفدنا على عمر بفتح
عظيم فلما دنونا من المدينة قال بعضنا لبعض لو ألقينا ثياب سفرتنا وابسنا ثياب

(١) القود النصاص وأقاد الأمير القاتل بالقبيل إذا قله به المراد هنا التمكن

صوتنا فدخلا على أمير المؤمنين والمسلمين في هيئة حسنة وشارة حسنة
كان أمثال . فلبسنا ثياب صوتنا وألقينا ثياب سفرنا حتى اذا طلعنا في
أوائل المدينة اتقينا رجلا فقال انظروا الى هؤلاء أصحاب ديننا ورب الكعبة .
قال فكنت رجلا ينفعني رأيي فلمت ان ذاك ليس بموافق للقوم فعدلت
فلبسنا (وفي نسخة فلبست ثياب سفري) وادخلت ثياب صوتي المية
وأشرحتها^(١) وأغفلت طرف الرداء ثم ركبت ولحقت بأصحابي فلما دفننا
الى عمر ثبت عيناه عنهم ووقفت عيناه علي فأشار الي يده فقال : أين
نزلتم ؟ قلت في مكان كذا وكذا فقال أرني يدك فقام معنا الى مناخ ركابنا
فحمل يتخللها ببصره ثم قال : الا اتقيم الله في ركابكم هذه ؟ اما علم ان
لما عليكم حقا : الاتصدمتم بها في المسير ؟ (وفي رواية قصدتم وهما بمعنى
الوسط) ألا حلتكم عنها فأكلت من ثب الارض ؟ فقلنا يا أمير المؤمنين
إنا قدما بفتح عظيم فأجبنا ان نسرع الى أمير المؤمنين والى المسلمين
بأندي يسرهم فحانت منه التنازة فرأى عيبي فقال : لمن هذه المية ؟ قلت
لي يا أمير المؤمنين . قال فما هذا الثوب ؟ قلت ردائي . قال بكم تدبته ؟
فأبيت ثلثي ثمنه فقال : إن ردائك هذا لحسن لولا كثرة ثمنه

ثم انطلق راجعا ونحن معه فلقاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين انطلق معي
فأعذني على فلان فإنه قد ظلمني . فرفع الدرة فنطق بها رأسه^(٢) وقال
تدعون أمير المؤمنين وهو مريض لكم حتى اذا أشغل في أمر من أمر
المسلمين أتيتوه : أعذني أعذني . فانصرف الرجل وهو يتذمر فقال : نبي

(١) المية وعاء توضع فيه الثياب وانخرجها ضيفا (٢) خنقه ضربه خيرا خفيفا

بشيء عريض كالخنقة وهي الدرة أو خشيعة عريضة

الرجل فأتى المحققة فقال امثل . فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك قال :
ليس هكذا إما تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال ادعها
لله . قال فانصرف ثم مضى حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة
فصلى ركعتين وجلس فقال : يا ابن الخطاب كنت وضيماً فرفك الله
وكنت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فأعزك الله ثم حملك على رقاب
المسلمين فجاءك رجل يستمديك فضربتك . ما تقول لربك غداً إذا أتته ؟ قال
فجعل يعاتب نفسه في ذلك مما به ظننا أنه خير أهل الأرض اه

فأين أمراؤنا اليوم وما مبلغ معرفتهم بالله وخوفهم منه وتعظيمهم
له . أعرف أن بعض من يتراءى بالدين ويشتخر بأنه يصلي قال له قاتل
مرة : ورد في الحديث الصحيح « الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم » وهؤلاء من أتهم قاتلاً عملاً بالحديث أقدم له نصيحة
في شأن كذا . فتغضب عليه غضباً شديداً لأنه وجه إليه النصيحة ومثله
أعلى في اعتقاده من أن يُنصح وإن كان الحديث ناطقاً بأن النصيحة لله
ولرسوله . ومثل هذا من أمرهم لا يحصى

(هـ) روى الدينوري في المجالسة عن مالك بن أوس بن الحدثان قال :
قدم بريد ملك الروم على عمر بن الخطاب فاستقرضت امرأة عمر بن
الخطاب ديناراً فاشتريت به عطراً فجعلته في قوارير وبعثت به مع البريد إلى
امرأة ملك الروم فلما أتتها فرغتها وملاها من جواهر وقالت اذهب إلى
امرأة عمر بن الخطاب . فلما أتتها فرغتها على البساط فدخل عمر فقال
ما هذا فأخبرته بالخبر فأخذ عمر الجواهر فباعها ودفع إلى امرأته ديناراً
وجعل ما بقي من ذلك في بيت مال المسلمين . اه

وفي الأثر من الفقه ان الهدية وان كانت مكافأة على هدية أخرى فهي لأجل ان امرأة عمر امرأة أمير المؤمنين لالذاتها فيجب ان يكون مأخذ بجاه أمير المؤمنين للمؤمنين . ولكن الملوك والامراء على المؤمنين في هذه المصروف قد ملأوا قصورهم جواهر من بيت مال المؤمنين وهم يردون منها ويهبون بلا . عارض ولا منازع . وفيه أيضا المودة والتحاب بالهدايا بين المسلمين وغيرهم وان كانوا حربيين ولكن في غير وقت الحرب وغير ما يتعلق بالحرب كالأعانة عليها فان عمر لم ينكر على امرأته إهداء المطر الى ملكة الروم . وهو يدل ان النساء أسرع الى الائتلاف والمودة بمضهن مع بعض من الرجال وهو مشاهد معروف

بواب الاسئلة والاجوبة

(س ١) نزول المسيح من أحمد أفندي عبد الحليم بشين الكوم: هل يوجد دليل شرعي على أن المسيح سينزل ويحكم وهل يكون بنزوله نيامع أن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين كما هو معلوم في الشرع ولماذ حيثئذ ينزل المسيح وهل يكون قبل نزوله فترة؟

(ج) ليس في الكتاب والسنة نص قطعي الثبوت والدلالة على نزول المسيح توجب على المسلمين الاعتقاد بذلك وانما ورد في نزوله أحاديث آحاد اشتهرت لقراءة موضوعها وتخرج الشيخين لها وأكثرها عن أبي هريرة . وهذه المسئلة من المسائل الاعتقادية التي يطلب فيها النص القطعي الآواثر . وقد استدل بعضهم عليها بآيتين من القرآن ليستا نصاً فيه بل ربما كان الظاهر منهما خلاف ما حملتا عليه عند من ذكر (احدهما)

قوله تعالى : وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، جاءت الآية في سياق الكلام على المسيح ومن اعلم أهل الكتاب فيه ومعناها الظاهر أنه لا احد من أهل الكتاب الا ويؤمن بالمسيح الايمان الصحيح قبل أن يموت أي قبل خروج روحه لأنه وقت تشرف فيه النفس على العالم الآخر فيظهر لها الحق ولكن اذا جاء هذا الوقت لا ينفع قساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً ، فالضمير في (موته) للنبي في قوله (وان من أهل الكتاب) الذي معناه لا أحد من أهل الكتاب وعاليه الا كثرون . وذهب المستدل بالآية على نزول المسيح الى ان الضمير للمسيح وانهم يؤمنون به قبل ان يموت عند ما ينزل ويقم دن الاسلام ويحكم به ولكن النبي العام في الآية لا يصح على هذا الوجه لأنه لا يشمل أهل الكتاب الذين يموتون قبل نزوله ولا يؤمنون به كاليهود في عصر التنزيل وما يمدّه الى عصر النزول المدعى . على ان القرآن مصرح بأن المسيح قد توفي قبل رفعه كما هو المتبادر من قوله عن وجل (يا عيسى اني متوفيك ورافضك اليّ) ولا يصار الى التأويل ، ما لم يتم على خلاف الظاهر الدليل ، وهذا ما يقال في الآية لذاتها فهي من حيث انها متواترة ليست نصاً ولا ظاهراً في المطلوب وان وردت شاهداً في بعض الروايات المرفوعة وللرواية حكما ومن ثبت عنه وجب عليه الايمان بها والاية الثانية قوله تعالى بعد ذكر عيسى عليه السلام ومقارنة المشركين فيه وبين آلهتهم (وايه ليلم الساعة فلا تترن بها واتبعوني هذا صراط مستقيم) فذهب بعضهم الى أن الضمير (إيه) لعيسى واختلوا في وجه كونه علماً للساعة فقيل أنه حدوته وقيل باحياؤه الموت وقيل نزوله في

آخر الزمان والاية لاتدل على هذا وإنما هو احتمال ، وذهب بعضهم الى ان الكلام في القرآن لأن فيه الاعلام بالساعة والاستدلال عليها بالادلة التي تقرب الاعتقاد بها من القول وهذا مما امتاز به على سائر الكتب السماوية التي سكنت عن ذلك أو أشارت اليه من طرف خفي ولا غرو فني القرآن هو بني الساعة وقد عرفنا من أسلوب القرآن الانتقال من محاجة الزائنين في عقائدهم وتعاليدهم الى الدعوة الى القرآن واتباع من جاء به وسممة الآية تؤيد هذا القول الأخير ، فظهر ان لادليل في القرآن على نزول المسيح وأما الاخبار فقد ورد فيها ذلك فلتقاء الناس بالقبول لاسيما بعد اشتهار كتابي الشيخين ولكنهم لم يذكروه في العقائد الاسلامية لأنه ليس قطعيا

ومما يستحق الذكر ان القول بظهور المسيح في آخر الزمان قد اتفق فيه المسلمون مع اليهود والنصارى في الجملة ولكنهم اختلفوا في التفصيل فاليهود ينتظرون مسيحاً جديداً يجدد ملك اسرائيل ولذلك يسمون لتحقيق هذه الامنية سمياً مادياً يناسب الملك ، والنصارى ينتظرون مجيء المسيح في ملكوته وصلبيه ليدن العالمين ويحاسبهم على نحو ما يعتقد المسلمون في الآخرة ، والمسلمون يعتقدون ان المسيح ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقيم الشريعة الاسلامية ويصلي مأموما وراء أحد أئمة المسلمين ليظهر ان الدين عند الله الاسلام

وقد بنت فرقة البهائية دينها على أساس هذا الاتفاق الاجمالي بين أهل الأديان السماوية وزعموا ان زعيمهم (بهاء الله) دفن عكا هو المسيح المنتظر وان الباب هو المهدي الذي يقول المسلمون ان ظهوره يتقدم

ظهور المسيح ولهم سبع طویل فی تأویل الاحادیث وأقوال الصوفية الواردة فی المهدي والمسیح وتطبیقها علی الباب والبهاء وعند ما يدعون النصارى الی دینهم یمترفون بأن المسیح کان الهاً كاملاً ویقولون انه لم یکن الهاً بحسه بل بروحه وهذه الروح الالهية نفسها هي التي حلت فی البهاء فهو اله كامل « سبحان ربك رب العزّة عما یصفون »

وفی الهند قائم یدعی الآن انه المسیح عیسی ابن مریم وكان من مشایخ الطریق وأهل العلم الاسلامی وقد ردّدنا علیه فی مجلد النار انما لك ورددنا علی البهائة أيضاً وان لنا لودة ان شاء الله تعالى

وان من النصارى من یحمل ظهور المسیح أو نزوله فی آخر الزمان علی ان الصفات التي امتاز بها والتألیم التي كان یرشد الیها هي التي تكون سائدة فی الناس وهي المحبة والمسالمة والمؤاخاة والاخذ بمقاصد الدین والشریعة دون الوقوف عند الرسوم الظاهرة التي قالوا إنه طمسها من اليهودية ثم عاد المنتسبون الیه فوضعوا لهم رسوماً غیرها ربما تزيد علیها من بعض الوجوه. وهذا التأویل علی حدّه ظهر فی المسلمین عمر « اذا قام فیهم ملك عادل وهذا الجيش یقوده نابليون » اذا كان قائده شجاعاً مدرباً ولا حاجة للمسلمین بالتأویل الا اذا ثبت ان الاخبار الواردة متواترة ویارضها قطعی آخر کكون محمد خاتم النبیین صلی الله علیهم اجمعین. فلمن هذا انه لا یكون زمن فترة یضیع فیها الاسلام فیجده المسیح وانما یتقی الاسلام معمولاً به الی قیام الساعة كما ورد فی الحديث الصحيح . هذا وان لفظ النزول یشتمل بمعنى الخروج کقوله تعالى « وانزلنا الحديد » فاذا احتجنا للتأویل نقول ان معنى حديث نزول عیسی هو

ظهور حقيقته بظهور الاسلام واستملاء برهانه فيعلم النصارى ان المسيح بشر لا آله وان دين الله واحد لا فرق فيه بين عيسى ومحمد وغيرهما من الرسل وهو توحيد الله والايمان بلفظه في الآخرة ووجوب عمل الخير وترك الشر وما يتفرع عن هذه الأصول ولا شك ان الترقى في علم النفس وعلوم الكون سيرتقي بالناس الى هذه المعرفة منبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد» (س ٧) انتفاع الموتى بالقراءة من الشيخ أحمد حسن يوسف مصر

بالأزهر : هل ورد دليل من الكتاب أو السنة أو الاجماع بان يتنفع الموتى بقراءة القرآن عليهم أم لا ؟ فان كان ورد شيء يؤيد ذلك فما معنى قوله تعالى « وان ليس للانسان إلا ما سعى » الرجاء كشف النقاب عن هذه المسئلة ولكم الفضل

(ج) لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في الاجماع شيء يثبت تنفع الاموات بقراءة غيرهم القرآن عليهم والآية ناطقة بأن الانسان لا يتنفع الا بعمله وكعبه ومنه ما يبقى أثره أوعينه بعد موته كالصدقة الجارية والعلم النافع والنزيرة الصالحة ولذلك ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم وأصحاب السنن من حديث أبي هريرة . فهذه الثلاث ملحقة بعمل الانسان ومعتبرة منه فلا حاجة الى مقاله بعضهم من تخصيص عموم قوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما سعى » بالحديث إذ لا منافاة . ومثل ذلك يقال في من سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يتصدق عن أبيه ومن سأل هل يتصدق عن أمه وإجابته

أيام بنعم ومنهم سعد بن عبادة الذي سأله أي الصدقة أفضل : فقال : سقي الماء . ولم يرد مثل ذلك الا في صدقة الابناء عن الوالدين . وقد ألحقوا بهم غيرهم في الصدقة ولا دليل على ذلك الا اذا صح القياس في الأمور التعبدية . وخصوصاً الآية بالمبادات البدنية كالصلاة والقراءة . وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله تعالى بالآية على ان ثواب القراءة لا يلحق الأموات وهو مذهب مالك أيضاً . ولا نخوض هنا في خلاف العلماء وتأويلهم لأن السائل لم يسأل عن ذلك

وأما حديث « افراوايس على موتاكم » فقد رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي وابن حبان وصححه واحد بلفظ آخر . ولكن ابن القطان أعله بالاضطراب وبالوقف وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه من رجال سنده وقال الدارقطني هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن . وتصحيح ابن حبان لا يمول عليه مع هذا الجرح لأنه كان يتساهل بالجرح فيعتمد جرحه دون تعديله اذا انفرد به كما صرح به الذهبي في ميزان الاعتدال . على انه فسر في صحيحه بقراءتها عند المحتضر فقال « أراد به من حضرته المنية لأن الميت يُقرأ عليه » وخالف المنتصرون للقراءة على الأموات . ولو ان في الباب حديثاً صحيحاً لما احتاجوا للاستدلال بحديث يضع الجريدتين على القبر ولا دلالة فيه كما هو ظاهر

(س ٣) اتخاذ الصور احمد افندي صادق الدباغ بالاسكندرية : ما حكم

اتخاذ الصور وهل يحرم تزين المنازل بها ؟

(ج) اختلف العلماء في اتخاذ الصور فقيل إنه محرم مطلقاً وقيل ان

المحرم منها ما لا ظل وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذ . وقيل ان المحرم هو ما اتخذ

بهية تعظيم وهذا أقوى الأقوال عندي لوجهين أحدهما حديث عائشة
عند أحمد والبخاري ومسلم وهو « أنها نصبت ستراً وفيه تصاوير فدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزعه . قالت : ففقطته وسادتين فكان يرتفق
عليهما » وفي لفظ أحمد « فقطته مرفقتين فلقد رأيت « تكثراً على أحدهما
وفيها صورة » المرفقة التثكأ والمخذة ولو كانت الصورة ممنوعة لذاتها
لأزالها من المرفة وإنما هتك السر لأنه كان منصوباً كالصور المعبودة
فهو يذكر بها وفيه تشبه بإبديها . ثانيها العلة الحقيقية في النهي عن
التصوير والصور الممثلة وهي محاكاة عباد الأصنام لا ما قالوه من أن فيها
محاكاة خلق الله فان هذه العلة تقضي تحريم تصوير الشجر والجماذ وقد نقل
بعضهم الاجماع على حله . فاذا انتفت العلة انتفى المملول والله تعالى أعلم

القسم العمومي

الاجتماع الثالث - الداء أو الفتور العام -

في مكة المكرمة يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦
في الوقت المعين وهو بعد طلوع الشمس بساعة ثم توارد الاخوان لحفل الجمعية
غير ان الأستاذ الرئيس تأخر نحو نصف ساعة ثم حضر واعتذر بأنه عاقله عن الحضور
ان حضرة الشريف الأمير قد طلبه لزيارته فإوسعه إلا الاجابة بأكرا وما كان يظن
أن يسترسل بينهما الحديث فيتأخر عن الميعاد ولكن اتفق ان الحديث كان طويلاً
ثم قال (الأستاذ الرئيس) اننا متشوقون لتقام بحث المولى الرومي وأمر السيد
الفراشي كاتب الجمعية فقرأ ضبط مذاكرات الاجتماع السابق حتى بلغ آخره من عبارة
المولى الرومي وهي قوله « عندي ان داءنا الدين دخول ديننا تحت ولاية العلماء
الرسميين » أخرى تحت ولاية الجهال التعممين

فحينئذ أقاض (المولى الرومي) في الكلام فقال وهم القربون من الامراء على أنهم
علماء وارتباط القضاء والامضاء بهم فان بعض هؤلاء التعممين في البلاد الاسلامية

كانوا اتخذوا لانفسهم قانوناً جعلوا فيه من الاصول ما انتج منذ قرنين الى الآن ان يصير العلم منحة رسمية تعطى للجهال حتى للابيين بل وللاطفال . ويترقى صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال بمجرد تقدم السن أو زادف العناية لاسيما اذا كان من زمرة الاسلام . فانه يكون طفلاً في المهد وينمت رسماً بانه « أعلم العلماء المحققين » ثم يكون طفلاً فيخطب بانه « أفضل الفضلاء المدققين » ثم يصير صراعاً فيعطى لقب « أفضى قضاة المسلمين ، معدن الفضل واليقين ، رافع اعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الانبياء والمرسلين ، » ثم وثم حتى يبلغ الوصف (بأعلم العلماء المتبحرين ، وأفضل الفضلاء المتورعين ، ينبوع الفضل واليقين ،) ولا يظن ظاناً ان هذا الاطراء من الأمراء للمتسمين هو بقصد ان يقابلوهم بالتل بالقباب « المولى ، المقدس ، ذي القدرة ، صاحب العظمة والجلال ، المنزه عن الخيبر والمثال ، واهب الحياة ، ظل الله ، مهبط الالهامات ، سلطان السلاطين ، ملك رقاب العالمين ، ولي نسمة الثقلين ، ملجأ أهل الخائفين ، » الى غير ذلك من « صارع الكبرياء والمهالك » .

هذا ولا ريب ان كثيراً من هؤلاء العلماء المتبحرين لا يحسنون قراءة نصوصهم الزورة كما ان بعض اوثك المتورعين رافعي اعلام الشريعة والدين يجاريون الله جهاراً ويستحقون ما يستحقون من الله ولا شكته والمؤمنين .

ويكفي حجة عليهم ذلك تميزهم جميعاً بلباس عروسي مزركش بكثير من النقطة والذهب مما هو حرام في الاسلام وقد اقبوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القباء والفلنسوات المذهبة عند اقامة شعائرهم وفي احتفالهم الرسمية وكم من خطيب يتري على المنبر ويقول اتقوا الله وعلى رأسه وضدرة ومنكيه هذا اللباس التكر (مرعى) . ثم ان هؤلاء التسمين ما كفاهم هذا القانون فالحقوه بقانون آخر جعلوا فيه التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة وسائر الخدم الدينية كالمروض تباع وتشتري وتوهب وتورث وما يتخل منها نادراً عن غير وارث يبيعها القضاة لمن يزيد في ثمنها او يتكرمون بها على المتماقين وهذا القانون انحصرت الخدم الدينية في الجهلاء والناقضين . ثم لما شكلت بعض الحكومات مجالس ادارية لم يرص المتعمدون حتى جعلوا فيها قاضي المسلمين وكذلك مفتي المؤمنين فهما في كل بلد عضوان في مجالس الادارة يحكماها باشياء كثيرة عما بصادم الشرع كالربا والضريبة على الخمر والرسوم العرفية وغيرها مما كان الأليق والأنسب بالاسلامية ان يبقى العلماء بميدان عنه كما ان القسيس بل

الشهاس لا يحضر مجلساً يعقد فيه زواج أو تفريق مديان ولا ينهد في ملك دين داخله ربا فضلاً عن ان يقضي أو يحضي بصفة رسمية كهنوتية امثال ذلك من الاعمال التي تعادم دين التعرانية .

وكذلك لما وضعت المحاكم العرفية (الاهلية) تهافت التمسعون على جعل قاضي المسلمين رئيساً للمحكمة العرفية التي تحكم بما لم ينزل اقصوا يتبرأ الدين الخفيف منه من محورياً صريح ومن ابطال حدود الله التي صرح بها القرآن أو يستبدال عقوبات سياسية أو قسريات مالية بها . ومن نحو ساقية العباد بمجرد الظن والرأي وشهادة الواحد وشهادة الفاسق وشهادة العامة المجاهرة بما لا يلائم الشرع قطاً ومن نحو تنفيذ كل حكم عرفي حق أو باطل بدون نظرقه ومن محصل ضرائب وخرامات ومن توقيف الاحكام الشرعية على لسبقاء الرسوم من الاخصام وأموال الايتام ومن أهم دسائس التعميق أنهم يفتنون في صدور الامراء لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي وان كان مضرراً ومصاداة الشورى وان كانت منتهية والمحافظة على الحالة الجارية وان كانت سيئة ويلتقون عليهم بأن مشاركة الامة في تدير شؤونها والاطلاق حرية الاعتقاد لما يخل بنفوذ الامراء ويخالف السياسة الشرعية ويلتقونهم حجباً واهنة لولا ان اطمعها جهل الامة وورامها سطوة الامارة لا تحرك بها شفتان ولا تردد في ردّها انسان

والامر الامر ان لو انك الامراء يقتبون من هذه الحجج ما يتلحون به في مقابلة من يترض على سلبهم من الدول الاجنية يقولهم ان قواعد الدين الاسلامي لا كلام اصول الشورى ولا قبل النظام والترقيات للدنية وانهم مطلوبون على امرهم ومضطرون لرعاية دين وعلمهم ومجاراته ميل الفكر العام وهذه القوانين استأثر الجيلاء القاطنون بجزايا السلالة السالطين واعتصموا اوزانهم من ريت المال ومن اوقف الاملا فبالضرورة قلت الرغبات في تحصيل الصلوات ومبطلت الهمم وصار طلاب العلم يضطر للاكتفاء ببلقة منه ويستغل بالاحتراف للارزاق ومكثافد العلم وكل امله فاحتلت الترية الدينية في الامة فوقت في الفتور وعمت فيها الشرور .

أجاب (الرياضي الكندي) ان هذا الداء خاص ببعض الشعوب الاسلامية قلاصاً سياً للفتور العام الذي نجت فيه وتساؤل عنه . وعندي ان السبب العام هو ان علماءنا كانوا اتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات واهملوا باقي العلوم الرياضية

والطبيعة التي كانت اذ ذك ليست بذات بل ولا تفيد سوى الجمال والكمال فتقدم
أهلها من بين السامعين واندوست كتبها واقطعت علاقتها فصارت منفوراً منها على
حكم « المرء عدو ملجهل » بل صار انتطلع اليها منهم يفتق ويومى بالزنج والزندقة
على حين اخذت هذه العلوم تنمو في الغرب وعلى سكر القرون ترقى وتظهر لها ثمرات
عظيمة في جميع الشؤون المادية والأدبية حتى صارت كالشمس لا حياة لذي حياة إلا بنورها
فاصبح السامعون مع شائع بصددهم عنها محتاجين اليها لمجاراة حيراتهم احتياجاً يع
الجزئيات والكتليات من تربية الطفل الى سياسة الممالك ومن استنابات الارض الى
استمطار السماء ومن عمل الآبيرة والقوارير الى عمل المدافع والبوارج ومن استخدام
اليد والحرار الى استخدام البرق والبخار .

ولاشك ان المسلمين أصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة يستفيدون من العلوم
الطبيعية والحكومية فوائد عظيمة جداً بالنظر الى كشفها بعض اسرار كتاب الله وبالغ
الحكمة التطوية فيه مما كان مستوراً الى الآن وقد خبط فيه لتفسرون خط عشواء
بل انهم المسلمون محتاجين للحكمة النقاية التي كادت تجمل القرابين ادرى منا
حتى عبادي دينا كاستدلالهم بالنقاية على ان مينا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل
المالين عقلاً وأخلاقاً وكتاباتهم بالمقابلة ان دينا أسمى البيانات حكمة ومنيرة .

وعندي انه لو لا هذا القصور ، لما وقع المسلمون في هذا الفتور ، والامل بناية الله
انهم بعد زمان قصيراً وطويلاً لابد أن ياتقروا الى هذه العلوم النافعة فيستفيدوا ثنائهم
بل يجلبوا الى دينهم العالم المتمدن لان نور المعارف على قدر ابداء العقلاء عن التصراية
وامانها يقرهم من الاسلامية لان الدين الملوء بالمخرافات والمقتل المستير لا يجتزمان
في دماغ واحد . (مرعى)

ثم ان تبة هذا القصير وان كانت تلحق علماء الأمة المتقدمين الا ان علماءنا
للتأخرين اكثر قصوراً لانهم في زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم ولم يحصل فيهم
ميل لاقياسها بل تراهم مقتصرين على تدريس قنون اللغة والفقه فقط او بلاوة شئ
من المنطق انما للعقائد وشئ من الحساب اكلا للفرائض والوارث قلما يفيد .

وكذلك نرى وعاطنا مقتصرين على البحث في التوافل والقربات الزيدة في الدين
ورواية الحكايات الاسرائيلية ومثلهم المرشدون أهل الطرائق فهم مقتصرون على
حكايات نوادر الزهاد من صحيح وموضوع ورواية كرامات الانجباب والنقام والابدال
وعلى ضبط وزن النمايل واصول الانشاد ولا نسي خطباءنا واقتصارهم على تكرار

عبارات في الثمت والدعاء والمفراة والمجاهدين وتمداد فضائل المبادات والشهور والمواسم .
والحاصل ان تقصيرات العلماء الاقدمين واقصارات المتأخرين وتباعد المساهمين
الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلتهم أحاط من كثير من الأمم ولا شك انه اذا
تمادى تباعدهم هذا خسران عظيم آخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم فكيف يمكنها
ما بين الانسان وباقي أنواع الحيوان فناء عليه يكون ناهوس الارتقاء هو السبب لهذا
الفتور كما قال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

فاجابه (الكامل الاسكندري) ان هذا سبب من الاسباب ولا يكفي وحده
لحل الاشكال لان فقد العلوم الحكيمية والطبيعية لا يصلح سبباً لفقد الاحساس المثل
والاخلاق العالية لانها توجد في أعرق الأمم جهالة وانما سبب فتور حياتنا الادبية
هو يأسنا من المباراة وذلك اننا كنا علماء راشدين وكان جيراننا متأخرين عنا فقرنا
ابقاء قمتنا واجتهدوا فلهحقونا ، ولبنانيا ما فاجتازوا وسبقونا . وتركونا وراءهم . وطال
تومنا فبعد الشوط حتى صار ما بعددورائنا وراءهم . فصغرت نفوسنا وفقرت هممتنا وضعف
احساسنا ففئبنا من اللحاق والمجاراة وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة والستنا
نقيض بقوله تعالى « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » فعدنا الى كهف النوم
مستسلمين للتضاء . نطلب الفرج بمجرد التقي والدعاء . ذاهلين على ان الله تعالى جلت
حكيمته رب هذه الحياة لدنيا على اسباب ظاهريه ولها دائماً ان يجعلها كلاً خيرة عالم أقدار
فهذا اليأس هو سبب الفتور فنسأل الله تعالى العطف في التقدير

اجابه (المعارف التنويرية) ان هذه شكايه حال ولا تنفي بالجواب لانه ما السبب في
ن هذا النوم غنى المسلمين ولم يزل ينشأهم دون كثير غيرهم من الأمم التي انبثت
وسارت ولحقت طعن الأحياء وما المسامون بالأمميين المتقطين كأهل الصين ولاهم
بناتو حشيش المريقين كامل امريكا الاصليين .

ثم قال : انا ارى ان عارضتنا فقدنا السراة والهداة فلا أمير عام حازم مطاع ليسوق الأمة
طوعاً أو كرهاً الى الرشاد ولا حكيم معترف له بالازية والاخلاص لتقاد اليه الامراء
والناس ولا تربية متحدة المقصد ينتج منها رأي عام ، لا بطرقه تخاذل وانقسام . ولا جماعات
منتظمة تبسئ بالخير ، وتتابع السير ، ولذلك حل فينا الفتور ، والى الله ترجع الامور .
أجابه (الفقيه الافغاني) ان ما وصفته من أمير وحكيم لا يوجدان في الأمم المنحطة
الا اتفاقاً وأما الرأي العام والجماعات فلا يفقدان الا بسبب فقد الاحساس وهذا
ما نتساءل عنه . وذكر ان الداء العام فيها يراه هو الفقر الآخذ بالزمام لأن الفقر قائم

كل شرور أند كل نحس فتنه جهلنا ومنه فساد أخلاقنا بل منه تشتت أرواينا حتى في ديننا ومنه فقد احساننا ومنه كل مانحن فيه ، أو نتوقع اننا سنوافيه . فهذه فطرنا لا نقص فيها عن غيرنا وعدونا كثير وبلادنا متواصلة وأرضنا خصبة ومعادتنا غنية وشرعنا قويم ونفارتنا قديم فلا ينتصنا عن الأمم الحية غير القوة النالية التي أصبحت لا تحصل إلا بالعلوم والفنون العالية وهذه لا تحصل إلا بالمال الطائل فوقنا في مشكل الدور وعسى أن تهدي لفكك ميلا والا فيحقيق بنا ناءوس فناء الضعيف في القوى وفناء الجاهل في العلم

ومن أعظم أسباب فقر الأمة ان شريعتنا مبنية على ان في أموال الأغنياء حقاً معلوماً للبائس والمحروم فيؤخذ من الأغنياء ويوزع على الفقراء وهذه الحكومات الإسلامية قد قلبت الموضوع فصارت تجبي الأموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للأغنياء وتحابي بها المسرقين والسفهاء . (الاجتماع بقية)

باب التوبة والتعلم

في الكتاب الثالث «من أميل القرن التاسع عشر» في الباب

مذرات مقطوعة من جريد دار اسم . تحرير أبحر ازون في سنة ١٨ الداخلة في سنة ١٨٦

الشذرة الاولى

حب الزوجة والولد والوطن

منذ سنة تغيرت شؤون حياتي كلها

ولقد وجدتها هي بعينها (١) ولما تلاقينا كنا كأننا لم نفرق في حياتنا فان التوى لم تغير شيئاً من ضروب وجداننا ولا من عاداتنا لبقاء قايينا على ما كنا عليه من الارتباط والامحاد وغاية ما حدث اني أراني الآن آنس مني في جميع أيامي السابقة بحسن معاشرتها وجمال معاملتها نعم انها لم تنق طرفة كاهلها ولكنها لم تأخذ من مرور

(*) الباب الأول من هذا الكتاب في الأم والباب الثاني في الولد وقد تقدموا هذا

الباب الثالث في تربية الغلام اليافع (١) يريد زوجه أم أميل

الأعوام وكروار الأيام إلا ما يزيد للمرأة في القلوب محبة وفي النفوس تأثيراً : كأن روحها وملاح وجهها تكلمات وتطهرت بأدائها فروض الأمومة المقدسة كنت أوشكت أن أقطع من معرفتي لولدي ولما يبنى التنبؤ عليه في هذا المقام أن الذين هم أكثر الناس اشتغالاً بالتربية لم يرزقوا أولاداً أو رزقوهم وحرموها من رؤيتهم وربما كان هذا هو الباعث لهم على الاهتمام بالتربية وجعل البحث في شؤونها غايتهم ليؤدوا بذلك ما فرضه الله عليهم منها بنوع آخر من الآداء

فليت تمرى بماذا استحققت أن أكون أسعد من هؤلاء مع كونهم أجدر مني بالسعادة ما أشدني حنوً وتأثراً عند قيل ولدي أياي وما أعظم زهوى وإعجابي به عند ما آخذ يده وأتزه معه في المزارع وإن الدنيا لترى في عيني جديدة وهو مني كأن لم أرها منذ سبع سنين . ولا جرم أن الإنسان لا يبصر وهو رهين السجن محروم من الحرية فكل ما كنت أراه من أشجار وصخور عمرت عمر الدنيا القديمة كان يحيل إلي أنه لم يخلق إلا بالأمس

خطر في ذهني ساعة خاطر العود إلى فرانسا ولكن الف مانع — وإن شئت فقل الف وهم — قد تحول بين المرء وبين مدينته في وطنه وما أدراك أن من هذه الموانع ما يعتري من الألم المعض الذي لا يستطيع التعبير عنه إذا رأيت أمة عظيمة عهدتها جرة قد أصبحت في قبضة حاكم وجميع ما يحصل في هذا الوطن لا يقل عن ذلك إيلاً للقلب ولا أزهاقاً للنفس

يوجد في جميع عصور التاريخ رجال بررة صالحون رأوا من الواجب عليهم لأقربهم ولأوطانهم أن يخدموا هذه الأوطان وهم بمنزل عنها قتل هؤلاء هم فيما أرى أشد حياً لها لأنهم سواء قاربوا منها أم بعدوا عنها يحيون بتفكيرها ويفتخرون بتجاهدها في سبيل الخير وبما لها من الآمال في الوصول إليه . جرحهم في صميم أقدارهم ما من منهم من القروح وإن كان يبدو من حال الأمة عدم شعورها بالمشاكل في مرور الزمن عليها والاعتقاد على احتمالها من قوة التأثير ما يكفي لأدائها جميعاً . مثل هؤلاء المتطوعين بالاعتراب والفي يلومون الناس وحوادث الدهر ولكن إذا حاول مجادل إمامهم أن ينقص من كرامة فرانسا ويحط من شأنها استشاطوا غضباً وتنفج لدم في عروقهم . ذلك أن هذه القطعة من الأرض التي تنازلوا عن سكنها مختارين قد تغفل حراً في أحاسنهم وأخذت بمجامع قلوبهم فتراهم يبذلون الوطن نفسه في أعز أزمان المعنى الذي قام في أذهانهم منه ويفضلون الحكم على أنفسهم بالبعد عنه على رؤيتهم إياه مهيناً ذليلاً .

كأنني أسأل يقول : لماذا اتخذت هذه المادة وهي تقييد أفخارك ومذاقك
كل يوم بحسب العادة والاتفاق فاجيبه ان هذا مطوي ايام يعيشني في السجن اسره
لناس لأنني لآلم يكن لي فيه أليس أمارحه الحديث كنت اكتب كأنني أرسل نفسي . اه
الشذرة الثانية

(تعليم السميات قبل الاسماء)

لم تخاف طريقها في تربية « أميل » أملاً من آمالي فلتبق على ما هي بسيله من
تهذيبه وستقيده بما تقدمه له من الأذى وبما توجهه الى نفسه . من الثقة بها . على أننا
من عهد أن انعم الله علينا باللقاء رأينا من التقييد أن نقيم العمل بيننا لأن التعليم — ان
لم اكن غالباً في حكمي — هو من وظائف الوالد غالباً وأما التربية فلها من أعمال
الوالدة وان أردت ان تعلم ابن نحن من قيام كل منا بعمله فاقول :

لما يدرس « أميل » شيئاً درساً متظماً فهو أتما لقف دروسه الأولى في علم
التاريخ الطبيعي منفردة على نحو من الاتفاق وذلك بمعاينة ما كان يجده كل يوم على
شاطئ البحر من أنواع المحار والصدف . ثم اني أمكنه من النظر بالنظار المظلم
(الميكروسكوب) وهو آلة شائعة الاستعمال جداً عندنا مخرجاً أجزاءه بنفسه فيكبره
بعض عجائب المخلوقات غير المتناهية في الصغر وأريه بالمرقب (التليكوب) وهو آلة
أرصد بها النجوم إلا عجائب المخلوقات غير المتناهية في الكبر . وقد لأننا ناه من
الزجاج بالماء المالح ووضعنا فيه حيوانات هلامية وحيوانات قشرية وأسمها كلاً وكنا نجد
ماه كل خماسة أيام ومنه تلقى « أميل » كل ما عرفه فيما أرى من علم حياة الحيوانات
التي تسبح في بروف البحر . وفي بعض الأحيان أكرر بمشاهدة منه بعض عجائب
سبلة جديدة في الكيمياء والحياتية زار على جهل أبي حين السنين . به بعض
الادراك تأثير بعض الاجسام الفطرية في بعض . ورأني يوماً أضغ منابيس للحرارة
والهواء ومع كونها لم تكن من الاتفاق في شيء بدالي منه انه ادرك استساها في الجملة
لأنني رأيت يريد مما كاتها . جميع ما تقدم هو كتب تعليمنا حتى الآن

لا بد ان أكون أنا و « أميل » تابعين في التعليم لمذهب ارسطاليس لأن اغاب
درسنا يحصل في وقت التره فاني أدع لامور الكون وحوادثه تنبه ذهنه غير متعرض
لها بشرح ولا تفسير الا ان يكون اجبة عما يوجه الي من الاسئلة مجتهداً في أن يكون
الشرح واضحاً والبيان وافياً . وقد عرفت من محاورته ان الوسيلة الى اصفاة الي هي

تأبى عليه أفكاره عند محادثته وإن كثيراً ممن يأخذون على أنفسهم تعليم الأطفال ليأمنون لهم في البيان ويشرطون في الشرح كما لو كانوا في حاجة إلى أن يفتوا بذلك لأنفسهم أنهم على معارف واسعة وعلوم جمة . أما لا أعلم « أميل » شيئاً بل أتى أنعم معه فموضاً عن كوني أعلم طريقتي في النظر أجهد في معرفة طريقته وتميزها وما لا يميل إلى معرفته بحال أجهله منه أو أجهله . نعم إن هذه الطريقة ليس من شأنها أن تعلي قدر الأستاذ في نظر تلميذه وأنه لابد في اتباعها من ثروة العقل عن الفرض وتنازله عن بعض شهواته ولكن ما هو متبع الآن من نقش صيغ العلوم وقوانينها وقضاياها في أذهان الأطفال ليس هو لا كرقم الألفاظ على الرمل

ما كنه البحث عند الطفل هي كغيرها من الملكات تنمو بالاعتقاد والممارسة فإن الشوق إلى معرفة الأشياء يتولد في الإنسان ولا يولد معه وإنما يكتسب ذوق الملاحظة الاستقلالية بالملاحظة نفسها . إن لي أن أعين فيه « أميل » والتفاته بأن أريه ما لا يراه في الأشياء لأول نظر . إليها غير أنه في هذه الحالة يجب أن يكون هو مصدر الميل إلى ذلك أيضاً وإن يكون مدور هذا الميل منه فطرياً . ثم إن الأطفال في الجملة مدفوعون جداً بسائق الطبع إلى الاكثار من السؤال فرأيت أن التعجيل لهم بالجواب قبل السؤال ونجاوز حدود ما يطلبون معرفته مما تخبوه نأر هذا الاستعداد المبارك لأن ذلك يضيي كثير منهم إلى التزام السكوت ليكفوا أنفسهم مؤنة سآمة الدرس وطولها . اهـ

﴿ قوانين التعليم الرسمي والجمعية العمومية ﴾

« النبعة الثانية »

تقدم في الجزء الماضي ما يخص ما دار بين مفتي الديار المصرية وناظر الدارف من المناقشة والمراجعة في اقتراح عرض قوانين التعليم في مدارس الحكومة على مجلس شورى القوانين كإثر قوانين الحكومة ونذكر في هذا الجزء ما يخص ما دار في الجمعية بين الناظر والشيخ علي يوسف في ذلك مع بيان رأينا فيه ثم نقدر القانون فنقول (الشيخ علي) : « الضمانات » (١) التي ذكرها سمادة ناظر المعارف إنما هي كافية في التغيرات الإدارية كتحديد أوقات الدروس وخصص المدرسين وأما القواعد

(١) رأى القراء في النبعة الأولى أننا كنا نضع كلمة « الضمانات » و « الضمانات » بين علامات مميزة كما هنا إشارة إلى معناها الذي يخالف ما استعملت فيه وهو الرض فكان ناظر المعارف يقول إن قوانين التعليم في نظارته خسة أمراض ونحن نقول إنها أكثر

الكلية المتعاقبة بالعلوم من حيث ترتيبها في التعليم واللغة التي تعلم بها فربما لا يصح تفسير قوانينها في أقل من عشرين سنة مثلاً لذلك يجب الضمان . والتعليم باللغة الأجنبية مناه نقل أشخاص إلى العلم وأما التعليم بلغة الأمة فهو نقل العلم إلى الأمة فيسهل على الطالب معه أن ينفع يته بعلمه وبما يحيط به من كتب التعليم . وقد نشأ عن التعليم باللغة الأجنبية قلة التأليف بالعربية وعدم وجود الأساتذة الأكفاء في المدارس الحرة ولم تنق من ذلك « ضمانات » ناظر المعارف « فالتقوانين العمومية يجب عرضها على مجلس شورى القوانين اذ لا يكفي فيها نظر الحكومة وحدها

(الناظر) ان الطرق النجعة في التعليم ما وضعت الا بعد تجارب شتى بمعنى ان هذا العلم الذي تبين ان تعليمه بالعربية أنفع يكون تعليمه بها والعكس بالعكس اذ المدار في ذلك على الكتب والمدرسين والاقرب للترقي . ومما يتنه من « الضمانات » وغيرها يتضح ان وضع « البروجرامات » يتبع فيه أحسن الطرق وأفضلها ام كما كتب (الشيخ) ذلك براد به الأسهل في التعليم والذي يزيد هو نفع الأمة وقد كان منذ عشر سنين تأليف كتب في الطب والطبيعة وغيرها من العلوم فيأتي بها التامية فيستفيد منها أبوه وأمه ولا شيء من ذلك الآن لأن التعليم والتأليف باللغة الأجنبية فيجب أن يكون التعليم الوسط بلغة البلاد ويصح أن يكون في المدارس المالية باللغة الأجنبية

(الناظر) يترتب على هذا جعل التعليم ناقصاً . وانتشار العلم في البيوت لا يكون بوجود الكتب في أيدي أفرادها اذ لا يفهم الكتاب الا من كانت عنده مبادئ العلوم وعند ما رأى أعضاء الجمعية ان الناظر يريد كلامه ويحتاج « ضماناته » كما ألححت الجمعية برحب الإصلاح بمجلس الشورى على قوانين التعليم قال حسن بن محمد نور ان احسن ضمانات هو ارساء قوانين التعليم لمجلس الشورى وامر الرئيس بأخذ آراءه « فنقرر بأغلب الآراء » طالب ذلك من الحكومة . ولا أدري هل كان في المخالفين أحد غير ناظر المعارف ؟ ان كان فلعلمه من بعض الموظفين الذين يرون موافقة الناظر تأييداً لحزب الحكومة وان كانت المصلحة واحدة والشورى من الحكومة أما الجواب الأول للناظر فقد أحسن الشيخ علي في نقضه بقدر ما يسمح له المجلس الرسمي وزيدته ايضاحاً بأن هذا التعليم الذي وصفه الناظر بأنه أنفع وأحسن وأفضل قد خالفت النظارة فيه ما اتفقت عليه الأمم الأوروبية كلها وفي مقدمتهم الانكليز . ذلك أن التعليم الابتدائي في أوروبا لا يكون الا بلغة البلاد لأن حياة الأمة بانها

ونعلم لغة أخرى لأجل الزيد في العلم كعلم الانكليزية لغة الألمان هو من الكماليات التي يجب أن تكون بعد الضروريات . فهل وصل نظام مدارس معارفنا ومقتشوها — ان كان قانون التعليم برأيهم — الى ما لم يصل اليه فلاسفة اوربا وأساتذتها في علم التربية والتعليم ؟؟

فان قال الناظر اذا ثبت ان تعلم الطبيعيات مثلاً أسهل باللغة الانكليزية منه باللغة العربية فكيف تنكب الطريق السهل ونسير في الخزوف الثورية ؟ نقول له بعد التسليم : وهل تعدل عن الانكليزية الى التركية او اليابانية اذا ثبت عندك ان التعليم بها أسهل والتحصيل أقرب ؟ وانما قلنا أسهل وأقرب ولم نقل « أسهل » كما قال الناظر لأن الأهمية لأشبه عليها إلا اذا فسرت بالسهولة وقرب التحصيل اذ لا يمكن ان يقول عاقل أي أسهل بمحو لغة أمي واستبدال لغة أخرى بها لتفهم من المتافع وأي نفع في الدنيا يوازي ضرر اهالك لغة الأمة التي هي من أقوى مقوماتها أو هي اقواها في نظر الاكثرين

وأما الجواب الثاني من أجوبة الناظر فأمثل ناقض له ما فعلته الجمعية من ترك المناقشة بالمكثارة والاضرار على ان الضمان على التعليم لا يكون للأمة الا بعرض قوايته على مجلس الشورى والجزم بطالب ذلك من الحكومة . وماذا عسى أن يقال ان يقول ان التعليم الابتدائي بلغة الأمة يكون ناقصاً وجميع الأمم الحية عليه كأن الكمال لم يوجد الا في معارف مصر التي لا أثر لمعارفها يذكر بالنسبة الى سائر الأمم . وماذا عسى أن يقال لمن يدعي أن انتشار الكتب العلمية في الأمة لا تأثير له في منفعة البيوت ورتقي أفرادها ؟ أليس يحدث التلامذة في بيوتهم ومذاكراتهم في المسائل العلمية بأنفسهم مما يحبل الاصطلاحات العلمية مأثورة في البيوت لكثرة طروقها للمسامح ؟ أليس الآباء والأمهات الذين تلقوا شيئاً من مبادئ العلوم وقضت عليهم شؤون المعيشة بعدم اتمام تعليمهم يتفهمون بالكتب المؤلفة اذا كانت بلغتهم ؟ بلى وانما نمود الى الكلام في قانون التعليم فنقول : ان في هذا القانون (البروجرام) عيوباً وتقصيراً نورد ما يظهر لنا منها بالاحتمار على ترتيب القانون وهو

(١) كون القرآن لا يدرس الا في السنتين الأولى والثانية وكون الذي يقرأ منه جزأين فقط . والأمة ترغب في اقراء أولادها القرآن كله لما في قراءته من تقويم اللسان وتمويده على الفصاحة في الطلق والاستقامة على الكتابة والخطابة ولكونه أصل الدين والوسيلة العظمى لكمال من يفهمه . ولم تكن « الضمانات الخمس » عن

هذا النقص شيئاً .

(٢) كون تعليم الدين والتهديب في أثناء سنتين فقط مع أنه يجب أن يكون ذلك موزعاً على جميع السنين لأن الدين والتهديب هما المقصود الأهم من التعليم ومن لم يتمكن منهما يكون خاطئاً في حياته وإن تعلم جميع الشئون الأخرى . ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٣) كون الوقت المخصص لتعليم الدين والتهديب معاً ساعة واحدة في الأسبوع مع أن اللغة الأجنبية التي تعلم من السنة الأولى الابتدائية إلى آخر يوم من أيام التعليم العالي لها سبع ساعات في الأسبوع من السنتين الأولى ، فالحاصل المقررة في القانون لتعليم علوم الدين وعلم التهديب ٣٦ ساعة في السنة و ٧٢ ساعة في مدة الدراسة كلها وتقتال منها أيام الأعياد والمواسم ما يقتال . فائدة نحو ثلاثة أيام وهي لا تكفي لتعليم الأكل . فهي تكفي ببركة « الضمانات الخمس » لمعرفة الله وما أوجبه على عباده من أصول الإيمان وتنقيف الأخلاق وكيفية العبادات مع التهديب المدني الديوي الذي نوه به ذلك القانون . هذا أكبر عيب ونقص في نظام المعارف ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٤) كون علم الدين لا شأن له في درجات ترقى انتلامه في الامتحان المصير بها بالتميز فلو فرضنا ان تلميذاً بلغ في فهم الدين ومعرفة أحكامه مبلغ الأئمة وكان مساوياً لآخر في سائر العلوم فإن هذه المعرفة لا ترفعه عنه درجة واحدة فإن زاد ذلك الآخر درجة واحدة في الخط الأفرنجي مثلاً فإنه يرتفع بذلك ويتقدم على ذلك الإمام الديني الجليل . ومن لاحظ ان انتلامه لا يجتهدون إلا لأجل السبق في الامتحان وعلم ان الذين لا يجتهدون لا يتسابقون لأنهم لا درجة في علم ان التقاطع متضمن الجهل الذين لم يجهلوا مرتبة ومكانته وهذا نقص فاحش في قانون التعليم ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٥) كون المسائل التي يتدأ بها في تعليم الدين تعلو على عقول المبتدئين وهي كما في الصفحة ١٢ من القانون « احتياج الانسان الى الدين — بيان الفوائد المترتبة على التمسك به — بيان أنه ليس قاصراً على أنواع العبادات بل هو مشتمل على ما يلزم الانسان من المعاملات وغيرها ويرشده الى طريق المجد والشرف في الدنيا والآخرة — أول ما أوجبه الدين — ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز — الحكمة في ارسال الرسل — ما يجب في حقهم الصلاة والسلام وما يستحيل وما يجوز —

نبيه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه .

ولاشك ان هذه المسائل يتوقف فهمها على معرفة الاحكام العقلية والالام بعلم الاجتماع فابتداء التعليم بها نقص . واذا فرضنا ان تلامذة السنة الثالثة الذين لم يكونوا تعلموا من الدين شيئاً مستعدون لفهم مقدمات هذه المسائل ثم لفهمها ثم فرضنا أنهم يعلمون المقدمات فعلا فهل يقدر المعلمون على تعليم ذلك كله مع علم التهذيب في ست وثلاثين ساعة وهو الوقت الممنون لدرس هذه الاشياء كما تقدم ؟ اللهم ان هذا ما لا يستطيع أن يتصوره عاقل واه لتقص فاحش وخلل فاضح في قانون تعليم المعارف ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٦) كون هذه المسائل غير محيطة بالمقائد الدينية فهناك مسائل أخرى يجب معرفتها وليس بعد هذه السنة تعليم للمقائد وهذا نقص ضار منتقد ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً آخر

(٧) كون الكتاب الذي تعلم به هذه المقائد وما معها ليس مؤلفاً على الوجه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قانون التعليم قبل تلك المسائل التي ذكرناها ثم ان أثر تلك الغاية لم يظهر في تلامذة مدرسة من المدارس كلهم أوجههم فنقول ان المدار على المعلمين في الوصول اليها وهذا اهل عظيم ونقص محسوس ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٨) كون قسم الاخلاق الدينية لا وجود له في تعليم مدارس الحكومة وهذا نقص عظيم ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٩) كون علم الاخلاق والحرام . . . لا وجود له في التعليم الديني وهذا نقص قبيح والغاية من تعليم الدين لا تتم الا به ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(١٠) كون مسائل العبادات التي تدرس في السنة الرابعة غير كافية وغير مؤدية الى الغاية المطلوبة وكون الوقت المخصص لتعلم العبادات غير كاف وهذه أنواع من النقص والحلل جعلناها واحدة لأنه تقدم في قسم المقائد نظيرها . ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً . وقد طال الكلام في انتقاد تعليم القسم الديني ومن بين لنا خطأ في شيء منه فانسأ رجع عنه لان قصدنا الاصلاح لا اظهار العيوب . وستكلم عن النقص في سائر الاقسام فيما يأتي ان شاء الله تعالى

أشعار على أسرار البلاغة

﴿ شهادة مفتي الديار المصرية لكتاب أسرار البلاغة ﴾

طلبنا من مولانا الأستاذ الامام مفتي الديار المصرية أن يكتب لنا رأيه في كتاب أسرار البلاغة الذي لاجلنا به بارشاده فكتب حفظه الله ما يأتي :

اطلعت على كتاب أ. رار البلاغة من تأليف الامام الجليل الشيخ عبد القاهر الجرجاني وسيت في لابه وقراته دوساً في الجامع الأزهر . وقد وضعه مؤلفه في علم البيان والاستعارة والجاز وسلك المسلك الذي يوافق العقل البشري سلوكه في تصوير المعاني وتشخيصها على وجه تتأثر منه العقول بالأثر المطلوب من إبرازها لها . ولم أر كتاباً في هذا الفن لا بقلم متأخر ولا بقلم متقدم يقرب من هذا الكتاب في حسن الأسلوب وحيات الأمن ودروقه . ولقد كان كنزاً مخفياً لا تصل إليه يد الباحث حتى يسر الله لنا نسخة بهت بها لنا أحد أهل العلم من طرابلس الشام وكان فيها نقص وتحريف فأرسلت أئمة طلبة العلم إلى الأستاذة العلية ليقابها على نسخة هناك ثم كنت تصحيحها أثناء الارس فكان ظهور هذا الكتاب من نعم الله على المشتغلين بهذا الفن الجليل . وهو جدير بأن يتفجع به الأستاذ ويقتطف منه التلميذ وتزين به كل مكتبة في مشارق الارض ومقاربها

مفتي الديار المصرية

محمد عبده

﴿ دلائل الإعجاز ﴾

يعلم قراء المنار ان الامام عبد القاهر الجرجاني قد أسس علمي البلاغة بكتابه المشهورين (أسرار البلاغة) الذي طبعناه وهو في فن البيان و (دلائل الإعجاز) الذي نطبعه وهو في فن الدلائل . وانما سماه دلائل الإعجاز لأنه لا طريق إلى معرفة كون القرآن الآن معجزاً إلا به (كما انه معجز بهدايته) إلا بالقوانين التي وضعها في هذا الكتاب . وقد كتب رحمه الله تعالى مقالة أورسالة سماها (المدخل في دلائل الإعجاز) وجعلها مقدمة له ميفة منزلة ، ودالة على مكانته ، ومصرحة بأنه هو الواضع للفن . وهي على اختصارها قد أشارت إلى أصول قواعد النحو وقال بمراد ذلك ان جميع

كلام العرب كان موافقاً لهذه القواعد فإذا قال مترض ما هذا الذي امتاز به القرآن حتى كان معجزاً؟ نقول ان الجواب عن هذا السؤال هو كتاب دلائل الإعجاز لا جواب غيره . وأنى اذكر خاتمة كلامه في المدخل بنصه وقصيدة حتمه بها وهو

« وإذا كان ذلك كذلك فما جوابنا لحصم يقول لنا : اذا كانت هذه الامور وهذه الوجوه من التعلق التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة وكما ينبغي في منشور كلام العرب ومنظومه ورأيتهم قد استعملوها ونصرفوا فيها وكلوا بمصرقتها وكانت حقائق لا تبدل ولا يختلف بها الحال اذ لا يكون للاسم بكونه خبراً مبتدأ أو صفة لموصوف أو حالاً لذي حال أو فاعلاً أو مفعولاً لفاعل في كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام آخر . فما هذا الذي نجد بالقرآن من عظيم المزية وباهر الفضل والعجيب من الوصف حتى أعجز الخلق قاطبة وحتى فهر من الباطن والفصحاء القوي والقدر ، وقيد الحواطر والفكر ، حتى خربت الشقائق ، (١) وعدم نطق الناطق ، وحتى لم يجر لسان ، ولم يُعَبِّئ بيان ، ولم يساعد امكان ، ولم يتقدح لأحد منهم زنده ولم يعض له جده ، وحتى أسأل الوادي عليهم عجزاً ، وأخذ مناقذ القول عليهم أخذاً ؟ أليزنا أن تحيب هذا الحصم عن سؤاله ، وزده عن ضلاله ، وأن نطلب لدائه ، ونزيل الفساد عن رأيه ؟ (٢) فان كان ذلك يلزمنا فينبغي لكل ذي دين وعقل ان ينظر في الكتاب الذي وضاه ، (٣) ويستقصي التأمل لما أودعناه ، فان علم انه الطريق إلى البيان ، والكشف عن الحجة والبرهان ، تبع الحق وأخذ به وأن رأى أن له طريقاً غيره أو مائلاً إليه ، ودلنا عليه ، وهيات ذلك ، وهذه آيات في مثل ذلك ، اني أقول مقالاً لست أخفيه ولست أرهب خصماً ان بدا فيه مامن سبيل اني أثبات معجزة في النظم ألا بما أصبحت أبديه (٤)

(١) الشقائق ج شقيقة بكسر الشين وهي لغة البير أو نبي كالمرة يخرجها البير من فيه اذا هاج . ويقال للفصح : هدرت شقائقه . يريدون الانطلاق في القول وقوة البيان ويقال في مقابل ذلك . خربت الشقائق (٢) الرأ هنا بمعنى الرأي كما قال ابن نباتة السعدي

يا أيها الملك الذي أخلاقه من خلقه ورواؤه من رأيه

(٣) يريد كتاب (دلائل الإعجاز) وهو صريح في كونه هو الواضع لعلم اللطفي

(٤) يريد نظم القرآن وأسلوبه وفي هذا البيت تصريح أيضاً بأنه هو الواضع للنظم

فما أنظم كلام أنت ناظمه
 اسم يرى وهو أصل لكلام فما
 وأخذ هو بمفرد الزيادة في
 تفسير ذلك أن الأصل مبتدأ
 وفاعل مسند فعل تقدمه
 هذان أصل لأن لا تأنيك فائدة
 وما يزيدك من بعد التمام فما
 هذي قوائين مكفي من تنهها
 فقلت تأتي إلى باب تعلمه
 هذا كذلك وإن كان الذين رى
 ثم الذي هو قصدي أن يقال لهم
 تقول من أين أن لا نظم يشبهه
 وقد علمنا بأن النظم ليس سوى
 أو نقب الأرض بالغ غير ذلك له
 ما عاد إلا يخسر في تطالبه
 ونحن ما إن بنتا الفكر ننظر في
 كانت حقائق ياتي العلم مشتركاً
 فليس معرفة من دون معرفة
 ترى تصرفهم في الكل مدبراً
 فما الذي زاد في هذا الذي عرفوا
 قولوا والا فاصفوا لا يان زوا

معنى سوى حكم اعراب ترجيه (١)
 يتم من دونه قصد التشبيه
 ما أنت تكتبه أو أنت تنقيه
 تنق له خيراً من بعد ما يشبه
 إليه يكسبه وحققاً ويهبطه (٢)
 من منطق لم يكونا من مشابه
 سلمت فعلا عليه في تمديه
 ما يشبه البحر فيضاً من نواحيه
 إلا انصرفت بهجر عن قصته (٣)
 يرون أن الذي داني البانيه (٤)
 بما يجيب النقي خصاً بمجاريه
 وليس من منطق في ذلك محكمه
 حكم من النحو ينضي في توحيه (٥)
 معنى وضعه يعلم في ترقبه (٦)
 ولا رأى غير غي في تنقبه (٧)
 أحكامه وزوي في معالجه
 بها وكلاً تراه نافذاً فيه
 في كل ما أنت من باب تسميه
 بحروقه باقدار في مجاريه
 حتى غدا المعجز يهيئ في شيه
 كالصبح مناجاً في عين رايه

(١) ترجيه بالتمديد تدفعه برفق وتدوقه ومثله التخفيف (٢) يكتبه من الثلاثي
 ومنه الحديث «تكتب المسدوم» (٣) التقضي التبع (٤) باغيه طالب (٥) توحي
 الشيء تحربه وتمدد طله (٦) صمد بالتشديد رقي كاللائي وهو منا مقابل انتقيب في الأرض
 الذي فيه معنى التفضل . ويقال صوب النظر وممدد اذا نظر في أسفل الشيء
 واعلامه . وعزى نقب بنفسه حافظاً الحافض ولعله كان يراه قياساً والمسودع تمديه في
 «فتقبوا في البلاد» (٧) تنبؤ كاستغناء طلبه

وقد كان هذا الكتاب كدني فيه كثيراً مخفياً فظفر الأستاذ لأمام الشيخ محمد عبده
من في الديار المصرية بنسخة منه وكان عند الأستاذ العلامة الفروي الشيخ محمد محمود
الشقيطي نسخة أخرى وكلاهما كان محرفاً ومبدلاً فقام الأستاذ الإمام أن في المدينة
المذكورة نسخة منه وفي بغداد أخرى فعمل على استنساخهما وجمع الكتاب هو
والأستاذ الشقيطي بمقابلة النسخ الأربع فكان الكتاب التوحيد الذي اجتمع على
تصحيحه أعلم علماء العصر في المقول والمنقول

هذا وإن هذا الكتاب أكبر من أسرار البلاغة حجماً ، وأغنى علماً ، فهو
يزيد عليه بنحو عشر ملازم وقد شرعنا بطبعه على ورق جيد وجعلنا قيمة الاشتراك
فيه مع ذلك كقيمة الاشتراك في أسرار البلاغة عرقاً بمجاوري الأثر الذين سيكونون
أكثر الناس اشتراكاً فيه لأن الأستاذ الإمام سيقراء درساً في الأثر الشريف ،
وستكون قيمته بعد تمام الطبع عشرين قرشاً أميراً فمن أراد الاشتراك فليدفع لنا
القيمة ويأخذ بها وصلاً بامضاتنا

نار الحكمة والبرهان

الاحتفال بتذكار محمد علي باشا

في يوم الأربعاء الماضي تم لتأسيس محمد علي باشا هذا لامارة في مئة عام
شجري فاحتفل ديوان الأوقاف بذلك في جامع القلعة وتحت احتفال به مشيخة الأزهر
في الجامع الأزهر ومن بعد الزمان وغرائب الأيام أن يحتفل في بيوت الله تعالى بذكر
الأمراء والسلاطين والظلمة من الحاكمين وهي البيوت التي اذن الله أن ترفع عن
الحفاظ الدينية ويذكر فيها اسمه وحده قرباً إليه وإبتغاء مرضاته لا لذكر أمير
ميت ولا لمرضاة أمير حي. فلماذا تنفق أوقاف المسلمين على إحياء البدعة ومخالفة السنة
ولماذا لا تكون أمثال هذه الاحتفالات في قصور التتبعين كما يدين ورأس الدين؟ فمحمد
علي لم يؤسس ديناً ولم يكن امام مذهب في دين وإنما أسس ملكاً عضوياً بنفسك
العلماء والقوة والجيوش — هذا هو محمد علي في نظر الدين والحكمة في الاحتفال
بذكره والإشادة بحمدته في بيوت الله تعالى دون بيوت الحكومة. يمر بها جميع الناس

أما محمد علي في نظر التاريخ فهو من الرجال العاملين الذين يمتاز التاريخ
 لأن التاريخ سياسي أكثر مما هو ديني أو علمي وقد جرت العادة أن يفتخروا
 للأمراء بمدحهم ومدح سلفهم وجعل يثامهم - نيات فالتك يرى العالم الديني أن
 يحكم بكفر من يحكم بالقانون وظلمه ونفسه بقسوس من وضع القانون باسمه وأحكام
 فيه بأمره فمدح الأمراء والسياسيين وأنحاب الجاهل أكثر، كذب والمدح محال القيمة
 والمتقد هؤلاء أقرب إلى العدل والإنصاف وإن احتمال أن يكون له هوى في بعض
 الأحوال وأنا نقول في تاريخ محمد علي كلمة عادة نرجو أن يتلقاها كل عاقل بالقبول وهي
 إذا ذكر الرجل بأعماله فامجد علي ثلاثة أعمال كبيرة وهي (١) تأسيس
 حكومة في بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالهم إياها. و (٢)
 محاربة الدولة العثمانية وإظهار ضعفها للبرية. و (٣) محاربة الوهابية وخضوع
 شوكتهم وإبطال امتداد دعوتهم. وكل عمل من هذه الأعمال محل نظر
 الناس من بعده له ومنهم من يمدح عليه وهم الأكثرون أو المحققون

أما الأول فملك يبرون لأعماله يتوسعون فيه ماشاءوا لأن المجال واسع أمامهم
 وقد كروا إزالة دولة للممالك الظالمة القائمة وهو عمل جليل ولكنهم يستدلون بذلك
 على أن دولته كانت عادلة وهذا غير صحيح فإن حكومته كانت ظالمة منذ أسست إلى أن
 تولى الأوروبيون السيطرة عليها فكان الظلم يفسد كلما كثروا والبني يضاف كذا قوى
 نفوذهم ولكن الحسن في إزالة دولة للممالك من وجهين أحدهما أن الظلم كان مشوشاً
 وحكومة محمد علي وإبائه نظامه وكان منفرداً في حديثه وكان غير محسوب
 وتأييدها أن نتيجة هذا الظلم وهذه الوحدة هي تهديد السيوف لدخول مدينة أوروبا في مصر
 والأعمال المتأخر وتدمر بتأثيرها وغلباتها والماملون إنما يمدحون بحسن القصد والنية
 وبأحقان العمل فاما محمد علي فقد اتقن عمله ولكن تصده لا يحمده في نظر الدين ولا في
 نظر الفضيلة وإنما يحمده في نظر منافع الحياة الدنيا وزينتها لأن سيرة المملوخة بالدماء
 المحترمة تدل على أنه لم يكن يقصد غير الملك وعظمته له ولذريته من بعده. وأما نتيجة
 عمله فهي كما قلنا دخول الأوروبيين هذه البلاد ونشر مدينتهم فيها وإلقاء سيطرهم عليها
 بالاحتلال الإنكليزي فمن يرى أن هذا خير وسيلة لنجاح البلاد وسعادتها فعليه أن
 يمدح عمل محمد علي وآل يته مهملهم في الأموال والأعراض لأن الإصلاح الكبير.

لا يثني إلا بئس الثمن الكثير . ومن يقول . إن مدينة أوروبا شر على البلاد . وإن الإصلاح الإنكليزي بلاء عام ساووبال . فليحكم على عمل محمد علي وذريته بالإفساد وليحفظ له سوء الذكرا إلى يوم الناد .

وأما العمل الثاني وهو الخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها وإظهار ضعفها فلو سألت عنه أي مسلم في أي قطر لأجابك بأنه كان أضرب عمل عمله انسان على الاسلام والمسلمين لأنه في ذاته خروج وال على مواليه وسنطانه وتلك أكبر الجنايات . وأنبج الجنايات . في الشرائع الالهية . وفي القوانين البشرية . وفي نتيجته إضعاف وقهر الأقوى دولة اسلامية . في عصر قويت فيه الدول الأجنبية . فضعف بذلك الاسلام . ولم تقم لأهله قائمة بعد ذلك إلى الآن . وإلكنك لا تعلم ثلاثة تفراو ثلاثين من الثلاثمائة للنيوز المسلمين يتندر عن عمله أو يمد فضيحة ومحمد . فاشد هؤلاء المدافعين أفتا في الرأي وصغارا في النفس من يقول أن الدولة العلية لم تكن مرتاحة لاستقلاله . فكانت تدس الدسائس ليزاله . أي أنه انتقم لنفسه من دولته . وحاربها لتمكين سلطته . ومن الناس من يقول أن تلك الحرب كانت بمواطاة بين محمد علي ورجال الدولة العلية في الاستانة وأنهم هم الذين مكثروا له في أرض مصر ليخرج على الدولة وأنه كان غرضهم الأخذ على يد السلطان محمود وتخفيف سلطته الاستبدادية ومنعه من سنك الدماء . وعزل العمال والوزراء . بمجرد الهوى

وأما العمل الثالث وهو محاربة الوهابية فأكثر العامة أو كلهم يمتقدون أنه كان خدمة للاسلام . كفرت عن محمد علي جميع الذنوب والآثام . أما الخواص فإنهم يعلمون أن الوهابية كانوا قائمين بإصلاح الاممي لو تم إمداد للاسلام بحده الأول وأن الذين وسوسوا لمحمد علي بجاربهم هم أذن ورعيون الذين ينظرون إلى غايات الأمور وعواقبها كما هو مصرح به في بعض توارخهم . وأما ما شاع في بلاد الشام والحجاز من أن الوهابية خارجون عن السنة وما يحقون باهل البدعة فبیه بعض المصنفات التي لفقها العلماء الرسميون المصنفون للحكام وهي ملوثة بالكاذب وانما مذهب القوم مذهب السلف في العقائد . مذهب الامام أحمد في الفروع وعوهم تشديد عظيم على مخالف السنة . هذا هو اعتقاد الخواص وهم يقولون أن هذا العمل الثالث هو أكبر سيئات محمد علي وأنه به وبما سبقه كان أكبر بلاء على الاسلام والمسلمين في القرن الماضي

﴿ مكتوب عالم هندي من أركان النهضة الاسلامية ﴾

كتبه النا العلامة العامل . والسري الكامل . محسن الملك بهادر سيد

مهدي علي خان ناظم مدرسة العلوم (في على) وكان ناظم مدرسة العلوم
جزءاً رداً لنا مما أرسل إليه كتاباً في تاريخه ورحمته له عودته
فكتب لنا يقول بعد رسوم الخطبة ما نصه :

« كانت ترد علينا في الأعوام الحالية تفلتكم إلى دولتنا فخرها ،
لا مزيد عليها ونستفيد من مقالاتها الضافية العلمية الدينية الإسلامية في الرد
المتكررات والبدع والتعاليم الفاسدة التي انتشرت بين المسلمين انتشاراً عاماً ، ويسرنا
ملاح لنا من قائل الأذواق وتوارد الحواطر بيننا وبينكم فإنا أيضاً قد بذلنا جهوداً
منذ عشرين عاماً في إحياء المسلمين من نوم الغفلة التي غرقوا فيها حتى أضاعوا كل ما كان
في أيديهم من العلوم والفنون والحكم والصنائع واتخذوا دينهم هرواً وإمناً فأصبحوا
كأنهم قوم لا يفعلون ، فأخذنا ندعوهم إلى الانتباه من سباتهم الذي سبب إهمالهم
لأجل تأخيرهم عن الأقوام الذين كانوا شركاءهم في الوطنية بالمقالات الشهيرة في
الجرائد والمجلات ، والخطبات والندوات ، إنهم وسعوا فيهم
على الأعمال النافعة كتحصيل العلم حسب مقتضيات الزمان وتعلم لغة الانكسار
(في الأصل اللسان) التي هي لغة حكماء الأمم مع الإقبال على حصيل العلوم
الجديدة الغربية ، والظفر في شؤونهم الاجتماعية ، ونورهم الدينية والادبيات
في أملاكهم من كل الوجوه .

« ولكتنا يقول ناظم : « زائد أن جميع مؤلفاتنا ومصنفاتنا ورسائلنا
كلها في لغتنا الأوردية . (وفي الأصل لساننا) التي نكتبها ، هم في لغتنا
والأكان يودي أن يرسل إليكم بعض مؤلفاتنا ، أما الآن فالمرجو أن
تصلوا وتواصلوا برسائل محبتكم الفراء ولا تقطعوا عنا أرباباً .

« وثني ثناء جيلاً على غيركم الدينية وشغفكم بالاجتهاد في العلوم الدينية
وارجاع مجدهم وحسنهم على أسباب التقدم المادية والعلمية ، وقد سبقتنا
في محبتكم من المقالات البديعة حدة الأحجار المطبوعة لدي في أملاكنا ، فإنا
تصرفون ما يناسب ذوقنا من الكتب لأن ما وجدتموه تذكركم مطالعته فلا بد من
أنه يلزمني أيضاً ، فالرجاء أن ترسلوا إلينا من أمثال تلك الكتب منها مصنفات محفرتكم
ومصنفات حضرة الأستاذ الشيخ محمد عبده المصري صاحب رسالة التوحيد وغير ذلك من
الكتب المفيدة ، الخ فنشكر لهذا الأستاذ حسن تكملة ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يرضاه



في نشر جهادي الذين يستمعون القول
فيقيمون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

الجهاد

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
نذكر إلا أوله الأتالي

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مضاف في يوم السبت غرة ربيع الأول سنة ١٣٢٠ — ٧ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢)

باب أخبار النبوة وآثار السلف الصالح

نشر في هذا الباب ما يعرف بالمسلمون أصل مدينتهم وانشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

في القضاء في الإسلام — النبرة الرابعة مائة القضاء

(تمديد) أركان القضاء وأصول الحكم في الإسلام أربعة الكتاب
العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر وإنها لأركان
عظيمة ، وأصول قوية ، والأساس الذي بنيت عليه هذه الأركان « درء

المناسد وجاب المصالح والمنافع » ولهذا كان الاجتهاد شرطاً في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على المنفعة في كل زمان ومكان بحسبه . فمن يدعى انه وجد في أمة من الأمم أساس أثبت من هذا الأساس وأركان أقوى من هذه الأركان فليدنا على ذلك والا فليدعن اننا الناس بأب شريعتنا خير الشرائع وأساس العمران ولا محتج علينا بسوء حال قومنا الذين ما رعوها حق رعايتها في زمان ولا مكان . أما الاخبار والآثار الدالة على ما ادعيناها فهذا بعضها

(الحديث ٢٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لما بعثه الى اليمن : « كيف تقضي ؟ » قال أقضي بكتاب الله قال « فإن لم تجد في كتاب الله » قال فبسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « فإن لم تجد في سنة رسول الله » قال أجتهد رأيي ولا آلو (أي لا أقصر) قال فضرب رسول الله صلى الله تعالى عليه على صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضى به رسول الله » . فهذا دليل على ان القاضي مفوض اليه تحري الحق في الأقضية والاجتهاد لاستبانة المدل المطلوب في الكتاب والسنة وذلك بعد اختياره من أهل الكفاءة الذين استوفوا الشروط التي نوهنا بها من قبل وقد اتبع هذه الطريقة الانكيز في هذا العصر فالحمد عندهم في الاحكام اجتهاد القاضي العادل (ح ٢٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « اذا اجتهد الحاكم فإخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران »

(٢٥) رواه ابو داود والترمذي والدارمي (٢٦) رواه البخاري ومسلم . وكذا

الحاكم والدارقطني واحمد بالفاظ اخرى

والذي يصيبه الحاكم أو ينحطه هو الحق وإصابة الحق هي العدل ومستی
تحرى الحاكم العدل ولم يعتمد الميل الى أحد الخصمين يظهر له الحق في
الغالب فإذا تعد الجور اختلط عليه الأمر وكان مخذولاً في الدنيا
والآخرة . يدل على ذلك الحديث الآتي وهو

(ح ٢٧) عن وثالة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن مسلم
ولي من أمر المسلمين شيئاً الا بعث الله اليه ملكين يستدانه مانوى الحق
فاذا نوي الجور على عمد وكلاه الى نفسه » . ويظهر من النصوص الواردة
في الحق والعدل أن مراد الشرع منهما هو ما يعرفه الناس بانقطة السليمة
والعقل وإنما شرعت الأحكام ووضعت القواعد تهدي الحاكم الى طريق
الوصول الى الحق الذي يعتمد الظالمون اخفاه

(ح ٢٨) عن علي كرم الله وجهه قال قالت يا رسول الله اذا بعثتني
في شيء أكون كالسكة المحماه أم الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ؟ قال « بل
الشاهد يرى ما لا يراه الغائب » وهذا دليل على ان مراعاة المصالح والمنافع
هي الأصل في القضاء لأن الأحكام القضائية ليست من الأمور التعبدية
وإنما هي وسائل لمعرفة الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه ولذلك لا يحل
لمن حكم له بشيء يعلم انه ليس له أن يأخذه وان كان القاضي هو الرسول
عليه الصلاة والسلام كما يعلم من الحديث الآتي وهو

(٢٧) رواد الطبراني ورواه البيهقي بلفظ آخر بمعناه من حديث ابن عباس وضعفوه
ورواه البزار بلفظ آخر وفي سنده مشهور (٢٨) رواد احمد والبخاري في التاريخ والدورقي
وابو نعيم في الحلية وابن عساكر وابن منصور

(ح ٢٩) عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بخو مما اسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار » والألحن بالحجة هو الأبلغ قولاً والأفصح عبارة .
 وبقي من أركان الحكم المشاورة ولا أعرف فيها حديثاً مرفوعاً يتعلق بالقضاء وحسبنا الأمر العام بها في القرآن وستأتي شواهدا في آثار السلف
 (ح ٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو يخطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأهـ والهم ولكن اليمين على المدعى عليه » قال النووي في شرح مسلم : وفي رواية البيهقي بإسناد حسن أو صحيح زيادة عن ابن عباس مرفوعاً « ليكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر »

(ح ٣١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه »
 (ح ٣٢) عن وائل بن حجر قال : جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي (ص) فقال الحضرمي : يا رسول الله ان هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي . قال الكندي هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق فقال النبي (ص) للحضرمي « ألك بينة ؟ » قال لا . قال « فلك يمينه » . فقال يا رسول الله الرجل فاجر لا يبالي على ما علف عليه فقال رسول الله (ص) لما أدير الرجل « أما لئن حلف على مال لياكله ظلماً »

(٢٩) رواد احمد والشيخان واصحاب السنن الأربعة (٣٠) رواد أحمد ومسلم

(٣١) رواد الترمذي (٣٢) رواد مسلم والترمذي وصححه

ليلقين الله وهو عنده معرض «

قال الامام الحافظ الفقيه ابن القيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين)
 مانصه : البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل ما يبين الحق
 فهي اعم من البينة في اصطلاح الفقهاء حيث خصوصها بالشاهدين أو الشاهد
 واليمين . ولا حرج في الاصطلاح ما لم يتضمن حمل كلام الله ورسوله عليه
 فيقع بذلك الفلط في فهم النصوص ، ونذكر من ذلك مثالا واحدا وهو ما نحن
 فيه - لفظ البينة - فانها في كتاب الله اسم لكل ما يبين الحق كما قال تعالى
 « اقمداً رسلنا رسلنا بالبينات » وقال « وما أرسنا قبلك الا رجال يوحى اليهم
 فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات » وقال « قل اني على بينة من
 ربي » وقال « أمن كان على بينة من ربه » وقال « أم آتيناهم كتاباً فهم على
 بينات منه » (١) وقال : « أولم تأتوهم بينة ما في الصحف الأولى » وهذا
 كثير لم يختص به لفظ البينة بالشاهدين بل ولا استعمل في الكتاب فيها البتة
 اذا عرف هذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم للمدعي « ألك بينة »
 وقول عمر : البينة على المدعي . - وان كان هذا قد روي مرفوعاً -
 المراد به ألك ما يبين الحق من شهود أو دلالة ؟ فان الشارع في
 جميع المواضع يقصد ظهور الحق بما يمكن ظووره به من البينات التي هي
 أدلة عليه وشواهد له ولا يرد حقاً قد ظير بدليه أبداً فيضيع حقوق
 الله وعباده ويمطأها . ولا يقف ظهور الحق على أمر معين لا فائدة في
 تخصيصه به مع مساواة غيره في ظهور الحق أو رجحانه عليه ترجيحاً

(١) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر (بينات) والباقون (بينة)

لا يمكن جرده ودفعه كتر جميع شاهد الحال على مجرد اليد في صورة من على رأسه عمامة وبيده عمامة وآخر مكشوف الرأس يدو أثره ولا عادة له بكشف رأسه . فبينة الحال ودلالته هنا تفيد من ظهور صدق المدعي أضعاف ما يفيد مجرد اليد عند كل أحد فالشارع لا يهمل مثل هذه البينة والدلالة ويضيع حقايلم كل أحد ظهوره وحجته . بل لما ظن هذا من ظنه ضيعوا طريق الحكم فضاع كثير من الحقوق لتوقف ثبوتها عندهم على طريق مسين وصار الظالم الفاجر ممكناً من ظلمه وفجوره فيفعل ما يريد ويقول لا يقوم علي بذلك شامدات اثنان . فضاعت حقوق كثيرة لله ولعباده وحيث أن أخرج الله أمر الحكم العام عن أيديهم وأدخل فيه من أمر الامارة والسياسة ما يحفظ به الحق تارة ويضيع به أخرى ويحصل به العدوان تارة والعدل أخرى ولو عرف ما جاء به الرسول على وجهه لكان فيه تمام المصلحة الفنية عن التفريط والدوران

« وقد ذكر الله سبحانه نصاب الشهادة في القرآن في خمسة مواضع فذكر نصاب شهادة الزنا أربعة في سورة النساء وسورة النور . وأما في غير الزنا فذكر شهادة الرجلين والرجل والمرأتين في الاموال فقال في آية الدين « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » فهذا في الحمل والوثيقة التي يحفظ بها صاحب المال حقه لا في طريق الحكم وما يحكم به الحاكم فان هذا شيء وهذا شيء . وأمر في الرجعة بشاهدين عدلين وأمر في الشهادة على الوصية في السفر باستشهاد عدلين من المسلمين أو آخرين من غيرهم وغير المؤمنين هم الكفار والآية صريحة في قبول شهادة الكافرين على وصية (المسلم) في السفر عند عدم

الشاهدين المسلمين وقد حكم به النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده ولم
يجي بعدهما ما ينسخها فان المائدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها منسوخ
وليس لهذه الآية معارض البتة ولا يصح أن يكون المراد بقوله «من غيركم»
من غير قبيلتكم فان الله سبحانه خاطب بها المؤمنين كافة بقوله «يا أيها
الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا
عدل منكم أو آخران من غيركم» ولم يخاطب بذلك قبيلة معينة حتى يكون
قوله «من غيركم» أيها القبيلة . والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم هذا من
الآية بل إنما فهم منها ما هي صريحة فيه وكذلك أصحابه من بعده
«وهو سبحانه ذكر ما يحفظ به الحقوق من الشهود ولم يذكر ان
الحكام لا يحكمون الا بذلك . فليس في القرآن نفي الحكم بشاهد ويمين
ولا بالنكول ولا باليمين المردودة ولا بإيمان القسامة ولا بإيمان اللعان وغير
ذلك مما يبين الحق ويظهره ويدل عليه . اه المراد منه وذكر بعده
ما اتفقوا عليه من الشهادات وما اختلفوا فيه

آثار السلف . عبرة للخلف

قضاء الخلفيتين (١) روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان
أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به
قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله
عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال
أتاني كذا وكذا فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم أجده في ذلك شيئاً فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء

فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نيتنا وان أعياه ذلك دعا رؤس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك فان أعياه ان يجدي في القرآن أو السنة شيئاً دعا رؤس المسلمين وعلماءهم واستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى بينهم . وإنما كان يرجع الى أقضية أبي بكر لأنها مبنية على ما ذكر فربما ذكرته بدليل كان عنه ذاهلاً . ولينظر في سؤال مثل أبي بكر رضي الله عنه عن قضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكون الصحابة كانوا يخبرونه بما لا يعرفه منها فانه حجة على الجاهل من الذين كانوا يزعمون أن مقلديهم كانوا محيطين بالسنة لا يغيب عنهم منها شيء . وقد ورد بمعنى هذا الأثر آثار أخرى . وفي المحاكم الآن ضرب عن المشاركة (٢) روي البيهقي عن ابن سيرين انه قال : إن كان عمر بن الخطاب يستشير في الأمر حتى إن كان يستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به . « وفي هذا الأثر من الفقه تكريم النساء ومشاركتهن للرجال في الرأي حتى في الأمور العامة وهذا مما يرفع نفوسهن التي كانت قبل الاسلام مبهضومة . وما روى عنه من انه قال : خالفوا النساء فان في خلافهن البركة فمناه لا تتبعوا أهواءهن على ان سنده ضيف

كتاب عمر في القضاء (٣) روي الدارقطني والبيهقي وابن عساكر عن أبي الموام البصري قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري : « أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذ أدلي اليك ^(١) فانه لا ينفع تكلم

(١) أدلي اليك أي تخصم اليك وقال ابن القيم أي ما توصل به اليك من الكلام

بحق لا نفاذ له. ^(٢) بين الناس في وجهك ومجاهدك وقضائك، حتى لا يطعن
شريف في حيفك ولا يئس ضعيف من عدلك. البينة على المدعي واليمين
على من أنكر. والصالح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم
حلالاً. ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينهي إليه فإن يئس ^(٣)
أعطيته محقه وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية فإن ذلك بلغ في المذر
وأجلى للممى ^(٤) ولا يمنعك قضاء قضيت فيه ^(٥) اليوم فراجعت فيه رأيك ^(٦)
وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق ^(٧) فإن الحق قديم لا يبطله ^(٨)
شيء ومراجعة الحق خير من التماس في الباطل ^(٩) والمسلمون عدول
بعضهم على بعض ^(١٠) إلا مجرباً عليه شهادة زور أو مجلوداً في حد أو ظناً في
ولاء أو قرابة ^(١١) فإن الله تعالى تولى. من العباد السرائر وستر عليهم الحدود
إلا بالبيئات والأيمان. ثم الفهم الفهم فيما أدلي اليك مما ورد عليك ^(١٢) مما
ليس في قرآن ولا سنة. ثم قاييس الأمور عند ذلك وأعرف الأمثال ^(١٣)
ثم أهد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق. وإياك والنضب والفاق

الذي تحكم به بين الخصوم. وفي نسخة كثر العمال (إذا أدى اليك) ولعلها تحريف
(٢) في نسخة كثر العمال (وأس) والمعنى سائر يوم (٣) في نسخة كثر العمال
«فإن جاء بينة» (٤) في الكنز (وأحلى) وذكرت نسخة في هامش اعلام
الموقعين وهي تحريف كما حرف فيه لفظ للممى فكتاب (الاعلاء) (٥) في الكنز
(قضيته) (٦) في الكنز (لرأيك) (٧) في الكنز (إن تراجع الحق) (٨) في
الكنز (لا يبطل الحق) (٩) الجملة في الكنز بدون عطف (١٠) في الكنز زيادة
(في الشهادة) (١١) المستثنيات في نسخة الكنز مرفوعة. والظنين المهم في شهادته
للقرابة أو الولاء (١٢) في الكنز (أدلي اليك) (١٣) في الكنز زيادة لفظ (والاعلاء)
وليس المراد أنه يقيس على كلام غيره وإنما ميزان القياس ما ذكره بعد

والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخدم (شك أبو عبيد)
فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر^(١١)
فمن خلصت نيته^(١٢) في الحق ولو على نفسه كراه الله ما بين الناس .
ومن تزين لهم بما ليس في نفسه شأنه الله^(١٣) فإن الله تعالى لا يقبل من
من المباد إلا من كان خالصاً . فما ظنك بثواب عند الله^(١٤) في عاجل رزقه
وخزائنه رحمته . والسلام عليك ورحمة الله^(١٥)

قال ابن القيم بعدما أورد هذا الكتاب في اعلام الموقعين : « وهذا
كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة والحكام
والمنقح أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه » ثم شرحه شرحاً مطولاً .
وقد اعتمدنا في نصه هنا على نسخة اعلام الموقعين لأننا رأيناها أصح
وذكرنا ما وجدناه من الاختلاف بينها وبين نسخة « كنز العمال » في
المهامش وليس فيه شيء جوهري .

القسم العمومي

﴿ آثار محمد علي في مصر ﴾

لفظ الناس هذه الأيام في محمد علي وماله من الآثار في مصر
وأهلها وأكثرت الجرائد من الخوض في ذلك والله أعلم ماذا بحث المادح
على الأطراء ، وماذا حمل القادح على الهجاء ، غير أنه لم يبحث باحث في
حالة مصر التي وجدها عليها محمد علي وما كانت تصير بالبلاد إليه لو بقيت

(١٤) في الكنز (ويحسن له الذخر) (١٥) في الكنز (نفسه) (١٦) سقط لفظ الجلالة من
نسخة الكنز (١٧) في الكنز (وما ظنك بثواب الله) (١٨) آخر الرواية في الكنز (والسلام)

وما نشأ عن محوها واستبدال غيرها بها على يد محمد علي . اذكر الآن شيئاً في ذلك ينتفع به من عساه ينتفع ، ويندفع به من الوهم ما ربما يندفع ، كانت حكومة البلاد المصرية قبل دخول الجيش الفرنسي فيها من أنواع الحكومات التي كانت تسمى في اصطلاح الغربيين حكومات الاشراف وتسمى في عرف المصريين حكومات الالتزام وتعرف عند الخاصة بحكومات الأقطاع . وأساس هذا النوع من الحكومة تقسيم البلاد بين جماعة من الامراء يملك كل أمير منهم قسماً يتصرف في أرضه وقوى ساكنيها وأبدانهم وأموالهم كما يريد فهو حاكمهم السياسي والاداري والقضائي وسيدهم المالك لرقابهم . ومن طبيعة هذا النوع من الحكومة أن تموفيه الأثرة وتغلظ فيه أصول الاستبداد وتفروعه وتنزع نفس كل أمير الى توسيع دائرة ملكه بالاستيلاء على ما في يد جاره من الامراء . فكان من مقتضى الطبيعة ان كل أمير لا ينفك عن التدبير والتفكر فيما تعظم فيه شوكته ، وما يدفع به عن حوزته ، وان يكون الجميع دائماً في استعداد إما للوثوب وإما للدفاع . وإلكن الامراء في مجموعهم كانوا يقاومون سلطة الملوك فيضطر الملك لاستماتهم ومحابة بعضهم للاستعانة به على البعض الآخر فضعف بذلك استبداد الملوك فيهم حاجة الامراء الى المال كانت تسوقهم الى ظلم رعاياهم وكانت شدة الظلم تميل برعاياهم الى خذلانهم عند هجوم العدو عليهم . ظهر ذلك في خصوماتهم المرة بعد المرة فاضطر الامراء أن يخفقوا من ظلمهم وان يتخذوا لهم من الاهل انصاراً يضبطونهم عند قيام الحرب بينهم وبين خصومهم . أحسن الاهلون بحاجة الامراء اليهم فزادوا في الدالة على

الأمراء واضطروهم إلى قبول مطالبهم فعمّمت قوة الإرادة عند أولئك الذين كانوا عبيداً بمقتضى الحكومة وانتهى بهم الأمر أن قيّدوا الأمراء والملوك معاً ولم يكن ذلك في يوم أو عام ولكنه كان في عدة قرون كما هو معروف عند أهل المعرفة

نعم كانت الحكومة في مصر على نوع تخالف به جميع الحكومات الشرقية وكانت البلاد متوزعة بين عدة أمراء كل منهم يستغل قسماً منها ويتصرف فيه كما يهوى وكان كل يطلب من القوة ما يسمح له بمدّ يده إلى ما في يد الآخر أو يدفع به صواته فالخصام كان دأبهم والحرب كانت أهم عملهم . لذلك كان كل منهم يستكثر من الممالك ما استطاع ليُمَدّ منهم جنده ولكن كانت تُوزد مؤثمتهم إذا كثروا فاضطروا إلى اتخاذ أعوان من أهالي البلاد فوجدوا من العرب أحزاباً كما وجدوا منهم خصوماً . ثم رجعوا إلى سكان القرى فوجدوا فيهم ما يحتاجون إليه فاتخذوا بيوتاً منها أنصاراً لهم عند الحاجة وعرف هؤلاء حاجة الأمراء إليهم فارتفعوا في أعينهم وصار لهم من الأمر مثل مالهم أو ما يقرب من ذلك . لهذا كنت ترى في البلاد المصرية بيوتاً كبيرة لها رؤساء يهظم نفوذهم ويعلو جاههم ذلك كان يقضي على كل أمير من أولئك الأمراء أن يصرف زمنه

في التدبير : واستجلاب النصير ، وإعداد ما يستطيع من قوة لحفظ ما في يده والتمسك من إخضاع غيره ، أنصاره من الأهالي كانوا يجارونه في ذلك خوفاً من تمدي أعوان خصمه عليهم فوقعت القسمة بين الأهالي ولا تزال أسماء الأقسام معروفة إلى اليوم — بسعد وحرام . هذا يحدث بطبعه في النفوس شتماً وفي العزائم قوة ويكسب القوى البدنية والمعنوية

حياة حقيقية . هما احتقرت نوعها . فكانت العناصر جميعها في استداد لأن
يتكون منها جسم حي واحد يحفظ كونه ويعرف العالم بمكانته

جاء الجيش الفرنسي والبلاد في هذه الحالة . دخل البلاد بسهولة
لم يكن يندظرها . احتل عاصمتها واستقر له السلطان فيها . لم تكن الا أيام
قلائل ، حتى ظهر فيه القلق وعظمت حوله القلاقل ، أخذت القوى الحيوية
السكينة في البلاد تظهر فكثرت الدتن ولم تنقطع الحروب والمناوشات ولم
يهدأ لرؤساء المساكر بال . يدلك على ذلك شكوى نابليون نفسه في
تقاريره الى كان يرسلها الى حكومة الجمهورية من اصطيا ادمربان لمساكره
من كل طريق ، وسلبهم أرواحهم بكل سبيل ، واضطر نابليون أن يسير
في حكومة البلاد بمشورة أهلها وانتخب من أعيانها من يشركه في الرأي
لندبيرها طوعاً لحكم العائبة التي وجدها

قتل بعض رؤساء الجيش واضطربت عليه البلاد وجاء الجيش العثماني
ومعاونيه الجيش الانكليزي وخرجت عساكر الفرنسيين من مصر ولا
أطبل الكلام فقد ظهر محمد علي بالوسائل التي هيأها له القدر

ما الذي كانت تندظره البلاد من نوع حكومتها ، كانت تنظر ان
بشرق نور مدنية يضئ لرؤساء الاحزاب طرقتهم في سيرهم لبلوغ آمالهم
وقد كان ذلك يكون لو أهملهم الزمان حتى يعرف كل منهم ما بلغ به غيره
الغاية التي كان يقصدها في بلاد غير بلاده . وما كان بينهم وبين ذلك الا
أن يختلطوا بأهل البلاد الغربية ويرفع الحجاب الذي أسد له الجهل دونهم .
أو كانت تنظر ان يأتي أمير عالم بصير فيضم تلك العناصر الحية بعضها الى
بعض ويؤلف منها أمة يحكمها حكومة منها ويأخذ في تقوية مصباح

العلم بينها حتى ترتقى بحكم التدرج الطبيعي وتبلغ ما أعدته لها تلك الحياة الأولى
 ما الذي صنع محمد علي؟ لم يستطع أن يحى ولكن استطاع أن يميت.
 كان معظم قوة الجيش معه وكانت صاحب حيلة بمقتضى الفطرة فأخذ
 يستعين بالجيش ويمن يستميله من الأحزاب على إعدام كل رأس من
 خصومه ثم يعود بقوة الجيش وبمجزب آخر على من كان معه أولاً وأعانته
 على الخسائر الزائلة فيمحقه وهكذا حتى إذا سحقت الأحزاب القوية وجهه
 عنانته إلى رؤساء الببوت الرفيعة فلم يدع منها رأساً يستتر فيه ضمير (أنا)
 وأخذ من المحافظة على الأمن سبيلاً لجمع السلاح من الأهلين وتكرر
 ذلك منه مراراً حتى فسد بأس الأهالي وزالت ملكة الشجاعة منهم وأجوز
 على ما بقي في البلاد من حياة في أنفس بعض أفرادها فلم يبق في البلاد رأساً
 يبرف نفسه حتى خلعه من بدنه أو تضاد مع بقية بلده إلى السودان فهلك فيه
 أخذ يرفع الأسافل ويعلمهم في البلاد والقرى كأنه كان يحسن لشبهه
 فيه ورثه عن أصله الكريم حتى انحط الكرام وساد اللثام ولم يبق في
 البلاد إلا آلات له يستعملها في جباية الأموال وجمع العساكر بآية طريقة
 وعلى أي وجه فحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة
 واستقلال نفس ليصير البلاد المصرية جميعها أقطاعاً واحداً له ولأولاده
 على أثر اقطاعات كثيرة كانت لأمرائه عدة

ماذا صنع بعد ذلك؟ اشترأت نفسه لأن يكون ملكاً غير تابع
 للسلطان العثماني فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوربيين
 فأوسع لهم في المجاملة وزاد لهم في الامتياز خارجاً عن حدود المعاهدات
 المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية حتى صار كل صعلوك منهم لا يملك

قوت يومه ملكا من الملوك في بلادنا يفعل ما يشاء ولا يُسأل عما يفعل .
وصغرت نفوس الأهالي بين أيدي الأجانب بقوة الحاكم وتمتع الأجنبي
بمقوق الوطني التي حرم منها وانقلب الوطني غريباً في داره، غير مطمئن
في قراره، فاجتمع على سكان البلاد المصرية ذلآن - ذل ضربه الحكومة
الاستبدادية المطلقة وذلّ سامهم الأجنبي إياه ليصل الى ما يريد من
غير واقف عند حد أو مردود الى شريعة

قالوا : انه اطلع نجم العلم في سماء البلاد . نعم غني بالطب لاجل
الجيش والكشف على المجني عليهم في بعض الاحيان عند ما يراد ايقاع
الظلم بمتهم . وبالهندسة لأجل الري حتى يدبر مياه النيل بعض التدبير،
ليستغل أقطاعه الكبير،

هل تفكر يوماً في إصلاح اللغة عربية أو تركية أو أرثوذية ؟ هل
تفكر في بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب ؟ هل خطر في باله
أن يجعل للأهالي رأياً في الحكومة في عاصمة البلاد أو أمهات الاقاليم ؟
هل توجهت نفسه لوضع حكومة قانونية منظمة يقام بها الشرع ويستقر
العدل ؟ لم يكن شيء من ذلك بل كان رجال الحكومة إما من الارنؤد
أو الجراكسة أو الأرمن المورلية أو ما أشبه هذه الاوشاب وهم الذين
يسمى بهم بعض الأحداث من أنصاره اليوم دخلاء وكانوا يحكمون بما
يهوون لا يرجعون الى شريعة ولا قانون وإنما يتبعون مرضاة الامير،
صاحب الاقطاع الكبير

أين البيوت المصرية التي أقيمت في عهده على قواعد التربية الحسنة ؟
أين البيوت المصرية التي كانت لها القدم السابقة في ادارة حكومتها أو سياستها أو

سياسة جندها مع كثرة ما كان في مصر من البيوت الرقيمة العمادة، الثابتة الأوتاد، أرسل جماعة من طلاب العلم الى اوربا ليتعلموا فيها . فهل أطلق لهم الحرية أن يثثوا في البلاد ما استفادوا ؟ كلا ولكنه استعملهم آلات تصنع له ما يريد وليس لها ارادة فيما تصنع . ووجد بعض الأطباء الممتازين وهم قليل ، ووجد بعض المهندسين الماهرين وليسوا بكثير ، والسبب في ذلك ان محمد علي ومن معه لم يكن فيهم طبيب ولا مهندس فاحتاجوا الى بعض المصريين ولم يكن أحد من الأعوان مسلطاً على المهندس عند رسم ما يلزم له من الأعمال ولا على الطبيب عند تركيب أجزاء العلاج فظهر أثر استقلال الارادة في الصناعة عند أولئك النفر القليل من النابغين ، وكان ذلك مما ألحش عاقبته على المستقبدين

هل كانت له مدرسة لتعليم الفنون الحربية ؟ أين هي وأين الذين نبغوا من طلابها ؟ فان وجد أحداً نبغ فهل هو من المصريين ؟ عدوا ان شتم أحياء أو أمواتا وجد كثير من الكتب المترجمة في فنون شتى من التاريخ والفلسفة والأدب ولكن هذه الكتب أودعت في المخازن من يوم طبعت وغلقت عليها الأبواب الى أواخر عهد اسماعيل باشا فأرادت الحكومة تفريغ المخازن منها ، وتخفيف ثقلها عنها ، ففترتها بين الناس فتناول منها من تناول . وهذا يدنا على انها ترجمت برغبة بعض الرؤساء من الأوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم في البلاد لكنهم لم ينجحوا لأن حكومة محمد علي لم توجد في البلاد قراء ولا متفهمين بتلك الكتب والفنون

كانوا يخطفون تلامذة المدارس من الطرق واقفاء القرى (الأقفاء الناس المجبولون) كما يخطفون عساكر الجيش فهل هذا مما يحبب القوم في العلم ويرغبهم في ارسال أولادهم الى المدارس ؟ لا بل كان يخوفهم من المدرسة كما كان يخيفهم من الجيش حمل الأهالي على الزراعة ولكن يأخذ الغلات ولذلك كانوا يهربون من ملك الأتبان كما يهرب غيرهم من الهواء الأصفر ، والموت الأحمر ، وقوانين الحكومة لذلك المهد تشهد بذلك

يقولون انه أنشأ المعامل والمصانع ؟ ولكن هل حبب الى المصريين العمل

والصنعة حتى يستبقوا تلك المعامل من أنفسهم؟ وهل أوجد أساندة يحفظون علوم
الصنعة وينشرونها في البلاد؟ أين هم؟ ومن كانوا؟ وأين آثارهم؟ لا بل بفض إلى
المصريين العمل والصنعة بتسخيرهم في العمل والاستعداد بثمرته فكانوا يتربصون
يوماً لا يعاقبون فيه على هجر العمل والمصنع لينصرفوا عنه ساخطين عليه ، لا عنيين
الساعة التي جاءت بهم اليه .

يقولون انه أنشأ جيشاً كبيراً فتح به الممالك ودوخ به الملوك ، وأنشأ الأسطولاً
ضخماً ثقل به ظهور البحار ، وتفتخر به مصر على سائر الأمصار . فهل علم المصريون
حب التجند وأنشأ فيهم الرغبة في الفتح والغلب وحسب إليهم الخدمة في الجندية
وعلمهم الاقتضار بها؟ لا بل علمهم الهروب منها وعلم آباء الشبان وأمهاتهم أن ينوحوا
عليهم معتقدين انهم يساقون الى الموت بعد ان كانوا ينتظمون في أحزاب الأمراء ويحاربون
ولا يبالون بالموت أيام حكم الممالك وكان من ينتظم في الجندية على عهد محرز مصر
لا يخرج منها الا بالموت . هل شعر مصري بمظمة أسطوله أو بقوة جيشه ، وهل
خطر ببال أحد منهم أن يضيف ذلك اليه بأن يقول هذا جيشي وأسطولي أو جيش
بلدي أو أسطوله؟ كلا لم يكن شيء من ذلك فقد كان المصري بعد ذلك الجيش وتلك القوة
عوناً لظلمه فهي قوة خصمه . كذلك كان يمد لها كل عثماني في مصر أو في غير مصر .
ليقل لنا أنصار الاستعداد كم كان في الجيش من المصريين الذين بلغوا في رتب
الجندية الى رتبة البكباشي على الأقل؟ فما أثر ذلك في حياة مصر والمصريين الأسوأ
الأثر - أثر كله شر في شر لذلك لم تلبث تلك القوة أن تهدمت واندمرت

ظهر الأثر العظيم عند ما جاء الانكليز لاختاد ثورة عرابي . دخل الانكليز
مصر بأسهل ما يدخل به دأمر على قوم ثم استقروا ولم توجد في البلاد نخوة في رأس
تثبت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها وهو ضد ما رأيناه عند دخول
الفرنساويين الى مصر وبهذا رأينا الفرق بين الحياة الاولى والموت الاخير وجهاته
الاحداث فهم يسألون أنفسهم عنه ولا يهتدون اليه

لا يستحي بعض الأحداث من ان يقول ان محمد علي جعل من جدران سلطانه
بنية من الدين ، أي دين كان دعامة لسلطان محمد علي؟ دين التحصيل ، دين الكرباج .

دين من لا دين له إلا ما بهواه ويريده . والا فليقل لنا أحد من الناس أي عمل من أعماله ظهرت فيه رائحة للدين الإسلامي الجليل ؟ لا يذكرون إلا مسألة الوهابية وأهل الدين يعلمون أن الاغارة فيها كانت على الدين لا المدين . نعم ان الوهابية غلوا في بعض المسائل غلوا أنكره عليهم سائر المسلمين وما كان محمد علي يفهم هذا ولا سفك دماءهم لأرجاعهم إلى الاعتدال وإنما كانت مسألة سياسية محضه تبعها جراءة محمد علي على سلطانة العثماني وكان معه ما كان مما هو معروف

نعم أخذ ما كان للمساجد من الرزق وأبدلها بشيء من النقد يسمى فائض رزامة لا يساوي جزأ من الألف من إرادتها . وأخذ من أوقاف الجامع الأزهر ما لو بقي له اليوم لكانت غلته لا تقل عن نصف مليون جنيه في السنة وقرر له بدل ذلك ما يساوي نحو أربعة آلاف جنيه في السنة

وقصارى أمره في الدين أنه كان يستميل بعض العلماء بالخلع أو اجـالـهم على الموائد لينفي من يريد منهم إذا اقتضت الحال ذلك وأفاضل العلماء كانوا عليه في سخط ماتوا عليه

ولا أظن أن أحداً يرتاب بعد عرض تاريخ محمد علي على بصيرته أن هذا الرجل كان تاجراً زارعاً وجندياً باسلاً . مستبداً ماهراً لكنه كان لمصر قاهراً . ولحياتها الحقيقية معدماً . وكل ما نراه الآن فيها مما يسمى حياة فهو من أثر غيره متمنا الله بخيره وحمانا من شره والسلام (مؤرخ)

(بقية الاجتماع الثالث للجمعية أم القرى)

(المنعقد في مكة المكرمة في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣١٦)

أجاب (السيد الانكليزي) ان المسلمين من حيث مجموعهم أغنياء لا يعوزهم المال اللازم للتدرج في العلوم حتي للسياحات البحرية والقبطية . لان فريضة الزكاة على مالكي النصاب والكفارات المالية جاعلة لفقراء الأمة وبعض الشؤون العمومية نصيباً غير قليل في مال الأغنياء بحيث إذا عاش المسامون مسامين حقيقة أمنوا الفقر

وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتنى ما هو من نوعها اغلب العالم المتمدن
 الافرنجي الذين لم يهتدوا بعد لطريقة نيلها مع انه تسمى ورآء ذلك منهم جمعيات
 وعصبيات مكونة من ملايين باسم (كومنون وفنيان ونهباست وسوسياست) كلها
 تطلب التساوي أو التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ذلك التساوي والتقارب
 المقررين في الاسلامية ديناً بوسيلة انواع الزكاة والكفارات ولكن تعطيل ايتاء الزكاة
 وايفاء الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه كما سبب اهمال الزكاة فقد الثمرات
 العظيمة من معرفة المسلم ميزانية ثروته سنوياً فيوفق نفقائه على نسبة ثروته ودخله .
 ولا شك ان الواحد من الاربعين يفي ان يبذل لاجل هذه الثمرة وحدها . والشريعة
 الاسلامية هي أول شريعة ساقى الناس والحكومات لاصول الميزانية المؤسس عليه
 فن الاقتصاد المالي الافراي والسياسي

ويحيل الي أن سبب هذا الفتور الذي أخل حتى بالدين هو فقد الاجتماعات
 والمفاوضات وذلك ان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع
 الجماعة والجمعة وجمعية الحج وترك خطبائهم ووعاظهم خوفاً من الامراء التعرض
 للشئون العامة كما ان علماءهم صاروا يسترون جبهتهم بجعلهم يتحدث في الأمور العامة
 والحوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يعني وعدمهم أتيان ذلك في الجوامع من
 اللغو الذي لا يحوز وريماً اعتبروه من الغيبة أو التجسس أو السعي بالفساد فسرى
 ذلك الى افراد الامة وصار كل شخص لا يهتم الا بخويصة نفسه وحفظ حياته في يومه
 كأنه خلق امة وحده وسيموت غداً وهكذا صار المسلم جاهلاً ان له حقوقاً على الجماعة
 الاسلامية والجماعة البشرية وان لهما عليه مثابها ذاهلاً عن انه مدني بالطبع لا يعيش
 الا بالاشتراك ناسياً او هاجراً أو امر الكتاب والسنة له بذلك (مريحى)

ثم بتوا الى القرون والبطون على هذه الحال تأصل في الامة فقد الاحساس الى درجة
 انه لو خربت هذه الكمية والعياد بالله تعالى لما تقطعت الحيايا اكثر من لحظة ولا
 اقول لما زاد تلاطم الناس على سبعة أيام كما ورد في الاثر لان المراد باؤثك الناس
 اهل ذاك الزمان

وإذا دققنا النظر في حالة الأمم الحية المعاصرة وهي ليس عندها ما عندنا من الوسائل الشريفة للاجتماع والمفاوضات نجدهم قد اختلوا الاجتماعات ولاسترعاء السمع وتوجيه النظر بوسائل شتى .

(١) منها تخصيصهم يوماً في الاسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة لتحصل بين الناس الاجتماعات وتنفقد الندوات فيقباثون ويتاجون

(٢) ومنها تخصيصهم أياماً يتفرغون فيها للمذاكرة في مهمات الاعمال الاعظم وجاهلهم الماضين تشويقاً للتمثيل بهم

(٣) ومنها اعدادهم في مدنهم ساحات ومبتديات تسهيلاً للاجتماع والمذاكرات والقاء الخطب وابداء التظاهرات

(٤) ومنها ايجادهم المنزهات الزاهية العمومية واجراء الاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السوق الاجتماعات .

(٥) ومنها ايجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكوميديا) و (التياترو) بقصد اراءة العبر واسترعاء السمع للحكم والوقائع ولو ضمن أنواع من الخلاعة اتخذت شاكاً لمقاصد الجمع والاسماع ويعتبرون ان نفعا اكبر من ضرر الخلاعة

(٦) ومنها اعتناؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم المالية المفصلة المدججة بالمثل والاسباب تمكيناً لحب الجنسية .

(٧) ومنها حرصهم على حفظ العادات النبهة وادخار الآثار القديمة المنوّهة واقتناء النفائس المشعرة بالمفاخر .

(٨) ومنها اقامتهم النصب المفكرة بما نصبت له من مهمات الوقائع القديمة .

(٩) ومنها نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالبات الفكرية .

(١٠) ومنها بثهم في الاغاني والنشائد الحكم والحماسات الى غير ذلك من الوسائل التي تنشئ في القوم نشأة حياة اجتماعية وتولد في الرؤس حية وحاسة وفي النفوس سمواً ونشاطاً .

أما المسلمون فانهم كما سبق بيانه أهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة المؤسسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي اعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعية الحج حتى كأن الشارع لم يقصد منها غير اداء الفريضة فقط بصورة تعسدية بسيطة والحال ان حكمة الشارع ابلغ من ذلك وعندي ان هذا أعظم اسباب الفتور (مرجى)

فاجابه (الامام الصيبي) ان هذا أشبه بالموارض من الاسباب فهو اليق بأن يكون دواء للداء ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور .

ثم قال اني ارى ان السبب الاكبر للفتور هو تكبر الامراء وميلهم للعلماء المتماقنين المنافقين الذين يتصاغرون لديهم ويتذللون لهم ويحرفون أحكام الدين أو فقوا بينها وبين أهوائهم فلذا يرجي من علماء يشتركون بدينهم دنياهم ويقبلون يد الأمير لقبيل العامة أيدهم ويحقرون أنفسهم للعظماء، ليعاظموا على ألوف من الغنم فاء أكبر همهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاضل لا يحسنون أمراً من الأمور حتى الخصومة فتراهم لا يراغمون إلا بتكفير بعضهم بعضاً عند الامراء والعامة .

وهذا داء عياء صعب المداواة جداً لأن تكبر الامراء ينمهم من الميل الى العلماء العاميين الذين فيهم نوع غافلة لا بد منها ونعما هي مزية لولاها لفقد الدين بالكفاية. (مرحى) فلا شك ان أفضل الجهاد في الله في هذا الزمان الحظ من قدر العلماء المنافقين عند العامة وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاميين حتى اذا رأى الامراء انقياد الناس لهؤلاء اقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم واذعنوا لهم طوعاً أو كرهاً على انه يجب على حكماء الامة المجاهدين في الله ان يمتنوا بالوسائل الالنية لتنقيت عقول العلماء العاميين لان العلم رافع للجهل فقط ولا يفيد عقلاً ولا كياسة فيلزم بعايضهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدين وهكذا يفعل الحكماء عندنا معاصر اسلام الصين ولا تفقد أية بلدة كانت رجالاً حكماء نبلاء يمتازون طبعاً على العامة لهم نوع من الولاء حتى على العلماء .

وهؤلاء الذين نسميهم عندنا بالحكماء هم الذين يطابق عليهم في الاسلامية اسم أهل الحل والعقد الذين لا تعقد (الامامة) شرعاً الا بينهم وهم خواص الطبقة العليا في الامة الذين أمر الله عز شأنه بنبيه بمشاورتهم في الامر الذين لهم شرعاً حق الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال لانهم رؤساء الامة ووكلاء العامة والقائمون في الحكومة الاسلامية مقام مجالس النواب والأشراف في الحكومات المقيدة ومقام الأسرة الملوكية التي لها حق السيطرة على الملوك في الحكومات المطلقة كالصين وروسية ومقام شيوخ الانخاد في آراء امراء العشائر العربية او تلك الامراء الذين ليس لهم من الامر غير تنفيذ مايرمه الشيوخ .

واذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن نجد

ترقيها وانحطاطها تابعين لقوة أو ضعف احتساب أهل الحل والعقد واشتراكهم في تدبير شؤون الأمة .

وإذا رجعنا البصر الى التاريخ الاسلامي نجد ان النبي عليه السلام كان أطوع المخلوقات للشورى امثالاً لامر ربه في قوله تعالى (وشاورهم في الامر) حتى انه ترك الخلافة لمجرد رأى الأمة .

ثم كان أول الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به حتى انه أخذ رأي سرة الصحابة فيمن استخلف . ثم إن الخليفة الثاني اتبع أثر الأول وان استأثر في ترتيب الشورى فيمن يخافه ثم لما اجتهد الخليفة الثالث في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمات لم يستقم له الامر وظهرت الفتن كما هو معلوم ثم إن معاوية رحمه الله كان قابلاً للاستقلال بالرأي فحسنت أيامه عما كان قبلها . وهكذا كانت دولة الامويين تحت سيطرة أهل الحل والعقد لاسيما من سرة بني أمية فانضمت على عهدهم الاحوال كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين حيث كانوا مذعنين لسيطرة رؤساء بني هاشم ثم لما استبدوا في الرأي والتدبير خالفوا امر الله واتباع طريقة رسول الله سأت الحال حتى فقدوا الملك . وهكذا عند التدقيق في كل فرع من الدول الاسلامية الماضية والحاضرة بل في ترجمة كل فرد من الملوك والامراء بل في حال كل ذي عائلة أو كل انسان فرد نجد الصلاح والفساد دائرين مع سنة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي .

فاذا تقرر هذا عامنا ان سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الامراء عُتُوا وتكبراً وترك أهل الحل والعقد الاحتساب جهلاً وجبانة وهذا عند بعض الاقوام المسلمين وأما الأكثر فقد امسوا لاعلماء هداة ولا سرة اباة بل هم فوضى في الدين والدنيا ولا بدع فيمن يكونون على مثل هذه الحال ان لا يرجي لهم دواء الا بعناية بعض الحكماء الذين ينجبون من أية طبقة كانت من الأمة وقرضت سنة الله في خلقه ان لا تخلو أمة من الحكماء .

فأجاب (العالم التجدي) ان شؤون السياسة في الصين تختلف كثيراً عما في غيرها وليس في الصين ملوك كثيرة وأمراء جبارة كما عند غيرهم فالحكام في الصين آمنون ومن جهة أخرى لم يزل الاسلام في الصين خيفاً خفية لم يفسده الفتن والتشديد ومع ذلك ترى الفتور شاملهم أيضاً ونحن الآن نبحث عن السبب العام لهذا الداء وليس كل السبب أحوال الامراء والعلماء .

ثم قال اني اجزم ولا أقول أظن أو إخال ان سبب الفتور الطارئ الملازم لجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ولا برهان أعظم من الملازمة وما جاء الحقاء إلا من شدة الوضوح فهل بقي من شك بعد هذه الابحاث التي سبقت في جمعيتنا ولا سيما ماينه المحقق المدني في ان الدين الموجود الآن بالنظر الى ما ندين به لا بالنظر الى ما نقرره وباعتبار ما نفعله لا باعتبار ما نقوله ايس هو الدين الذي تميز به أسلافنا مثين من السنين على العالمين كلا بل طرأت على الدين طوارئ تغير غيرت نظامه .

وذلك ان الحلف تركوا أشياء من أحكامه كاعداد القوة بالعلم والمال والجهاد في الدين والامر بالمعروف وازالة المنكر واقامة الحدود وإيتاء الزكاة وغير ذلك مما أوضحه الاخوان الكرام . وزاد فيه المتأخرون بدعاً وتقائيدات وخرافات ليست منه كشروع عبادة القبور والتسليم لدعى علم الغيب والتصرف في المقدور .

وهذه الطوارئ من تغيرات أو متروكات أو مزيدات أكثرها يتعلق بأصول الدين وبعضها باصل الأصول أعني التوحيد وكفى بان يكون ذلك سبباً للفتور وقد قال الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) - مره

ولقائل ان يقول اذا سلمنا ان الدين تغير عما كان عليه فما تأثير ذلك في الفتور العام الذي هو من شأن الحياة الدنيا وما نحن أولاء نجد أكثر الامم الحية التي نخطبها قد طرأ على دينها التغير والتبديل في الأصول والفروع ولم يؤثر ذلك فيها الفتور بل زعم كثير من حكماء تلك الامم انهم ما اخذوا في الترقى الا بعد عزلهم شؤون الدين عن شؤون الحياة وجعلهم الدين امراً يتماق بالنفس ولا علاقة له بشؤون الحياة الجارية على نواحيس الطبيعة

فالجواب على ذلك انه كما يطالب كل انسان بان يكون صاحب ناموس اى متبعاً على وجه الاطراد في اخلاقه واعماله قانوناً ما موافقاً ولو في الأصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو منها والاف يكون لاناموس له منفوراً منه مضطهداً فكذلك كل قوم مكلنون بان يكون لهم ناموس عام بينهم ملائم في الجملة لقوانين الامم التي لها معهم علاقات جوارية او تجارية او مناسبات سياسية والا فيكونون قوماً متوحشين لاخلاق لهم ولا نظام منفوراً منهم مضطهدين .

وذلك ان الناموس الطبيعي في البشر هو ناموس وحشي لاخير فيه لان بنيته هي تنازع البقاء وحفظ النوع والتراحم على الاسهل والاعتماد على القوة وطلب النفايات

وحب الرئاسة وحرص الادخار ومجازاة الظروف وعدم الثبات على حال الى غير ذلك وكلها قواعد شر ومجالب ضرر لا يانطقها غير ناموس شريف واحد مودوع في فطرة الانسان وهو اذعانه الفكري للقوة الغالبة اي معرفته الله بالالهام الفطري الذي هو الهام النفس رشدها «فألهما فجورها وتقواها» (مرحي)

ولاريب في ان هذه الفطرة الدينية في الانسان علاقة عظمى في شؤون حياته لانها أقوى وأفضل وأزاع يعمل سائر نواحيه المضرة ويخفف مرارة الحياة التي لا يعلم منها ابن انثى وذلك بما يؤمله المؤمن من المجازاة والمكافأة والانتقام منه وله (مرحي) وعند تدقيق النظر في حالة جميع الاديان والنحل تدقيقاً تاريخياً توجد كلها ناشئة عن اصل صحيح بسيط سلمي لا ترى فيه عوجاً ولا أمناً وبوجد ان كل دين كان في اوله باتاً في أهله النظام والنشاط وراقياهم الى أوج السعادة في الحياة الى ان يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنن والزيادات رجوعاً الى اصاين اثنين (الاشرار بالله والتشديد في الدين) فيأخذ في الانحطاط بالامة ولا يزال نازلاً بها الى أن تبلغ حالة اقبح من الحالة الاصلية الهوجية فتتهي بالانقراض أو الاندماج في أمة أخرى أو يتدارك الله تلك الامة بعناية باغة فيبعث لهم رسولا يجدد دينهم أو يخلفهم أنبياء أو حكماء يصاحون لهم ما فسد من دينهم كما حصل ذلك في الامة الماضية كما د وتعود وكالسرمان واسرائيل وكنعان واسماعيل وكما قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتي بين لهم ما يتقون)

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كأنهما أمران طبيعيان في الانسان يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان لان النفس تميل الى عبادة المشهود الحاضر اكثر من ميلها الى عبادة المعقول الغائب ومفطورة على التشديد رغبة في التميز والشيطان يسمف النفس بالتأويل والتحويل والتضليل الى ان يفسد الدين (مرحي) ثم اذا دققنا النظر في حالة الاسلام في القرون الاخيرة نجد هاهنا كثيراً من القبله قد أصابها بعض ما أصاب غيرها من الاديان قبلها كما أخبرنا الله تعالى بقصصها في كتابه المبين ووعدنا بوقوعنا فيه سيد المرسلين وارشدنا الى طرائق الخلاص منه ان كنا راشدين أعني بذلك ما طرأ على الاسلام من التأويل والتحريف في بعض اصولها وكثير من فروعها حتي استولى عليها التشديد والتشويش وتطرق اليها الشرك الخفي والحي عن يمينها وشمالها فقامت محتاجة الى التجديد بدين الرشد من النبي وعندي

ان هذه الحال اعم واعظم سبب لافقور المبحوث فيه قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) (مرحي)

وأتم ايها السادة الافاضل في غناء عن ايضاح ذلك لكم بوجه التفصيل قال (الاستاذ الرئيس) اني أرى ان البحث في اعراض الداء واسبابه وجرائمه وما هو الدواء وكيف يستعمل قد نضج او كاد وقد قررنا في اجتماعنا الاول اننا سنبحث في ماهي الاسلامية وما يتبع ذلك مما أدرجناه في برنامج المباحث واني اري ان تقرير أخينا العالم التجدي نعم المدخل لنقل البحث ولا سيما اذا تكرم بتفصيل ما اجمله لان مسائل منشأ الديانات ومن الله في مسراها واسباب طوارئ التغير والتحريف عليها كلها مسائل مهمة تقتضي تدقيق النظر واستقصاء التحقيق وتحسن فيها الاطالة والاستيعاب بناء عليه نرجو من العالم التجدي ان يتكرم باعادة ما قرره بورة مفصلة في اجتماعنا الآتي اذ قد أذن لنا الوقت بالانصراف اليوم اه

باب التفسير والتعليل

الشجرة الثالثة منهج جريدة الاسم

تربية الذكور مع الاناث وتعليمها معاً

اني لا أخشى مغبة أفراطي وافراط هيلانه في ميلنا الى تلك الصية التي اتقها العاصفة بين ايدينا لجواز ان يطالبها بعض ذويها يوماً ما وكيفما كانت نتيجة هذا الميل فلا بد له هنا من اثبات امر يتماق بعلم تركيب الانسان ووظائف اعضائه فأقول : كانت دولوريس لما التقطناها و آويناها الى بيتنا محلاً لجميع العيوب التي توجد في نظائرها اللاتي من قبيلها وبلادها فانها كانت مع طرافها مكسلاً وانه قليلة العناية بشأنها وان كان لا يد من التصريح قات انها كانت كثيرة الوساخه وكان هذا الاغفال منها لنفسها مع مقدار عظيم من التفتخ والتدلل من موجهات در هيلانه وحزنها ولم ينجع في الكسر من زهوها والمطامنة من تصانفها ما اتخذته لذلك من العظات

وضرب التوبيخ ونوع الايلام الخنزير ولما كان فيها من حسنة المزاج والتهيج عند مخالفتها فيما تريد كانت لا تبدي ادنى اشياء لتعلم . أفرغت هيلانه جهدها في ايقاظ عقل هذه الحسناء ناعسة الغابة (١) من سباته فاحقق مسماها وبطل أثر ما استعملته من التعاويذ والطلاسم لرد هذا السحر الذي لا يدري اى جنية خبيثة من جنيات البيرو ومها به على ما يظهر وان اردت ان تعلم من الذى ابطال هذا السحر فاعلم انه «أميل» ذلك لان ميل (لولا) الى ان تعجبه وان تتحامي ضروب سحرته بها وانواع زرايته عليها كان أشد تأثيراً في ارادتها من جميع عظائنا ونصائحنا

كان هذا أول سلطان (لا ميل) على قلبها وهى لا خطر فيه فى سنها من ذلك الحين وقع التنافس بينهما أمام وجهته فاشدة زهوه ونخوة بماله من التقدم عليهما فى علومه القليلة وأما من جهة فاعيرها ورغبها فى منازعة ذلك التقدم والمرجو من هذا التنافس أن يعود دوماً بالنائفة على كليهما فان درسهما مجتمعين أحسن وأقن منه منفردين لانه اذا اعتبر (أميل) نفسه أعلم من (لولا) اجهدت فى التبريز عابه فى ميدان المطالعة

أرى ان هذه الصفحة تفيدهما فى اخلاقيهما أيضاً فائدة كبرى فان الاطفال على

(١) يامع انوالب بقوله «هذه الحسناء ناعسة الغابة» الى اسطورة من اساطير الكتاب الفرنسي شارل بيروات المسماة حكايات الجن ماخصها ان احد الملوك وزوجته ابتليا بالمقام مدة طويلة ثم رزقا فتاة حسناء فجملاها فى كفالة سبع جنيات وأولما هن ولية أعدافها لكل واحدة منهن تحفة فاخرة لها كيس من الذهب الخالص فيه ملقعه وشوكة وسكين من الذهب أيضاً وفي أثناء جلوسهن على المائدة جاءت جنية عجوز زائنة لم يكن حضورها فى الحساب فقدمت لها تحفة بلا كيس فظنت ذلك احتقاراً لها فخافت احدى الجنيات ان تسمى هذه العجوز الى المولودة فخرجت ثم ان كلاً من الاخريات منع المولودة سفة جميلة ما عدا العجوز فانها قالت ان الفتاة ستحرق يدها بمغزل وتموت فجاءت الجنية التى كانت خرجت وقالت انها لن تموت ولكن يغشاها النحاس مائة سنة ولا يوقظها الا ابن ملك من الملوك ثم اتفق ان الفتاة رأت مغزلاً فى يد عجوز فتناولته فحرق يدها فسقطت نائمة ثم نقلت الى قصر لوالدها فى غابة وبعد مائة سنة ايقظها ابن ملك وتزوجها

علم تام بما يشتركون فيه من الميوب ولا يبقى بعضهم على بعض في تشهيرها وتعميره
أيها لذلك ترى «أميل» قلما يوقر «لولا» فيما يراه فيها من القائص وهي أيضاً لا
تقصر في أن تكيل له الصاع بمنه بدون أن يكون في هذه المشاغبات الحقيفة ما يكدر صفو
مودتهما الشريفة في شيء وكاني بقائل بقول أن هذه المزايا بعينها توجد في معاشر
الأخ لاخته ووجودها مما فاجبيه باقي في شك من ذلك أهدم تمام الشبه في الجهتين .
زرت فيما مضى مدرسة للصم البكم كانت تنقسم في أول نشأتها إلى قسمين أحدهما
للذكور والآخر للإناث فلم تلبث التجربة أن كشفت عيوب هذا التقسيم فإن الصبايا اللاتي
كن متصورات في قسمهن كان يبدو عليهن التأخر عن الفلمان سنة أو سنتين ولم يكن
الفلمان أنفسهن بارعين في التقدم والتجراح فخطر في بال الفاعلين على المدرسة أن
يجمعوا الفريقين في غرف واحدة فكانت نتيجة هذا التغيير محودة فانه لم يمض الا يسير
من الزمن حتى زال تأخر أحد الفريقين وانحطاطه عن الآخر وتقدم الآخر تقدماً
الانزعاج فيه ذلك لأن العجب الذي هو خارق فطر في الذكر والآتى والطمع الذي
هاج في نفوس الفلمان وجود منافسات زاهيات بأنفسهن بينهم واهتمامهم بأن يظهرُوا
في أعينهم ممتازين عنهن كل ذلك ساعد من الجهتين على ازدياد درجة معارفهم في
دروسهم مع أنهم كانوا هم التلامذة الأوائل لم يتغيروا وإنما ظهر أن قواهم تضاعفت
لماذا لا يصح في حق الناطقين والناطقات ما صح في حق الصم البكم .

إنما يعارض القائمون على تربية الناشئين في الجمع بين الذكور والإناث بحجة
المحافظة على الأخلاق والآداب ولو كانت هذه المعارضة مبنية على سبب صحيح لكانت
وجيهة سديدة ولكن لا بد أن نجيب هؤلاء المعارضين بأنه لم يفكر أحد مطلقاً في جمع
هذين الصنفين في قاعات النوم العامة ولا شك أن تقسيم محال المدرسة وإقيسها
والرياضات المدرسية بالحكمة والتدبير يحجب كثيراً من المضار التي ينشئ منها على
الآداب والأخلاق

على أن العمل العقلي إنما جعل لتذليل الغرائز والشهوات الحيثة وقمعها
لا تثبيتها وتقييدها وإني خلافاً لأولئك المعارضين أرى أن في التفريق الكافي بين الصنفين
خطراً على الفضيلة فإن فرط الاحتراس والاحتياط الصادر عن الرياء واتفاق لا يكون
منه إلا دعوة الفساد إلى الاحتيال لتطرق إلى الأخلاق من سبيل الشر فلا يثبت أن
يظهر فيها وأن كثرة بت روح الحذر في أطهر المعاملات وأعفها توقظ في اليافعين

ما هو أنهم من شهواتهم وتظهر ما يكون كامناً من أشواقهم فبذني ان تزال هذه الحدود المسادية ويقتضيه منها يسود الله التي فطرتهم عليها وجمالها في نفوسهم سباحاً لما فرضه عليهم

لا أريد ما تقدم ان الذكر والانثى في التربية بيان يصاح لأحدهما كل ما يصاح للآخر كلا بل ان كلا منهما يقتضي تربية خاصة لاختلافهما في المواهب والفروض والفرض المخلوقين من أحده . على اننا نرى النابضين والمباغيات من الصنفين يتكافؤون ويتناسبون في بعض ذرى العلوم والقانون الجميلة والشعر فالأجدر بنا ان نفكر بأعداد الأزواج بين ما أوتيته الانثى من رقة الوجدان وما أوتيه الذكر من حصافة الخبائن فان في ذلك لذة حياة الصنفين . وان تربية شطري النوع الانساني منهزلين كل منهما لا يشتركان في شيء مما خلقا لأحده تعجيباً بقطع الصلة الاجتماعية وأما تقديم التربية الى الصبي وتفهمه أنها ستكون له في مستقبله رفيقة في العمل والكسح في سبيل الخير والعدل والحق فهو أكثر انطباقاً على مقتضى الفطرة وعلم الاخلاق ونرى كل حال متمم « لولا » و « أميل » معاً الى ان يقتضي الحال التفريق اني لأرجو لكل منهما خيراً كثيراً من وراء هذا الاقتران العقلي . اهـ

قوانين التعليم الرسمي

البذة الثالثة في تعليم البنات

ان المقامر العشرة التي ذكرناها في البذة الثانية من انتقاد قوانين التعليم الرسمي كانت في موضوع تعليم الدين وقد قلنا انبذيه على مفعول آخر عظيم وهو (١١) لم يرد في قانون التعليم ما يدل على ان البنات يعلمن ما يختص بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئاً من ذلك . ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف ان النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فاذا جاز ان يكتسب التلميذ بعض ما يفوته من الأحكام الدينية في المدرسة بمعاشرة أهل العلم الديني وحضور مجالسهم وسماع الخطب الدينية في يوم الجمعة وحضور دروس الوعظ في بعض المساجد فمثل هذا لا يتأتى للبنات ولا للنساء لانه ليس فيهن عالمات بأمور الدين فيقتبس بعضهم من بعض ولم يجز العادة بحضورهن الجمعة ومجالس العلم في المساجد

ثم ان البنات اخرج من الصبيان الى الدين عقائده واعماله وآدابه لسبب آخر وهو ان صنفهن في الشرق لا يزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج فاذا قرأت جريدة أو كتاباً على رجل وامرأة من الأميين فان الرجل يفهم منك مالاتفهم المرأة وأكثر النساء لا يفهمن من المقروء شيئاً ما لذلك نشكر للحكومة ما نراه من الرغبة في تعليم البنات ولكن التعليم بغير تربية قليل الجدوى ولا يزال أكثر الناس عندنا يعتقد ضرر تعليم البنات وليس لنا من هؤلاء المتعامات في المدارس حجة عليهم فان آداب هؤلاء البنات غير مرضية والسبب في ذلك عدم العناية بالتربية التي ملاكها الدين فاذا كانت الحكومة توافقنا على ان الحاجة الى تعليمهن أشد لأنهن أضعف عقلاً فعليها أن توافقنا على ان الحاجة الى تربيتهن أشد أيضاً لأنهن أضعف نفساً

وهناك وجه ثالث لوجوب العناية بتربيتهن أكثر من تعليمهن وهو ان وظيفتهن الطبيعية هي التربية لا التعليم فيجب أن تكون التربية هي المقصودة لهن بالذات من المدارس وان يكون التعليم ممداً لها ومساعداً عليها ونظارة المعارف لا تخالفنا في ان ملاك التربية الدين لا سيما عند المسلمين ولا تقدر أن تنكر تقصيرها في تعليم الدين وإيهاها لتربيتها

وان تعجب فعجب أن موظفي النظارة من غير المسلمين كانوا ولا يزالون أشد محافظة على آداب البنات الإسلامية من كبار الموظفين المسلمين فمن ذلك ان بعض الضباط من الإنكليز كان يعلم البنات في المدرسة السنية الألعاب الرياضية البدنية وهي ضروب شتى منها الانحناء والاثناء وتحريك بعض الاعضاء دون بعض وكان المعلم لا يستغنى في تعليمه عن اللمس والجلس وربما سجع ذلك الجت فراع الامر بعض المعلمين الذين لم يفقدوا نعمة الدين فاحتلوا في تبليغ ذلك بعض كبار الموظفين في المعارف من المسلمين وما كانوا جاهلين فلم يفد ذلك حتى اتفق ان زار المدرسة يعقوب باشا وكيل النظارة ورأى بعينه ما رأى فعاد الى الديوان وأصدر أمراً بمنع ذلك

واذكر خبر (مسر جريفيئس) الناظرة الاولى للمدرسة السنية التي كانت قبل (فوربز) التي عمرات في السنة الماضية فلقد كانت من خير من انبتت أرض الإنكليز تربية وحرية ونفذية وانصافاً ولا أغلو في الاطراء اذا صعدت بها أفق الفلاسفة والحكماء ومن مآثرها ان اقترحت على نظارة المعارف أن تازم جميع البنات في

مدارسها بتعلم الديانة الإسلامية والتربية عليها عملاً . قالت : ان تعاليم التربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتعليم ضروري فلا يصح ان يكون في مدرسة واحد دينان وان أولى الأديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة وأكثراها في البلاد فالنتيجة أنه يجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الإسلامية في مدرسة البنات وجعلها الزامية . ومن آثارها تقييد البنات ، وكنّ قباهن في المدرسة حاسرات ، فأخبرها بعض المعلمين لما عرفوا فضلهن بان كشف رؤس البنات أمام المعلمين محرم في الديانة الإسلامية وان الصلاة لا تصح من مكشوفة الرأس فكتبت الى النظارة تطلب ان تجعل لكل بنت في المدرسة قناعين في السنة فاجيب عليها . فطلب هذه النظارة الحكيمة الفاضلة تعميم التربية الدينية حجة على النظارة وقد كانت احدي « ضمانات » ناظر المعارف ولكنها لم تغن شيئاً بل لم يطل عليها الا في المدرسة حتى استبدلت بها النظارة فوراً .

اعتقد المصريون العارفون بخبرها ان المستر دنلوب نهم عليها أنها غير متعصبة للديانة المسيحية فأخرجها وهو العامل المستقل في النظارة بدون « ضمانات » الناظر وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً سوء . سيرة النظارة التي خلفتها ولكن القوم لم يلبثوا ان عزلوا النظارة الاخرى لما كثر الارجاف بها وانكروا عليها مخادعة المستر هوتن المفتش الانكليزي في المدارس واستبدادها في المدرسة . ويقال ان اللورد كرومر هو الذي أوعز الى النظارة والمفتش ان يستقيلاً معاً وابعازه حكم لا يرد . نعم كان من سوء سيرة هذه النظارة استقالة الاستاذين الفاضلين الشيخ حسن منصور والشيخ محمد عمر العرب من المدرسة ومن خدمة معارف الحكومة وهما من خير الاساتذة تعاليم وتربية بل لا يوجد في مصر افضل منهما لتعليم البنات . فكانت استقالاتهما من أسباب سوء الاعتقاد بالنظارة وان شئت فقل بالمتحانين وكانت الجرائد كالأهالي مجمعة على عدم الرضي بحالة المدرسة ولا يوجد فيما أعلم موظف في الحكومة اتفقت على الارتياح لعزله الجرائد الإسلامية والتبعية والسورية الا المستر هوتن ، ونظارة المدرسة السنية

عد هذا العقلاء محمدة للمحتلين ولم يشذ عن هذا الا حدث السياسة المشهور بالخطأ في كل ما يكتب فقد اتخذ عزل النظارة والمفتش دليلاً على سوء قصد المحتلين ولاك عرضهما لو كانا خرج به عن محيط الادب وكتب كتاباً لا يصح ان تكتب في الجرائد التي تعرض على جميع الانظار ولكن كلامه لا يهر له في الامة وقد مضى الزمن الذي

كان الناس يرون فيه كل عمل يعمله المحتلون قبيحاً فقد زالت غشاوة السياسة الحرقاء عن عيون الاكثرين فهم يرون الحسن حسناً والقبيح قبيحاً وقد قلنا في النبذة الماضية انه لم تبق نظارة ولا مصلحة للحكومة الا واعترف الاهالي بالاصلاح الذي حصل فيها الا نظارة المعارف قلها لانزال مثار السوء الظن لأن الاصلاح الحقيقي انما يكون في التربية والتعليم والناس يقولون ان التعليم تدلى في عهد الاحتلال وصار سيره دون ما كان عليه من قبل وان تحسن نظامه. وانني ارى الواقيين على عناية المعارف الجديدة باعانة الكتابيب الاهلية وتنظيمها مع ابقائها على استقلالها يحمدون ذلك ويعدون من الاصلاح ولا ينكرون منه الا كون حفظ القرآن غير مكافئ عليه وانها لغلطة من واضع القانون لم تكن عنها الضمانات الخمس شيئاً بل لارأي في هذا القانون الضمانات فمسي ان يصلحه المستردنلوب في سنة اخرى فيكون له ولقومه الثناء الجليل

هذا — وقد كدنا نخرج عن موضوع هذه النبذة وهو تعليم البنات وتربيتهم فالامة تطلب والمدالة تشفع ان تكون عناية المعارف بتربية البنات الدينية أشد ولكن قانون التعام والمعمل الذي في المدارس يدلان على ماقلناه من اهمال التربية والتفكير في التعليم فالي ذلك توجه انظار أهل الحل والعقد العامين

بَابُ الْحَبِيبِ الْإِسْلَامِيِّ

﴿ مستقبل الحجاز . وأمير مكة المكرمة ﴾

نشر المؤيد الأغبر من أيام رسالة مطولة « لعثماني صادق » عنوانها (مستقبل الحجاز) تكلم فيها صاحبها عن حالة البلاد في هذه الأيام كلاماً تاريخياً ينبغي أن يعلم وحمل على أميرها الشريف (عون الرقيق باشا) حجة منكرة عدله فيها سيئات اذا صحت الرواية فهي اقبح السيئات ولكن الكاتب عداه أيضاً ما يعدله فكان بذلك متهماً بالافتراء أو الجهل وقلما نجد كاتباً يقف عند حدود الاعتدال . اما السيئات الحقيقية فهي الظلم في أرض الحرم والاستبداد في الحكم وعدم العناية بحفظ الامن بل اتهمه بغيره الأعراب بالحجاج لسلب المال منهم وهذا شيء عظيم لانلوم الكاتب على التطويل بهذه وتقدمه وان كان أكثر كلامه من قبيل الشعر لا من قبيل الحقائق وبيان الاوصاف .

ويظهر أن الغرض من الكتابة حمل السلطان على عزل الشريف من إمارة مكة المكرمة . ومن غلو الكاتب المتكبر شرعاً مخاطبة السلطان والاستغاثة به بكلام لا يقال إلا في الله تبارك وتعالى كقوله « قاليك يتوسل المسلمون . وبك يستغيث المؤمنون ، ياغيث المستغيثين ، وأمان الخائفين » . وأنه لكلام تقشعر من توجيهه لغير الله تعالى قلوب المؤمنين . وإذا كانت مبالغة في الذم على نسبة مبالغة في المدح فلا شك أنه كاذب فيما كتب فالذي يحمل السلطان ألقاباً أتباعاً لهواه لا يبعد أن يجعل الشريف شيطاناً أتباعاً لهواه . وعجيب من المؤيد كيف نشر هذا الأطراء وأقره

ولو لا أن الطاعين في هذا الأمير كثيرون لما حفظنا بهذه الرسالة وقد كنا نوهنا في المنار (١٤ : ٢) الصادر في ٩ صفر سنة ١٣١٧ برسالة مطبوعة وردت علينا في بريئة ستغفور اسمها « ضحيج الكون . من فظائع عون » وهي مملوءة بالشكوى من الشريف وقد كتب إلينا يومئذ أنها ترجت ووزعت في الأقطار فكان لها تأثير عظيم . حتى أن بعض المساجد قطع الخطبة لمولانا الخليفة أيده الله تحاشياً من الكذب بأنه خادم الحرمين الشريفين » وقد أرسلت هذه الرسالة يومئذ إلى الحضرة السلطانية ويظهر أن ذلك كان من عمل جمعية ولكن لم يظهر لها أثر لأن الشريف متفق مع السلطان والسلطان راضٍ عنه

وصاحب رسالة « مستقبل الحجاز » يؤكد القول بأن الشريف يجتهد في إقناع الناس بأنه لا يفعل فعلة إلا بأذن السلطان ومرضاته لينفرهم منه فإذا ثبت هذا السلطان فربما يعزل الشريف أو يرسل إليه والياً حازماً يفلّ يده ويحفظ الأمن ويكون هذا حجة على الذين يقولون أن السلطان يحب أن يكون الشريف ظالماً غاشياً ليسلم المسلمون في جميع أقطار الأرض بأن حكم الترك أفضل من حكم أشرف العرب

ومما عده صاحب الرسالة (مستقبل الحجاز) من سيئات الشريف هدم بعض القبور والقبب والمساجد التي بنيت على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتقصير لزيارتهم وقال إنه أزعجهم في قبورهم وكذلك القبر المنسوب إلى أمنا حواء عليها السلام . ومن أين مثل هذا الكاتب الذي عدّ هذه الأعمال ذنباً لا يغفر أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر بطمس القبور المشرقة ونهى عن بناء المساجد على القبور ولعن فاعليها ونهى عن شد الرحال إلى مثلها

أخرج الإمام أحمد ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي في - منهم

عن أبي الهياج الأسدي عن علي رضي الله عنه أنه قال « أبشرك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدع تملاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويت » قال الإمام الشوكاني في شرح هذا الحديث بعد ما جع أن رفع القبور زيادة عن القدر المأذون فيه بحرام ما نصه :

« ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً القبر والمشاهد المعمورة على القبور وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعمل ذلك كما سيأتي وكما قد سري عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفسد يبي لها الإسلام . منها اعتقاد الجهة لها كاعتقاد الكفار للأصنام . وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فجعلوها مقصداً لطالب قضاء الخوائج وملجأ لتجراح الطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدوا إليها الرحال وتوسلوا بها واستغاثوا . وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت تفعله بالأصنام إلا فعلوه فانا لله وانا إليه راجعون . ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا نجد من يغضب الله ويقتار حمة الدين الخفيف لا علماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا مالكا . وقد توارد اليأس من الأخبار مالا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم ذات وجهت عليه عين من جهة خصمه حلف بالله فاجر أفذاذاً قيل له بعد ذلك أحلف بشيخك ومفتدك الولي الفلاني تلعنهم وتلكأ وأبى واعترف بالحق . وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال أنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة . فإعلماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء الإسلام أشد من هذا الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين أضرب عليه من عبادة غير الله ؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأي منكر يجب إنكاره أن لم يكن إنكار هذا الشرك الين واجباً ؟ اهـ ثم تمثل الشوكاني بعد ما تقدم بقول الشاعر :

لقد سمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

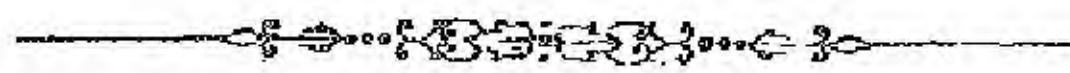
ولو ناراً ففخت بها أضواء ولكن أنت تنفخ في رماد

والسبب في موت العلماء والأمراء الذي غناه بالتمثيل هو اختيار مرضاة العوام الذين فش فيهم هذا المنكر على مرضاة الله تعالى فالعوام بمقتضى طبيعة الكون تبع لهم ولكنهم اضعف ارادتهم وانحلل عزائمهم جعلوا أنفسهم تبعاً للعوام وسيتبرأ الذين أتبعوا من الذين أتبعوا

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر أنه قال : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وإن يكتب عليه وأن يبنى عليه » ولفظ الكتابة لم يذكره مسلم ولكنه على شرطه كما قال الحاكم والتجسس الطلاء بالجص وهو المكس والحير والنهي حقيقة في التحريم .

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » زاد مسلم والنسائي وأخرج أحمد وأصحاب السنن إلا ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وقد عد العلماء اللعن من علامة كون المصيبة من الكبار وما كان كذلك تجب إزالته . فإذا تصدى مثل شريف مكة لإزالة هذا المنكر عملاً بسنة جده عليه أفضل الصلاة والسلام لقدرة على ذلك نعمة عاصياً ومبتدعاً لقول كاتب جاهل ومجهول ومخاطب الساطن بما لا يخاطب به إلا الله عز وجل لأجل التنكيل به ؟؟ لقد انقلب المعروف منكرًا والمنكر معروفًا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

أما مستقبل الحجاز فهو مما لا يصح مثل هذا الكاتب أن يخوض فيه إلا إذا عرف ماورد من الأخبار النبوية فيه وأخذ حظاً من علم طبائع الأمم وسلم بشيء من ذلك إن شاء الله تعالى في مقالة نكتبها في مستقبل الإسلام . ولا يفهم من انتصارنا للحق في مسألة القبر ومساجد القبور أننا نتصر لأشريف على كل حال فإننا كنا أول من وجه أنظار مولانا السلطان أيد الله دولته إلى تحقيق ماينسب إليه في أمر الأمن وعدمه والظلم في الحرم وفعل مايجب من إزالة ذلك وذلك من مدة سنتين كما أشرنا إليه في أوائل الكلام ونكرر ذلك الآن والله الموفق وإليه ترجع الأمور



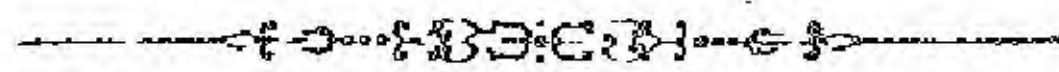
(وفاة الشيخ أحمد الحبيبكي) نفي البنا بريد الهند في الشهر الماضي وفاة هذا العالم الفاضل والأديب الكامل الذي يعرف قراء النار بعض فضله وغيرته المالية من قضاؤه التي نشرت في النار عما كان ينشد في جمعية ندوة العلماء . وقد كانت وفاته في يومه في ١٩ محرم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وعزى آله واصدقاءه أحسن العزاء

(وفاة عقيبتين) في ١٧ صفر توفيت العقيلة عائشة عصمت كريمة المرحوم اسماعيل باشا تيمور وأخت الفاضل أحمد بك تيمور وكانت أديبة شاعرة في العربية والتركية والفارسية وقد لقبها المؤيد بشاعرة مصر في هذا العصر . فتسأل الله أن يحسن عزاء أخيه وأنجاهها الكرام

وفي ١٩ منه توفيت والدته الفاضلة النبيلة أحمد بك تيمور فاجتمع على هذا الفاضل مصابان عظيمان في شهر واحد مصاب الأخت ومصاب الأم وله أكبر عزاء بما وفق له من اتباع السنة في تشييع الجنازة والمآثم إذ كان قدوة صالحة للناس الذين اعتادوا أن يراو في جناز الكبراء والأمراء ألوان البدع كحيلة مجامر الفضة ومخافها الملائى بالرياحين وكطخمة الخدم المؤتثرة بأثر الحرير وكزعف الصالحين بالأشمار والادعية والمصلوات وغير ذلك . ولكن أحمد بك تيمور انفرد دون أولاد الباشوات في مصر بمزيد الاستقامة واتباع السنة والاشتغال بالعلم والأدب بل لا نكاد نرى في هذه البلاد شاباً مثله في استقامته وأدبه وإن كثيراً من أهل الفضل ليودون إبطال هذه العادات القبيحة ولكن إرادتهم ضعيفة لا تقوى على ما يتوهمون من الانتقاد ورميهم بالبخل على المولى ومثل أحمد بك تيمور يصح أن يكون قدوة لهؤلاء إذا وفقهم الله تعالى

ولقد سمعت نقراً من العامة يتحدثون في الطريق ونحن مشاة في تشييع الجنازة يسأل بعضهم بعضاً عن السبب في خلو هذه الجنازة من الصياح والضجيج ونحوهما أشربنا إليه آتفاً فأجابته آخر بأن هذا هو السنة فحدث الله تعالى أن جعل في العامة من يفرق بين السنة والبدعة ويعرف أهلها فكما نعرفي صديقنا الكامل أحمد بك تيمور في مصابه نهته بما وفق له من إقامة السنة وحذف البدعة ونسأل الله أن يجعله قدوة حسنة لأمثاله من الوجهاء الذين هم قدوة لسائر الطبقات . في جميع التقاليد والعادات

(نصير محمد علي) استحسن الفضلاء ما كتبناه عن محمد علي وأعجبوا به وهنؤنا بخدمة الدين والأمة به إلا حدث السياسة فانه شتمنا في جريدته وعسيرنا بقلب (البخيل) يعني أننا لسنا من سلالة الفرعاعة وقد أمرنا الله بالأعراض عن مثله . ونحمد الله أننا من ذرية أفضل أنبيائه فوالدنا حسيني وأما حسنية . وذلك أفضل عند كل مسلم من السلالة الفرعونية . وأما إرجاف الحدث بذكر الاستعدادات ثورة كالثورة العربية فهو بما لا يفهم لأن الثورة لا تكون إلا لمقاومة قوة ولا قوة في مصر إلا للمحتلين فإن كنا نحن ومن « ينصرنا ويحمينا » نريد أن نشور عليهم فأننا نستحق من سعادة الحدث الثناء لا الذم وإن كان يعني أننا نشور على جانب آخر فذلك الجانب هو الذي يشكو الحدث دائماً من سلب حقوقه ونشكو نحن والعقلاء من الثورات المعنوية التي هاجها عليه هذا الحدث وأمثاله وكان من أثرها ما كان وما هو كائن مادام هؤلاء الأحداث متصايين به



(شروط الواقفين • وعدم التصيد بكلام غير المصومين)

جرى على الالسة واشتهر بين الناس قول بعض الفقهاء « ان شرط الواقف كنص الشارع » وهو ما عليه عمل المحاكم من عهد بعيد الى اليوم فيتمسكون بكلمات كتبت في « الوقفيات » وربما لم يكن يفهمها الواقف وانما كتبها الكاتب فيما يكتب من عباراته التقليدية ويتركون احيانا المقصود

من الوقف للشارع والواقف وقفا عند هذه الالفاظ . وقد رأيت بجمنا
نفساً في هذا الموضوع الامام الحافظ الفقيه ابن القيم في كتابه (اعلام
الموقين) أحبت ان أنشره في المنار ليعلم الناس ان ديننا دين مقاصد عالية
ومصالح تقوم بها المنفعة لا دين الفاظ بتبدع ثم يتبع قال رحمه الله تعالى
مناقشة فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية في مسائل خالفوا فيها النص أو
خرجوا عن القياس الصحيح مانصه بمقدمته :

« فصل : وقالت الحنفية والمالكية والشافعية اذا شرطت الزوجة
ان لا يخرج الزوج من بلدها أو دارها وان لا يتزوج عليها ولا يتسرى فهو
شرط باطل فتركوا محض القياس بل قياس الأولى فانهم قالوا لو شرطت
في المهر تأجيلاً أو غير نقد البلد أو زيادة على مهر المثل لزم الوفاء بالشرط
. فأين المقصود الذي لها في الشروط الأولى الى المقصود الذي لها في هذا
الشرط ؟ وأين فوائده الى فوائده ؟ وكذلك من قال منهم لو شرط ان
تكون جميلة شابة سوية فبانت عجوزاً شطاه قبيحة المنظر انه لا فسخ لاحدهما
بفوات شرطه حتى اذا فات درهم واحد من الصداق فلما الفسخ بفوائده
قبل الدخول فان استوفى المقنود عليه ودخل بها وقضى وطره منها ثم
فات الصداق جنيته ولم تغفر منه بحجة واحدة فلا فسخ لها . وقسم
الشرط الذي دخلت عليه على شرط ان لا يودها ولا ينفق عليها ولا
يطأها ولا ينفق على أولاده منها ونحو ذلك مما هو من أفسد القياس
الذي فرقت الشريعة بين ما هو أحق بالوفاء منه وبين ما لا يجوز الوفاء به
وجمعهم بين ما فرق القياس والشرع بينهما وألحقهم أحدهما بالآخر . وقد
جعل النبي صلى الله عليه وسلم الوفاء بشروط النكاح التي يستحل بها الزوج

أمراته أولى من الوفاء بسائر الشروط على الإطلاق فجعلتموها أنتم دون
سائر الشروط وأحقها بمدم الوفاء

« وجعلتم الوفاء بشرط الواقف المخالف لمقصود الشارع كترك
النكاح (أي بأن وقف على أهل هذه التكية مالم يتزوجوا) وكشرط الصلاة
في المكان الذي شرط الصلاة فيه وإن كان (المصلي) وحده وإلى جانبه
المسجد الأعظم وجماعة المسلمين . وقد ألغى الشارع هذا الشرط في
النذر الذي هو قرينة محضة وطاعة فلا تتمين عنده بقمة عينها الناذر للصلاة
إلا بالمساجد الثلاثة (المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس)
وقد شرط الناذر في نذره تميمه فألغاه الشارع بفضيلة غيره عليه أو مساواته
له فكيف يكون شرط الواقف الذي غيره أفضل منه وأحب إلى الله
ورسوله لازماً يجب الوفاء به ؟ وتتمين الصلاة في مكان معين لم يرغب
الشارع فيه ليس بقربة وماليس بقربة لا يجب الوفاء به في النذر ولا يصح
اشتراطه في الوقف

« فإن قلتم : الواقف لم يخرج ماله إلا على وجه معين فلزم اتباع
مآئنه في الوقف من ذلك الوجه والناذر قصد القرينة والقرب مساوية
في المساجد غير الثلاثة فتمين بمضاهيها . قيل فهذا الفرق بعينه يوجب
عليكم الفاء مالا قرينة فيه من شروط الواقفين واعتبار ما فيه قرينة فإن
الواقف إنما مقصوده بالوقف التقرب إلى الله فتقربه بوقفه كتقربه
بنذره فإن العاقل لا يبذل ماله إلا لما فيه مصلحة عاجلة أو آجلة والمرء في
حياته قد يبذل ماله في أغراضه مباحة كانت أو غيرها وقد يبذله فيما يقربه
إلى الله . وأما بمد مماته فأنما يبذله فيما يظن أنه تقرب إلى الله . ولو قيل

له ان هذا المصرف لا يقرب الى الله عز وجل أو ان غيره أفضل منه وأحب الى الله منه وأعظم أجراً لبادر اليه . ولا ريب ان الماقل اذا قيل له اذا بذلت مالك في مقابلة هذا الشرط حصل لك أجر واحد وان تركته حصل لك أجران فإنه يختار ما فيه الاجر الزائد فكيف اذا قيل له ان هذا الأجر فيه البتة ؟ فكيف اذا قيل له انه مخالف لمقصود الشارع . مضاداً له يكرهه الله ورسوله . وهذا كشرط الزوينة مثلاً وترك النكاح فإنه شرط لترك واجب أو سنة أفضل من صلاة النافلة وصومها أو سنة دون الصلاة والصوم . فكيف يلزم الوفاء بشرط ترك الواجب والسنن اتباعاً لشرط الواقف وترك شرط الله ورسوله الذي قضاؤه أحق ، وشرطه أوثق ، « يوضحه أنه لو شرط في وقفه ان يكون على الاغنياء دون الفقراء ، و كان شرطاً باطلاً عند جمهور الفقهاء ، قال أبو الممالي الجويني - هو امام الحرمين رضي الله عنه - : ومعهظم أصحابنا قطعوا بالبطلان . هذا مع ان وصف التقى وصف مباح ونعمة من الله وصاحبه اذا كان شاكراً فهو أفضل من الفقير مع صبره عند طائفة كثيرة من الفقهاء والصوفية فكيف يلغى هذا الشرط ويصح التهرب في الاسلام الذي أبطله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « لا رهبانية في الاسلام » . يوضحه ان من شرط التزب فانما قصد ان تركه ^(١) افضل واحب الى الله فقصد ان يتعبد الموقوف عليه بتركه وهذا هو الذي تبرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه بعينه فقال « من رغب عن سنتي فليس مني » وكان قصد اولئك الصحابة ^(٢)

(١) كذا في الأصل والمراد ترك النكاح ولم يذكر في الجملة ولعله سقط من النسخ

(٢) يريد الذين أرادوا ترك الزوج كعثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه

هو قصد ولا إلى اثنين بمينه سواء فأنهم قصدوا ترفية^(١) أنفسهم على
العبادة وترك النكاح الذي يشغلهم تقرباً إلى الله بتركه فقال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فيهم ما قال واخبر ان من رغب عن سنته فليس منه . وهذا
في غاية الظهور فكيف يحل الالتزام بترك شيء قد أخبر النبي صلى الله عليه
وسلم ان من رغب عنه فليس منه ؟ هذا مما لا تحمله الشريعة بوجه^(٢)

« فالصواب الذي لا تسوغ الشريعة غيره عرض شروط الواقعةين
على كتاب الله سبحانه وعلى شرطه فما وافق كتابه وشرطه فهو صحيح
وما خالفه كان شرطاً باطلاً مردوداً ولو كان مائة شرط وليس ذلك بأعظم
من رد حكم الحاكم اذا خالف حكم الله ورسوله ومن رد فتوى المفتي .
وقد نص الله سبحانه على رد وصية الجنتف (وفي نسخة الحائف وكلاهما
بمعنى الجائر) في وصيته والآثم فيها مع ان الوصية تصح في غير قرينة
وهي أوسع من الوقف وقد صرح صاحب الشرع برد كل عمل ليس عليه
أمره فهذا الشرط مردود بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل
لأحد ان يقبله ويعتبره ويصدق به »

« ثم كيف يوجبون الوفاء بالشروط التي انما تخرج الواقف ماله من
قام بها وان لم تكن قرينة ولا لواقفين فيها غرض صحيح مما يقربهم إلى الله »

(٣) فسر الترفية في هامش الاصل بالتسكين والاقامة على الشيء (٤) أبعد من هذا
عن قصد الشارع الوقف على تشریف القبور وبناء القبب المساجد عابها وعلى إيقاد السرج
والشموع عابها وذلك من المحرمات التي لمن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمها فيجب
على القاضي ان ينصح من أراد الوقف على محرم او مكروه وان لا يقبل منه وان
يدله على أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى بوقفه كمساعدة الجياعات الخيرية وبناء
المدارس لتعليم الامة

ولا يوجبون الوفاء بالشرط انتهى انما بذات المرأة بعضهم بالزوج بشرط وفائه لها بها ولها فيها أصح غرض وهو مقصود وهي أحق من كل شرط يجب الوفاء به بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل هذا الا خروج عن محض القياس والسنة ؟

ثم من المعجب المجاب قول من يقول : ان شروط الواقف كنصوص الشارع ، ونحن نبرأ الى الله من هذا القول ونمتذر اليه سبحانه مما جاء به قائله ولا نعدل بنصوص الشارع غيرها أبداً . وإن أحسن الظن بقائل هذا القول حمل كلامه على انها كنصوص الشارع في الدلالة وتخصيص عامها بخاصها وحمل مطلقها على مقيدها واعتبار مفهومها كما يعتبر منطوقها وأما ان تكون كنصوصه في وجوب الاتباع وتأثير من أخل بشئ منها فلا يظن ذلك بمن له نسبة ما الى العلم . فاذا كان حكم الحاكم ليس كنص الشارع بل يرد ما خالف حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك . فشروط الواقف اذا كان كذلك كان أولى بالرد والإبطال . فقد ظهر تناقضهم في شروط الواقفين وشروط الزوجات وخروجهم عن موجب القياس الصحيح والسنة وبالله التوفيق

« يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قسم يعطي الاهل حظين والمرب حظاً وقال « ثلاثة حق على الله عونهم » وذكر منهم الناكح يريد المفاف . ومصححوا هذا الشرط عكسوا مقصوده فقالوا انه عليه ما دام عزبا فاذا تزوج لم يستحق شيئاً ولا يحل لنا ان نمينه لأنه ترك القيام بشرط الواقف وان كان قد فعل ما هو أحب الى الله ورسوله فالوفاء بشرط الواقف المتضمن لترك الواجب أو السنة المقدمة على

فضل الصوم والصلاة لا تحمل مخافته ومن خالفه كان عاصيا آثما حتى اذا
 خالف الأحب إلى الله ورسوله والأرضى له كان باراً مثاباً عما بالو حب عليه
 « يوضح بطلان هذا الشرط وأمثاله من الشروط المخالفة لشرع
 الله ورسوله انكم قاتم كل شرط يخالف مقصود المقدم فهو باطل حتى أبطلتم
 بذلك شرط دار الزوجة أو بلدها وأبطلتم اشتراط البائع الانتفاع بالمبيع
 مدة معلومة وأبطلتم اشتراط الخيار فوق ثلاثة وأبطلتم اشتراط نفع
 البائع في المبيع ونحو ذلك من الشروط التي صححها النص والآثار من
 الصحابة والقياس كما صحح عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وعمر و
 بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان اشتراط المرأة دارها أو بلدها وان لا
 يتزوج عليها ودلت السنة على ان الوفاء به أحق من الوفاء بكل شرط وكما
 صححت السنة اشتراط انتفاع البائع بالمبيع مدة معلومة فأبطلتم ذلك وقاتم
 يخالف مقتضى المقدم وصحتم الشروط المخالفة بمقتضى عقد الوقف لمقدم
 الوقف إذ هو عقد قرينة مقتضاه التقرب إلى الله تعالى ولا ريب ان شرط
 ما يخالف القرينة يناقضه مناقضة صريحة فاذا شرط عليه الصلاة في مكان
 لا يصلي فيه الا هو وحده أو واحد بعد واحد أو اثنان فمطلوبه من الصلاة
 في المسجد الاعظم الذي يجتمع فيه جماعة المسلمين مع قدمه وكثرة
 جماعته فيتمدها إلى مكان أقل جماعة وانقص فضيلة وأقل أجراً أتباعاً لشرط
 الواقف المخالف لمقتضى عقد الوقف خروج من محض القياس وبالله التوفيق
 « يوضحه ان المسلمين مجمعون على ان عبادة الله في المسجد من
 الذكر والصلاة وقراءة القرآن أفضل منها عند المقابر فاذا منعت فمطلبها في
 بيوت الله سبحانه وأوجبتم على الموقوف عليه فعلها بين المقابر إن أراد ان

بأنه لا يفتى ولا كان تناوله حراماً كنتم قد التزمتموه بترك الأحب إلى الله إلا نفع للمبدع والدول إلى بعض المنفرد والمهدي عنه (أي كالصلاة إلى القبور أو بقربتها) مع مخالفتها لتعدد الشارع تفصيلاً وقصد الوانف إجمالاً فإنه إنما يقصد الأرضى لله والأحب إليه ولما كان في ظنه أن هذا إرضاء لله اشترطه فتدبرنا إلى مقصوده ومقصود الشارع وأنتم نظرتهم إلى مجرد لفظه سواء وافق رضى الله ورسوله ومقصوده في نفسه أولاً

«ثم لا يمكنكم طرد ذلك أبداً فإنه لو شرط أن يعلي وحده حتى لا يخالط الناس بل يتوفر على الخلوة والذكر أو شرط أن لا يشتغل بالعلم والفقه ليتوفر على قراءة القرآن وصلاة الليل وصيام النهار أو شرط على الفقهاء أن لا يجاهدوا في سبيل الله ولا يصوموا تطوعاً ولا يصلوا النوافل وأمثال ذلك فهل يمكنكم تصحيح هذه الشروط . فإن أبطلتموها فعمل النكاح أفضل من بعضها أو مساو له في أصل القرية وفعل الصلاة في المسجد الأعظم البتة الأكثر جماعة أفضل وذكر الله وقراءة القرآن في المسجد أفضل منها بين القبور فكيف تلزمون بهذه الشروط المنفصلة وتطالبون ذلك ؟ فإنا هو البتة بين ما يصح من الشروط وما لا يصح ؟ ثم لو شرط المبيت في المكان الموقوف ولم يشترط التمزج فأنجتم له الزوج فطالبت الزوجة بحقها من المبيت وطالبتهم به بشرط الواقف منه فكيف تقسمونها بينهما أم ماذا تقدمون ؟ أما أوجب الله ورسوله من المبيت والقسم للزوجة مع ما فيه من مصلحة الزوجين وصيانة المرأة وحفظها وحصول الأيواء المطلوب من النكاح ؟ أم ما شرطه الواقف وتعاملون شرطه أحق والوفاء به ألزم ؟ أم تتمونه من النكاح والشارع والواقف لم يمناه منه ؟

فالقول ان ميته عند أهله من كان أحب الى الله ورسوله جاز له بل استحب
فلا نص ولا قياس ولا مصلحة للواقف ولا للموقوف عليه ولا مصلحة
لله ورسوله والمقصود بيان ما في الرأي والقياس من التناقض والاختلاف
الذي يبين أنه من عند غير الله لان ما كان من عنده فانه يصدق به مضا
ولا يخالف به مضا وبالله التوفيق »

(المنار) ان مسألة الاوقاف هي من المسائل الحيوية في شؤون المسلمين فلو
احسن المسلمون إدارة الاوقاف الحيوية وصرفوها في الوجوه الفضلى فانها
تكون اكبر الوسائل لتقديمهم وارتقاءهم والى كنههم يمتدرون بشروط الواقفين
التي تبدل ناهيا ببعض الفقهاء وانما يمتدرون عن صرف الاوقاف في الوجوه
الفضلى والمنافع العامة ولكنهم اذا لاح لهم شيء منها وشبوا عليه والتمسوه
التمسأ من غير انظر الى شرط الواقف ولا الى نص الشارع وكذلك شأن أهل
الطبقة الملياق علوم المسلمين في أعظم معهد للعالم الاسلامي . يأكل الاغنياء
حقوق التقرأ ويهضم الكبار ، ماوقف على الصغار ، فهم حجة على أنفسهم
وكلام هذا الامام المجتهد وبرهينه حجة على كتبهم ولا بد ان يجي يوم
تزل فيه سادة العالمين ، فتصرف أموال الاوقاف في مصلحة المسلمين ،
أو تقع في سلطة المتعدين ، اذا دنا على هذا الجمود المبين ، والمآلة للمتقين

باب الأسئلة والأجوبة

قراءة المولد بالتركية (س ١) من الشيخ م . م في مصر : ماحكم الله في
قراءة قصة مولد النبي العربي صلى الله عليه وسلم باللغة التركية في بيت الله
تمالى على قوم من العرب وبمحفضر المأله الذين لا يعرفون اللغة نبيهم

كما يجري ذلك كل عام في مسجد الحسين (رض) وإن تفضل السيد
 فذكر أصل ذلك في دين الله أو في السياسة الوضعية شكره الله والناس
 (ج) يشبه أن يكون هذا من اللغو الذي لا يعني ولا يفيد لأنه لا يفهم
 وقد وصف الله المؤمنين بالإعراض عن اللغو في آيات من كتابه كقوله «وإذا
 سمعوا اللغو أعرضوا عنه» وقوله عز وجل «والذين هم عن اللغو معرضون»
 وقوله جل ذكره في وصف عباده «وإذا مرؤوا باللغو مرؤوا كراما» .
 وأخرج أحمد وأبو داود عن عثمان بن طلحة (رض) أن النبي صلى الله
 تعالى عليه وآله وسلم دعاه بعد دخوله الكعبة فقال : «إني كنت رأيت
 فرني الكعبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرها تخمرها
 فإنه لا ينبغي أن يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي» ونهى رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الخلق (جمع حلقه) يوم الجمعة قبل الصلاة كما
 في حديث أحمد وأصحاب السنن الأربعة، وقراء قصة المولد يتحلقون في قبلة
 المسجد ويرطن خطيبهم بالقصة التركية ولا شك أن ذلك يلهي المصلي ولا
 فائدة فيه فهو داخل من منع الحديث من هذا الوجه أيضاً، وقد نهى الفقهاء
 عن رفع الصوت في المسجد بالقرآن الكريم والعلم النافع إذا كان يشغل
 المصلي . فما بالكم بمن يرطن بالتركية على قوم لا يفهمون منها شيئاً ؟
 أما أصل ذلك في السياسة فهو أن أمراء السوء لما صعب عليهم إقامة
 الدين على وجهه جعلوا هذه المواسم المبتدعة من شعائر الإسلام ليوهبوا
 عامة المسلمين بأنهم قائمون بإقامة الدين وأحياء شعائره وأن رياستهم الدينية
 هي بحق . ولم يحكم الترك هذه البلاد جعل بعضهم قراءة قصة المولد بالتركية
 لأن الأمير هو المقصود بالاحتفال وقراءة القصة لا الأمة وإنما على هذه

ان تعتقد دينه وإحياء الشماثر الإسلامية . وأعجب من هذا ان نحو الأئمة
العربية وصرحوا يعلمان في مدارس الدولة الألمانية (وفقها الله وأيدها) باللغة
التركية لأبناء العرب في سوريا وغيرها وكذلك علم الدين . وقد عين أحد
الأئمة من علماء الدين في بعض مدارس سوريا الأميرية كأنهم لم يجدوا مسالماً
يحسن تعليم الديانة الإسلامية بالتركية . فالأصل في هذا السياسة إحياء لغة الأمة
الحاكمة وإماتة مآعدها وانتهى الخلل الى هذا الحد . ومن هذا القبيل ان سلطاننا
المعظم (وفقه الله) كان أرسل بعض الوعاظ الأتراك ليعلموا العرب في معان
والكرك دينهم وليس في المأمين من يعرف العربية ولا من المراد تعليمه .
من يعرف كلمة تركية لانهم من صميم العرب الذين لا يزالون على بدوهم
مس المحدث القرآن (س ٢) ومنه : ان كثيراً من المسلمين شعروا
بحاجتهم الى حفظ القرآن الكريم ونذبره فلما هموا بذلك صدقهم تحريم التفهيم
مس المصحف لغير المتوضي وما رضوا حياتهم في ذلك من تقايص اوراقه
بنحو عود او مسه بنحو خرقة أو حمله مع متاع الخ لانهم يعتبرونها الاعيب
فهم الآن في حيرة والرجاء كشف الغمة في هذه المسألة ولكم من الله
المثوبة ومن المؤمنين الدعاء والشكر اهـ

(ج) مسألة مس المحدث المصحف خلافة بين المسلمين وكذلك
قراءة الجنب القرآن وينبغي للانسان ان يحكم الاحتياط في المسائل الخلافية
المتعارضة الدلائل . والاحتياط ممن يريد قراءة القرآن بالمصحف للتدبر
والتمديد ان يختار قول من قال بوجوب الداهية من المحدث الا كبر للقراءة
ومن الحديثين لمس المصحف . وليس من الاحتياط ان يترك المسلم حفظ
القرآن لانه يتعسر او يتعذر عليه الحفظ مالم يحمل القرآن ويمسه على غير

وأنه خفيته حيث هو الأحوط والأفضل . ونشير الى الخلاف في المسئلة وادله بالامحاز فنقول

أما قوله تعالى « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون » فتدبروا الكتاب المكنون باللوح المحفوظ والمطهرين بالملائكة . ومنهم من قال المطهرين من الاحداث وجعل الكتاب المكنون صفة للقرآن . قال البيضاوي في تفسير الآية « لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمية وهم الملائكة . اولا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي اولا يطلبه الا المطهرون من الكفر » اهـ وتفسير المطهرين بالملائكة مروى عن ابن عباس وقتادة . وأما حديث « لا يمس القرآن الا طاهر » فهو ضعيف لا يحتج به وكذلك حديث « لا يمس المصحف الا على طهارة » كما جزم بذلك فيها النووي وابن كثير . على ان بعضهم قال ان المراد بالطاهر المؤمن او الطاهر من النجاسة والمروى عن ابن عباس والشمي والضحاك وداود جواز مس المصحف لا حدث حدثا اصغرا . والخلاف كبير في الحدث الاكبر حتى قيل انه لا يمس فيه من الآلة الا داود الظاهري ولكن لا يعرف للجماهير دليل وبقيت القراءة ولا نزاع في جوازها مع الحدث الاصغر وقد ضيفوا ما ورد في الحديث في منع القراءة مع الجنابة ولكن الجماهير على التحريم . وأخرج البخاري عن ابن عباس انه لم ير في القراءة للجنب بأسا . قال في نيل الاوطار : ويؤيده التمسك بمسند حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يذكر الله على كل أحيائه وبالبراءة الأصاية حتى يصبح ما يصباح لتخصيص هذا العموم ولانقل عن هذه البراءة . اهـ ومع هذا لا أحب لحفظ القرآن القراءة مع الجنابة ولكن لا بأس بمحلمهم المصحف مع الحدث الاصغر والقراءة كذلك وانصح لهم أن يتحروا الطهارة والوضوء ما أمكن ذلك والله الموفق

الظلم بالأكمل من الشجرة (٤) الشيخ محمد عيار الحلي بالأزهر : أرجو حضرة تكلم
أن توضحوا معنى قوله تعالى « ولا تقر بها هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وأن
تبينوا معنى ظلمه مع ملاحظة قوله تعالى « والكافرون هم الظالمون » وأن تبينوا معنى
قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » مع ملاحظة عصمة الأنبياء

(ج) ترون معنى الآية الأولى في نبذة التفسير من هذا الجزء وتقدم الكلام
في عصية آدم وعصمة الأنبياء في الدرس ٣٤ من المقائد في (ج ٣ : ٥)
والظلم أهم من الكفر فكل كفر ظلم وليس كل ظلم كفر لأن قصراً في فضيلة
أو عمل نافع فقد ظلم نفسه بمقدار ما فاته من ثمرة النفع وفائدة العمل فقوله تعالى
« والكافرون هم الظالمون » لا ينافي هذا لأن كون الظلم وصفاً راسخاً فيهم باقظع
أنواعه وهو الاعتماد في النجاة يوم القيمة على الشفاعة ونحوها لا يمنع أن يأم غير الكافرين
بنوع آخر من أنواعه الخفية . وقد فسر بعضهم الظلم في قوله تعالى « والذين إذا
فعلوا فاحشة أو ظالموا أنفسهم ذكروا فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله »
ولم يعصروا على ما فعلوا وهم يعاصون » بالصغيرة رأيت ترى أن هذا ذنب تنتظره العقوبة .
والشرك ظلم عظيم و « إن الله لا يغفر أن يشرك به »

أهمار الذميمة قرأنا (س ٥) عبد الفتاح أفندي البدن بالاسكندرية : إذا أراد المسلم أن
يتزوج ذممة وانفق على أن يجعل صداقها شيئاً من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ؟
(ج) يصح جعل المنفعة مهراً وتعلم القرآن أعظم المنافع لأنه نور وهدى للناس
وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد (رض) أن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم زوّج رجلاً فقيراً امرأة فوخت أمرها إليه بما معه من القرآن
ولفظاً المقدم زوجته بما أمرك من القرآن « وكان الله عنه فمين له السور التي يحفظها
وفي روايات وأحاديث أخرى ذكر التعاميم وتعيين السور وفي بعضها ذكر عشرين آية
والراجح أن ذلك في وقائع متعددة ثبتت بالسنة أن تعلم القرآن يصح أن يكون مهراً
وعليه الجواهر الخفية « ولم أر من استثنى الذميمة في هذا المقام ولا من ذكرها فيه
وأنت تعلم أن القرآن أفضل ما يدعى به إلى الدين وأكبر المنافع ولا شك أن رضا
هذه الذميمة بتعلم شيء من القرآن إنما هو لا اعتقادها أن فيه منفعة لها . ولكن الذي
منعوه هو تعليق القرآن لغير المؤمنين حذراً من إهانته « ومن أراد الاحتياط ووافقة
الجميع فليضف إلى التعليم قليلاً من المال . هذا ما ظهر لنا من الجواب والله أعلم بالصواب

الاجتماع الرابع في مدينة أم القري - - الدين والاسلام والشرك والتصوف

في مكة المكرمة يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦
انتظم عقد الجمعية في هذا اليوم صباحاً وقرئ النبط السابق حسب المادة
وأذن الاستاذ الرئيس بالشروع في البحث

فقال (العالم النجدي) : اني اطلب السماح من السادة الاخوان عن املهم
بمقدمات وتعريفات هم أعلم مني بها بل هي عندهم في رتبة البديهيات ولكن لابد منها
للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكري والترتيب القياسي فأقول :

ان النوع الانساني مفطور على الشعور بوجود قوة غالبة عاقلة لا تكيف تتصرف
في الكائنات بنواميس منتظمة فالعامة يعبرون عن هذه القوة بانفظ الطيعة والراشدون
من الناس مهتدون الى ان لهذه القوة من هو قائم بها يعبرون عنه بانفظ (الله) ثم ان
هذا الشعور يختلف قوة وضعفاً حسب ضعف النفس وقوتها ويختلف الناس في تصور
وصف ماهية هذه القوة حسب مراتب الادراك فيهم أو حسب ما يصادفهم من التلقي
عن غيرهم وذلك هو الضلال والهداية . على ان الضلال غالب لأن موازين العقول
البشرية مهما كانت واسعة قوية لا تسع وتحمل وزن حبال الألفية والأبدية والآمال
والآل زمان والآمال مكان ونحو ذلك مما يسمى العلم به لصعوبته علم ما وراء العقل ولهذا
لا يقال في الضالين انهم منحطون عقلاً عن المهتدين بل كثير منهم في الماضين
والحاضرين اسما عقلاً بمراتب كبيرة من المهتدين ولكن صعوبة التصور والحكم
أوقعهم في بحار من الأوهام وظلمات من الضلال . على ان الباري تعالى قدر اللطف
بعض عباده واراد اقامة الحججة على الآخرين فأوجد بعض أفراد من البشر تميزوا
في تصور ووصف ماهية هذه القوة تميزاً كبيراً فساروا هداة للناس وهم (الأنبياء)
عالم الصلاة والسلام . وقد قام بعض هؤلاء الانبياء الكرام فيمن حولهم من الناس
مقام الشرايين وأنبأوا ببراهين خرق العادات على يدهم عند التحدي أي عند طلب
ذلك منهم (١) أن مخاطبتهم مكلفون باتباعهم وهم (المرسلون) فأمن بهم من آمن أي
شهدوا لهم بالرسالة واتبعواهم في هديهم مستسلمين فأخرجوهم من بحار الأوهام
الى ساحل الحكمة ومن ظلمات الضلال الى نور الهداية وهؤلاء هم (المؤمنون)

(١) النار - هكذا فسر التحدي هنا والمزوف في علم الكلام ان التحدي طلب
المعارضة للمعجزة بأن يقول الرسول هذه آية صدقي فأتوا بمثلها أو فآمنوا

هذه مقدمة أولى (مرحى)

ومن المؤمنين نحن معشر (المسلمين) علمنا بما علمنا ان محمد بن عبد الله الهاشمي
لقرشي العربي اجل البشر حكمة وفضيلة وصدقنا به رسول الله الى المسلمين كافة
صحيحاً ملة ابراهيم داعياً لعبادة الله وحده هادياً الى ما يكلف الله به عباده من امر
ونهى كافين لكل خير من الحياة وبعد الممات

ومن أمهات قواعد الدين عندنا ان نعتقد ان محمداً باق رسالته لم يترك ولم يكتم
منها شيئاً وانه أتم وظيفته بما جاء به من كتاب الله وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل
التشريع اكلاً لدين الله

ومن أهم قواعد ديننا أيضاً انه محفلور علينا ان نريد على ما باننا اياه رسول الله
أو نقص منه أو نتصرف فيه بمقولتنا بل نتحتم علينا أن نتبع ما جاء به الصريح المحكم
من القرآن والواضح الثابت مما قاله الرسول أو فعله أو أقره وما اجمع عليه الصحابة ان
أدركنا حكمة ذلك التشريع أو لم نقدر على ادراكها وان ترك ما يشابه علينا من القرآن
(يريد نفوذ فيه) فنقول: آمناً به كل من عند ربنا: وما يعلم تأويله الا الله

ومن قواعد ديننا كذلك ان نكون مختارين في باقي شؤوننا الحربية نتصرف فيها كما
نشاء مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها أو نذب اليها الرسول ونقتضيها بالحكمة
أو الفضيلة كعدم الاضرار بالنفس أو الغير والرافة بالضعيف والسعي وراء العلم النافع
والكسب ببادل الأعمال والاعتدال في الأمور والانصاف في المعاملات والعدل في
الحكم والوفاء بالعهد الى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة. وهذه مقدمة ثانية

ويشرع عن هاتين المقدمتين مسائل مهمة ينبغي افرادها بالبحث تباعاً واشباعاً.
منها ان اصل الايمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم فلا يحتاجون فيه الى
الرسول وانما حاجتهم اليهم في الاهتداء الى كيفية الايمان بالله كما يجب من التوحيد والتزكية.
هؤلاء قوم نوح وقوم ابراهيم وجاهلية العرب واليهود والصاري وحموس فارس ووثنيو
الهند والصين ومتوحشو أفريقيا وأمريكا وسائر البشر كلهم كانوا ولا يزالون أهل فطرة
دينية يعرفون الله وليس فيهم من ينكره كلياً كما قال عز من قائل: «وان من شيء
الا يسبح بحمده» بل يغلب على البشر الاشراك بالله فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير
الأمور الكلية والشؤون المظام كالحالقية وتقسيم الارزاق والآجال كأنهم يحاجونه عن
تدبير الأمور الجزئية ويتوهمون ان تحت أسرهم مقربين وأعواناً ووسطاء من ملائكة
وجن وأرواح وروحانيات وشجر وحجر وانه جعل لهم وللنوايس الكونية

من افلاك وطبائع وسمجالات النفسية من سحر وتوجيه فكر دخلاً وتأثيراً في تدبير الامور الجزئية ايقاعاً او منماً واعطاهم شيئاً من القوة القدسية وعلم الغيب

وتوهمهم عند ما شئ عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت على ادارة الملوك في اختتام اسمهم بتدبيرهم مات الامور وتفويضهم مادون ذلك الى العمال والاعوان واستعانهم بالبطانة والحاشية وربطهم مجرى الاعمال بالقوانين والنظامات (مرحى)

ومن تتبع توارخ الأمم العابرة وأفكار الأمم الحاضرة لا يرتاب فيما قررناه من ان آفة البشر الشرك الذي اوضحناه فقط وكفى بالقرآن بهاناً فقد قال الله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » وقال تعالى « بل اياه تدعون » وقال تعالى « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال تعالى « منذ الذي يشفع عنده الا باذنه » الى غير ذلك من الآيات البينات المثبتة ان زيغ البشر هو الاشراك من بعض الوجود فقط لا الانكار ولا الاشراك المطلق لأن العقل البشري مهما تسفل لا ينزل الى درجة الشرك المطلق

بناء عليه جرت عادة الله تعالى جاءت حكمته ان يبعث الرسل ينقذون الناس من ضلالة الشرك ويتناشونهم من وحدة شره في الحياة الدنيا والآخرة ويهدونهم الى رأس الحكمة أي (معرفة الله) حق معرفته لكي يعبود وحده وبذلك تتم حاجته عليهم ويملكون حريتهم التي منحهم من أن يكونوا أرقاء أذلاً ولا أف شيء من أرواح وأجسام وأوهام « فثمرة الايمان بأن (لا اله الا الله) عتق العقول من الأسر وثمره الاذعان بأن « محمداً رسول الله » اتباعه حقاً في شريعته التي تحول بين المسلم وبين نزوعه الى الشرك وتبليبه سمادة الدارين

« فاني الانسان ما أكره » أو قبح ما أجهله ، لا يهتدي الى الوحيه اذا بجهد عظيم ويندفع أو ينقاد بشجرة الى الشرك فيتأبس به على مراتب ودرجات في اعتقاد وجود قوة قدسية ترجى وتنتفى في غير الله أو تسمأ لله ذاهلاً عن انه لو كان في الارض والسماء آله غير الله — أي أصحاب تصرف في شيء ولو في تحريك ذرة رمل — لفسدنا قالاس سر يعموا الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء وأنداد لله فيعبدونهم أي يعظمونهم ويخضعون لهم ويدعونهم ويستمدون منهم ويرفعون حاجاتهم اليهم ويرجون عند ذكر اسمائهم الخير ويتوقعون من سخايتهم الشر وقد قال الله تعالى « ومن أعرض عن ذكرى فان له مميصة ضنكاً » والله صادق الوعد نافذ الحكم « وفي الواقع وبالضرورة والطبع لا مميصة أشد ضنكاً من مميصة المشركين



الذين وصفهم الله عن وجيل نأثم الذمهم المالكين فقال « يا سرك عتقكم »
وقال « ولا يعظم ربك » وأما « محمد بن عمرو بن يحيى » فممن
من الأشرك فقال من أبيات له :

أرأيت ما أحداً أبالي به
أدين إذا تقسمت الأمور
بمكي اللات والمؤذي جريماً
كأنك يفعل الرجل الخبير

ومثل الحيات الأديبة في الموحدين والمشركون كمال ما أملاه حكم قمر به عتقه
لكل مراحم ويتعد قانوناً واحداً ولا يصني لسان ولا شفيع ولا يشاره في حلف
أحد ، وبلد آخر ساء له حيان مغلوب على أمره قال منه مقبره : « يا ميا السون وأعداه
يا كرون » من الذكر لآء التوبة العذبة وأسرة السائلة المستقيمة
ما شاف من حده أجمع خبر لدومهم أو دفعه شر عن أتراعهم فويل من أمدى اللات
كبار لآءته في السعال والشفاء وبلد المال الذي على فاه جنت من لا يحسن الشا
في مذبحك كمال على من الله لا يفتن أن تشرك به ما بعد ما دونه ذلك من
سائر من أشرك به من غير أن يشرك به من أشرك به من أشرك به من أشرك به
على السوء وقتها أمالي من أشرك به من أشرك به من أشرك به من أشرك به
يخبر به « وما أوسع من أشرك به من أشرك به من أشرك به من أشرك به »
ثم أقول : « يا سرك المالكين » ثم أقول : « يا سرك المالكين » ثم أقول : « يا سرك المالكين »
كتاب الله يعلم أن يعرف الله المدلول على الإيمان والسلام وعبادة المؤمنين
وشرك (في اللغة العربية التي هي لغة القرآن) أنا جملتنا قرأنا محمدياً « قال
تعالى » وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه أيين لهم فضل الله من مشاء
وهذا من مشاء « فإذا علم أن الله لم يبعدهم إلا طاعة وأراد أن يبتلي أمرهم
لا يتعدى حدود الله يعني حينئذ عند ما هو مراد الله بالشرك الذي لا يرضاه تعالى
أشفق وخاف عايناً نبينا عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيه فقال : « إن أخوف
ما أخاف عليكم الشرك » (١)

ومن بحث عما ذكر من الالتفات يجد أن أهل اللغة يجمعون على أن المدلول للفظ
(الإيمان) العسرة والتسليم بدون اعتراض (٢) واللفظ (العبادة) التذلل والخضوع

(١) المارح الحديث رواه ابن ماجه عن شداد بن اوس ولفظه « إن أخوف
ما أخاف على أمتي الأشراك بالله أما أناي لست أقول تمبدون شمساً ولا قرأ ولا وثناً
ولكن أعمالاً تغير الله وشهوة خفية » رواه أحمد والبيهقي باللفظ آخر . (٢) ما فسر

الأنواع (الله حي) العلم بالشيء واحد وإذا أنصف إلى الله فمراد به نفي الأنداد
والتشابه . ومن هذه المادة الواحد والأحد صفتان لله تعالى منهاها المنفرد الذي
لا يشركه أو ليس معه غيره . ونحوه معنى مادة الشرك لغة الخلط واستعمالا الاشتراك
بالله وفي اصطلاح المؤمنين الاشتراك بالله في ذاته أو ملكه أو صفاته

ثم إذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله بالشرك في كتابه العزيز على هذه الأنواع
الاربعة نجد مئذنة (الاشتراك في الذات) قائمة في اعتقاد الحلول وهو أنه تعالى شأنه عما
يسفون أفنى أو يفنى بعض الأشخاص في ذاته كقول النصارى في عيسى ومريم
عالمات السلام وقول غلاتنا في وحدة الوجود . وهذا النوع من الشرك غير التصور
والتمثيل حتى عند إسباطين أهله ولذلك يسميه النصارى حقيقة سرية ويسميه
غلاتنا حقيقة ذوقية (مرحي)

أما مظنات (الاشتراك في الملك) فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص بعض المخلوقين
ببعض الأمور السكونية كاعتقاد اليهود في ملك الموت وكاعتقاد بعض الناس
بصرف غير الله في شيء من شؤون الكون كقول من يقول : فلان عليه ذرك البر
أو البحر ، أو الشام أو مصر ،

وأما مظنات (الاشتراك في الصفات) فهي الاعتقاد في مخلوق أنه متصف بشيء
من صفات الكمال من المراتبة العليا التي لا تنبغي إلا لواجب الوجود جلّت شأنه ،
وهذا النوع أكثر شيوعاً من النوعين الأولين لثلاثة أسباب :

(الأول) كون غير الأحدية والخالقية ونحوهما من الصفات الخاصة بالله تعالى
من صفات الكمال . (الثاني) تفسير المبادء الراشدين تمييز الحد الفاصل بين مراتبهم في
المخلوقين وبين مراتبها الخاصة به تعالى

(الثاني) ما نطقت به الشرائع من تفويض الله تعالى بعض الأمور إلى الملائكة واستجابة

به الأوامر هو معنى (الإسلام) وعدم ذكر هذا اللفظ يدل على أنه سقط من الأصل
تفسير الإيمان وهو التصديق القطعي بلا تردد وسقط بعده لفظ الإسلام فصار تفسيره
تفسير الأوامر . (الثالث) فسر المبادء بالمشهور في كتب اللغة وغيرها ولكن استعمال
المرتب يدل على أنهم لا يسمون كل تدال وخضوع عبادة وإنما يخصون المبادء بالخضوع
الخاص عن الاعتقاد بسلطة غيبية وراه الأسباب المادية

دعاه المقربين وإكرامه تعالى بعض عباده الصالحين ووعدده بقبول شفاعة من يأذن لهم بها يوم القيامة فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف

(الثالث) هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للإغراق والتفاني ومعلية سرية السير لا ياتوي عنها عن تجاوز الحدود إلا برغم الطبع وتوفيق الله . ولذلك قال في الرسل أولو العزم الشدائد في كبح جماح الناس عن انحرافهم مع الله تعالى في مرتبة بعض صفاته العاليا وركبوا متون المساعب والمزائم في إرجاع الناس إلى حد الاعتدال وشددوا التكرير على إطرار الناس إياهم وحذروا وأبذروا من مقاربة مظان الشرك حتى الخفي الذي يدب ديب الخيل

ومن المعلوم عندنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام لبث عشرة أعوام يقاضي الأهوال في دعوته الناس إلى التوحيد فقط وسمى أمته الموحدين وأنزل الله القرآن باسمه في التوحيد وتأسس دين الله على كلمة (لا إله إلا الله) وجعلت أفضل الذكر الحكمة أن المسلم مهما رسخ في الإيمان يبقى محتاجاً إلى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً وذلك من شدة ميل الإنسان إلى الشرك ولشدة التباسه عليه واشدة قربه منه طبعاً فنسأل الله تعالى الحماية (مرحى) وما هذا خاص بالمسلمين بل منحت الأمم كلها لم يكذبوا رسلها الكرام إلا وقعت في الشرك كقوم موسى عليه السلام فارقهم أربعين ليلة فاتخذوا العجل (مرحى) (للاجتماع بقية)

بَابُ التَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ

(*) السُّورَةُ الرَّابِعَةُ مِنْهُ بِرَبِّهِ اسْمُ

(الجزيرتان - والتعليم بضرب الامثال)

يحسن أحياناً في حوار الأطفال أن يكون تفهيمهم الحقائق على طريقة ضرب الامثال سألني أميل « منذ أيام لماذا وجد في الناس فقراء وبدالي من « لولا » كثرة اهتمامها بمعرفة الملة في ان فيهم أ »

جرى على اللسان جواب مشهور لهذين السؤالين وهو « ذلك ما أراده الله »

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

وما كنت لأجيب ما يجازي هذا التعاليل لأنه فيما أرى ليس من شأنه أن يؤدي إلى اذهان الأطفال معنى كبيراً لعدل لذات العلية وما كنت أيضاً لأدخل معها في أعوص مسائل علم الاقتصاد السياسي وأسمها . من أجل ذلك رأيت أن أحسن جواب أخرج به من هذه الحيرة أن أقص عليهم ما قصة فقلت :

روي أنه كان يوجد في مكان سحيق من بخر لست على يقين من معرفته جزيرة بنى فيها الاغنياء قصوراً من المرمر وزرعوا في أرضها بساتين وحدائق ذات بهجة ربوا فيها من الازهار ما يندرو وجوده في غيرها واحتفروا بركاً توفيراً لأسباب اللذة ولم يكن في الدنيا ما يبادل زخرف موائدهم فقد كان يطاف عليهم بصحاف من الذهب فيها أقشار ضخمة طبخت بمزقة سرطان البحر (وهو الذ ألوان الطامام في ذوق « أميل ») وكانوا في لباسهم بالغين حد الإفراط في التأنق خصوصاً نساءهم وكان أولادهم يلعبون (١) الكعبة في الميادين العامة بكرات من اللباس

وأما فقراء تلك الجزيرة فكانوا يمشون حفاة وكانت صباياهم تغدو كل يوم في أسمال من الثياب فتطوف بأبواب الأغنياء التماساً لما ألقاه خدمهم من ثلمات موائده المشية . ولم يقتصر الاغنياء في سوء معاملتهم على استعمال الشاقة الممقوتة بل انهم كانوا يمتدقرونهم وبلغوا من ذلك الى حد انهم كانوا يحظرون على ذوي الثياب الرثة منهم أن يوجدوا في المنزهات العامة ولم يكن لهذا الحظر من سبب سوى خوفهم على بسط هذه المنزهات السندسية أن تدنسها أقدامهم أو خشيتهم أن يكون منظر بؤسهم قذى في عيونهم وهذا هو الاقرب الى الحقيقة

من أجل ذلك كله غادر الفقراء المدينة ذات ليلة و آووا الى جبل ليأتمروا بالاغنياء فكان رأي الشبان منهم أن يأخذوا أسلحتهم ويسطوا عليهم وهم نيام فيضا جهم ويقتسموا أموالهم فقام من بينهم شيخ حكيم وتربص بهم حتى قرئت شقشقتهم ثم قال اياكم أن تفعلوا من ذلك شيئاً لأسباب ثلاثة أبتديا لكم : أولها ان الاغنياء يقوم على حراستهم في صروحهم خدم هم شر منهم وكلاب أضرى من الحراس أنفسهم . ثانيها اني لا أعتقد ان سطوكم هذا عليهم وسلبكم لأموالهم يكون من العدل لأنهم قد كسبوا هذه الأموال

(١) الكعبة بالضم والتشديد لعبة : يأخذ الصبي خزقة فيدورها ويجعلها كأنها كرة ثم يتقاصرون بها وتسمى هذه اللعبة في الحضر باسمين فالأول الخزفة فيقال لها التون وأما الأجرة فيقال لها البكسة .



التي تحسدونهم عليها أو كذا أسلافهم من وجود شريفة أو خديعة ثم ملكوها من
بمدهم بمقتضى قوانين أرى مع كوني لا أدرك كمها كمال الإدراك أنه لا بد لوجودها
من سبب لأن جميع الناس محافظون عليها راضون لا يحكموها حتى الآن. ثانياً إن ما يجوز أن
ترعوها اليوم من أعدائكم بقلبيكم عليهم يجوز أن يسلبه غداً منكم غيركم بقوة وضعكم
فعلينا إذن أن نفكر جريماً في اتخاذ وسيلة أخرى. لا بد أنكم سمعتم بوجود جزيرة
أخرى في البحر غير هذه الجزيرة التي قضى علينا نحن طامناً بالولادة فيها فقد حكى
الافرقاء الملاحين اخواننا الذين يحضرون الى هنا يستغيثون مشجونة بالأرزاق ومواد
الزخرف التي يستعملها الأغنياء أنهم رأوا غير مرة في أسفارهم أرضاً من أرض من الماء
مكتلة بالنباتات والأشجار الكبيرة المثمرة ويستفاد من حكايتهم أن إحدى هذه الجزر
تخاف من السكان ولا يقدحها إلا أرادكم حتى تصبح خجة حجة الثمار دانية الحنى فان
لنا سواعد قوية تساعدنا على العمل وهذا إذا ما مع شيخوخة سنكم لكم قوا وفيه
وامدكم بتداعي عند الحاجة هذا هو رأيي عما أنشئت به اليكم فانظروا ماذا تفعلون.
فلقي جميعهم نصيحته بالقبول وما علموا ان هاجروا الى تلك الجزيرة متعاقبين
على سفن واحدة صنعوها بأنفسهم من ألواح خصاصهم قدام الأغنياء فرحاً بغير هؤلاء
الفقراء ولم يستطيعوا كتمان فرحهم ان كانوا يصدقون ويجهرون بقولهم حبذا حبذا
هذا الخلاص

فاما كانت تلك السفن تقل الأشخاص المهاجرين لانهم كانوا لا يملكون شيئاً
استغفروا الله بل انهم حملوا معهم فيها أدوات عملهم
مضى على سفرهم بضع سنين انقطعت فيها أخبارهم واختلفت أقوال أهل الجزيرة
في شأنهم فمن قائل بأن البحر استعملهم ومن واثم بأنهم كانوا بعضهم غنائم وبعضهم في
من الاختلاف ان رأوا ذات يوم سفينة مشحونة بالثقل وغرقت في البحارة ردت على
ميناء جزيرة ثم فلم يلبثوا ان عرفوا من لهجة ملاحها وبمضي الملاح وجوههم انهم من
سكانها السابقين وقد أخبرهم هؤلاء الملاحون انهم آتون من جزيرة أخرى استقامت
فيها أمورهم ونجحت نجاحاً عظيماً لانهم ما حرقوا الأرض وأحيوا مواسمها حتى جعلتها
الحصاد ولأنها المزارع واللواشي فاعتبر الأغنياء هذه الأخبار من الأساطير وقهقروا
بها قهقهة المجانين.

على ان الملاحين لم يكونوا مبالغين في شيء مما قالوا فانه كان يخرج من أرض تلك
الجزيرة القفرة على نحو من السحر حقول مكسوة بالزروع وقرى ومساكن وطرق

كان في ذلك زمان من زمانهم على ووق نام لانهم كانوا في غبطة وثناء وقد سرت
عليهم السكينة ورواها في كتابهم يرون ابناءهم يدورون تحت ارقى واما لغزهم ولداك
كانوا يبكرون بتعلمهم العمل وانشائهم على حبه

أصبح الامم على خلاف ذلك في جزيرة الاغنياء فكانت الثروة فيها تنقص من
يوم الى يوم لان سكانها لما كانوا من فرط الكبر والكنس بحيث انهم يستكثرون ان
يشولوا بانفسهم حراث الارض لم تلبث ان امتلأت عاقولا وتعطلت جميع الحرف والصنائع
لغنى ما لها ونسج ذلك زوال مواد الزخرف وتداعت الصروح والقصور فلم يجد من
الرجال من يقيم منادها

فزع الاغنياء في بدايا هذا الانحطاط الى صناعات الجزائر المجاورة لهم فلم يحبوا
دعوتهم لانهم كانوا على بنية مما كانوا يماهلون به اخوانهم فلم يرضوا لانفسهم ما قاساه
هؤلاء من ضروب الاهانة

انهم ان من تقي في الجزيرة من سكانها كانوا يملكون كثيراً من الذهب والفضة وانهم
اشترى من التجار الاجانب كل ما كانوا في حاجة اليه مدته من الزمن ولكن كل كثر لا بد
من نفاد ما من الكثرة ما باع خصوصاً اذا كان اصله لا يتجدد من اجل ذلك لم يمض
الا بضع سنين حتى غابت أموالهم وانشأوا يندمون ولات حين مندم على ما فرط
منهم من القسوة والظلم في مهانة الفقراء

صاروا الى حالة محزنة جداً فقد نحل عنهم من كانوا يحو طونهم من الخدم والحشم
لمعجزهم عن دفع اجورهم وعجزت خيلهم عن جر محلاتهم لفقد ما من كانوا يقودون
على تغذيتها واصلاح شأنها وكانت نساؤهم ترى في الشوارع متعالات نعالاً من الديباج
مشوهة الاعقاب ولا يلبس جلابيب من الحرير المذهب كما يمزق ومخرق لانه ينجل
او تلك السيدات الجليات ان يرفعن ثيابهن بايديهن فاذا نظر اليهن ناظر وهن في هذه
الاهدام بهذا الصلف والعجرفة بعته حاطن الى الضحك والاستهزاء بهن لو لم يكن
من القسوة والاثوم الاستهزاء بالنساء البائسين ولو كانوا من الاشرار

وجملة القول ان جزيرة الاغنياء المترفين قد أصبحت جزيرة الفقراء المعدمين
كان القحط يزداد فيها من سنة الى اخرى فقد ضمت الارض عن التحصيل لعدم
ما كان يخدمها من الايدي وكاد الاغنياء يموتون جوعاً في صروحهم ولو لم يتداركهم
او تلك الفقراء الذين اخرجوهم من ديارهم بالافراط في سوء معاملتهم ويساعدوهم
بما فضل عن حاجتهم لهلكوا عن بكرة أبيهم

كان « اميل » كثير الاسفااء الي في حكايتي لهذه القصة وما فرغت منها حتى
 ايندرفني بقوله : « يستفاد من القصة اذن أن العمل هو سبب الغناء والثروة »
 فأجبت ان هذا ليس « مطرداً » ولكن أقل فائدة له انه يعني الأمم التي تعرف « مناهج
 العمل وتسلوكها » اهـ

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْأَمْرِ

هو الأحياء محمد علي وأماها خلفه

نشرنا ما نشرنا في المنار من الخلاصة التاريخية لمحمد علي الكبير وحده وليس فيه تمسح
 لذكر بيت الإمارة (العائلة الخديوية) في مصر بمدح ولا قدح ولا كتالم نسلم بين
 عقارب السعاية فقد قال المحالون إننا أهنا هذا البيت الرفيع وهم كاذبون فأننا برأ
 من أهانة البيت أو أهانة أي فرد من أمرائه . ولكن خواص الناس الذين اتفق لهم
 الاطلاع على خطبة مصطفى بك كمال التي ألفها وضمها وقرأها في الاسكندرية قد
 عجبوا لما فيها من المبالغة والتغلو في مدح محمد علي وذكروا خلفه في الإمارة لاسمها اسماعيل
 باشا ومن بعده . وانما عجبوا — ولا عجب في خطأ الأحداث — لما همم بأنه لا يراى
 بالخطبة خدمة لتاريخ ولا تأييداً لامتداد ولا تنبيه الأمة الى عمل معين يمكن ان تعمله
 وانما أراد بها ارضاء الأمير الخاضع والتراف اليه والشهرة بين الناس . ولهم ان
 يعجبوا ممن يحاول ارضاء انسان بقوله أن جدك الأعلى بنى وأنت وأبوك وجدك
 الأدنى هدمتم وجدكم الأعلى أحياء وأنتم أمتهم وجدكم الأعلى حفظ وأنتم أضعتم .
 فهذا هو ماخص الخطبة ونحن نزيد تفصيلاً تبرئة للمنار من قول السعاة المحالين انه
 أهان البيت الخديوي الآن ونوجهاً للأفكار الى هذه المسئلة الحيوية التي هي أم المسائل
 الاجتماعية والسياسية في مصر

كلام الخطبة المؤيد بكلام صاحبها في جريدته وسائر قوله صريح في أن الأمة
 المصرية أمة حية قوية هزينة الجانب مستعدة لأن تبذل الأثم وتعلموها في كل علم
 وكل عمل وانما يظهر أثر هذا الاستمداد وهذه الحياة اذا كان أميرها ومدير شؤونها

في تلك المدة، قد رأى الناس ذلك، ولذلك جاءها تنفذ على السكك والقادر وهي على شرف
البحر، فعمل أيديها أعظم الأعمال، وصرح أيضاً في أن مصر الآن في ذل وصغار
وضعف وهوان، حقوق منسوبة، وظوائف منسوبة، وعزائم مقبورة، ومنزايام مستورة،
ولكنه سكت عن التصريح بالسبب للعالم به، ثم قبله مع عدم إمكان التصريح به لأن كل
إنسان يفهم أن السيف الذي يقط الرقاب ويخلق الهام وهو صديء مُفَال لا يجوز عن
ذلك بعد الشرف والنجدة، وإن العمل الذي يقدري عليه الإنسان وهو ضيف ومريض
يكون أندر عليه بعد عود الصحة وتوب المافية، فكيف دوخت الأمة المصرية الأمم
الدوية وظفرت بالاول الحربية المستعدة مع محمد علي واستقامت وختمت للانكليز
على عهد فيق وعمران الثاني، أن هذا المعجب بالسان قال، مصطفى بك كامل، ولسان
الله بالمشهور كلامه يقول

• عادة السيف أن يزهر بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل
جاء في السيف الرية من الخطبة أن الأمة المصرية التي فتحت البلاد والامصار وكان
عددتها يومئذ لا يزيد عن ثلث عددتها اليوم قادرة على بلوغ غاية المز... وجاء فيها
أن محمد علي ما ضرب وغاب وساد، وأخضع لسانان مصر البحار والبلاد، إلا
بعقل المصري وبأسه، وجاء في الصفحة الخامسة أنه أخذ مصر « وهي عليه ضئيلة
لا حراك بها »... « فراها بعد عهد الشقاء وزمن البلاء وأيام الحزن والفتن قادرة
على القيام بأعظم الأعمال، فيها من روح الحياة وقوة النهوض ما يزعزع الجبال
الراسيات، وتخرج أمامه الشمم الثابتات » ثم ذكر الجند الذي جنده وهو جند الغزاة
الفاتحين وأنه « أخرج من أولئك الفلاحين الذين طامنا تصرف فيهم السكوارت كما
شامت أبعالاً وشجعاناً اهتزت الأرض تحت أقدامهم إجلالاً وإعظاماً وعجزت
جيوش العالم عن مجاراتهم ومناظرهم »، وفي الصفحة الخامسة كشف السر عن
ظهور المصريين بعد ذلك الذل المهين بمظهر الفاتحين القادرين وهو أن (محمد علي)
الذي أدرك بوسع عقلة كنوز هذا الاستعداد في المصريين « لم يترك لليأس سلطاناً
على نفسه »، كانه يقول أن الأمير الموجود لم يدرك هذا الاستعداد بعد ظهوره في
أكمل مظهر يعمل جده وكان جده رأسه وهو كنز مخفي وإن هذا يدس من نفسه
ومن أمته ولذلك لم يتصد للاستفاح بكنوز استعدادها الظاهرة، نعم أنه لم يصرح بهذا
ولكنه قال في أول الصفحة السابقة أن من يعرف جيش مصر وأسطولها في زمن

تجد علي بطل هـ ان سخطنا من ثانياً محالاً اننا نأبى القوة وأحل محلها أمة عادها
زمان فلم يترك لها ارادة ولم يلبسها غير لباس الوهن والاستسلام هـ فهل يمكن أن
تغير هذا الحادث الاستثنائي على رأيه بغير ما تقدم من سبب معرفة الأمير الحاضر
بقوة الأمة المصرية ورأيه من نفسه ومنه ان كيد الدولة في أعلى التدرجات هـ
يكأنه ذكر الاسطول امرينياً ببيع البواخر الخديوية على عهد هذا الأمير

بعد هذا نوهت الخطبة (ص ١٧) بالمعامل والمصانع التي أنشأها محمد علي في المدن
والقرى وبالأعمال الذين زدهم من اليد واليد ولم يذكر أن من هذه تلك الممالك ومن
من أدي هذه الأمة الخيرة من الأعمال بعد ارتقاها فيها ثم عادت إلى التثوية بالقوة
التي هي والسياسة ففي الصفحة التاسعة ان (محمد علي) أنشأ مصر بمصر من القوة
والعزة وجمع شملها بعد ان كانت مفرقة فبدأت طائفة الدولة والسياسة وانه
هـ وهـ مصر عفاً لا يبرأ وقللاً شاعراً وساعداً تديداً وتديداً (كنا) وانه
توحد المصريين ووطناً وأمة وحكومة هـ لئلا يبيع على بلدهم وأرضهم تحت الوطن
والشهامة والإقدام وحيث أنهم الفتح والكبر وتورفع ثرية المصرية على كل من
وتكان هـ فإن ذهبت هذه الثرائيا كلها وأبطل حل محالها الوهن والاستسلام هـ كيف
تجلبت من أعلى مكانة مرجع إليها الأمر إلى أسفل نهور إلا ينهم من الكلام إلا أن أحقاد
ذلك التواحد هم الذين استردوا الموروث وفروا الشمل مجتمع وحولوا أدياتهم
السياسة والإقدام هـ إلى ذل ووهن والاستسلام هـ يدل على هذا ما بعد في الخطبة

سواء في الصفحة التاسعة عقيب ما تقدم من حكومة محمد علي كانت هـ قائمة على مبادئ
الدولة لا تدوم دولة بغيرها ولا تحيا بمحاكمة بدون إحياء من أولاد حيا الوطن من ثرائيا
الاجني وساعده ثانياً رقيه المصري إلى أعلى الله تبارك وتعالى في التزم في الاستمرار
ثالثاً الامتناع عن الدين واجتنابه كل الاجتباب هـ وظاهر ان أحقاد محمد علي لم
تحمكوا بهذه المبادئ التي لا تدوم دولة بغيرها فإسماعيل باشا أخذ الدين بالملايين وهو
أساس الاستعداد كما في (ص ١١) من الخطبة وتوفيق باشا لم يسمع شكوى المصريين
حتى ضباط المساكن من ترقية الجراكسة والاراك (الدخلاء) في الوظائف السامية
هـ حرمان أبناء الوطن العزيز منها ثم استعان عليهم بالانكاس عندما اجتمعت كلمتهم
وتأروا يعطون أحد المبادئ هـ الثلاثة هـ التي زعم حديث السياسة ان (محمد علي) أقام عليها
حكومته وأن اسماعيل باشا وتوفيق باشا هما اللذان أضاعا البلاد المصرية ومائاتها وهما

دولة حبسهم وفي هذا من خطبة خطاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبة من خطباته ما فهمه كل من أراد أن كان قائم من فهم فلم يأت من أمير المؤمنين في جريدته ؟
 وإن كان قائم من غير فهم فكيف يكون هو مؤلف الخطبة ومدتها ولا يفهمها !!!
 وفي الصفحة المشرقة فصل الخطاب في مقابلة الخطبة بين الماضي والحاضر قال :
 « مصر اليوم تمثل الاستسلام للإنكليز والترسخ لسلطته والامتناع لأرادته ، وهي
 هي التي ردت عن انديا تحت إدارة محمد علي وفي ظلي رأته ، ثم أتت على الأمة المصرية
 باب الإنكليز ما أتت وذكر أن الإنكليز أرادوا أن تقضي على هذا الملك الجديد وهذه
 الدولة الناشئة فقاموا بمشروعهم وأرادوا محمد علي أي أمير هو
 فتركت الأمور والبلاد أسفة على فشلها من جهة هذا الجور الباطل والمزيم القاهر والوطنية
 الحقة والهمة الجديدة ، فملقوا الكلام صريح في أن الذي أرى الإنكليز ذلك المزمع
 القاهر في نفسه وفي الأمة المصرية هو محمد علي وأنه هو الذي كان أمام الأمة في الاستقلال
 بمفهومه أن أميرها في عصر الاحتلال الحاضر لم يقدر أن يعجز الإنكليز أن أميرهم ، أية
 أدانته قال يرجع أنه هو نفسه والامام في هذا الاستسلام »

ولكن أكثر المصريين أن لم نقل كلهم قالوا إن الأمير الحاضر (وفقه الله)
 (تعالى) قد بذل مصر بهمة محمد علي وعزيمة ، وذاذ بآية بيته وعامه ، وإنكته لم
 يجد في البلاد رجلاً أخطأ عرائسهم بهل بهم كما وجد محمد علي ، والسبب في هذا هو
 انعدام في المنار الماضي من كون محمد علي وجد الشجاعة والمزينة والنجدة في
 البلاد فخربها ، حاربها حتى قويت بمد ولابته في زمن قريب ، فتقالة (آثار محمد علي
 في مصر) التي أشرنا في الجزء الماضي يمكن أن يحتج بها من يعتذر لأميرنا الحاضر
 (أيده الله) وإذا سلمت هذه الذرائع والذاف التي ذكرت في الخطبة لمحمد علي فهي
 حجة علي كل أولاده وأحفاده ويجب أن تبث في نفوس المصريين حب محمد علي
 وبغض جميع ذريته الحاكمين ومقتهم لأنهم هم الذين أضاعوا استقلال النفوس فاضاع في
 أثره استقلال البلاد لآسيا بمد الدين واعطاء الوظائف « للدخلاء »

وإن تعجب فمعجب بهي بعض الذين يزعمون حب سمو الخديو الحاضر أو سمائهم
 إليه باسم الصيحة بأن يجتهد في مقاومة كل صاحب ارادة وعزيمة في مصر حتى قال
 أحدهم سموه « إذا لم تقطع هذه الرؤس النائية كما فعل جندك فلا يصفوا لك الملك
 في مصر » فليتق الله هؤلاء الذين يقدحون من حيث يمدحون ، ويفشون في عين مابه

ينصحون * ويضرون الراعي والرعية اذا رأوا أنهم يتفقون *

وعلى بصح ان يعد حجة صريحة في الخطبة على ما تقدم فيها بالمفهوم من ان خلف محمد علي هدموا ما بناه ، وأمتوا ما أحياه . ما في الصفحة ١٣ من المقابلة بين الامة المصرية ، والامة البابانية ، وتفضيل نشأة الاولى على الثانية والحكم بأنها لو سلكت السبيل الذي وجهها اليه محمد علي لبغت من الشأن والشأن ما لا يكتسه كنهه . فاذا وجه الحاكم المطلق الامة الى شيء هو في طبيعتها واستعدادها فن الذي يحولها عنه بعد ذلك الا الحاكم المطلق الذي هو مثله ؟؟ الكلام صريح ، ليس بتعريض ولا تلويح ، هذه هي الخطبة من حيث المقابلة بين الماضي والحاضر ومدح محمد علي وهجو خلفه ولا تترص لما فيها من القلو والكذب على التاريخ كزعم ان محمد علي وفق بين المدنية المصرية والدين والاسلامي وغير ذلك فمحمد علي لم يكن عالماً ولا فيلسوفاً وإنما كان أمياً لا يعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئاً . وفي الخطبة انه تعلم القراءة بعد الاربعين . ولكنه لم يتعلم من العلم شيئاً وحسبنا ما تقدم في المنار من حقيقة امره . نعم اننا لم ننكر انه كان جندياً بطلاً وشجاعاً حازماً وبذلك يفسر له ان يكون قائداً لأولئك الشجعان الذين أباد بهم ثم أبادهم

ونتي في الخطبة كلمتان لا بد من التنبه عليهما . احدهما ما جاء في الصفحة ١٥ من انه بقي في مصر من الاستقلال الذي أزاله الانكليز قوة كبرى اليها انتهت وتنهى كل قوة في مصر وهي الساطعة المالية التي استمدت وتستمد البلاد منها كل نجاح وفلاح وهي عرش الخديوية الذي يمثل قوة مصر في ماضيها وآتيها . فهذا الذي يستطاع ان يفهم هذا الكلام . بعد كل ما تقدم من الايهام ، وهل يصح ان يسأل قائله عن رأيه في استعمال صاحب هذا العرش المتولي على هذه الامة الحية لهذه الأمور الكاسية أولاً وثانياً فسيخت في آخر الحملة للمصريين ان يتركوا اليأس ويبنوا مجددهم المقبل على التربية الوطنية . ليخرج منهم رجال عظام يبدلون ايل الاوطان بالنهار . فهل يريد انه ليس قيمهم الآن رجال وهل يريدان يعتمدوا على أنفسهم . لا على عرش الخديوية وقوته الكامنة؟ وهل يمكن ان يعود اليهم مجددهم بدون أمير كمحمد علي الكبير ؟؟؟

كلانه ذكر التربية الوطنية التي يزعم انه المنفرد بالبحث عليها وانها الحية للبلاد ليفهم الناس انه هو محي الوطن بمد محمد علي ولذلك ختم خطبته بكلمة لم تطبع وهي : انني خذيت هنا سنة ١٨٩٦ خطبة كانت من أثرها هذا الانقلاب الكبير في التربية والتعليم وسيكون أثر هذه الخطبة أكبر وأعم في تقدم الوطن العزيز فخرج القوم يضحكون من هذا الغرور

﴿مصائب عظيم . بوفاة عالم حكيم﴾

في يوم الجمعة ٦ ربيع الاول أصيب الشرق بفقد رجل عظيم من رجال الإصلاح الإسلامي وعالم عامل من علماء الممران وحكيم من حكماء الاجتماع البشري ألا وهو الشيخ النهير ، والرحالة الحبير ، السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي مؤلف كتاب طبائع الاستبداد وصاحب « سجل جمعية أم القرى » الملقب فيه بالسيد الفراتي . احتفظت المنية متابفة هذا الصديق الكريم ، والولي الحميم ، بل هدمت منا الركن الركين ، وقوضت أقوى الدعام والاساطين . فلا حول ولا قوة الا بالله الصلي العظيم لو كان الرناء والتأبين من موضوع انتار لريته بما يليق بخطبه العظيم . وما كنت لاستمبر المدامع . لاستمبر القاري والسامع ، ولا لاستمد الرناء من خيال الشعراء ، ولا الحزن من فؤاد الخدباء . وانما استلبى القلب ، بمض ما يجد من الكرب ، فانه ما أجزني خطب كئيله ، ولا أمضني كرب ككره .

حزني عليه دوره مسلسل مهما انتهى الى التفاد انغلا

والكني أدع الرناء والتأبين ، لأفاضل الشعراء المجيدين ، وأذكرك في المنار ما يليق بموضوعه من خلاصة سيرة هذا الرجل ليعلم القراء منها كيف ينبت الشرق الرجال المنظام ، وكيف تضيهم الأمم والحكام . ولكون ذكرى لمن يذكر ، وعظة لمن يعتبر ، وأبدأ بترجمة الفقيد الرسمية وهي مطبوعة في ورقتين رسميتين أحدهما مصدق عليها من والي حاب المشير عثمان نوري باشا ورؤساء حكومة حلب يومئذ والثانية مصدق عليها من الوزير رائف باشا والي حاب وهي الأخيرة . وانما أبدأ بالسيرة الرسمية لأنها من مواد استنباط سيرة الاجتماعية والسياسية والأدبية وهذا تعريبها مانخصاً :

(السيرة الرسمية) هو عبد الرحمن أقدي ووالده الشيخ أحمد أقدي من آل الكواكبي ومن المدرسين في الجامع الأموي الكبير والمدرسة الكواكبية وآخر وظيفة كان فيها عضوية مجلس إدارة ولاية حلب وبيتهم من بيوت الحمد والشرف (خاندان) المشهورة في الاستانة العلمية وحاب . ولد السيد عبد الرحمن أقدي الكواكبي في ٢٣ شوال سنة ١٢٦٥ وتعلم القراءة والكتابة في المدارس الأهلية الابتدائية ثم استحضر له أستاذ مخصوص علمه أصول اللسانين التركي والفارسي . وتلقى العلوم العربية والشرعية بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأثرته وأخذ الإجازات من علمائها ودرس فيها . وهو يقرأ ويكتب بالعربية والتركية . وقد وقف على العلوم الرياضية والطبيعية

رئيس القنون الجديد للطلبة والمراجعة . ومن تأليفه تحرير الخيرية البرية
(فرات) بسمها التركي والعربي من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٩٧ . ومنه جريد
الشباب التي أنشأها في حاب سنة ١٢٩٣ وكان هو الخبر لها

(خدمته ووظائفه) دخل في وظائف الدولة رسمياً في الثامنة والعشرين من عمره
وفي سنة ١٢٩٣ عين محرراً رسمياً بالجريدة الرسمية بسمها (كانه كان في سنة ١٢٩٢
محرراً بصيغة غير رسمية للاختبار) براتب قدره ثمانمائة قرش . وفي ٥ ربيع
الاول سنة ١٢٩٥ عين كاتباً فخرياً للجنة المعارف التي تأسست في ولاية حلب (بصفته
بالمخبري ما كان بدون راتب) وبعد ثلاث سنين انتقلت دائرة اللجنة بزيادة فيها قسم
الثقافة (الاشغال العمومية) وعين عضواً فخرياً فيها . وفي ٢ جمادى الاولى عين
محرراً للمقاولات (مسجل المحكمة) وفي ١٦ ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ صار مأموراً
الاجراء (رئيس قلم الخضرين) في ولاية حلب . وفي ٧ رمضان سنة ١٢٩٨ عين عضواً
فخرياً في لجنة امتحان المحامين . وفي ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ عين مديراً فخرياً لمطبعة
الولاية الرسمية . وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ عين رئيساً فخرياً للجنة (قومية) للثقافة
وفي ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ عين باصر نظارة العدلية (الخدانية) في الاستانة نظراً
في محكمة التجارة بولاية حلب . وفي ١٢ ربيع الثاني وفي ١٢ ربيع الثاني وفي ١٢ ربيع الثاني
١٣٠٣ انفصل من هذه الأخيرة وفي ٤ رجب سنة ١٣٠٤ عاد الى وظيفة مأمور الاجراء
وفي ٢٣ رجب سنة ١٣١٠ عين رئيساً للبلدية

الى هنا انتهت وظائف الترجمة الرسمية الأولى وجاء في الثانية بعد ذكر ماتقدم
انه في ٢٩ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ عين رئيس كتاب المحكمة الشرعية في حلب
(منسكيب) بقرار من مجلس النواب في دوائر بلاد الشام . وفي ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٢
عين ناظراً ومفتشاً لمصلحة المحصل الخداني (الرعي) الشركة مع نظارة المالية في
ولاية حلب ومتصرفية الزور وفي أثناء ذلك اتفق مع ادارة المصاحبة وتماقدا على أن
يستلم من المصلحة جميع ماتقدمه من الخداني (الخ) الى الولاية والمتصرفية بزيادة كبيرة
عن القدر المعتاد وجميع ما يزرع فيه مائه ويتولى بيعه ونموه في ارضه ذلك بمبلغ من المال يزيد
عما كانت تباع به المصاحبة دخاتها بزيادة كبيرة . وفي غضون ذلك استقال من رياسة
كتاب المحكمة الشرعية ثم في ٩ ذي الحجة سنة ١٣١٤ أعيد اليها وعين رئيساً
للجنة البيع والفراغ (أي استبدال الاراضي الاميرية من أصحاب اليد بالمال) . وفي
٧ ربيع الاول عين رئيساً أولاً لفرقة التجارة في حلب ورئيساً لمجلس ادارة المصرف

الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة

ان من ينظر في هذه الترجمة الرسمية وبم من عاينها لترجم ولا يسيرة في هذه
الوظائف العلمية لادبية الايامية النامية الحقوقية التجارية الزراعية السالية يقول ان
صاحبها من أوساط الناس لامن افراد الرجال الذين يعدون من علماء الاجتماع وأركان
العمارة وهن في الأمم كما وصف في فقرة ثانوية ولكن من يعلم انه في كل عمل منها
اية بنسة في إتقان العمل وحكمة التصرف في شأن كيف يحسن رجل هذه الاعمال
التجارية ، وأذا وقف أمامك على بعض سيرة في المرونة وقوة الإرادة وعلم ما كانت
أسمو إليه نفسه ويرمي إليه فكره وفرا بعض ، جئت به قريحته الوقادة ، وفكرته
الغامدة ، علم أنه من افراد الزمان ، وأما ما كان يرمى منه لوسا ، الزمان والمكان ،
وانا نلم بشئ مما وقفنا عليه من سيرة في مدة تحبثاله في هاتين السنتين اللتين
أقامهما في مصر

(أدبه وأخلاقه) توفيت والدته الفقيد وهو في أول سن التمييز فعهد والده
بزيته الى خطالة له (من بيوتات انطاكية) من نوابغ النساء اللواتي قلما يعرف مثلهن
الشرق الاسيما في هذا الزمان كانت تعرف بالعقل والكياسة والدهاء والأدب البارع
فنشأه على أدب اللسان والنفس فكان من أخلاقه الراحة الحلم والأناة والرفق
والزاهدة والعزم والشجاعة والتواضع والشفقة وحسب الله مقامه وفقدت كل من
عرفه ممجبا بآثاره حتى كنت أقول اني أراه يترقى في رد السلام وينتك في جواب
من يحية عدة ثوانٍ ولا اكاد أعرف أخلاقاً أعصى على الانتقاد من أخلاقه ولقد كان
لسان الحال يصفه بقول بن دريد

يعصم الحلم مجنبي جُورِي
* لا يعطيني طمع مدنس
والحلم خير ما اتخذت حنة
إذا زياح الطيش طارت بالحبي
إذا استمال طمع أو أطبى
وأنفس الأبراد من بعد التقى

(عامه ومعارفه) نزيد على ما جاء في السيرة الرسمية ان النقيض درس قوانين الدولة
درسا دقيقا وكان محيطا بها يكاد يكون حافظا لها وله انشاء ما يدل على دقة نظره في علم



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوفى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

الحكمة
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « مناراً » كنار الطريق ﴾

مصر في يوم الاثنين غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ * ٧ يوليو (حزيران) سنة ١٩٠٢

﴿ باب العقائد من الأموال الدينية ﴾

(الدرس ٣٥ — عدد الأنبياء ومواطنهم وتعدد هم)

(المسألة ٩٦) عدد الأنبياء والمرسلين رووا في عددهم أحاديث لا يحتاج
 بشيء منها ومنها الضعيف والموضوع وأمثلها ما رواه أحمد والطبراني وابن
 حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء عن أبي أمامة قال : قلت
 يا رسول الله كم عدة الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل
 من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جماعاً غيرا » وفي رواية للحاكم والبيهقي عن
 أبي ذر « والمرسلون ثلثمائة وثلاثة عشر وآدم نبي مكلم » . ومن حديث
 أنس عند الحاكم وابن سعد أن الأنبياء ثمانية آلاف ويفهم منه أن المراد
 بهم المرسلون . وفي حديث جابر عند ابن سعد وأبي سعيد عن الحاكم
 « إني خاتم ألف نبي أو أكثر » ولعدم الثقة بهذه الروايات قال العلماء
 بالوقف في مسألة عدد الأنبياء لأن القائل بعدد يكون نافياً لما زاد عنه فهو
 كالكذب بالزائد وما يدرى له لعل هناك زيادة . هكذا قالوا وأقوى منه أنه
 قول على الله بغير علم فهو من الكذب عليه جل ثناؤه ومن اتباع الظن
 في الأمور الاعتقادية « وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً » . وقد قال تعالى
 لنبيه « مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » فحسبنا
 من العدد ما قصته الله تعالى في القرآن أن الرسل الذين ذكروا في القرآن
 يجب الإيمان بهم تفصيلاً . قال تعالى « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى
 قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ

ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين. و ذكر يا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضّلنا على العالمين» فهذا هو تفضيل النبوة والرسالة يفضّلون به سائر الناس. وقد وردت هذه الأسماء متصلة على هذا الوجه. وقال تعالى: «واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً» وقال جل جلاله في ذكر قصص المرسلين «وإلى عاد أخايم هوداً» وقال «وإلى ثمود أخايم صالحاً» وقال «وإلى مدين أخايم شمعياً» أي وأرسلنا إلى عاد أخايم هوداً ومثله ما بعده وقال تعالى «واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار» فيذكر ذا الكفل بين الأنبياء. ولم يبق إلا ذكر الفاتح وهو آدم والخاتم وهو محمد عليهم الصلاة والسلام وذكرها في القرآن مستفيض

(م ٩٧) معاهد الأنبياء ومواطنهم: إن المعروف من تاريخ هؤلاء الأنبياء الكرام يدل على أنهم كانوا كلهم أو جلهم من بلاد العرب وما يتصل بها من الشام وفلسطين والعراق كأن هذه القطعة الصغيرة من الأرض التي يكون منها القاموس الهندي والبحر الأحمر والبحر المتوسط شبه جزيرة هي منبت الأنبياء والمرسلين من بعد آدم أي من عهد نوح إلى عهد محمد عليهما الصلاة والسلام. وكأن الله تعالى اختص أهلها بالهداية دون سائر خلقه وإن القول بحصر النبوة والرسالة في هذه البقعة لمن أقوى شبه الملاحدة على الدين وهو يناقض ما تقدم في بيان وجه الحاجة إلى إرسال الرسل فيمكن أن يطلبوا ذلك بهذا إن صبح وقد حملهم مارأوا في كتب اليهود والنصارى من حصر الأنبياء في بلاد فلسطين والشام وما

جاورها على البحث في أخلاق أهل هذه البلاد وطبائعهم وماداتهم فزعموا
أن عند خواصهم استعداداً خاصاً للقيام بالدعوات الدينية والمذاهب والرياسة
الروحية وأن عند عوامهم استعداداً لإجابة كل داعٍ واتباع كل ناعٍ قالوا
ولأجل هذا حدثت الأديان والمذاهب والفرق في هذه البلاد دون غيرها
هذه الوسوس لا منفذ لها إلى قلب من يفهم القرآن فقد قال جلّت
حكيمته « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا
نَذِيرٌ » فهذا نصٌّ قاطع صريح في أن هذه الرحمة الإلهية والهداية السماوية
كانت منحة عامة لجميع الأمم في كل بقعة من بقاع الأرض . وإنه لقول
فصل ، تصافح فيه العقل مع النقل ، فإن قيل لِمَ لَمْ يذكر في بيان هذا
الإجمال بذكر الأنبياء والمرسلين نبيّاً أرسل في الهند أو الصين أو أوربا
أو أميركا ؟ نقول إن ذكر الأنبياء لم يأت بياناً لإجمال في هذه الآية وإنما
أتى لبيان سنن الله تعالى في الأمم مع أنبيائهم لأجل العبرة المندرين .
وتثبت المرسلين ، قال تعالى « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ »
وقال « وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ قُرْآنًا وَكُلٌّ مِنْ
العبرة والتثبيت إنما يكون بما هو معروف ولو بوجه ما ولذلك تكرر
ذكر الأنبياء الذين تعرف أقوامهم أو بلادهم بالتفصيل أكثر مما لا يعرف
إلا بالإجمال . ويمكن ذكر آية واحدة لبيان أن رحمة تعالى لمباده
بإرسال الرسل لهدايتهم عامة لأن جميع الخلق عيال الله تعالى وهو بهم
رؤوف رحيم . أ رأيت لو جاء هذا النبي العربي قومه بذكر نبي كان أرسل في
أميركا منذ مائة ألف سنة مثلاً وذكر لهم بعض شأنه معهم أكان يحصل له
من العبرة بعض ما حصل من أخبار أمة اليهود ، وخبر صالح في ثمود ؟

كلا إن ذكر الجاهول المطلق يحمل على التخيل والاختراع ، ويقول الناس في أمثالهم : إذا أردت أن تكذب فأبعد الشهود . ولذلك كان يأمرهم أحيانا بسؤال اليهود ، ونزل في قصة ثمود ، « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون »

وما يدرينا أن كونفشيوس كان نبياً مرسلًا إلى أهل الصين ، فإن آثار هدايته وحكمته لم تمح بالمرّة وكذلك يقال في بوذة فإن قيل يوجد في عقائد القوم ما يحكم الإسلام بأنه لا يمكن أن يكون من دين الله لاسيما ما في الديانة البوذية من الشرك بالله تعالى ؟ نقول أليس يوجد في عقائد من صرح القرآن الحكيم بأن كتبهم سماوية ، وديانتهم إلهية ، أمثال هذه العقائد التي يعدها الإسلام وثنية ؟ فما يدرينا أن هذا دخل على القوم بالتأويل والتحريف كما دخل على من بعدهم إلى يومنا هذا « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » إذن إن طول الأمد على البعثة مظنة الفسوق عن أمر الله تعالى والمبر بين أيدينا وعن أيماننا وشمائلنا ، فألهمنا اللهم رشدنا

فإن قيل : إذا جوزتم أن تكون الأمم التي سبقت لها آداب سامية ، ومدنية زاهية ، قد استمدت ذلك من الديانة السماوية ، كما قلت في الأمة الصينية ، فما هو الحكم في الأمم الهمجية التي لا يكاد يفصلها عن الحيوان الأعجم إلا بدو البشرة والضحك بالطبع كبعض زنوج أفريقيا وسكان بعض جزائر القاموس المحيط الأعظم ؟ إن قلتم إنه يمت فيهم أنبياء فأين آثار هدايتهم في الأمة ؟ وإن قلتم لما يُرسل إليهم رسول فأين العموم في قوله

تمالى « وإن من أمة لا خلا فيها نذير » فالجواب أن الله جلت حكمته خلق هذا الانسان وجعل كماله الوجودى بالارتقاء التدريجى فى عمله بالكون وعمل الكون به فكما استعد لمرتبة من مراتب ذلك الكمال أعطاه إياها فهو يأخذ دائماً بقدر استعداده . وإطلاق القول فى العموم والخصوص مراعى فيه قيد ما عرف فى نظام الوجود أنه شرط له فإذا قلنا إن أنثى تلد أو كل أنثى تلد فالمراد أنها تلد فى سن الولادة وبشرطها الوجودى فلا ينقضه كون الصغيرة لا تلد . فإذا فرضنا أن المسئول عنهم لم يظهر فيهم مرشد ينذر قومه بما يعطيه الإلهام الإلهى من المعرفة سوء ما هم فيه من إفساد ويدهم على الحق وطرق الإصلاح فلا شك أن ذلك لعدم اعتمادهم لفهم الحق ومعرفة الخير من الشر

على أن عدم ارتقاؤهم فى المدنية لا يدل على أنه لم يظهر فيهم نذير ولا مرشد لأن الناس فى كل عصر لا يستفيدون فى هداية الأنبياء إلا بقدر اعتمادهم فكلم من نبي لم يؤمن به إلا النفر القليل كما ورد فى نوح عليه السلام . وكلم من نبي لم يؤمن به أحد كما قال تعالى بعد ذكر قصة نوح « ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاءهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » وأكثر الأنبياء قد درست آثارهم فى الشرق حتى أن صحف إبراهيم لم يحفظ منها شئ وهو أبو الأنبياء و خليل الرحمن والذي حفظت له الذكر الحسن جميع الأمم المؤمنة لأنها كانت قد ارتقت وصار فيها من يعرف قدر العظماء ويحفظه ولأن النبوة تسلسلت فى ذريته باتصال فهل ينكر مع هذا أن لا يحفظ إلا أنبياء الذين يظهرون فى الأمم الجاهلة الممجية أثر ؟

(م ٩٩) ارتقاء الدين جرى الدين فى سنة الارتقاء وكان كماله فى الشرق

وذلك من عهد إبراهيم إلى عهد محمد خاتم النبيين فالأنبيااء ليسوا مساوئين في إصلاح الأمم في عقائدها وأعمالها وآدابها وروابطها الاجتماعية لأن الحاجة إلى الإصلاح تختلف باختلاف الأمم والأقوام فالبدو أقل من الحضرة ضللاً في الفكر وأقل علماً لأنهم أهل فطرة لم تتحكم فيها المذاهب الوضعية والآراء النظرية وأقل فساداً في الأخلاق والآداب لاجتماعهم وبعدمهم عن الترف وليس في البداوة من الشؤون الاجتماعية مثل ما في الحضارة فتحتاج إلى ما تحتاج إليه من الشرائع المدنية والقضائية والسياسية .

كان الناس على بساطتهم وسلامتهم فطرتهم فإمادب فيهم الفساد لم يفسح إلا بالتدريج فكان يظهر فيهم الشرك في العبادة وهو التوجه إلى شيء من المخلوقات يكون صلة بينهم وبين الخالق الذي تشع به فطرتهم، ولا يحيط به علمهم ولا تحده مخيلتهم، ويفشو فيهم بعض الشرور فيظهر الله فيهم واحداً منهم كبير العقل زكى النفس يلهم قلبه ويوحى إليه أن ينذرهم العقوبة على ظلمهم وينهاهم عن الشرك والرياسة ويأمرهم بضدهما، بذلك تستقيم حال من أطاعه لأن هذا الذي طرأ عليهم هو الذي يطفى نور الفطرة بالتمادي فيكون الإنسان به شيطاناً مريداً . ألا ترى أن من الأنبياء من لم يذكر له القرآن إلا الدعوة إلى التوحيد فقط . ومنهم من ذكر له النهي عن معصية كانت فاشية فكان يدعو إلى التوحيد وينهى عنها دائماً كما جاء في قصة لوط من النهي عن الفاحشة دائماً . وكقوله تعالى في رسالة شعيب عليه السلام « وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان » ثم حكى عنه « ويا قوم أوفوا المكيال والميزان » . فيفهم من تكرار ذلك أن المقصود الأعظم من رسالة شعيب عبادة الله تعالى وحده

وإيفاء المكيال والميزان لأن قومه كانوا مُطَفِّقِينَ (كما كثر الباعة في مصر لهذا العهد) إذا كَتَبُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وإذا كَالُوا أَوْ وَزَنُوا يُخْسِرُونَ ولم تكن رسالة موسى بهذا الاختصار فقد كانت لها شريعة واسمة وفيها هجرة وحرب لأن معيشة الحضارة وحكم الاستبداد أثرا في بني إسرائيل تأثيراً أفسد طباعهم من جهة وجعلهم مستعدين لحياة مدنية فاضلة من جهة أخرى فكانت هدايتهم أصعب .

(م ١٠٠) تعدد الرسل ومراتبهم : كان الناس أمة واحدة على فطرة الله التي فطر الناس عليها وذلك عند ما كانوا على البداوة التي هي أقرب إلى الحياة الفردية منها إلى الحياة الاجتماعية فقضت سنة الارتقاء أن يزيدوا اجتماعاً بالتدريج فكانت بمد البيوت والأسر العشائر والفصائل والقبائل والشعوب والأمم . وكانوا كلما ارتقوا درجة في الاجتماع تقوى فيهم الأطماع التي يقتضيها التنافس في الحظوظ ويكونون في حاجة إلى علم واسع بالمصالح والمنافع المشتركة . وكان يظهر فيهم عند الدخول في كل طور من هذه الأطوار هداية يرشدونهم إلى ترك الضار بأنفسهم منفردة ومجتمعة ويدلونهم على ما به تسلم أرواحهم من الفساد في الاعتقاد والأخلاق وفي ذلك سمادة الدنيا والآخرة . وبهذا وما قبله يعلم أن المقصود من بمثة الأنبياء والمرسلين واحد في الجملة وأنه يختلف في تفصيله باختلاف أحوال الأقوام وإن أولئك الهداة المصلحين لم يكتبوا علم إصلاح الأمم كتساباً بالتعليم وإنما كانوا ممتازين بفطرتهم السليمة عن قومهم امتيازاً كانوا به على علم بالإصلاح ضروري عندهم سمي خلفاء منشأه وسرعة حدوثه في النفس وحياءه (راجع الكلام على الوحي في المسألة ٦٢ من الدرر المشرين - ٢٥٢ : ٤)

وكان علمهم مؤثرا في النفس باعثا لها على العمل به لانه وجداني
إلهي لا من استنباط التصور والفكر الذي يصحبه الشك والتردد أي
انه كان يقع في قلب صاحبه ومعه علم آخر وجداني وهو أنه من الله تعالى
سواء نزل على القلب في اليقظة أم في المنام .

ونتيجة هذا وذاك أن علم الرسل وأعمالهم متفاوتة بحسب أحوال
أُممهم وبذلك فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وسمى بعضهم
أولى العزم ومنه ومن اختلاف اللغات في الأقوام يعلم أنه الرسل قد
يتمددون في زمان واحد بين أقوام ولو متجاورين وقد يتمددون في
أمة واحدة للتماون كموسى وهرون في بني إسرائيل . وإذا كان فضل بعض
الرسل على بعض يكون بحسب حال الأمم التي بعثوا إليها وما يستلزمه
إصلاحها من العلم والعمل فوسى جدير بأن يكون أفضل من صالح وشعيب
والمرسل إلى الخلق كافة أفضل من المرسل إلى أمة معدودة . وبهذه المناسبة
ومناسبة كون إرسال الرسل كان على حسب حاجة البشر إلى الإصلاح
الروحي والاجتماعي نتكلم في الدرس الآتي عن ختم النبوة وخاتم النبيين
عليه أفضل الصلاة والتسليم

(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

بقلم الشيخ أمين أفندي عز الدين من اهل العلم والادب في طرابلس الشام ونزيل مصر الآن
صدق الله العظيم وكذب هوس الناس : نقوم أمام المحراب نمائيل
بشرية يحرك حكم العادة أيدينا بالتكبير والسنن بالتلاوة والتسبيح ويحني
ظهورنا للركوع ويثني عظامنا للسجود من غير أن يلم بنا شعور بهذه

الأوضاع أو يفعل في أنفسنا تأثير من تلك الأعمال فضلاً عن نظر في مقاصدها وتوجه إلى غاياتها ونحسبها من الصلاة التي قال فيها رب محمد صلى الله عليه وسلم : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ونحن مشغرون للفواحش عن ذراع سبحانه الله نحن ما نحن مصلون .

الصلاة ما جعلها الله أفعالاً مية وأوضاعاً جامدة تقصد لذاتها ولكن جعلها مظاهر سكرية ومواقف خضوع تؤذن الناس أنها شعار مناجاة بين العبد وبين ربه كل يوم ليكون هذا الإنسان على نوع من ذكر الله تعالى في معارك معاشه ومعامع حياته وفي الآخرة أعد الله له أجراً عظيماً . تعالى الله أن يكلف قلوباً غافلاً ونفوساً جافاً باختلاجات عضوية فارغة الإناء ثم يمد لفاعها حسن الجزاء .

الصلاة أفعال مخصوصة ذات أركان معلومة جعلها دين الله الإسلامي مراقبة المعبود أنزلت من السماء مائدة تحمل للأرواح غذاءها من العالم النوراني كيلا تضل في الغربة ويتغلب عليها سلطان الشهوة الذي يأتيه رزقه من مطاهي هذه الطبيعة كل يوم . خالق هذا الإنسان عالمين متباينين لكل منهما مطالب تناسب طبيعته وتلائم درجته في الوجود . أحدهما : مادي كثيف حكم الله عليه أن يتكفف هذه الطبيعة في وجوده وبقائه والثاني : أثري لطيف يستمد وجوده من النور القدسي ويستفيض بقاءه من النفحات الإلهية فالأول جسم والثاني روح .

تناول الجسد وجوده من هذه البسائط الأرضية فجرت عليه قوانين الطبيعة واعتورته أحكام المادة من قوة وضعف وزيادة ونقص وتحال وتركب وأصبح من أجل ذلك في حاجة شديدة لتمويض ما يستلبه

منه نواميس التحليل مثلاً بمثل وجنساً بجنس وذلك غذاؤه وأما الروح فهو وإن كان آمناً على وجوده من غارة الفناء والخلال الأجزاء إلا أنه هبط من السماء وله مع العالم المادى شئون يريد كل من المتجاورين أن يكون هو المتغلب ليتمكن من امتلاك هذا الهيكل الإنسانى فيستعصمه فى أمياله ويتصرف فيه كيف يشاء ومن ثمة كان الروح مضطراً أن يستمد من عالمه الملوئ ما يقوى به على التغلب أو يحفظه به مركز استقلاله وهذا هو غذاؤه، متى تمت الغلبة للروح رفرفت بهذا الإنسان إلى معاهدتها الأولى فى مظاهر الملكوت ومصاف الملكية وأذنت له أن يتصرف بما فى آفاته من الكونيات المادية إلى حيث يحملها من خدم شئونه الحيوية على عكس من الجسد إذا تسنم ضوء القلب واقتعد سرير السلطة فإنه يهبط بالإنسان إلى عالمه فى الدرجات السفلية وبرزخ المعجم من الحيوانات إلى حيث تترفع الطبيعة أن يحسها بكفه تصرف أو تمكنه من وطء ، فأى الطريقين خير ؟

أراد الإسلام بهذا الإنسان خيراً فحتم عليه فى سائر أحواله أن يحجب مطالب عالمه الروحى ويتقاعس عن مشتبهات عالمه المادى ما استطاع ودعاه أن يقف بين يدي ربه سبحانه وتعالى خمس وقفات فى اليوم يناجيه بهيئة الذل وشمار الخضوع بحيث ينبذ ما سواه فى المراء ليتأهل لقبول الفيض الإلهى الذى هو لروحه غذاؤه تتقوى به وتعتمد عليه فى مناوئاته مع جسم والمادة وتلك هى الصلاة التى تنهى عما تنهى وتقرب إلى الله زانى تلك التى كفكت جبروت أولئك القوم الجاهلية فى ردهج من الزمن وهى التى كان مؤمن القلب فى القرون الغابرة يتغيب فيها عن

مشاعره بحيث لم يكن يشعر بالقواجم الخطرة والمؤلمات الجسدية ولو كان في هذه نشر عظمه أو عرق لحمه وهما هو تاريخ حياة القوم كانوا يصلون أو الصلاة ماهية دعاءاتها الخشوع . كانوا يصلون أن ما فيها من الاعمال انما هو ركن ثانوي يقصد به تمثيل الخضوع القاي على الجوارح ليشترك السر والملائية في التذلل والسكينة فطفقوا يصلون متجردين عن المشاغل الفكرية وهو السبب فيما يبلغنا عنهم من الغيبة عن مشاهد الكون في خلال الصلاة أما نحن فانا ذهبنا إلى ان الصلاة انما هي تلك الاعمال الظاهرية لا تدخل فيها الخشوع ولا يغنى فيها خضوع وأقبلنا نجترى بتلك الوقفات الجمادية والاختلاجات اللسانية وهي لا تصدقنا عن فحش ناتية ولا تنهانا عن منكر نفعله فهل تخلف قول القرآن أم نحن لم نكن مصلين؟ زعم أننا لم نخاطب خطاب التكليف بتلك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر حيث فهمنا أنها هي الكاملة ويكأن القوم لا يماقون اهل أمر الله إذ أمر بأقامة الصلاة ان تكون ناقصة أم دلت الاقامة في قوله تعالى (اقيموا الصلاة) على ذلك المعنى الناقص؟

استغفر الله . قال صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . اللهم ما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً

﴿ الملائكة والنواميس الطبيعية ﴾

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية . والنواميس التي بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » وأمثاله ؟ والجواب : ان الذي تقدم في التفسير هو ان الملائكة عالم مستقل مستتر عنا وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبيعية جذبا لمنكري الملائكة الى التصديق لأن بعض ما ورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ لأن الكلام كان ارجاعا لنصوص الدين الى أقوالهم

﴿ القسم العمومي ﴾

نموذج في كتاب دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني وهو يطبع الآن

فصل

(في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه . و ذم الاشتغال بعلمه وتبعه)
لا يخلو من كان هذا رأيه من أمور (أحدها) أن يكون رفضه له
و ذمه إياه من أجل ما يجده فيه من هزل أو سُخْفٍ وهجاء وسب وكذب
وباطل على الجملة (والثاني) أن يذمه لأنه موزون مقفى ويرى هذا بمجرد
عيباً يقتضى الزهد فيه والتزهد عنه (والثالث) أن يتعلق بأحوال الشعراء
وأنه غير جميلة في الأكثر ويقول قد ذُمُوا في التزليل ، وأى كان من
هذه رأياً له فهو في ذلك على خطأ ظاهر ، و غلط فاحش ، وعلى خلاف
ما يوجب القياس والنظر ، بالضد مما جاء به الأثر ، وصح به الخبر .
أما من زعم أن ذمه له من أجل ما يجد فيه من هزل وسُخْفٍ وكذب
وباطل فينبغي أن يذم الكلام كله . وأن يفضل الحرس على النطق والمعنى
على البيان . فتنثور كلام الناس على كل حال أكثر من منظومه والذي
زعم أنه ذم الشعر بسببه وطأه بنسبته إليه أكثر لأن الشعراء في كل
عصر وزمان معدودون . و العامة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد
الرمل . ونحن نعلم أن لو كان منشور الكلام يُجمع كما يُجمع المنظوم . ثم
عمد عامداً لجمع ما قيل من جنس الهزل والسُخْفِ ثراً في عصر واحد
لأربى على جميع ما قاله الشعراء نظماً في الأزمان الكثيرة وانغمسه حتى
لا يظهر فيه ، ثم إنك لو لم ترو من هذا الضرب شيئاً قط ولم تحفظ
إلا الجذء المحض وإلا مالا يعاب عليك في روايته وفي المحاضرة به وفي

نسخه وتدوينه لكان في ذلك غنى ومندوحة ولو وجدت طلبتك وملت
مرادك وحصل لك ما نحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك
ودع ما تذكره الى ما تحب (هذا) وراوى الشعر حاك وليس على الحاكى
عيب ، ولا عليه تبعة ، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصر باطلاً ، أو يسوء
مسلماً ، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر الى الغرض الذى له روى
الشعر ومن أجله أريد وله دون تعلم أنك قد زغت عن المنهج وانك
مسيء فى هذه المداوة وهي المصيبة منك على الشعر . وقد استشهد
العلماء لغريب القرآن وإعرابه بالآيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل
القبیح ثم لم يعبههم ذلك إذا كانوا لم يقصدوا إلى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم
يرووا الشعر من أجله . قالوا وكان الحسن البصرى رحمه الله يتمثل فى
مواظله وكان من أوجهها عنده :

﴿ اليوم عندك دأب واحد يشا وغداً لفيرك كفها والمعصم ﴾

وفى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكره المرزبانى فى
كتابه بإسناد عن عبد الملك بن عمير أنه قال أوتى عمر رضوان الله عليه
بجمل من اليمن فأتاه محمد بن جعفر بن أبى طالب ومحمد بن أبى بكر
الصديق ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه زيد
ابن ثابت رضى الله عنه فقال يأمر المؤمنين هؤلاء المحمّدون بالباب
يطلبون الكسوة فقال ائذن لهم يا غلام فدعا بجمل فأخذ زيد أجودها
وقال هذه لمحمد بن حاطب وكانت أمه عنده وهو من بنى لوى فقال عمر
رضى الله عنه أيّهات أيّهات وتمثل بشعر صمارة بن الوليد :

أسرك لما صرع القوم نشوة خروجه من ماله ما غير غارم^(١)
 بريئاً كأنى قبل لم أك منهم وليس الخداع مرتضى في التنادم
 رُدّها ثم قال اثنتى بثوب فأنته على هذه الحلال وقال أدخل يديك
 فخذ حلة وأنت لا تراها فاعطهم : قال عبد الملك فلم أر قسمة أعدل منها .
 وعُمارة هذا هو عُمارة بن الوليد بن المغيرة خطيب امرأة من قومه
 فقالت لا أتزوجك أو تترك الشراب فأبى ثم اشتد وجده بها فخلف لها
 أن لا يشرب ثم مر بمخمار عنده شرب يشربون^(٢) فدعوه فدخل عليهم
 وقد أنفدوا ما عندهم فنحر لهم ناقة وسقام يرديه ومكثوا أياماً ثم خرج
 فأبى أهله فلما رآته امرأته قالت ألم تحلف أن لا تشرب فقال :

ولسنا بشرب أم همرو إذا انتشوا ثياب الندامى عندهم كالغنائم
 ولكننا يا أم همرو نديننا بمنزلة الرّيان ليس بمائم^(٣)
 أسرك - البيتين - فإذن : رب هذا صار أداة في جسد ، وكلام جرى
 في باطل ثم استعين به على حق ؛ كما أنه رب شيء خيس ، توصل به
 إلى شريف ، بأن ضرب مثلاً فيه ، وجعل مثلاً له ؛ كما قال أبو تمام :

والله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
 وعلى المكس قرب كلمة حق أريد بها باطل فاستحق عليها الذم
 كما عرفت من خبر الخارجى مع علي رضوان الله عليه ، ورب قول حسن

(١) صرع بالشديد كصرع بالضعيف . والشعر في هذا النشوة السكر . ومن شأن
 المنتشى أن يتلف ماله فيخرج غارماً . وأن الامارة نشوة أدنى إلى الغر ، ومكررة أثبت
 على الظلم ، ومثل عمر من يخرج منها وهو سالم ، لا ظالم ولا غارم ، (٢) الشرب بالفتح
 جماعة الشاربين (٣) العائم ذو العيمة « كخيمة » وهى شهوة الابن مع فقهه

لم يحسن من قائله حين تسبب به إلى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال: رجع طاوس يوماً من مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والى اليمن فقال: ما ظننت أن قول سبحة الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلاً أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاماً فقال رجل من أهل المجلس سبحة الله كالمستعظم لذلك الكلام ليفضب ابن يوسف، فبهذا ونحوه واعتبر واجعله حكماً بينك وبين الشعر.

(وبعد) فكيف وضع من الشعر عندك وكسبه الملقية منك أنك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا يحسن ولم يرفعه في نفسك ولم يوجب له المحبة من قلبك أن كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب وأن كان مخجئ ثم المقول والألباب، ومجتمع فرق الآداب، والذي قيّد على الناس المعاني الشريفة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسل بين الماضي والغابر، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد، ويؤدي ودائع الشرف عن الغائب إلى الشاهد، حتى ترى به آثار الماضين، مخلدة في الباقين، وعقول الأولين، مردودة في الآخرين، وترى لكل من رام الأدب، وابتغى الشرف، وطلب محاسن القول والفعل، مناراً مرفوعاً، وعلماً منصوباً، وهادياً مرشداً، ومعلماً مسدداً، وتجد فيه للنائي عن طاب المآثر، والزاهد في اكتساب المحامد، داعياً محرصاً، وباعثاً، ومحضضاً، ومذكراً ومعروفاً، وواعظاً ومثقفاً، فلو كنت ممن ينصف كان في بعض ذلك ما يغير هذا الرأي منك، وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه، ويعلمك أن تعيبه أو تعيب به، ولكنك أبيت إلا أناسبق إليك، والابادي، رأي عنك، فأقفلت عليك قلبك،

وسددت عما سواه سمعك ، فمضى الناصح بك ، (١) وعسر على الصديق الخليط تنبيهك ، نعم وكيف رويت « لأن يمتلي جوف أحدكم في جافيريه »^(٢) خير له من أن يمتلي شعراً ، ولهمجت به وتركت قوله صلى الله عليه وسلم : « ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا »^(٣) وكيف نسيت أمره صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة . وقوله لحسان : قل وروح القدس معك ، وسماعه له ، واستنشاده إياه ، وعلمه صلى الله عليه وسلم به ، واستحسانه له ، وارتياحه عند سماعه ؟

(أمّا) أمره به فمن المعلوم ضرورة وكذلك سماعه إياه فقد كان حسان وعبد الله ابن رواحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصفى إليهم ويأمرهم بالرد على المشركين^(٤) فيقولون في ذلك ويعرضون عليه . وكان عليه السلام يذكر لهم بعض ذلك كالذي روى من أنه صلى الله عليه وسلم قال لكعب

(١) عن عجز أصله عبي فادغم (٢) حديث رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن أبي هريرة وعن غيره والرواية المشهورة فيه « حتى يره » أي يفسده وفي رواية بحذف حتى يره وفي أخرى حذف حتى وقرأها بعضهم حينئذ يره بالفتح وبعضهم بالضم ولم أر من رواه بالقاء « فيريه » كما في نسخة المصنف . وفي رواية ابن عدي عن جابر « لأن يمتلي جوف الرجل قيحاً أو دماً خير له من أن يمتلي شعراً مما هجيت به » (٣) الحديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم ورواية المصنف ملفقة من روايتين فقد وردت كل جملة من طريق . وأما الجملتان معاً فقد جاءت في حديث ابن عباس عند أحمد وابن ماجه هكذا (إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً) وعند ابن عساكر من حديث علي باللام وله تنمة وهي « وإن من العلم لجهلاً وإن من القول عيلاً » (٤) روى الخطيب وابن عساكر عن حسان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : اهج المشركين وجبرائيل معك إذا حارب أصحابي بالسلاح فحارب أنت باللسان . وفي حديث جابر عند ابن جرير أنه قال يوم الأحزاب (من يحمي أعراض المؤمنين) قال

«مانسى ربك وما كان ربك نسيا شعر آفاته»^(١). قال وما هو يا رسول الله؟
قال: «أنشده يا أبا بكر» فأنشد أبو بكر رضوان الله عليه:

زعمت سخينة أن مستغلب ربها وليخلفن مغالب الغلاب^(٢)

(وأما) استنشاده إياه فكثير. من ذلك الخبر المعروف في استنشاده

حين استسقى فسقى قول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يُطيف به الملالك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

الآيات. وعن الشعبي رضي الله عنه عن مسروق عن عبد الله قال

كتب أنا يا رسول الله فقال (إنك محسن الشعر) فقال حسان بن ثابت أنا يا رسول الله
قال (نعم اهجم أنت فسيمينك روح القدس) وكتب الأستاذ الامام في هامش
النسخة الأصلية بازاء اسم كعب: (له كعب بن مالك لأن ابن زهير وإن مدح لكنه
لم يؤمر بالشعر للناضلة عن الاسلام فقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع)
ويؤيد قول الأستاذ ما رواه ابن جرير عن ابن سيرين وملخصه أن المهاجرين رغبوا
إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن يأمر عليا بهجاء الرهط الذين هجوه (وهم عمرو
ابن العاص وعبد الله بن الزبيري وأبو سفيان بن الحارث) فقال ليس على هنالك
وعرض بالأنصار فانتدب لذلك حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. وفيه أنه
استنشد كعباً وهو راكب ناقته فأنشد الآيات التي أولها:

قضينا من تهامة كل ريث وخير ثم أجمعنا السيوف

لخيرها ولو نطقنا لقال قواطعهم دوساً أو ثقيفا

قال: فأنشد الكلمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده

لهي أشد عليهم من رشق النبل) قال ابن سيرين: فبئت أن دوساً إنما أسلمت بكلمة

كعب هذه. (١) قال الأستاذ الامام (هذا هو كعب بن مالك) (٢) كتب في هامش

الأصل: سخينة لقب تبرز به قريش لأنها كانت تأكل السخينة وهي طعام من دقيق

الشعير واللحم وتسخن وذلك في أيام المجاعات. والحديث رواه ابن منده وابن

عساكر عن جابر

لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القتلى يوم بدر مصرّعين فقال
صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضى الله عنه «لو أن أبا طالب حيّ لعلم أن
أسيافنا قد أخذت بالأنامل» قال وذلك لقول أبي طالب^(١)

كذبتكم وبيت الله أن جدما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأنامل
وينهض قوم في الدروع اليهم نهوض الروايا في طريق حلال

(١) البيت الذي فيه لفظ الأنامل في قصيدة أبي طالب هو قوله
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
والبيت الذي فيه كذبتكم هو قوله :

كذبتكم وبيت الله ترك مكة ونظعن إلا أمركم في بلابل
وقوله : كذبتكم وبيت الله نبى محمداً ولما نطاعن دونه وتناضل
والبيت الذي فيه لتلتبسن الخ هو قوله :

وأنا لعمر الله إن جدما أدوى لتلتبسن أسيافنا بالأنامل
والذي فيه ينهض الخ هو قوله

وينهض قوم في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وبهذا تعلم ما في بيتي الشيخ . اه من هامش الأستاذ الامام

(تفسيره) قوله أظنة جمع ظنين وهو التهم . والظنة بالكسر التهمة وجمعها ظنين .
وجمع فعيل على أفعله غير قياسي ولكنه ورد ومنه قوله تعالى « أشحذ عليكم » . وقول ترك
مكة أى لا تركها . ومنه قوله نبى محمداً أى لا نبزاه واللفظ (محمداً) منصوب بنزع
الخافض . يقال أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره أى لا تغلب بمحمد ولا تقهر عليه
والحال أننا لم نطاعن دونه بالرماح وتناضل عنه بالسهم فالجملية المنفية يلما حال من نائب
الفاعل . وقوله (لتلتبسن أسيافنا بالأنامل) أى لتختلطن بالاشراف بما تفتك بهم في الحرب ،
والروايا جمع رواية وهو ما يستقى عليه من غير وغيره ، والصلاصل القرب فيها بقايا الماء
واحدها صلصلة بضم الصادين وهى بقية الماء في الاداوة والقربة - يريد أن قومه ينهضون
مثقلي بالحديد تسمع له قعقة كصلصلة الماء في المزادات

ومن المحفوظ في ذلك حديث ابن مسleme الانصاري^(١) رحمه وابن
أبي حنيفة الأسلمي الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد
كنا يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحسان بن ثابت : « انشدني
قصيدة من شعر الجاهلية فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها
وروايته » : فأنشده قصيدة للأعشى هجاءها علقمة ثلاثة

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الاوتار والواتر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة
بعد مجلسك هذا » فقال يا رسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا حسان أشكر الناس للناس أشكرهم لله تعالى ،
وان قيصر سأل أبا سفيان بن حرب عني فتناول مني . وفي خبر آخر
فشعت مني وأنه سأل هذا عني فأحسن القول » فشكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ذلك . وروى من وجه آخر ان حسان قال يا رسول الله من
نالتك يده وجب علينا شكره . ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضوان
الله عليها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول
« آياتك » فأقول

ارفع ضميفك لا يحر بك ضمفه يوما فتدركه المواقب قد نمت

يجزبك أو يثنى عليك وأن من أثني عليك بما فعلت فقد جزى

(١) الحديث رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الخوائج وابن عساكر عن محمد بن مسleme
بلفظ (يا حسان أنشدني من شعر الجاهلية فان الله قد وضع عنك آثامها في شعرها
وروايتها) وفيه أنه قال له بعد إنشاد القصيدة (يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة فإني
ذكرت عند قيصر وعنده أبو سفيان وعلقمة بن علاثة فأما أبو سفيان فتناول مني وأما
علقمة فحسن القول وأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

﴿ تنمة الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى ﴾

ثم إذا قلبنا في البحث إلى ماهو الشرك في نظر القرآن وأهله لتتقيه نجد أن الله تعالى قال في اليهود والنصارى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » مع أنه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الأحبار والرهبان من ادعى المباشرة ونازع الله الخالقية أو الإحياء أو الإماتة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروجى الشرك بالتأويل والايهام ، بل الأحبار والرهبان إنما شاركوا الله تعالى في التشريع المقدس فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم أتباعهم ذلك فوصفهم الله بأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله

ونجد أيضاً أن الله تعالى سمى قريشاً مشركين مع أنه وصفهم بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » أى يخصصون الخالقية بالله . ووصف توسلهم بالأصنام إلى الله بالعبادة فحكى عنهم قوله « ما عبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » والمعلمة من المسلمين يظنون أن هذه الدرجة التى هى التوسل ليست من العبادة ولا الشرك ويسمون التوسل بهم وسائل ويقولون إنه لا بد من الوساطة بين العبد والرب « وإن الوساطة لا تنكر »

ويعلم من ذلك أن مشركى قريش ما عبدوا أصنامهم لذاتها ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير بل اتخذوها قبلة يعظمونها بذاتها والسجود أمامها أو ذبح القرابين عندها أو النذر لها على أنها تمثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عندهم فيحبون هذه الأعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض أو اغناء فقير وغير ذلك وإذا حلفوا بأسمائهم كذباً أو اخلوا فى احترام تماثيلهم يفضون فيضرونهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم

ونجد أن الله تعالى قال « فلا تدعوا مع الله أحداً » وأصل معنى الدعاء النداء ودعا الله ابتهل إليه بالسؤال واستعان به والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون » وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته فى قوله جل جلاله « إياك نعبد وإياك نستعين »

وبما ذكر وغيره من الآيات البينات جعل الله هذه الأعمال لقريش شركاً به حتى سرح النبي صلى الله عليه وسلم فى الحلف بغير الله أنه شرك فقال « من حلف بغير

الله فقد كفر وأشرك» (١) وجعل الله القربان لغيره والإهلال والذبح على الأصنام شركاً وحرم تسيب السوائب والبجائر لما فيها من ذلك المعنى وكان المشركون يحجون لغير بيت الله بتعدد زيارة محلات لأصنامهم يتوهمون أن الحلول فيها يكون تقريباً من الأصنام فنهى النبي عليه الصلاة والسلام أمته عن مثل ذلك فقال « لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى (٢) » فلا ريب إذن أن هذه الأعمال وأمثالها شرك أو مدرجة للشرك (مرحى)

فانظر الآن هل هناك في الإسلام شيء من هذه الأعمال وشباهها في الصورة أو الحكم من لا ينفك في الله توبة لأثم لا يرى دأ من التصريح بأن حالة السواد الأعظم من أهل القبلة في غير جزيرة العرب تشبه حالة المشركين من كل الوجوه وإن الدين عندهم عاد عريضة كما كان بين غيرهم من الأمم . ففهم الدين استبدلوا به صور الصور فتموا عليها المساجد والشاهد وأمرجوا لها السرج وأرخوا عليها السور يطوفون حولها مقبلين مسلمين تركانها ويهتفون بأسماء سكانها في الشدائد والهموم يندموا القرائين بها يا عمداً لله والله يندرون لها النذور ويشدون للحج إليها الرجال ويعلقون بسكانها لا أن يستبرئوا الرحمة بذكرهم وعند قبورهم ولا من يترجم بالخارج ويصوغ وصفاً يخشوع أن ينوسطوا لهم في قضاء الحاجات وقبول الدعوات وأن ذلك من الحساب والتعظيم لغير الله (٣) والخوف والرجاء من سواه وشبههم من يندموا عن أرواح المائيل عند النصاري والمشركون بألواح فيها أسماء معظمتهم من الأسماء البركات وذكر أودعاء يعلقونها على الجدران في بيوتهم إن في ذلك لآية لمن يعقل ويتوجون بها الأعلام من نحو « يا علي ، يا شاذلي ، نادروني ، يا علي ، يا بهاء الدين المشي ، يا جلال الدين الرومي ، يا بكتاش ولي » وممن ينسججمعون لأجل العبادة بذكر الله ذكراً مشوباً بإنشاء المدائح لفلاة شعراء المتأخرين التي أهون ما فيها الإطراء الذي نهانا عنه النبي عليه الصلاة والسلام

(١) المنار - الحديث رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما (٢) رواه أحمد والشيخان عن أبي هريرة ورواه عن أبي سعيد ورواه أصحاب السنن وغيرهم (٣) أي من عبادة غيره (٤) كجوامع القسطنطينية وبلاد الترك . كذا في هامش الأصل ومثل بلاد الترك كثير من بلاد المسلمين (٣٤ - المنار)

حتى لنفسه الشريفة فقال « لا تطروني كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم (١) »
وبإشادهم مقامات شيوخية تعالوا فيها في الاستغاثة بشيوخهم والاستعداد منهم بصيغ
لو سمعها مشركو قريش لكفروهم لأن أبلغ صيغة تلبية كانت لمشركي قريش قولهم
« ليك اللهم إبيك . ليك لا شريك لك غير شريك واحد تملكه وما ملك (٢) »
وهذه أخف شركا من المقامات الشيوخية التي يهدرون بها إشاداً بأصوات عالية
مجمعة وقلوب محترقة خاشعة كقولهم

عبد القادر يا جيلاني يا ذا الفضل والإحسان
صرت في خطب شديد من إيمانك لا تساني
وقولهم

الآهم يا رفاعي لي أنا المحسوب أنا المنسوب
رفاعي لا تضيعي أنا المحسوب أنا المنسوب

إلى غير ذلك مما لا يشك فيه شك أنه من صريح الإشراك الذي يأباه الدين الحنيف
ومنهم جماعة لم يرضوا بالشرع المبين فابتدعوا أحكاماً في الدين سموها علم الباطن
أو علم الحقيقة أو علم التصوف ، علماً لم يعرف شيئاً منه الصحابة والتابعون وأهل
القرون الأولى المشهود لهم بالفضل في الدين . علماً انتزعوا مسائله من تأويلات
المتشابه من القرآن مع أن الله تعالى أمرنا أن نقول في المتشابه منه (آمنا به كل من
عند ربنا) وقال تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وقال عز شأنه في حقهم (وإذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وقال تعالى
(فاستقم كما أمرت) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة)
وانتزع هؤلاء المداجون أيضاً بعض تلك المزيادات من مشكلات الأحاديث والآثار .
ومما جاء عن النبي عليه السلام من قول على سبيل الحكاية أو عمل على سبيل
العادة أي لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع . أو من الأحاديث التي
وضعها أساطينهم أغراباً في الدين لأجل جذب القلوب كهذا الحديث الذي نقله
بالمعنى وهو (يفتح بالقرآن على الناس حتى يقرأ المرأة والعبي والرجل فيقول الرجل

(١) لفظ الحديث « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا
مبعوث الله فقولوا عبد الله ورسوله » رواه البخاري والترمذي في الشمائل ولا أذكر
سرها الآن (٢) ينقل عنهم « الا شريكا هو لك تملكه وما ملك »

قد قرأت القرآن فلم أتبع لأثوم من بهم فيه اعلى اتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به فلم اتبع لأحتظرن من بيتي مسجدا اعلى اتبع فيحتظرن من بيته مسجدا فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقمت به واحتظرت من بيتي مسجدا فلم اتبع والله لا يتنهم بحديث لا يحدونه في كتاب الله ولم يسمعه عن رسول الله اعلى اتبع » ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الإسلام ولا عهد له بها إلى أواخر القرن الرابع فكان الله تعالى ترك ديننا ناقصاً فهم أكلوه ، أو كأن الله جل شأنه لم يرل يوم حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » أو كأن النبي عليه السلام لم يتم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أمروها لنا أو كتم شيئاً من الدين وأسر به إلى بعض أصحابه وهم أبو بكر وعلي وبلال رضى الله عنهم وهؤلاء أسروا به إلى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل إليهم فأفشوه لمن أرادوا من المؤمنين تعالى الله ورسوله عما يافكون ، أليس من الكفر بإجماع الأمة اعتقاد أن النبي عليه السلام نقص التبليغ أو كتم أو أسر شيئاً من الدين (مرحى) ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعباً فجعلوا منه التغي والرقص ونقر الدفوف ودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر واللامب بالنار والسلاح والعقارب والحيات يخدعون بذلك السطاء ويسرهبون الحق

ومنهم قوم يعتبرون البسادة صلاحاً والجل خشوعاً والصرع وصولاً والهديان عرفاً والجنون منتهى المراتب السبع للكمال

ومنهم خلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرهل أو أحكام النجوم أو الروحاني أو الزارجه أو الأبيديات أو بالنظر في المساء أو السماء أو الودع أو باستخدام الجن والمردة إلى غير ذلك من صنائع التدليس والإيهام والحزيبات وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين كالأنعام في كل الأمم والأقوام بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء ككأنه من عزيز الكمالات في دين الإسلام « مرحى »

فهذه حالات السواد الأعظم من الأمة وكأها إما شرك صراح أو مظنات إشراك حكمها في الحكمة الدينية حكم الشرك بلا إشكال وما نجر الأمة إلى هذه الحالات

الجاهلية وبالتعبير الاصح رجع بها إلى الشرك الأول إلا الميل الطبيعي للشرك كما سبق بيانه مع قلة علماء الدين وتهيون الموجودين في الهدى والارشاد

نعم إن رد العامة عن ميلها أمر غير هين وقد شبه النبي عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويفلبنه فيقتحمهن فيها فانا آخذ في حجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها » (١) وقد قال الله تعالى في العلماء المتهاونين عن الإرشاد كيلا يقابلوا الناس بما لا يهون « ان الذين يكتفون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٢) فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين ولم يزل والحمد لله في القوس منزع ولم يستغرقنا بعد انزعاع العلماء بالكلية كما أئذنا به النبي عليه السلام في قوله « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فاستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (٣) ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم قال : ولنتقل من بحث الشرك والإعراض عن ذكر الله إلى بيان أسباب التشديد في الدين وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون فأقول

(١) الحديث رواه أحمد ومسلم عن جابر بلفظ « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبحهن عنها . وأنا آخذ بحجزكم من النار وأنتم تفلتون من يدي » (٢) رواه الترمذي وقال حسن غريب (٣) رواه الشيخان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود عن عبد الله عمرو وأبى مسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فاستلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وفي البخاري « من العباد » بدل « من الناس » وقال « حتى إذا يبق عالم » كما هنا

باب التربية والتعليم

(*) النزرة الخامسة من مبررة الراسم

الخط الديواني

اشأ « أميل » يخط بالقلم خطأً مناسباً لحاله وليسكنى في شك من جريه على قواعد الخط في شيء مما يكتب

كان الخط فيما مضى كأنه من صفات الكاتب الذاتية وكان يدل على حالة من أحواله سواء فيه الحسن والقبيح ولذلك وجد متوسمون يستقدون انهم يقرأون في خط من لا يعرفونه من الناس ضرور استعداده النفسى ولا بدع في هذا فان كل أعمال الإنسان منبعثة عن أخلاقه وسجاياه فلا شيء من الاستحالة ولا من البعد عن الحقيقة على ما أرى في أن يكون الخط وهو الأثر الدقيق الثابت لصنوف الوجدان وأنواع المعاني على الورق سمة من سمات النفس وأماره من أمارات الطبع . يشهد لذلك ان من الدين خطوطهم بين أيدينا قد غيروا في حياتهم طريقتهم في صوغ حروفهم عدة مرات فلا يمكن أن يكون هذا التغير الذي يحق لنا المراهنة على حصوله بغير شعور منهم أجنبياً عن بعض استحداث حصلت في عقولهم . ومن الأمور التي يعتمد الباحثون في هذه المدة أنهم تنبهوا إليها ولاحظوها ان أقرب أطوار الكاتب إلى الفطرة هو ذلك الطور الذي يكون فيه خطه موسوماً بأقرب السمات إليها أيضاً اخترع الناس في هذه الأيام للخط طرقاً لاشك ان لها مزية في تهذيبه وتقويم يد الكاتب وليسكنها متى انتشرت وعم استعمالها اتحدت الخطوط وتشابهت فلم يبق بينها فروق تميز بعضها من بعض فنحن في هذا القرن قرن السكك الحديدية والافلام الحديدية نسارع كلنا إلى تحقيق الوحدة في كل شيء

لو ان هذا انيل إلى الصناعة اقتصر على أمارات الفكر وقوالب المعاني السكان الخطب هيئاً ولكنه لم يقف عندها بل تمدها إلى الفكر نفسه

أنا على يقين من وفرة علومنا ومعارفنا فليست هي التي تعوزنا إذ قد وجدت

(*) مغرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر

طرق سهلة صيرت مبادئ العلم وآداب اللغة والفنون الجميلة قريبة التناول لجميع الناس وكل يوم ينسب الناس بانتشار أنوار المعارف بيننا وهو أمر أنا بعيد عن النازعة في جلاله خطره وعظم شأنه وليسكني لا أرى على حرجاً أن سألت نفسي هذه الأسئلة وهي : هل ارتفع عقل الإنسان في هذا القرن إلى مدارك اسمي مما بلغه في القرن الثامن عشر ؟ هل حصل له من قوة النفس والانبعاث الدأى إلى العمل والأخلاق الممتازة التي تتجلى في صورة مجتمعة المظلمة والأعمال البديعة أكثر مما كان له في ذلك القرن ؟ هل ارتفعت قوة الإدراك مع انتشار تساوي الناس فيها كل يوم ؟

والأمر في أني التفت بحولي فيسروني الدهول وناسكني الدهش لما أراه من غلبة الاوساط في العقل وكثرة فهم وأسمع الناس بحدود القول بأن العقل والاستعداد قد شاعا في هذه الأيام حتى عما السابقة من الغوغاة رأوا بهم قالوا إن كل واحد أصبح فيه عقل غيره واستعداده لكان هذا القول أصح وأقرب إلى الصواب . نعم إن قرننا قد وصل إلى طريقة بديعة في الاكثار من الدواب والآلات المماكية للمفكر وقامت المهارة في الفنون مقام الاستعداد الفطري والمزعة وأزهق التكلف في آداب اللغة وروح الإلهام والسابقة واستلست الدسيسة والحداء في مجرى الحياة وشثرتها الفضل والجدارة من مرشهما وملا محولهما فترانا الآن مستعدين على طريق مستقيم عام إلى محو شروك النفس والرجحان في العقل والخلق محو تماماً فعياك أيها الإنسان من الآن أن نضع بأن نكون كجميع الناس .

ولاشك أن هذه الحالة التي نلها من القول الآن ترجع إلى أسباب كثيرة ليس من غرضي استعراضها هنا . منها نظام معيشتنا وفقدان الحرية السياسية عندنا وإهمالنا المزايا بالمسالح المادية ومنها أمر لا يسعني اغفاله والا استحققت اللوم وهو أن التربية الحالية التي هي عليها اليوم أقرب إلى مترعيوب الأطفال واخفاء مواضع الضعف فيهم بعض طريق التعليم السريعة التي تسعد تكون آلة محضة . أقول أنها أقرب إلى ذلك منها إلى قصد اكتشاف ملكاتهم وعواهم النفسية وتتميتها فترى القائمين على التعليم عوذاً عن تهيئهم أن الغرض من تاهلهم وكدهم في التعلم إنما هو نيل الفخر بأن يكونوا أفاضل معينين ... يحملون أعباء الارتقاء إلى المناصب ونيل الغنى ويمتنعون منهم أن يبلغوا إليها وهم بذلك يكرهون بحمل الاحداث على أن يتبينوا أن المواقعة والصنعة هما أقرب إلى ريق النجاح وأحسن وسائل الفلاح . اهـ

السُّنَّةُ السَّادَةُ

﴿ مذهب تشغيل المعلمين بالأعمال المادية الشاقة ﴾

توجد في بعض المدارس بانسكترا عادة قديمة يدهش منها الأجانب كثيراً ذلك أن التلامذة - فيما يوجد منها بمدينة راتون وهارو وهي التي يدخلها أبناء السراة غالباً - يخدم بعضهم بعضاً وليس أمر الخادمة والمخدومية فيها متعلقاً بمكانة التلميذ في قومه ولا بغير أهله أو فقرهم بل بالأقدمية وبعض الدرجات المدرسية فيجوز أن يلزم الطفل الفنى السرى بتنظيف ثياب الطفل الفقير الوضع وتأدية مطالبه وتنظيف غرفته وإيقاد ناره وتسوية طعامه وحمل كتبه إليه في قاعة الدرس فيقع الإلزام بالخدمة على من يحملهم المدرسة في الدرجات الدنيا من أقسامها .

والذى استهجنه من هذه العادة هو ما يكون بين التلميذين الخادم والمخدوم من رابطة التبعية الذاتية فإن الأقدمين من التلامذة يسرون أحياناً مع من يعتبرونهم خدماً لهم من إخوانهم - برة في غاية القسوة حتى إنه يقع منهم في حقهم ما نقرأه في قصص مولير (١) المضحكة من الشتم وضربات الأكف وجميع ضروب سوء المعاملة التي كانت تقع من صغار الموالى على خدمهم بأرجلهم وأيديهم الخفيفة الحركة ، أو تلك الخدم الصغار الذين كانوا بالأمس أرقاء صبراً على الذل مستسلمين للجور يصرون في القد سادة قساة متجبرين وهكذا شأن الدنيا وبمثل هذا تنتقل جميع أنواع العتو والطغيان من سلف إلى خلف .

لا أرى فيما عدا هذا العيب شيئاً في هذه الطريقة فانه لا ضرر مطلقاً في أن يقوم بخدمة المدرسة التلامذة أنفسهم . ولقد عرفت فيما مضى مدرسة كان يديرها رجل وافر العقل عالى الفكر اختار هذا المذهب وتيسر له أن يجنى منه فوائد كبرى في تربية الناشئين ذلك أنه عهد بمعظم أعمال مدرسته إلى جماعات من العلمان واليا فعين منقسمين إلى طوائف على حسب مقتضيات أذواقهم وضروب ميلهم الفطرى لأنهم كانوا في هذه الأعمال مختارين متطوعين فكان الواحد منهم إما لباداً أو كناساً أو وقاداً للمصاييح أو موقظاً لأخوانه في الصباح أو منظماً لقاعة الدرس وكانوا يتناوبون خدمة

(١) مولير هو أكبر واحد شاعر قصصى فرنساوى ولد في باريس سنة ١٦٣٢

ومات في سنة ١٦٧٣ مسيحياً

المائدة وكانت الأعمال المسخرة التي تقتضي أكثر من غيرها إخلاصاً أبجل من غيرها أيضاً في نظر التلامذة لأن رئيس المدرسة كان يتظاهر بتمييزها عن غيرها بما كان يوزعه من شارات الشرف على من كان يدعوهم إقدامهم إلى مباشرتها . وليناك زرت هذا المكان حتى كنت تشاهد مقدار النحاس الفرح الذي يديه كل تلميذ في القيام بعمله الذي كأنه فرض اختياري أوجبه على نفسه . كان من مزايا هذه الخدمة البيئية للتلامذة أنها كانت تسلية لهم من عناء الدروس لأنه كان من رأي رئيسهم أن في المراحة بين الأعمال استراحة من مشقتها وكان من غرضه فوق ذلك أن يلقى في نفوسهم معنى احترام جميع الوظائف وكل فروع العمل اليدوي فإن الإنسان لا يحتقر من غيره ما يباشره هو بنفسه .

إني لتعرض لي في بعض الأحيان أحوال تحملني على اعتقاد أن مآلهم من حب المساواة ليس إلا رياء وتقافاً لأنني أرى من لا تفر السنتهم عن اللهج بهذه الدعوى لا يجرون على مقتضاها في أعمالهم فالطفل الذي يرى في المدارس أو البيوت أناساً استؤجروا لخدمته يستنج من ذلك طبعاً أن الأعمال الشاقة أو الكربية هي من حظ الطبقة السفلى من قومه ولا يفيد في نحو هذا الاعتقاد من نفسه أن تحذره المستقبل عن ضرورة تقسيم العمل بين الناس أو عن غير ذلك من المسائل النظرية الكثيرة فإنه يعلم كمال العلم أن ليس للخدم أن يكادوا على موائد ساداتهم ولما كان يتوسم في والديه أنهما يعدانه لأن يكون من الناس الذين يفران به بذلك مؤنة الاشتغال ببعض الأعمال التي من شأنها أن توسع يديه أو تقدر وجهه . كان رأيي في هذه الأعمال لا بد أن ينقل إلى من يقارفونها من الناس فيحكم عليهم بحكمه عليها وبذلك لا يكون إلا كثير الاستيق إلى احتقار جميع الصناعات والزراعة عليهم .

صممت أنا وهيلانه على تكليف «أميل» بعمل كل ما يلزم لفراشه وهجرته وثيابه ولا أكره مطلقاً أن أراه يمسح عليه ويسوي عند الحاجة طعامه فإن الفائدة التي تعود عليه من ذلك ليست قاصرة على كونه يتعلم عدم امتحان من يكسبون قوتهم بمثل هذه الأعمال بل إنه أيضاً تنمية لحرية الشخصية بتعوده على الاستغناء عن مساعدة غيره فالأسير المسكين من يهجر عن خدمة نفسه . اهـ

الاحتفال السنوي بمدرسة الجمعية الخيرية وخطبة المفتي

في أصل يوم الجمعة ٢١ ربيع الأول احتفل في قبة الفوري الاحتفال السنوي المعتاد بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية في القاهرة وقد أجاب دعوة رئيس الجمعية الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الجليل الفقير من الفضلاء والوجهاء خصه والاحتفال : ابتداء أحد التلامذة بترتيل آيات من سورة الفتح ثم ارتقى أحد التلامذة الدكة التي يجلس عليها التلامذة فأعطى كتاباً ففتحته وقرأ فيه جملة صلاة قرأه صحيحة فسأله الرئيس بيان معناها فبيده : ثم اختبر آخرون بالأعراب وبالْحَسَاب ورسوم خريطة أفريقيا وبالتاريخ الطبيعي ككثيرة الدورة السموية وقرأ بعضهم مقالات محفوظة في فوائد الصوم وفوائد التربية وغير ذلك فأحسوا جميعاً وصدق لهم النادي مرات متعددة . وأذكر الأستاذ الشنقيطي التصفيق على القوم أنه بدعة فتركه بعضهم وأصر عليه الأكثرون لأن بعضهم يراه من العادات الباحية التي اقترن بها تنشيط التلامذة وادخال السرور على قلوبهم وبعضهم لم يصل إليه الانكار . وكان الرئيس كماداته يناقش كل تلميذ فيما يقول ويطلب منه التعبير عما قاله حفظاً بعبارة اعرفية . ثم وزع الجوائز وهي على ما ذكرنا في السنة الماضية قسمان أحدهما ربيع المال الذي جمع لاقامة تذكاري لابي باشا مبارك لخدمته المعروفة في مصر والثانية تبرع الأستاذ الشيخ عبد الرحيم الدمرداش فهذا وزع على نفر من التاجحين في المدرسة . وأما الأول فاستقر الرأي على أن يشترى به كل عام كتب نافعة تعطى للتلميذين اللذين يفوقان سائر التلامذة ممن أتموا السنة بشرط أن يشتغلا بعد المدرسة بتعلم صنعة من الصنائع وكذلك كان . وبعد ختم الاحتفال بترتيل أحد التلامذة آيات من الكتاب العزيز وقف رئيس الجمعية فشكر الحاضرين منهم في الخير شاهدة أولاد الفقراء المتعلمين ثم قال ما معناه ملخصاً : لا بد أن يكون بعض الحاضرين ممن يشتغلون بعلم التربية ينتقد علينا شيئاً أنا أوافقهم على انتقاده قبل أن أذكره وأجيب عنه وهو أن يحفظ التلامذة مقالات في الدين والآداب كالذي سمع منهم الآن فيها من الحكم والمعاني العالية ما لا يرتقى عقولهم إلى الاحاطة به وما تعجز ألسنتهم عن بيانه بغير العبارة المحفوظة . أعيد القول بأن هذا الانتقاد صحيح وأن حشو الأذهان بحفظ ما لا يفهم يفسدها ويذهب باستعداد العلم منها . ومدارس الجمعية تهتم

بهذا الأمر فنحن نؤكد دائماً على المعلمين أن لا يعلّموا التلامذة كلاماً لا يفهمونه والعمل على هذا والتفتيش من وراءه لتحقيقه وأما ما سمعتم فقد جاء من باب الاستثناء لغرض صحيح يوافقنا عليه المتقدمون بادي الرأي . ذلك ان التلميذ يخرج من مدرستنا إلى العمل غالباً ولا ثقة لنا بأنه يسمع في خطب المساجد ولا في دروسها شيئاً من حكم الدين وأسراره التي تهت النفوس على العمل بأحكامه كالذي سمعتم من حكم الصوم . وكذلك لا نرجو أن يجد معيهاً من معاهد العلم يسمع فيه شيئاً من مباحث التربية وعلم الاجتماع والآداب العالية بالأولى فرأينا أن نحفظ كل تلميذ بعض مقالات في هذه المقاصد مجتهد في إيفاءه معانيها بالجملة كما يقتضيه منه ويوكل الفهم التفصيلي إلى حوادث الزمان وارتقاء الفكر فيها فهذه المحفوظات القليلة المفيدة ذخراً للتلميذ في مستقبله وهي كبدرة وضعت في أرض صالحة يتعاهدها الزمان بالسقي والنعذية حتى تثمر الثمرة الصالحة إن شاء الله تعالى

إذا أجليتم النظر في أحوال المسلمين دون أن ترك تعلم الدين على هذا الوجه من بيان فوائده وحكمه وغرسها في النفوس (وهو الفقه الحقيقي في الدين) قد أدى إلى تركه من بعض المسلمين والانيان به على غير وجهه من بعض آخر . والضرب المثل بفريضة الزكاة التي حنطت لأممتنا مقالة في فوائدها في العام الماضي كما يذكر من حضر احتفاله وفريضة الصوم التي سمعتم فوائدها وعن التي تلي الزكاة في الترتيب

الزكاة ركن من أركان الإسلام وبذلك المال في إقامة هذا الركن بفضل غيره من أنواع البذل ولذلك قرأت الزكاة بالصلاة في القرآن في أكثر المواضع وقد جعل الله اتفاق المال في سبيله آية الإيمان . وجعل تركه علامة النفاق والكفران . وقال الخليفة الأول بموافقة الصحابة كما هم رضى الله عنهم ما نهي الزكاة . ومع هذا كله ترى المسلمين قد هدموا هذا الركن ونسوه حتى كأنه ليس من الدين بالبر . وأطال الأستاذ الكلام في الزكاة وفي مضرته تركها ثم انتقل إلى الصوم وبين أن بعض المسلمين تركوه وإن الذين يصومون لا يؤدّون هذه الفريضة على الوجه الذي أراده تعالى بقوله « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وأوضح هذا بذكر ما عليه الناس . ثم انتقل إلى الكلام في تعامير مدارس الجمعية فقال ان مدارس الجمعية وضعت لتعليم أولاد الفقراء ما لا بد منه لكل إنسان وهو أن يحسن القراءة بلفه أتمه ويعرف ما يجب عليه من أحكام دينه ويتربى عليه عملاً والحساب

والتاريخ وتقويم البلدان ولا فائدة من مبادئ التاريخ الطبيعي وحفظ الصحة وأدب
العاشرة . ولا بد عندنا من تعليم هذه الأبناء على وجه مفهوم في أربع سنين وسن
التلميذ لا يتجاوز الخمس عشرة سنة . وليس عندنا لغة أجنبية لأننا لا نعد التلامذة
للو وظائف والشهادات وإنما نهدم لأعمال بالحرف والصنائع وما ذكرنا من التعليم
لا يستغنى عنه صانع ولا زارع .

قال : كنت أحب أن يكون هذا التعليم عاماً في البلاد ومنبثاً في جميع الطبقات
ثم يتسنى بعده لكل طبقة أن تتناول من العلوم والفنون واللغات في المدارس الثانوية
والعالية ما هي مستعدة له . ولكن المانع الشكك في التعليم والتعلم من التوجه إلى
سلوك هذه الطريقة أمران سأأحدهما أن رغبة الناس منصرفاً إلى جعل التعليم ذريعة
لأخذ الشهادة لأنها شرط الاستعداد في الحكامة والسبب في رغبة الناس في خدمة
الحكومة هو أن الناس لعدم تفهم بأنفسهم ولجهلهم بطرق الكسب الواسعة وضغف
عمهم عن سلوكها يؤد كل واحد منهم أن يكون له مورد من الرزق مضمون يعتمد
عليه وإن كان وشلاً آمناً فإذا استخدم بمائة وخمسين قرشاً ولو في أعلى الصعيد أو
سودان ينال آمناً مطمئناً ويلقى هم الدنيا وراء ظهره إلا إذا تيسر له السعي في شفاعته
تزيد في راتبه أو ينتقل بها إلى مكان غير مكانه ولو استعمل مواهبه التي منحه الله
إياها وكسح في طلب الرزق من طرفة الواسعة لاسيما التجارة لجاز أن يكون من
أهل الثراء الواسع وتنتفع الخفيف ما شاء أصحاب هذه النفوس الحاملة الصغيرة ثم
انتقل إلى بيان السبب الآخر في عدم التوجه إلى التعليم النافع فقال :

أما ثاني السببين فداؤه اقتل ، وعلاجه أعسر ، أتدرون ما هو ؟ هو المعلمين
والمرتبين فأننا نحتاج في التعليم الابتدائي إلى من يبدئ التلميذ في السنة الأولى بألف
بافلا تنتهي السنة الرابعة إلا وهو يقرأ ويكتب ويعرف ما ذكرناه آنفاً وعرض
عنايكم نموذجيه . والذين يحسنون هذا النوع من التعليم قليلون . وقد عزمنا على
تجديد مدرسة للجمعية ولكننا عند المذاكرة فيها كنا نشكو من قلة المعلمين . إننا
نحتاج معلماً لاهدي مدارسنا فنعلن ذلك الجرائد فيجئنا الراغبون بالعشرات
فمنعهم ونختار من نراه الأمثل وإن لم يكن على حسب الرغبة تماماً ثم يتمرن
على طريقته في المدرسة مع طول التثنية والتفتيش ومثل هؤلاء يجدر بنا أن نسميهم
معلمي الضرورة

قال : ذكرت هذا لأوجه نفوس العلماء والوجهاء إلى تلافى هذا الخطب ومداواة هذه العلة التي هي أم العلل وذلك بإنشاء مدرسة لتجريح المعلمين ولا بد في هذا من سعى العلماء ومساعدة الأغنياء . ثم شكر للحاضرين سعيهم فانصرفوا شاكرين . أقول كتبت بعد أيام من الاحتفال في إثر انحراف في الصحة فان قصت من فوائد الخطاب ففي غير الفوائد الأصلية وان زدت فربما كان كلمة في معنى الكلام تزيد في إيضاحه

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(تنمة سيرة الكواكبي)

وكان أول عمل عملي في إدارة مجلس البلدية هو قطع عرق الرشوة من العمال الذين يباثرون الأعمال والصالح ويسمون (الجاويشة) ولكنه زاد في راتبهم لعله بأن الذي ينظر أكثر العمال إلى الرشوة هو قلة الراتب . وكان من ظلم الوالي بعد عزل الفقيد من رئاسة البلدية ان أرجع راتب الجاويشة كما كان وألزم صاحب الترجمة بدفع ما كان زاده لهم في مدته إلى صندوق البلدية كما ألزمه بدفع ما أنفق على سلاسل الحديد التي منع بها الجبال من طرق المدينة لأن الوالي أمر بإزالتها عقاباً له ثم عاد فأمر بإعادتها بعد زمن قريب ولكنه لم يعد إلى الفقيد الفعالة التي ظلم بها ولما عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية كانت المحكمة في أسوأ الأحوال في الصورة والمعنى فكان ينفق على إصلاحها من جيبه حتى انه استحضر لها السجوف والاستار من بيته ومنع اختلاط النساء بالرجال إذ حمل الكل مكاناً ينتظر فيه دوره للتقاضى ورتب الأوقات ونظم الدفاتر . . .

وكان صاحب عزيمة قوية لايهاب حاكماً ولا يخاف ظالماً وعزمته هي التي حبت عليه فقد كان يجمع في عمله عند ما عين مديراً ومفتشاً لمصلحة حصر الدخان كما تقدم في السيرة الرسمية حتى وقع النزاع بينه وبين عارف باشا والي حلب يومئذ فبطل العمل عمل الفقيد في ضبط هذه المصلحة ما عجزت عنه إدارتها العمومية والحكومية جميعاً حتى كانت تخسر في ولاية حلب دون سائر بلاد الدولة . وكان المشتغلون بهريب الدخان البلدي ويبيعه في حلب سبعمائة رجل فعين لهم رواتب شهرية ومنعهم من الهريب بحكمة عجيبة . وسألتني مجمل خبره في عهد الوالي عند اكلام علي معن المصوبات التي نفيها في طريقة

كانت مدة الاتفاق الأول مع مصلحة حصر الدخان ثلاث سنين فاتفق من إدارة العمل والتفتيش بعد سنتين بالسبب الذي أُلغى إليه وثيقة الفقيه بنفسه واقتداره على العمل ذهب إلى الامتانة بعد عزل عارف باشا من ولاية حلب فمقد اتفاقاً آخر مع المصلحة والحكومة مدته عشر سنين وكان أراد أن يضم إلى ولاية حلب ومصرفية الزور ولايتي بيروت وسورية فلم يرض له ذلك من استشاره من الأقربين فرجع عنه . وقد نجح أيضاً في المرة الثانية ولكن حدثت بعد أربع سنين الفتنة الأرمنية قهبا الأرمن الدخان من عدة بلاد وقتلوا موظفي المصلحة فكان الفقيه يحضر في الشهر بضعة عشر ألفاً من الليرات فتوصل بذلك إلى الامتانة بحل العقد وإبطال الاتفاق فتم له ذلك بعد عناء وخسارة عظيمة وإخلاقه بحب المصلحة العامة كانت أكثر وظائفه خيرية أي بغير راتب كما عرف من الترجمة الرسمية وتزيد على هذا أنه كان يذل شيئاً من ماله فوق ما يأخذه من راتب بعض الوظائف لأجل ترقية العمل وإتقانه وهذا خلق لم يعرفه الشرق في هذا العصر مشروعاته : طلب من الحكومة عدة امتيازات بأعمال عظيمة لم تكن تخطر لأهل بلاده على بال . (منها) إنشاء مرفأ في السويدية وطريق حديدى منها إلى حلب . و (منها) جلب نهر الساجور إلى حلب لأن ماء المدينة قليل ولو تم هذا العمل لأحييت به أرض واسعة فكانت جنات وحدائق . (ومنها) أن عينا خواردة في سفح جبل بين أرمناز وأدلب قد أغرقت أمواها تلك الأرض فجعلتها مستنقعات تضر الناس ولا يأوى إلى غاباتها إلا الخنزير البرى فذهب الفقيه إليها واختبر حال الأرض والعين اختياراً هندسياً زراعياً فلم أنه يمكن جر مائها إلى أدلب القليلة الماء وتخفيف تلك المستنقعات فتصير نافعة ونجياً أرض أدلب ونجياً أهلها فطالب بذلك امتيازاً . و (منها) إنارة حلب وبيرومك ومرعش وأورفة بالكهربائية بواسطة شلال يحدثه من نهر العاصى في محل اسمه المضييق بالقرب من دركوش تابع لجسر الشفر وكان اختبر المكان اختباراً هندسياً فلم أن أحداث الشلال فيه ممكن . (ومنها) استخراج معدن نحاس من أرغنه التابعة لولاية حلب . وقد حال دون إعطاء بعض هذه الامتيازات ما يحول دون كل مصلحة عامة يطلبها الوطنيون كالرشوة ونحوها . وقد كان أعطى امتياز استخراج النحاس واشتغل به ثلاث سنين ونيف وبعد ذلك أرادت حكومة الولاية إبطاله لأمر ما فدخلت مع الفقيه في العمل بعض الأجانب وتوصلت بذلك إلى إبطاله

خدمته للناس وللحكومة : كان اتخذ له مكاناً بين داره ودار الحكومة سماه المركز

يأون إليه وكلاء الدعاوى البارعون فكان يؤمه أصحاب الحاجات والخصايا يستشيرون صاحب الترجمة في حل عقد المشكلات ، ويستضيئون برأيه في دياجير المهمات ، وكان في الغالب يفصل بينهم بالتراضي ، ويفنيهم عن المحاكاة والتقاضى ، فإن احتيج في قضية إلى الحكومة يندب لها من يراه أهلاً لها من الوكلاء المحامين وإن كانت عظمة الشأن يندب نفسه ويحاكم المبتطل حتى يحق الحق لصاحبه . وقد كان قصاد ذلك المركز يكادون يزيدون على قصاد دار الحكومة . وكانت الحكومة نفسها تستشير في الشؤون الغامضة وتعتمد على رأيه مقاومة الحكام له : ورث الفقيه عن سلفه السادة الأمراء علو الهمة وقوة العزيمة

وعند المبالاة بالأخطار فهو من سلالة السيد ابراهيم الصفوى الأردبيلي المهاجر إلى حلب وما حديث الصفوية في الامارة بمجهول . بهذا كان رحمه الله تعالى لا يهاب الحكام ولا يداريهم مع أن حكومتهم في الحقيقة استبدادية . وهذا هو الذي أحبط أعماله في بلده وذهب ثروته . غاصب عارف باشا أحد ولاة حلب فأغرى بعض الناس بأن يكتب إلى الاستانة شاكياً من سيئات الوالى شارحاً لها فعمل الوالى بذلك فعمل مكيدة لحبس الفقيه وضبط أوراقه وزور عليه ورقة سماها (لائحة تسليم ولاية حلب إلى دولة أجنبية) وطلب محاكمته عليها وحكم القانون في هذه الجريمة الاعدام ولكنهم غلطوا في معاملته بالحبس وطلب الاستئناف غلطاً قانونياً ما كان ليخفى على الفقيه فكتب إلى الاستانة كتابة مطولة يشهر فيها أن خروج حكومة الولاية عن حدود القانون هو من دلائل تحملها عليه وتحريها ظله وطلب أن يحاكم في ولاية أخرى فأجيب ظله وحوكم في بيروت فحكم برأه وما زال يبيع الوالى حتى عزل بعد عودته إلى حلب وكان هو أول من بشره بالمول بواسطة ناخى الولاية ثم انه أخرج من حلب باهانة عظيمة لأنه أو عز إلى اصناف الفقراء الذين كانوا يسمون الفقير أباهم فاجتمعوا عند داره بهيئات غريبة فترك أهله وخرج كالمهرب وسافر إلى الاستانة وتبعه الفقيه ليحاكمه ولكنه لم يكدر يميل إليها حتى مات قهراً

وكان الشيخ أبو الهدى أفندى الشهير من أعدائه ويقال أن السبب الأول في ذلك إباء الفقيه أن يصدق على نسب الشيخ أبى الهدى هذا وإن الشيخ أبى الهدى صار نقيب أشرف حلب وكانت هذه النقابة من قبل في آل السكواكى . ومن آداب الفقيه العالية أنه كان هنا يثنى على صفات الشيخ أبى الهدى الحسنة كالمروءة والكرم والذكاء والثبات وقلمه كان يخوض بانقاده إلا مع الخواص الذين يعرفون الحقائق فكانت عداوتهما عداوة العقلاء

خسر الفقيد بتلك المحاكمة ألوفاً من الجنيهاً وخسر أضعافها بإدارة شركة انحصار الدخان للمرة الثانية أيضاً لأن الحكومة مكلفة بحفظ أماكن الشركة فلما حدثت فتنة الأرمن امتنع الوالى عن إرسال العساكر لمنع نهب الأرمن مال الشركة. وخسر بسبب مدارة الحكم غير ذلك من المزارع والأرض (منها) مزرعة (جفتلك) جميل باشا الوالى التى اشتراها منه الفقيد فاعتدى عليها زعماء التركان باغراء خفى حتى أخذوها . (ومنها) مزرعة (جفتلك) كانت مستنقعات تابعة للأراضي الأميرية فألف لها شركة وأخذها من الحكومة وجففها فأغرى القرون بعض عشائر الأكراد بالتعدى على حصته فخافهم فحكم لهم عليه بالمساعدة الخفية. وفى أثر ذلك سافر مهاجراً إلى مصر سياسته ورأيه فى الإصلاح : لم يكن الفقيد فى اشتغاله بخدمة بيته وبلده وحكومته

غافلاً عن شئون المسلمين العامة فقد كان يقرأ الجرائد التركية والمصرية حتى الممنوعة التى كانت تدخل إلى حلب كغيرها بوسائط خفية . ولما هاجر إلى مصر كان أول أثر له فيها طبع سجل جمعية أم القرى وكان يقول ان لهذه الجمعية أصلاً وأنه هو توسع فى السجل ونفحه ست مرات آخرها عند طبعه منذ سنتين ونيف أى عقب قدومه إلى مصر . وقد قال لنا مرة إن الإنسان يتجراً أن يقول ويكتب فى بلاد الحرية ما لا يتجرأ عليه فى بلاد الاستبداد بل ان بلاد الحرية تولد فى الدهن من الأفكار والآراء ما لا يتولد فى غيرها . ومن يقرأ الكتاب يظن أن صاحبه صرف معظم عمره فى البحث عن أحوال المسلمين وتاريخهم فى عقائدهم وعلومهم وآدابهم وتقاليدهم وعاداتهم ومنه يعلم رأى الفقيد فى الإصلاح وقد كنا معه على وفاق فى أكثر مسائل الإصلاح حتى أن صاحب الدولة مختار باشا الغازى آتاهنا بتأليف الكتاب عندما اطلع عليه ورعنا نشير إلى المسائل التى خالفنا الفقيد فيها فى هامش الكتاب عند طبعه وأهمها الفصل بين السلطين الدينية والسياسية .

أما آراؤه ومعارفه السياسية فحسبنا منها كتاب طبائع الاستبداد الذى يكاد يكون معجزة للكتاب السياسيين . وقد زعم زاعمون ان معظم ما فى هذا الكتاب مقتبس من كتاب لفيلسوف ايطالى فى الظلم . ومن كان له عقل يميز بين أحوال الإفرنج الاجتماعية وأحوالنا ودوقهم فى العلم وذوقنا يعلم أن هذا الوضع وضع حكيم شرقي يقتبس علم الاجتماع والسياسة من حالة بلاده حتى كأنه يصورها تصويراً وإذا لاحظ مع ذلك ان هذا الكتاب كان مقالات مختصرة نشرت فى المؤيد ثم مدها صاحبها مد الأديم العكاظى وزاد فيها فكانت كتاباً خافلاً يتجلى له علمه الأول بصورة أوضح وأجلى



وإذا علم بعد هذا كله أنه تفحه به الطبع وحذف منه قليلا وزاد فيه كثيرا، يعلم اليقين أن يدوع علم هذا الرجل صدره وأنه كان يزاد في كل يوم فبضائنا وتفجيرا، نعم إنه قال في مقدمته أن بعضه مما درس، وبعضه مما اقتبس، وأنه علم أن لم يولد إنسان عالما ولكن فرقا عظيما بين من يحكي كلام كغيره (النجاشي) وبين من يحكي عقله في علوم الناس فيأخذ ما صمغ عند ويبدل ما لا يحسب من كان له مثل هذا العقل الحاكم في كليات العلوم فهو السيد، وإن كان اجتاده في العلوم العقلية والسكونية وهو الأمام إن كان اجتاده في العلوم الدينية.

وجهه الثاني : وجهه الثاني هو أن توسع في معرفة حال المسلمين أي في الإصلاح على بسيرة فهم الأخبار، التام لبلاد الدولة العلية ركنها وعربها وأكرادها وأرمها ثم اختياره لخص ومعرفة حال بلادها من بلاد مستنيرين في سواحل إفريقية الشرقية ومن بلاد المغرب، ثم توجه في القسم الثاني فاحتمر بلاد العرب التي كانت توسع أملاكهم الأخبار فانه دخلها من سواحل المحيط الهندي وما زال يمشي حتى انتهى إلى بلاد السودان واحتل بالأمراء وشيوخ القبائل وعرف استعدادهم الحربي والأدبي وعرف حالة البلاد الزراعية وعرف كثيرا من معادنها حتى أنه أحضر مودتها منها، وفهم الزيد في حاله الأخيرة إلى كرامته من موافقته للمسلمين، فحضر الله له في مودته ففهم من مودته جهته به صفة من وكيل إيطاليا السياسي في مستعمرة عتاقب به سواحل بلاد العرب وسواحل إفريقيا الغربية ففهم له ذلك الأخبار هذه قبلا أخبارا سبق له لا فائدة من شأن في نفسه رحلة أن يمشي بها إلى بلاد السودان حتى انتهى إلى بلاد السودان ففهم من مودته الزيد التي يحول دون كل أدلة من مودته.

ثم أتت رحلته كرم الأسفل، كبير المدن، وهي أسكن مدينة وتعلم أحسن ما كان ودخل في الأعمال الخفية وراصدى للمشروعات المتعددة كريب في أدق المسائل أحسن الكتابة وساح في البلاد واختبر أحوال الأمم حتى أصبح أشده واستوى كيف يكون حاله وما هي درجة استعدادها؟ هذا هو صديقنا الذي قد علم بالأمس، ففهمنا فقد ناباه الشمس ومثل تلك الأعمال الكبيرة لا يبلغ إلا بالعلماء، ففهمنا أوسمها بالعلماء والجمعاء، ففهمنا كان له أمل في مصر وأمرها أراد الاختيار لافقه، ففهمنا كان لموته تأثير كبير في القسلا والعقلاء، وقد نعى إلى الجناح الحديوي في مدينته له التي مات بها فأمر أن ينقل على نفقة سموة وأن يحل بدفنه فكان ذلك، ففهمنا الله ففهمنا وأحسن عزاء الإسلام والشرق فيه.

يقوى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوله الألباب

الحكمة

١٣١٥

فيشر عباده الذين يستمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه السلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ - ٢٢ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب الدهر واليهجوم ﴾

الدهر والزمن (س ١) احمد افندي عبد الكريم بالزقازيق: نقرا ونسمع

كل يوم من مدام الدهر نظما ونثرا من جميع الملل مالا يخفى عليكم ولا نعلم ما يقصدون بالدهر الذي ينسبون اليه افعالا كالرفع والخفض والمسر واليسر وما يسمى هذا الاسم اهي المدة الزمانية ولا دخل لها في الأفعال أم ماذا؟ والحامل لي على هذا السؤال اني سمعت من أحد العلماء حديثا أدهشني وهو: « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » وقد نرى أكثر سابي الدهر من العلماء الذين لا يغيب عنهم هذا الحديث فما رأيكم في هذا السؤال وفي صحة الحديث أجيبوني ولكم مزيد الشكر ومن الله الاجر

(ج) اختلف العلماء في تفسير الدهر والزمان والنسبة بينهما فقال الراغب الدهر اسم لمدة العالم من مبداه الى منتهاه ثم صاروا يطلقونه على المدة الطويلة وأما الزمان فيطلق على المدة الطويلة والقصيرة اطلاقاً حقيقياً وزعم السعد ان الدهر طول الزمان . وقد فشا بين الأدباء والشعراء فم الدهر والزمان ونسبة الحوادث السيئة اليهما وترى شعراء العرب بعد الاسلام فلما يذنون الدهر وإنما يذمون الزمن . ولا يقصد هؤلاء ولا أولئك بالزمن أو الدهر حركة الفلك أو الليل والنهار أو ما يقول المتكلمون في تعريف الزمن « مقارنة متجدد معلوم لتجدد وهووم » وإنما يقصدون ان تعاستهم أو شقاءهم وكل ما يشكون منه لم يكن من تقصيرهم وإنما علته عدم واثابة الشؤون السكونية المتعاقبة بغيرهم من الخلق ولما كانت هذه الشؤون التي يتوقف عليها النجاح مع سعي الانسان غير معينة صاروا ينسبونها الى أهم

شيء يمكن أن تسند إليه وهو الزمن أو الدهر
وقد حكى الله تعالى عن بعض الملاحدة نسبة الإحياء والاماتة الى
الدهر فقال « وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحي وما يهلكنا الا
الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » والظاهر انهم يعنون ان
هذا هو المعروف بطول الدهر فلا يوجد شيء آخر يحي ويميت وهذا النقي
المطلق جهالة لا دليل عليها . وأما الحديث فقد جاء في صحيح مسلم بلفظ
« لا يسب أحدكم الدهر فان الدهر هو الله تعالى » وورد بلفظ آخر عند
أبي داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وهو : « قال الله عز وجل
يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره » ورواه
غيرهم وله الفاظ أخرى لا حاجة الى استقصائها . ولم يرد اسم الدهر في
أسماء الله تعالى لانه أطلق عليه سبحانه على سبيل التجوز والمعنى فيه ان
الشيء الذي يسند اليه الناس الافعال ولا يعرفون حقيقة وانما يسمونه
الدهر لأنه غير متميز في علمهم الناقص هو الله جل شأنه لانه هو الفاعل
المختار الذي يرجع اليه الامر كله

الدعاء والقضاء وطول العمر (س ٢) أحمد أفندي متولي بمصر : اطاعت على حديث
في تفسير الخازن هذا نصه : عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
« لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » وهذا مضاد لما اعتقده
من انه لا راد لقضاء الله وان العمر لا يزيد ولا ينقص لقوله تعالى « لكل
أجل كتاب » وقوله جل ذكره « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يتقدمون » فالجاء افادتنا عن ذلك

(ج) اتفق النقل مع المعتل على ان كل ما يقع في الوجود فانما يقع

بحسب ما في علم الله تعالى لأن وقوع شيء على خلاف ذلك يستلزم الجهل وهو محال على الله تعالى فما خالف هذه العقيدة خلافاً حقيقياً فهو مردود ونقطع بأنه مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا لم يمكن تأويله وإرجاعه إليها . وقد أول العلماء حديث « لا يرد القضاء الا الدعاء » فقالوا قد يكون في علم الله تعالى ان فلانا يصاب بكذا أو يكون بصد أن يصاب به فيدعو الله فينكشف عنه البلاء الذي كان مائلاً نزوله او دوامه على عدم الدعاء وانكشفه على الدعاء ويسمون هذا القضاء المعلق . أما القضاء المبرم وهو ما سبق في علم الله تعالى أن يكون لا محالة فهو الذي لا يمكن أن يرد . واذا كان هذا التقسيم لاجل الجواب عن هذا الحديث فهناك أحاديث لا يمكن ان يجاب عنها ما أخرجه أبو الشيخ عن أنس مرفوعاً « أكرم من الدعاء فان الدعاء يرد القضاء المبرم » وما أخرجه ابن عساكر عن نعيم ابن أوس مرسلاً « الدعاء جند من أجناد الله مجندة يرد القضاء بعد المبرم » . والحديثان ضعيفان السند جداً . والحديث الوارد في السؤال رواه الترمذي والحاكم . وقد ذكر المحدثون ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للمقائد القطعية والاصول الثابتة ومنها مخالفته للعقل والوجود

وأما كون البر يزيد في العمر فقد ورد بمعناه أحاديث في الصحيح وهو كلام في الاسباب لا في علم الله تعالى وقضائه في المباد . قال بعض العلماء في تفسيره ان أهل البر يكونون أهنأ الناس عيشاً لما بينهم وبين والديهم وأهلهم وسائر الناس من الحب وحسن المعاملة وهذه هي الزيادة في العمر فان من يعيش بالمناكدة والفجور كأنه لم يعيش لأن حياته تذهب سدى . وفيه وجه آخر وهو ان البر وحسن الاخلاق والاعتدال في الامور من

اسباب الصحة واعتماد المزاج والصحة هي مادة طول الحياة في الغالب وهذا مما يأتي بالنسبة لحالة البنية واستعداد الشخص لا بالنسبة لما في علم الله تعالى لانه لا يتغير وأكثر الكلام بين الناس يكون في الاسباب لا في أصول العقائد وقد أوضحنا هذه المسئلة في الدرس ١٦ من الامالى الدينية (راجع ٥٥٨: ٣)

رضاع الزوج من الزوجة (س ٣) م . ص . في الجزية : اذا رضع الزوج ندي زوجته هل تحرم عليه ؟

(ج) لا فان حكم الرضاع انما يثبت في الصغير عند جماهير العلماء من السلف والخلف والمروى عن الائمة الاربعة وغيرهم انه لا تأثير له بعد الحواين وفيه حديث رواه الدارقطني عن ابن عباس « لا رضاع الا ما كان في الحواين » وفي حديث صحيحه الترمذي عن ام سلمة « لا يحرم من الرضاع الا ما فتى الامماء وكان قبل النظام » والمراد بفتى الامماء كونه عمدة في التغذية ولكن وردت احاديث اسخ من هذه في التحريم برضاع الكبير وقد اجابوا عنها بما يحتمل البحث ومن اراد الاحتياط فلا يجنب كل ما فيه خلاف . وأما سؤالكم الاول فاننا لم ندره وسنجيب عن اقتراحكم في الطلاق عند سنوح النروسة .

القسم المسمى

فرنسا والاسلام

لا تزال دولة فرنسا في حيرة وعمة لا تهتدي معها الى طريقة تطمئن اليها في سياسة مستعمراتها الاسلامية فكثرت من الفلاسفة والسياسيين يواصلون البحث في الاسلام على مر الايام والاعوام لأجل اشراع هذه

الطريقة وما هم بمشرعيها ولما تطعن نفوسهم الى شئ كاطمئنان نفس
انكثرا في سياسة مستعمراتها الاسلامية وغير الاسلامية . لقد ظهرت
نتيجة حسن سياسة انكثرا في ارتباكها بحرب الترانسفال فلقد كانت
عاجزة عن تأديب مملكة واحدة من ممالكها الاستعمارية الواسعة اذا هي
تألبت عليها ونارت تريد الخروج من دائرة سلطتها . والله يعلم ما يكون
من أضرار مستعمرات فرنسا معها اذا وقعت في مثل ذلك الارتباك وانتهت
الى مثل ذلك الخطر الذي كانت فيه انكثرا أيام كانت الحرب في شبابه .

سلكت فرنسا مع المسلمين مسلك العنف والضغط حتى حالت
بين المسلمين الذين تحت سيادتها أو حمايتها وبين العلم والتعليم وزعمت ان
فرقا بينها وبين انكثرا فانها تحكم شعوبا لا تزال الشبهة الاسلامية
والشجاعة العربية متمكنة في نفوسها وان انكثرا تسوس قوما فسد بأسهم
وهجرتهم الشجاعة والشهامة بما توالى عليهم من ظلم حكامهم كالهنديين
والمصريين الذين لا تخشى بادرتهم . ولا تحذر غائلتهم . وجهات أقرب
حوادث التاريخ في مصر وهو خروج المصريين على حكامهم الذين يدينون
بدينهم وينطقون بلغتهم عندما أمكتهم الغرة من الخروج عليهم حتى كان
العلماء وهم أبعد الناس عن السياسة من خطباء الثورة العراقية ودعاتها بعدما كانوا
يقولون بوجوب طاعة هؤلاء الحكام والخضوع لهم . ولا أنسى كلمة سمعتها من
كبير العلماء في بلد من سوريا قالها في محفل كبير ذكرت فيه الثورة العراقية
فقال ذلك الشيخ رحمه الله « كلنا عراقيون » ودعا العراقي وحزبه بالنصر .
واذا وجد في العلماء رجل واحد بصير بالسياسة كان يحذر العراقيين
وينذرهم سوء عاقبة الثورة كالشيخ محمد عبده فذلك لا ينافي أن الجماهير

كانوا راضين عنها وداعين اليها

أتجهل فرنسا ان سياسة الظلم والقسوة التي نفخت روح الثورة في المصريين الجبناء في نظرها على حكمهم المسلمين تخشى عاقبتها من الجزائريين والتونسيين وهم من أهل النجدة والبأس والشجاعة والشهامة ؟ أتجهل السر في سكون هؤلاء الذين عهدهم بالثورة غير بعيد عند ظهور انكسار انكسار انكسار في الحرب المرة بعد المرة ؟ السر ظاهر غير مكتوم وهو انهم في رخاء من الميش يرقون في ظلال الحرية التامة ونعيمها . نعم انهم يمتنون الاستقلال التام لأنه هو كمال الحياة الاجتماعية ومن نجا من الاستعباد والاستبداد ، يشتهي كمال الاستقلال ، ولكن الناس لا ينبشون الى الثورة الا بالظلم والتضييق فان الانفجار نتيجة الضغط

اذا كانت انكسار لا تساعد استمداد الشعوب على الترقى كما هو شأنها في زنجبار فانها قلما تعارضه لانها لا تحارب الطبيعة فقد كان مسلمو الهند في جهل وخمول فتركهم وشأنهم فظهر فيهم مرشدون اشتغلوا بتربيتهم وتعليمهم فصادفوا من الحكومة الانكليزية ارياحاً بل تشيخاً ومساعدة وأعظمهم الحرية التامة في انشاء المدارس والجراند وعقد الجمعيات . والبريد عندهم حر فلم نسمع ان جريدة منعت عن الهند وان مكتوباً ضاع او رسالة اختزلت او كتاباً ارسل فلم يصل فهل تعامل فرنسا اهل الجزائر بمثل هذه المعاملة او بما يقرب منها ؟

لقد كان لفرنسا في سيرة الانكليز في الاستثمار ما يفيها عن كثرة البحث والتأليف والتصنيف في حال المسلمين وكيف ينبغي ان يعاملوا ويفنيها عن تأليف اللجنة التي انشأتها من عهد قريب لتمحيص البحث في

هذه المسئلة

يحكم كتاب فرنسا وساستهم على المسلمين من غير ان يستشيروهم او يرفوا ما يكتبه الاحرار العارفون بالدين واهله عنهم ولكن بعض حكاهم يستكتبون بعض المصاديق لهم ما ارادوا وينشون انفسهم وقومهم بما يوهوهم ان هذا هو رأي علماء المسلمين واهل الرأي فيهم . اكثر ما يكتبه الفرنسيون عن الاسلام والمسلمين يحفظ القلوب ويثير الاحقاد ويخرج الاضغان وكل هذا يحتمل ما دامت القوة فاذا عرض عليها ما يضعفها فهناك يحصدون شر ما يزرعون . وليس من العقل الاغترار بدوام القوة

الفرنسيون ابعد الناس عن الدين وعن التعصب له ولكنهم اذا كتبوا عن الاسلام فاما يفتشون السوم ويظنون المسلمين بطل من يحموم؛ الا ما كان من فيلسوف حكيم يكتب للعالم لا لسياسة . حكومة الجمهورية ليست مسيحية فتعصب على الاسلام لاجل النصرانية وانها لتقاوم النصرانية في بلادها كما تقاوم الاسلام في مستعمراتها وانكنا . تعتقد ان المسلمين قوم حرب وان دينهم يطالبهم بان يكونوا سائدين غير مسودين وانهم يتربصون بمن يسودهم الدوائر حتى اذا ما صنعت لهم الفرصة وثبوا ، فسلبوا ونهبوا ؛ وان السياسة الواقية ان يوضعوا في الاوهاق ؛ وتفل الأيدي الى الاعناق ؛ وان تحجب شمس العلم عن الانظار ؛ وتحول بين الاسماع وما في العالم الاسلامي من الاخبار ؛ وان تراقب الحكومة السائحين ، اذا كانوا مسلمين او عثمانيين ؛ - ومن الاعتقاد ما هو ظن وان بعض الظن اثم . ولا شيء يخرج الصدور ؛ ويمض النفوس مثل هذه

المعاملة السوءى لأنها برهان على ان هذه الحكومة تبغض المسلمين والجاهل لا يعرف سببا للعداوة والبغضاء الا الأمر العام وهو الدين لذلك يعتقد الا كثرون في المستعمرات الفرنسية ان فرنسا تبغض المسلمين لأنهم مسلمون يعبدون الله من دون المسيح ويؤمنون بمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نحن والمقلاء نقول ان الأمر ليس كذلك ومثلنا من يقدر على إقناع المسلمين لأننا من خدمة الدين والعلم فيهم ولكن هذا الإقناع يتوقف على وصول صوتنا الى تلك المسامع وفرنسا لا ترضى بذلك بل ولا ترضى بأن يتعلم المسلمون الا اللغة الفرنسية التي تزيد المسلمين بغضا في فرنسا كما صرح بذلك بعض كتابها وذلك انهم يرون في الكتب والجرائد الفرنسية الطعن الموجه مصوبا دائما الى صدور المسلمين . وفرنسا أقدر منا على إقناع المسلمين بحسن نيتها وسلامة عاقبتها اذا برهنت عليه بالعمل ولكن يتعذر عليها إقناع مسلم واحد بالقول وان أوتيت من سحر البيان ، وخلاصة الاسان ، ما لم يؤثته إنسان ؛

فرنسا في شك صريح من أمر مسلمي مستعمراتها لا تدري أين يمكن أن تعيش معهم في وئام ، وهدون وسلام ، أم ذلك من الآماني والاهام ، التي لا تدرك ولا ترام ، ولا شك عندنا نحن في الامكان ، وانرناب لا يقنعه البرهان ، ولكن ربما تقنعه حوادث الزمان ، والمريب يكون دائما في حذر ، والظالم لا يمكن ان يأمن الغيرة . ولو أخلصت فرنسا الذية ، لعرفت القضية ، وبافت الأمنية ،

لو اطاعت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت فيهم على أحكام شريعتهم وآدابها وساعدتهم على تربي بلادهم وعمرانها وأقامت

فيهم العدل وأباح لـ كل أحد أن يمازجهم ويرى ما هم فيه حيثئذ من غبطة
ونعيم لكانت هذه المعاملة الحسنى اقوى جاذب يجذب جيرانهم المراكشيين
الى الدخول في حكم الولاية الجزائرية قبيلاً بعد قبيل لاسيما اذا جعلت
للاولايه حاكماً مسلماً يصدر الاحكام الشرعية وينفذها .

قد نعلم ان من الفرنسيين من يستخر من هذا الكلام اذا سمعه متوهماً
اننا نقوله خداعاً لهم لا عن اعتقاد منا بصحته . ولا يعلم الساخر المفروض اننا
أقرب الى الشك في كون إحسانهم معاملة المسلمين خيراً للمسلمين منا الى
الشك فيما قلناه فان الظلم والقسوة في المعاملة هي التي تربي الأثم وترجع
اليها استعدادها المفقود ، او تبث فيها استعداداً لم يكن بالموجود ، ولقد
كانت الحرب الروسية العثمانية اكبر منية للمسلمين الى الحياة الاجتماعية
في مشارق الارض ومقاربها وإن كانت اكبر خسارة على المسلمين في
الظاهر . وان من سياسة المسلمين وعقلائهم من يعتقد ان نجاح الاسلام الاكبر
يتوقف على سقوط كل هذه الحكومات الاسلامية التي بقيت لها رسوم
ماثلة فان أعظم ادواء المسلمين الاجتماعية اعتمادهم على حكوماتهم واستبداد
حكامهم بهم فلن تعود اليهم قوتهم الحقيقية واستقلالهم الذاتي الا بسقوط
هذه الرسوم ليرجعوا الى قوتهم الذاتية الاستقلالية

بم يفسر مسلمو الجزائر وتونس وغيرهم عداوة فرنسا للسيد المهدي
السنوسي وهو من رجال الدين وشيوخ الطريق ولماذا يكتب الفرنسيون في
جرائدهم وكتبهم انه لا بد من استئصال قوته ، واصطلام دعوته ؛ واتخاذ
جذوته ؛ كما بينا ذلك في الممدد ٢٣ من منار السنة الاولى ولماذا لا يحفل
الانكاز بذلك ولا يبحثون عن زواياه واتباعه في السودان ومصر ولماذا لم

يكتب أحد من الإنكابر ناصحاً قومه وهيناً لهم الحيل والدسائس التي
تفتت بها القوة السنوسية ؟؟ أن سياسة فرنسا في أفريقيا خرقاء وربما
تكشف هذه المناوشات الأخيرة بينها وبين المهدي السنوسي خرقها إلا إذا
أراد الله لها زيادة الاستدراج والاملاء إلى أجل مسمى وإلى الله المصير
(يطالب خبر محاربة فرنسا والسيد المهدي السنوسي في باب الأخبار)

نموذج من كتاب دلائل الإعجاز الإمام عبد القاهر الجرجاني

(تمة الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه ، وذم الاشتغال بعلمه وتبعه)
كان آخر القول في النبذة الماضية أن النبي كان يستنشد عائشة فنشده ما تقدم

قالت فيقول عليه السلام « يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عباده صنع
إليك عبدي ، مروفاً فهل شكرته عليه فيقول يارب علدت أنه منك فشكرتك
عليه قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني أفلم تشكر من أجرته على يده » :
(وأما) علمه عليه السلام بالشعر فكما روي أن سودة أنشدت
« عديّ وتيم تبتغي من تحالف » فظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما
أنها عرّضت بهما وجرى بينهما كلام في هذا المعنى فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فدخل عليهن وقال « يا ويلكن ليس في عديكن ولا تيمكن قيل
هذا وإنما قيل هذا في عدي تيم وتيم تيم » . وتام هذا الشعر :

تحالف ولا والله تهبط تلمة من الأرض إلا أنت للذل عارف^(١)
ألا من رأي العبدن أودكر له عدي وتيم تبتغي من تحالف

(١) التلمة تطلق على ماء على وعلى ما أسفل من الأرض وقيل هي ما اتسع من فوهة الوادي

وروى الزبير بن بكار . قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمه
 أبو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكة :
 يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد الدار
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هكذا قال الشاعر » قال
 لا يارسول الله ولكن قال :
 يا أيها الرجل المحول رحله هلا سألت عن آل عبد مناف
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كنا نسميها .
 (وأما) ارتياحه صلى الله عليه وسلم للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه
 الخبر من وجوه من ذلك حديث النابغة الجعدي قال أنشدت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قولي :

بلغنا السماء مجذنا وجدودنا وانا نرجو فوق ذلك مظهرا
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » فقلت الجنة
 يارسول الله قال « أجل ان شاء الله » ثم قال « أنشدني » فأنشدته من قولي :
 ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادٍ تحمي صفوه أن يكدر^(١)
 ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما أورد الأمر أصدرا
 فقال صلى الله عليه وسلم « أجدت لا يفضض الله فاك » قال الراوي

(١) البوادر جمع بادرة وهي الحدة أو ما يبدر من الانسان عند الحدة
 من الحفة الى الانتقام بالقول او الفعل . والحديث رواه ابن عساكر وابن النجار
 بلفظ [مجذنا] بدل [مجذنا] وفيه انه انشد اليتين بعد ذلك من نفسه فقال له
 عليه السلام « لا يفضض فوك » مرتين قال الراوي وهو يعلى بن الاشدق فلقد رأيت
 بعد عشرين سنة ومائة وان لأسنانه أشرا كأنه البرد . والاشر الحدة والرقعة في
 اطراف الاسنان والتحزير الذي يكون فيها

فنظرت إليه فكان فاه البرد المثل ما سقطت له سن ولا انفلت ترف غروب^(١)
 (ومن ذلك) حديث كعب بن زهير روي أن كعباً وأخاه بجيرا
 خرجا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف فقال
 كعب لبجير: الق هذا الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر ما يقول وقدم بجير
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم وبلغ ذلك
 كعباً فقال في ذلك شعراً فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فكتب إليه
 بجير يأمره أن يسلم ويقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول وأن من
 شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل منه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأسقط ما كان قبل ذلك فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه
 وسلم قصيدته المعروفة:

بانت سعادة قلبي اليوم مقبول	متيم إثرها لم يفد من لول ^(٢)
وماسعاد غداة البين أذرحات	الأغن غضيض الطرف مكحول
تجلوعوارض ذي ظلم إذا بدست	كانه منهل بالراح ^(٣) لول
سح السقاء عليه ماء محنية	من ماء أبطح ضحى وهو مشمول ^(٤)

« الغروب الاسنان ورفيفها برقعها كذا في الهامش بخط الأستاذ وقبل هذه الجملة
 « ولا انفلت » ويظهر لي أن أصحها « ولا انفكت » وهي مع روف غروب جملة
 واحدة « والانتلال التلم والاشر » ٣ « المذبول من سبيل الحب إذا أضناه وأفسده أو ذهب
 بابه وعقله » والمزيم المذلل المبهك « والمغلول من وضع الغل في عنقه وفي رواية
 « مكبول » وهو المقيد بالكبل أي القيد « ٣ » وفي نسخة « سح السقاء عليها » أما الرواية
 المشهورة في البيت فهي

شجّت بذي سبم من ماء محنية صاف بأبطح ضحى وهو مشمول

أكرم بها خلّة لو أنها صدقت موعودها أولوا أن التصح مقبول^(١)
 حتى أتى على آخرها فلما بلغ مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إن الرسول لسيف يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول^(٢)
 في فتية من قريش قال قائلهم بطن مكة لما أسلموا زولوا
 زالوا فما زالوا انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل مما زيل
 لا يقع الطعن إلا في منحورهم وما بهم عن حياض الموت تهليل
 شم المرانين أبطال أبوسهم من نسج داود في الهيجم سرايل
 أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق أن اسمعوا قال وكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من أصحابه مكان المائدة من القوم
 يتخلفون حلقه دون حلقه فيلتمت إلى هؤلاء وإلى هؤلاء والأخبار فيما
 يشبه هذا كثيرة والأثر به مستفيض

وان زعم أنه ذم الشعر من حيث هو موزون مقفى حتى كان الوزن
 عيباً وحتي كان الكلام إذا نظم نظم الشعر اتضع في نفسه وتغيرت حاله ،
 فقد أبد وقال قولاً لا يعرف له معنى وخالف العلماء في قولهم : إنما الشعر
 كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح^(٣) . وقد روي ذلك عن النبي صلى
 عليه وسلم مرفوعاً :

فان زعم أنه إنما كره الوزن لأنه سبب لان يقف في الشعر ويلتهى به : فانا اذا

« ٤ » وفي رواية « وَيَأْمُرُهَا خَلَّة » (٥) وفي رواية لنور بدل لسيف ، ولا تفسر
 الأبيات فالتقصيدة شهيرة ، وشروحها في الأيدي على أنني لم أر أحداً من المحدثين رواها
 (٦) روى الدارقطني في الأفراد عن عائشة والبخاري في الأدب والطبراني في
 الأوسط وابن الجوزي في الواهيات عن عبد الله بن عمر ، والشافعي والسهوي عن
 مرسلاً : (الشعر كلام بمنزلة الكلام فحسنه حسن الكلام وقبيحه قبيح)

كنا لم ندعه الى . . . من أجل ذلك وانما دعونا الى اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والمنطق الحسن ، ر . الام . اليين ، والى حسن التمثيل والاستعارة ، و الى التلويع والاشارة ، والى صنعة تعمد الى المعنى الخسيس فتشرفه ، والى الضئيل فتفخمه ، والى النازل فترفعه ، والى الحامل فتؤه به ، والى العاطل فتجليه ، والى المشكل فتجليه ، فلا متعلق له علينا بما ذكر ، ولا ضرر علينا فيما أنكر ، فليقل في الوزن بما شاء ، وليضعه حيث أراد ، فليس يعنيننا أمره ، ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه ، وهذا هو الجواب المتعلق ان تعلق بقوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وأراد أن يجعله حجة في المنع من الشعر ، ومن حفظه وروايتيه ، وذلك اننا نعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعر من أجل ان كان قولاً فصلاً ، وكلاماً جزلاً ، ومنطقاً حسناً ، وبياناً بياناً ، كيف وذلك يقتضي ان يكون الله تعالى قد منعه البيان والبلاغة ، وحماه الفصاحة والبراعة ، وجهله لا يبلغ مبلغ الشعراء في حسن العبارة ، وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم . وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من انه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب . وانما يقال ان يكون المنع من أجل هذه المعاني وكنا قد أعلمناه اننا ندعو الى الشعر من أجلها ونحذو بطلانها على طلبها كان الاعتراض بالآية محالاً ، والتعلق بها خطأ من الرأي وأما محالاً :

فان قال اذا قال الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فقد كرهه للنبى صلى الله عليه وسلم الشعر ونزهه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت لا توجه اليه من حيث هو كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك فانها توجه الى أمر لا بد لك من التلبس به في طلب ما ذكرت انه مرادك من الشعر وذلك انه لا سبيل لك الى أن تميز كونه كلاماً عن كونه شعراً حتى اذا رويت التلبس به من حيث هو كلام ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال ، واذا كان لا بد لك من التلبس بموضع الكراهة فقد لزم العيب برواية الشعر واعمال اللسان فيه . قيل له (١) هذا منك كلام لا يتحصل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن حط ذلك من قدره وأزرى به وجلب على المفرغ له في ذلك القالب أثماً ، وكسبه ذمماً ، لكان من حق العيب فيه أن يكون على واضع الشعر أو من يريد له مكان الوزن خصوصاً من يريد له لأمر خارج عنه ويطلبه لشيء سواه فاما قولك انك لا تستطيع ان تطلب من الشعر ما لا يكره

حتى تلتبس بما يكره فاني اذا لم أقصده من أجل ذلك المكروه ولم أرد له وأردته
 لأعرف به مكان بلاغة ، وأجعله مثالا في براعة ، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة
 وأنظر الى نظمه ونظم القرآن ، فأرى موضع الإعجاز وأقف على الجهة التي منها كان ،
 وأبين الفصل والفرقان ، فحق هذا التلبس ان لا يعتد علي ذنباً وان لا أواخذ به اذ
 لا تكون مؤاخذه حتى يكون عمداً الى أن تواقع المكروه وقصد اليه (١) وقد تتبع
 العلماء الشعوذة والسحر وعنوا بالتوقف على حيل الموهين ليصرفوا فرق مابين
 المعجزة والحيلة فكان ذلك منهم من أعظم البراذن كان الغرض كريماً والقصد شريفاً
 هذا واذا نحن رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار ، وما صح من الآثار ، وجدنا
 الامر على خلاف ما ظن هذا السائل ورأينا السبيل في منع النبي صلى الله عليه وسلم
 الوزن وأن ينطلق لسانه بالكلام الموزون غير ما ذهبوا اليه ، وذلك انه لو كان منع
 تنزيه وكراهة لكان ينبغي أن يكره له سماع الكلام موزوناً وأن ينزه سمعه عنه كما ينزه
 لسانه ولو كان صلى الله عليه وسلم لا يأمر به ولا يحث عليه ، وكان الشاعر لا يمان على
 وزن الكلام وصياغته شعراً ولا يؤيد فيه بروح القدس ، واذا كان هذا كذلك
 فينبغي أن يعلم أن ليس المنع في ذلك منع تنزيه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه
 السلام اياه سبيل الخط حين جعل عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع
 من أجل كراهية كانت في الخط بل لأن تكون الحجة أبهر وأقهر ، والدلالة أقوى
 وأظهر ، ولتكون أكم للجاحد (٢) وأقع للعائد ، وأرد لطالب الشبهة ، وأمنع في
 ارتفاع الرتبة ،

وأما التعلق بأحوال الشعراء بأنهم قد ذموا في كتاب الله تعالى فما أرى عاقلاً
 يرضى به أن يحمله حجة في ذم الشعر وتهجينه ، والمنع من حفظه وروايته ، والعلم بما
 فيه من بلاغة ، وما يخص به من أدب وحكمة ، ذلك لانه يلزم على قود هذا القول
 أن يعيب العلماء في استنهادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير
 القرآن وغريبه وغريب الحديث ، وكذلك يلزمه أن يدفع سائر ما تقدم ذكره من
 أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر واصفائه اليه واستحسانه له ، هذا ولو كان يسوغ
 ذم القول من أجل قائله ، وأن يحمل ذم الشاعر على الشعر لكان ينبغي أن يخص

(١) وقال ان كلمة (قصد) معطوفة على (عمد) (٢) أكم من كم البعير اذا شد

قام بالكمام عندهما جه لئلا يعض أولاً لجل منعه الأكل

ولا يُعَمَّ وأن يستأني فقد قال الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) ولم لا أن القول يحجر بعضه بعضاً وأن الشيء يذكر بدخوله في
القسمه فكان حق هذا ونحوه أن لا يتشاغل به وأن لا يعاد ويبدأ في ذكره اهـ

(١٠) رسالة الاجتماع الرابع للجمعية أم القرى

قد وجد فينا علماء كان أحدهم يطالع في الكتاب أو السنة على أمر أو شيء
فيتلقاه على حسب فهمه ثم يعسدي الحكم إلى أجزاء الأمور به أو المنهي عنه أو إلى
دواعيه أو إلى ما يشاء كله ولو من بعض الوجوه وذلك رغبة منه في أن يلتبس لكل
أمر حكماً شرعياً فتختلط الأمور في فكره وتشابه عليه الأحكام والاسماء من تعارض
الروايات فيأنزِم الأشد ويأخذ بالأحوط ويجمع شرعاً ومذهباً من توسع فصار يحمل
كل ما فعله أو قاله الرسول عليه السلام على التأميم والحق كما سبق لنا ذكره أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة
ومنها من توسع فصار لا يرى لزوماً لتحقيق معنى الآية أو لاثبات في الحديث إذا
كان الأمر من فضائل الأعمال فيأخذ بالأحوط فيعمل به فيقتنع في التشديد ويعطن
اليس منه ذلك ورعاً وقوى ومزيد علم واستثناء بالابتن في إيلان إلى تقليده ويرجعون
إليه على غير ذلك

وهكذا عظم التشديد في الدين بالمعالي حتى صار الحسب والأغلال فكأنما لم تقبل
 ما من الله به علينا من التخفيف . وأن وضع عنا ما كان ثقي غيراً من ثقل التكليف .
 قال تعالى ثابته وحجج حكيمه : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وقال
 جات منه : « وبشراً » ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . أي يخفف
 عنهم التكليف الثقيل . وعلمنا كيف نذكره بعد أن بينا ثابته . لا يكلف الله
 نفساً إلا وسعها . وهو أن تقول : « ربنا ألأول خير من سائر الأنبياء »
 ربنا ولا نعلمنا عليه إصر الحج . ثابته على الدين من قبلنا . وقال تعالى
 « لا أعلم في ديني » وقال في حديثه : « إن يثابركم أحد إلا غلبه » (١) وفي

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهَذَا لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا غَالِيهِ
فَسَدُّوا وَقَارِبُوا ۖ وَرَوَاهُ غَيْرُهُ أَيْضًا

حديث آخر « هلك المتعاطون » (٢) أي المتشددون في الدين وظن بعض الصحابة أن ترك السجود أفضل بالنظر إلى سكرة تبريح الصيام فنهاهم النبي عليه السلام عن ثلث الفضيلة في تركه : وقال عمر رضي الله عنه « في حضور رسول الله لمن أراد أن يصل النافلة بالفرض » بهذا هلك من قبلكم » (٣) فقال النبي عليه السلام « أصاب الله بك يا ابن الخطاب » وانكر النبي عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له « أرغبت عن سنتي » فقال بل سنتك أيني قال « فإني أصوم وأفطر وأصلي وأتم وأكح النساء فمن رغب عن سنتي فليس بي » (٤) وقد كان عثمان بن مظعون واحداً من عزودوا على سرد الصوم وقيام الليل والاحتشاء وكانوا حرموا الفطر على أنفسهم ظناً به قربته إلى ربهم فنهاهم الله عن ذلك لأنه غلو في الدين واعتداء فيه فأنزل « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيعت ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » أي أنه لا يحب من تعدى حدوده ومارسه من الاعتداء في أمور الدين : وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام « والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا أمرتكم به وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا نهيتكم عنه » (٥) فإذا كان الشارع يأمرنا بالانحزام ما وضع لنا من الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد وورد في حديث البخاري « أن أعظم المسامحة جردنا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته » (١) وبمقتضى هذا الحديث نقول ما أحق ببعض المختفين المتشددين بوصف المجرمين . وهذه مسألة السواك مثلاً فإنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها أنه قال « لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك » (٢) فهذا الحديث مع صراحته في ذاته أن السواك لا يتجاوز حد التدب جماله إلا كثرون سنة وخصه بعضهم بعمود الأراك وعمم بعضهم الأصبع وغيرها بشرط عدم الإدماء وفصل بعضهم أنه إذا قصر عن شبر وقيل عن فتر كان مخالفاً لسنة وتفقن آخرون بأن من السنة أن تكون فتحة مقدار نصف الإبهام ولا يزيد عن غلط أصبع وبين بعضهم كيفية استعماله فقال بسند بياض رأس الخنصر ويمسك بالأصبع الوسطى ويدعم بالإبهام قائماً . وفعل بعضهم أن يبدأ بإدخاله مبلولاً في الشدق الأيمن ثم يراوحه ثلاثاً ثم يتفل ويقبل بعضهم ثم يراوحه ويتضمنه ثانية وهكذا يفعل مرتين ثم يمتحن بعضهم في أن هذه المضمضة هي تكفي عن سنة المضمضة في الوضوء أم لا ومن قال لا تكفي احتج بثلاثين الف مرة : واختلفوا في أوقات استعماله هل هو في اليوم مرة أو عند

كل وضوء أو عند تلاوة القرآن أيضاً حتى صاروا يتبركون بعود الأراك يخللون به
الفم يابساً والبعض يعدون له كثير من اللواص منها انه اذا وضع قائماً يركبه الشيطان
والبعض خالف فقال بل اذا التي يورث مستعملة الجذام : ويتوهم كثير من العامة
ان السواك بالأراك من شعار دين الاسلام الى غير هذا من مباحث التشديد والتشويش
المؤدين الى الترك على عكس مراد الشارع عليه السلام من التمدد الى تعهد الفم
بالتنظيف كيفما كان

ثم قال « العالم النجدي » هذا ما ألهمني ربي بيانه في هذا الموضوع وربما كان
لي فيه سقطات ولا سيما في نظر السادات الشافعية من الإخوان كالملاية النصري
والرياضي الكردي لأن غالب العلماء الشافعية يحسنون الظن بفلاة الصوفية وياتمسون
لهم الاعتذار وهم لاشت أبصر بهم من معاشر أهل الجزيرة لفقدانهم بين أظهرنا
كلاً وتندرتهم في سواحنا ولولا سياحتي في بلاد مصر والعرب والروم والشام لما
عرفت أكثر ما ذكرت وانكرت الا عن سماع وانكنت اقرب الى حسن الظن ولكن
مابعد البيان لتحسين الظن بحال وما بعد الهدى الا الضلال فنسأل الله تعالى ان
يهدينا سواء السبيل

فاجابه العلامة النصري : ان أكثر الصوفية من رجال مذهبنا ونحن معاشر
الشافعية نتأول فهم كثيراً ما ينكره ظاهر الشرع ونلتبس له وجوهاً ولو ضعيفة لانتها
نرى مؤسسي التصوف الأواين كالجنيد وابن سبويه من أحسن المسلمين حالاً وقالوا
وفيما يلوح لي ان منشأ ذلك فينا جملة أمور منها كون علماء الشافعية بعيدين عن
الامامة والسياسة العامة الا عهداً قصيراً . ومنها كون المذهب الشافعي مؤسساً على
الأحوط والأمكن في المبادئ والمبادئ أي على العزائم دون الرخص : ومنها
كون المذهب مبنياً على مزيد العناية في النبات . فالشافعي في شغل شاغل بمخوصة نفسه
وهم مستمر من جهة دينه وتحويل على تصحيح النبات وتحسين الظن ومن كان كذلك
مال بالطبع الى الزهد والعجاب بالزاهدين وحمل أعمال المتظاهرين بالصلاح على الصحة
والاخلاص بخلاف العلماء الحنفية فمنهم من عهد أبي يوسف لم ينقطع تقابهم في النظر في
الشؤون العامة في عموم آسيا وكذا المالكية في الغرب وأمارات أفريقيا والحنابلة والزيدية
في الجزيرة ومن لوازم السياسة الحزم وتغليب سوء الظن واتقان النقد والأخذ بالجرح
ومحاكمة الشؤون لاجل العمل بالأسهل الأنسب

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بأنهم كانوا ولا يزالون بعيدين عن التوسع

في العلوم والفنون وهم لم يزالوا أهل عصبية وصلابة رأي وعزيمة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام فيهم « ان الشيطان قد أيس أن يعبد » المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش « (١) أي اغراء بعضهم ببعض وكذلك أهل الجزيرة لم يزال عندهم بقية صالحة كافية من السابقة العربية فاذا قرأوا القرآن أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان فينفرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سمماً للاشكالات فلا يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتسويش ، وأما غيرهم من الأمم الإسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون الغناء في استخراج المعاني والمفاهيم ومن طبيعة كل كلام في كل لغة أنه اذا مخضته الأذهان تشعبت وتشتت فيه الافهام وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ولا سيما في علماء مصر منهم أن انطباعهم على سهولة الانقياد سهل أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ودماة أخلاقهم تأبى عليهم اساءة الظن ما أمكن تحسينه فلذلك حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولا عند علماء الشافعية الأوابين

هذا وحيث قلنا ان من خالق المصريين سهولة الانقياد ولا سيما لاحق وكذلك غاماء الشافعية الأكراد كلهم أهل نظر وتحقيق فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما يتعاق منها بمظنات الشرك الجباب للمقت والفسك ولا شك أنهم يتتلون أوامر الله في قوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وقوله تعالى (اتَّبِعُوا مَا نَزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) هذا وكثير من علماء الشافعية الأقدمين والمتأخرين المنتصرين للمذهب الشافعي السديد ، المقاومون للبدع والتشديد ، والحق ان التصوف المتغالي فيه لا تصح نسبته لمذهب مخصوص فهذا الشيخ الحلي رضي الله عنه حنبلي وصوفي

قال (الأستاذ الرئيس) ان أخانا العالم النجدي يعلم أن ما أفاض به علينا لاخبار عاينه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال وكفى بما استشهد به من الآيات البينات براهين دامغة ، والله على عباده الحجة البالغة ، وعجالة التردد التي حتم بها خطابه يترك بها الحكم لرأي الجمعية ما هي لا نزعة من فتدحرية الرأي والخطابة فأرجوه وأرجو سائر الاخوان الكرام أن لا يتهيبوا في الله لومة لائم ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل وليعلموا أن رائد جمعيتنا هذه الإخلاص قاله كافل بنجاحها وغاية

كل منا إعزاز كلمة الله والله ضامن إعزازه قال تعالى «ان تَتُصِّرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ»
نعم هذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هو شديد الوقع والصدع
على التأسيين في الوهلة الاولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الوراثية والتقليد
دون الاستدلال والتحقيق وجارية على التعاون دون التقاعص . على أن أعضاء جمعيتنا هذه
وكافة علماء الهداية في الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر
الباهر الذي لا يخفى على أحد فكل منهم يحتاج في فكره ما يحتاج فكر الآخريين عينه أو
شبهه لكنه يترتب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدّسين وبخاف
من الانفراد في الانتقاد ، في زمان فشا فيه الفساد ، وعم البلاد والعباد ، وقل أنصار
الحق ، وكثر التخاذل بين الخلق ،

ويسرني والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه أعني اطمئنان كل منا على اصابة
رأيه واطلاعه على أن له في الآفاق رقفاً يرون ما يراه ، ويسرون مسراه ، فيقوى
بذلك جنبانه ، وينطاق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم في اعلاء كلمة الله ويصبح غير
هيب لوم اللاتمين ، ولا تحامل الجاهلين ، ومن الحكمة استعمال الدين والتدريج
والحزم والثبات في سياسة الارشاد كما جرى عليه الانبياء النخام عليهم الصلاة والسلام
وقد بسيت ذلك في اجتماعنا الأول وسنلاحظه في قانون الجمعية الدائمة الذي نقرره
ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعنا
الآتية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانصرف النهار

باب التعليم في

قوانين التعليم الرسمي — انتقاد

(النبعة الرابعة تعام اللغة والتاريخ والعلوم)

انتقدنا في النبعة السابقة قانون التعليم الرسمي من حيث تعليم الدين ووددنا لو
نعلم لتطارد المعارف عذراً نعتذر لها على تلك العيوب وضرر وبالقصور ونشكلم في هذه
النبذة على تقصير القانون فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية لغة الأمة والبلاد وتعليم التاريخ والعلوم
الغيب العام الأكبر هو ما جاء في عرض كلاً منا على اقتراح الجمعية العمومية أعني
مزاوجة اللغة الأجنبية للغة البلاد في التعليم الابتدائي وقد خرجت نظارة معارف

مصر في هذا عن سنة اتمتها الاوربيين كلهم فهي لا تجد لها دولة أوربية تقتدي بها . ولم تكتف بتعليم قواعد اللغة الأجنبية ومبادئها بل زادت على ذلك تعليم مبادئ العلوم بها فالتاريخ الطبيعي يبدأ به في السنة الثانية وله درس واحد في الأسبوع يقرأ بالعربية ثم يقرأ في السنتين الثالثة والرابعة باللغة الأجنبية وله فيها درسان في كل أسبوع فكان دروس السنة الثانية تمهيد لما بعدها فتكون لغة البلاد وسيلة لا مقصدا . وكذلك الحال في علم تقويم البلدان الا ان دروسه في الثالثة والرابعة ثلاثة في كل أسبوع . ومن نظر في جدول توزيع حصص الدروس في التعليم الثانوي لا يري بازاء خصوصية اللغة العربية من الجدول الا النقط والاصفار فالعلوم كلها تقرأ باللغة الأجنبية وهي الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان والتاريخ والطبيعة والكيمياء والرسم . وكأن « الضمانات الخمس » التي قدمها ناظر المعارف لنواب الأمة في الجمعية العمومية هي التي جعلت دروس الترجمة من حصص اللغة العربية في الجدول الابتدائي والثانوي ليزيد العدد فتقنع الأمة بان لغتها قد اعتني بها وادخلت فيها العلوم والفنون ولكن هذا غش وخداع فان الترجمة كما تكون من اللغة الأجنبية الى العربية تكون بالعكس والعناية الكبرى فيها باللغة الأجنبية ومعلموها هم معلمو اللغة الأجنبية وأكثرهم غير بارع بالعربية فكان الاقرب الى الصواب ان تعد الترجمة من دروس اللغة الأجنبية . فدروس الأسبوع في التعليم الثانوي ٣٣ درساً ثمانية منها للغة العربية نفسها (النحو والصرف والبلاغة) والباقي للغة الانكليزية تسعة لنفس اللغة وواحد للترجمة والباقي للعلوم . وما يدل على ان حصص الترجمة تعد من دروس اللغة الأجنبية إهمال الكلام عليها في الفصل الذي يشرح كيفية تعليم العربية من القانون وذكرها في الفصول التي يشرح فيها كيفية تعليم اللغة الأجنبية

الأمر الذي تهتم الأمة في التعليم وتود انضمان عليها ثلاثة — الدين وهو في المرتبة الأولى واللغة وهي في المرتبة الثانية والتاريخ وهو في المرتبة الثالثة . فأما الدين فقد بنا وجوه تقصير المعارف فيه وجعله كالرسم الدارس

وأما اللغة العربية فتقصرها فيها من وجهين أحدهما نسبي وهو جعلها دون اللغة الأجنبية والواجب أن تكون فوقها وثانيهما عدم تعليم العلوم والفنون بها والواجب أن تجعلها لغة العلم لأن الأمة لأنها حياة حقيقية لا يجعل لغتها لغة العلم ليتسنى بذلك تعليم العلم فيها فتكون حياتها العلمية ممددة لحياتها المعاشية والقومية . وإذا نحن جعلنا للعلم لغة ولسان الشؤون لغة أخرى نكون قد جعلنا في مقومات حياة الأمة تنازعا

ينصل العلم عن العمل ولا يمكن أن يكون العلم مرشداً إلى العمل والعمل منبعثاً عن العلم إلا إذا كان العامل عالماً ونتيجة هذا من غير تطويل بشرح المقدمات أن أحد الأمرين واجب لكمال الحياة إما نقل العلم إلى لغة الأمة وهو المعتبر المقبول وإما نقل الأمة إلى لغة العلم الطارئ وهذا إعدام للأمة وجعلها غذاء ومعدة للأمة التي تنتقل إلى لغتها وما أخال أن ناظر المعارف ورجال «ضمانات الجنس» من أمته يرضون بذلك سرّاً وجهراً فإن كان لهم من الأمر شيء فليعلموا أبناء الأمة العلوم باغتيا وإن كانوا مغلوبين على أمرهم للمستردلوب ومن ينصره فلا يعارض ناظر المعارف الجمعية العمومية في طلبها عرض قوانين المعارف على مجلس الشورى ولا يكابر نفسه وقومه بزعمه أن قوانين نظائره موافقة لمصلحة الأمة ومؤيدة منها «بخمسة ضمانات» !!

وأما التاريخ فهو عند جميع الأمم الحية قوام التربية الاجتماعية به تنفخ روح محبة الجنس والأمة والوطن في الناشئين فتعليم التاريخ كانت ألمانيا والمانيا وانكلترا انكلترا وفرنسا فرنسا فالغرض الأول من علم التاريخ معرفة الإنسان أمته أو معرفته نفسه من حيث هو أمة تم معرفته سائر الأمم ليعرف مكانه منها ومكانها منه وبذلك يحصل الإنسان العلم النافع الذي هو غاية كل تربية وتعليم وهو الذي صرّفه حكيمنا الإمام بقوله «العلم ما يعرفك من أنت ممن معك»

إذا كان هذا هو الغرض من التاريخ فقد أصابت الأمم الأوروبية بتأليف الناشئين في أول الأمر تاريخ أمتهم مفصلاً تفصيلاً وجمالهم تاريخ بقية الأمم في الدرجة الثانية فالتلميذ عندما لا يعرف شيئاً من عظمة غير قومه وأمته إلا بعد أن يشرب قلبه عظمة سائمه وحبهم وحب بلادهم . ويقال إن أكثر الألمان لا يكادون يتعلمون شيئاً عن غير بلادهم وأمهم إلا إجمالاً لأن الواجب في رأيهم على كل إنسان أن يعرف نفسه وقومه الذين سمادته بسعادتهم وشقاؤهم . وأما معرفة أحوال بقية الأمم فأنما تجب على طائفة من الناس كالذين يتصدون للسياسة والتعليم ونحو ذلك مما يحتاج فيه إلى معرفة تاريخ الآخرين وأحوالهم

على هذا كان الواجب على نظارة معارفنا أن تجعل تاريخ الإسلام والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين في مقدمة هو أول ما يدرس في نفوس تلامذتنا وأن تتوسع في تاريخ جميع الدول الإسلامية وبيان أسباب تقدمها وتأخرها حتى تنتهي بالدولة العثمانية والبلاد المصرية جزء منها وبعد هذا كله تألقن التلامذة بالإجمال تاريخ سائر الأمم لاسيما المجاورة للممالك الإسلامية ليعرفوا نسبتهم إلى قومهم ونسبة قومهم إليهم .

ما أدت نظارة المعارف هذا الواجب ولا رعته حق رعايته فلها لم تعتبر جنسية قوامها في الدين ولا في اللغة ولا في الحكومة (وهي العثمانية) ولكنها اعتبرت أن جنسيتها نسبتها إلى مصر وأن سلف هذه الأمة الغربية هم الفراعنة والرعاة واليونان والرومان والعرب وخلفها الترك فهي والأوشاب تعلم التلامذة في الطور الابتدائي تاريخ هذه الأمم الكثيرة بهذا الترتيب .

وأما تعليم التاريخ في القسم الثانوي ففي السنة الأولى منه يعلمون تاريخ الرجال وذكرهم في القرون وليس فبهم مسلم ولا عربي الا محمد علي باشا واسماعيل باشا أمير مصر . وفي السنة الثانية أقسام (١) الدولة الرومانية (٢) الدولة الانكليزية ١٣٠٠ الحروب الصليبية ٤٠٠ الدولة العثمانية ٥٠٠ عظم دولة اسبانيا وفيها الاصلاح المسيحي ٦٠٠ عظم فرنسا (٧) ارتقاء روسيا وفيه تاريخ المسئلة الشرقية وما فقدته الدولة العثمانية من أملاكها وتغلب روسيا عليها واضعافها . . . (٨) ارتقاء بروسيا (٩) نابليون (١٠) المستعمرات الاوربية . وفي السنة الثالثة أقسام أيضاً (١) قيام أم أوربا (٢) نحو الحرية السياسية في أوربا (٣) المدنية عند جميع الأمم ما عدا المسلمين (٤) تقدم مصر (٥) أسباب ارتقاء واضمحلال الأمم باختصار . وكل هذا يعاينه الاوربيون بلغتهم فاعتبري أيتها الأمة المصرية « بضمانات تانظر المعارف الخمس » واطمئني له ولها . . .

ما أجدر هؤلاء التلامذة بأن يشبوا لا يعرفون لهم أمة ولا جنساً يتمون إليه ويفتخرون به ويعملون على احياء مجده ومجديد نخره . بل ما أجدرهم بفساد الفطرة التي تراها في بعض احداثهم الذين ينادون بالوطنية المصرية بغير عقل . فان قيل لهم هل الوطني المصري هو من يسكن مصر ويتخذها وطناً قالوا : لا لا ان ممن يسكنها النزلاء الافرنج وهؤلاء محترمون في الظاهر ويبغضون في الباطن ومنهم الدخلاء العثمانيون من سوريا وغيرها وهؤلاء يمتقون في الظاهر والباطن . وان قيل لهم هل الوطني المصري ما كان من سلاسل القبط والفراعنة فيجب أن نبغض من يسكن مصر من سلاسل العرب والترك والأرثوذكس الجراكسة وان كان حكامنا منهم؟ قالوا : لا لا ان الجنس القبطي هو شر الاجناس فدميه وطنياً ظاهراً ولكنا في الباطن نفضل عليه المسلمين المصريين . فان قيل لهم : اذن ان جنسيتكم هي الاسلام فيجب أن تعصموا مع كل مسلم من أي مملكة كان . قالوا : لا لا ان هذا ينافي (الوطنية الحققة) واتنا لا نعتد الا بالمسلمين المصريين الاصليين لا الذين سكنوا مصر من عهد قريب . فهذه الذبذة والحيرة عند هؤلاء الاحداث من المسلمين ليس لها سبب أقوى من

هذا التعليم المذبذب . وظاهر ان نتيجة هذا التعاليم الجنائية على الرابطة الدينية وعلى الرابطة اللغوية وعلى الرابطة الوطنية لأن هؤلاء الاحداث لا يحبون كل أبناء وطنهم بحيث يفضلونهم على سواهم . نعم ان مضرته وفساده في القبط أقل منها في المسلمين فان التبطي المتعصب يقول ان المصري هو القبطي فقط وكل من عداه دحيل . وغير المتعصب يقول ان المصري هو من يقيم في مصر ويتخذها وطناً ينفعها وينفع منها سواء كان شرقياً أم غربياً مسلماً أم مسيحياً . ولا يقول بهذا القول الا أفراد قليلون على اني أحكم بوجودهم بالرأي والتخيل لا بالمعرفة والاختبار

رب قائل يقول ان غرض الحكومة أن تربي الناشئة على هذا الرأي ونحن نقول ان هذه غاية لا تدرك الا بمحو الدين وذلك متعذر على الحكومة اذا فقدت الدين وأرادت محوه ولكن حكومة البلاد اسلامية والشعب الكبير اسلامي واذا وجدت آداب الاسلام الحقيقية فهي تقتضي الوطنية الحقيقية وهي اتفاق جميع سكان البلاد على ما فيه خيرهم وخير بلادهم ومعاملة الجميع بالعدل والمساواة بينهم بالحقوق وقد أوضحنا هذا في مقالة (الجنسية والسياسة الاسلامية) فلتراجع في المجلد الثاني والله أعلم

اثان علي البربرية

الهدايا والتقاريظ

(كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم) كتاب صنفه أحد شبان المصريين النجباء المولدين بالبحث وهو أحد أفندي عمر أحد مستخدمي مصلحة البريد تكلم فيه على حالة المصريين الاجتماعية في معيشتهم وكسبهم وعاداتهم وآدابهم وعلمهم وقد جعله ثلاثة أقسام قسم الاغنياء وقسم للاحتسطين وقسم للفقراء . ولا شك أن المؤلف قد تعب في الوقوف على عادات الطبقات الثلاث في المحبة والزواج والعشرة بين الزوجين وتربية الاولاد وتعاليمهم وعاداتهم في النفقة والعدل والاهتمام . وفي معرفة أحوالهم في التجارة والزراعة والصناعة والطباعة والكتب والجرائد التي تنشر فيهم . وبمحنة في جميع هذه المسائل بحث انتقاد صحيح يبه الافكار المستعدة الى السهم في اصلاح الخلل وانهاء الزلل . ولا ينفع الناس شيء مثل علم ما هم فيه من نافع وضار

لذلك نقول ان هذا الكتاب من أنفع ما كتب في العربية في هذا العصر
الكاتب تحرى الصواب وبيان الحقائق بقدر الاستطاعة مع الوقوف عند حدود الأدب
فإن قصر في بعض المسائل فعذره انه لم يستمد من كتب مؤلفة ينقل عنها بسهولة
وانما استمد من المشاهدة والاختبار وان ما تسنى من ذلك له كثير على من كان
مشغولاً بوظيفة صغيرة كوظيفته تستغرق معظم أوقاته في خدمتها وقد طالعنا جملة
صاحبة من الكتاب فوافقناه في أبحاثه وقد انتقدنا عليه التقصير في تصحيح عبارة الكتاب
وعدم بدئه بالبسملة الشريفة عملاً بالحديث الشريف وأتباعاً لسنة المسلمين سلفهم
وخلفهم . وقد قرظ الكتاب القاضي الفاضل أحمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة
مصر وأجاز به وأثنى عليه وبدأ تقريره بسنة البسملة على أن العادة لم تجر بذلك وكأنه أراد
مع اتباع السنة تنبيه المؤلف على تركها بالعمل دون القول

أقول اني لا أوفي هذا الكتاب حقه في التقرير لا ينقل بعض فوائده في أجزاء
أخرى على أنه هضم حق المنار عند كلامه على الجرائد الدينية فإنه لم يكتب عنه إلا جملة
وجيزة في الهامش اعترف فيها بعناية المجتهد بالإصلاح الديني والتفكير عن البدع
ولكنه عرض فيها بنا بأن الأمور الشخصية سبباً علينا وقد ظهر لنا منه أنه رجع عن
هذا الرأي والله أعلم بالسرائر وهو الموفق للصواب

(كنز الجواهر في تاريخ الأزهر) كتاب مختصر ألفه الفاضل الشيخ سامان وصد
الحنفي أحد المشتغلين بالعلم في الجامع الأزهر الشريف وأهل الأزهر أجدر الناس
بمعرفة تاريخه والتأليف فيه . الكتاب يشتمل على مقدمة ذكر فيها بعثة النبي صلى الله عليه
وسلم واستطرد منها إلى الفتح الإسلامي الذي كان منه فتح مصر وفيها الكلام على جامع
عمرو بن العاص وجامع ابن طولون . وبني المقدمة خمسة مقاصد أحدها في ابتداء
تأسيس الجامع وما عرض عليه بعد ذلك ومجده فيه وثانيها في أروقة الأزهر والمؤسسين
له وثالثها في شيوخ الأزهر وأشهر علمائه لهذا العهد ورابعها في الحوادث الشهيرة
كحادثة رواق الشوام في أثناء الوباء وخامسها في عادات أهل الأزهر ويتلو ذلك
خاتمة في الأحكام وفيه عدد المشتغلين بالعلم في القطر المصري وبيان مواضعهم

ومما ذكر من عادات أهل الأزهر أنه لا يمكن لأحدهم أن يعمل عملاً يكتب
به لافي أثناء الاستغفار والابتهال قال (بل إذا انحل شيئاً يتفجع به بعد في أعين أترابه
كأنه افتقر ذنباً عظيماً) وذكر أن هذه هي عادة فقرهم . وذكر أن غير المصريين

من المجاورين في الأزهر أحسن حالا من المصريين في المعيشة والنظافة . وذكر من أسباب وساخة المصريين في ابدانهم وثيابهم وآيتهم الانهماك في الطلب وما يقع بين المشتركين منهم في المعيشة من العناد والتواكل وفاته ان يبين ان الاشتراك هو الذي يساعد على النظافة لتوزيع الاعمال وان الوساخة واختلال نظام المعيشة يشوش الذهن ويضعف العقل فلا يفيد معه الانهماك في الطلب كثيرا . قال : « وأما عادتهم في الاكل وهو غالب اكل المجاورين فهو فول مدمس ونابت وطعمية ومخللا وكرائنا وغير ذلك من الاشياء التافهة لفقرهم بلا فرق بين مصري وغيره وكذلك غالبيتهم يقوم بعمله بنفسه كغسل ثياب وطبخ وغير ذلك » هذه عبارة بحروفيها ويسوء تأجيذا ما مراد في الكتاب مثابها من كثرة الغلط والخطأ

ثم ذكر كيفية لقاء الدروس والمطالعة قال (واعتنائهم فيها بفهم العبارات وحل التراكيب والمناقشات بالاعتراضات والاجوبة عنها والاطلاق والتقييد والمفهوم والمنطوق وغير ذلك من غير اعتناء بالحفظ فتجد كثيرا منهم بحرا العلوم في الفهم في الكراس واذا سئل من خارج فقل ان يجب اعدام استحضاره) اه بالحرف ايضا والكلام صحيح وصريح في انه لا غناية عندهم بتحصيل ملكة العلم وتكيف النفس بها بحيث تكون قادرة على الكلام في المسائل عند السؤال والمناسبة وانما العلم الذي يكونون فيه بحارا زاحرة هو المناقشة في عبارات الكتب التي يقرؤنها واعادة ما كتبه الشراح وأصحاب الحواشي على المتن قراءة

وبالجملة ان في الكتاب فوائد لا توجد في غيره من المصنفات في تاريخ الأزهر التي هي أوسع منه وأحسن تحريرا وصفحات الكتاب تزيد على ٢٠٠ وثمنه خمسة قروش ويطالب من جميع المكاتب المشهورة بمصر والاسكندرية وطنطا فنحث على قراءته (شذا العرف . في فن الصرف) كتاب صنفه الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الخلاوي مدرس العربية في مدرسة دارالعلوم سابقا . وقد تصفحت بعض أوراقه ورأيت تقسيمه وتبويبه فظهر لي انه أحسن كتاب لتعليم هذا الفن . وكان طبع في سنة ١٣١٢ باذن نظارة الداخلية بناء على شهادة الشيخ الأنباري شيخ الجامع الأزهر لذلك العهد بصحته وخلوه من الخطأ . وقد طبع في هذه السنة طبعة ثانية بالمطبعة الاميرية بمعد تنقيح وازافة كثير من الامثلة والشواهد وهذا من مزايي الكتاب فنحث كل طالب لفن الصرف على قراءته

(كتاب الحساب) كتاب يؤلفه الفاضل عوض أفندي خليل، مؤسس وناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق وصاحب مجلة السمر الصغير المدرسية، وقد أصدر الجزء الاول منه وأودعه مالهو مقرر للتعليم في السنة الاولى الابتدائية بحسب قانون التعليم في المعارف (البروغرام) فبحث التلاميذ على الاستفادة منه

(المستظرفات) كتاب وضعه الاديب ابراهيم أفندي زيدان جمع فيه من كتب الأدب والتاريخ كثير آمن النواذر الأدبية والفسكاهية والغرامية وطبع في مطبعة الهلال على نفقة مديرها الهمام ميري أفندي زيدان وثمن النسخة منه خمسة قروش ويطلب من مكتبة الهلال وهو مما يرغب فيه الناس فلا حاجة الى الترغيب فيه

(كتاب رسائل ارشاد الأفكار . الى طريق البرار) للشريف منصور أفندي رئيس جمعية التعاون الاسلامي . وقد كتب هذه الرسائل في مسائل سئلتها فاجاب عنها بفهمه واجتهاده على طريقة المتصوفة وقد تصفحنا بعض صفحاتها فعلمنا منها اننا نخالفه في بعض مسائلها ولا سعة معنا في الوقت الآن لقراءتها وبيان ما رآه صوابا وما نراه منتقدا وربما يسمح لنا الوقت بذلك بعد

بَابُ الْخَبَرِ وَالْأَخْبَارِ

﴿ حرب فرنسا والسنوسي ﴾

كتب بعض كبار التجار في طرابلس الغرب الى صديق له في بعض البلاد وكان سألته عن أخبار بلادهم مانصه بحروقه :

« وردنا جواب من بوممه تاريخ ١٩ ماي افرنجي ووصل لطرقنا تاريخ ١٤ ربيع اول سنة ١٣٣٠ قال فيه بعد السلام : . وبعد أخي فقد تم البحث الذي وقع علي كما اخبرتك في شأن سيدي المهدي (يعني الشيخ السنوسي) ولما ان كانت بقي طبق الاحسان والصدق مع الله تعالى وخلق سلمت والحمد لله على كل حال . والان انا سافرت الى فرانسه ثم ارجع الى قسطنطينه الجزائر ثم اسافر من هناك نائيا بالمطلوب

من فضلك الكريم ان تجعل لنا جوابا على كل مسألة داخل جوابنا هذا وتسال خايفة سيدي المهدي ولا تذكر لي الا الخبر الصحيح

اولا : ماهي الاخبار الواردة لكم من ناحية داركنم . و . البركو . وزاوية الشيخ سيدي المهدي بعد ما وقع من الحرب بين الفرنسيين وعرب أولاد سليمان والتوارق واستيلاء فرانسه على . بير هلالى .

ثانياً : هل يرضى الشيخ سيدي المهدي بالصلح مع دولة فرانسه بواسطتي فان كان يقبل وان كان عرضه المافية لصلاح الجميع نخبرني بذلك فالكلام الدولة الفرنسية ويكون الخير ان شاء الله وان كان نيته الحرب مع فرانسه والجهاد نخبرني والصحيح وقل للخليفة يعرفك بالحقيقة ولا يستخوش مني أبداً . لا بد تعرفني بحقيقة الامر . وان وجب السفر الى طرابلس فعرفني أقدم الى طرفكم ؟

ثالثاً : ما بلغ اليكم من أخبار واداي ؟

رابعاً : ماهي أحوال اخوان طريقة سيدي المهدي مع دولة الأتراك هنذا اعتقاد الاخوان مثل الزمان الاول أم لا ؟

خامساً : من مات من الأعيان في المحاربة التي وقعت في بير هلالى ؟ عامي بذلك الشيخ سعد البراني والشيخ غيظ والشيخ شرف الدين وغيرهم اهـ

قال التاجر : « حاصله : وقعت محاربة كبيرة بين دولة فرانسه والشيخ سيدي المهدي وأكَلَتْهَا دولة فرانسه وأن الجواب الوارد لنا هو من نفس مهندس طائفة فرانسه نحن نرسله الى جنوبيون ونحكي لهم بالكيفية وهم يعرفون شغلهم : بنا ينصر الاخوان على القوم الكافرين . وبر السوادين واقع فيه حرب واليوم صار لدولة فرانسه مع المهدي مثل ما صار للانكليز مع الترانسفال ندعو الله أن يهلك دولة فرانسه . وأرسلنا جواب الى رجب خوجه المذكور وعرفناه هذه المسئلة لاتهمنا والسلام اهـ مكتوب التاجر والقارئ لهذا المكتوب يظهر له انه كتب عن معرفة وانه صدق لاشبهة فيه ولكن فيه شيئاً من الإيهام . قال الذي أرسل صورته الينا : حينئذ لو علمنا من هو صاحب التحرير المرسل الى التاجر وأين هي بلدة بؤمة ؟ وما معنى قوله : تتم البحث الذي وقع علي ؟ وقد ذكر التاجر صاحب المكتوب انه مهندس طائفة فرنسا وسماه رجب أو رجب خوجه . فما هذا السر ؟ هل الرجل مسلم كما يظهر من كلامه أو مسلم جفرافي (كما تقولون في المنار) يريد أن ينتفع من فرصة الخلاف بين السنوسي وفرنسا ؟

او هو مسلم من مسلمي الجزائر وتونس موظف عند فرنسا ويريد أن يخدمها ويخدم سيده المهدي؟ وربما كان قوله « تم البحث » الخ إشارة الى أنهم فتشوا عليه لكونه جاسوساً من قبل المهدي أو متهماً بالتجسس . والذي حماني على هذا الظن قوله في آخر الجملة (سَأَمْتُ) . ويفيد قوله : (وتَسْأَلُ خَليفةَ سيدي المهدي) أن للمهدي خليفة مقيماً في طرابلس الغرب . والذي يجعل في النفس رغبة من قول صاحب المکتوب هو قوله : « ولا يستخوش مني أبداً » وقوله : « ما هي أحوال الإخوان مع دولة الأتراك » الخ

أما نحن فنعلم أن السيد المهدي السنوسي خلفاء في طرابلس وكل بلاد افريقية الشمالية والوسطى وصحاريها ونرجح أن المهندس صاحب المکتوب جاسوس فرنسي كما أنه مهندس ولذلك لم يجاوبه التاجر عن أسئلته

﴿ مسيح الهند والمنار ﴾

سبق لنا رد على القائم في الهند المدعي انه المسيح الموعود به وعلى كتابه الذي سماه اعجاز المسيح ، وان كان قوله كالريح ، وسجته دون سجع شق وسطيح ، وقد ترجمت رد المنار عليه الجرائد الهندية ، واذاغته في تلك الممالك القصية . فاستشاط الرجل غضباً ، وملأ النواحي سباباً وصخباً ، والمؤمن ليس بسباب ، ولا بذئ ولا صخاب ، فهل يكون المرسلون والمسيحاء ، من أهل السفه والبذاء ، وهل ينزل الوحي على أهل الالهام ، وتقام الحججة على الأنام ، بالسيخرية والاستهزاء ، والقول الهراء ، والانتصار للنفس ، ومكابرة الحس ، والتنفج والتبجح ، والتجرم والتدفع ، كما فعل هذا المدعي في الكتاب الذي لفته في الرد على « المنار » ، فكان مجابة الحزبي والمار وقد سماه « الهدى والتبصرة لمن يرى » ، ولامعت الهداية بشتم الوري ، بعد أن أهدي اليها كتابه ، وارسل شتمه وسبابه ، كتب اليها أحد كبار علماء الهند من لاهور كتاباً يشكو فيه من انتشار البدع في الهند وقال فيه « الآفة التي لا تذكر ، والمعاناة التي لا تسطر ، هي فتنة المسيح الدجال الهندي الشهير بميرزا غلام أحمد القادياني ، فهي لا تنقطع كسير السواني ، وهو في زعمه الباطل مجدد مهدي ملهم محدث مسيح مرسل امام عند شريعة قايدين . ما لهم من دنيا ولادين ، والحق انه رجل خيال ختار ، بطال شطار ، يدعي الوحي والنبوة ، ويثبت للمسيح النبوة ، ويحرف

آيات القرآن بتأويلات فاسدة ، ويتنطع في أحاديث التي بمنز عبلات كاسدة ، ثم ذكر هذا العالم مجادته لعلماء الهند وافحامهم اياه وانصرافه لدعوة العلماء في غير الهند ومنهم الفقير صاحب النار وانتقل من هنا الى ذكر ردنا على كتابه (اعجاز المسيح) وذكر ان الجرائد الهندية نقاته عن النار ، وكان له شأن في تلك الديار ، أثار من ذلك المدعي اشجانه . وأتاني بالسب لسانه ، ثم رغب اليها في الرد عليه وقال : « فان لتحريركم وقماً في النفوس ، أشد من حرب البسوس ، » .

نعم ان من وظيفة النار الرد على أمثال هذا المدعي ، ولو لم يرغب اليها فيه ذلك العالم الألهي ، ولكن الرد انما يكون على الشبهات ، التي تساق مساق اليبسات ، وليس لهذا المدعي شبهة يستند اليها . ولا تنكاة يتوكل عليها ، الا ذلك المؤلف الذي هو حجة عليه ، بل سهام منه تصوب اليه . فقد ادعى انه معجز للبشر ، لا تأتي بمثله القوى والقدر ، فما هو وجه الإعجاز فيه . الذي جعله عمدة تحديه ؟ . ان قال ان العمدة . هي قصر المدة . فاتي الفقه في سبعمين ، ولا يقدر على مثل ذلك أحد من العالمين ، نقول : أولاً اننا لا نصدقك في هذا التحديد على انه طويل ، فهل لك عليه من بينة ودليل ، وثانياً ان كثيراً من العلماء اتفقوا كتباً طويلة . في مدة قليلة ، ولم يدعوا ان ذلك من المعجزات . لأنه ليس من خواص العادات ، فالتقاري الف شرحه على الايساغوجي في يوم من أقصر الأيام . ولم يحدد به أحداً من الأنام . وثالثاً اننا نطالب منه محكمين من أهل الانصاف . يرضى بهم كل منا ومنه للحكم في مواضع الخلاف ، وعند ذلك نظهر له أننا ليط كتابه في اللفظ والمجوى ، والماقية كما قال الله تعالى للتقوي ، اعلم الناس ان تحدي النبوة والرسالة . لا يكون بالخطأ والجهالة ، وان ادعاء اقامة الدين وتأييد الشريعة ، لا يكون بتقويض أركانها الرفيمة . وتشويه محاسنها السنية السديعة ، وان إصلاح نفوس المسلمين ، لا يكون بشتم العلماء والمرشدين ، وسنمجل قبل تعيين المحكمين باظهار بعض ما خالف فيه شريعة خاتم النبيين ، وموعدا الجزء الآتي أما الآن فالتنا نذكر بعض عباراته في الرد علينا ، وما وجهه من الطعن اليها ، ليعلم القراء مبلغ آدابه ، وعساظته في خطابه . قال بعد ما زعم انه آثرنا بكتابه (اعجاز المسيح) على علماء الحرمين و الشام والروم مانعه :

« ثم لما بلغ كتابي صاحب النار ، وبلغه معه بعض المكاتب الاستفسار ، ما اجتنى ثمرة من ثمار ذلك الكلام ، وما انتفع بمعرفة من معارفه العظام ، ومال الى الكلم والايذاء بالاقلام ، كما هو عادة الحاسدين والمستكبرين من الانام ، وطفق يؤذي ويرزى

غير وان في الازراء والانتظام ، ولا لاوالى الكرم والاكرام ، كما هو سيرة الكرام ،
وعمدان يؤاني ويفضحنى في أعين العوام كالأنعام ، فسقط من المنار الرفيع والقي
وجوده في الآلام ، ووطئى كالحصى ، واستوقد نار الفتن وحضى ، وقال ما قال وما
أمن كأولى النهى ، وأخذ الى الارض وما استشرف كأولى التقي . وخرب بعد ما علا ،
وان الحروز شيء عظيم فما بال الذى من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى ،
أم له في البراعة يد طويلة ، سيهزم فلا يرى . نبأ من الله الذى يعلم السر وأخفى
ثم قال : هـ وكنت رجوت ان أجد عندك نصرتي ، فقامت لتندب بهواني وذلتى ،
وتوقعت ان يصلني منك تكبير التصديق والتقديس ، فأسمعتني أصوات التواقيس ،
وظننت ان أرضك أحسن المراكز ، فخرحتني كالأكز والواكز . وذكرني بالنوش
والهش والسبعية ، نبذاً من أيام الحصائل الفرعونية . ولست في هذا القول كالمستندم ،
فان النضل لا يتقدم . وكنت أتوقع ان يتسرى بمواخاتك همي ، ويرفض بجندك كتيبة
سي . فالأسف كل الأسف ان الدراسة اخطأت ، (أى فلم يصدق عليه حديث
توا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ، لانه ينظر بظلمة غيرة) والروية ما تحققت .
جئت بالمعنى المنعكس ريبك ، (وهنا اشارة قيحة تليق بقائنها ولا تليق بنزاهة من
يتفهم الله تعالى لهداية خلقه) فهذه نموذج بعض مزاياك ، (أنت النموذج وكم
مذكرا) وعلمت ان تلك الارض أرض لا يفارقها الاظى ، وتفور منها الى هذا
نار الكبر والعلو . فعنى (كذا) الله عن موسى . لم تركها وما عفى . (وهنا
الأدب .) أما موسى الكليم ونسب اليه الخطأ والذنب والتقصير ، على ان نعتبه
بصر واهلاكها بيد الله لا بيده عليه السلام)

ثم قال بعد مكابرة في ردنا على كتابه ونسبته للباط والتكلف مانعه : هـ وحديثك
حيباً يريحني كنسيم الصباح ، فرائث كمدو شاكي (كذا) السلاح ، وختك انك
تهدر بصوت مبشر كالحمام ، فأريت وجهك المنكر كالحمام ، وأعجيني حديثك وشدتك
من غير التحقيق (كذا) . فأخذني ما يأخذ الوحيد الحائر عند فقد الطريق ، لكنني
اسروت الامر وقلت في نفسي لعله تصحيف في التحرير . وما عمدت الى التوهين
والتحقير ، وكيف قصد شراً لا يزول سواده بالمعاذير . وكيف يمكن الجهر بالسوء
من مثل هذا التحرير ، (يذم ويمدح) ولما تحققت انه منك تقلدت اسلحتي
للجهاد ، وقلت مكانك يا ابن الضاد ، وعلمت أنك ماتكلمت بهذه الكلمات ، الا



حسداً من عند نفسك لا لأظهار المواقعات ، (اني لا أدعي المسيحية فأحسده على دعواها ولا شيء آخر يحسد عليه) فابتدرت قصداً ، ايلاً يصدق الناس حسداً ، فان علماء ديارنا هذه يستقرون حيلة الازراء ، فيستفزهم ويحجروهم علي كلما قات للازدراء ، ولولا خوف فسادهم لسكت ، وناقضت وما تجلدت ، ولكن الآن أخاف على الناس ، وأخشى وسوسة الخناس ، وان بعض الشهادات ، أبلغ من الضرب بالمرهفات ، فأخاف أن يجدد الاشتغال من كلمات النار ، ويبقى فيه ويبقى على صورة النار . »

ثم ادعى انه كان غلب علماء الهند وسرق سمجعات من كلام الحريري وقال « قال ان احيي النائم بعد الممات ، وشهد النار عضدهم بالخزعبلات ، (كذا) فأرى انهم يتصلفون ، يستأنفون القتال ، ويبغون الفضال ويخدعون الجهال ، ورجعوا الى شرهم وزادوا شداً . بما جاء النار شيئاً اذاً . وحاز عن التصدد جداً . (كذا بالزاي والحريري استعملها بالراء من الجور) فأكبر كله حزب من العمين ، الخ

ثم ذكر انه كثير ، كان يغضي عن المعرضين والمزدرين وقال : « واكن رأيت أن صاحب النار ، عظم في عين هذه الاشعار ، (كذا) وأكبر شهادته بعض زاملة النار ، وكانوا يذكرونها بالعمي والاسحار ، فبأنني ما يتخافتون ، وسرت على ما يسرون ويأتمرون ، وأخبرنا أنهم يتحكون علي وفي كل يوم يزيدون ، » — الى أن قال في صاحب النار : « بل أصر على الازراء في الجريدة ، فأكل الحاسدون حصيدة لسانه كالمصيد ، وناقضوا قوله وجددوا الخصومة بعدما قطعوها كما هو من شيم القرائع البليدة ، وحسبوا كلمة كالاساحة الحديدية ، وأشاعوها في الأخبار (الجرائد) والجوائب الهندية . وكتبوا كلما يشق سماعها على الهمم البريئة المبررة . وأذوا قلمي كما هي مادة الرذل والسفهاء ، وسيرة الأراذل من الأعداء . » ثم قال : « وما أتظني أن يكتب النار من معارف كمارف كتابي ، ويرى بريقاً كبريق ما في قرابي ، ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات ، ان من الممكن أن يكون مدير النار بريئاً من هذه الإلزامات ، ويمكن أنه ما عمد الى الاحتقار والتطعن كالعجماءات ، بل أراد أن يجمع كلام الله من سفار المضاهات . وانما الاعمال بالنيات ، (وههنا حاشية في الاصل ذكر فيها أنه يشق ان سبب غيظي منه حكمه بمنع الجهاد) فان كان هذا هو الحق فلا شك انه ادخل في هذه المقالات ، كثيراً من الدرجات ، وأى ذنب على من سبني لحاية الفرقان ، لا للاحتقار وكسر الشان ، » — الى ان قال : « ولكنني معتذر كمثل اعتذاره ، فان الفتن قد انتشرت من أقواله وأخباره » الخ الخ

بوتى الحكمة من بناء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
ينكر إلا أولو الألباب

الحكمة

١٣١٥

فبشر عبادى الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ — ٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢)

﴿باب المقام من الاموال الدينية﴾

(الدرس ٣٦) محمد رسول الله وخاتم النبيين

الكلام في نبوة خاتم النبيين لا يتجلى للمقول كمال التجلي الا بعد بيان
مستلثين تجمالان مقدمة له - احدها بيان حاجة البشر الى رسالة العامة
والثانية بيان استعداد الناس لها

(المسئلة ١٠١) حاجة البشر الى هداية عامة الحاجة الى بعثة النبي عليه

الصلاة والسلام في الجملة تعرف من البحث في حاجة البشر الى ارسال الرسل
كما تقدم في الدرسين ١٨ و ١٩ (راجع المنار ٩ و ١٤٠ - ٤) ولا يوجد في اعداء
الاسلام المؤمنين بالوحي والنبوة عاقل ينكر أن العرب كانوا في اشد
الحاجة الى بعثة رسول منهم ينتاشهم من تلك الوثنية، ويخرجهم من هاتيك
الجهالة والهمجية، وأن تأثير هداية محمد فيهم كان مثل تأثير هداية موسى
في بني اسرائيل او اعظم واظهر ولكن الذين ينكرون حاجة الناس كافة الى
هذه الهداية الالهية على لسان محمد عليه السلام كثيرون. وانما حال بينهم
وبين معرفة هذا الحق المبين التقليد الاعمي. فالتقليد أعدى اعداء الحق في
الدين والعلم وفي كل شيء. لأن المتأيد ليس له عينان فينظر في الدلائل
والبرهان، بل ينكر الحس والعيان، ويكابر الوجود والوجدان، وانما نكتب
ما نكتب ليزداد الذين آمنوا ايماناً وليمتبر اصحاب المقول المطلقة والافكار
الحررة من غير المؤمنين

بيان حاجة جميع الامم الى الإصلاح المحمدي يتوقف على معرفة
تاريخ الامم قبل الاسلام لاسيما تاريخ اهل الكتاب الذين يدعون ان في
(٤٢ - المنار)

كتبهم ما ينفي عن هداية الاسلام واصلاحه . ولا يمكن سرد تاريخ الامم
تفصيلاً في التمهيد لمسئلة من مسائل العقائد ولكن في الاجمال مع الاحالة
على كتب التاريخ غناء . وقد كتب استاذنا الامام نبذة في ذلك واقية بالمرام
في « رسالة التوحيد » التي هي حجة الاسلام في هذا الزمان وما بعده
الى من شاء الله وانما نقتبسها هنا فانظر هذه البلاغة في الإيجاز ، التي تكاد
تبلغ به حد الإعجاز ، قال حفظه الله :

« ليس من غرضنا في هذه الورقات أن نلم بتاريخ الامم عامة وتاريخ
العرب خاصة في زمن البعثة المحمدية لنبين كيف كانت حاجة سكان
الأرض ماسة الى قارعة تهز عروش الملوك وتزلزل قواعد سلطانهم الغاشم
وتخفف من أبصارهم المعقودة بعنان السماء ، الى من دونهم من رعاياهم
الضعفاء ، وإلى نار تنفض من سماء الحق على أدم الأنفس البشرية لتأكل
ما أعشوشبت به من الأباطيل القاتلة للعقول . وصيحة فصحي
ترعج الغافلين ، وترجع بالباب الداهلين ، وتنبه المرؤسين ، الى أنهم ليسوا
بأبعد عن البشرية من الرؤساء الظالمين ، والهداة الضالين ، والقادة
الغارين ، وبالجملة تؤب بهم الى رشد يفيم الانسان على الطريق التي سنّها
الله له ^(١) « إنا هدينه السبيل » ليبلغ بسلوكة كما له ، ويصل على نهجها الى
ما أعد في الدارين له ، ولكننا نستير من التاريخ كلمة يفهمها من نظر فيما
اتفق عليه مؤرخو ذلك العهد نظر إيمان وإنصاف

« كانت دولتنا العالم ^(٢) — دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان

« ١ » المراد بالطريق فطرة الله التي فطر الناس عليها « ٢ » شروع في بيان الكلمة
المستعارة قال في الدرس : وفاتني وقت الكتابة ذكر دولة الصين فإنها كانت أيضاً ممزقة

في الغرب - في تنازع وتجادل مستمر . دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوى
 منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الإحن حالكة ، ومع ذلك فقد كان
 الزهو والترف والإسراف والفخفة والتفنن في الملاذ بالغة حد مالا
 يوصف في قصور السلاطين والأمراء والقواد ورؤساء الأديان من كل
 أمة وكان شر هذه الطبقة من الأمم لا يقف عند حد فزادوا في الضرائب
 وبالقوا في فرض الأنوات حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم وأثوا على ما
 في أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان القوي في اختطاف ما بيد
 الضعيف . وفكر العاقل ، في الاحتيال لسلب الغافل ، وتبع ذلك أن استولى
 على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذل والاستكانة والخوف
 والاضطراب لفقد الأمن على الأرواح والأموال .

نشرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فساد هولا ، كأشباح اللاعب
 يديرها من وراء حجاب ، ويظنها الناظر اليها من ذوي الالباب ، فقد
 بذلك الاستقلال الشخصي وظن افراد الرعايا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة
 ساداتهم وتوفير لذاتهم كما هو الشأن في العجاوات مع من يقتنها . ضلت
 السادات في عقائدها وأهوائها وغلبتها على الحق والعدل شهواتها ولكن
 بقي لها من قوة الفكر أرباباها فلم يفارقها الحذر من أن يصيب النور
 الالهي الذي يخاطب الفطر الانسانية قديفتق الغلف التي أحاطت بالقلوب ،
 ويحرق الحجب التي أسدلت على العقول ، فتهدي العامة الى السبيل ،
 ويشور الجمل الفقير على السدد القليل ، ولذلك لم يغفل الملوك والرؤساء أن
 ينشئوا سحبا من الأوهام ، ويهيؤوا كسفا من الاباطيل والخرافات ،

بالحروب الأهلية والحرب مع الزمكأن وسندكرها في طبعه ثانية ان شاء الله تعالى

ليقتفوا بها في عقول العامة فيلفظ الحجاب ويعظم الرئين ويختنق بذلك نور
 الفطرة ويتم لهم ما يريدون من الغلوين لهم . وصرح الدين بلسان
 رؤسائه أنه عدو العقل وعدو كل ما يثمره النظر إلا ما كان تفسير الكتاب
 مقدس . وكان لهم في المشارب الوثنية ينابيع لا تنضب ، ومدد لا ينفد ،
 هذه حالة الأقوام كانت في معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معاشهم ، عبيد
 أذلاء ؛ حيارى في جهالة عمياء ، اللهم إلا بعض شوارد من بقايا الحكمة
 الماضية ، والشرائع السابقة ؛ أوت إلى بعض الأذهان ومعها مقت الحاضر ،
 ونقص العلم بالغابر ، نارت الشبهات على أصول المقائد وفروعها بما انقلب
 من الوضع ، وانعكس من الطبع ، فكان يرى الدنس في مظنة الطهارة ،
 والشره حيث تنتظر القناعة ، والدعارة حيث ترجى السلامة والسلام ؛ مع
 قصور النظر عن معرفة السبب وانصرافه لأوّل وهله إلى أن مصدر كل
 ذلك هو الدين . فاستولى الاضطراب على المدارك وذهب بالناس مذهب
 الفوضى في العقل والشرعية مما . وظهرت مذاهب الإباحيين والدهسين
 في شعوب متعددة وكان ذلك وبلا عليها فوق ما رزئت به من سائر الخطوب .
 « وكانت الأمة العربية قبائل متخالفة في النزعات ، خاضعة للشهوات ،
 نخر كل قبيلة في قتال أختها وسفك دماء أبطالها ، وسي نسائها وسلب
 أهوالها ، تسوقها للمطامع ، إلى الملامع ، ويرين لها السيئات ، فساد الاعتقادات ،
 وقد بلغ العرب من سخافة العقل حدًا صنعوا اصنامهم من الخلوى ثم عبدوها ،
 فلما جاعوا أكلوها ، وبلغوا من تضعف الأخلاق وهناقلوا فيه بناتهم
 تخلصا من عار حياتهن ، أو تنصلا من نشأت معيشتهن ، وبلغ الفحش
 منهم مبلغا لم يعد معه للمناف قيمته . وبالجملة فكانت رُبط النظام الاجتماعي

قد تراخت عندها في كل أمة ، وانفصمت عراها عند كل طائفة
 « أفلم يكن من رحمة الله بآولئك الأقوام أن يؤدبهم برجل منهم يوحي اليه
 رسالته ، ويمنحه عنايته ويمدده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغمم ،
 التي أظلت رؤس جميع الأمم ، ثم كان ذلك وله الأمر من قبل ومن بعد ، اه
 فلم مما أوردده الاستاذ الامام ان فساد الامم كان من فساد رؤساء
 الدين ورؤساء الدنيا وهم الملوكة والأمراء وان نصارى سيرة التفرقة كان
 محصورا في اطفاء نور القطرة الالهية وهدم ركني السمادة البشرية وهما
 استقلال الفكر واستقلال الارادة . فاذا قيل انه كان في الدنيا دينان
 سوايان أي دين اليهود ودين النصارى وكتابان الهيان وهما التوراة والانجيل
 فكان يعني عن بعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلهام الله تعالى رؤساء
 الدينين وحمله الكتابين أن يقيموا أصولهما ويسيرا على صراطهما ويدعوا الناس
 الى ذلك . نقول في الجواب ان دين اليهود كان خاصا بشعب اسرائيل وهم
 المخاطبون بالتوراة دون - واهم لهم الله تعالى ان هذا كتاب يصالح لهدايتهم
 وحدهم في الزمن الذي أنزل فيه وبعدده الى أجل مسمى . وبعد ذلك أفسد
 بنو اسرائيل في الارض فسلط الله عليهم الوثنيين فسبواهم وخرّبوا ديارهم
 وأحرقوا كتابهم . ثم ان كتاباً منهم اسمه (عزرا) كتب لهم بعد زمن
 طويل ما يحفظه من كتابهم وشريعتهم باذن الملك الوثني ومنها الاسفار
 الخمسة التي يسمونها التوراة وهي تحكي عن موسى بضمير الغائب وفيها ذكر
 وفاته وليس ذلك مما أوحى اليه . ولولا ان الله أخبرنا في كتابه بأن اليهود
 نسوا حظاً مما ذكروا به لاجمع ما ذكروا به ولولا انه احتج عليهم بعدم
 العمل بالتوراة والحجة تقوم ببعض كلام الله كما تقوم به كله - لما صدقنا

كلمة واحدة من كتبهم ولا وثقنا بحكم واحد من أحكام شريعتهم . وحاصل القول ان الله تعالى لم يجعل التوراة منذ شرعها هداية عامة مرشدة للجميع البشر الى كمال النظرة فكيف تصاح لذلك بعد ما طرأ عليها وعلى الناس ما طرأ وأما السيد المسيح عليه السلام فإنه لم يأت بدين جديد وإنما ديانته اليهودية وشريعته التوراة ولكنه كان مصلحاً لأن اليهود جمدوا على ظواهر الشريعة حتى صاروا كالماديين فأرسله الله الى خراف اسرائيل الضالة ليهديهم الى الروحانية ويبلغ فيها بمقدار ما بلغوا في الظواهر والماديات ليكون ذلك تمهيداً لدين الفطرة الذي يجمع بين مصالح الروح والجسد . وأما الديانة البولسية التي انتشرت في أوروبا بتعاليم بولس ثم مساعدة قسطنطين ومن بعده من الملوك والزعماء الناس بها فهي لا تنطبق على ما قلناه سابقاً في وجه حاجة البشر الى ارسال الرسل لهدايتهم الى سمادة الدنيا والآخرة بتربية الروح والجسد وليس فيها قاعدة واحدة من قواعد الفطرة وإنما هي عبارة عن شيء واحد وهو الايمان بالمسيح على الوجه الذي يقولونه وأنه لا حاجة مع هذا الايمان الى العمل بالشريعة . والظاهر من نصوص كتب العهد الجديد ان المسيح خلص العالم كله من المذاب من آمن به ومن لم يؤمن وإنما يفضل المؤمن به غيره بأنه يحل فيه روح القدس . قال يعقوب في رسالته « وليس من أجل خطايانا فقط بل من أجل خطايا العالم كله » . وقد ظل أهل أوروبا على هذا الدين عدة قرون يخطلون في دياجير الاوهام والجهالات حتى دخل عليهم الاصلاح الاسلامي من بلاد الاندلس والشرق كما سنبينه

(م ١٠٢) الاستعداد لعموم البعث : حاجة الناس الى الشيء تولد فيهم

الاستعداد له فاذا استدللنا بأمانة على المملول فلنا أن نستنبط استعداد الأمم لمصلح عام يرسله الله تعالى لهداية الأمم من شدة حاجة الأمم إلى ذلك الإصلاح وإذا استدللنا بالمملول على العلة فالدليل أوضح لأنه ههنا وجودي مشهود لا نظري مستنبط وهو قبول الأمم على اختلافها في الأديان واللغات والمواقع هذا الإصلاح الروحي الاجتماعي الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي الإلهي والالهام فقد انتشر الإسلام في المشرق والمغرب بسرعة لم يعرف التاريخ مثلها حتى كان ملك الإسلام بعد ثمانين سنة من ظهوره أوسع من ملك الرومان بعد ثمانمائة سنة والرومان أعظم أمم التاريخ الماضي في الحروب والفتوحات .

هذا هو الإصلاح الذي غير هيئة الأرض وبدّل نظام الاجتماع الإنساني في السياسة والحرب والمدنية والعلوم والآداب على أيدي أمة كانت قبل الإسلام أبعد الأمم عن السياسة والمدنية والنظام والعلم وهي الأمة العربية . ألم تر أن نور الهداية القطرية ماخبا بعد الإسلام من مكان إلا وأومض أو تألق في مكان آخر وإن دعائم العمران ما بدعت في مملكة إلا وشيدت في غيرها وإن غرس العلم والفلسفة ما ذبل أو تصوّر في أرض إلا ونما وترعرع في سواها . كل ذلك كان ينتقل مع الإسلام فكما ظهرت قوة الإسلام في مكان ظهرت بها ومعهما هذه الأشياء حتى إذا ضعف الإسلام والمسلمون في الشرق والغرب ضعف العلم والعمران والمدنية في العالم كله ولكنه لم يذهب من العالم فيحتاج العالم إلى مصلح آخر يبني له قواعد الاجتماع على أصول العلم الصحيح ومنه الكون إذ لو حصل ذلك لما كان محمد خاتم النبيين . ولكن تلك القواعد انتقلت

من مسلمي الاندلس ومسلمي الشرق الى اوروبا مع تلامذة ابن رشد وفي الكتب التي أخذها الصليبيون من المسلمين .

من عجيب أمر استعداد العالم لهذا الاصلاح العام سرعة انتقال العلم من قطر الى قطر ومن خافق الى خافق أيام مدنية العرب لأول عهدا مع صمودية المواصله بين الخافقين فقد كان المؤثفون من الاندلس وبلاد البربر ينقلون من كتب المؤثفين المماصرين في العراق من المشرق كما كان هؤلاء ينقلون عن أولئك في كل عصر فكانت تلك الهمم الكبار ، تفنيهم عن الكهرباء والبخار ، وآية أخرى من آيات هذا الاستعداد حفظ العلم والتاريخ فقد كان الكتاب يوجد قبل الاسلام في الامم ثم يذوب ويضحل كأن لم يكن شيئا مذكورا أرايت الاسرايليين على غلوهم في دينهم كيف مرت عليهم السنون والاحقاب وليس عندهم من كتاب شريعتهم الا نسخة واحدة حتي اذا فقدت ذهبت الثقة بمجوع ديانتهم الا ما كانوا يحفظون ويعملون . وقس بهم العرب الأُميين وانظر كيف حفظوا كتابهم في الصدور والسطور . وكيف رأوا في الصدر الاول أن يرسلوا بالمصاحف الى الاقطار لتكون أصولاً يكتب منها بصفة رسمية لأن مصحفاً يرسله خليفة رسول الله بمشاوره أصحاب رسول الله واتفاقهم له حكم النقل المتواتر المجمع عليه ولولا ذلك لكان نقل المصاحف مقصوراً على الافراد الذين كانوا يحملونها . واذا اشتبه في هذه الحال بكلمة اختلف فيها ناقل مع ناقل أو حافظ تقع الخيرة ن الترجيع لعدم وجود أصل مجمع عليه أو عدد كثير من المصاحف مأخوذة عن ذلك الأصل أو عدد مثله من الحفاظ . ولكن ذلك لم يقع فلا خلاف بين المسلمين في كلمة ولا في حرف من حروف القرآن العزيز

من آية استعداد الأمم للإصلاح الإسلامي على الطريقة الأولى
 (الاستدلال بالماله على المملول) النظر في أصول هذا الإصلاح فمنها حاجة
 البشر الطبيعية الى رابطة عامة بين الأمم المختلفة في الجنس واللغة والدين
 فقد كانت هذه الروابط خاصة تجمع طائفة محصورة يعيش أفرادها معيشة
 اجتماعية ولكنها تجعلهم أعداء للطوائف التي ترتبط برابطة أخرى والإسلام
 جاء لجمع كل الأمم كما سنبينه بعد . ومنها إقامة قواعد العمران والاجتماع على
 سنن الكون التي تعرف بالاختبار . ومنها تقييد سلطة رؤساء الدين والدنيا
 وجعل مصالح الأمم شوری بين أهل الرأي منهم وأصحاب الحل والمقد
 المرضين عندهم ومنها جعل أحكام الشريعة دائرة على درء المفاسد وحفظ
 المصالح وتحكيم المرف . وكل الأمم الراقية انما ارتقت بمثل هذه الأصول
 التي وضعها الاسلام سواء لقببت بلقب الإسلام أم لم تلقب به

ومن آية ذلك على تلك الطريقة أيضاً ما أثبتته علم الاجتماع من ارتقاء
 الانسان بالتدريج فبعد ان كان في ظلمات من بحر الوثنية اللجي من فوفه
 . وج من فوفه سحاب لا يكاد يرى شيئاً من نور الفطرة ارتقى في الوثنية من
 الاعتقاد بتأثير مظاهر الطبيعة التي لا يفهم معناها من جماد ونبات
 وحيوان وإنسان الى الاعتقاد بأن تلك المعبودات لا تؤثر بنفسها وإنما
 تقرب من يخضع لها من واجب الوجود وتشفع له عنده في قضاء الحاجج .
 بهذا الاستعداد اصططن الإسلام بالتوحيد جراثيم الوثنية من جزيرة العرب
 ثم انتشر التوحيد الخالص في العالم . وبدأ بالملم فلم يحب . مصباحه في مكان
 الا واشرق في غيره . فأكثر أهل أوربا اليوم . وحدون لا يمتقدون
 بسلطة ولا تأثير في الكون الا لمدير الكون الذي وضع سننه ونواميسه

« وخلق كل شئ فقدره تقديرا » ولقد كان النبي قبل الاسلام يبحث بالتوحيد فيؤمن به النفر أو القوم فلا يمضي عليهم زمن الا ويعودون الى الوثنية ويلتسبون لها الدلائل من الدين فيبغى التوحيد بالمرّة . ولكنه لم يبع بعد ظهور الاسلام وان دبت الوثنية الى بعض المسلمين وصفت عندهم بصيغة الدين بضروب من التأويل والتحريف . وسنوضح مسألة الاستعداد بما قاله الأستاذ الامام في ارتقاء الامم بالدين وبسبب ظهور الاسلام في العرب الأميين فانظر ذلك في الدرس الآتي

القسم العمومي

(الزواج وشبان مصر وشواحبها)

أكثر الجرائد اليومية الخوض في هذه الايام في مسألة اجتماعية ذات بال وهي ميل كثير من الشبان المصريين الى الزواج بالأوربيات وإحجام كثير منهم عن الزواج بالمرّة وزعم بعض الباحثين ان السبب في الامرين هو عدم وجود بنات مصريات « متريات » يصلحن لشبان مصر « المترين » وههنا شرح بعض الكتاب سوء حال تربية البنات ووصف من جهلهم وأطرب في التنفير عنهم . وكنت أحب أن يكتر الكتاب البحث في تربية البنات في مرض غير مرض تفضيل الزواج بالأوربيات والترغيب عن الزواج بالوطنيات

المسألة كبيرة وفروعها متشعبة والطريق البحث فيها نواشط كثيرة وكأني بهذه النواشط قد تمثلت أمامي فلا أدري أي نواشط اختارني ابتداء السير لأصل منه الى الطريق الاعظم . ولكنني أقول قبل كل قول : إن

الذين تزوجوا بالأوربيات أو يفضلون التزوج بهن هم أبعد المصريين عن التربية الصحيحة النافعة . وإن أكثر الذين يترشّون بالزواج يتربصون الظفر بزواج غنية لا بزواج مهندبة متربية .

ثم أقول أنه لا تربية عندنا للفتيان ولا للفتيات وإن الإناث يقربن من الذكور في الاخلاق والآداب والمعادات والرغبات ولكن الفرق بين الفريقين في التعليم فالمتعلمون أكثر من المتطلبات ولكن أكثر هذا العلم مما لا يصح التفاضل فيه لأنه قليل التأثير في الحياة المنزلية والحياة القومية والحياة المالية . ولوارثي المتعلمون في شؤون الحياة لا يصلحوا بيوتهم ورأس إصلاح البيوت تربية البنات فكما يريد الرجال يكون النساء لأنهم القوامون عاينهم والقوة بأيديهم فهم يسيرون العمران كيف شاؤوا .

ورب متفرنج غبي ينتفض رأسه إذا سمع قولنا : كما يريد الرجال يكون النساء . ويقول إن هذا قول من لا يعرف الحقائق فإن الأوربيين يقولون : كما يريد النساء يكون الرجال . رويدك أيها الفر المتفرنج إن في كلمة سادتك شيئاً من المبالغة وإن كان نساؤهم وصلن إلى درجة من الاستقلال والعناية بالتربية بسمي الرجال صارهن بهاشان في تربية الإطفال يصح معها أن يقال هذه الكلمة فيهن ولكن شأن بلادنا ونسائنا مبين لشؤون

التربية شيء والتعليم شيء آخر — التربية هي تعاهد القوى الجسدية والنفسية ومساعدتها على الوصول إلى الكمال المستعدة له في أصل الفطرة حتى يكون المرء إنساناً كاملاً سوياً في خلقه . هذياً في خلقه نافعاً لنفسه ولقومه والتعليم إيداع صور المعلومات في ذهن المتعلم . وقد وجد في مدارس مصر شيء من التعليم الناقص ولكن التربية لم توجد في المدارس ولا في البيوت فما

بقي في الامة من الاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة فهو على قلته من - ورماتركه
الذائف الصالح من التراث وأشد الناس جناية عليه واتلافاً له هؤلاء المتعلمون
الذين اتفقوا بالتعلم الجديد فصاروا يفعلون أنفسهم وأمتهم قليلون
جداً وإنما ساعدتهم على الانتفاع استعداد قوي في النظرة وبعض الاخلاق
والآداب الموروثة ولذلك يمد نجاحهم شذوذاً لا نتيجة طبيعية لهذا التعليم
الناقص في المدارس . هؤلاء لا ينصحون اشبان أمتهم ان يتزوجوا
بالاوربيات ، وإنما ينصحون لهم أن يربوا ويعلموا البنات ، وإذا اشتكوا
فإنما يشتكون من جهل الاغنياء وبخلهم إذ لا يسمعون بشي من فضل
ما لهم لانشاء معاهد أهلية للتربية والتعليم

أما تلك الحثالة من سائر المتعلمين وهم الاكثرون - على انهم قليل في
مجموع الامة - فانها لم تستفد من التعلم الا رطانة لثة اوربية بها يتمكنون
من معايشة بنايا الافرنج مسالحت أو متخذات أخذان . وان عقائل
نساء الافرنج ليترفعن ويستنكفن ان يعاشرن هؤلاء العلماء السفهاء الاحلام
بله الاقتران بهم وقبولهم بعولة لهم فهذا التبجح الذي يتبججه شباننا في الجرائد
لعلمهم أعما هو التبجح بتفضيل البنايا الاجنبيات على المحسنات الوطنيات

لولا هؤلاء المتعلمون لما راج سوق الفحش في مصر . لولا هؤلاء
المتعلمون لما نشأ داء الزهري في البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما نشأ
السكر في القطر . لولا هؤلاء المتعلمون لما عرف الميسر والقمار في وادي
النيل . لولا هؤلاء المتعلمون لما قتن الناس بزخرف الاثاث والرياش
والماعون التي تجلب من أوروبا فنذهب بثروة البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون
لما خربت تلك البيوت العاصرة التي ورثت الثروة والمجد عن أب وجد .

لولا هؤلاء المذنبون لما انتهكت حرمان الدين وتركت فضائله وسنته .
فبماذا يفخر هؤلاء المتعلمون المفرورون على البنات الاغرار الجاهلات
ولماذا يترفعون عليهن مع ان جهلن لم يجن على الامة والبلاد بمض ما جناه
علم اولئك المنبجحين المترفين

البنت الجاهلة تربي في بيت زوجها تربية جديدة لأن المذواه
لا تستقر أخلاقها وعاداتها على شيء الا بعد الزواج كأنها قبل ذلك ترى كل شيء
موقفاً غير ثابت لأنها في طور غير ثابت تنظر في كل يوم الانتقال الى
الطور الذي بعده الذي حكمت الفطرة بان تقضي حياتها فيه وهو كونها
زوجة لرجل ثم أما الولد . فليت شعري كم عدد المتعلمين الذين تزوجوا
من هؤلاء المذاري واشتغلوا بتربيتهم ليعيشوا معهم عيشة راضية ؟ كم عدد
الذين أحسنوا بالزواج فرضوا بازواجهن حتى لا يفسدوا الواخير ولا بيوت
السر ؟ ويا ليت شعري كم عدد البيوت التي كان فيها هؤلاء المتعلمون
صالحين صالحين وأزواجهم فاسدات مفسدات ؟ أظن بل أوقن أن الرجال هم
الذين يفسدون النساء بسوء المعاملة وقبح السيرة الا ما جاء على سبيل الشذوذ .
فما بال تلك « الفتاة النيرة » التي أرادت الدفاع عن اخواتها التحيصات
طافقت تدمهن وتهجوهن في مقالاتها التي نشرتها في المؤيد توسلا الى
كلمة تسترضي بها الشبان في آخرها بأنهم مقصرون وبأن في البنات
الآن من المتعلمات من يليق بهم

التميزة الكبرى في تربية بنات مصر هي أنهن يكلمن هؤلاء الشبان
المفرورين ويعاشرهم وهذه الفتنة فاشية في المتعلمين والمتعلمات أكثر من
فسوها في الجاهلين والجاهلات والذنب في هذه التميزة على الشبان فمنهم

بدأت الذئبة واليهم تعود لأنهم هم الذين يتمرضون للإغواء البنات . وقد
حدثني غير واحد منهم بأنه لا يكاد يوجد تلميذ إلا وله خلية من البنات .
ولكن لا تكاد توجد بنت بدأت شاباً بالمغازلة والمناغاة . فإذا كان هذا
حظ شباننا المتعلمين من البنات فإذا ينتمون عليهم من فساد التربية :
أنتم بعضهم على من يحبها أنها لا تحسن الرطانة بلغة أوربية . كيف وهو
أوسع مادة في المسائل التي يكلمها بها بلغته المرفية منه باللغة الأجنبية لأنها
لا تكلم إلا باللعو والهذيان الذي يناسب المشاق الذين لا تربية لهم
ولا تهذيب . يوهنا بعض الكتاب أن هؤلاء المتعلمين يود أحدهم أن
تكون له زوجة تعلم . مثلاً تعلم لتكون حياتها معها إنسانية بالذكريات
العلمية والأدبية لا حيوانية محضة مقصورة على التمتع البهيمي . وبأيت هذا
كان صحيحاً ولكن محزننا ويحزننا أنه غير صحيح فإن موضوعات حوارهم ،
في أنديةهم وسماهم ، دون ما يقتضيه علمهم الناقص كأن فساد التربية
حال بينهم وبين الانتفاع بالعلم . ومنذ الذي يطلب العلم ليميل به أولئك ؟
كلنا نعرف علة طلبهم للعلم . هي أخذ الشهادة التي تعد لهم لوظائف الحكومة
والترشيح من وظائف الحكومة الأكل مع الراحة لما جيلوا عليه من الكد .
نرى أحدهم يجد ويكد قريحته بأخف مدة الدراسة حتى إذا ما نال ورقة
الشهادة التي سماها بعض الأوربيين (جلدة الجمار) قال : ذهب دور التعب
والعناء وجاء دور التمتع . على أنه لم يكن في طور الدراسة مصروفاً عن
التمتع فترك البحث والمذاكرة في كل ما تملكه إلا إذا كان رزقه منه
كالمهندسين والأطباء وقليل ما هم

أن من يدرس العلم لحاجة كرشه وفرشه كالشور الذي يدرس ليأكل

بل ربما كان الثور أنفع منه لأنه يأكل ويأكل غيره من عمله بدرس
الخطبة ولكن أكثر الذين يدرسون العلم عندنا لا يأكلون ولا يأكل أحد
من عمرة دراستهم وهم الذين قال فيهم الشاعر :

و درس ثورين قد شئنا الى قرن أفتى وأنفع من تدريس حبرين
أين أثر علم هؤلاء المتفجيين في التأليف أو العمل ؟ أين الأندية
والسماز الأديبة ؟ أين الجمعيات العلمية ؟ أين الشركات الصناعية ؟ أين الأعمال
التجارية ؟ أين التأليف النافعة في العلوم الاغوية أو العلمية أو الادبية أو الدينية .
أخرت ذكر الدين لان أكثر هؤلاء المتعلمين ، أجعل به من العامة المؤمنين ،
ولا يخفى ان الكلام كله في المجموع لا في عموم الافراد فان من التلامذة من
يرغب في العلم لتفضله ونفعه ومنهم من أحسن أهله أدبه وتربيته

فيامعشر المتفجيين بالعلم - وان كان الجهل خيرا منه - اذا فتنتم بالاوريات
أو استعنتنتم بالسفاح عن الزواج الشرعي أو كنتم ترجون الاقتران ليظفر أحدكم
بامراة غنية يتنم بها لان المدرسة ربه على الترف والكسل . ما فاقم عليكم
بالشرف الذي تذكرونه ؛ والوطن الذي تتوهمونه ؛ بل أقسم عليكم بالله
الذي تمبدونه ، أن لا تمتدروا عن ذلك بغميزة اخواتكم ؛ والاوزاء
بامهاتكم ؛ ومن كان منكم يغار على قومه وبلاده فليجتهد بتربية نفسه ثم
تربية الاقرب فالاقرب . واعلموا انه لو وجد عندنا تربية وتعليم لوجد
عندنا رجال واذا وجد الرجال توجد النساء كما يريد الرجال ويوجد المال
ويوجد الاستقلال فالرجال هم الذين عملوا كل شئ في الماضي وهم الذين
يعملون كل شئ في المستقبل وخير لهم ان يكون نساؤهم عوناهم من أن
يكونوا كلاً عليهم والسلام على من علم وعمل

الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦)
 في الوقت المعين من هذا اليوم تكامل الاجتماع واستمدت الهيئة لهذا كره والسمع
 وقرأ كاتب الجمعية ضبط الجلسة السابقة حسب القاعدة المرعية
 قال (الاستاذ الرئيس) سنبعث بعد يومين في وضع قانون للجمعية الدائمة واني
 أرى أن تفوض للجنة منا من الذين سبق لهم دخول في جمعيات علمية أو الذين
 لهم وقوف على مباني الجمعيات القانونية ولا سيما العربية المعروفة باسم (أكاديميات)
 لتنظر لنا هذه اللجنة سائحة قانون نضعها تحت البحث في الجمعية
 واني أ كلف بهذه اللجنة اخانا السيد الفراتي ليقوم بكتابتها وأخانا السيد
 الانكليزي ليفيد اللجنة عما يعلمه عن الأكاديميات وعن مجربات جمعيات ليفربول
 ورأس الرجا واخواننا المسلمة المصري والصاحب الهندي والمدقق التركي وهذا
 برئيسهم لانه أسهم في أول وهؤلاء خمسة أعضاء فهل تنصوب الجمعية ذلك وترى فيه
 الكفاية والكفاءة أم تستدرك شيئاً

ثم ابتدر (السيد الانكليزي) للمقال مخاطباً الاستاذ الرئيس فقال اننا مسلمي
 (ليفربول) حديثو عهد بالاسلام ولنا اشكالات مهمة تتعلق ببحث اليوم أعني بطريقة
 الاستهداء من الكتاب والسنة لان أكثرنا قد اهتدينا والحمد لله الى الاسلامية منتقلين
 اليها من (البروتستانتية) أي الطائفة الأنجليكية لا من الكاثوليك أي الطائفة التقليدية
 فقبل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط ولا نتق بقول غير معصوم فيما ندين . وقد
 تركنا دين آبائنا وقومنا لتبع دين محمد نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام لا لتبع الحنفي
 أو الشافعي أو الحنبلي أو المالكي وان كانوا نقاة ناعلين

ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في امريكا وجنوب افريقيا ونحن رانغبون أن نسي
 سعيًا حثيًا في الدعوة للدين السامي الاسلامي المبين والاقوام الذين ندعوهم غالبهم
 متدنون أي افكارهم متورة بالعلوم والمعارف وأكبر أملنا معقود بهداية فتيين
 اثنتين الأولى البروتستانت والثانية الزنادقة .

أما أملنا في البروتستانت فلأنهم منقلبون حديثاً من الكاثوليكية انقلاباً ناشئاً عن

ترجيحهم الاقتصار على الانجيل ومجموعة الكتب المقدسة متوافقة أى باهمال الشروح والتفسيرات والمزيدات التي لا يوجد لها أصل صريح في الانجيل . والبروتستان في أوروبا وأمريكا يزيدون على مائة مليون من النفوس كلهم . فطوورون على الدين قليلاً القناد في الاعتقاد . - - - - - يمدون لقبول البحث والالتقياد للحق بشرط ظهوره . ظهوراً عقلياً ولا سيما اذا كان الحق ملائماً لأسباب هجرهم الكاثوليكية من نحو انكارهم الرياسة الدينية والرهبانية والتوسل بالقدسين وطلب الشفاعة منهم واحترام الصور والتماثيل والدعاء لأجل الأموات وبيع الغفران والقول بأن البطارقة قوة قدسية وقوة تشريعية وان لا بابا صفة الهامة عن الخطأ في الدين وأن للاساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة الى غير ذلك مما ينتج في النصرانية سلطة دينية وتشديدات تعبدية لا يوجد لها أصل في الانجيل .

وقد يشبه هؤلاء البروتستان في رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف باسم القرائين وهم الآخذون بأصل التوراة والمزامير النابذون للناموس أي لتفسيرات ومزيدات الاحبار والحاخامين الأقدمين .

أما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانية كلياً لمدم ملائمتها للعقل وهؤلاء في أوروبا وأمريكا كذلك يزيدون على مائة مليون من النفوس غالبهم . يستمدون لقبول ديانة تكون مقولة حرة سمحة ترييحهم من نصب الكفر في الحياة الحاضرة فضلاً عن العذاب في الآخرة .

ومن غريب نتائج التدقيق ان افراد هذه الفئة كلما بعدوا عن النصرانية تفور آمن شركها وخرافاتها وتزيداتها يهربون طبعاً من التوحيد والاسلامية وحكماتها وسماحتها . فبنية على هذا الحال وهذه الآمال ترى جمعية (ليفريول) أهمية عظيمة لتحرير مسألة الاستعداد من الكتاب والسنة وتصوير حكمة وسماحة الدين الاسلامي للعالم المتمدن فأرجو حضرة الأستاذ الرئيس أن يسمع لي بتفهم مسألة الاستعداد على اسلوب المحاوره والمساجلة مع بعض الاخوان الافاضل في هذا المحفل العلمي العظيم .

فاجابه (الأستاذ الرئيس) بقوله له ساجل من شئت وخاطب من أردت فالأخوان كلهم علماء أفاضل حكماء

فقال (السيد الانكليزي) مخاطباً العالم المعجدي انك يا مولاي قد صورت في مقدمة خطابك في التوحيد من هو المسلم والزمت العمل بالكتاب والسنة فأرجوك

أن نعرف في أولاً ما هو الكتاب وما هي السنة .

فإن العالم المجدي . أما الكتاب . فهو هذا القرآن الذي وصل إلينا بطريق لا شبهة فيه لإجماع الكلمة واتفاق الأمة عليه وتناقلها إياه جيلاً عن جيل حفظاً في الصدور وضبطاً في السطور مع الحرس العظيم على كيفية أدائه لفظاً وعلى هيئة أملائه كتابة ومع الاعتناء الكامل في تحقيق أسباب النزول ومكانه ووقته ومع حفظ اللغة العربية المضربة القرشية التي نزل بها ما يقان لا مزيد عليه . وبقاء القرآن محفوظاً من التعريف والتغيير وهو حبات الرب إلى الآن هو أحد وجوه اعجازه حيث جاء مصداقاً لقوله تعالى فيه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

أما السنة . فهي ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام أو فعله أو أقره ولم يكن صدر منه ذلك على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة وقد اعتنى الصحابة ولاسيما التابعون ، تابعوهم رضي الله عنهم بحفظ السنة حديثها وآثارها وسيرها غاية الاعتناء وتناقلوها بالرواية والسند المتسلسل متحررين الوثوق منتهى مراتب التحري والتثبت وقد حازت بعض مدونات السنة وثوقاً تاماً وقبولاً عاماً في الأمة فودعات إلينا بكمال الضبط خصوصاً منها الكتب الستة .

قال (السعيد الأنكبري) لا يشك أحد حتى تعدو المعاند في أنه لم يبلغ ولن تبلغ أمة من الأمم شأن المسلمين في اعتنائهم بحفظ القرآن الكريم وضبطهم آثاره النبوي أي السنة وكذلك يقال في اعتنائهم باللغة العربية التي هي آلة فهم الخطاب .

وبالنظر إلى ذلك كان يجب أن تحرر الشريعة الإسلامية أحسن تحرير فلا يوجد فيها ما وجد في غيرها بسبب عدم ضبط أصولها من اختلافات ومباينات مهمة بين العلماء الأئمة فأرجو أن تبين لي ما هو منشأ هذا التشتت الذي نراه في الأحكام .

أجابه (العالم المجدي) أن الاختلافات الموجودة في الشريعة ليس كما يظن شاملة الأصول بل أصول الدين كلها والبعض من الفروع متفق عابها لأن لها في القرآن أو السنة أحكاماً صريحة قطعية اثبتت قطعية الدلالة أو ثابتة بإجماع الأمة الذي لا يجوز العقل فيه أن يكون عن غير أصل في الشرع (١)

١٥ . المثار - هذا القول غير مسلم إذ يجوز العقل أن يقول المجتهدون في زمن من الأزمان قرأنا شيئاً على خطأ في الاجتهاد لاسيما إذا كانوا قليلي العدد كما هو الواقع بهما الصدر الأول . وقد حصل مثل هذا في جميع الملل والذي لا يجوز هو الذي لا يمكن أن يقع

أما الخلافات فإتاما هي في فروع تلك الأصول وفي بعض الاحكام التي ليس لها في القرآن أو السنة نصوص صريحة بل بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وفقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الاحكام التي اختلفوا فيها إما تلقيا من بعض الصحابة فكل قلد من صادف «١» وإما استنبطوها اجتهاداً من نصوص الكتاب أو السنة بالمداول المحتمل أو بالمفهوم أو بالافتضاء أو من قرائن الحال أو قرائن القول أو بالتوفيق أو بالتخريج أو التفريع أو بالقياس أو باتحاد الصلة أو باتحاد النتيجة أو بالتأويل أو الاستحسان وهذه الاحكام الخلافية كلها ترجع الى دلائل اما قطعية الثبوت ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت ظنية الدلالة . ولكل واحد من المجتهدين أصول في التطبيق وقوانين في الاستنباط يخالف فيها الآخر ومنشأ معظمها الخلافات النحوية والبيانية .

ثم ان أكثر الخلافات هي في مسائل المعاملات وعلى كل حال جاحدها لا يكفر باتفاق الأئمة بل المتخالفون لا يفسق بعضهم بعضاً اذا كان التخالف عن اجتهاد لا عن هوى نفس أو تقصير في التبع الممكن للمقيم في دار الاسلام (مرحى)
قال (السيد الانكليزي) اني أشكر على ما أجملت وأوضحت غير انك لم تذكر في حجة أسباب الأختلاف في اعتبار النسخ والمنسوخ بين آيتين أو حديثين أو آية وحديث واني أظن ان ذلك من أعظم أسباب الاختلاف في الأحكام .
أجابه (المسلم النجدي) ان نواسخ الأحكام قليلة ومعلومة والخلاف فيها أقل لأن النسخ في زمن التشريع لم يحصل إلا عن حكمة ظاهرة كالدرج في منع السكر كأنه عن حالة الصلاة ثم تعميم منه . وكثير المقتضي للتوارث بالإخاء وهو القطيعة التي حصلت بين المهاجرين وذوي أرحامهم في بدء الأمر ثم لما تلاحقوا بعد فتح مكة نسخ ذلك وجعل التوارث بالتبني . وكالدعوة في أول الاسلام الى التوحيد والدين بمجرد الموعظة بدون جدال ثم به بدون صدد ثم به بدون قتال ثم به في أهل جزيرة العرب فقط ثم بتعميمه مع قبول الجزية والحراج من غيرهم (٢) «مرحى»

«١» وهذا أيضاً غير صحيح فان هؤلاء الأئمة ما كانوا مقلدين للصحابة
«٢» شرع الاسلام أو السيف خاصاً بأهل جزيرة العرب بقصد احكام الوحدة السياسية في الوحدة الجنسية لا كما يتوهم الطاعنون في الاسلامية انها لم تقم الا بالسيف
اهم من الأصل وما ذكره في الدعوة وفي تحريم الخمر ليس بالنسخ في شيء

قال « السيد الانكليزي » ان ما وصفت من أصول الاجتهاد وقوانين استنباط الأحكام قد أنتج خلاف ما يأمر الله به في قوله تعالى « اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وخلاف مآقتضيه الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرق .
أجابه « العالم التجدي » اني لا أعتدي لذلك سبيلاً^١ ولعل في الإخوان من يتصور وسيلة لهذا الأمر المهم

فابتدر « العلامة المصري » مخاطباً السيد الانكليزي وقال : ان رفع الخلاف غير ممكن مطلقاً ولكن يمكن تخفيف تأثيراته . وذلك أنه لما كان معظم الاختلاف كما قرره اخوتنا العالم التجدي في الفروع دون الأصول وفي السنن والمندوبات والصفائر والمكروهات دون الشعائر والواجبات والكبائر والمنكرات وكان أكثر الامة هم الامامة الذين لا يقدرون أن يميزوا بين الواجب والسنة والمندوب وبين النفل والمباح أو يفرقوا بين الكفر والحرام وبين الكبيرة والصغيرة والمكروه تنزيهاً والتقوى بل تنقسم الأحكام كلها في نظرهم الى نوعين أصابن فقط مطلوب ومحظور وبتعبير آخر الى حلال وحرام وكانت أحكام الشريعة كثيرة جداً فالامامة يجدون أنفسهم مكلفين بما لا يطيقون الإحاطة بمعرفة فضلاً عن القيام به ويرون ان لامناص لهم من التهاون في أكثره أو بعبارة أخرى فيقوم أحدهم بالبيض دون البيض فيأتي بالنفل ويتهاون بالواجب ويتساهل المكروه ويقدم على الحرام وذلك كما قلنا لاستكثاره الأحكام وجهاته بمراتبها في التقديم والتأخير « ٢ »

بناء على ذلك أرى لو أن فقهاء الأمة كما فرقوا مراتب الأحكام على المسائل يفرقون المسائل أيضاً على المراتب في متون مخصوصة . فيمقدون لكل مذهب من المذاهب كتاباً في العبادات ينقسم الى ابواب وفصول تذكر في كل منها الفرائض والواجبات فقط وتنطوي ضمنها الشرائط والأركان بحيث يقال ان هذه الأحكام هي هذه المذاهب هي اقل ما يجوز به العبادة .

« ١ » الأديان والمذاهب كلها مصابة بالانشقاق فهذه البروتستانتية تفرقت في مدة مائتي سنة الى ما يزيد على مائتي فرقة وهذه أحكام الأحوال الشخصية من نكاح ونحوه في النصرانية مختلف فيها بين الكنائس أو بين رؤساء كل كنيسة اختلافاً لا يهتدى منه الى نتيجة . اهـ من الأصل « ٢ » كالأتراك يهتمون بالسنن والمكروهات أكثر من الواجبات والمنهيات اهـ من الأصل

ويعتقد في كتابنا آخر ينقسم الى عشرين كتاباً الاثواب ، الفصول تذكر فيها السنن
حيث يقال ان هذه الأحكام ينبغي رعايتها في أكثر الأوقات . ثم كتاباً ثالثاً منسب
الأوابن تذكر فيه سنن الزوائد بحيث يقال ان هذه الأحكام رعايتها أولى من تركها .
وعلى هذا النسق يوضع كتاب للمغريات ينقسم الى ابواب وفصول تمدد فيها
المكفرات والكبائر وكذا الصغائر والمكروهات ومثل ذلك تقسم كتب المعاملات على
طبقات من الأحكام الإجماعية او الاجتهادية او الاستحسانية .

فيمثل هذا الترتيب سهلاً على كل من العامة ان يعرف ما هو مكلف به في دينه
فيعمل به على حسب مراتبه وامكانه وبهذه الصورة تظهر سماحة الدين الخفيف ويصير
المسلم مطمئن القلب مثله كمثل تاجر له دفاتر وقیود وحسابات وموازنات منتظمة
فيعيش مطمئن الفكر وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته في اوراق
منتثرة ومعاملاته مشقة متزايدة في فكره لا يعرف ماله وما عليه فيعيش عمره مرتبك
البال مضطرب الحال «مرحى»

باب في بيان فوائد كتابنا

الشجرة السابعة صمدية بريرة رأسهم (*)

رؤيا منام * أرجوان تحفة لنا الايام *

رأيتني متطياً جواداً أسبح في بلاد مجهولة لأدري ان كانت من الدنيا القديمة
أو الجديدة ولكني بحسب ما بدالي من ظواهرها أرى انها لا بد أن تكون واقعة على
نجوم بلاد الألدورادر (١) أو الأوتوبيا (٢)

(*) مررب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

[١] الألدورادر كلمة اسبانية معناها بلاد الذهب وتطلق على بلاد يزعم الناس
ان ضابطاً من مدينة بزارا اكتشفها في أمريكا الجنوبية وانه كان يوجد بها من الذهب
وخيرات الارض شيء كثير ثم أطلقت هذه التسمية على بلاد الرخاء والتعيم [٢] الأوتوبيا
كلمة يونانية تطلق على بلاد وهمية جرت أمورها على أحسن ما يتخيل من النظام
وصفها كاتب اسمه توماس موريس في كتاب له

بصرت في طريقى بحظائر مسيجة بـسيجة خضراء فيها قطمان من البقر والغنم وغيرها من الحيوانات المجترة التي لا توجد قط في مراعيها تقوم آمنة لا كلب يحرسها ولا راعي يراقبها ولا حظت في انتظام طرق الري في هذه البلاد وحسن توزيع الماء بين جهاتها على نحو يثير الاستحسان ويدعو الى الاعجاب انه كان من منازياه امتلاء جو ريفها بالنسيم البارد المنعش على مافيه من حرارة النهار وشاهدت سلاسل من الهضات مكحلة بالأشجار كأنها في تنابها واتصال بعضها ببعض تمخط للرياح والسحاب طريقهما. ضرب الغنى سرادقه حول قرى هذا الريف وظهرت على أهلها آثار النعمة والأغنياء نساءه حسان وولدانه أسوياء أصحاب الأبدان يشرون حكومتهم بأنهم سيكونون نسلا قويا باسلا

ثم رأيت حواضر هذا القطر فلم أكن لرؤيتها أقل مني دهشة لرؤية قراء وعلماء أرشدت اليه في أحداها بنآن كأننا أقبلنا في عصر يسميه أهلها الآن عصر النهضة أحدهما سجن والثاني مأوى للمساكين وقد أصبحا من أهلها خلاه لعدم اللصوص والبؤساء ومعهم لم يبق لوجودهما فائدة حفظهما القائمون على شؤون المدينة ليكون للاجانب فيهما ذكرى لتاريخهم.

حدد في هذه البلاد ما للناس وما عليهم من الحقوق والفروض وما للحكومة وما عليهم من ذلك وامتناز بعضه عن بعض امتيازاً ينياً ولهذا تجد الرعايا لا يولون حكماءهم من شؤونهم الا ما ليس من مصالحهم ان يتولوه بأنفسهم وحقيقة الامر ان القوانين فيها على قلبها جداً وصدورها عن رأي من اختارهم الأمة نواباً عنها لا يميل لها الا على ما كان من الاعمال متعلقاً بالحكومة ولما كان الناس جميعاً هم الذين قدسوا لأنفسهم هذه القوانين لحماية كل منهم كانت مخالفتها وعدم الرضوخ لاحكامها حقاً وسخفاً على انهم يؤملون تديبها والتقليل من سلطانها بترقية العلوم وبث اضواء المرفان

رأيهم هو حاكمهم المطاع أمره النافذ قوله ولم يعهد أن ملكاً من الملوك المتعنين في صياصيمهم الممتزين بمحصولهم كان له من المعاقلة والتأرييس ما يعادل ما يحيط به ذلك الحاكم من ضروب الكفالة وأنواع الضمان المؤبدته القائمة على إعنازه فالقوم أحرار يتفكرون في كل ما يكتبون ويكتبون كل ما يتفكرون وانه ليدعهم كثيراً على ما يرى ان يعلموا أن فوق الأرض انما في قدرتها ان تستسلم لحاكم وتلقى بنفسها في قبضة ظالم لاقت في هذه المدينة شيخاً لا أذكر اية ولا كيف لاقيه وقع التعارف بيني وبينه

فأخذ على نفسه أن يشرح لي نظام حكومتهم ويخبرني بي على المشاهد الممدة للمنافع العامة لأنني لم أرى المدينة قصوراً بنيت لبعض الأفراد توفية لأسباب لذاته ولا مساح ولادور لتجيش ولا مواخير للفحش .

لما رافني ما شاهدته قلت الشيخ هل لك أن تخبرني باسم ذلك التواضع الكبير الذي سن لكم هذه القوانين .

فبسم ضاحكا من قولي وقال أراك آتيا من عالم آخر فاعلم أن قوانيننا ليست من وضع البشر واني أراي الآن مضطرا الى أن أقص عليك تاريخنا في كلمات قلائل فاستمع لما أقول : اننا قبل اليوم بنحو قرنين لم نكن أحسن حالا من غيرنا من الأمم و آخر ملك تولى علينا ولا تذكر منه شيئا حتى اسمه (لان النسيان أحسن عقاب للمسيئين الأشرار) خلع من عرشه بعد حكم أسخط عليه جميع رعاياه وألبهم على نبذ طاعته والخروج عليه ثم عرض الثأرون بعد خلعهم صوراً مختلفة وأشكالاً متنوعة للحكومة وكادوا يقتلون على اختيار حاكم لولا أن آباءنا بما كان لهم من الحكمة والدراية قد تراجعوا وقال بعضهم لبعض ان الأولى لنا ان نرجي الفصل فيما نتجر بيننا وأن نترك لأعتابنا النظر لأنفسهم فيما هو خير لهم فانه لاخير في أحسن الأوضاع ولا في أعبد القوانين ان لم نجد في اخلاق الناشئين وسيلة لاستبقائها وحينئذ اتفق القوم على أن يبقوا من قوانينهم القديمة أكثرها مطابقة لحكم العقل حياء من الدهر وأن ينشؤوا الخيال الجديد في هذه الفترة على حب الحرية والاخذ بها ثم لما لم تر مدرستا أنها أصل نظامنا السياسي فهيأ بنا إليها .

أخفني الى مكان على مقربة من المدينة فما هو الا أن تجلي الطريق في اسمعانة .
الشريعة فسر أو هيكل فوق ربوة شجره قد عاينته وأتفاح أرجائه ماله من الفخامة والجلال لو أردت أن اصف لك جملة لميت يذئذ . بني كل قسم من أقسامه الداخلية على طريقة حديثة في فن العمارة وبلغ من الأزدان بما وضع فيه من التماثيل والصور وآثار الفنون الى حيث ان جدرانها كانت تكاد تكفي أن تكون وحدها طريقة من طرق التعليم تكون ماحوته يتقش على أذهان التلامذة ومشاعرهم وينقسم هؤلاء الى عدة أمم يمثل كل منها جيلا من أجيال الانسان وقد وقع ذلك البناء في وسط مشاهد تأسر القلب وتأخذ باللب بما فيها من ضروب التباين ووجوه التعاضد فتجد حوله الآجام والصخور ومناطق الماء ونحته البحر .

وقد كنت على إحدى حاضرات الدروس فإذا بنا، إن يكرسون أنواعاً مختلفة من الرياضات البدنية كالسباحة والمسدو والرماية بالقوس وأكثر مدهشت له في هذه الحقائق أن معلمها كانوا من هنود أمريكا الحمر الأصليين كما تبين ذلك من لوانهم وخوفاً أنفسهم وما كان على شعورهم من مواد الزينة الوهمية

قال لي الدليل أن هذه القبيلة الموحشة لم تأت إلى بلادنا إلا من عهد قريب إنما جلبها إلى حدودها من أخلاق قومنا ورقة طباعهم فأننا لم نعتبرهم أعداء لنا كما يفعل غيرنا بل دعوناهم إلى مشاركتنا في نعم الحضارة وأرشدناهم إلى ما تحصى لنا من الفوائد ونزايالهم على الدأوة ولما كنا لا نجهل ما لهم من الله أهدب التدبيرة التي نحن محرومون منها قد عرفتنا عليهم معاوضة المنافع ومباداة الخرافة فقبل فريق منهم ذلك منا وهامهم أولاً لأنهم يرون أننا على احتمال الآلام الجسدية ندير معشنيين من جباههم وعلى ألسنتهم البصارهم واسماعهم في احتساب ما ينسب لهم من الجبال والبطال أو ما يكاد يخافهم من الكائنات ويعودونهم على البسالة في تقي اعتقادهم وإيقاظهم واقفة ساطعان الإرادة وعلى تعرف أخلاق الحيوانات وعوائلها في حالتها الوحشية

وفيما نحن نحول داخل هذا المكان الذي هو منقسم كما قلت إلى دارات مختلفة تربية والتعليم شهدت أحد الأعياد التي تقام في هذه الدارات التاريخية أو العلمية من حين إلى حين فقال لي أناس في آتنا (عاصمة بلاد اليونان) إن لم أكن وإها ما بعثت قائداً بل بالاقرب ويول شاحصة أمامي على صخرة فاعلموها معبد وتماثيل والهة بنمت من النحاس الأحمر والبرص ورأيت في الجانب الغربي لهذه القاعة دهاليزها التي أقامها بريكليس (١) وكانت أشبه طوائف من القوم في أثينا يونانية يتسجدون اليونان في أطوارهم وأحوالهم تشخيصاً يقرب من النظرية ويتكلمون بلغتهم وينطقونهم في نزهتهم في المدينة أو غدوهم إلى مرافق بيريه (٢) ومونيخي (٣) وقالير (٤) فاستغربت ما رأيت مع قلة استغراب الحالم واقسمت بآتيه بروما خوس لاكتهن هذا السر فإما رأي صاحبي شدة ولهي بمعرفة حقيقة ما رأيت قال لي إن الأمر في غاية السهولة ذلك أننا لما بين لنا بالاختيار أن التاريخ في تعليمه للأحداث يمر بأذهانهم

(١) بريكليس أحد رجال حكومة آتنا الأقدمين (٢ و ٣ و ٤) بيريه ومونيخي

وقالير كلها مدن يونانية فيها مرافق

مسرور الغال غير تارك له فيها آثاراً بينة أحسنها في أن يجعل له جيشاً يحارب فيها سورته
فترى تلامذتنا لا يتفكرون في معلمه على مطالعة ما كان في المعذور الخالية بل أنهم
يمشون في تلك المعذور .

فقلت له لابد أن تكون جمهوريتكم قد بلغت من النضرة ثباتها حتى تقوم بنفقات
هذه المعاهد فكان جوابها غيبة إلهارها في طرق الكسب ولأنها هي التي تدبر
نفقاتها بنفسها على أن أرجو أن لا تخدع بما أراد فإن ما تظنه بذلاً للمال وإسرافاً فيه
هو في الحقيقة تدبير له وتوفير ولو مسح ما نسمة عن أوروبا القديمة لكان ما تنفقه أنماها
على حكوماتها في جانب التبذير وما تنفقه على التعليم العام في طرف التقدير وأما نحن
فأمورنا تجري على خلاف ذلك فيكون لنا لا تكلفنا أولاً تكاليفاً شديداً ونفسق
كل أرزاقنا على ممارستنا فكان لنا بالسير على هذه السفن ما يسمى في عرف التجارة
صفقة رابحة والله طريقتنا في التربية فالتأثير استغنياً عن اتخاذ جيش دائم وكهوت
وغيرها الانتقال التي توقع الحكومات في وتؤديها إلى الخراب

هذه الأمة التي نزل على الآن اسمها لا تشهد في تربية عقول أبنائها وتقويم
طباعهم أعدادهم لأن يتبعوا في مستقبلهم نظاماً مقررأ كثنأ ما كان بل أنها عقدت
الثقة على أن تقل ما يندج من التربية الحرة المؤسسة على نواميس الكون وأصول العلم
من الثمرات فبعضها إقدامها على أن تمهد لمستقبل بلادها إلى معارف الأجيال الجديدة
وعلمهم فهي تعتبر المدرسة أمة في سبيل نشأتها لها قوانينها كما أن للحكومة قوانينها
وترى تلك القوانين كأنها مقدمة لهذه وتبكر بتعليم التلامذة ممارسة ما يحل به الرجال
من الفضائل القومية .

ليس للمعالي المدرسة على التلامذة أدنى سبيل إلى التأديب ولكنهم لا يسلمون عنها
بما يتفرونه من مخالفة قوانينها وعواندها بل أنهم يعاقب بعضهم بمعناً على ما يقع منهم
من المخالفات فالمخالفون يحاكمون إلى محكمة ينتخب أعضاؤها من أخوانهم لمدة معلومة
ومن مصلحة هؤلاء الأعضاء أن يمدوا في أحكامهم وأن لا يطبقوا فيها دواعي الهوى
والغرض إمامهم أن الاعتداء على حقوق الناس قد يمد عليهم ضرره في الحال أو
في المال ويقوم إمام هذه المحكمة محاميان أحدهما من جانب المدعي والثاني من
جانب المدعى عليه فيبينان لها وقائع الدعوى بالرزانة والوقار ثم يصدر المخلفون المتطوعون
أحكامهم وهي واجبة الاحترام على الدوام وما يحكم به من الجزاء يصير على كونه غاية

أثر كتاب الحنفية

هو الهدايا والتعاريف

(تأسيس النظر) كتاب وجيز صنفه الفقيه الأصولي أبو زيد عبيد الله بن عمر ابن عيسى الديلمي الحنفي في علم الخلاف وهو أول من صنف في خلاف الأئمة في الفقه .
وعلم الخلاف نافع لمن يريد معرفة مدارك الأئمة ودلائلهم ووجوه الترجيح فيها شجر ينهم
من الاختلاف في الأحكام فهو فرع من علم أصول الفقه . وقد سمي في طبع هذا الكتاب
الشيخ مصطفى القبايقي الدمشقي كما هو شأنه في السمي بإظهار كتب الأئمة النافعة
ونشرها . طبعه على نفقته ونفقة محمد أفندي أمين الحانجي على أجود الورق السامع
الموجود في مصر . وكنت أود أن يقف على نصحيجه أحد المشتغلين بالفقه والأصول .
ولا أعرف كتاباً طبع في علم الخلاف غيره فمسي أن يقبل أهل العلم على مطالعته
وقد طبع في آخر الكتاب رسالة (الأصول التي عليها مدار كتب الحنفية) وهي
تحو أربعين أصلاً وضعها الإمام أبو الحسن الكرخي من فقهاء القرن الثالث ووضع لها
لامتلة والشواهد الفقهية عمر التنسي المتوفى سنة ٥٢٧ هـ ونحو فورد بعض أمثلتها عبرة
للمفكرين قال : « الأصل أن كل آية يخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو
على الترجيح والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق » وباليته ذكر : جهاً
آخر وهو الرجوع عن قول أصحابهم إلى الآية الكريمة ولو عند عدم ظهور وجه
وجه في التأويل . ومنها قوله : « الأصل أن كل خبر (أي حديث) يثبت به خلاف
قول أصحابنا فإنه يحمل على النسخ أو على أنه مارض بمثله ثم صار إلى دليل آخر أو
ترجيح فيه بما يحتاج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق . وإنما يفعل ذلك
على حسب قيام الدليل فإن قامت دلالة النسخ بحمل عايه وإن قامت الدلالة على غيره صرنا
إليه أي أنه لا بد من تصحيح قول فقهاءهم والعمل به على كل حال . ونحن نقول كما يحمل
نسخ الآية أو الحديث بحمل رجوع ذلك الفقيه عن قوله فالمدوخ قليل جداً ولكن
الأقوال المرجوحة التي يرجع عنها العلماء أكثر من أن تحصى . يقابل هذا بذاك وتبقى
وجوه أخرى للمعامل بالآية أو الحديث منها أنهما أصل الدين فإن قبل قول الفقيه فأنما يقبل
لاستناده إليهما أو أحدهما ولو ظنا فإذا تمارض الأصل والفرع يحمل بالأصل . ومنها أن الثقة
بكل الكتاب والسنة أعظم . ومنها أن خطأها محال وكل إمام وفقه عرضة للخطأ . ومنها

انهما أصبح وأفسح الكلام فيهما أسهل وبيانهما أعظم والله الهادي وهو أعلم وأحكم
 (نسمة الأسد) قصة تاريخية تشرح حوادث الثورة الفرنسية الشهيرة ومقتداتها
 ونتائجها وهي من تأليف الصحفي الشهير لسكندر ذياب الكبير، وقد ترجمها صديقنا
 الفاضل فريح أفندي أنبلون صاحب مجلة الجامعة اللبنانية ونشرها تباعاً في ذيل مجلته في
 جميعها في أربعة أجزاء واسم الثالث منها (وثة الأسد) والرابع (فريسة الأسد) وهي
 أنفع القصص العربية فيما أظن لأن مطالعة حوادث الانقلاب في الأتم هي أكبر المبر
 وأولى الناس بالانفال على قراءة هذه الأخبار من دبت فيهم نسمة الحياة الاستقلالية،
 واستمدوا لأن يكونوا أمة حية؟ فسي أن يرغب شابنا وشوابنا عن مطالعة القصص
 الغرامية السخفية إلى مطالعة مثل هذه القصة التي تفوق تلك وتزيد على النافعة.
 (مجلة المجلات العربية) نفي صديقنا الفاضل محمود بك حبيب صاحب هذه
 المجلة بما وفق له من زيادة انتباهها وتكثير فوائدها فقد صدر آخر جزء منها يزيد
 على ما تقدم في الفوائد العلمية والأدبية وكثرة الرسوم الجميلة التي لم تسبق إليها
 مجلة عربية. فنسأل الله أن يزيد مجاته بكيماله كمالاً ووفق الناس لأن يزيدوا عليه اقبالاً.
 والحمجاج بن يوسف قصة تاريخية غرامية تتلو قصصاً نشرت قبليها في التاريخ
 الإسلامي ويتلوها غيرها فيه فهي المائة السادسة من سلسلة وفيها خبر حصار مكة
 على عهد عبد الله بن الزبير وقتحها ومقتل ابن الزبير والكلام في أخلاق أهل الحرميين
 وعاداتهم. مؤلف هذه القصص صديقنا المؤرخ السيد جرجي أفندي زيدان صاحب
 مجلة الهلال القراء. وقد اشتهرت هذه القصص بنشرها في الهلال بل زاد اشتهار
 الهلال وانتشاره بها لما فيها من الفائدة والفائدة ومازالت أمي نفسي بمطالعة هذه القصص
 من أولها مطالعة تأمل وانتقاد ولنا فتح لي ذلك

وقد رأيت من المسلمين من يتقصد هذا الوضع من وجهين أحدهما ان من شأن
 القصص ان تكون فيها أخبار كاذبة فيشتبه على القارئ الحق بالباطل ولأنهما استغفال
 نسبة المشق والغرام الى رجال سلفنا الكرام. وقد كان بعض هؤلاء المتقدين
 كتب رأيه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بما عرف واشتهر. وقد تصفحت
 ورقات من هذه القصة فالتفت أن الحوادث الغرامية لم تسند الى احد من رجال السلف
 المعظام، والائمة الذين يحلون عن الاشتغال بالغرام، وأما مسألة الاشتباه فقد رأينا في
 مقدمة هذه القصة ما يكشف عن الحقيقة فيها وهو قول المؤلف: «فالمدة في رواياتنا
 على التاريخ وانما تأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين. فبقى الحوادث التاريخية على

حاملها وندمج في خلالها قصة غرامية تشوق المطلاع الى استتمام قراءتها. فيصح الاعتماد على ما يجي في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ من حيث الزمان والمكان والاشخاص الامتقضية القصة من التوسع في الوصف مما لا تأثير له على الحقيقة. اهولنا الثقة بالمؤلف الفاضل بأنه لا يكتب عن الاسلام والمسلمين الا ما يمتقده وان لم يكن مسلماً لأنه من أبعد خلق الله عن التعصب الديني وأحسنهم انصافاً فان فرط منه ما أوجب الانتقاد أو يوجه فهو عن غير سوء قصد. ولا شك أن قراءة هذه القصص مفيدة فمن يرى من المتقدين أن فيها تقصيراً فليصنف ما هو خير منها. واننا لا نخرب لصديقنا بما لانتقد واذا اتبعنا مطالعة هذه القصص أو بعضها وظهر لنا فيها خطأ فانهائيه عليه ان شاء الله تعالى. وثمن النسخة من هذه القصة عشرة قروش وأجرتها في البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال بمصر.

(مسامرات الشعب) قصص مختصرة يؤلفها أو يجمعها بعض المشتغلين بالكتابة والادب مكتبة الشعب ومطبعها فطبع ونشر على نفقة صاحب المكتبة والمطبعة الهبام ويصدر في كل شهر قصتين وجمال ثمن القصة قرشاً اميرياً وقيمة الاشتراك الى سنة عشرين قرشاً. وقد ذكر في مقدمتها أنه يقصد ينشر هذه القصص التهذيب وخدمه الوطن. وانما يتحقق هذا اذا جعلت هذه القصص حكايات عن أخلاق الشعب وعاداته مع استحسان الحسن واستهجان المستهجن ولم أر أعلق بهذا القصد من القصة الرابعة واسمهما (الحال والمآل) فقد أودعها كاتبها أحمد حافظ أفندي عوض بيانا في كيفية عشق الناشئين والناشئات، وما يتبع ذلك من المفاسد والتكرات. وستكلم عنها في جزء آخر

باب الحجة الأولى

(الوباء والمدوى والوقاية)

ظهرت الهيضة الوبائية في بلدة موشة التابعة لمديرية أسيوط وانتقلت الى القاهرة ثم ظهرت في عدة بلاد وقد اعتنت الحكومة بالوقاية منها واهتم رجال الصحة بمنع انتشارها بقدر الامكان ولا أظن ان العناية في غير القاهرة مثلاً فيها وان كان متيسراً. عل ان حفظ الماء من القذارة في الاريف عشر جداً والزمام بالباب بالنظافة هناك

أعسر . ومما يزيد الوباء فتك عدم مساعدة ذهابي بالحكومة . فلما تعلموا وقايتهم لأنهم
لجهلهم يتوهمون ان الحكومة تدبر في اهلاكهم وتريد افعالهم ونشر رهم حتى ان
الاكثرين يعتقدون ان أطباء الحكومة يسفون انصاين الأدوية السامة ليميتوهم
ولا شك ان هذا الوهم فاسد وان الحكومة خير لهم في هذه الحال من افعالهم ومن
أنفسهم لأنها تجهد في وقايتهم قبل أن يصابوا وفي مماثلتهم بعد ذلك بعلم ومعرفة
وإنما تخدمهم برجالهم وتنفق عليهم أموالهم المحفوظة عندها

ونحن لا نتقد على الحكومة الا بعدم الاعتناء بالتنظيف حيث يمكن الوطنيون
كاغتسابها حيث يمكن الاجاب . فقد استغاثت الجرائد بمصلحة الصحة طالبة
تنظيف بعض الجهات القذرة التي اتخذها الناس مناصع (والمناسع هي المواضع يتخلى فيها
للبول والغائط) كشارع الحاج من جهة باب الحلق . فكان الواجب على الحكومة
أن تأمر بجمع التخلي هناك وفي أي شارع لئلا يتخلى فيه مصاب فيحمل الدياب جراثيم
الداء من برازه الى البيوت المجاورة . وشي آخر لا يزال منتقداً من رجال الصحة
وهو معاملة الناس بالفاظة والخشونة عند اداء وظائفهم وهم يعلمون ان الناس معذورون
بالجهل ولعل هذه المعاملة لعلفت بعداً من جناب مستشار الداخلية بالاعطف في المعاملة
ومن أسباب انتشار الوباء جهل الأهالي بصحة المدوى وهي تامة شرعاً وعالماً
واختباراً بالشاهدة . وأما المدوى الخفية بالحديث فهي ما كان يعتقد في الجاهلية من
حصول ذلك بعلمه من غير قدرة الله تعالى وفي روايات الحديث ما يدل على ذلك .
أخرج أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة
ولا سفر وفر من المجدوم كما كفر من الأسد » فبعد ان تنقذت تعفده الجاهلية
بشر بالمرأى من المجدوم . وسرع الحافة ابن حجر وغيره من شرح البخاري في
حديث المجدوم بان العامة الخبيثين لاسيما الشامية قاوا بآيات المدوى على أنها سبب
من الاسباب العادية التي قام بها نظام الكون . وأخرج البخاري ومسلم من حديث
أبي هريرة : « لا عدوى ولا هامة ولا سفر . ولا يحمل الممرض على المصحح ولا يحمل
المصحح حيث شاء » قيل ولم ذاك يا رسول الله قال « لأنه أذى » وهذا أصرح من
من الأول في اثبات سببية المدوى . وأخرج أحمد والبخاري ومسلم عن أسامة بن
زيد وعبد الرحمن بن عوف والنسائي عن الأول وأبو داود عن ابن عباس أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليها واذا وقع وأنتم بأرض
فلا تخرجوا منها » فهذا الحديث الصحيح أصل في الحجر على المصابين ان يخرجوا

فيخالطوا الناس الأصحاء فتنقل اليهم بذلك المدوى . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة
ومن أسباب انتشار الوباء الجهل بمداواة الصحة والوقاية من الأمراض . ولو
كان الناس يعملون بالآداب الشرعية لكان لهم فيها غناء فان أهم أركان الصحة النظافة
والاحتياط في الأكل والشرب . فأما النظافة فهي عند المسلمين من خصال الإيمان .
وقد اشترط في تطهير الأشياء وتنظيفها عند الشافعية وأكثر أهل هذا القطر منهم
أن يكون الماء الطاهر وارداً على الشيء الذي يراد تطهيره لا موروداً وهذا الشرط
موافق للصحة . فان الثوب أو المصنوع المتجسس اذا ورد على الماء ينتشر في الماء
فيكروب المرض واذا ورد الماء عليه يزيل النجاسة وما فيها من الميكروبات . ولا يجوز
وضع النجاسة في الماء ولا اليد المتنجسة فيه على تفصيل في ذلك . ومما لا خلاف فيه
بين المسلمين أن كل ما علم ضرره بالاختبار أو بقول الطبيب الموثوق به فالواجب اجتنابه
وأما الاحتياط في الأكل والشرب فأحسن ما يذكر فيه الآن ما روي عن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم في بيان سبب عدم قبول الطبيب الذي أهداه اليه المقوقس
ملك القبط وهو « لانا كل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » ولا أذكر من خرجه
من الحديثين وهو مذكور في كتب السير . وهذا أصل عظيم في الوقاية من الهیضة
الوبائية فان جراثيم الهیضة لا تضر الا اذا انتقلت من المعدة الى الامعاء في طعام
غير مهضوم . فمن يأكل عن جوع حقيقي ولا يكثر من الاكل فانه بهضم ماأكله
بسهولة فاذا وجد في طعامه أو شرابه شيء من جراثيم الهیضة الوبائية (الكوليرا)
فانه حينئذ يهضم ولا يضر . واذا كان مع هذا براعي النظافة في الطعام والماء
سراعياً فيه وصالبا الاطباء فذلك اكمل الاحتياط .

ولا يتوهم ان الحديث المذكور آنفاً يدل على ان الطبيب غير مطلوب شرعاً فقد وردت
الأحاديث الصحيحة والحسنة أن لكل داء دواء إلا الموت وفي رواية الأظهر وكثير
من الأحكام الشرعية بنى على قول الأطباء حتى في العبادات . فالاعتماد على قول
الطبيب المدل في ذلك واجب شرعاً وكذلك غير المدل ان صدقه فأننا كثيراً ما نجزم
بصدق من لم توجد فيه صفات المدالة الشرعية كلها لاننا عرفنا صدقه وهارته بالتجربة

﴿ إبطال المولد الحسيني وغيره ﴾

أمرت الحكومة بإبطال المولد الحسيني وغيره لأن الاحتياط الصحي يقتضي بتقليل
الاجتماع والازدحام في أيام الوباء لاسيما مثل اجتماع الموالد المشتملة على الفحش والفجور

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أو أتيتك الذين هم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أو أتيتك الذين هم
الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : إن الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق

معصر في يوم الاربعاء ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣٢٠ - ٢٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢

(الفيلسوف أبو الوائيد محمد بن رشد قاضى القضاة فى الاندلس)
هذا الفيلسوف أشهر فلاسفة المسلمين وأكبر أساتذة أوربا فى العلم والفلسفة
لأن فلسفته انتقلت من الأندلس (اسبانيا) إلى سائر بلاد أوربا فكانت مبدأ نهضة
الأوربيين الحاضرة . ولد سنة ٥٢٠ فى قرطبة . وتوفى سنة ٥٩٥ فى بلاد المغرب
وقد نشرت مجلة الجامعة القراء تاريخه وتكاملت عن فلسفته واستلزلت إلى
مسائل أخرى كذهب المتكلمين فى الوجود والمقابلة بين الاسلام والتصرانية فى
اضطهاد العلم والفلسفة وعدمه . وقد وقع فى تلك الترجمة غلط فى هذه المسائل .
والانسان دائماً عرضة للخطأ والغلط فيما تعلمه وأتقنه فكيف يكون حاله فيما لم
يتعلمه بالتلقى عن أهله إذا تكلم أو كتب فيه . وإن صاحب الجامعة الفاضل لم يتعلم علم
الكلام الذى هو فلسفة العقائد الاسلامية لانه ليس مسلماً ولا فلسفة اليونانيين
لأنها قد نسخت بالفلسفة العصرية فلا شك عندنا أنه لم يعتمد تكفير القاضى ابن
رشد ولا نسبته أنه المسلمين فى العقائد إلى انكار ارتباط الاسباب بالمسببات . ولكن
بعض الذين قرأوا تلك الترجمة فى مجلته أساءوا الظن به واحتتموا عليه ورغبوا الينا
فى الرد عليه لأن من وظيفة المنار الدفاع عن العقائد الاسلامية وعن أئمة المسلمين
وطلب بعضهم مثل ذلك من بعض اساتذتنا الاعلام ، الذين يرجع إليهم إذا
اعتكر من ليل الشبهات الظلام ، ولما رأينا ذلك الاستاذ وعد الطالبين بأن يكتب

في بيان حقيقة تلك المسائل التي وقع فيها الخطأ امسكنا نحن عن الكتابة لأنه هو الأجدر بالفصل بين الحق والباطل . والذي إذا قال لم يترك مجالاً لقائل ، وقد تفضل علينا وعلى الجامعة بما كتب فنشر في هذا الجزء مقالته في فلسفة ابن رشد ومذهب المتكلمين . وسننشر في الأجزاء التالية مقالاته في الاضطهاد في النصرانية والإسلام »
تمهيد لمقالة الأستاذ الحكيم : لا بد لفهم قراء المنار هذه المقالة من ذكر ما قالته الجامعة في فلسفة ابن رشد لأن كاتب المقالة لم يذكر فيها إلا مواضع النقد قالت الجامعة :

﴿ المادة وخالق العالم ﴾

« ان أعظم المسائل التي شغلت حكم قرطبة مسألة أصل الكائنات ، وهو يرى في ذلك رأى اريسطو . فيقول ان كل فعل يقتضي إلى خلق شيء إنما هو عبارة عن حركة . والحركة تقتضي شيئاً لتحركه ويتم فيه بواسطة فعل الخالق وهذا الشيء هو في رأيه المادة الأصلية التي صنعت الكائنات منها . ولكن ما هي هذه المادة ؟ هي شيء قابل للانفعال ولا حد له ولا اسم ولا وصف . بل هي ضرب من الافتراض لا بد منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم أبدياً بسبب مادته أى انه لا يتلاشى أبداً لأن مادته لا تتلاشى أبداً . وكل أمر يمكن انتقاله من حيز القوة إلى حيز الفعل لا بد له من هذا الانتقال والا حدث فراغ ووقوف في الكون وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخالق العالم بل لما حدث شيء قط . وبناء عليه فالعامل الأول الذي هو مصدر القوة والفعل (أى الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثاً والخالق تنزه عن ان يكون محدثاً

﴿ اتصال الكون بالخالق ﴾

« هذا فيما يختص بخلق العالم ، وهو مذهب قريب جداً من مذاهب الماديين كما ترى . ولكن كيف يستولى العامل الأول على الكون ويدبره »
« لابن رشد في ذلك تمثيل يدل على حقيقة مذهبه في هذه المسألة الخطيرة . فانه يشبه حكومة الكون أى تدبيره بحكومة المدينة . فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتسبح إلى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدر الكل شؤون الحكم ولو لم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق في الاكون فانه نقطة دائرتها ومصدر القوات التي تدبرها وان لم يكن له دخل مباشرة

في كل جزء من هذه القوات . فبناء على ذلك لا يكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة . وإنما هذا الاتصال يكون للعقل الأول وحده وهذا العقل الأول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر عنه القوة للكواكب . وعلى ذلك فالسما في رأى فيلسوف قرطبة كون حتى بل أشرف الأحياء والكائنات ، وهي مؤانعة في رأيه من عدة دوائر يعتبرها أعضاء أصلية للحياة والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر . أما العقل الأول الذي منه قوتها وحياتها فهو في قلب هذه الدوائر ولكل دائرة منها عقل أى قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان عقلا يعرف به طريقه وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي تلى بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض إنما هي عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تحدث الحركة من الطبقة الأولى في السماء إلى ارضنا هذه . وهي عالمة بنفسها وبما يجري في الدوائر السفلى البعيدة عنها . وبناء على ذلك يكون للعقل الأول الذي هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل ما يحدث في العالم .

(طريق الاتصال)

« وان قيل ماهى علاقة الإنسان بالخالق . فالجواب عن ذلك يأخذه ابن رشد أيضاً عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » وخلاصة ذلك ان الكون عقلا فاعلا وعقلا منفعلا فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الإنسان وغير قابل للامتزاج بالمادة وأما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للفناء والتلاشي مثل باقى قوى النفس وإنما يقع العلم والمعرفة باتحاد هذين العقلين . ذلك ان العقل المنفعل يميل دائماً للاتحاد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضى مادة تنفذ فيها والمادة تقتضى شكلاً توضع به . وأول نتيجة تحصل من هذا الاتحاد تدعى العقل المكتسب ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام اتحاداً أشد من هذا فيكون هذا الاتحاد عبارة عن امتزاجها جد الامتزاج بالعقل القديم الأزلى . ولا يتم هذا الاتحاد بالعقل الاكتسابى الذى تقدم ذكره فأنما وظيفة العقل الاكتسابى ايصاله إلى حرم الخالق الأزلى دون أن يدعمه به . وأما ادغامه واتصاله به فذلك أمر لا يتم الا بطريق « العلم » فالعلم إذاً هو سبب « الاتصال » بين الخالق والمخلوق . ولا طريق غير هذا الطريق . ومتى اتصل الإنسان بالله صار مثله عارفاً بكل شئ في الكون ولم يعد يفته شئ . ولكن كيف يتصل الإنسان بالله ؟ يتصل به بان ينقطع إلى الدرس والبحث والتفكير ويخرق بنظره حجب الاسرار التي تكتمف الكون فانه متى خرق هذا الحجاب ووقف على كنه الأمور وجد نفسه

وجها لوجه امام الحقيقة الابدية

« اما المتصوفة فانهم يقولون ان هذا « الاتصال » يتم بواسطة الصلاة والتأمل والتجرد وليس العلم ضروريا له

« وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قائمته العلم . والكون في رأيه كما مر بك إنما صنع بقوة مبادئ قديمة مستقلة محكومة بعضها ببعض وكأها مرتبطة ارتباطاً بهما بقوة عليا ومن هذه المبادئ شيء يستولي على العالم ويضع فيه العقل فهو عقل الانسانية . وهذا الشيء الذي يسميه عقلاً أيضاً هو عقل ثابت لا يتغير أي انه لا يتقدم ولا يتأخر لا يزيد ولا ينقص . والناس يشتركون فيه ويستمدون منه بكميات متباينة . على أن من كان منهم أكثر استمداداً منه كان أقرب إلى الكمال والسعادة »

(الخلود)

ثم تسكمت الجامعة بما ماتتد عن رأي ابن رشد عن خلود النفس فقالت بعد كلام ما نصه : « قال : ان العقل الفاعل العام الذي تقدم ذكره من صفاته انه مستقل ومنتصل عن المادة وغير قابل للفناء . والملاشاة ، والعقل الخاص المنفصل من صفاته الفناء مع جسم الانسان ، وبناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل المنفصل قابلاً ، ولكن ما هو العقل الفاعل للعام الذي هو خالد في رأي ابن رشد ؟ ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الإنسانية فالإنسانية اذاً هي خالدة وحدها دون سواها ، وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شيء مما يقوله العامة عن الحياة الثانية » اهـ

(دفع وهم عن فلسفة ابن رشد والمتكلمين)

(لأستاذ حكيم ، وفيلسوف عليم)

قرأت ما نشرت الجامعة من ترجمة ابن رشد . مررت على ما نقلت من آراء المتكلمين وآرائه بغير تدقيق لأنني أعرف آراء الفريقين من قبل ولم يكن لي قصد إلى النقد وإنما أريد أن أستفيد جديداً . لهذا لم يقف نظري لأول وهلة الاعلى ما حوته تلك الجملة (الاضطهاد في النصرانية و الاسلام) قرأتها بترور وانتهيت منها إلى حكم من الجامعة يخالف ما اعتقد

ولا يلتزم مع ما أعرف ويعرف المارفون من الشواهد التاريخية ، عند ذلك تحررت نفسي إلى كتابة سطور ، أشير فيها إلى كشف مستور ، أو إعادة ذكر مشهور على أسماع الجمهور .

لأقاني بعض قراء تلك الترجمة فرأيت الأثر في نفسه أشد ، ولسانه في الغيب أخذ . وذكر أشياء في غير هذا الفصل من الترجمة ولقنتني إلى إعادة النظر فيها . رجعت إلى الترجمة فوجدت فيها موضعين آخرين يهتبان من الكلام عنيهما ، وبأن أحاديث الجامعة فيهما ، لو كانت منزلة الجامعة من نفس منزلة غيرها من المجالات التي لا يعني كاتبوها إلا بنقل ما يقع تحت أنظارهم ، أو تحبير ما يعبر عن أهوائهم وأفكارهم ، من دون عناية بتقرير الحقيقة ، ولا رعاية لمتطلبات القراء - لوجدت من شوائب عملي ما يصرفني عن ذكر ما عرض فيها ، لكنها من المجالات التي لو أهملت مباحثها من إنسام النظر وجعلتها في جانب عما تستحقه من النقد لبخستها حقها ، ونبوت بها عن موضعها .

لهذا رأيت أن أذكر لها ما رأيت في ذينك الموضعين وأبين حقيقة الأمر في الثالث . أما الموضعان فهما : (فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الإنسان به والخلود) وهما موضوع كلامي اليوم « فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود »

قالت الجامعة « فلسفة المتكلمين هذه (أي في وجود العالم) مبنية على أمرين . الأول حدوث المادة في الكون أي وجودها بتخلق خالق . والثاني وجود خالق مطلق لا يشرف في الكون ومنفصل عنه ومبدئها

وبما أن الخالق مطلق التصرف في كونه فلا تسأل إذاً عن السبب إذا حدث في الكون شيء لأن الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواء. إذاً فلا يلزم عن ذلك قطعياً أن يكون بين حوادث الكون روابط وعلائق كأن ينتج بعضها عن بعض لأن هذه الحوادث تحدث بأمر الخالق وحده. وفي الإمكان أن يكون العالم بصورة غير الصورة المصوّر بها الآن وذلك بقدرة هذا الخالق. ثم ذكرت في الجملة التي تلي ما تقدم أن هذه فوضى، وأن روحاً جديداً أخذ يدخل شيئاً من النظام فيها^(١).

حدوث المادة عند المتكلمين ليس معناه أن تكون يخلق خالق فإن الخلق في اصطلاحهم هو الإيجاد وكون المادة صادرة عن موجد لم يختلف فيه المتكلم والفيلسوف الإلهي. فأرسطو يقول إن المادة قد استفادت وجودها من موجدها وهو الواجب بواسطة فيض الوجود عليها هو العقل الفعال على ما سيأتي بيانه وإن كان لأول لوجودها وإثبات حدوث المادة عند المتكلمين هو وجود الأجسام وعوارضها بعد أن لم تكن موجودة بحيث يفرض لوجودها بداية زمانية تنتهي إلى انقضاءها من جانب الماضي. ولا يجوز أن يوصف بالأزلية إلا الله وحده. صفاته عند القائلين بأنها وجودية. وقبل هذه البداية التي لا يمكن أن يكون بعدها لم يكن وجود سوى وجود خالق الكون ثم إنه أوجد إيجاد الكون فأوجد من المدمر البعث. هذا هو بناء مذهب المتكلمين وهو مذهب أهل النظر

(١) ذكرت الجامعة الفراء أن مسيح هذا الروح النطائي في بحلة النار وامتنعت

لذلك بالتفسير الذي يقتضيه من دروس الأستاذ الإمام كبير رجال النهضة الإسلامية الحاضرة

من المسيحيين واليهود أيضاً فلم يخالف فيه متى من أهل الملل الثلاث .
 أما كون هذا المذهب وحده هو الذي يصح أخذه من القرآن أو
 أنه يجوز أن يتفق مع معاني القرآن رأى آخر بل هو الذي يظهر منه فذلك
 بحث آخر لسنا بصدد الآن فإن كلامنا في تصوير مذهب المتكلمين .
 الأصل الثاني - وهو وجود خالق مطلق التصرف - لازم للأصل
 الأول لأن هذا العالم إذا كان موجوداً بفعل موجد فوجوده هو خالقه
 وهو مطلق التصرف بمعنى أنه يختار ما يخلق على الوجه الذي يخلق .
 والمتكلمون وإن اتفقوا على أن خالق العالم مختار انقسموا إلى فريقين
 عظيمين فالقدريّة منهم ويسمّون بالمعتزلة أيضاً قالوا : إن الخالق وضع
 للكون نظاماً تنطبق أصوله على مصالح المخلوقين وأودع في المخلوقين
 قوى أو قُدراً تصدر عنها آثارها بطريق التوليد والسببية أو بطريق
 الإرادة والاختيار . فهذا فريق من المتكلمين لا يخالف الفلاسفة في قولهم
 بلزوم الآثار لمصادرهما أو تأثير قدر المخلوقين في أفعالهم . وقد بقي من
 أهل هذا المذهب إلى اليوم طائفة الشيعة الإمامية والزيدية فإنهم لا
 يخالفون المعتزلة في هذه الأصول . فإذا حدث في الكون حادث سأل
 صاحب هذا المذهب عن سببه المباشرة وإن كانت جميع الأسباب تنتهي
 إلى مصدرها الأول وهو الخالق كما يسأل الفيلسوف بلا فرق .

والفريق الآخر الذي عنته الجامعة وهو الذي يرى إسناد الآثار إلى
 الخالق مباشرة لم يقطع العلاقة بين الأسباب الظاهرة ومسبباتها بل قال
 إن الله يُصدر وجود المسبّب عند وجود السبب فلا يقال : إن الأكل
 (مثلاً) هو الذي يحدث الشبع بل الشبع شيء يحدثه الله عند الأكل ولكنه

لا يحدته عند الخوى إلا إذا أراد أن يخرق النظام الذي جرت به سنته
 لأمر عظيم يريد توجيه النفوس إليه وحمل هذا الفريق على هذا القول
 إنكاره نسبة الإيجاد ومنح الوجود إلى شيء مسوي واجب الوجود وقالوا
 في الأفعال الاختيارية إن الله يوجدها عند تعلق كسب العبد بها ولهم في
 تصوير معنى الكسب كلام طويل لا يليق بهذا المقال استيفاءؤه وقالوا
 إن الأسباب والآلات لا بد منها في صدور الأثر إلا أن الذي يعطيه
 الوجود عند استكمالها هو الخالق ، ولهذا اتفق جميع المتكلمين على أن
 التكليف بالأحكام الشرعية يعتمد التمكن من الإتيان بالمكلف به من
 حيث حال المكلف وصرحوا بأنه لم يقع تكليف بشيء إلا إذا تيسرت
 أسبابه وارتفعت الموانع منه غير أنهم يلقبون هذه الأسباب بالمادية لأنه
 ليس من الواجب على الخالق أن يلتزمها مع اعتقادهم بأنه قررها وجرت
 سنته بها ولقبوا ما يحدث في العالم مخالفاً لها بخارق المادة وليس كل
 غريب عندهم خارقاً للمادة بل الخارق هو ، ألا يدخل في مكنة قوه حادثة
 ولا يقدر على إحداثه إلا التقاد على مخالفة النظام الذي سنه وهو الله
 هذا الفريق من المتكلمين يستند في إثبات صفة العلم لله تعالى إلى ما
 هذا العالم من النظام وإلى ما حواه ذلك النظام من الأسرار والحكم وهل
 يتأتى هذا الاستناد منهم إن لم يقولوا بوجود العلاقة بين الأسباب وسببها
 كان من هذا الفريق أنه تناول بحشهم كثيراً من الفنون كالطب وعلم
 المواليد الثلاث الحيوان والنبات والمعدن منهم الأئمة الرازيون كفخر الدين
 الرازي وأبي بكر الرازي ومحمود الرازي وأمثالهم ومهم مثل الإمام
 أبي بكر الباقلائي . وكيف ييسر نقائل أنه لا علاقة بين الأسباب

والمسببات أن يبرع في فنون بناؤها على الارتباط بين الآثار وما يقارنها في المادة مما هو مصدر لها في بادية النظر.

فإذا حدث في الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه الذي جرت سنة الله بأن يكون معه وإن شئت قلت سأل عن السبب الذي أصدر الله وجوده عنده . وهل يمكن أن يقول المتكلم أنه لا علاقة بين وجود الولد ووجود والديه أو بين جَوْدَة العمل وعلم العامل أو بين غزارة الثمر وخدمة الشجر ؟ هذا شيء لم يقل به قائل منهم قط وإلا لما قرأ واحد منهم كتاباً ولا خط في صحيفة سطر إلا أنه لا علاقة بين المطالعة والفهم ولا بين التحرير والأفهام .

فإن شئت أن تقول إنه مذهب مع ذلك غامض يكدر الذهن في فهمه فلك أن تقول وأن تنعم النظر حتى تفهم مبانيه وأصوله وأن تناقش بالدليل الدليل . وعلى الله قصد السبيل .

القول بنفي الرابطة بين الأسباب ومسبباتها جدير بأهل دين ورد في كتابه أن الإيمان وحده كاف في أن يكون للمؤمن أن يقول للجيل تحوّل عن مكانك فيتحول الجيل^(١) يابق بأهل دين بعد الصلاة وحدها إذا أخلص المصلي فيها كافيّة في إقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم المنصري . وليس هذا الدين هو دين الإسلام دين الإسلام هو

(١) النار - يشير إلى ما جاء في أنجيل لوقا من الباب ١١ « ٢٣ » لأنني الحق أقول

لكم أن من قال لهذا الجيل اتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كلما تطلبونه حينما تعملون فأمنوا أن تنالوه فيكون لكم »

الذي جاء في كتابه «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم» الآية «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الخ «سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» وأمثالها «ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار» الآيات . فلا يمكن لأهل هذا الدين وهو هو أن يقطعوا كل علاقة بين الأسباب في هذا العالم والمسببات ولهم أن يتيهوا على أرباب ذلك الدين الآخر بأن دينهم لم يوضع أسامه على دعث من الخوارق لا يثبت أن يخسف بالسالك فيه إذا سال عليه سبل الدليل ، وإنما وضع على مستقر من الحقائق لا يتزلزل بالقائم عليه مهما عظم القال والقبل ، وليس من الممكن لمسلم أن يذهب الى ارتفاع ما بين حوادث الكون الترتيب في السببية والمسببية الا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله .

نعم طرأ فساد على عقائد بعض المنتسبين الى ائمة ذلك المذهب وأسأوا الظن بالفدرو تظاهروا وابتترك الأسباب في أقوالهم ، وان كانوا أشد الناس تمسكا بها في رذائل أعمالهم ، وتعلقوا من الخوارق بجبل ومن ميلا إلى أهواء من جاورهم من المال فظن الناظرون في قذائف أفواههم ، ان هذه الأوهام مما بنى عليهم اعتقاد أسلافهم ، فلا يفترن بعد ذلك مفترضا يظن أولئك الناظرون ولا بما يتوهمه هؤلاء الواهمون «سبحان ربك رب العزة عما يصفون» . هذا ما يتعلق برأى الجامعة في مذهب المتكلمين أو فلسفتهم وانتقل الآن إلى روايتها مذهب الفيلسوف ورأيها فيه .

﴿ فلسفة ابن رشد ورأيه في المادة وخلق العالم ﴾

المادة وخلق العالم قالت الجامعة: إن المادة «ضرب من الافتراض لا بد منه» الافتراض يراد به عند الإطلاق الفرض وهو في اصطلاح

الفلاسفة مالا وجود له والمادة عندهم موجودة كما قالت الجامعة فيما قبل ذلك التحريب وفيما بعده .

ثم قالت : هـ وبناء عليه فالمعامل الأول الذي هو مصدر القوة والفعل (أي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق ينزه عن أن يكون حديثا هـ . وقالت بعد هذا بسطرين : « وهو (أي مذهب ابن رشد) مذهب قريب جدا من مذاهب الماديين كما ترى هـ » ثم ذكرت أن الفلاسوف يشبهه حكومة الكون بحكومة المدينة وأن المباشر لا تصرف في الكون هو العقل الأول وحده وأن السماء كون حي مركب من عدة دوائر والعقل الأول في قلب هذه الدوائر وكل دائرة عقل أي قوة تعرف بها طريقها هـ الخ .
أما مسألة نقي الاختيار فقد ذكرت عليها إبهامها وأدّى ذكرها كذلك إلى استنتاج أن مذهب ابن رشد قريب من مذهب المادتين وليس الأصرف في حقيقته كذلك .

يطلع كل ناظر في مذاهب فلاسفة اليونان أنهم كانوا فريقين إلهيين وماديين والأولون فريقان مشاؤون وإشراقيون واشتهر أتباع أرسطو باسم المشائين وأتباع أفلاطون باسم الإشراقيين .

وأول مميز للإلهيين عن الماديين أن الأولين يقولون بوجود واجب برىء من المادة والمديات وبوجود عقول مجردة عن المادة وغواشيها وبأن الواجب علما بذاته وبجميع ما يصدر عنه وعن آثاره وإن للعقول المجردة عقلا علما بذواتها وبمبدئياتها وبما يصدر عنها . والماديون لا يقولون بشيء من ذلك أبته فالتحريب بينهما تقريبا بين النقيضين . وابن رشد من

مقرر منسوب أرسطو فهو من الإلهيين .

وتشبيه الفيلسوف لتدبير الكون بتدبير المدينة اكبر دليل على مفارقة الماديين كما يفارق المجرد والمادة وقد شرطوا في هذا التشبيه أن المدير خارج عن المدير مفارق له منزعه عن مخالطته .

أما العقل الأول فليس كما تقول الجامعة . فإن العقل الأول جوهر مجرد عن المادة وهو أول صادر عن الواجب وقد صدر عنه الفلك التاسع المسمى عندهم بالفلك الأطلس ونفس ذلك الفلك تدبر من كنهه الخيرية وعقل آخر هو العقل الثاني وعن هذا الثاني صدر الفلك الثامن المسمى عندهم فلك الثوابت ونفسه والعقل الثالث وهكذا إلى أن صدر عن العقل التاسع فلك القمر ونفسه والعقل العاشر وهو المسمى عندهم بالعقل الفعّال أو العقل الفياض وعن هذا العقل صدرت المادة المنهوية واليه يرجع ما يحدث في عالمها . ولا يكون العقل الأول ولا غيره من المقول في قلب تلك الدوائر عند أحد من هؤلاء الفلاسفة الإلهيين بل هو مفارق لها كما أن نفوسها جواهر مفارقة أيضاً ولها تعلق بأجسادها ككتمان أنفسنا بأبداننا على ماسياتي يانه

والذي حمل الإلهيين على ذلك مبالغتهم في تنزيه الواجب وقولهم أنه واحد من جميع الوجوه وزعمهم أن الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا الواحد فيلزم أن لا يصدر عن الواجب إلا واحد وهو العاقل الأول . ولما تعددت وجوه العاقل في ذاته والنسبة بينه وبين مصدره العاقلة لذاته وعقله لم يوجد صح أن يصدر عنه متعدد . ولهم في الاستدلال على حياة الأفلاك مقدمات لا حاجة إلى ذكرها لأن الكلام في تصوير مذهبهم

لا في تقريره أو إبطاله

فالمقول عند الفيلسوف ليست مخالطة للمادة ولا إفشاشها من ظلماتها وليس العقل الأول بمدير الكون وإنما هو مصدر الفلك الاطلس ومفيض نفسه عليه وخزانة مقولاته . وهكذا الأمر في كل عقل مع الفلك الذي صدر عنه وتدير العالم المنصري وهو ما دون فلك القمر راجع الى العقل الماشر وهو العقل الفعال .

قال الفلاسفة الإلهيون: ولا يجوز أن تكون لأفعال الله غايات واغراض تبعه على إصدارها وان ما يصدر عنه إنما يفيض بمحض الجود المطلق عن غنى مطلق وقد صرح ابن رشد في تهذيبه لإلهيات أرسطو وبذلك وهذا مبالغة منهم في نسبة الكمال إلى الله على أن ما يصدر عنه إنما يصدر عن علم فالذي ينفي عنه إنما هو الاختيار بمعنى التردد بين الغايات ثم ترجيح إحداها أما الاختيار بمعنى أن الفعل صدر عن علم العالم بدون إكراه عليه فذلك لا ينفيه أحد منهم . والمليون من متكلمين ولاهوتيين وان لم يصرحوا بذلك قالوا بما يؤول اليه والتموه فقد ذهب جمهورهم والممول على رأيه عند قومه منهم أن علم الله محيط بالكليات والجزئيات أزلاً وأبداً وقد تعاقبت إرادته بتخصيص كل كائن بما هو عليه على حسب علمه وعلمه لازم لذاته أزلي بأولية ذاته وكل ما يكون في الكون لا بد أن يقع على وفاق مع علمه الأزلي جل شأنه فلا تردد عنده بين الغايات بل ما يصدر عنه اليوم كان لا بد أن يصدر عنه . والأسباب والمسببات وارتباط بعضها ببعض مما انتظم في علمه فهي تصدر عنه على حسب ترتيبها في العلم . وسواء كان القول غامضاً أو غير غامض وسواء توجه عليه من النقد ما يصب الجواب عنه

إذا روعيت بقية الأصول أو لم يتوجه كل ذلك لا يدفع عنهم أنهم قالوا بنفي الاختيار بالمعنى المعروف عند الناس وإن ثبت الاختيار بالمعنى الذي يليق بكمال الله تعالى فالفلاسفة وجهور المتكلمين واللاهوتيين على وفاق في حقيقة المسألة وإن اختلفت العبارات - فإن رشد رحمه الله لم يخرج في آرائه عن المليون فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريباً منه .

﴿ طريق الاتصال ﴾

يتوهم الناظر في هذا العنوان في الجامعة مع مراعاة الفصل الذي تقدمه فيها أنه عنوان لرأي ابن رشد في طريق اتصال الكون بالخالق فإذا استمر في قراءة ما بعد العنوان إلى آخر الفصل علم أن المراد طريق اتصال الإنسان وحده بخالقه وعثر في آخر البحث على هذه العبارة : « وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قاعدته العلم » : أما ما بين العنوان وهذه العبارة فهو مما لا يمكن أن يتحصل له معنى مفهوم في مذهب الفيلسوف . واني ذاكر لك رأيه في اتصال الإنسان بالله أي قربه منه وسعادته به وفي طريقة تكميله لنفسه حتى يسعد لذلك القرب وبذلك تعرف أن ما جاء في الجامعة ليس بالذي تصح نسبته إليه خصوصاً بعد قولها إنه أخذ مذهبه في ذلك عن أرسطو من الفصل الثالث في كتابه (النفس) وما قاله أرسطو في ذلك الكتاب معروف مشهور .

اثبت أرسطو وتبعه ابن رشد وجل فلاسفة الإسلام أن نفس الإنسان التي هو بها إنسان - وهي ما يلقونها بالنفس الناطقة - جوهر مجرد عن المادة لا هو جسم ولا حال في جسم وإنما له علاقة بالجسم يدبره ويصرفه وشبهوا هذه العلاقة بعلاقة الملك بالمدينة وهو خارج عنها ولهذا

النفس آلة في الجسم بها يكون التدبير
وقالوا ان انطباع المحسوسات والممانى الجزئية في الحواس الظاهرة
والباطنة على ما فصلوه يمد النفس لقبول الكليات ويهيئها لتلقى
المعقولات عن مفيضها عليها وهو العقل الفعّال الذي سبق لنا ذكره
وجعلوا مراتب النفس في استحصائها كالماء العلى وبلوغها ذروته
اربعا (الأولى) العقل الهيو لاني وهو قوة استمداد النفس نحو المعقولات
وتسميته عقلا تسمية مجازية و (الثانية) العقل بالملكوت هي القوة التي تحصل
للنفس عند حصول المعقولات الأولى مثل الجزء والكل ومثل الحكم
بأن الأول أصغر من الثاني ومثل النفي والاثبات والحكم بأنهما لا يجتمعان
في محمول واحد لموضوع واحد . وكذلك كل ما خلص من محسوس وهو
لا يحتاج في تخليصه إلى فكر ، والنفس تنهياً بهذه القوة لاكتساب
المعقولات الثانية إما بالفكر . وإما بالحدس وليس الحدس هو الظن كما
هو في المشهور بل هو سرعة انتقال النفس من المبادئ إلى المطالب أو
انتقال النفس من المعلومين إلى الوسط الذي يصل بينهما ومن ذلك إلى
معلوم ثالث بلا تجشم نظر ولذلك جعل مقابلاً للفكر الذي هو النظر
بمينه ؟ و (الثالثة) قوة تسمى العقل المستفاد وهي أن تحصل المعقولات
الثانية بالعقل متمثلة كالأولى مشاهدة في الذهن . والرابعة قوة تسمى
(العقل بالفعل) وهي ما به تتمكن النفس من استحضار المعقول
المكتسب المفروغ منه متى شاءت من غير افتقار إلى اكتساب

قالوا والذي يرقى بالنفس في هذه المراقي هو العقل الفعال وهو ذلك
العقل العاشر المصروف للمادة المنصرية لا عقل الإنسانية العام كما تقول الجامعة

فإن أرسطو وابن رشد لا يقولان بعقل يسمى عقل الإنسانية العام بل كان ذلك من مزاعم أفلاطون التي عني أرسطو بإبطالها وتبعه ابن رشد وغيره في نفيها . فالعقل الفعال هو الذي يخرج النفس من العقل الحيواني إلى العقل بالملكة ومن العقل بالملكة إلى العقل المستفاد ومنه إلى العقل بالفعل ولما كان العقل الفعال جوهرًا عقليًا بالفعل كانت المعقولات بأسرها حاصلة له بالفعل أما نفوسنا فهي عقول بالقوة ولكنها إذا استعدت استعدادًا خاصًا للاتصال بذلك العقل أي بالإقبال عليه وتوجيه وجهتها نحوه ارتسم منه فيها الصور العقلية الخاصة بذلك الاستعداد الخاص لأحكام خاصة وإدراك المعاني الجزئية بواسطة الحواس وحركة النفس في المعقولات الأولى والبحث والتجربة والدرس وما ينبجى هذا النحو كل ذلك من محصلات الاستعداد لقبول المعقولات في الموضوعات التي كان الاستعداد فيها . فإذا أعرضت النفس عن العقل الفعال والتفتت إلى جانب الحس أو إلى صورة أخرى غير التي حصلت لها بذلك الاستعداد انمحي الممثل الذي كان أولًا كأن المرآة التي كان يحاذي بها جانب القدس ، قد أعرض بها عنه إلى جانب الحس ، أو إلى شيء آخر من الأمور القدسية .

قالوا : وهذا الاتصال الذي يفيض به العقل الفعال على النفس ما استعدت له من المعقولات له علة وعلة قوة بعيدة هو العقل الحيواني وقوة كاسبة هي العقل بالملكة وقوة تامة الاستعداد لها أن تقبل بالنفس جهة الإشراف متى شئت بتلكه متمكنة وهي المسماة بالعقل بالفعل ثم إن الفيلسوف وأتباع مذهب أرسطو ذكروا آراء بعض الفلاسفة ممن لا يعتد بقولهم وفيها ما يشبه ما نسبته الجامعة لابن رشد منها أن الجوهر

المائل إذا عقل صورة عقلية صار هو إياها . واستدلوا على استحالة هذا القول بأنه يلزم عليه أن يصير النفس جميع المنقولات التي تحصل لها وتصير المنقولات كلها مقولاً واحداً بل يلزم عليه انعدام النفس ووجوه ما عقلته أو استحالة النفس إليه وهو محال وخلاف الفرض . وتلقوا عن فرغوريوس أنه قال : إن النفس الناطقة إذا عقلت شيئاً فإنما تعقل ذلك الشيء باتصالها بالمقل الفعال وهو حق في رأيهم ولكنه قال إن معنى اتصالها بالمقل الفعال أن يصير هي نفس المقل الفعال لأنها تصير المقل المستفاد والمقل الفعال يتصل نفسه بالنفس فيكون المقل المستفاد . وقد أبطلوا هذا القول بأنه يستلزم أن يكون المقل الفعال متجزئاً قد يتصل منه شيء دون شيء وهو مجرد لا يتجزأ أو تتصل به النفس اتصالاً واحداً تكون به النفس كاملة واصله إلى كل مقول وهو ليس بحاصل في جميع الأحوال وقالوا إن دعوى اتحاد شيء بشيء آخر على معنى استحالة الأول إلى الثاني قضية شرعية غير مقولة فلا يصح النظر فيها . أما استحالة النفس إلى المقل الفعال فلم يقل به أحد .

فقد عرفت من هذا أن اتصال النفس بالمقل الفعال ليس ممكناً البناء فيه أو الاندغام كما عرفت الجامعة بلا مناد أن ترتفع النفس بقواها عن ظلمة الضيعة بما يكون لها من الاستمداد وتجذب نحو العالم الأعلى فتشرى فيها المعلومات بمخازنها لمطالع ذلك النور الأعلى ، فهل مع هذا يصح أن يقال : إن القلب وف ما عده غير مقول ؟

لأنه ليس هو نفساً حية إن النفس الناطقة التي هي موضوع التصورة المحركة غير منطبعة في جسم تقوم به بل هي جوهر مطلق ذو آلة بالجسم

فإذا استحال الجسم عن أن يكون آلة لها وحافظاً للعلاقة معها بالموت لم يضر ذلك جوهرها بل تكون باقية بما هي مستفيدة الوجود من الجواهر العقلية . فالنفس بعد مفارقتها للبدن باقية على استقلالها لا تدم شخصيتها بالقضاء في شيء سواها لا عقل فعال ولا وجود واجب وهي تسعد بكاملها العلمي والأدبي الذي حصلته مدة تعلقها بالبدن . وجوز الفيلسوف أن تعلق بمدفراقها للبدن بجسم آخر من عالم آخر تتخيل فيه ما هو لذتها . وتشقى بجعلها ورداة ملاكاتها . فالنفس عند الفيلسوف باقية خالدة . خلودها خلود اشخصها المتميز من كل شيء سواها سواء كان عقلاً ذملاً أو غيره . فهل بعد هذا يعد الفيلسوف مادياً ومذهبه مذهباً مادياً قاعدته العلم ؟ لا بل هو إلهي ومذهبه مذهب إلهي قاعدته العلم قائل بخلود النفس ومعادتها وشقاؤها وعذابها ونعيمها كما رأيت .

بقى علينا أن نشير إلى ما نقله فلاسفة أوربا عن الفيلسوف الجليل ابن رشد في مبدء العالم ومصدر وجوده . قالوا لم يكن يُعرف العلم والفلسفة عند الأوربيين إلا في مدارس المسلمين في إسبانيا فكان يقصد تلك المدارس من طلاب العلم من كل ناحية . كان يجلس في درس الفيلسوف عند عظيم لم تأت نهاية القرن الثاني عشر (الميلادي) إلا وقد انتشر بين المسلمين بشو من العلم رأى زرع طاماً أندية الكبرياء وأفرع القابضين على مفاتيح القلوب بذلك الوقت الموافقين على أوليائها بأذون من أمراء من المقائد والأفكار أن يدخل فيها ويتردون فيها من أجل ذلك الذي أخذ ينسحب إلى تقويته من عجائبها من أن يكون أجمع في جميع علومه وإلى واحد هو حيلة الكل وهو روح يسوم به كل جزء منه . وقالوا: إن

الذي نشر هذا المذهب بين الناس هم تلامذة ابن رشد فهم بعض علمائهم
من ذلك أن ابن رشد كان يقول إن مبدأ العالم هو أصل عرضته صور
العالم أو روح ظهر في مظاهر الكائنات كما يقول الصوفية أو نحو ذلك،
واستتبع هذا رأياً آخر وهو أن كل صورة من صور الموجودات إذا
بطأت فإنما تعود إلى أصلها وهو الوجود المطلق وظن الواهم أن الأرواح
تعود من مفارقة الأجسام إلى مشرقها العام، وتفقد امتيازها فيه،
وذلك كله وإن ذهب إليه بعض النظار من الأوربيين غير ما يقول ابن
رشد. أما ما يقول ابن رشد فهو كما ترى:

قال ابن رشد وكل من تابعه على رأيه ولم يخالفوا في ذلك أرسطو
أن الممكن لا وجود له في ذاته وإنما يستفيد الوجود من غيره وقد كانوا
قالوا إن جميع ما في الكون ماعدا واجب الوجود المبرأ من المادة وغواشيها
فهو ممكن فكل ما في العالم فهو مستفيد الوجود من غيره فذلك الغير إن
كان ممكناً فكيف يسطي الوجود وهو لا وجود له إلا من غيره فإذا استمد
منه مستمد فإنما يستمد من فضل ذلك الوجود الذي جاءه من موجدته إلى
أن ينتهي إلى الوجود الأول. فكل وجود سطع على الممكنات فهو
فائض من وجود الواجب فلا وجود إلا من وجوده أو كل وجود فهو
شماع لضياء وجوده فإذا حرر المعنى من هذا على وجه أمكن عند العقل
وجدته يرجع إلى ما قاله السيد الشريف من أنمة أهل السنة وغيره وهو
إن الممكن ليس بشيء في ذاته ثم يكون شيئاً بالإيجاد. والإيجاد
لو حقيقته أمر اعتباري انتزاعي له منشأ في الواقع وذلك المنشأ هو ذات
الموجد وماهية الوجود الممكن التي صارت شيئاً بتلك الطريقة الاعتبارية

حيثما يوجد في هذا العالم وهي ما يسمونه تطلق القدرة بالقدر. وما هيبة الممكن ليست بوجوه ولا الوجود أصـ موجود قائم بها . فإذا ليس من وجود قس الأمر إلا وجود الواجب فكان الوجود الحقيقي واحداً ومصدر ما يستلزم وجوداً أو موجوداً فإلما ينال ذلك بالإضافة إلى الوجود الحقيقي وأولى بالتسمية أن تكون محاذرة من أن تكون حقيقية .

مع ذلك لا يزال صاحب هذا القول يعتقد بتجرد الواجب عن المادة والمادة إلا أن من تلقفه منه توسع فيه حتى كان من ذبوله رأى القائلين بأن الموجد الأول روح سار في العالم وإليه يرجع كل أشغاصه لفناء شخصيتهم فيه وما هو برأي ابن رشد ولا يعرفه

على أن الصوفية وهم المصريحون بوحدة الوجود المعبرون بالشهود أولاً والفناء آخر الأناطقون في ذلك بما لم ينطق به أحد سواهم لم يقولوا بزوال هويات النفوس زوالاً حقيقياً بل قالوا : إنها خالدة بعد مفارقة الأبدان ولكنها تسعد في غلودها باستغراقها في شهودها ، وذهولها عن كل ما يغلطها عن مصدر وجودها ، فهي غيبة برفاقه عن معرفتها بنفسها وهو ما يعبر عنه بالفناء والله ، والمحو ونهجه ، وهو معنى تقصر دون إيقاعه الصباران ، وإن كفى في ترفقه لأمله أخفى الإشارات .

ولعل الجامعة لا تشب على الكاتب فيما كتب وفيما أجب به من طلب ، فقد وفي حقها لما لو أعظم مع علمها بالقدرة عليه . لحق لها أن توجه العتب إليه هذا ما أزدنا إيجاز القول فيه متعلقاً بفلسفة المتكلمين ورأى الفلاسفة وشيوخهم بمقال آخر فيما حكمت به الجامعة من الكلام ، على

الشيخ الفيلسوف في هذا العالم ، إلى عبد الله بن أبي

تمة الاجتماع الخامس للجمعية أم القرى

قال (المحدث اليمني) اتنا معشر أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة كما اتنا لم نزل بيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدين بيدين عن التفنن فيه ومسلكتنا مسلك أهل الحديث وأكثرنا يخرج الأشكام على أصول اجتهاد الإمام زيد بن طي بن زين العابدين أو أصول الإمام أحمد بن حنبل وإنني أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى أن تذكرى تنفع المؤمنين . وعسى أن يعلم المسلمون ولا سيما الأتراك ومن يحكمون أننا من أهل السنة لا كما يوهمون أو يتوهمون فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب العلماء والقراء والعامة .

فالطبقة الأولى (العلماء) وهم كل من كان متصفاً بخمس صفات

(١) أن يكون عارفاً باللغة العربية المضربة القرشية بالتعلم والمزاولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لا معرفة إحاطة بالمفردات ومجازاتها وقواعد الصرف وشواذها والنحو وتفصيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته مما لا يتيسر إتقانه إلا لمن يفنى ثلثي عمره فيه مع أنه لا طائل تحته ولا لزوم لأكثره إلا لمن أراد الأدب .

(٢) أن يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة للأخوذة من السنة والآثار وتفسير الرسول عليه السلام أو تفاسير أصحابه عليهم الرضوان ومن المعلوم أن آيات الأحكام لا تجاوز المائة والخمسين آية عدداً (١)

(٣) أن يكون متضلعا في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين وتابعيهم أو تابعي تابعيهم فقط بدون قيد جماعة ألف أو مائتي ألف حديث بل يكفي ما كفي مالكاً في موطنه وأحمد في مسنده ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لا تجاوز الألف وخمسة مائة حديثاً أبداً (٢)

(٤) أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي وأصحابه وأحوالهم من كتب السيرة القديمة والتواريخ المعتبرة لأهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم كابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري وأضرابهم .

(٥) أن يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين (٣)

(١) قد أحاط بها التفسير الأحمدى الهندى (٢) وقد أحاط بها الإمام الشوكاني اليمنى (٣) قد حقق القرطبيون أن لا ثمرة من المنطق كليا فأهملوه مع أنهم يقتنون بالبحث عن وسائل تفاهم العجاوات اه من الأصل . والله يريد بما أحاط به الشوكاني

والفلسفة اليونانية والإلهيات الفيشاغورية وباحثات الكلام وعقائد الحكماء وزعماء
المعتزلة وإغرايات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخرجات الفقهاء المتأخرين وحشويات
الموسومين وتزويقات المرائين وتخريفات المذلسين (مرحى)

فأهل هذه الطبقة يستهدون بأنفسهم ولا يقلدون إلا بعد الوقوف على دليل من
يقلدون فإذا وجدوا في المسألة قرآناً ناطقاً لا يتحولون عنه لغيره مطلقاً وإذا كان
القرآن محتملاً لوجوه فالسنة قاضية فيه مفسرة له . ثم ما لم يجدوه في كتاب الله
أخذوه من صحيح سنة رسول الله سواء كان الحديث مستفيضاً أم غير مستفيض عمل
به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين أم لم يعمل به إلا واحد فقط ومتى كان
في المسألة حديث صحيح لا يعدلون عنه إلى اجتهد ثم إذا لم يجدوا في المسألة حديثاً
يأخذون بإجماع علماء الصحابة ثم يقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون
بقوم دون قوم فإن وجدوا مسألة يستوى فيها قولان رجحوا أحدهما بمرجع يقوم
في الفكر لا يتبعون فيه أصولاً موضوعية غير مشروعة أو طرقاً مقررة غير مرفوعة .
وأهل هذه الطبقة عندما ينورون أذهانهم بأصول استدلالات الإمام زيد رضي الله عنه
أو غيره من الأئمة في تخريج الأحكام واستنباطها من النصوص بدون تقيد بتقليد
أحد من خاصة دون غيره . لأنهم لا يجوزون اتباع إمام إذا رأوا ما ذهب إليه في المسألة
بعيداً عن الصواب فلا يقلدون أحداً تقليداً مطلقاً كأنه نبي مرسل

والطبقة الثانية هم (القراء) وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى فراءة فهم
بالإجمال مع اطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لا
يستهدون في أصول الدين بأنفسهم لأنها غالباً على قرآن ناطق أو سنة صريحة
أو إجماع عام مفسر لغير الناطق والصرح

وأما في الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند السهدي من الأقدمين أو
العاشرين بدون ارتباط بمجتهد مخصوص أو عالم دون آخر مع سماع الدليل والميل
إلى قبوله كما كان عليه جمهور المسلمين قبل وجود المتب للمذاهب

والطبقة الثالثة هم (العامة) وهؤلاء يرددهم العلماء مع أن الدليل يقتضد الإقناع
فالعلماء عندما لا يجسرون على أن يفتوا في مسألة مظاهماً ما لم يذكروا معها دليلها من

كتاب متفق الأخبار الذي سرحه وهو ليس له . وأما الذين لم يسهلوا المنطق وإنما
خرجوا به عن الطريق المهننة

الكتاب أو السنة أو الإجماع ولو كان المستفتى أعجمياً أمياً لا يفهم ما الدليل وطريقته
هذه هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والأئمة المجتهدين والفقهاء الأولين من
أهل القرون الأربعة أجمعين (مرحى)

والترام علمائنا هذه الطريقة مبني على مقاصد مهمة أعظمها تضيق دائرة الجراءة
على الاقتاء بدون علم وفي هذا التضيق على العلماء توسعة على المسلمين ومسد لباب
التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ولهذه الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في
النكير على المتجاسرين على التحليل والتحريم والمستسلمين لمحض التقليد

فالعالم عندنا لا يستطيع أن يجيب إلا عن بعض ما يسأل ولا يأتقن أن يقف عند
«لا أدري» بل يحذر ويخاف من غش السائل وتغريه إذا أجابه بأن فلاناً المجتهد يقول
إن الله أحل كذا أو حرم كذا لأن السائل لا يعلم ما يعلم هو من أن هذا المجتهد الذي
ليس بمعصوم كثيراً ما يخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ومن
أنه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ومن أن أكثر دلائله إما ظنية الثبوت
أو ظنية الدلالة أو ظنيتيها ومن أنه لم يدون ما قاله ولكن نقله عنه الناقلون وكم اختلفوا
في الرواية عنه بين سلب وإيجاب ونفي وإثبات وكم زيف أصحابه اجتهداه ورأوا غير
ما رآه ومن أنه أي المجتهد إنما اجتهد لنفسه وبلغ عنده عند ربه وصرح بعدم جواز
أن يتبعه أحد فيما اجتهد وتبرأ من تبعه الخطاء

فهذا (الإمام مالك) رضى الله عنه يقول ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه
ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقل المؤرخون أن المتصور لما حج
 واجتمع بمالك أراد على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس
على المصحف فقال مالك لا سبيل إلى ذلك لأن الصحابة اختلفوا بعد وفاة النبي عليه
الصلاة والسلام في الأمصار يريد أن السنة ليست بمجموعة في موطئه الذي جمع فيه
مرويات أهل المدينة

وحكى في الإداقية والجواهر أن (أبا حنيفة) رضى الله عنه كان يقول لا ينبغي
لن لا يعرف دليلي أن يأخذ بكلامي وكان إذا أفتى يقول هذا رأى النعمان بن ثابت
يعنى نفسه وهو أحسن ما قدرناه عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب

وروى الحاكم والبيهقي أن (الشافعي) رضى الله عنه كان يقول : إذا صح الحديث
فهو مذهبي . وفي رواية إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا
بكلامي الحائط وأنه قال يوماً لأمرني يا إبراهيم لا تقلدني فيما أقول وانظر في ذلك

لنفسك فانه دين وكان يقول لا حاجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن (أحمد بن حنبل) رضى الله عنه أنه رأى بعضهم يكتب كلامه فأنكر عليه وقال تكتب رأياً لعلى أرجع عنه وكان يقول ليس لأحمد مع الله ورسوله كلام وقال لرجل لا تقلدنى ولا تقلد مالكاً ولا الأوزاعى ولا الحنفى ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأى واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد

ونقل النقاة أن (سفيان الثوري) رضى الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه ففرقها جميعاً

وروى عن (أبى يوسف وزفر) رحمهما الله تعالى أنهما كانا يقولان لا يحل لأحد أن ينقى بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا وقيل لبعض أصحاب أبى حنيفة أنك تكثر الخلاف لأبى حنيفة فقال لأنه أوتى من الفهم ما لم نؤت فأدرك ما لم ندرك ولا يسمنا أن نقى بقوله ما لم نفهم دليله وثقبح (مرحى)

ثم قال أيها الإخوان الكرام قدأطلت المقال فاعذرونى فانى من قوم القوا ذكر الدليل وإن كان معروفًا مشهوراً وقد ذكرت طريقة علماء العرب فى الجزيرة منوها بفضليها لا بفضليهم على غيرهم كلا بل غالب علماء سائر الجهات أحد ذهنا وأدق نظرا وأغزر مادة وأوسع علماً ولذلك لم نزل نحن فى تعجب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحرين فى أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد

نعم لم يبق فى الإمكان أن يأتى الزمان بأمثال ابن عمر وابن العباس أو النخعى وداود أو سفيان ومالك أو زيد وجعفر أو النعمان والشافعى أو أحمد والبخارى رضى الله عنهم أجمعين ولكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لا يفقه إلا أمثال هؤلاء النوابغ العظيم أليس أساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فما معنى دعوى العجز والتهميل بمن قالوا (قلوبنا غلفت) حمانا الله تعالى (مرحى)

أما السنة النبوية أفلم تصل إلينا مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث جزاهم الله خيراً الذين جابوا الأقطار والبلاد التى تفرق اليها الصحابة رضى الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها وسهلوا الإحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير

أفراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام .
وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن
والسنة فإن علماء التابعين وتابعيهم والناسحين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهداً
في ضبطها وبيانها .

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد
والاستنباط والتخريج والتفريع وقياس النظر على النظر فهم أرشدونا إلى الاستهداء
وما أحد منهم دعانا إلى الاقتداء به مطلقاً (مرحى)

ثم اننا إذا أردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم أولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم
علماً وهيئاً أو كسباً خارقاً للعادة فهذا الإمام الشافعي رحمه الله وهو أغزرهم مادة
وأول وأعظم من وضع أصولاً لفقهاء نجله قد أسس مذهبه على اللغة فقط من حيث
المشترك والمتباين والمترادف والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء
والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع والعطف المرتب وغير المرتب والفور والتراخي
والحروف ومعانيها إلى قواعد أخرى لا تخرج عن علم اللغة وتبع أبا حنيفة في إدخاله
في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ومعرفة
الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض والمقدمين والنتيجة والقياس والنتيج. وتابعه
أيضاً في قياس ما لم يرد فيه قرآن أو حديث على ما ورد فيه وهكذا فتح كل من أولئك
الأئمة العظام لمن بعده ميداناً واسعاً فجاء اتباعهم ومدوا الأطناب وأكثر من الأبواب
وتفتتوا في الأشكال وتنوع الأحكام وأحدثوا علمي الأصول والكلام . وهذا التوسع
كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه وما أشبه الأمور الدينية
بالأمور المعاشية كلما زاد التأنيق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة انسلبت الراحة

والقول الذي فيه فصل الخطاب ان الله سبحانه وله الحكم لم يرض منا ان نتبع الا علم
الأفضل بل كلفنا بان نستهدي كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا
بجهدنا حيث قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل.
قال (الأستاذ الرئيس) إني أحمد الله تعالى على توفيقه إيانا إلى هذا الاجتماع
البارك الذي استفدنا منه ما لم نكن نعلمه من قبل عن حالة إخواننا وأهل ديننا في
البلاد المتباعدة ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئاً إلا من السياح المنكدين الجهلاء
الذين لا يعرفون ما يصفون أو من أهل السياسة والعلماء المتشيعين لهم الدين ربما
يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف (مرحى)
ثم قال هذا واليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال وأذن لنا الوقت بالانصراف .

باب التربية والتعليم

(الأزهر والأزهريون - وفاضل هندي)

إلى السيد الحكيم الفاضل محرر مجلة المنار القراء

لست في حاجة إليها السيد الحكيم لأن أسبب لكم القول في فضل الانتقاد والمثقفين وما لهم من الأيادي في ترقية الأمم فإن العوان لا تعلم الحرة ، وهذا مناركم الاشر لا يكاد يقف على رأس كل سنة حتى يكون قد ذكر فصولا ضافية في الانتقاد ، وانه القوم لما اعوج من اعمال الامم والرافع لما حمل من شائها والآخذ بيدها على مدارج الرقي والكمال . وعلم الله انه لا حامل لي على أن أوجه بسطوري هذه اليكم آمل في نشرها على صفحات مناركم إلا عظيم الثقة ووطيد الامل بانكم لا تحشون في اللومة لأنهم وأنه لا يوقنكم عن السير في سبيل الاصلاح غرض لبيان أو هتات مما يكتب في صدر فلان .

خرجت ذات يوم إلى منتزه الجزيرة لأبدد ما تراكم بصدرى الحرج من المموم والا كدار في تلك الرياض الفسيحة وذلك الفضاء الممتد حتى إذا كنت على قيد اذرع من رأس المنتزه الجديد حيث تقف هناك مركبات الكهرياء القادمة من الأهرام فالجيزة إذا أنا باحد صبية الفلاحين وقد أخذت ناحية عن أعين الناس وهو قابض على كثير من الأوراق المكتوبة يتصفحها واحدة واحدة وبعضها يتناثر من بين يديه إلى حيث تتلاقفها ايدي الرياح فتعثر بها اضعاف عيئه من قبيل فاهويت إلى واحدة منها وقد جرى بها الريح إلى ما تحت قدمي فاذا بها كلام عربي فتقدمت نحو الغلام وتلطفت في طلبها منه وأمرت ان يذهب فيجمع لي ما فرقة يد الهواء في متابلة فاس اعطيته إياه ففعل شاكرًا وذهب طيب خاطر راضي النفس بعد أن علمت منه أنه عثر عليها وقد لقت في خلاف على الطريق الكهرياء فلما بين الجزيرة والجزيرة واخذت أنا طريقى الأول إلى حيث أشجار اللبخ القائمة على حافة النيل الغربية فجاءت هناك في ظلها الوارف وكان الوقت اصيلا وصرت اقلعها واحيل فيها النظر واحيل الفكر حتى تكشف لي امرها بعد طويل إيمان واهمال روية انها صحائف سودها بهن افاضل امند المرامين باليه من د الاسلام المسلمين من ينده يتمال لها (الله أباد) وعلمت من مجموعها ان الرجل احسن امور وجاتم الخطار وجواب

اقتطار من حيث لا صاحب له إلا همة يحاول أن يظاً بها قلة العيوق ونفس تنزع به إلى
 ذرى شرف لا تتطاول إليه الاغناق وقد تجلى لي من رسائل كانت ترد إليه أن الرجل
 سيد بلدته، وأشرف بني جلدته، قدم هذه الديار سائجاً متجولاً كما جال في كثير غيرها
 من بلدان المسلمين ولا هم له التقيب عن ادواء الأمة الإسلامية وأسباب انحطاطها
 وقد عاهد صديقاً له في (حيدرآباد) على أن يوافيه برسائل متتالية يصف له بها كل
 ما يراه من ادواء الاسلام وعوامل ضعفه وأسباب تأخره واقفد قلبت في الاوراق
 كثيراً وقد كتب بعضها بالأوردية والبعض بالعربية على احد فيها ما يشير إلى الرغبة
 في كتمانها وصونها عن أنظار غيره فلم يظهر لي إلا عكس ذلك فقد وجدت في أولى
 رسائله عبارة صريحة يأذن لصاحبه فيها بنشر ما كتب ويكتب لكل من أحب. وأهم
 ما رأيت في تلك الرسائل ثلاثاً بعث بها إلى صاحبه في حيدرآباد يصف له فيها الأزهر
 والأزهريين بعبارة لا تسلم من العجمة ولكن لم يركب بها مخارم الاغراب ولم يتدل
 إلى حبس العامية المبتذلة وقد نحى في انتقاداته خشن القول وغلظ الكلام حتى
 جاء كلامه أكرم انتقاد واعفه واكفه واحله. لذلك احببت ان ابعث بها إلى أعظم
 مجلة إسلامية وارسخها قدماً في الاسلام وأحبها لنشر فضائل رجاله وأحرصها على
 رأب صدعهم ومداواة دأهم وقد تصرفت بالعبارة تصرفاً لا يمس شيئاً من المعنى
 راجياً أن لا تضيقوا إلى املاء. والله لا يضيع أجر من احسن عملاً، وهذه صورة الرسالة الأولى

(من القاهرة إلى حيدرآباد)

سلام عليك أيها الأخ الفاضل امد الله في حياتك ولا حرمني إخوانك واسمع على
 ردك خلاصتك. وبعد فقد ورد إلى كتابك الكريم أحوج ما كنت إليه فاستعذبت
 وحسن موقعه من قاي وما ذكرت أيها الاخ من استيطاء الرسالة واشفاقك من أن
 يصرم النعد حبل الود ويطنى غلة الشوق والوجد ويضرب على ما سبق به الوعد فأنا
 استغفر لك الله في ذلك وهو العليم بما لك في فؤاد أخيك مهما شطت به دار الغربة
 وبعدت به النجعة. وما كان لي وأنت موضع ثقتي ومكان اخلاصي وبك أعتضد وعليك
 اعتمد ان تظهر قولك زورة طيف أو انسى وعدك لمحة طرف وانما هي الاسفار
 أو رثنتي من الضعف والشعوب والانضاء، مالو رأيته لاصبحت عذري فيما ارتكبت
 من الابطاء، ويعلم الله اني اكتب لك ما اكتب وأنا نضو سفر قد الحفني من وعثائه
 جلباباً، وفل اطرقه ضربت على من رواقها قباباً، ولقد كان الاجدر بي أن لا اكتب لك

كلمة حتى أتريد من الراحة أياماً واسترد بعض ما فقدت من القوة لولا ما أخشاه من جرح صدرك وتغير فؤادك - فأما ما ذكرتني به وأخذتني على تأخيرها وسألتني إنجازها من زيارة مدرسة الأزهر الإسلامية المهائلة واستجالي لزيارتها إن لم أكن فمات ثم بالكتابة إليك بما استبان لي من أمرها وطريقة التعليم بها وأن أسهب لك القول فيما أجده بها من مواضع النقد والملاحظة . فقد صادف جميع ما ذكرت سابق رأي مني فيه . وإن منسة يزيد عدد طالبها على تسعة آلاف من المسلمين ما بين مصريين وسوريين وروسين وعرب وأتراك وبربر وهنود لجديرة بأن لا أنساها في سياحتي بل جدية بأن تكون زيارتها ودرس أحوالها جل ما أبا قاصده من تجوالي في ربوع الاسلام غير أن كتابك قد ورد علي وأنا لم يحن لي غير يومين في القاهرة وقد مضى يومان آخران من تاريخ وروده وأنا لم أزر تلك المدرسة إلا زورة واحدة لما ذكرت لك من الضعف واللغوب وسأكتب نموذجاً بما وقع لي منها في تلك الزورة مسجلاً التفصيل والأسباب لغيرها من الرسائل ولا غرو أيها الفاضل ان أتتك رسالتي هذه مختصرة في الوصف مقتصرة على ما ذكرت لك على وجه الجملة شأن من كان سريب الدار سريب اللغة فأقول :

كثيراً ما كنت أسمع من اخواني في الهند إذا حدثتهم في شأن الأزهر كلمة مقولة وهي (الأزهر أكبر مدرسة إسلامية على سطح الكرة الأرضية) فكنت اهتز لذلك من الارتفاع والظرب « كما اهتز تحت البارج الغصن الرطب » . لظلمة كان يقع في أذنك إذ ذاك انه على كثرة طالبه وتمدد معاميه قليل النظام مختلف طريقة التعليم عقيم النتيجة ولكن ما كان ذلك لينزع من قلبي تلك الهزة وذاك الإعجاب به وبكثرة طلابه وما كان ليؤنسني من أن أجده فيه إذا دخلته قليلاً من النظام وبعض الترتيب ولقد بت ليلة قدومي إلى القاهرة من الوجد لزيارته بـ ليلة المنسوع . حتى إذا كنت من صباح الفد وبلغت الساعة . . . أسرعت بركوب عربة إليه ودخلت فإذا ساحة مترامية الأنحاء لا فرش فيها إلا الغبراء ولا غطاء عليها إلا السماء غير انها تخلو من جمال هندام في جدرانها وكال هندسة في شكلها واتقان صنعة فيما يحيط بها من الأبواب والنوافذ ورأيت بها والفصل كما تعلمون شتاء أناساً كثيرين يتشمسون وقد اشتغل البعض بتلاوة القرآن والبعض بالمذاكرة في كراسة بيده وآخرين ما بين

مستلق على ظهره ومنكب على وجهه ومن بينهم من التفوا حول أدون المسأكل
يا كالون فيها بشهوة النهوم فألقى في روعى لأول الأمر أنها ساحة يستريح بها الطلبة
في أوقات معلومة بعد طول المطالعة والدرس ، وإجهاذ القوة ونصب النفس ، فعذرتهم
إذ ذاك على استلقائهم وانسكابهم وتراحمهم على المسأكل لتعويض ما اندثر من أدمغتهم
عقب الجهد والتحصيل ، والاشتغال الطويل ، غير أنني لم ألبث هنية حتى أخبرني
صاحب إلى جاني من الطلبة السوريين — وكنت قد اصططحبته لمثل هذه الحال —
بأن تلك الساحة قطعة من المدرسة نفسها وإن ما أراه إنما هو نظامهم في الطلب
والتحصيل فكنت أن أضعق إذ ذاك وتلبد فكري بغيوم السكر والحزن حتى
أوشكت أهالك أسي وعماء — ولقد كنت أرى في تلك الساحة الرجل وقد كبرت
سنه حتى خارت قوته ورق عظمه فأنحنى ظهره ، وضعف عضده ، حتى رعشت يده ،
وكل بصره حتى لا يبصر إلا شفا وأنه على ذلك كله ليجلس وإلى جانبه في حديث
السن عن الشباب ماطر له شارب ولا خط له عذار وكلاهما يدرس ويتفاهم مع
الآخر على أنه من أضرابه في الطلب ومنافسيه في التحصيل ويجلس كل منهما في حلقة
درس واحد ، ثم اختزقت تلك الساحة وأنا مدهوش العقل ذاهل اللب لما أراه من
اجتماع الأضداد والمتناقضات وولجت من باب هناك إلى القصور المعدة للتدريس
وقد كنا قبيل الظهر فإذا محل فسيح الأرجاء ذو سقف يقوم على نحو أربعائة
عمود نحال بل منه شكلها أنها نقلت إليه من المعابد والهياكل القديمة تميد بها تلك
الألوف ميداناً وهم على مثال من رأيت في صحن المدرسة من اختلاط الحابل بالنابل
وتلاشي النظام والترتيب إلى حد ظننت معه أنهم مأمورون بذلك وإن من قوانين التعليم
هناك استئصال حب النظام من الصدور كما يستأصل الخلق السيء . وأعجب ما رأيته بين
الطلبة من سلطان العادة على النفوس أن الطالب هناك لا تحلو له المذاكرة ولا يروق
التحصيل إلا إذا رفع صوته بأقصى ما في إمكانه فيتألف من مجموعهم دوى يصم أدن
القادم عليهم فاخترق بي صاحبي السوري الجموع حتى انتهى بي إلى محل هناك يقال له
(رواق الشوام) فصعد بي على مدارجه إلى غرفة هناك استرحت بها قليلاً وكان قد
أذن الظهر فقال لي صاحب هلم نمر بالدروس وهي منتظمة أما الدوى فلا يلبث أن
يسكن لاشتغال الطلبة بالسماع من معلمهم فلم أتمالك نفسي علم الله من النكاء
على أثر قوله انتظام الدروس وقلت ومهيجتي تذويج من الأسى فتحدثت من عيني

دموعاً : يا حبذا ذاك الدوي لو كان زججرة رعد تبشر بسقوط غيث العلم من سماء
 على صدور الطالبين ، فتنبت ما يقوم بشفاء داء الإسلام والمسلمين .
 ثم قمت وقام صاحب حتى إذا كنا في واسطة الدرج أخذت أرسم له كيف
 يغشى بي الدروس وذلك أن يبدأ بدرس أول كتاب يدرسه في النحو ثم ينتقل
 بالتدريج حتى درس آخر كتاب اصطلاحوا أن يكون خاتمة الطلب في الفن فعمل وكان
 أول درس وقفت عليه درس الكتاب الأول وأول كلمة سمعتها فيه قول المعلم « واخفاف
 في الجار والمجرور هل هو متعلق بظرف أو بفعل ؟ » فالتفت إلى صاحبي وقلت أوتبرأ
 في ياهذا . ألم أقول لك أن تذهب إلى أول كتاب فقال : لم أهزم بك والشيخ إذا يقرأ
 أول كتاب في النحو ويقرر ثانياً درس في الكتاب . فقلت لن يثبت ما تقول في نفسي
 حتى ترى آية ذلك فأشار إلي غلام يليه من الدرس فسأله ماذا يقرأ الشيخ بصاحبي ؟
 قال الكفراوى . قلت أنا والكفراوى ماذا . قال أول كتاب يقرأ في النحو . فأخذت
 بيد صاحبي إذ ذاك وأنا خجل من اتهامى إياه وقلت اذهب بي توا إلى الدروس الثانوية
 حتى أرى ماذا يقرأون .. ولا أريد أيها الأخ أن أطيل لك القول في هذه الرسالة
 بتفصيل ما رأيته بعد ذلك لي أجمال لك فيه القول إجمالاً . وجدت معلم الكتاب الثاني
 يشتغل بتعريف المركب عند المناظرة طويلاً ثم لوى زمام الكلام إلى تعريفه عند
 اللغويين فالبيانين قائم حينئذ إلى فنون أخر ذهب عن أسماؤها وحفظ تعاريف
 واضعها . أما الدرس الثالث فكان الشيخ فيه منهمكاً في تعريف الرثة واختلاف
 الأطباء الأقدمين فيها وما قالوا في تكييف الصوت إلى كلام طويل . وكان ذلك كله
 استطراداً من قول النحاة اللفظ صوت مشتمل على بعض الحروف . وعلى ما ذكرت لك
 كان الحال في بقية الدروس حتى إذا انتهيت إلى درس آخر الكتب كان يخجل لي أن
 الشيخ إنما يلفظ رطاة لا أفهمها وإني لأسم لك وأنت تعلم قدر امتعاني بالعريضة
 وشدة شغقي بها أنه لم يعلق بذهني من كل ما سمعته إلا كلمتين إحداهما قوله بين أجزاء
 كل جملة وعلى رأس كل كلمة « قال الشيخ رحمه الله تعالى » والثانية ذكر سبب تسمية
 سيويه من أن سيباسم الراثة بالفارسية وويه اسم للتفاح . هذا ما رأيته وأقول لك
 على الجملة في مدرسة بعيدة الصيت طائفة الشهرة في كل قطر من بلاد المسلمين حتى كاد
 بعضهم أن يعلق بها الأمل في نجاح كل عمل .

ومما هو جدير بي أن أجمال لك فيه القول في الرسالة ان سني الطلب يغلب
 أن تكون من خمس عشرة سنة إلى ما يحتمل أن يعمر إنسان والطلاب يشتغل

هناك بالكتاب الأول في السنة الأولى ثم بالكتاب الثاني في الثانية ثم بالثالث والرابع والخامس والسادس في خمس سنين ثم ينتقل من النحو ويكون قد حضر ما يقابله من كتب الفقه إلى علوم البلاغة ثلاث سنين ثم يصرف ما بقي في تلقى كتاب كبير في الأصول وفي خلال هذه المدة يكون قد حضر في أوقات غير منسبوطة ولا منتظمة علوم التوحيد والمنطق والتفسير وبعد أن يأتي على ذلك كله درساً يكون يكون على خيار من أن يتقدم لشهادة الدراسة أو يرجع إدراجه إلى تلك الكتب والفنون فيلقاها درساً وبعثون ذلك فيما بينهم - إعادة المذهب . وقد ضمنى مجلس مع أحد المترشحين لشهادة الدراسة وكان ممن أعادوا المذهب فرأيت منه رجلاً وقوراً صالحاً على رأس الخامسة والأربعين من عمره غير أن بلسانه حبة وعياً فعمدت إلى أن أعرف مبلغ علمه بالكتابة فعمدت إليه بلطف طلب ورقة مؤالراجياً أن يكتب لي ما تيسر من إنشائه ولما لم أفلح أكثرت عليه من الإلحاح والإلحاف في الطلب فاكتمى بأن أخرج لي كتاباً كان قد حرره لأخ له من أبيه أصغر منه سنين برزق من الفلاحة والزرع رجو منه إرسال شيء من النمود والزراد ويشره بقرب نيل الشهادة أحببت أن أبعث به إليك بعد أن أقسم لك بالله قسماً حقاً لا أعأ فيه ولا حاشاً أنه على أصله ما تحوكت منه حرفاً واحداً وهو كما ترى قد قبضت من أسطره روح البلاغة وانطفاً منها نور البيان وحقت منها غضاضة الدوق في التعبير ولقد كانت النفس تجدد لها بعض السلى وتلمس لكتبتها شيئاً من العذر لولم تكن الرسالة محشوة بالأغاليط الصرفية والامحفات النحوية كما يظهر ذلك لأول نظرة فيها - والله حكمة خافية في ثمانى سنوات مضت في درس النحو والصرف - هذا ما أذكره لك في رسالتى هذه إجمالاً وسترى فيما يتلوها إن شاء الله تعالى واسهباً شافياً والسائم عليك ورحمة الله (الإمضا)

وسأوافي حضرات قراء الدر الأغر بالرسالتين الباقيتين اللتين أرسلهما لصاحبه هذه وهما كما قلت غاية في آداب الانتقاد والاعتدال مما يستميل قلوب العقلاء إليه ويستحق نسبة القراء المثناء عليه .

عبد المزين عثمان العريشى

بالأزهر

(المشار) نشرنا هذه الرسالة نفسيّاً لكتيب الأديب وبياناً لكيفية تعليم في الأزهر يعرف ذلك بالتفصيل من لا يعرفه من أهل الأفطار الإسلامية وننتظر أن تكون الفائدة في رسالتى الهندى الآخرين أنهم بما فيه هذه الرسالة .

آثار علمية أدبية

« أفكوهة أدبية للشاعر المجيد مصطفى أفندي صادق الرافعي »

يا طير ما للنوم قد طارا وما قضينا منه أوطارا
 كأن هذا السهد لا يأتي يطلب من أحفاننا نارا
 إن كنت ظمان فذي أدهمي تفجرت في الأرض أنهارا
 أو كنت ذا مسغبة فالتقط حبة قلبي كيفما صارا
 أو كنت مشتاقاً فكن مثلنا على النوى يا طير صبارا
 وجارني إن كنت لي صاحباً فإن خير الصحب من جاري
 يا طير كم في الحب من ساعة يزيد فيها العمر أعمارا
 إن قلت تلمسي بها فكرة جرت على الأفكار أفكارا
 أو قلت أنساها اقم الهوى من حرها في القاب تذكارا
 والصب ما ينك في حيرة تزيد حزناً وأكدارا
 مالي أرى الأطيّار نواحة كأنما فارقن أطيّارا
 وما لأغصان الربى تلتقي كأنما استودعن أسرارا
 فاسأل نسيم الصبح إن مر بي هل حملته الخيد أنصارا
 واسأل عن الدار وما يأتي أزور يوماً هذه الدار
 كأنها الجنة لكني أبنت من وحدي بها الدار
 مساؤها مطلعة أحما وأرضها تطلع أقمارا
 وكم بها من أكل إن رنا سلت لك الأجنان ديارا
 وإن مني خطر في تيهه هزت لك الأعطاف خطارا
 لا أنكر السحر وذا طرفه أصبح بين الناس سحارا
 يا فاتن الصب على رغمه والمرأ لا يعشق مختارا
 طوراً بنا هجر وطوراً نوى أهكذا تتخلق أطوارا
 لو شهبوا بدر السما درهما لشهبوا وجهك دينارا
 وكم درار فيك نظمها تجل أن تحسب أشعارا
 لو أن بشارا حكى مثلها أعطت لواء الشعر بشارا

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(حبر الكلام ، في القراءة خلف الإمام . وقرة العينين ، برفع اليدين)
 كتابان مختصران للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب
 الجامع الصحيح جمع في الأول ما رواه من الأحاديث النبوية الدالة على وجوب
 القراءة خلف الإمام في الصلاة وفي الثاني ما رواه في إثبات رفع اليدين عند الركوع
 وسند الإمام . ومن شهد الأول . والأحاديث في المسألتين كثيرة . وقد تذكرت
 الآن التي سمعت أستاذنا الفقيه المحدث الشيخ محمود شبابه الطرابلسي الأزهرى
 (رحمه الله تعالى) قال وهو يقرأ لنا شرح البخاري في أوائل طلبنا للعلم أن البخاري
 روى رفع اليدين عن خمسين صحابياً وله فيه كتاب ومن ذلك اليوم تميت أن أرى
 هذا الكتاب الذي أثبت البخاري المسئلة فيه بالتواتر حتى رأيت مطبوعاً في هذه
 الأيام . وكنت أعجب لترك الناس هذه السنة حتى الذين أثبتوا أنهم كالشافعية .

الحنفية يتركونها لأن شيوعهم قالوا إنها مكروهة لأنها لم تثبت عند إمامهم وإن
 كان كل من شتم رائحة علم السنة منهم موقن بأنها ثابتة عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ثبوتاً لو وقع مثله لإمامهم لما تركها مرة واحدة وأما الشافعية فإنهم قد
 يتركونها مسaire للحنفية . صلى كاتب هذه السطور إماماً بامتازة الشيخ حسين أفندي
 الجبر فرقت يدي عند الركوع والقيام منه ومن الشهد الأول كما هو دأبي فلما
 فرغت من الصلاة قلت في أحد الشيوخ من الشافعية وكان حاضراً الصلاة : هلا تركت
 رفع اليدين أدباً مع أستاذك ؟ فقلت ما علمي أستاذي أن أترك السنة أدباً معه ولا أرى
 أن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينافي الأدب معه . فقال ذلك الشيخ : إن
 إمامك الشافعي ترك القنوت في الصبح أدباً مع الإمام أبي حنيفة عند ما زار قبره .
 فقلت معاذ الله أن يكون الإمام السنة لأجل أحد من الناس وقد أول العلماء هذه
 الحكاية عن تقديم ثبوتها (وما هي بثابتة) بأن الإمام ترك القنوت تشبهه عرضت له
 في رايه غير أن أجهاداً وقتئذ . فصدقني الأستاذ وقال نعم هكذا أولوها

فذهبوا المسلمون بهؤلاء الشيوخ الذين يأمرون بترك السنة مساهمة لأهل الجاه
 من الأعداء والشيعة لأهل الشيعة من الأموات . ومثل هؤلاء الشيوخ الذين يرجعون
 الدين إلى رأيهم المصنوع يتجأون على أئمة العلماء والمصلحين من المعاصرين
 ويغترون مسوئاً في عيشهم وتمتقون لهم أشد التعلق في حضرتهم والمامة بغيرهم إذا
 (٥٠ - - النار)

درسوا وخطبوا فزيدونها غروراً

الكتابان اللذان نحن بصدد تزيينهما طبعاً معاً في المطبعة الخيرية على نفقة صاحبها
الهام السيد عمر الحشاش وبياعان في مكتبته فنحت محي السنة السنية على معانيها والعمل
بهما « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب »

(الروضة الانيقة . في بيان الشريعة والحقيقة) كتاب يدل اسمه على مساهمة من
تصنيف العالم الصوفي الشيخ عبد العزيز الديريني المتوفى سنة ١٢٩٧ ر. ح. الله تعالى .
وفي الكتاب مسائل نافعة يصح ان تجعل حجة على الذين يدعون التصوف ويتكبرون
حرمات الدين . ويدعون انهم أولياء الله وأحبائه . من ذلك انه عقد باباً للإنكار
على مشايخ الطريق الذين يجتمعون بالنساء ويزعمون انهم يرشدونهن واستشهد
لذلك بعدم مصالحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنساء عند مبايعتهن على الايمان
وغير ذلك وقال انه لا يصلح لتعليم النساء الا الراسخون في العلم والدين بشرط عدم
الحلوة وعدم اظهار الزينة . على ان المرأة انما تتعلم من الأجنبي ما يجب عليها إذا لم
يكن لها محرم يعلمها . وقد ختم المؤلف هذا الباب بفصل قال فيه :

« وقد زاد قوم فزعوا ان اجتماعهم بالنساء والشبان وتعاطى هذه الأمور مما
تحصل به البركة فان قرب المرأة أو الشاب من الرجل الصالح سبب لحياة القلب فان
النور يسرى من القلب إلى القلب وأشياء هذه الزخارف الباطلة . فؤلاء قهوم تشبهوا
بالشياطين فان الشيطان يسول للجاهل أموراً محرمة ويزينها بصور باطلة . فهذه
جيلة فسق وحيلة مكر وخديعة كذب . فليت هؤلاء . حيث وقعوا في هذه الصياع
لم يضيفوا إليها ما هو أقبح منها فان المعاصي المعترف بمصيبة أخف أمّا وأقل جرماً
ويجب على من له أمر أن يردع هؤلاء بالتعزير الشافي والزجر الكافي ومن لم يقدر
على ذلك فليتهم نهياً كافياً فان لم يقبلوا وجب الإنكار عليهم بالقلب كما قال الله
تعالى « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا » الآية اهـ

وقد وضع ناشر الكتاب في آخره قواعد جميلة منها هذه القاعدة الثابتة . قال :
إذا حقق أصل العلم وعرفت مواده وجرت فروعه ولاحت أصوله كان الفهم فيه
مبدولاً بين أهله . فليس المتقدم فيه بأولى من المتأخر وإن كان له فضيلة السابق .
فالعلم حاكم ونظر المتأخر أتم لأنه زائد على المتقدم . والفتح من الله مأمول لكل
أحد . والله در ابن مالك رحمه الله حيث يقول : إذا كانت هذه العلوم منحاً إلهية
ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من

التقدمين ، نعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف ، ويصد عن جميل الأوصاف .
 انتهى وهو عجيب (والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد ومكتوب عليه
 (إيايا سنة ١٣٢٠) فإيته ينتشر بين أهل الطريق فينتفعوا باعتداله
 (الحال والآل) قصة وضعها أحمد حافظ أفندي عوض كما ذكرنا في تقرير
 (قصص مسامرات الشعب) شرح فيها كيفية عشق الفتيان والفتيات أو التلامذة
 والتلميذات في مصر وكيف يخوى بعض البسات المتعلقات بعضاً وقد علمنا أنه لم يذكر
 إلا بعض الواقع بالاختصار . القصة أنفع القصص التي ألفت لمكتبة الشعب أو أنفع
 ما ألفت الشبان المصريون من هذه القصص وإن كانت في عبارتها دون ما كتب
 حافظ من قبل لأنه كان في وجل من طروق هذا الباب الذي يظهر من وراءه سوء
 التربية في قومه وفي حذر واشفاق من عند العاذلين ، ولوم اللامنين ، فلم ينطلق
 قلمه بحرية تامة وله الفضل أن طرق هذا الباب من أبواب الجدد

موضوع القصة بنت اسمها (أسماء) نشأت (ولا أقوم تربت) في حجر الدلال
 ثم وضعت في المدرسة فصاحبت فيها بنت أحد الأغنياء من المصريين المتفرجين حتى
 حارت تتركب معها أحياناً إلى بيت أبيها فتدعى فيه الأثاث والرياش وكيفية المعيشة
 على الطريقة الأفريقية فعمقت عادات بيت أبيها الشرقية وفي هذا المقام إلام بكيفية
 الانتقال من العادات الشرقية إلى العادات الغربية في شؤون المعيشة .

امتدت المعاشرة بين البناتين حتى ركبنا يوماً للزهة فلتسبهما في الطريق أحد الشبان
 المتعلمين الذين قال حافظ في وصفهم « كان مبلغ ما تعلموه من المدارس وما تلقنوه من
 دروس الحياة مقصوراً على العناية بملابسهم وتنسيق هندامهم ووضع طرايتهم المائلة
 إلى جهة الأذن على شعر لامع مدهون بكذا وكذا . . . وياقة مرتفعة ورباط رقبة
 فيه دبوس من الناس ولباس (أي سراويل) ضيق وخواتم من الذهب ومنظار
 بسلسلة ذهبية وحذاء أصفر رفيع براق » وكان هذا الشاب عشيق الفتاة المصرية
 فكشفت أسماء بعشقها وسألها عن العشيق ولما عرفت أنها لا تعرفه نبذتها بلقب
 المسكنة . ثم أقبل الشاب وصالحهما مسلماً ولما صافح أسماء اضطربت من الخجل
 لأنها لم تتعود ذلك فقالت لها رفيقها : « مالي أراك قد خجلت وهل في الحديث
 والتسليم على الشبان عيب ؟ إنما العيب أن لا ينظر إلينا أحد ولا ينظر إلى محاسننا
 إنسان » ثم رغبها في قراءة القصص الغرامية وأعطتها واحدة منها ففتنت أسماء بأخبار
 العشق والغرام ، وشغلت عن الدرس والمنام ، فقهر حالها حتى تنهت وبانتها لذلك

التغير وسألها عن سببه فكذبت في الجواب . قال المؤلف « وليس الصدق صفة محترمة عندنا معاشر المصريين بل يكاد الإنسان أن لا يعرف له مزية . بل ان شئت قتل إننا تعلم الكذب في بيوتنا من آبائنا وأمهاتنا » ثم إن أسماء تعلمت العشق فمشقت شاباً مهندياً

ثم إن المصنف ذكر أن البنتين أسماء ونجدة حضرتا احتفال عرس صديقة لثانية ووصف فيه ما هو جار في مصر الآن من مغازلة النساء المنزلات للرجال من النوافذ والكوى وهـ . شرب النساء الخمر خبياً ، وذكر أن أسماء تعلمت في تلك الليلة من البنات الشرب على أنه من « المحمد والودعة » فلما علمت مع صديقتها قادت إلى النوافذ كغيرهما فابتسرت كل منهما من تحب وكاتبا على موائد منهما فأشارتا إليهما بالانتظار فلما التقى الإزمعة حصل التعارف بين الجميع (كذلك المعادة بين الأحداث من العاشقين والعاشقين في مصر كما أخبر المحدثون) ثم ذكرت أسماء مع عشيقها في مركبته كما ركب عشيق نجدة معها في مركبتها واطلقوا إلى الجزيرة . ولكن ساء صاحب أسماء سكرها وهاكها الذي تعلمته من نجدة وعشيقها على ذلك فوعده بأن تكون كما يحب وهما ذلك فان السائر في طريق الرذيلة كمن يتدهور من حال لا يقف حتى يبلغ التفرار كما أشار إليه المصنف . ثم إن عاشق أسماء ينس من صلاح حالها فتركها ثم قضى أهلها عليها بالزوج بأحد أولاد العمدة الأغنياء فرسخت كارهة وعامت زوجها أقبح المعاملة لاحتقارها إياه أنه لا يعرف الفرق السوية وفنون التخت والتمتلك وكان أولاً محبها ومحمل إهانتها حتى عيل صبره فأبغضها وعلق بالراقصات وعرف البغايا وشرب الخمر واعتزلها بالمرء . فشكت يوماً إلى صديقتها القدعة فأشارت عليها بأن تعلمه بالملق فأنهم منه بالبغاء ففعلت فأصيبت بذلك الزهري وانتقل المرض منها إلى ولدها بالعدوى . عاث فيها المرض فتفرح بدننها واتقأت سحرها وتحول ذلك الجمال إلى قبح تقشع منه الجلود وانتهى بالجنون ثم بالموت

هذا هو الوباء الساري في حياة مصر الادبية وما وصف كاتب القصة البعض من علم قهرل يوجد في مصر قوم يفارون على الملة والأمة فيسمعون في تربية الناشئين والناشئات تربية دينية تصادم هذه الشرور ، وتقلل من هذا الفجور ، ؟ الآباء مهملون والامهات جاهلات فماذا يفعل البنون والبنات ؟

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الاولاد فيه على الرقص
الرجال هم الذين يغيرون أحوال الأمم الاجتماعية وليس عندنا رجال . نعم إن خير

رجال مصر هم الذين أسسوا الجمعية الخيرية الإسلامية ولكن عملهم للأمة لا يزال ناقصاً
فإذا استطاعوا أن يوجدوا مدرسة كلية في مكان بعيد من المدن بل عن الناس يربون فيها
طائفة من الناشئين حتى يكونوا رجالاً عاملين فذلك باب النجاح دون سواء وإن
لم يستطيعوا فمستقبل مصر مظلم جداً والله أعلم بمصير الأمور

﴿ قصص (روايات) مجلة الهلال ﴾

جاءنا من بعض فضلاء القراء ما يأتي بحروفه

« رأيت في مجلة المنار الصادرة في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ تقييماً
للمرواية الأخيرة من روايات حضرة محرر مجلة الهلال التي عنوانها (الحجاج بن يوسف)
وقد ألمعتم فيه إلى ما انتقد به على المؤلف حينما ظهرت رواية (عذراء قريش) وقد
ظهر لبعض القراء أن حضرتكم لا تنعمون على هذه الروايات لما قدمتموه من الاعتذار
عما يشوبها من الأكاذيب التي هي من لوازم وضعها مع أن منها نسبة العشق إلى مثل
محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما مع شهرته في التاريخ بصد ذلك وتشبه عذراء قريش
بالرجال ووقوفها في مجمع الصحابة ترشدكم إلى حقائق الدين وتوبخهم على ما حصل
منهم في بدء الفتنة المشهورة ولا يخفى حضرتكم أن مثل مقدمته التي نقلتموها لا يبرئ
الكاتب مما يأتي به مخالفاً لحقائق التاريخ كما هو مبدأ الإسلام في كراهة الكذب على
أية حال . وأنى متيقن أنكم لو كنتم اطلعتم على هذه الرواية لما قلتم كلمة واحدة في
تقريبها . وما كنا نهم لو جاء هذا المدح في غير مجلة المنار التي هي المجلة الدينية
الموثوق بها فيما تبديه من الآراء في أحكام الدين فمعظم القراء يطلبون من حضرتكم
الأفصاح عما ترون فيها لأن المسألة عظيمة إذ أساسها تاريخ الإسلام والصحابة الذين هم
الأسوة الحسنة في أعمالهم وهم نقلة الحديث وهم الثقات فيما يروون وأنا واثق أن
كلمة منكم ليست ككلمة من غيركم فنسأل الله لنا ولكم التوفيق إلى الحق والسلام »
(المنار) قد عرشنا في تقرير القصص الأخيرة بأننا لم نقرأ القصص التي
ينشئها صاحب الهلال في التاريخ الإسلامي فتحكم لها أو عليها . وإنما تذكرنا أننا
قرأنا في المؤيد نقلاً عنها وعلمنا أن بعض الفضلاء ناقلين من مؤلفها لأنه وصف
بعض رجال السلف الكرام بالعشق الذي لا يليق بمقامه . وقلنا في القصص الأخيرة
أننا رأيناها خالية من هذا العيب وهذا دليل على انصاف المؤلف وعمله بما يقتضيه

نقد الناقد برجوعه عن نسبة العشق إلى الصحابة وأئمة السلف رضى الله عنهم .
والحاصل أن ما انتقد به هذه القصص أمران أحدهما عدم حفظ كرامة السلف بأن
ينسب إليهم ما لا يليق بهم وقد كان المؤلف وقع في هذا تقليداً للأفرنج الذين لا يتحامون
مثله ويظهر أنه رجح عنه إرضاء لقراء ما يكتب من المسلمين . وثانيهما اشتباه الحق
بالباطل في سرد وقائع التاريخ ممزوجاً بأخبار الغرام الكاذبة ونحن نرى أن المقدمة التي
تقلناها عنه تبرئه من هذا النقد إلا أن تكون غير صادقة . فإذا كان يقول أن كل ما عدا
الحكاية الغرامية من القصة هو من التاريخ المنقول فلا سبيل إلى تخطئه إلا ببيان أن
بعض ما في تلك القصص وراى الحكاية الغرامية التي تتخللها غير صحيح أو أن هناك
اشتباهاً بين الحكاية والتاريخ . فعلى المنتقد الشواهد والبيانات إذا ادعى هذا وعلمنا
أن ننشره ونبين رأينا فيه والله يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضيه

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

(مسيح الهند)

ملاحظاً هذا الرجل المدعى المهدية والمسيحية الدينا صراحاً وأثير الكتب ورسائل
الناطقة بدعواه في الهند ثم في سائر الأقطار الإسلامية . ولكن لا ينبغي أحد حقيقة
مراده والأصول التي يدعو إليها كتبه ورسائله كتب مدجج كسجج السكران بل هو
أقل وأضعف فإن صبر الإنسان على قراءته ليفهم مراده يرجع إلى ذهنه بعد القراءة
فلا يجد فيه إلا إطاراً هذا المدعى أو الدعى نفسه والإغراق في الشئ عديها ودم الذين
لا يؤمنون به ولا يحبون دعوته . وربما نجد في الكتاب الطويل كلمات في دينه الجديد
لا يعقل أحد لها فائدة إلا ترفقه بالانكار لتركوه وشأنه يتمتع بلقبه الذي زعم أن الله
منحه إياه (المسيح) كنسخته حكم الجهاد وتحريمه على المسلمين وكمدحه الانكار
والدعاء لهم لأنهم محمونه

ليخبرنا هذا المسيح الدجال أن المسلمين المشتغلون بالجهاد فيجمل ركن دعوته
وأس إصلاحه أرجاعهم عنه . ألم ير أن معظم بلادهم ذهبت من أيديهم لاهمالهم

أمر المدافعة عنها ؟ ألم ير أن الأجانب الذين يعيبونهم بأنهم أمة حربية قد سبّوهم في
الفنون الحربية حتى سادوا عليهم ؟ فهل نزل عليه الوحي من أوروبا بأن الحرب عار
على المسلمين ، وفضيلة للمسيحيين ، فصدق الوحي الأوربي وقام يدعو إليه قومه
ليهدمهم ويلم شهرهم ويرأب صدعهم .

يرغم أن الأخبار الواردة في نزول المسيح كلها تصدق عليه . الأخبار ناطقة
بنزول عيسى ابن مريم فأين عيسى عليه السلام ، من غلام أحمد القادياني عليه اللام .
الأخبار ناطقة بأن المسيح ينزل من السماء بين ملكين فأين الهند من السماء ؟ وأين
الملائكة من أتباعه البنداء ؟ الأخبار تصف المسيح بما لا ينطق عليه مهما تنطع في
التأويل . وزخرف الأباطيل . يقول إن ظاهر القرآن يدل على أن المسيح قد توفي
وأمرهم اكتشفوا قبره . تقول إذا سلمنا لك أنه مات لأنه هو ظاهر القرآن فهل يدل
موته على أنك أنت المراد بالأخبار الواردة في نزوله ؟ كلا . فإما أن تؤول الأحاديث
تأويلاً مقبولاً وإما أن تقول إنها غير صحيحة متسا وإلصحت سندا لأن القرآن متواتر
قطعي وهو كلام الله تعالى فكل قول خالفه فهو باطل إذا كان لا يتفق معه بالتأويل .

يدعى هذا الدجال أنه جاء بخوارق العادات لأنه ألف كتاباً عظيماً في عيته
وحقيره في أعين الناس ، لما فيه من الهديان والوسواس ، فإذا كان التأليف السخيف
دليل النبوة والمسيحية . فهل يكون التأليف الذي يستحسنه جميع العقلاء دليل على
الآلوهية ؟ أيعظن هذا العاقل أن القرآن كان معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم لأنه كتاب مؤلف ؟ كلا إنه معجزة لأنه اشتمل على أعلى العلوم الإلهية والاجتماعية
التي اهتدى بها الناس وصلحت عقائدهم وأخلاقهم وقد ظهر مع ذلك بلسان أمي لم يتعلم
شيئاً . فهذا هو الوجه الأعلى في إعجازه . ومن وجوهها أنه وصل من البلاغة إلى
حد عجزت عن بلوغه البلغاء مع أن الجاني به لم يكن معروفاً بالبلاغة . ومن بلغ
الأربعين ولم يعرف له امتياز ناشئ فلا يعقل أن ينتقل مرة واحدة إلى درجة يفوق
بها جميع الناس بذلك الشيء إلا بإمداد من يده خرق العادات ، والمؤيد من شأنه
بآيات البينات . وأما زعمه أن الفاتحة تدل على مسيحيته وإن لفظ الرحمن الرحيم
يدل على محمد خاتم الأنبياء وعلى مسيحه أحمد القادياني فهذا أقبح تلاعب بالقرآن
ويمكن أن يستدل صاحبه بكل كلام على كل شيء لأنه لا يتقيد بلغة ولا عقل ولا فهم
فهو أن يرجع هذا القادياني إلى رشده ، ونرى الجزر قلل من طغيانه ومده .

﴿ مثال من أمثلة طفولية الأمة - إبطال مدرسة فرجلى ﴾

نحس حين بك فرجلى واحتفى على نظارة المعارف المصرية منذ أربع سنين لأنها لم تقبل بعض أولاده في مدارسها ومول له خمسة أن ينشئ مدرسة ينسبها إلى نفسه تكون حجة على « وطنيته » وزلنى يتزلف بها إلى أميره وسلطانها لأنها ضد المحتلين فأوحى إلى الجرائد أن تنوه به فنوهت وساعدناها نحن على تشويهها لأن إنشاء المدارس الأهلية هو أفضل عمل يعمله الأهليون لأمتهم وبلادهم والرياء قنطرة الإخلاص كما يقول الصوفية . ومما تبجح به وافتخر أن مدرسته تزيد على مدارس الحكومة بتعليم التركية إثباتاً لجنسيته ، وتعليم الدين خدمة للأمة . وقد كان أول دليل على انفراج زاوية الخلف بين القول والعمل أن اللجنة التي عقدها في داره لانتخاب المعلمين للمدرسة عرض عليها فيمن عرض من المعلمين رجل اعترفت اللجنة بأنه أقدر المعروضين على تعليم الدين والعربية ، ولكن فرجلى بك ومستشاريه من الأحداث الذين يسمون أنفسهم « الشبيبة المصرية الحقة » ويمتازون بكثرة اللفظ بالوطنية المهمة لم يقبلوا هذا المعلم لأنه ليس مصرياً . فلم تشفع لذلك انرجل عندهؤلاء الوطنيين ديارته الإسلامية . ولا جنسيته العثمانية

مع هذا كنا ندعو أن يثبت هذا الرجل في عمله حباً في المحمدة ولكن بلغنا في هذه الأيام أنه لم يتم على اجازة المدرسة الصيفية الشهر حتى أرسل إلى معلمها يخبرهم بهزلم وإبطال المدرسة واختار هذا الوقت ليحرم الأساتذة من أجورهم مدة الاجازة . الأمة في طفولية وسقوط الطفل ليس بعجيب وإنما العجيب ثباته فإذا سقطت مدرسة فرجلى فان من ذوى المدارس الأهلية من هم أقوى عزيمة منه ولذلك ثبتت مدارسهم كالمدرسة العثمانية وكمدرسة الماجدى وغيرها . فلا نياش إذا سقط قوم ونهض قوم ما دما نرى الأمة متحركة لطلب العلم والعمل . على أننا نرجو أن يثوب لفرجلى بك رشده وينشئ عن عزمه الأخير والله الموفق وهو نعم النصير

(الوباء والعدوى) ثبت بالمشاهدة أن في المصاب بالهيفة الوبائية ورازه مادة سامة حية تنمو وتزيد في الجوف الذى تدخله . فالعدوى التى يقولها الأطباء هي انتقال هذه المادة السامة من شخص إلى آخر كما ينتقل السوس والبق والثعابين . إلا أن الفرق بين جنة الوباء وغيرها أن الأولى لا ترى إلا بالنظارة ولا احتياط الصحى هو ما يمنع انتقال جنة الوباء من مريض إلى صحى والدواء الذى يطهرون به أمتعة المصاب كالدواء الذى يقتل البق والسوس . فما معنى إنكار هذه العدوى باسم الدين عن لا يعرفون ديناً ولا دنياً؟

يوتق الحكمة من بقاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوامر الأتباع

المحكمة

١٣١٥

فبشر عباده الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مقرر في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ - ٤ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

الاضطهاد في النصرانية والإسلام

(المقالة الثانية لذلك الأستاذ الحكيم والفيلسوف العليم)

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ما جرى لابن رشد ان للناس آراء في : هل الدين المسيحي أوسع صدراً في احتماله مجاورة العلم والفلسفة او ان الدين الاسلامي هو الارحم خلقاً والاوسع حلماً من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في النكون اذا نزلوا بداره ، ولا ذوا بجواره ، وذكر أن للقائلين بتسامح الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولثير وديدرو وروسوورنان قانوا فيما يضاد الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر وابن رشد لم يقل شيئاً سوى أنه قرّر ما قال أرسطو ووضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك اهين وبصق على وجهه . وللقائلين بسعة حلم الاسلام ان الاسلام لم يحكم بأحراق احد لجرّد الزيف في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك

ثم جعلت أهل الرأي الأول آخر من يتكلم وقالت : « فيرث عليهم
الأولون بقولهم : هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط أم مع
القريب والغريب معاً : ثم لا تذكرون الحروب والثمن التي قامت بين
شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضمت أمتهم ،
وفرت كلمتهم ، فلي يجوز ان تسموا محاربة شخص واحد وإعدامه (محاربة
للإنسانية) ولا تسموا كذلك محاربة شعب اشعب وأمة لأمة » اهـ

ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القوانين ، ولكنها فصلت فيها فصلين ،
الأول في قولها : « إنا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة
الدينية بحكم الشرع لأن الحاكم العام هو حاكمكم وخليفة معاً وبناءً على ذلك فان
التسامح يكون في هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة
المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلاً بديعاً بدل الممسيك المختارة الحقيقية
ولتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على
ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا بركت للسلطة الدينية مجالا
للضغط على حرية الأفراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلاً عن قيام
وسقي الأرض بدمائهم البريئة فانها تبني جناية هائلة على الإنسانية وعلى ذلك
لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص
ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيقتها لانه لا نقص أعظم من نقص
النادر على العام » والتفصل الثاني في قولها : « ان العلم والفلسفة قد تمكنا
الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نأمل سرياً في تربة أوروبا
وأينع وأثمر التمدن الحديث ولكنها لم يتمكنوا من التغلب على الاضطهاد
الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً » اهـ

الجواب الاجمالي

وإني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكمين اجمالاً . أما الأول
فإن كان الإنجيل فصل بين السلطين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطلق القيد
من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا كلمة واحدة . قال في سورة البقرة
« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »
وقال في سورة الكهف « وقال الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر »

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : أين الاضطهاد الواقع على العلماء
اليوم عند المسلمين ؟ وأين أولئك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء أولئك
الذين يساوون من ذكرتهم من فواتير وديدر وروسو وامثالهم . وكيف
سأخ لها أن تقول ما تقول وهي في أرض مصر ومصر بلاد اسلامية
وحالها كما ترى ؟ فإذا أرادت شاهداً على حال المسيحية والعلم فلتمر بنظرها
اليوم على أسبانيا وانتقف برهة من الزمان ثم لتحكم . يمكنها أن تعد من
طلبة العلوم المسلمين مئين في مدارس المسيحيين من جزويت وفرن
وأمركان وهي مدارس دينية خصوصاً مدارس الجزويت . فهل يمكنني أن
أجد طالباً واحداً مسيحياً في مدرسة دينية اسلامية يباح الدخول فيها لكل
طالب علم من أي ملة ؟ لا نجد الا قليلاً منهم في مدارس الحكومة لعلمهم
أنها مدارس رسمية لم يعم بناء تعليمها على الدين . فهل سمع أن والداً اضطهد
لأنه بعث بولده الى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون ؟ الا بعد
هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم ؟

لولا ان موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة وحدها لذكرت لصاحب الجاهلية أن يوجد في بلاده طائفتان تعد أحادهما بالألوف وتزعم كل منهما ان لها نسبة الى الاسلام وهي تعتقد بما لا ينطبق على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتثنية عن الحلول ولا تقول بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة . وأجمع فقهاء الأمة على انها من قبيل المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح افرادها ولا يباح لهم أن يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا في قبول توبة من تاب منهم ومن العلماء من قال لا تقبل توبته . وهم مع ذلك عاشون بجوار المسلمين ومضى عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين والاسلام في أوج القوة . دخلوا في حكم الأتراك وهم أيام كان ملك فرنسا يستنجد بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون قد خرجوا من دينهم وأسرؤا عقيدة تناقض عقيدتهم قد ظهروا بأعمال تضاد أعمالهم وهم جيرانهم ومحت أيديهم وفي مكنيتهم محوهم ومع ذلك عاشوا الى اليوم ولهم أحبة وأصدقاء بين المسلمين . وللمسلمين بينهم مصافون وأوداء . فهل عهد مثل ذلك عن المسيحيين ؟

غير ان موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأراني نظمت فيه بكلامي المجمل . والمكن لا يكفي ابيان ما عرضت به الجاهلية في قولها « هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط او مع القريب والغريب الخ » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به في حكمها الا تفصيل تعرض فيه حالة الدين مع العلم تحت نظر القارئ على وجه يمكن منه الحكم عن فهم ، ولا تلبس فيه الحقيقة بالوهم

﴿ الجواب التفصيلي ﴾

أرى الجامعة جاءت في كلامها بأربعة أمور آتى بها على حسب ترتيب النسق في تعبيرها . (الأول) ان المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا مثلهم من أرباب الأديان الأخر (الثاني) ان من الطوائف الإسلامية طوائف قد اقتلت بسبب الاعتقادات الدينية (الثالث) ان طبيعة الدين الإسلامي تأبى التسامح مع العلم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لأهله التسامح مع العلم (الرابع) ان إيناع ثمر المدنية الحديثة إنما تتمتع به الأوروبيون بركة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الأمور الأربعة وابتدئ منها بالثاني لقلة الكلام عليه

﴿ نفي القتال بين المسلمين لأجل الاعتقاد ﴾

لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين (الأخذ بعقيدة السلف) والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والممثلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة سلفيين وأشاعرة . - كما لم يسمع بان الفلاسفة الإسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينهما وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وإنما أشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة . ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الأمويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة

نعم وقعت حروب في الأزمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة

وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ولكن يتنى لباحث بأدني أنظر ان يعرف انها كانت حروبا سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة وبين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين اما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس وأضعفت الأمة وفرقت الحكامة فهي حروب منشأها طمع الحكام وفساد أهوائهم وجبهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم . ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء جبل التمسك به في أيديهم . واكبر داء دخل على المسلمين في همهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجبهة على حكومتهم . أقول « الجبهة » وأريد أهل الخشونة والظلمة الذين لم يهذبهم الإسلام ولم يكن أمقائده تمكن من قلوبهم . ولو رزق الله المسلمين ساطعا يعرف دينه ويأخذهم بأحكامه لرأيتم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين وما قرر الأولون وما اكتشف الآخرون في اليد الأخرى ذلك لا خسرهم وهذا للدينام وساروا يزاحمون الأوربيين فيزحمونهم

مالنا وللحكام نعرض لهم ؟ الذي عليّ ان أقول ولا أخشى منازعا : إنه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من العقائد أو على تركها . على ان هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجماعة الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرّة لأن الكلام في التسامح الديني مع العلم لا في تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين وإلا لأوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا . هل أذكرها بما كان يقع

في القسطنطينية من ذلك الدماء بين الأرثوذكس والكاثوليك على عهد
القيصرية الرومانيين هل أذكرها بحادثة برتلبي ستهلير التي سفاك
فيها الكاثوليك دماء إخوانهم البروتستانت وأخذوهم في بيوتهم على غرة
وقتلوهم نساء ورجالاً وأطفالاً بماذا أذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع
التي أسود لها لباس الانسانية وتسلبت لحديثها البشرية هل يمكن
لأنه أن يروي حادثة مثلاً وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض
تختلف في المفيدة منها عظم الاختلاف

أهل المسلمين مع أهل العلم والنسب من كل ملة

ثم أرجع إلى الأمر الأول من الأمور الأربعة لأن الكلام عليه
أول منه على الأمر الثالث. وأني لا أستدل على رعاية الإسلام للحكام من
المسلمين المسلمة بقول كاتب مسلم وإنما أرجع في جميع ما أذكر إلى كتب
المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين وأذكر أسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم
بأقوالهم من الخلفاء عند الخلفاء وعامة المسلمين وخاصتهم ولم يبالغ غيرهم
قال المسير دراير أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الأميركان :
« أن المسلمين الأوائل في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من
النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا
إليهم كثيراً من الأعمال الجسام ، وورقوهم إلى المناصب في الدولة حتى أن
هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه » (هو يوحنا
ابن ماسويه الشهير) وقال في موضع آخر : « كانت إدارة المدارس مفوضة
مع نبل الرأي وسمة الفكر من الخلفاء إلى النسطوريين تارة وإلى اليهود
تارة أخرى . لم يكن ينظر إلى البلد الذي عاش فيه العالم ولا إلى الدين

مدافن آبائه كما طالب . ثم سأله عن خلفه عنده فأشار إلى عيسى بن شيرلان أحد تلامذته فأخذه المنصور . كان جيورجيس فطوق يؤذي القسوس والبطارقة ويهددهم بمكانه عند الخليفة لينال منهم رغبته فشر الخليفة بذلك فطرده . وممن حظي عند المنصور نوبخت المنجم وولده أبو سهل وكانا فارسيين على مذهب الفرس ثم كانت ذرية مسامة لأبي سهل وكانوا جميعاً منجمين لهم شهرة في علوم الكواكب فائقة

وممن حظي بالمكانة العليا عند الخليفة المهدي توفيل بن توما النصراني المنجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب في التاريخ جلية ونقل كتاب أميروس إلى السريانية بأفصح عبارة . وممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بختيشوع الطبيب وجبريل ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولده الرشيد ترجمة الكتب القديمة طيبة وغيرها وخدم الرشيد . ومن بعده إلى المتوكل . وكان يعقد في داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع في بيت لامذاكرة في العلوم من كل نوع والآداب من كل فن مثل ما يجتمع في بيت يوحنا بن ماسويه . وممن علا قدره في زمن المأمون يوحنا البطريق . وولي المأمون أقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة . وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرايين . وولي سابور بن سهل بخاراستان جند يسابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم ولما مات جزع عليه جزعاً شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصاري . وكان بختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان

عليه درّاعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويعبث بالفتق حتى وصل إلى النيفق (هو ما اتسع من الثوب) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل: بماذا تعلمون أن الموسوس (المصاب بخبل في عقله) يحتاج إلى الشد؟ فقال بختيشوع: إذا عبث بفتق درّاعة طبيبته حتى بلغ النيفق شددناه، فضحك المتوكل حتى استلقى.

وفي أيام المتوكل أشهر حنين بن اسحق النصراني المبادي وهو من أشهر المترجمين لكتب أرسطو وغيره وامتحن المتوكل صدقه فظهرت له عنبرة لا تفل فأقطعه أقطاعات واسعة، وكان قد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة في زمن المأمون وهو فني فكلفه بترجمة الكتب وكان يملطيه وزن ما يترجم ذهباً، وكانت بينه وبين الطيفوري النصراني محاسنة أفضت إلى طلب الحكم على حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات غمّاً لا ضطاً إذ أهل طائفته له مع عنبرته وعلو قدره عند الخليفة وهذا الطيفوري أيضاً كان من المقربين عند الخلفاء.

ومن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والعامة في زمنه أيام خلافة الرازي متى بن يونس المنطقي النصراني الذي كان متفناً في جميع العلوم المقالية أخذ عنه أبو نصر النازاني ونهت إليه الرياسة في بغداد وكان من أهل دير قني ونشأ في مدرسة مارماري وقرأ على روفائيل وبناييهن الراهبين اليمقويين.

ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البعلبكي من فلاسفة درّاة الأساطير وهو نصراني طالبه الخلفاء في بغداد لأجل الترجمة ثم نجى من عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت إليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته.

وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي

ومنهـم أبو الفرج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب الجاثليق
ومتميزاً في النصارى ببغداد وكان يقرى صناعة الطب في البيمارستان العضدي
وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس يمدح طبه ولا يحمد فلسفته
وله كلام فيه

وممن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامة ثابت بن
قرة الحراني الصابي من طائفة الصابئين المرووفة وتربى في بيت محمد بن
موسى بن شاكر الفلكي المشهور وبلغ في علوم الفلسفة مبلغاً لم يدانه فيه
غيره وله تأليف كثيرة في المنطق والطب والرياضيات وبلغ عند المعتضد
مقاماً تقدم فيه عنده على وزرائه . وولد ثابت هذا سنة إحدى عشرة
ومئتين بخران . ثم كان ابنه إبراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن خلفته
أبو الحسن ثابت بن قرة . وكان ثابت وإبراهيم وسنان صابئين ولهم من
المنزلة ما علمت ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعدد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين
وسعهم صدر الإسلام . ولم يرض عنهم بالرعاية والاحترام . هل تريد أن
أتم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الإسلام المسلمين الذين نالوا السمع
الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك . هل أنا في حاجة إلى ذكر
فيلسوف الإسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الأصل .
إن الأمير اسحق الذي كان أميراً للمهدي والرشيد على الكوفة وهو من
ذرية الأشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
عالماً بالطب والفلسفة والهيئة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل

غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الغامض منها وكانت له
المكانة العليا عند المأمون والمتنصم وولده أحمد . هل أنا في حاجة الى ذكر
نبي موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة
الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وما كان لهم من المنزلة عند الامراء
والخلفاء ؟ أذكر ابن سينا ومنزلته في قومه ووصوله الى مسند الوزارة
عند شمس الدولة ؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكانة عند سيف
الدولة بن حمدان .

لا ريب ان أبا العلاء الممري يصلح ان يكون رجلاً ممن تعنى الجامعة
بنشر تراجمهم وقد قال ما لم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على
فراشه وقبره اليوم مزار يرحل اليه في بلده .

أظن انه سهل بعد سرد ما عددناه أن يعرف قراء الجامعة ان الاسلام
كان يوسع صدره للغريب كما يوسمه للقريب بميزان واحد وهو ميزان
احترام العلماء للعلم . ويسهل علي أن التمس العذر للجامعة بأنها عندما كتبت
ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قيل انها حدثت للدين وما حدثت له .
بل كان سبب حدوثها اما سياسة خرقاء . أو جهالة عمياء . أو تأريث بعض
السنهاء . لا أطيل خوف الاملال . وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو
المقابلة بين طبيعة الدينين وهو أهم مما سبق ومما سيلحق

طبيعة الدين المسيحي وأصوله

(تمهيد) ظنت الجامعة ان الدين المسيحي فصل بين السلطة الدينية
والسلطة المدنية ولذلك كان في طبيعته التسامح . أما الدين الاسلامي فمن
أصوله ان السلطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب معه التسامح في رأيها

ليس هذا بكاف في بيان طبيعة كل من الدينين واستعدادها للتسامح مع العلم أو مع أية عقيدة تخالفها بل لا بد من بيان أركان الدين وأهم أصوله التي ترجع إليها جميع الفروع ومنها تصدر الآثار الحقيقية

عند النظر في أي دين للحكم له أو عليه في قضية من القضايا يجب أن يؤخذ ممحصاً مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو محدثاتهم التي ربما تكون جاءت من دين آخر . فإذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لا تباع ذلك الدين في بيان بعض أصوله فليؤخذ في ذلك بقول أو عمل أقرب الناس إلى منشأ الدين ومن تلقوه على سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه . وائني أوجز القول في إيراد الأصول الأولى التي وردت في الأناجيل المروفة الآن في أيدي المسيحيين . وجاءت في كلام أئمتهم الأولين . ثم إيراد ما جر إليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين

الاصل الاول للنصرانية الخوارق

أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عماده هو خوارق العادات . تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه . ثم إنه جعل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لأصحابه ذلك كما تراه في الإصحاح العاشر من الإنجيل متى وغيره . وإذا تتبعنا جميع ما قاله الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات ، من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق المادة هو الأمر الذي يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه . فإذا ساء أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

زاد الإنجيل على هذا أن الإيمان ولو كان مثل حبة خردل كاف في خرق نواميس الكون كما قال في الإصحاح السابع عشر من متى : « فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » وفي الحادي عشر من مرقس « ٢٣ لأنني الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن مايقوله يكون فهو ما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا إن تالوه فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي إلى أن للكون شرائع ثابتة وإن للعمل والشرائع أو الأسباب أو الموانع أحكاماً في معلولاتها أو ماشرطت فيه أو ما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضاداً لهذا الأصل في أي زمن وقد كان كل علم من علوم الأكران لا بد فيه من هذا البحث فكل علم مضاد لهذا الأصل . ثم إن صاحب الاعتقاد بهذا الأصل لا يحتاج إلى البحث في الأسباب والمسببات لأن اعتقاده في الشيء أن يكون وإرادته لأن يكون كافيان في حصوله فهو في غنى عن العلم والعلم عندنا يعتد بما أصعب احتمالاً إذا جاء بزوجه في سلطانه

سورة الأصل الثاني للنصرانية سلطة الرؤساء

وبعد هذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت للرؤساء على المؤمنين في عقائدهم وما تسكنه ضمائرهم . وقد أحكم هذه السلطة ماورد في ١٦-١٩ من إنجيل متى : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله على

الأرض يكون محلولا في السموات» وفي ١٨ - ١٨ منه «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء»

فإذا قال الرئيس الكهنوتي اشخص انه ليس مسيحي صار كذلك وإذا قال انه مسيحي فاز بها فليس المعتد حراً في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يشده عقله بل عينا قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه فإذا اهتزت نفسه الى بحث أوقفها قابض على تلك الساطة . وهذا الأصل ان نازع فيه بمض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرناً طوالاً

❦ الأصل الثالث للنصرانية ترك الدنيا ❦

نوبعد هذين الاصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانقطاع الى الآخرة . تجد هذا الأصل في الاناجيل وفي أعمال الرسل وكلمات في الكتب الأولى عشرت به . وتجد الأمر الصادر بالانقطاع الى ملكوت السموات من عالم الملك صريحة في الإصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من انجيل متى . فما جاء في السادس : « لا تقدر أن تأخذوا الله والمال » ٢٠ لئلا أقول لكم لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليس الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس (الى أن قال) ٢٣ ولكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ٢٤ فلا تهتموا للأفد لأن الفديتهم بما لنفسه يكفي اليوم شره » وقال في التاسع عشر : ٢٣ الحق أقول لكم انه يسر أن يدخل غني ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضاً ان ضرور جعل من ثقب إبره يسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » وفي العاشر : « لا تقننوا

ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين
ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحدث على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال
في (١٩ من متى :) « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت
السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » . ثم ان ملكوت السموات
قد نبط أمره بالايمان المجرد عن النظر في الاكوان فإذا يكون حظ
صاحب الاعتقاد بهذا الأصل من النظر في أي علم والعلم لا دخل له في شؤون
الآخرة والدنيا قد حرمت عليه . لا ريب ان همه يكون في الصلاة وحرف
القلب بكليته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الحليقة من العبادة
عنده فان عبادة الانجيل ليست شيئاً سوى الايمان والصلاة



الصلوة الأصل الرابع للنصرانية الايمان بغير المعقول

وبعد هذه الأصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل
الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا ارتوذكس ولا بروتستانت وهو ان
الايمان منحة لا دخل للعقل فيها وان من الدين ما هو فوق العقل بمعنى
ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الايمان به . قال القديس
انسيلم : « يجب ان تمتد أولاً بما يمرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد
بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الايمان وهو الوسيلة الفريدة الى النجاة
في حاجة الى نظر العقل والكون وما فيه لا يهم المؤمن ان يجيل فيه نظره .
ويقول القديس « ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل
على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطري الى تصور ما يتعلق به الاعتقاد
والا فجرد الايمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا

أدى اجتهاده إلى شيء يخالف ما تعلق به إيمانه فكان معنى الفهم أن يخلق
 أو من نفسه ما يسلي به نفسه على إيمانه بغير المفهوم

(الأصل الخامس لتفسيرانية الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج إليه البشر في المأكل والمشرب
 ثم ينضم إلى الأصول الأربعة خامس وهو أن الكتب المعروفة بالمهد
 القديم والمهد الجديد تحتوي على كل ما يحتاج البشر إلى علمه سواء كان متعلقاً
 بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والأعمال البدنية مما يؤدي إلى نيل
 السعادة في الملكوت الأعلى أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للعقل
 الإنساني أن يتمتع بها . قال تيرتوليان (وهو أفضل من وصف الاعتقاد
 المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل أن تمرض عليه البدع الكثيرة) : « أن
 عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب
 قدمها وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند
 الرومانيين وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزمن ناصر
 الحقيقة ثم تحقق النبوءات التي وردت فيها » ثم قال : « أن أساس كل علم
 عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليده الكنيسة وإن الله لم يقصر تعليمنا
 بالوحي على الهداية إلى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من
 الكون والكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قد للبشر أن
 يتألموه جميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والأرض وما فيها
 وتاريخ الأمم مما يجب تسليمه منها منارب العقل أو خالف شامدا الحس
 فإل الناس أن يؤمنوا به أولاً ثم يجتهدوا تأييداً في حمل أنفسهم على فهمه أي
 على تسليمه أيضاً كما ترى وقال بعض فضلائهم : أنه يمكن أن يؤخذ من المبادئ
 بأكثر من الكتاب المقدس

الأصل السادس للنصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الأقربين  ينظم تلك الأصول كلها أصل سادس وهو آخرها فيما أرى . ذلك الأصل هو الذي ورد في الإصحاح المباشر من أنجيل متى وهو : « ٣٤ لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ٣٥ فاني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ٣٦ وأنداء الإنسان أهل بيته . » وقد صرح في عدة مواضع من الأنجيل أن الإخلال بشيء من محبة المسيح أو بالانقياد إلى جميع ما أوصى به موجب للهلاك وإن كان قد جاء في مواضع كثيرة أن الإيمان وحده كاف في الخلاص غير أن روح الشدة التي جاءت في قوله « لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً بل سيفاً » هي التي بقي أثرها في نفوس الأولين من المعتقدين بالدين المسيحي وعفت على آثار ما كان يصح أن تستشره النفوس من بعض الوصايا الأخر

 نتائج هذه الأصول وآثارها 

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا عن سبيل النظر فيه اظهاراً للنفي بالإيمان والمعبادة عن كل شيء سواهما وحجروا على هم النفوس أن تهض إلا إلى الدعوة إلى ذلك الإيمان وتلك المعبادة ووسائل الدعوة هي الإيمان والمعبادة كذلك فإذا نزلت العقول إلى علم شيء من العالم وضعوا أمام نظرها كتب المهد القديم وحضروا العلم بين دفتها استغناء بالوحي عن كل عمل للعقل سوى فهمه من عباراته وليس يسوغ لسكن ذى عقل فهمه بل انما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفاً من الزيف عن الإيمان السليم (البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب لفير الكنيسة)

ثم ان لقاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة انما جاء حافظاً لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمى الى ممارضه شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يجر في شأن صاحبه «وادة ولا مرحة كما أفهمه المسيح بعمله على حسب ما ورد في الانجيل فقد قيل له: «٧٤» أهلك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلوك ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي ٥٠ ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يمتد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده ولا يخفى ان الشيء يكون بذرة ثم نباتاً ثم شجراً فانظر الى ما صار امر هذه البدايات بحكم الطبيعة وقر في نفوس المسيحيين ان السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة «ان الجهالة أم التقوى» (وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه القاعدة ببركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الفاجر) فحصروا التعليم في الأديار ومنعت الكنيسة ان ينشر التعليم بين العامة الا ما كان دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر . وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . ظهرت ذات الذنب التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها اوربا ولجأوا الى البابا واستجاروا به فاجارهم وطردها من الجوفولت في الفضاء مذعورة من لعنته ولم تعد الا بعد خمس وسبعين سنة !!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأياً يخالف صريح ما في الكتاب وعندما أظهر بلاج رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يخطئ آدم بالأكل من الشجرة قام لذلك

موضاه وارتفعت جلبة وانتهى الجدل والجلاد الى صدور أمر امبراطوري
بقتل كل شخص يعتقد بذلك . يقول المؤرخ : وهكذا عد الاعتقاد بأن
الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك

أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد جول قيصر
ثم ان تيوفيل بطريك الاسكندرية اتحل أدنى الاسباب لاثارة ثورة في
المدينة لاتلاف ما بقي في مكتبة البطالسة بعضه بالاحراق وبعضه بالتبديد
قال أوروسيوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب بعد
ان نال تيوفيل الأمر الامبراطوري باتلافها بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن اخته سيريل وكان خطيباً مفوهاً له على الشعب
سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشتغل
بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية
وكان لا يخلو مجلسها من البحث في أمور أخر خصوصاً في هذه المسائل
الثلاث : من أنا والى أين أذهب وماذا يمكنني ان أعلم . فلم يحتمل ذلك
القديس سيريل مع ان البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها
المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق
وهي سائرة الى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة
مكشوفة العورة وقتلوا هناك ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن المظم وما
بقي منها ألقى في النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يسأل سيريل
عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها وامل ذلك كان
أول ما تقررت تلك القاعدة : « الغاية تشفع للوسيلة »

مامن عقيدة ظهرت في المسيحية وأريد تقريرها من فريق ونازع فيها

فريق الاوقدسات لها الدماء فليراجع التاريخ لتتمثل أرض مصر مصبوعة
 بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عندما أريد تقرير عبادة العذراء واتخاذها
 لله أمًا كان ذلك في طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والمالك
 لا يستحق الحياة . ألم ترفى الاصحاح الخامس من الأعمال الى قصة الرجل الذي
 باع جميع ما عنده ومنذ جاء الى بطرس أعطاه الثمن وادخل نفسه شيئاً أخفاه
 عنه فاطلع بطرس على حقيقة الأمر ووبخ الرجل وتصرف فيه بسبب
 حياته من طريق المسخرة ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع على ما أخفى
 عما ولم تنم فوجدوا بطرس وأخبروها بموت زوجها فماتت هي أيضاً .
 فإذا كان الله يسلب حياة جزاء على اختلاس الرجل شيئاً من مال نفسه
 يقدمه هدية لأرسل فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالف خلفاء الله
 في الأرض وتأبذهم فيها يعتقدون

قال البابا أنوسان الثالث عند الكلام في بعض الذين يخالفون
 العقيدة السكوليكية : « لا يجوز أن يترك لأولاد البندين سرى حرة
 وترك الحياة لهم من وحيضان » فلم يقصر الجزاء على الجاهلين وانسحب
 عند ادنى أولادهم ترك الحياة لأولادهم نعمتمون بها ضرباً من الاستهانة
 بسببهم لأنه لا حق لهم في أن يعيشوا وقد وجد آباؤهم
 في مقاومة النصرانية للعلم

لا أجد في التاريخ ذكر العلم والفلسفة بعد ظهور المسيحية في مشهور
 القوة لعدد السطنتين وما بعد الا في أثناء المازعات الدينية التي كان يحصل
 فيها تارة بساطان الملوك وأخرى بجميع المجامع وثالثة بسببك الدماء فتضهد
 شعلة العلم ويقتصر الدين المحض . وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين

المسيحية وما جاورها من المال الأخرى من الحروب الدينية للحمل على
المقيدة بما كان يعتقد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوروبا من التسافك
في الدماء باغراء رؤساء الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام
بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه

ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في أوروبا بعد ظهور
الاسلام واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس واحتكاك الأوربيين
بالمسلمين في الحروب الصليبية

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين الى بلادهم وحملوا الى الناس
أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من ان
المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين
التوحيد ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص وهم وحوش ضارية وحيوانات
مفترسة فلما قفل الغزاة الى ديارهم قصوا على قومهم ان أعداءهم كانوا أهل
دين وتوحيد وصرورة وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة

ثم كان الخليفة الحكيم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوساً كما قال
الفيلسوف الأميركاني وكان اليهود والنصارى يتلاقون في تلك البلاد تحت
ظلال الأمن والحرية . قال بطرس المحترم الشير انه رأى كثيراً من
العلماء يأتون الى تلك البلاد ليلقي العلوم الفلكية حتى من بلاد انكلترا
وأوائلك الذين يسمون الى طلب العلوم من أي بلاد جاؤا كانوا يجدون
فيها رحباً وسعة وكان قصر الخليفة يشبه ان يكون مصنعاً للكتب -
نسخ وتذهيب وتجليد الخ ما قال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت المطبعة

وسهل على الناس ان ينشروا آراءهم بعد ان قُبِيت أفكارهم بما جلب اليهم
 رسل العلم الذين حملوه اليهم عن أهالي اسبانيا ومن حملوه مما جاورها . ثم
 انساب الى العقول شي مما سماه الاوربيون فلسفة ابن رشد . عند ذلك
 اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل ما يظهر على السنة الناس
 أو يرد على أسماعهم مما يخالف ما في الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة .
 قال دي رومينس : ان قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها
 من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء . فجاب
 الى روما وحبس حتى مات ثم حوكت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت في
 النار . وقيل في علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيسة روما وانكائرا .
 وأي ذنب أعظم من هذا الصلح ؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بان
 قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء

محكمة التفتيش ومراقبة المطبوعات

انشئت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان
 يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة
 وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب
 أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره . وأوعز الى هذا المراقب أن يدقق
 النظر حتى لا ينشر مافيه شيء يومي الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت
 غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة
 (كأن الحكومة العثمانية على ما تنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من
 قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لا للدين)
 انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ما خيف ظهورها

يسمى تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وإيطاليا.
انشت هذه المحكمة الغربية بطلب الراهب توركاندا

قامت المحكمة بأعمالها حق القيام في مدة ثماني عشرة سنة - من
سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ - حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين
شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين
بالشئ بعد التشهير فشروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين
شخصاً بعقوبات مختلفة فنذت ثم أحرقت كل تورااة بالعبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة
واحدة هي ان يحبس المتهم وتجري عليه أنواع المذاب المختلفة بآلات
التمذيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم
ويعقبه التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يامن كل من ينظر في
فلسفة ابن رشد . وطقق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن
من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الاسراء
وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول الى شيء من
كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسماعة الى
كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيهامها اشتد خفاؤها - في المدن .
في البيوت . في السرايب . في الأنفاق . في المخازن . في المطابخ . في المغارات
في الغابات . وفي الحقول . فوقت بما كلفت به مع البهجة والسرور اللائقين
بأصحاب الضيرة على الدين عملاً بالقول الجميل « ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً »
كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

والاشراف في قصورهم ، والتجار بين بضائعهم ، والصناع في مصانعهم ،
والعامة في بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وانما ثقفوا ، ويوقعون
أمام المحكمة وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهامهم

قرر مجمع لاتران ان يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس
الاعتراف الواجب أداؤه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في
الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلباً لغفرانها) تذهب البنت أو الزوجة
أو الأخت لاجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد فيكون مما
تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته
وما يظهر في أعماله بين أهله . فإذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئاً من
الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره الى المحكمة
فينتض شهاب التهمة عليه فإذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه في اتهامه
لا يجاب وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف
أوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أهل أوروبا ما خيل
لكل من يلمع في ذهنه شيء من نور الفكر إذا نظر حوله أو التفت وراءه ان
رسول الشؤم يتبعه وان السلاسل والأغلال أسبق الى عنقه ويديه ، من
ورود الفكرة الملمية اليه ، وقال باغلياديس ما كان يقوله جميع الناس لذلك
المهد : « يقرب من المحال ان يكون الشخص مسيحياً ويموت على فراشه »
حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على
ثلاثمائة واربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف احرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامة

لما كان ابن ر . هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في

اوربا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر افكاره وآرائه ثم هومع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً فصدر الأمر في ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل اليهودية في أي سن كان وعلى أي حال كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوايو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيع لهم ان يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط ان لا يأخذوا في الثمن ذهباً ولا فضة وإنما يأخذون الأثمان عروضاً وحوالات . ومن ذا الذي يشتري اليوم ثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ (يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذي يتم في يوليو) . وصدر أمر توركاندو ان لا يساعد أحد من سكان اسبانيا في أمر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل ما يملكون ناجين بارواحهم على انه لا نجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع المدمم والفقر وفي فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المغاربة (المسلمين) من أشيلية وما حولها — من لم يقبل المعمودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل (نيسان) وأبيع لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذي وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا في طريق يودي الى بلاد إسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فمروا المسلمون نفوا جميعاً الى القتل ان لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فاموت ملاقيهم بالتمب مع المرى والجوع الا يجب القارى اذا رأى ان برونو يحرق بالنار حياً بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية في وحدة الوجود وقال ان

هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة . الحمد لله رب العالمين
 ظهر القول بكروية الأرض - ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون
 وصار رأياً لهم في أول خلافة بني العباس ولم يتحرك له شعرة في بدن -
 فأحدث اضطراباً شديداً في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع
 من الحوادث في شأنه

هل يصدق القارئ أن مقصده كريستوف كولب من السفر في
 المحيط الاطلانتيق لعله يكتشف ارضاً جديدة كانت من الأمور التي
 اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلامانك بأنه مخالف لأصول الدين ثم
 أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريستوم واوغستين
 وجيروم وغريغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأنجيل
 والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا العرض شيئاً . ولكن
 ساعده على مقصده بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال
 كريستوف كولب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب
 ابن رشد . من هنا نفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت .

ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل « السلطة للقسوس
 والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط
 ويحل في الأرض والسماء فهو باطل يجب مقاومته بكل ما استطاع . لهذا
 حكم على غاليلي الذي ذهب الى ان حركة الكواكب هي على النظام
 المعروف عند الفلكيين اليوم

مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد : هل تدري ماذا حصل من المقاومة
 لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض ؟ اكتشفت هذه الطريقة

الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلها الى اوروبا امرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتجج في تمضيدها الى التماس المساعدة من ملك انكلترا وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري

مقاومة تسهيل الولادة : أي مقاومة لم يلاقها اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بال ألم الطلق . اكتشاف أميركاني رأت حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك العقوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين (إذ جاء في الاصحاح الثالث منه : « وقال للمرأة تكثيراً اكثر اتعاب حملك بالوجع تلدين اولاداً »)

مقاومة السلطة المدنية وحرية الاعتقاد : نشر البابا منشور في سنة ١٨٦٤

جاء فيه لمن كل من يقول مجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية أو جواز ان يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يمتقد بان الشخص حر فيما يعتقد ويدين به ربه . وفي منشوره سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وافكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في إحدى الكليات رأى رأياً لا يروق للحزب الكاثوليكي فخرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت إحدى العضلات السياسية غير ان عزيزة بسمارك نصرت مدينة القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاستاذ وجهات التعليم تحت السلطة المدنية

مقاومة الجمعيات العلمية والكتب : لا أذكر الجمعيات العلمية (الأكاديميات) التي ألغيت والجمعيات التي عطلت لاشي كان فيها سوى هداية البشر الى منافعهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليفة بالبحث النظري ومن الطريق العقلي من غير استشارة المسيطر الاطهي وهو الكنيسة . ولكن أذكر شيئاً واحداً وهو ان الكردينال اكسيمينيس أحرق في غرناطة ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعمول عليها عند علماء أوروبا لذلك العهد

البروتستانت او الاصلاح

ربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويديحون لعامة أهل الدين ان ينظروا فيها ويفهموها وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والمقول ومن عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالمغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون الا جريا مع طبيعة الدين لا أذكر في الجواب عن ذلك الا ما ذكر البروتستانت أنفسهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانوناً يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة وقد أمر كلفان^(١) بإحراق سيرفيت في جنيف لأنه كان يعتقد ان الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقة . وكان يقول : ان روح القدس ينمش الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا ان شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فاييت في تلوز سنة ١٦٢٩

(١) كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الأول

كان لوثير أشد الناس أنكاراً على من ينظر في فلسفه ارسطو وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخنزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل الفيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلّفان أقل شأماً للفيلسوف من لوثير لكنه لم يكن أحسن ظناً به ولا أوسع صدر المن يطلع على شيء من كتبه . وكان علماء المسلمين يلقبون هذا الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين !! قالوا : البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبإبطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الآخروية وإبطال عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بأن الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الإيمان بالدين الالهي وأنه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوته وأنه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها . وبالجمله انهم لم يبطلوا أصلاً من الأصول الستة التي تقدمت إلا أنهم قالوا بجمع غلو الرؤساء في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قواننا

قالوا : ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح اخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لان كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة (وهي القائمة على الاصول الستة) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزاء في كلا الملتين الا القتل وسفك الدم

لو كنت ممن يحب الجدال في الدين لعددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدين عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة « ما أهون الدم على من يمثل في عبادته اكل

الدم وعلى من يعتقد ان خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك
الدم البري على يد الممتدي الاثيم، لمكني في بحثي هذا لا أريد ان استعمل
قوة الخيال، ولا أن أذكر ما يعد من قبيل الجدال، وانما آتي بما هو حكاية
حال، ليس للناظر فيها مقال،

الفصل بين السلطين في المسيحية

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساساً للفصل بين السلطين
الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي ادعى الى التسامح مع العلم
في نظرها . لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى الفصل كما قالت الجامعة وقال
كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية فماذا يفيد الفصل اذا كان
دين الملك نفسه يقضي عليه بمعادة العلم ؟ أفلا يغلب اعتقاد الملك وما يملك
نفسه مما فيه نجاته الروحية على مطالب الملك ؟ وكم من ملك جعل مصالح
مملكته قربانا لسلطان عقيدته . هب ان مصالح الملك تكون دائماً أغلب
على النفس من حكم العقيدة وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين
سلطين منفصلتين احدهما تحمل وتربط في الأرض وفي السماء فيما هو من
خاصة الدين والأخرى تحمل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص
الدنيا . أفلا يكون هذا الفصل قاضياً بتنازع السلطين وطلب كل واحدة
منهما التغلب على الأخرى فيمن تحت رعايتهما معاً ؟ وهل يسهل على السلطة
الدينية أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أيدي
الملوك بما تقتضيه مصالح الملك الثاني اذا كان ذلك التصرف مخالفاً لما جاء
في كنز المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء الروحانيين وسننهم
فاذا همت هذه السلطة بالمعارضة أقتصر الأخرى ؟ هذا هو الذي وقع

في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين
كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تتغلب على السلطة الدينية وتقف بها
عند حدها والسلطة الدينية إنما تستمد حكمها من الله ثم تمد نفوذها بتلك
القوة إلى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء. والملك لا قوة له إلا بأولئك
الناس المغلوبين للسلطة الدينية؛ لا يتأتى للملك أن يغالب تلك القوة إلا بعد
أن يتناول من الوسائل ما لا يد لإضعاف سلطتها. نعم هذا الفصل يسهل
التسامح لو كانت الأبدان التي يحكمها الملك يمكنها أن تأتي أعمالها على حدة
مستقلة عن الأرواح التي تحيا بها والأرواح كذلك تأتي أعمالها بدون
الأبدان التي تحمل قواها

ثم هل هذا هو معنى قول الإنجيل؛ القصة على ما جاء في الإنجيل
أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه ما يحم به فسأله في
أيجوز أن نعطي جزية لقيصر؛ فأجاب لم تجربوني اثتوني بدينار لا نظر
إليه. فأتوه بدينار فقال: لمن هذه الصورة والكتابة؛ قالوا له لقيصر
فقال: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فبينما الظاهر من سياق القصة
أن صاحب السكة التي تتعاملون بها إذا ضرب عليكم أن تدفعوا منها شيئاً
فادفعوه له أما قلوبكم وعقولكم وجميع ما هو من الله وعليه طابع صنفته
فلا تعطوا منه لقيصر شيئاً. والعلم ليس مما عليه طابع قيصر بل عليه طابع
الله فلا يمكن أن يكون العلم تحت سلطة غير السلطة الروحية الدينية.
فأي تسامح مع العلم في هذا

- اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية -

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي وأوردناه من مشارب

فيما بعد نشأته وما وقع من حوادث أهله مع طلاب العلم ورواد المعارف في كل زمن الى ما يقرب من أيامنا هذه كل ذلك مأخوذ من تاريخهم الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم الدينية التي يتوكلون عليها فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم

أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصحيحة من المسلمين في المسيح عليه السلام ودينه فهو على غير مارآه القارىء . انا نعتقد ان المسيح روح الله وكلته ورسوله الى بني اسرائيل بعث مصداقاً لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد في شؤون معاشهم ومعادهم ولم يطالبهم بتعطيل قوّة من قواهم التي وهبهم الله تعالى إياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر الا باستعمالها جميعها فيما أعدّها الله له . والمقل من أجبل القوى بل هو قوّة القوى الانسانية وعمادها والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه وكل ما يقرأ فيه فهو هداية الى الله وسبيل للوصول اليه . وكل ما صح عندنا عن السيد المسيح لا يخالف شيء منه هذا الذي نعتقد . فان صح عنه شيء يكون في ظاهره مخالفة لهذه الأصول أمكننا تأويله حتى يرجع . معناه اليها أو وكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لا علم لنا الا ما علمتنا » .

الدين دين الله وهو دين واحد في الاولين والآخريين لا يختلف الا صورته ومظاهره . وأما روحه وحقيقة ما طولب به العالمون أجمعون على السن الانبياء والمرسلين فهو لا يتغير — إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض في الخير وكف أذاهم بعضهم عن بعض ما قدروا . وهذا لا ينافي الارتقاء في الدين بارتقاء عقول البشر

واستمدادهم لكمال الهداية . ونعتقد ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر
كلهم على هذه الأصول ومن أهم وظائفه ازالة الخلاف الواقع بين أهل
الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء والمودة والاتلاف وهذا ما عمل عليه
المسلمون قرناً بعد قرن بحسب قوة تمسكهم بالاسلام
فاذا سأل سائل ماذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو اعتراف
فضلاء الأوربيين أنفسهم في منافاة طبيعة الدين للعلم واشتداده في معاداته
فما هذا الانقلاب الذي حصل في أوربا وما هذا التسامح الذي يتمتع به العلم
اليوم في أقطارها؟ فجوابه في الكلام على الامر الرابع مما ذكرته الجامعة
وهو يكون بعد عرض طبيعة الدين الاسلامي وما يليق أن يكون له مع العلم
وما انجر اليه الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليها من استرها وحال بينها
وبين أثرها في أخريات الأيام؛ وسنوجز القول فيه كما أوجزناه فيما مضى

باب الاسئلة والاجوبة

(أ س) غممة المتصوفة من الشيخ عبد الله عبد الرحمن بالقائيات : قال بعد كلام
يعرض فيه بعلماء التقليد وعدم الثقة بهم ويثني فيه على المنار ما نصه
« ما يرى سيدي فيمن نفاق بالشهادتين أو بطلاق امرأته أو بأي عقد يحتاج
في اعتباره الى صراحة اللفظ نطق به كما تصنع هذه الفرقة (المتصوفة) في ذكرهم
وأريد غممتهم . اهو إسلام صحيح ، أو طلاق صريح ، أو عقد مقسبر شرعاً ؟
فان قائم بصحته كلية فما هذا الذي ينكره الناس على هذه الطائفة ؟ وان رأيت
غيره فأني نبي هو ؟ أفؤ من الكلام ، لا يثبت به إسلام ، ولا يعطي ما يعطيه اللفظ
الصريح من المعاني »

(ج) الغممة هي النطق لا بيان فيه وأصلها أصوات التيران عند الذعر وتقع
من الناس اضطراراً يقال : غمغم الأبطال عند الكفاح في الحرب . وهذا هو الذي

يطلب الحق الحقيق . فلما علم الانسان عجزاً عما يكون لاجباً ومازلاً فلما جاء في
مره بكلمة الشهادة فلا يتدبرها ظاهراً ولا باطناً . أما علم الاعتناء بها في العلم
فلان الله بأصل الدين سخرية ومنه وهو مزبد في الكفر فكيف يحصل به
الايمان ؟ وأما علم الاعتناء بها في الظاهر فلا تأنها غير ظاهرة ورعاً لا يعرف غير
للتعلم بها وقت في تحت . ولأن قرية المزة والسخرية تصرف الكلام عن ظاهره
ومثل هذا يقال في الطلاق إلا أن التقياء من الخفية والشافعية يسترون من الطلاق
جداً فلما اعترف بأنه في تحت نطق بصفة الطلاق التبرية فرعاً يحكم القاضي عليه
بما قضيه تلك الهيئة في مقعده . وإذا كان للتعلم يعتقد ذلك فهو يعمل به أيضاً
والسائل يعلم أن القود التي من شأنها أن يحكم فيها الحاكم تكون البيرتقيا بظاهر
القول ويلتزم وأما المباديات فالبرية فيها بما ورد في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة
مع الاخلاص في القلب ومحبة التوجه الى الله تعالى . فكل من ينكرون على التصورة
للتعظيم في الذكر أنهم اخترعوا لانفسهم عبادة لم يأت بها الله تعالى في كتابه ولا على
لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لهم قوله عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا
لهم من الدين ما لم يأتهم به الله » ويصدق عليهم قوله تعالى « اتخذوا دينهم منوا وولياً »
ولكل مسلم الحق في انكار كل عبادة لم ترد في الكتاب والسنة في ذاتها أو صورتها فقد
أخبرنا الله تعالى في كتابه بأنه « أكل لنا ديننا وأثم علينا به نعتة فكل من يرد فيه شيئاً
فهو مردود عليه لأنه مخالف الآية الشريفة والحديث الصحيح » كل من أخطت في
أمر ما ليس منه فهو رد .

كل بدعة في الدين فهي ضلالة كما ورد في الحديث وأما البدع التي منها حسن ومنها
سيئ فهي الاختراعات للطفة بأمور الناس ووسائلهم ومقاصدهم وهي المراد بقوله صلى
الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة »
ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » ولولا ذلك لكان
لنا أن تزيد في ركعات الصلاة أو سجدها والله أعلم

(ص ٢) خرافة الشجرة محمد اقصى علي السيرة بيولاقي : أرجوكم اقلني
عن (الشامة) وهي ان تدخل امرأة تحمل عقداً من التؤلؤ على احدى النساء
الواضحات فيكون أثر ذلك في الواضحة أنها لا تحبل بعد ذلك أبداً إلا أن تأتي بتقديم
التؤلؤ فتنه في الماء بشكل مخصوص فأنها بعد ذلك تحبل وقد أثبت كثرة التجارب
كثيراً من هذا فهل ورد عنه شيء في الشرع الشريف

(ج) الشرع أباح للناس أو أرشدهم إلى البحث عن منافعهم الدنيوية ليستفيدوا مما ثبت لهم فائدته ويحتنبوا ما ثبت لهم مضرتهم فلو فرضنا أن التجارب التي ذكرها السائل صحيحة محققة لكان حكمها في الشرع أنه يحرم على المرأة أن تدخل على النساء بعقد من اللواؤ لأنها تضرها بمنع الحمل نائية لاسيما إذا كان العقد خفياً أو كانت النساء لا تعرف العلاج أو لا تقدر عليه . وأنه يجوز لمن منع حباها بذلك أن تعالج نفسها بوضع عقد من اللواؤ في الماء إذا أرادت إزالة المانع

أما نحن فلا نمتد بتجارب العامة ولا سيما النساء ولا نرضى للسائل أن يصدقهن بهذه المزاعم وكم هن من أمثالها كرمهن في الزار . العاقل يشك في مزاعم هؤلاء الجاهلات إذا كانت في ذاتها قريبة في نظر العقل فكيف يصدقهن فيما يكون بعيداً من النظر كسؤالتنا فإن العقل لا يتصور علاقة لعقد اللواؤ بأمر الرحم والتناسل لاسيما في صورة الانفصال والبعد

باب الرد على شبهات المسيحيين

(إيمان المسلمين وأعمالهم)

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشار السلام نبذة تحت هذا العنوان ما خصها أنه يجوز على مذهب أهل السنة أن يؤمن أحد بالاسلام إيماناً حقيقياً وتبقى أعماله شريرة . واعترض الكاتب على هذا اعتراضين أحدهما أن الإيمان الذي لا ينشئ في صاحبه توبة وعملًا صالحاً بل يتركه وسيئاته تفوق حسناته ومضاره تزيد عن منفعته . . . فهو إيمان باطل عديم النفع يحط من كرامة الخالق ويزيد في شتمه الخلق . . . ثانيهما عجز الإيمان الحمدي عن الخلاص التام . وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب المهديين تدل على أنه يطالب من الإنسان أن يكون كاملاً ولكنها لا تدل على أن المؤمن يكون معصوماً من الذنوب . وأورد بعد الثاني كلمات تدل على أن الإيمان بالمسيح كاف للخلاص ولكن لم يشترط مع الإيمان عملاً صالحاً

لو كان هؤلاء المعترضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون ألسنتهم بالكتاب ليفتوا به عامة المسلمين الجهلاء ولا يبايئون أن كان الكلام حجة عليهم . عهدهم الجديد ناطق بأن البر والعمل بالناموس الإلهي لا يعيان عن الإنسان شيئاً وإنما يغني عنه الإيمان بالمسيح فقط وبذلك

ينجو ويرث الملكوت وإن كان شر الأشرار ، وأفجر الفجار ، والقرآن لا يكاد يذكر
الایمان الا مقروناً بذكر العمل الصالح ، وورد في السنة الصحيحة أن الايمان قول
باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان . وهذه السنة مؤيدة بخمس وسبعين آية من
القرآن . وهذا ما عدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الايمان

قال تعالى « وإني افشاء لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقال عز وجل
« ليس بأمانتكم ولا أهائي أهل الكتاب » من يعمل سوءاً يجز به ولا يجذ له من
دون الله ونياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
فأولئك بدخولون الجنة ولا يظلمون شيئاً » وقال جل ذكره « إنما المؤمنون الذين
إذا ذكر الله وجهات قلوبهم وإذا تأت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون
الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً » وقال تقدست
أسماؤه « والمؤمنون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا
بالحق وتواصوا بالصبر » فهذه السورة القصيرة أجمع تفضائل وأبلغ في الهداية من
جميع الكتب التي في العالم سماوية كانت أو غير سماوية وهي كافية لاتكون ديناً مستقلاً
لقوم يتفكرون

أن الشبكة التي يصيد بها الجاهلين هذا الكاتب وأمثاله الى المسيحية هي أن خلاص
الإنسان محصور في أن يؤمن -- أي يقول وإن لم يعقل -- أن الاله مركب من ثلاثة
أصول كل واحد منها عين الآخرين فثلاثة واحد وإن احد الثلاثة وهو الابن حل في
جسم إنسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا الإنسان الاله وابن الاله وإنساناً
وابن الإنسان وصار هو الله ثم انه ساعد أعداءه على نفسه فصلبوه واحتمل الألم واللغة
الالهية لاجل خلاص الناس من ذنب أبيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه
الطريقة لخلاص عباده

لا يطلب هذا الكاتب وأمثاله ممن يدعوهم الى دينه الا هذا القول الذي لا يعقل
ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجبرها على جميع المعاصي والجاهل يحب أن تباح
له المعاصي ويكون ناجياً بكلمة يقولها . فاذا كان دعاة النصرانية قد بدا لهم أن يشترطوا
مع هذه الكلمة التي يسمونها إيماناً ترك المعاصي والأعمال الصالحة فأية مزية لديهم
غير تلك الكلمة التي لا تعقل ولا تفهم ؟ الا يعلم انه اذا دعا مسلماً الى دينه وطالبه بترك
المعاصي وعمل الصالحات فانه لا يستطيع أن يصيده مهما كان جاهلاً لانه يقول ان هذا
يكلفني بمثل ما يكلفني به ديني ويزيد عني ثقلًا آخر وهو الايمان بما لا أعقله ولا أفهمه

وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وإن الله عجز عن أنجاه الناس بدون أن يهين ذاته العلية بالحلول في أحدهم وبالتألم وبلعن نفسه

المسلمون يمتدنون أن الإيمان يهذب الاخلاق ويصالح الاعمال وأنه يجوز مع ذلك ان تغلب على المؤمن شهوته أو غضبه فيعمل شراً لاسيما اذا لم يترب على أعمال الإيمان من النشأة الأولى ولكنه يرجع ويتوب عن قريب قال تعالى « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » وقال سبحانه « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأؤثك يتوب الله عليهم » ومن التوبة أن يعمل صالحاً يكفر سيئته « ان الحسنات يذهبن السيئات » فاذا قصر فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا بالاختصار أن الإيمان عند المسلمين ثمر الاعمال الصالحة وان العمل لأقامة له في إيمان النصارى . أما قول مجلة بشار السلام في نتيجة الاعتراض الاول : « وبناء على ما تقدم كل إيمان لا يكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو اما إيمان كاذب بالإله الحق كإيمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو إيمان صادق لكنه بإله باطل خيالي قائم على الاوهام » . فهو مسلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن إيمان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فان إيمانهم ليس الا أسماء سموها وأقوالا لا تعدو القم لان العقل ينكرها ، ولا يستطيع أن يتصورها . وأما قولها بعد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم على الاسلام بالاجماع وهم مع ذلك من أهل العصيان والفجور بحيث يحكم عليهم بالسجور في جهنم مدة لا تنقص عن تسعمائة سنة ولا تزيد عن سبعة آلاف » الخ . فهذا التحديد فيه لم يصح في كتاب ولا سنة فهو لا يعتد به عند المسلمين وان ذكر في بعض الكتب فكم في الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكذوبة ولا حاجة علينا الا في القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة . وأما كلام المؤلفين في أمور الآخرة فلا يعتد به سالم يكن منقولاً على أنه لا يجب الإيمان فيما يتعلق بعالم الغيب كاحوال الآخرة الا بالقرآن والاحاديث المتواترة وهي قليلة جداً . وهذا الذي قلناه هو الاصل المعمول عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى « وان منكم الا واردة » فليس خطاباً للمسلمين كما زعم الكاتب لان الآيات التي قبلها كلها في الكفار فقل ان الخطاب لهم خاصة وقيل انه عام والمراد بمرور المؤمنين حينئذ المرور عليها والنجو عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة

(كثتان) أختِم هذا الرد بكلمتين أولاهما للمسلمين الذين يرسلون إلينا هذه الجرائد لئلا نرد عليها : لا يحزنكم أيها المسلمون هذا الاعتداء الذي لم تتأدوه ولا تمدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتداء على الطعن بدينكم هو الذي يوقظكم من نومكم ويبعث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيي فيكم روح الفيرة الملية والمباراة القومية حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهين والدلائل والبحث لا يزيد الحق الا ظهوراً

والكلمة الثانية للتصارى المعترضين ، الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وهي : انا نعتقد انكم تطفنون بدين الاسلام الذي لولاه لا يثبت دين في هذا العصر المنير مأجورين لا معتقدين بما تقولون وما تكتبون . ولذلك يترك أحدكم التبشير اذا عزل من الجمعية ومنع عنه الراتب الذي كان له . ولو كنتم تعتقدون بالدين لعلمتم ان دين الله واحد وهو تنزيه الباري وتوحيده والاخلاص في عبادته وترك الشرور وعمل البر وتفع العباد . وكنتم ترون ان الاسلام قد خدم العالم الانساني بهذا الاصلاح المنقح وانه هو دين الانبياء اجمعين ظهر في اكمل ارتقاء وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات ولكن الهوى يصدكم عن هذا فاعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون ،

باب اوروبا وسوء التقليد

المصريون في أوروبا وسوء التقليد

لما ولع أمراء المصريين وكبرائهم بالاصطياف في أوروبا دب فساد التقليد في نفوس الطبقات المتوسطة المتصلة بهم فصار الكثيرون منهم مهاجرون الى أوروبا بالتبذير الاموال ، واقتباس أسوء الخلال ،

وقد علمنا أن شيخاً من هؤلاء استدان مبالغاً من المال وسافر به الى باريس وقد انحرف بنتاً له في المدرسة السنية برقعة بريدية مصورة (كرت بوستال) أرسلها اليها في البريد . ولو علم القراء ماهي الصورة التي عليها لكان لهم عبرة في هذا التقليد الضار ولا يكون التقليد الاضارا

تلك الصورة هي صورة أشهر بغي من موسات باريس وقد صورت على الرقعة عارية لترغيب الفساق بالاقبال عليها وكتب تحت الصورة ووصف مكانها وكتب الشيخ المصري ابنته تحت تلك الكتابة الفرنسية أنظري يا بغي ما أجمل هذه العادة

الباريسيه !!! فماذا نرجو من رجال يرتبون بناتهم هذه التربية وكيف نقول ان البنات ملومات على فساد أخلاقهن وأديهن ؟ ولو أن ناظرة المدرسة السنية اطلعت على هذه الرقعة مع البنت لطردتها من المدرسة وأتت لها بالاطلاع عليها . ولا يتوهن أحد أن هذا الشيخ الجاهل هو من شيوخ المعلم أو شيوخ الطريق . كلا انه من المتعممين الذين ليس لهم لقب أفندي أو بيك

﴿ ابن الرشيد وابن سعود في نجد ﴾

قد استولى ابن سعود على القسم الجنوبي من بلاد نجد الى حدود بلاد اليمن فصارت يده نصف البلاد أو يزيد ، والباقي في يد ابن الرشيد ، ويود جميع الاهالي لو خلصت الامارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم ، وابن الرشيد أجهل وأظلم ، والامير الآن في شبه هدنة لأن ابن الرشيد يتوقع اعانة الدولة العلية وامدادها اياه بالرجال والسلاح وهذا دليل على معرفته بعجزه . وعندنا ان الحكمة في عدم دخول الدولة العلية في هذا الامر بالنمل لأن عاقبة ذلك وخيمة جداً . والخطر متوقع على كلا الحالتين — اذا خلصت الامارة لابن سعود من غير أن تخاربه الدولة فإنه يكون موالياها وخاضعا لامرها كابن الرشيد أو أشد ولاء وخضوعاً . واذا غاب على أمر البلاد بعد مناماة من الدولة فيحتمل أن يسقط نفوذها من قلب البلاد العربية وهذا أحد الخطرين . وأما الخطر الثاني وهو أشدها فهو ما ينتظر من احتواء ابن سعود بدولة انكسرت اذا جردت الدولة عليه جيشاً لا قبل له به . ولو لا أن وصل الى آذاننا شيء من الهمسات الخفية التي يتناجى بها سعاة الفتن في بلاد العرب لما كان يخطر في بالنا أن يكون شيء من هذا وقانا الله وبلاد العرب من عواقب هذه الفتن لهذا قلنا ان من الحكمة أن لا تأتي الدولة العلية أحد الخصمين بالفعل ولا شك ان العاقبة الحسنة تكون لها اذا اتقت هذين الخطرين (والعاقبة لامتقين)

—————

(غلط في الجزء ١٠) في السطر ٦ من الصفحة ٣٧٠ كلمة دعوت والصواب (وعث) وهي الأرض التي تغيب فيها الأقدام لأنها . وفي السطر ١٣ منها بجبل والصواب (بجبل) . وفي س ٣٠ من ص ٣٨٠ كلمة من وصوابها (في) وفي البيت ١٧ من ص ٣٩٢ (دبنارا) والصواب (بنارا) وفي البيت ٢٢ منها (ينارا) والصواب (دبنارا) فليصحح

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد آتاه خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولها الآيات

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبينهم أئمة أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الآيات

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ - ١٩ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

— الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية —

وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العظيم

طبيعة الاسلام مع العلم بحكم أصوله

(تمهيد الاصل الاول) للاسلام في الحقيقة دعوتان -- دعوة الى الاعتقاد
بوجود الله وتوحيده ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم .
فأما الدعوة الاولى فلم يعول فيها الا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه الى
النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ما حواه الكون
من النظام والترتيب واما قد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى أن
لا يكون صانعاً واجب الوجود عالماً حكماً قادراً وان ذلك الصانع واحد
لوحدة النظام في الاكوان . وأطلق للعقل البشري ان يجري في سبيله
الذي سنته له الفطرة بدون تقييد فنه الى أن خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح على وجه يتيسر للبشر أن يستعملها

في تسخير الفلك لمنافعه وإرسال تلك الرياح لثير السحاب فينزل من السحاب ماء فتحي به الأرض بعد موتها وتنبت ماشاء الله من النبات والشجر مما فيه رزق الحي وحفاظ حياته - كل من آيات الله عليه أن يتدبر فيها ليصل منها الى معرفته

ثم قد يزيد تنبيهاً بذكر أصل للكون يمكن الوصول الى شيء منه بالبحث في عوالمه فيذكر ما كان عليه الأمر في أول خلقه السموات والأرض كما جاء في آية: «أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون» ونحوها من الآيات . وهو إطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدر له في طريق الوصول الى ما كانت عليه الأكوان . وقد يزيد التنبيه تأثيراً في إيقاظ العقل ما يؤيد ذلك من السنة كما جاء في خبر من سأل النبي صلى الله عليه وآله : أين كان ربنا قبل السموات والأرض فاجابه عليه السلام : «كان في عماء تحته هواء» ^(١) والعماء عندهم السحاب . فتري القرآن في مثل هذه المسألة الكبرى لا يقيد العقل بكتاب ، ولا يقف به عند باب ، ولا يطالبه فيه بحساب ؛ فليقرأ القارئ القرآن يغني عن سرد الآيات الداعية الى النظر في آيات الكون - «أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء» . «وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه ياكلون» - «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم واللوانكم» وآمال ذلك ، فلو أردت سرد جميعها لأتيت

(١) رواه ابن جرير والطبراني وأبو الشيخ في العظمة عن أبي رزين السائل (رض)

بأكثر من ثلث القرآن بل من نصفه في مقالي هذا .
 يذكر القرآن إجمالاً من آثار الله في الأكوان تحريكاتاً للعبارة ؛ وتذكيراً
 بالنعمة ؛ وحفزاً للفكرة ؛ لا تقريراً لقواعد الطبيعة ؛ ولا إلزاماً باعتقاد
 خاص بالخلقة ؛ وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذا السبيل ،
 انظر كيف يقرع بالدليل ، « لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا » « ما اتخذ الله
 من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلاً بعضهم
 على بعض سبحان الله عما يصفون »

فالاسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدايته لا يعتمد
 على شيء سوى الدليل العقلي ؛ والفكر الانساني الذي يجري على نظامه
 الفطري ، (وهو مانسيه بالنظام الطبيعي) فلا يدهشك بخارق للعادة ،
 ولا يفشي بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ،
 ولا يقطع حركة فكرك بصيحة آلهية ، وقد اتفق المسلمون الا قليلاً ممن
 لا يعتد برأيه فيهم على ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وأنه
 لا يمكن الايمان بالرسول الا بعد الايمان بالله . فلا يصح ان يؤخذ الايمان
 بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة ^(١) فانه لا يعقل ان تؤمن
 بكتاب أنزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز ان ينزل
 كتاباً او يرسل رسولا .

وقالوا كذلك ان أول واجب يلزم المكلف أن يأتي به هو النظر

١٥ المزار - أي لا يؤخذ منها بالتسليم بناءً على انها من الله ولا ينافي هذا أن يؤخذ
 الايمان بالله من كلام الرسل وكتبهم بما يقيمون من البرهان على ذلك لا بمجرد التسليم
 ولا باعتبار أنهم رسل الله ثم بعد الايمان بالله وبهم يكمل ايمانه بالاخذ عنهم

والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله ليتنقل منه الى تحصيل الايمان بالرسول
وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة

وأما الدعوة الثانية فهي التي يحتاج بها الاسلام بخارق العادة وما أدراك
ماهو الخارق للعادة الذي يستمد عليه الاسلام ، في دعويته الى التصديق
برسالة النبي عليه السلام ، هذا الخارق للعادة هو الذي تواتر خبره ، ولم
ينقطع أثره ، هذا هو الدليل وحده وما عداه مما ورد في الأخبار سواء
صح سندها او اشتهر او ضعف أو هو قايض مما يوجب القطع عند
المسلمين ، فاذا أورد في مقام الاستدلال فهو على سبيل تقوية العقيدة لمن
حصل أصله ، وفضل من التأكيده لمن سلمه من أهل ذلك الخارق التواتر
المعول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين هو القرآن وحده ، والدليل

على انه معجزة خارقة للعادة تدل على ان موحيه هو الله وحده وليس من
اختراع البشر هو انه جاء على لسان أمي لم يعلم الكتاب ولا يحارس العلوم
وقد نزل على وتيرة واحدة هادياً للضال مقوماً للمضل ، كقوله بنظام عام
لحياة من يهتدي به من الأمم مستلماً لهم من خبر ان الله عليه رحمة
كانوا أشرفوا عليه ، وهو مع ذلك مع بلاغة الأساليب ، ما لم يرق
اليه كلام سواه حتى لقد دعي الفصحاء والبلغاء ان يعارضوه به ، فمعه
فمعجزوا وجأوا الى الجبال فباسفوف وسنبلات الفصحى واضطربوا للفرحين به
الى ان ألجأهم الى الدفاع عن دينهم وكأن من أمرهم ما كانت من التماس
الحق على الباطل وظهور شمس الاسلام تمشداً بأضوائها ، وتفسر
أنوارها في جوارها ،

وهذا الخارق قد دعا الناس الى النظر فيه يستوفهم وطولبوا بأن يأتوا

في نظرهم على آخر ما انتهى اليه قوتهم فأما وجدوا طريقاً لا بطلان إعجازه أو كونه لا يصلح دليلاً على المدعى فليهم ان يأتوا به ، قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » وقال : « أفلا يتدبرون القرآن » وإن كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وقال غير ذلك مما هو مطالبة بمقاومة الحجة بالحجة ولم يطالبهم بمجرد التسليم على رغم من العقل

معجزة القرآن جامع من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم ، فهي معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أحنائها ، ونشر ما انطوى في أثنائها ، وله منها حظه الذي لا ينتقض . فهي معجزة أعجزت كل طوق ان يأتي بمثلها ، ولكنها دعت كل قدرة ان تتناول ما نشاء منها ، أما معجزة موت حي بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن فهي مما ينقطع عند العقل ، ويجب تشييدهم ، وانما يأتي بها الله على يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم تضيء عقولهم بنور العلم ، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات ، للأمم على حسب الاستعدادات ،^(١)

ثم ان الاسلام لم يتخذ من خوارق العادات دليلاً على الحق لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم ترد فيه كلمة واحدة تشير الى ان الداعين اليه يمكنهم ان يغيروا شيئاً من سنة الله في الخليقة ولا حاجة الى بيان ذلك فهو أشهر من ان يحتاج الى تعريف

(١) راجع الصفحة ٣٧١ من مجلد المنار الرابع وانظر الكلام في الآيات الكونية والآيات النفسية العلمية

صحيح الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل الإيمان

فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح فقد أقامك معه على سبيل الحجة وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك ان مجور أو يشور عليه .

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة إن الذي يستقصي جهده في الوصول الى الحق ثم لم يصل اليه ومات طالباً غير واقف عند الظن فهو ناج . فأني سعة لا ينظر اليها الخرج أكل من هذه السعة

صحيح الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض
أسرع اليك بذكر أصل يتبع هذا الأصل المتقدم قبل أن أنتقل الى غيره : اتفق أهل الملة الاسلامية الا قليلا من لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وتقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالمعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل . وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل ، وأزيلت من سبيله جميع العقبات ، واتسع له المجال الى غير حد ، فإذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب الى ما هو أبعد من هذا ؛ وأي فضاء يسمع أهل النظر وطلاب العلوم ان لم يسمعهم هذا القضاء ؛ ان لم يكن في هذا متسع لهم فلا وسعهم أرض بجهالها ووهادها ، ولا سماء بأجرامها وأبعادها ،

أصل ثالث من أصول الأحكام في الإسلام البعد عن التكفير
هلاً ذهبت من هذين الأصلين إلى ما اشتهر بين المسلمين وعرف
من قواعد أحكام دينهم وهو : إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من
مئة وجه ويحتمل الإيمان من وجه واحد حمل على الإيمان ولا يجوز حمله
على الكفر . فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من
هذا ؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحق بحيث يقول قولاً لا يحتمل
الإيمان من وجه واحد من مئة وجه ؟ إذا بلغ به الحق هذا المبلغ كان
الأجدد به أن يذوق حكم محكمة التفتيش البابوية ويؤخذ بيديه ورجليه
فيلقى في النار .

أصل رابع في الإسلام الاعتبار بسنة الله في الخلق
يتبع ذلك الأصل الأول في الاعتقاد - وهو أن لا يعول بعد الأنبياء
في الدعوة إلى الحق على غير الدليل وأن لا ينظر إلى المعجائب والغرائب
وخوارق العادات - أصل آخر وضع لتقويم ملكات الأنفس القائمة على
طريق الإسلام وإصلاح أعمالها في معاشها ومعادها . ذلك هو أصل العبادة
بسنة الله فيمن مضى ومن حضر من البشر وفي آثار سيرهم فيهم . فما جاء
في الكتاب العزيز مقررًا لهذا الأصل « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ - سَنَةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
مِنْ رُسُلِنَا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا - فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَى فَلَنْ تَجِدَ
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا - أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الخ
في هذا يصرح الكتاب بأن الله في الأمم والأحوال سداً لا يتبدل

والسنن الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار
وهي التي تسمى شرائع أو قوانين ويبرر عنها قوم بالقوانين ، والثنا ولا اختلاف
البيارات ، الذي ينادي به الكتاب ان نظام الجمعية البشرية وما يحدث فيها
هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل ونبي من يطالب السعادة في هذا الاجتماع
ان ينظر في أصول هذا النظام حتى يرد اليها أعماله ويهدي عليها سيرته وما
يأخذ به نفسه ، فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظرن الا الشقاء وان ارتفع
الى الصالحين نسيه ، أو اتصل بالمقربين نسيه ، فهما بحث الناظر وفكر ،
وكشف وقرر ، وأتى لنا باحكام تلك السنن ، فهو يجري مع طبيعة الدين ،
وطبيعة الدين لا تتجاف عنه ، ولا تنفر منه ، فلم لا يعظم تسامحها معه ؟
جاء الاسلام لمحو الوثنية عربية كانت أو يونانية أو رومانية أو غيرها
في أي لباس وجدت ، وفي أي صورة ظهرت ، وتحت أي اسم عرفت ؛
ولكن كتابه عربي والعربية لغة أولئك الوثنيين ، أعدائه الأقربين ، وفهم
معناه ، وموقوف على معرفة أوضاع اللسان ولا تعرف أوضاعه حتى تعرف
مواضع استعمال كلامه وأساليبه ، ولن يكون ذلك الا بحفظ ، والاطلاق به العرب
من منظوم ومنثور وفيه من آدابهم وعاداتهم واعتقاداتهم ما يريد عند الناظر
في كلامهم صورة كاملة من جاهليتهم وما فيها من الوثنية وأطوارها ، هكذا
صنع المسلمون الأولون — ركبوا الأسفار ، وأنفقوا الأعمار ، وبنوا الدرهم
والدينار ، في جمع كلام العرب وحفظه وتدوينه وتفسيره توسلاً بذلك الى
فهم كتابهم المنزل فكانوا يداون في ذلك خصباً من ضروريات العبادة ، يرجون
من الله فيه حسن الثبوت فكان من طبيعة الدين أن لا يحتكر العلم للدين
الذي ولد هو فيه ، بل قد يكون من الدين علم ما ليس ، منه منى حسن النية

في تناوله . وهذا باب من التسامح لا يقدر سمته الا أهل العلم به . أما المسيحيون الاولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سريانيا كان او عبرانيا وكتبوا الانجيل باللغة اليونانية ولم يكتب في العبرية الا انجيل متى فيما يقال . الا ترى أن اسم الانجيل نفسه يوناني؟ كل ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظم بلغتهم . وتخرج من النظر في دواوين آدابهم ، وما توارثوا من عاداتهم

الأصل الرابع للاسلام قلب السلطة الدينية - « ١ »

أصل من أصول الاسلام انتقل اليه وما أجله من أصل - قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها . هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحاثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم . لم يدع الاسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه (على ابن الرسول عليه السلام كان مبلغاً ومذكراً لا مهيناً ومسيطرأ . قال تعالى « فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مَذْكُورٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ») ولم يجعل لأحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لا في الارض ولا في السماء . بل الايمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفع عنه كل رقب الا العبودية لله وحده ، وايسلم لمهما علا كعبه في الاسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد . قال تعالى في وصف الناجين : « وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » وقال : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ »

(١) هذا الأصل هو ضد الأصل الثاني من أصول النصرانية (راجع ص ٤١٤)

الْمُفْلِحُونَ» وقال : « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليُنْفِقُهَا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » فالسالمون يتناصحون ثم هم يقيمون أمة تدعو إلى الخير وهم المراقبون عليها يردونها إلى السبيل السوي إذا انحرفت عنه . وتلك الأمة ليس لها فيهم إلا الدعوة والتذكير ، والانتذار والتحذير ، ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس أن يتبع عورة أحد . ولا يسوغ لقوي ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد . وليس يجب على مسلم أن يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد إلا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف . وإنما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله لفهم كقواعد اللغة العربية وآدابها وأساليبها وأحوال العرب خاصة في زمان البعثة وما كان الناس عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي وشي من النسخ والمنسوخ من الآثار . فإن لم تسمع له حاله بالوصول إلى ما يمدّه لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما . وله بل عليه أن يطالب المجيب بالدليل على ما يجيب به سواء كان السؤال في أمر الاعتقاد أو في حكم عمل من الأعمال . فليس في الاسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه

السلطان في الاسلام

لكن الاسلام دين وشرع فقد وضع حدوداً ورسم حقوقاً . وليس كل معتقد في ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله . فقد يفتلج الهوى . وتحكم الشهوة . فينمط الحق . أو يتعدى المتعدي الحد . فلا تكمل الحكمة

من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لأقامة الحدود . وتنفيذ حكم القاضي بالحق . وصون نظام الجماعة . وتلك القوة لا يجوز أن تكون فوضى في عدد كثير فلا بد أن تكون في واحد وهو السلطان أو الخليفة

الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم . ولا هو مهبط الوحي . ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة . نعم شرط فيه أن يكون مجتهداً أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث يتيسر له أن يفهم من الكتاب والسنة ما يحتاج إليه من الأحكام حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل . والصحيح والفاسد . ويسهل عليه إقامة العدل الذي يطالبه به الدين والأمة معاً .

هو على هذا — لا يخصصه الدين في فهم الكتاب والعلم بالأحكام بزية ، ولا يرتفع به إلى منزلة ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، إنما يتفاضلون بصقل العقل ، وكثرة الاصابة في الحكم ، ^(١) ثم هو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة ، والمسلمون له بالمرصاد ، فإذا انحرف عن النهج أقاموه عليه ، وإذا اعوج قويموه بالنصيحة والإعذار إليه ، ^(٢) « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ^(٣) فإذا فارق الكتاب والسنة في عمله ، وجب عليهم أن يستبدلوا به غيره ، ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة

(١) المنار — من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين قصرُوا عنهم في الفهم والعلم . ألم يأتك نبأ الإمام مالك مع الخليفة هرون الرشيد (رحمهما الله) وكيف أنزل الإمام الخليفة عن المنصة وأقعده مع العامة عند لقاء الدرس لأنه في رتبة المستفيد (٢) من شواهد ذلك قول الخليفة الأول رضي الله عنه في خطبة (وان زغت فقوموني) راجع ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع (٣) حديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما (راجع ٧٣٢ من مجلد المنار الرابع)

فيه . (١) فالأمة أو نائب الأمة هو الذي ينبغي ، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخضعه متى رأت ذلك من مصلحتها ، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه .

ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الأفرنج (تيوكراتيك) أي سلطان الهي . فان ذلك عندهم هو الذي يفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الأثرة بالتشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة بل بمقتضى الأيمان فليس للمؤمن مادام مؤمناً أن يخالفه وان اعتقد أنه عدو لدين الله ، وشهدت عيناه من أعماله مالا ينطبق على ما يعرفه من شرائعه ، لأن عمل صاحب صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهرا هو دين وشرع . هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى . ولا تزال الكنيسة تدعي الحق في هذه السلطة الى اليوم كما سبقت الإشارة اليه

كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والأعمال فيما هو من معاملة العبد لربه . تشرع وتفسخ ما تشاء ، وتراقب وتحاسب كما تشاء ، وتحرم وتعطي كما تريد ، وخول السلطة المدنية حق التشريع في معادلات الناس بعضهم لبعض . وحق السيطرة على ما يحفظ نظام اجتماعهم ، في معاشهم لاني معادهم ، وعدوا هذا الفصل منبعا للخير الأعم عندهم . ثم هم يرمون فيما يرمون به الاسلام من أنه يحتم قرن السلطتين في شخص واحد .

(١) مثال ذلك ان يكون له عصبية أقوى من الأمة يخشى ان ييدها بها « درء

ويظنون أن معنى ذلك في رأي المسلم أن السلطان هو مقرر الدين وهو واضع أحكامه وهو منفذها والإيمان آلة في يده يتصرف بها في القلوب بالإخضاع ، وفي العقول بالإقناع ، وما العقل والوجدان عنده الامتاع ، ويننون على ذلك أن المسلم مستعبد لسلطانه بدينه . وقد عهدوا أن سلطان الدين عندهم كان يحارب العلم ، ويحمي حقيقة الجهل ، فلا يتيسر للدين الإسلامي أن يأخذ بالتساح مع العلم مادام من أصوله أن إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين لك أن هذا كله خطأ محض وبُعد عن فهم معنى ذلك الأصل من أصول الإسلام . وعلمت أن ليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة إلى الخير ، والتنفير عن الشر ، وهي سلطة خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلامهم ، كما خولها لأعلامهم يتناول بها من أديانهم ، ومن هنا تعلم « الجامعة » أن مسألة السلطان في دين الإسلام ليست مما يضيق به صدره ، وتخرج به نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم ما يشير إلى ما صنع الخلفاء العباسيون والأُمويون الأندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء . وربما أتينا على شيء آخر منه فيما بعد يقولون : إن لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي أو المفتي أو شيخ الإسلام . وأقول : إن الإسلام لم يجعل هؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام . وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قرررها الشرع الإسلامي . ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادة لربه أو ينازع في طريق نظره

حفظ الأصل الخامس للإسلام حماية الدعوة لمنع الفتنة عن المسلمين

قالوا : إن الدين الإسلامي دين جهادي شرع فيه القتال ولم يكن

شرع في الدين المسيحي في طبيعة الدين روح الشدة على من يخافه وليس فيها ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضي بهما شريعة المسالمة وهي الشريعة التي وردت في كثير من الوصايا المسيحية « من ضربك على خدك الأيسر فادر له خدك الأيمن من سخرك ميلا فسر معه ميلين » ونحو ذلك . حتى لقد طلبت فيها محبة الأعداء وإن كانت محبة العدو مما لا يدخل تحت الاختيار بل ولا محبة الصديق وإنما الاختياري العدل بين الأعداء والأولياء . لكن في ملكوت الله كل شيء مستطاع ولا شيء فيه بمستحيل . قلنا : لكن انظروا هل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم التمكن من سواه خاص بالدين الإسلامي أو هو في طبيعة كل قادر يُعذر إلى خصمه ؟ . ليس القتل في طبيعة الإسلام بل في طبيعته الصفو والمسامحة : « خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ولكن القتال فيه لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله إلى أن يأمن شرهم ويضمن السلامة من غوائلهم . ولم يكن ذلك للإكراه على الدين ولا للانتقام من مخافيه . ولهذا لا تسمع في تاريخ الفتوح الإسلامية ، ما تسمعه في الحروب المسيحية ، عند ما اقتدر أصحاب « شريعة المسالمة » على محاربة غيرهم من قتل الشيوخ والنساء والأطفال . لم تقع حرب إسلامية بقصد الإبادة كما وقع كثير من الحروب بهذا القصد بأيدي المسيحيين . وإنما كان الصبر والمسالمة دينا عندما كانت القدرة والقوة تعوزان الدين . وغاية ما يقال إن العناية الإلهية منحت الإسلام في الزمن القصير من القوة على مدافعة أعدائه ما لم تمنحه لغيره في الزمن الطويل . فتيسر له في شيبته ما لم يتيسر لغيره إلا في كهولته أو شيخوخته .

﴿ مقابلة بين الاسلام الحربي والمسيحية السلمية ﴾

الاسلام الحربي " كان يكتفي من الفتح بادخال الارض المفتوحة تحت سلطانه ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون مايجب عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد . وإنما يكلفهم بحرية يدفعونها لتكون عوناً على صيانتهم والمحافظة على أمنهم في ديارهم وهم في عقائدهم ومبادئهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار لا يضيقون في عمل ولا يضامون في معاملة . خلفاء المسلمين كانوا يوصون قوادهم باحترام البأد الذين انقطعوا عن العامة في الصوامع والاديار لمجرد العبادة كما كانوا يوصونهم باحترام دماء النساء والاطفال ، وكل من لم يعن على القتال . جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة وبتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين (لهم مالنا وعليهم ما علينا) و (من آذى ذمياً فليس مناً) واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الاسلام . ولست أبالي إذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الاحكام ، عند ما بدأ الضعف في الاسلام ، - وضيق الصدر من طبع الضعيف - فذلك مما لا يلصق بطبيعته ، ولا يخلط بطيبته ،

المسيحية السلمية كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها تراقب أعمال أهله وتخصصهم دون الناس بضروب من المعاملة لا يمتثلها الصبر مهما عظم . حتى إذا تمت لها القدرة على طردهم بعد العجز عن إخراجهم من دينهم وتعيدهم أجنتهم عن ديارهم ، وغسلت الديار من آثارهم ، كما حصل ويحصل في كل أرض استولت عليها أمة مسيحية استيلاء حقيقياً . لا يمنع غير المسيحي من تعدي المسيحي الا كثرة العدد ، أو شدة العصد ، كما شاهد التاريخ وكما يشهد كايروه . ذلك كله لأنه ما جاء ليلي

سلاماً بل سيفاً ولا أنه جاء ليفرق بين البنت وأمها والابن وأبيه^(١) والاسلام يقول كتابه في شأن الوالدين : « وإن جاهدك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب اليّ » فهو في اشتداده على المهتدين لا منه لا يقضي بالفرقة بين أب وابن ولا بين أم وبنت . بل يأمر الأولاد المؤمنين ان يصحبوا آباءهم المشركين بالمعروف في الدنيا مع محافظتهم على دينهم

(١) تقدم نص الإنجيل متى في هذا . ومثله قول الإنجيل لوقا ١٥ — ٢٥ و ٢٦ (وقال لهم يسوع) ان كان احد يأتي اليّ ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً . وفي الباب ١٩ من هذا الإنجيل مانعه (٢٧) أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم تأتوا بهم الي هنا واذبحوهم قدامي . وأما أسفار التوراة فقد جاء فيها نحو ذلك في القسوة مع الاهابن المخافين ومع سائر المحاربين . قال في ١٣ : ٦ — ٩ من تثية الاشتراع (وإذا اغواك برأ أخوك ابن أمك أو ابنتك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً تذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض الى أقصاها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا قتله : الخ)

وفي سفر التثية أيضاً (٢٥ : ١٥ — ١٦) مانعه (حين تقرب من مدينة لتحاربها الى الصلح فإن أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك لا تسخير ويستعبد لك . وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب أهلك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فغتنمها بنفسك وتأكل غنيمة أعدائك الذي أعطاك الرب أهلك . وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جداً منك التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب أهلك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما)

فانت ترى الاسلام من جهة يكتفي من الأمم والطوائف التي ينسب
على أرضها بشي من المال أقل مما كانوا يؤدونه من قبل تنال به عليهم وبأن يعيشوا
في هدوء لا يعكرون منه صناديد الدولة ولا يخاون بنظام السلطة العامة . ثم يرخص
لهم بعد ذلك غنائ الاختيار في شؤونهم الخاصة بهم لا رقيب عليهم فيها
الا ضمايرهم . ومن جهة أخرى ينهى أفراد المؤمنين عن مقاطعة ذوي
قرباهم من المشركين ويطالبهم بحسن معاملتهم . ففي طبيعته ان يكل أمر
الناس في سرائرهم الى ربهم ، وفي طبيعته ان يجير من لا يعتد عقيدته ،
ويحمي من لا يتبع سنته ، وان كان في عصى من الجهالة ؛ وخبل من الضلالة ؛
أفترى انه يصعب عليه بعد ذلك ان يحتمل العلم والعلماء ؛ ويضيق به حلمه عن
صنع الجليل بالفضل والفضلاء ؛ بمن ينق عمره في تقرير حقيقة ؛ أو كشف
غامض أو تبين طريقة . ؛ كلا ثم كلا . فمن بحث ونقب ، وسبر ونقر ،
أو شق الأرض ، أو ارتقى الى السماء ، فهو في أمن من ان يعرض الاسلام
له في شيء من عمله الا أن يحدث شغباً ، أو يفسد أدباً ، فتد ذلك تمتد
يد الملك لرد كيد الكائد ، وإصلاح الفاسد ، بسماح من الدين

الاصل السادس مودة المخالفين في العقيدة (١)

المصاهرة - أباح الاسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية كانت
أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء
على عقيدتها ، والقيام بفروض عبادتها ، والذهاب الى كنيسها أو بيتها ،
وهي منه بمنزلة البعض من الكل ، وألزم له من الظل ، وصاحبه في العز

(١) هذا الاصل الاسلامي هو ضد الاصل السادس للنصرانية (راجع ص ٤١٨)

والذل ، والترحال والحل ، بهجة قلبه ، وريحانة نفسه ، وأميرة بيته ، وأم
بناته وبنيه ، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه ، لم يفرق الدين في حقوق الزوجية
بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتابية . ولم تخرج الزوجة الكتابية باختلافها
في العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » فلها حظها من المودة ، ونصيبها من الرحمة ، وهي
كما هي . وهو يسكن إليها كما تسكن إليه ، وهو لباس لها كما أنها لباس له ،
أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة
وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ما عهد في طبيعة البشر .
وما أجلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوانهم ؛ وذوي القربى لو الدتهم ؛
أغيب عنك ما يستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح
الذي لم يعهد عند من سبق ولا فيمن سلق من أهل الدين السابقين عليه ^(١)
ولا يخفى على صحيح النظر أن تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة
الدين مما يعود الدلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربّه ؛ والعقيدة
طور من أطوار القلوب ؛ يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب ؛ فهو

(١) المنار — يقول بعض النصارى : إذا كان الإسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية
ليعلم البشر التألف والعاطف ، مع النابن في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح
للكتابي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء
لأنهم أقوى منهن فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه
وبين زوجته الضعيفة ويأمره ببغضها وببغض أولاده ووالديه إذا خالفوا عقيدته أن
يتزوج بأمرأة مخالفة . أباح الإسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم

الذي يحاسب عليها ؛ أما المخلوق فلا تطول يده اليها ؛ وغاية ما يكون من العارف بالحق أن يذبح النافل ؛ ويعلم الجاهل ؛ وينصح للغاوي ؛ ويرشد الضال ؛ لا يكفر في ذلك نعمة العشير ؛ ولا يسلك به مسالك التفسير ؛ ولا يقطع أمل النصير ، ولا يخالف سنة الوفاء ؛ ولا يجند عن شرائع الصدق في الولاء ، ماذا ترى في الزوجة الكتابية لو كانت من أهل النظر العقلي وذهبت مذهباً يخالف مذهب زوجها ؛ أفينقص ذلك من مودته لها ؛ أو يضعف من شعور الرحمة التي أفاضها الله بينه وبينها ، فإذا كان المسلم يعود الاحتمال بل يعود المحبة والنصرة لمن يخلفه في عقيدته ؛ ودينه وملكته ؛ ويألف مخالطته وعشرته ؛ وولايته ونصرته ؛ أتراه لا يحتمل أن يرى بجواره من يعمل نظره في نظام الخليفة ليصل منه إلى اكتشاف سر أو تقرير أصل في علم أو قاعدة لصناعة وإن كان قد يخالف ظاهراً مما يمتد ؛ أو يميل إلى رأي غير الذي يجد ؛ أفلا يسمع هذا ما يسمع المجاهر بالخلاف ؛ وهو منه على ما رأيت من الائتلاف ؟؟

لو ذهبت أعدائي طبيعة الإسلام من عناصر وأركان كلها تؤلف مزاج الكرم ؛ وتكون حقيقة المسامحة مع العلم ؛ لأطلت على القارئ أكثر مما أطلت . ولهذا أرى من الواجب علي أن أختم القول بذكر أصل أشرت إليه ولا غنى لما نحن فيه عن ذكره

الأصل السابع للإسلام الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة (١)

الصحة الحياة في الإسلام مقدمة على الدين ، وأمر الحنيفية السمحة أن كانت

تختطف العبد الى ربه ، وتملاً قلبه من رهبه ، وتقم أمله من رغبه ، فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه نقشف الزهادة ، ولا تجشمه في ترك الذات مافوق المادة ،

صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل « بع ما تملك واتبعني » ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله « الثالث والثالث كثير إنك ان تذكر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس »^(١)

الرخص - فرض الصوم على المؤمنين لكن اذا خشي منه المرض أو زيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه بل قد يجب اذا غلب على الظن الضرر فيه . الوضوء والفعل من شروط الصحة للصلاة الا اذا خشي منه الضرر أو عرضت مشقة في تحصيل الماء . القيام مما لا تصح الصلاة الا به الا اذا أصابت المصلي مشقة فيه فيسقط ويصلي قاعداً . السعي الى الجمعة واجب الا اذا كان وحلاً غزيراً أو مطار كثير أو ما يوجب تعباً ومشقة فيسقط . وهكذا تجد القاعدة قد عمت : « صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان » فترى الدين قد راعى في أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح الزينة والعلقيات - أباح الاسلام لأهله التجميل بأنواع الزينة والتوسع في التمتع بالمستحبات على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدرد

(١) المنار - يشير الكاتب الى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . كان سعد مريضاً في حجة الوداع فماده النبي صلى الله عليه وسلم وكان عازماً على الصدقة بثأني ماله وفي رواية بماله كله فسأله النبي عما ترك لولده فقال هم أغنياء . وفي رواية الجماعة انه لم يكن له الابنت . وفي رواية أحمد والنسائي انه أمره أولاً بان يتصدق بالعشر . والحاصل انه ما زال يراجمه حتى رضي الله عليه وسلم بالثلث وحرّم الزيادة بالحديث

الشرعية، والمحافظة على صفات الرجولية، جاء في الكتاب العزيز: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِمِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رِبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (سورة الأعراف)

ثم عد الله النعيم والجمال والزينة من نعمه علينا التي يذكرنا بها فضله، ويهيج بها نفوسنا لذكره وشكره، كما قال: «وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْعِيشِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»

ثم قال: «وهو الذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلُّوْا مِنْهُ لِحِمَا طَرِيقًا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَازِيرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (سورة النحل).

الاقتصاد — ووضع قانوناً للانفاق وحفظ المال في قوله: «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ أَرِيقَةً كَفُورًا . وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا» (سورة الإسراء)

النهي عن الغلو في الدين - وخشي على المؤمن أن يغلو في طلب الآخرة

فهلك دنياه وينسى نفسه منها فذكرنا بما قصه علينا أن الآخرة يمكن
نيلها مع التمتع بنعم الله علينا في الدنيا إذ قال : « وابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ
الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين »

فترى أن الإسلام لم يبخس الحواس حقها ، كما أنه هيا الروح لبلوغ
كمالها ، فهو الذي جمع للانسان اجزاء حقيقة واعتبره حيواناً ناطقاً لا
جسمانياً صرفاً ، ولا ملكوتياً بحتاً ، جملة من اهل الدنيا كما هو من اهل
الآخرة . استبقاه من اهل هذا العالم الجسداني ، كما دعاه الى أن يطلب
مقامه الروحاني ، ليس يكون بذلك وبما بينه في قوله : « هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعاً » قد أطلق القيد عن قواه ، لتصل من رفقه الحياة
(مع القصد) الى منتهاه ، والنفوس مطبوعة على التنافس قد غرز فيها حب
التسابق فيما تعتقده خيراً ، أو تجده لذيذاً أو تظنه نافعاً

وليس في الفريزة الانسانية ان يقف بها الطالب عند حدٍ محدود ،
او ينتهي بها السعي الى غاية لا مطلع للارغبة وراءها ، بل خصها الله بالمكنة
من الرقي في أطوار الكمال من جميع وجوهه الى ما شاء الله ان ترقى
بدون حدٍ معروف .

فاذا جمع سائق النفس ومزجها ، ومرشدها وهاديها ، بين شاحدين
شاحذ التمتع بمتاع الحياة الدنيا ، وشاحذ الرغبة في النعيم الدائم في الآخرة ،
فقد جمع لها كل ما يسو بها عن الرضاء في الدنيا بالدون ، وفي الآخرة

بعذاب الهون ، فترى كل نفس تمضي مع استعدادها ، بشهادة فؤادها ،
مضاه الزمير^(١) لا تخشى العثرة بالوعيد ، ولا تقعد عن مطلبها قعدة
الرعد^(٢) فتطلب منافعها ، من هذا الكون الذي وجدت فيه ووجد
لها ، فتسير في مناكب الأرض ، ولا تكتفي عن السكل بالبعض ، وتبحث
في تربتها ، ولا يقف بها ظاهرها عن باطنها ؛ ولا يحجبها ظهرها عن مديديها
إلى ما في جوفها ، ولا تجد ، أيصدها عن النظر في الهواء ، والبحث في
الماء ، والاهتداء بنجوم السماء ، بعد معرفة مواقعها ، وحركاتها في مداراتها ،
واستقامتها وانحرافها ، وظهورها وخسوفها ، وبالجملة فكل مستعد لوجه
من وجوه النظر ، أو الولوج في باب من أبواب العلم ، ينطلق إلى حيث
يلعب به استعداداه إما للنجاة من ضرورة ، وإما لاستتمام منفعة أو استكمال
لذة ، لا يجد من نواهي الدين ما يصدّه عن مطلب ، ولا ما يكف يده
عن تناول رغبة ، أين هذا من ذلك الذي لا يرى الخلاص إلا في مجافاة
هذا العالم ولذائذه ويجد أن الفنى والثروة من الحجب التي لا تنحرق تحول
بينه وبين ملكوت السموات

كيف يتسنى للمسلم أن يشكر الله حق شكره ، إذا لم يضع العالم
بأسره تحت نظر فكره ، لينفذ من ظاهره إلى سرّه ، ويقف على قوائمه
وشرائمه ، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته في توفير منافعه ، كيف يشكر
الله إذا توانى في ذلك وقد أرشده الله في كتابه وبسنة نبيه إلى أن عالمه إنما خاق
لأجله ، وقد وضعه الله تحت تصرف عقله ، انظر إلى لطف الإشارة في الآية

(١) هو الخنزير القوي المزينة يرمع على الأمر فيمضي فيه ولا يثني والحيد الرأي المقدم

(٢) الرعد يد الحيات الكثير الارتداد

المتقدمة « قل من حرم زينة الله » الخ حيث قال : « كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون » فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفقه به معيشتهم ، ويُجَمِّلُ به حياتهم ، ويجلي به زينتهم ؛

المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد ؛ والمزة والمجد ؛ ولا يرضيهم من ذلك بما دون الغاية ؛ ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم ؛ فهم محفوزون أشد الحفز الى طلب العلم وتلمسه في كل مكان ، وتلقيه من أية شفة وأي لسان ، فاذا لاقاه المسلم في أي سبيل ، أو عمروا به في أي جيل ، أو ظهر لهم من أي قبيل ، هشوا له وبشوا ، ونصبوا اليه وكشوا^(١) ، رشدوا به أو اصرم ، وعقدوا عليه خناصرهم ، ولا يبالون ما تكون عقيدته ، اذا نفعتهم حكمته ، « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها »^(٢) ألم يأتيهم عن ربهم : « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » ألم يسموا في وصفهم قوله : « الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ » ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلماً حقاً . وذلك ما تنجر اليه طبيعة دينه . وحديث اطلبوا العلم ولو بالصين^(٣) ان كان في سبيل

(١) لعل نصبوا من نصب السير وهو ان يسير طول يومه سيرا لينا . وكشش الرجل كان سريعا ماضيا . وكشش كاشة شجع واسرع (٢) النار — حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ، ورواه غيره بالفاظ أخرى والمعنى واحد . ومنه رواية موقوفة على ابن عمر رضي الله عنهما « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » وفي رواية عن علي كرم الله وجهه « الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق » (٣) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان والمدخل وابن عبد البر في العلم والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضها

لفظه الى النبي صلى الله عليه وسلم مقال فسنده معناه متواتر فانه سند القرآن نفسه
 فان الله يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص ، فالمسلم مطالب بطلب
 العلم ولو في الصين ولم يكن في الصين مسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
 لا شيء ينقلب عند النفس الانسانية لذته بنفسه وان كان في أول أمره مطلوباً
 لغيره مثل العلم . تطلب العلم أولاً لحاجتك اليه في تقويم معيشة ، أو ترفيه
 حال . أو دفاع عن نفس وملة . ثم لا تلبث اذا أوغلت فيه أن تجد اللذة في
 العلم نفسه فتصير اللذة بتحصيله والوصول الى دقائقه غاية تقصده بنفسها .
 وتضمحل فيها كل غاية سواها . وعلة ذلك ظاهرة فان العلم مسرح نظر
 العقل والمقل قوة من أفضل القوى الانسانية بل هي أفضلها على الحقيقة
 قد وضع لها المعلم الحكيم لذة كما منح لكل قوة سواها نعيماً ولذة . ولست
 في حاجة الى تعديد لذة البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس فالحيوان
 يعرفها بله الانسان . وكلما عظم اختصاص القوة بالنوع عظمت لذته باستعمالها
 فيما وجهت له فيمكنك ان تستنتج من ذلك ان لا شيء عند الانسان الذم من
 كشف المجهول . وإحراز المعقول . وقد سمح الاسلام للمسلم ان يتمتع في
 هذه الحياة الدنيا بما يلذ له مع القصد والاعتدال . أفلا يكون من لذائذه
 ومتمات نعيمه أن يسبح في مملكة العلم ليمتع عقله ، كما يسبح في بسيط
 الأرض ليكسب رزقه ويقيم أهله ، على ان العلم كان من ضروريات معيشة
 المسلم أو حاجياتها كما ذكرنا فاذا طفق يستنبط ماء الضرورة ، ويستجلي
 سناء الحاجة ، فلا يلبث أن يصير هو حاجة نفسه ، وشاغله عن حاجات
 حسه ، حتى يدخل معه في رسمه ، كما وقع لكثير من المسلمين . قال امام جليل
 من أئمتهم « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله » (له بقية)

❦ السورة الثامنة مكية مكية الاسم (٨) ❦

(١) يتيسر حجة من حجات أساطير اليونان

وويل حينئذ للعمال أو الناظرين الذين لا يبادرون بالابتعاد عنه ليتقوا عوادي هذا المعدن الفضبان. ذلك أن فقايع الهواء التي تنفصل منه ترتفع معها قطرات محرقة تسمع لها نششة تنبجس من كل ناحية انجاس الشرر من باقة نار الزينة

لا جرم أن «أميل» ولولا لم يدركا السر الكيماوي في جميع هذه الاستحالات التي تعاورت معدن الحجر قبل صيرورته قصديراً بل انهما ربما لم يحصل في ذهنهما من مجموع ما حصل من الاعمال الا معنى في غاية الابهام ولكن قد شاقهما من هذا المنظر جدته فانهما رجواني أن آخذها الى المسبك مرة أخرى

أرى أن القائمين على تربية الناشئين قد أفرطوا في التفريق بين العلم وبين ما يربطه بالصناعة من الروابط ومع كوني لا أنكر أن ما في المدارس من المعامل الكيماوية والمجموعات التعليمية والدروس العامة هو من المساعدات العظمى على التعليم واقصد قصداً أكيداً أن أستعين به على تعليم ولدي في مستقبله تراني أفضل الآن أن اختلف به الى معهد آخر تمثل فيه امامه الاعمال ونراى له الوقائع

زرنا معاً متحفاً من متاحف الدقائق الأثرية في بانزانس وهي ليست كثيرة في بلاد كرنواي والكثير فيها انما هو المعادن المفيدة كالكال رصاص والقصدير والنحاس وغيرها من المعادن الحجرية القريبة فلم يلفت ذهن «أميل» ما في خزائنه من قطع هذه الدقائق للترتبة الا قليلاً وأما دولوريس فأخص ما استرعى نظرها ما يوجد فيها من قلذ البلور وبعض الحجارة التي لو تناولتها يد الصناعة لصارت من مواد الزينة الجميلة

ثم أخذنا طريقنا بعد ذلك بأيام الى متحف كبير يمتد مكشوقاً على ضفاف المحيط بين جبال من الصوان بصحتها يد الانسان فكان مرآة في نظر الفلاحين أحسن من جميع متاحف الدنيا

ففرق عند الطفل بين أن يرى من وراء الزجاج معادن حجرية ربت في رواق تريباً خالياً من دواعي التأثر وبين أن تمثل أمامه الصخور في وضعها الطبيعي ويشاهد الأرضين وقد شاء وجهها واتقلبت ظهراً لبطن وكتل البلاط الاسود والرخام السماقي في جسامتها المريسة وقد تناوبها المصدع وبارود المدفع فأوسعها صدعاً وأشبعها كسراً وقد هاج شوق «أميل» منظر أعمال النحت هيجاً شديداً فطفق يخاطب النحاتين ولا بدع فالانسان في سنه لا يستكف أن يخاطب كل من

يراه لأن قلبه حينئذ لا يكون قد أفسده الكبر وقد استفاد من محاورته معهم فلم
تذهب عليه عبثاً

ان فتى ايقوسنيا اسمه هوج ميلار صار من أشهر العلماء في بريطانيا العظمى
ببركة تكسبه الاحجار ونحتها من منحت حجراً رملي قديم واستولى استيلاء المالك
على اقليم ذلك المنحت الحافل بالدقائق الآرية وأصبح اسمه كأنه علم له

ربما احتذى « اميل » مثال هذا العالم اذا زرتنا معا اقليم ديقو نشاير فاعتضد
المطربة وحمل المتحاف فاني أراه مدفوعاً على ذلك بسائق الطبع لأنه يشتهي كفيه
من أترابه أن يهجم على ما يلاقيه من العقبات فيدمره ويزيله ولأن الدقائق الآرية
التي يستخلصها الانسان بنفسه من الصخرة أعلى في نظره كثيراً مما يجده منها صريباً
في المتاحف ذلك لأن آثار الاجسام العضوية تكون غالباً من الاحتباء في باطن
الحجر بحيث انه لا بد قبل استخلاصها من تمييزها منه بل ربما صح لي أن أقول انه
لا بد من تخمين وجودها بما يبدو من تحت غطائها الجافى من سمة تدل عليها أو
طرف من أطرافها ثم ان الصخرة تارة تكون صلبة فتقاوم منحات الناحت وتحملة
وطوراً تكون هشة فتتلاشى وتتفتت وفي كلتا الحالتين يهدم الخرق والخطأ بنقرة
واحدة عمل الدهر في قرون كاملة وما أكثر ما يتعلم الطفل في هذا الجهاد. نعم ان
« اميل » سيخدع فيه غير مرة وسيتفق له أن يخسر لقطاته أو يعيبها على حين
اعتقاده انه حصل عليها سالمة من كل نقص ولكن لاشي في هذا فان مثله من
اليافعين اذا غلبته العقبات المادية وجد عليها وبمشه ذلك على الانتقام لنفسه منها فلا
يلبث أن يظفر بها

كأن مشاهدة المناحت واسطة ينتقل بها الذهن من علم طبقات الارض الى
فن العمارة فسيذكر « اميل » اذا عرض له في طريقه ما في المدن من الابنية
الفخيمة ان حجارها نحتت من قاع البحار القديمة واذا رأى المعابد والقصور فان
نوع حجارها سيحضر في ذهنه الصخرة التي نحتت منها والمخلوقات العضوية القديمة
التي صارت هذه الصخرة رمساً لها.

العلم الذي يحصله الانسان بعرق جبينه ربما لا يكون واسعاً ولكنه يكون متيناً
راسخاً خذ لذلك مثلاً الزهرة التي تنحني من غور بعد اقتحام ما كان دونها من
العقبات يكون لها في ذاكرة جانبها آثار أقوى مما يكون لزهرة رآها بلا غناء بمجهزة

محفوفة في إحدى صحف المجموعات النباتية. وما يجمعه للرأب نفسه من الحمار والصدف على شاطئ البحر يدرب بصره على ادراك ما يميزه من صفاته الظاهرة أكثر مما يدربه على ذلك ما يوجد منه مرتباً ومضروباً في رواق معد له فالبحث يكسب البصر واليد دربة ومراة

أنا لأشك في ان التجارب الكيماوية والطبيعية مفيدة لمن منحوا الميل الى التعلم ولكني أرى أن عامة الاطفال قد يبدوون من الارتياح الى العلم معولاً به في الصناعة ومن الاتعمال بما يرونه من آياته فيها أكثر مما يبدوونه لمثل هذه التجارب وقلما يوجد معدل من المعامل الكيرة ألا وهو أيضاً مدرسة كبرى للعقل فما أبهر ما يرى فيه من قوى للطبيعة مقيدة ومطلقة و(كل) مؤلف من عجالات وأسنان تسحق الحجر سحقاً وتمضع الحديد مضغاً وتقطع الخشب قطعاً وآلاف مؤلفة من انباض البخار الذي يحرك جسم هذا الكل وانسان استبدل باعضائه هذه الاعضاء الصلية في كده وكده فخلت محله وجرت على مقتضى إرادته وقام هو عليها يلاحظ مجاهداتها العجيبة بعين قريرة ساكنة. نعم ان هذا للشهد لا يأخذ أول الأمر الا يبصر اليافع ولكنه متى كان فيه شيء من الشوق الى العلم لا يلبث ان يسأل عن سبب هذه الحركات الاستقلالية وعما للمواد بعضها على بعض من التأثير المتناوب وبالجملة عن سر الطرق التي تحيل المادة الفطرية الى محاصيل صناعية

ليس أحقر الاشياء بأقلها دائماً في صنعه اثاره للشوق ولا ملاحظته بأقل جدوى في التعاميم فعلية الكبريت والدبوس والشمعة (كما بينه فاراداي (١) حق البيان) لها بعلمي الطبيعة والكيمياء تعلق يدركه كل واحد من الناس ويعرفه لأول نظرة أنا أعلم أن تحصيل عام عدة من الصناعات والاحتصاص به يقتضي أن يعيش الانسان اضماف عمره ولذلك لا أرجو مطلقاً أن «اميل» اذا رأى غيره يشتغل بحرفة يحيط خبراً بأسرار العمل فيها. على أن الشبان أقل حاجة الى الوقت من غيره فلو أن القائمين على التعليم احسنوا في توجيهه الى غايته ما شككت ابداً في ان الطفل الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره يتعلم في المعامل شيئاً كثيراً وجملة القول ان لدينا في جميع المدن الكبرى بل وفي القرى كثيراً من معاهد

(١) فاراداي عالم انكليزي من أشهر علماء الطبيعة اشتهر بتأليفه في الكهربية

العمل التي لو اختلف الطفل اليها لأدرك بالعيان والحس بعض قوانين المادة وتعلم حب الصامل وتمظيمه ولكانت اقل فائدة له من ذلك ، ملاحظة طرق الصناعة او الزراعة ان لم يباشر شيئاً من اعمالها بيديه وتلك منزلة اخرى له قايت شمري هل يصح في نظر العقل ان تغفل هذه الينابيع المتدفقة للعرفان وتجنس حقوقها من العناية وتكون دراسة الالفاظ هي موضوع الاهتمام والرعاية اه

آثار علماء المسلمين

﴿ مثال من أمثلة تسامح الاسلام وضيق صدر المسيحية ﴾

تعرض صاحب مجلة الجامعة للكلام في علم العقائد الاسلامية وهو لاشك جاهل به لانه لو عرفه لكان مسلماً او لو كان مساماً لعرفه فزعم أن علماء الكلام (وهو العلم الذي وضع لاثبات العقائد ورد الشبه عنها) ينكرون ارتباط الاسباب بالمسيبات وان كان القرآن يثبتها . وتعرض للكلام في طبيعة الدينين الاسلامي والمسيحي فزعم أن طبيعة الاسلام تنافي العلم والحكمة دون طبيعة المسيحية ولذلك ارتقت العلوم في أوروبا وماتت في البلاد الاسلامية يعني ان طبيعة الاسلام حكمت على المسلمين بالجهل والغباء والبعد عن المدنية ونتيجة هذا انهم لا يرتقون الا اذا تركوا هذا الدين وصاروا نصارى « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى » وتعرض للكلام في تاريخ بعض حكماء الاسلام فأورد عنه ما يقتضي كفره وهو غير صحيح . كل هذا في جزء واحد من أجزاء مجلته وهو أعظم جناية جناها على قارئها من المسلمين لانه يشكك غير العالم الراسخ في دينه والشك في الدين كفر قامت قيامة من اطلع على هذا الجزء من أذكاء المسلمين وعدوا هذه المجلة أضر عليهم من المجلات النصرانية الدينية التي تطعن في الاسلام طعناً صريحاً لأن مجلة الجامعة تكلمهم بلسان العام المحبوب عندهم بطبيعة دينهم فيخشى أن يفتر الفافل بما فيها وتلك المجلات والجرائد تقابلهم بالعدوان الظاهر فينفرون منها . وقد علم القراء ان المستأثرين رجعوا اليها والى امام من أثمتنا راغبين في الرد وراوا ان ذلك الامام كتب في بيان الحقيقة كتابة أثنى فيها على صاحب الجامعة وعلى مجلته على ما كان منه

وان تلك الكتابة كانت مثال الأدب والكمال الذي يليق بسعة صدر الإسلام وتسامحه مع المخالفين ، وان كانوا طاعينين وقادحين ، والتمس له العذر على طعنه بالدين القيم وبأعظم علمائه وحكمائه

ورأوا أيضاً ان النار قد حسن الظن فيه واعتذر عنه وبرأه من سوء القصد . ولكن صاحب الجامعة لم يرض بذلك كله وأثبت لنا في الجزء الأخير انه متعمد لذلك الطعن ومصر عايه . وقد قابلنا على الاعتذار عنه بالسب والشتم

أما شتمه لنا فلأننا قلنا انه قال ما قال لأنه لا يعرف علم الكلام الاسلامي فتسبنا الى الجهل بعقائد ديننا مكافأة لنا وقال ان تلك المقدمة تنتج هذه النتيجة . يعني ان الفضيلة والحقيقة والضمير التي يهاجج بأسماها تقضي علينا ان نقول انه لا يعرف اللغة الفرنسية اذا هو قال اننا لا نعرفها . وأما شتمه للإمام صاحب الرد فلم يتحمل له سبباً والسبب معروف وهو تأثير النصرانية في عدم التسامح وحملها على الشدة مع المخالفين بقدر الاستطاعة . وفي مصر الآن من الحرية ما يسمح للصغير ، ان يتسامى ويتساق للظمن في الكبير ، وربما زين الغرور اصاحبه ان كلامه الوضيع في الرفيع هي الطريقة المثلى للانتقال من الضعة الى الرفعة لذلك نرى أكثر المتطفلين على انشاء هذه الجرائد التي تبرز كل حين في مصر ثم تخفى كفقاقيع الماء يستهلون جرائدهم بالنيل من الجرائد الغنية المنتشرة توها انها تهتم بالرد عليهم فيكونون سواء ، وينالون مانال أولئك من الشهرة والنراء . ولا نرضى هذه الحطة للجامعة وصاحبها

قال بعض الناس الذين رأوا الجامعة الأخيرة للإمام : أرأيت ما كان من صاحب الجامعة الذي أثبت عليه وعلى مجلته حتى رفعها الى أعلى منزلة للمجلات . . . فقال الامام : « لا خسارة في حسن الأدب » ولم يزد على ذلك شيئاً

فهل يتوهمن الرصيف المحترم صاحب الجامعة أن صاحب هذا الأدب الباهر يتنازل تواضعاً الى تصحيح مقالته والعناية بإرشاده بعد العلم بأنه لا قابلية فيه لذلك ولا اعتماد ، ولا يعرف قيمة هذا الارشاد ، أم يتوهمن ان أحد تلامذته يحفل برد سفسطة الجامعة ونحر يفها الكلام لأجل تصحيح أغلاطها . اماما تفتت به على المسلمين وتقولاه على اعتقادهم فأننا نبين الحق فيه لا بصفة رد أو مناظرة بل نجعله في باب رد شبهات المسيحيين وحجج المسلمين لأن الجامعة التي كان اسمها (الجامعة العثمانية) ثم صار اسمها « الجامعة » فقط قد صارت « الجامعة النصرانية » ولا نعيب صاحبها

بخدمة الدين الذي ينتسب إليه ولكننا ننصح له بالتروي والاعتدال
« النار » مجلة مليه كما أنها علمية أدبية وهي مع ذلك لا تعرض لدين المخالفين الأرتا
على ما يعتدون به على الإسلام. والجامعة لا تعترف بأنها مجلة مليه مسيحية وهي مع ذلك
تطعن في الإسلام والمسلمين ابتداءً، وتفتخر الكلام في ذلك اقتحاراً، فهي في ظاهرها
عامية أدبية صحيحة كالمقطف والهلل وفي باطنها دينية مليه كراية صهيون وبشار الإسلام
والشرق ونحب لها ان يكون ظاهرها كباطنها.

قلنا ان صفار التلامذة لا يحفلون برد سفطة الجامعة التي سمها رداً فان القيد
الذي خلقته لتصحيح زعمها انكار المتكلمين للأسباب « وهو أنهم ينكرونها كما يفهم
الفلاسفة) لا يفيد ما شيئاً . فان قولها الأول بالانكار كان مطلقاً وحكم المطلق ان
يجري على إطلاقه كما هو معلوم . وقولها ان ابن رشد كفر الأشعرية وقال بضلالهم
لأمر نسبها اليهم منها انكار الأسباب الضرورية . واستدلالها بذلك على ان المتكلمين
ينكرون الأسباب كما يفهمها الفلاسفة هو حجة عليها لأن ابن رشد يرد على الأشعرية
بذلك رداً دينياً — وهو من علماء الدين الراسخين — لأنه بنى عليه التكفير والتضليل
والفلاسفة لا يسمون مخالفهم كافراً فكان ابن رشد يقول ان من انكر الأسباب فهو
عند المسلمين كافر اوضالاً لأن من اصول الإسلام التي يشهد لها القرآن وتنطبق على
سيرة السلف والخلف المهتدين « ان الأسباب مربوطة بالمسيبات وان للكون سنناً ونواميس
مطرودة » قال الله تعالى فيها « ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً »

وأما زعمه ان المعتزلة ليسوا من المتكلمين فكل طالب علم يعرف نقوله فيه على
المسلمين . فالتكلمون منهم المعتزلة ومنهم الأشاعرة ومنهم الماتريدية . وكذلك الفقهاء
منهم الحنفية والشافعية والمالكية . وكما اختلف هؤلاء في بعض المسائل الفقهية وكلهم فقهاء
اختلف أولئك في المسائل الكلامية وكلهم متكلمون . والجميع مسلمون من اهل القبلة .
ومن أعجب المزاعم زعمه أن الاعتقاد بوجود النواميس (أي سنن الكون) والاعتقاد
بتغيرها نقيضان لا يجتمعان . وهو يعلم ان الفلاسفة انفسهم يقولون بإمكان تغير
النواميس بل يقولون بأن التغير حدث ويحدث بالفعل وهو ما يعبرون عنه بفئات
الطبيعة . فان احتاج الفلاسفة الى تأويل هذه الفئات فالمسلمون احوج لأن اساس
هذه الفلسفة كلها قوله تعالى : « ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

وما يضحك صفار التلامذة استدلاله على معاداة الإسلام للعلم والعقل بكلمة

جارية على ألسنة العامة لا يعرف قائلها وهي « من تمنطق زندق » ويفهمون منها أن من تعلم المنطق صار زنديقاً هذه الكلمة لعامي مجهول في شخصه وفي ملته ودينه والدليل على كونه عامي أن معنى « تمنطق » ليس المنطقة وليس معناها أنه تعلم المنطق خلافاً لما يوهمه المصباح ، يستدل بهذه الكلمة صاحب الجامعة الذي لا يراعي في قوله إلا الحقيقة والضمير على ما ذكره ينسى أو يتناسى أنه لا يوجد طالب عام في المسلمين لم يقرأ المنطق وإن الأزهر لا يعطي شهادة العالمية إلا لمن يؤدي الامتحان في علم المنطق ومثله جميع المدارس الإسلامية ومن كلام حجة الاسلام « من لا يعرف المنطق فلا ثقة بعلمه » لا يبعد أن يكون صاحب الجامعة قد كتب ما ذكرنا عنه وهو يعتقد أنه مؤوه . ويقرب أن يكون مغترأ بما أجاب به عن تخطيطه في تالخيص فلسفة ابن رشد لأن سنده في هذا الجواب ثلاثة أمور (أحدها) زعمه أن النساخ من العرب كانوا يحذفون من كتب ابن رشد المواضع المهمة أو يبدلون فيها فراراً من الملام والاضطهاد . أي أن أولئك النساخ كانوا علماء بالفلسفة وعلوم الدين ومكلفين بأن يتصرفوا بما ينقلونه بحسب معارفهم حتى يكون الكتاب مشتملاً على فلسفة النساخ لا فلسفة المؤلف . فإذا خالفوا لأمرهم من استأجرهم للنسخ أو اضطهدهم !!!

ثانيها أن الفيلسوف رنان — الذي نزهته الجامعة عن التعصب والذي علمنا عنه أنه كان أشد المتعصبين على الاسلام حتى أن السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ناظرهما في باريس وارجعاه عن كثير من خطئه — قال أن العرب اخطأوا في فهم فلسفة اليونان ونقاها . ومنهم ابن رشد .

ثالثها أنه « لا مناص للكاتب العربي اليوم من أخذ تلك الفلسفة عن الأفرنج أنفسهم ولا يشترط في هذا الأخذ سوى حسن اختيار المؤلف أي أن يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق » وهذا ما نوحته الجامعة « أه بنصه »

ولا حتم اغترار الكاتب بهذه المقدمات التي صحح بها قوله بنشره بأنها لا تروج عند أحد طلاب العلم لأمر . (أحدها) أن العرب قد اعتنوا بأمر النقل والرواية اعتناء لم يسبقهم به سابق ، ولم ياحققهم فيه لاحق ، ومن آثار ذلك أنهم نقلوا فلسفة اليونان ، بغاية الدقة والإتقان ، وقد تعلموا اليونانية ولهم فيها قواميس . وقد اعترف لهم الأفرنج المنصفون بذلك وفضلوهم به على أنفسهم ومنهم سيديو المؤرخ الشهير . (ثانيها) أن الأفرنج برعوا في علوم التجربة ولكنهم لا يوثق بهم في علوم النقل

فكتبهم طائفة بالكذب على الاسلام والمسلمين في دينهم وتاريخهم . قال سيدو في مبحث اشتغال العرب بالعلوم الرياضية : « وايس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الافرنج » ثم ذكر انهم زادوا عليها ما اخترعوه في هذه الفنون . وقال في أول المبحث الذي عقده « في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة ارسطو ما نصه ممربا : « زعم الافرنج انه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك الا لجهالهم بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من تأليف العرب الفلسفية » الخ وقال غير ذلك بمقتضى

(ثانيها) غير معقول ان الذين كانوا يستسخون الكتب الحكيمة كانوا يرضون بأن يغير النسخ فيها وغير معقول ان النساخ كانوا يستطيعون التصرف في تلك الكتب ويعملون بتلك الاستطاعة .

(ثالثها) ان ما نقلته الجامعة عن الافرنج غير موثوق به لأن صاحبها غير عالم بالفلسفة فيستطيع نقلها من لغة الى لغة لأنه اذا كان لم يفهم فلسفة المتكلمين بالعربية فكيف يفهم فلسفة ابن رشد واليونان من الفرنسية ؟ ولو فرضنا انه أحسن الفهم فلا سهل علينا أن نقرض انه حسن القصد لظهور تعصبه على الاسلام والمسلمين . وإصراره على هذا التعصب ومماراته ومكابرته فيه بمديان الحق له بالتي هي أحسن . وقد زعم في هذا الجزء ان المسلمين كاليهود والنصارى يعتقدون ان العالم وجد منذ بضعة آلاف من السنين وليس هذا من اعتقاد المسلمين في شيء . فما يدرينا ان كل نقله من هذا القليل

وأما كلام الجامعة فيما سمته الأمور الجزئية فحسبها فيه الخلط بين الاصطلاحات العلمية ومعاني الكلم اللغوية . وزعمها ان ما قاله الامام في علاقة الانسان بالخالق غير صحيح لأن رنان أفرد فصلا لهذا البحث استعان فيه بكلمات ارسطو اليونانية . وهل يقول عاقل ان قول فلان غير صحيح لأن فلانا خالفه فيه . وما يدري صاحب الجامعة ان ما قاله الامام هو الصحيح وما قاله رنان هو الخطأ ان صح نقلها عن رنان هذا وان الامام مطلع على ما كتب رنان وغيره من الافرنج وقد كتب ما كتب

(الخاتمة) نشكر في ختام القول للجامعة ولصاحبها هذا التعامل على الاسلام والمسلمين لأنه كان السبب في تصدي ذلك الامام العظيم الى بيان هذه الحقائق التي تحيي الشعوب الإسلامي في نفوس المسلمين وتبعثهم الى العمل بما يرشد اليه دينهم

القويم من الرغبة في العلم والحكمة ، وإِعْلَاهُ شأن الأُمة ، ومعاملة المخالفين بالمحاشنة ،
وان ظهروا بمظهر المحاشنة ، وليس في كلام الإمام ، إلا برد الهدون والسلام ،
الداعي الى حسن الاتسام ، فلا يخشين الرصيف منه إثارة الخصام ، وان ~~ي~~كان هو
يحب الموااة ويدعو اليها فايدع الكلام فيما يتعلق بالاسلام . فانه ليس من موضوعه
ولا يضيئه . ولا علم له بظاهره ولا خفيه ، وهذا القدر يكفيه .

~~~~~

جاءنا من الاستاذ الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي بنصه :

### ﴿ بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ﴾

دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الازهر بقراءة متن البخاري موزعاً  
كراريس على العلماء وكبار المرشحين للتدريس في نحو ساعة جزيئاً على عادتهم  
من اعداد هذا المتن أو السلاح الحربي لكشف الخطوب وتفريج الكروب فهو  
يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل وفي الحريق مقام المضخة  
والماء وفي الهیضة مقام الحیطة الصحية وعقاقير الاطباء وفي البيوت مقام الحضرة والشرطة  
وعلى كل حال هو مستنزل الرحات ومستقر البركات

ولما كان العلماء أهل الذكر والله يقول « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون »  
فقد جئت أسألم بلسان كثير من المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله  
أو صحيح سنة رسول الله أو رأي مستدل عليه لأحد المجتهدين الذين يقدرونهم ان  
كانوا قد أتوا هذا العمل على انه ديني داخل في دائرة المأمور به ، والأفمن أي حذاق  
الاطباء تلقوه ليتبين الناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن البخاري في درء  
الهیضة عن الامة وان هذا داخل في نوااميس الفطرة أو خارج عنها خارق لها . واذا  
كان هذا السر المعجيب جاء من جهة أن المقروء حديث نبوي فلم خفي بهذه المزية  
مؤلف البخاري ولم لم يحجز في هذا موطناً ملاًك وهو أعلى كعباً وأعرق نسباً وأعز  
علماً ولا يزال مذهبه حياً مشهوراً . واذا جروا على أن الامر من وراء الاسباب  
فلم لا يقرؤه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرؤه لازالة المغص أو القيء والإسهال حتى  
تذهب شحنة الجراية من صدور كثير من أهل العلم وعلى هذا القياس يقرأ لـ

شيء ما دامت العلاقة بين الشيء وسببه مفصومة

فان لم يستطيعوا عنده هذا الدواء الى نطاس الاطباء سألنا للعلم منهم بالتسارخ



أن يرشدنا إلى من سن هذه السنة في الاسلام وهل قرئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة قلنا نعم انه قرئ للعراقيين في واقعة التل الكبير فام يلبثوا أن قتلوا ومنزقوا شرمزق ونسلم انه يقرأ في البيوت لتأمين من الحريق والسرقة ولكن بأجر ليس شيئاً مذكوراً في جانب أجر شركة التأمين المعروفة مع أن الناس يتسابقون إليها تسابقهم على شراء الدواء اذا نزل الداء ويعدلون عن الوقاية التي نحن بصددتها وهي تكاد تكون بالجمان ويجدون في نفوسهم اطمئناناً لتلك دون هذه

فان لم يجد العلماء عن هذه المسألة اجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حلة أهل الاقلام عليهم حلة تسقط الثقة بهم حتى من نفس العامة وحينئذ تقع الفوضى الدينية المتوقعة من ضعف الثقة واتهام العلماء بالتقصير وكون أعمالهم حجة على الدين. هذا — وقد لهج الناس بآراء على أثر الاجتماع الهيفي الازميري .

فن قائل : ان العلماء المتأخرين من عادتهم أن يهربوا في مثل هذه النوازل من الاخذ بالأسباب والاصطبار على تحملها لمشقتها الشديدة ويلجؤون الى ما وراء الأسباب من خوارق المادات لسهولة ولا يهائم العامة انهم مرتبطون بعالم أرقى من هذا العالم المعروف النظام فيكبون الراحة والاحترام معاً فيظهرون على الأمة ظهور اجلال ويمتلكون قلوبهم ويسيطرون على أرواحهم ولهذا تمكثوا حتى فترت شررة الوباء فقرءوا تيميمهم ليوهوا ان الخطر انما زال ببركة تيميمهم وطالع بينهم

ومن قائل : انهم يخذعون أنفسهم بمثل هذه الاعمال بدليل ان من يعصاب منهم لا يعالج مرضه بقراءة كراسة من ذلك الكتاب بل يعتمد الى التجربات من النعنع والخل وماء البصل وما شابه أو يلجأ الى الطيب ولا تلفت نفسه الى الكراسة التي يعالج بها الأمة فهذا يدل على ان القوم يعملون على خلاف ما في وجدانهم لهذه الأمة خادعين أنفسهم بتسليم اعمال سلفهم . ومن قائل : ان عدوا من أعداء الدين الاسلامي أراد أن يشكك المسلمين فيه قد دخل عليهم من جهة تعظيمه فاوحى الي قوم من متعاليه السابقين أن يعظموا من شأنه ويرفعوا من قدره حتى يحملوه فوق ما جاءت له الاديان فيدعون كشف نوائب الأيام بتلاوة أحاديث خير الأنام ويروجون ما يقولون بأنه جرب وأن من شك فيه فقد طعن في مقام النبوة حتى اذا رسخت هذه العقيدة في الناس وصارت ملكة دينية راسخة عند الموام وجربوها فلم تفلح وقعوا والياذ بالله في الشك واصابهم دوار الحيرة كما حصل ذلك على أثر واقعة التل الكبير من كثير من الذين لم يتدققوا الدين من المسلمين حتى كانوا يسألون عن قوة البخاري الحربية ونسبته الى البوارج ساخرين



منه ومن قارنيه واو لا وقوف اهل الفكر منهم على أن هذا العمل ليس من الدين وأن القرآن يقول : عواذوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الخاضلوا واضلوا وقد جبرأ هذا الامر غير المسلمين على الخوض في الدين الاسلامي واقامة الحجة على المسلمين من عمل علمائهم ولا حول ولا قوة الا بالله

ويقول قوم : ان التقايد : انج بالعلماء مبالغاً حرم على العقول النظر في عمل الساف وان كذبت العيان . وخالف الحس والوجدان ، ويقول آخرون ممن لا خبرة لهم بجمعة العلماء في مثل هذه الكوارث : أما كان ينبغي لهم أن ينبشوا في المساجد والاندية والولائم حاثين الناس على الوقاية من العدوى معضدين الحكومة في تسكين سورة الاهلين مفاوضين الصحة في فتح المساجد وتعهدها بالنظافة فان هذا يرتبط بهم أكثر مما يرتبط بوقد أعيان القاهرة جزاء الله خير الجزاء

فان أعوزهم البيان وخاب القلوب بذلاقة اللسان فلا أقل من أن يؤلفوا رسالة في فهم ما ورد متشابهاً في موضوع العدوى حتى يعلم الناس ان الوقاية من الداء أمور بها شرعا وعقلا وسياسة فيكون كل فرد عارف عضداً للحكومة ولو طلبوا من الصحة طبع ما ألفوا وتوزيعه على المصالح والنواحي لبثت ذلك شاكرة وكان لهم الأثر النافع هذا ما يقوله القوم في شأن علمائهم رفعة اليهم ليكونوا على بينة منه لانهم لا يختلطون بالناس عالياً الا في الولائم والآنم وان اختلطوا فعلمنا يناقشونهم في شيء محرزاً من حديثهم في المناقشة وروايتهم مناظرهم لاول وهلة بالزيغ والزندقة فلذلك يجاملونهم ويوافقونهم خشية الهجر والمعاداة . أما أنا فاني لا أزال الخ في طلب الجواب الشافي عن أصل دفع الوباء بقراءة الحديث وعن منح من البخاري مزية لم يمنحها كتاب الله الذي نعتقد أنه متعبد بتلاوته دون الحديث ولو كان هذا العمل من غير العلماء الرسميين اضربت عنهم وعن عمالهم صفحاً ولما خطت كلمة ولكنه من علماء لهم مراكر رسمية يزاحمون بها مراكر الامراء فيجب أن يؤبه لهم وان ينظر لعملهم بازاء مراكرهم من الأمة التي يسألون عنها والله ولي التوفيق (متصح)

باب الوفاء والدرء

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

قد نشرنا من هذا الكتاب مقالين أحدهما اضطرهاد النصرانية للعلم بمقتضى



أصولها نشر في الجزء الحادي عشر الماضي واقتبسته جريدة المؤيد . وثانيتها أصول  
الاسلام القاضية بالتسامح مع العالم أينما وجدوا كرام العلماء من أي ملة كانوا نشر  
في هذا الجزء . وبلي هذا مقال آخر في نتائج هذه الأصول الاسلامية المذكورة  
في هذا الجزء . وآثارها في ترقية العلم والعمران . وايجاد مدنية فاضلة للانسان .  
وسينشر في الجزء الآتي . وبدأ بالشواهد التاريخية . وشهادات المؤرخين والفلاسفة  
من الأمم الأوربية . ويتبع هذا مقال رابع في شرح حالة المسلمين في هذا العصر .  
وما نكبوا به في كل قطر . ويختم الكلام بمقال خامس في كيفية معالجة الداء . وبيان  
الشفاء من البلاء . بحسب رأي هذا الطيب الروحاني . والامام الرباني . لازل ذخراً  
للإسلام . ومرشد الأنام . وسينشر ذلك تباعاً في المنار وربما وفقنا للتعجيل ببعض  
الاجزاء واصدارها قبل وقتها اكراماً للقراء . فقد رأينا منهم اقبالا على ما نشر واعجابا  
به لم نر ما يشابهه الا اعجابهم بالرد على موسيو هاتو . ولا غرو فهذه الحكم متدفقة  
من ينبوع واحد . لا ينكره مكابر ولا حاسد .

### ﴿ عبرة وتنبية . في موت وجهه ﴾

كتب اليانا من بومباي ( الهند ) انه توفي فيها « حسني بك نائب سفير الدولة  
العلية » فيها فاحتفل المسلمون بتشييده احتفالاً عاماً وغالتوا الدكاكين وتركوا جميع  
الأعمال عامة يومهم . وسيرسلون كتاباً يعززون به أهله في الاستانة العلية  
والاعتبار في الخبر من وجوه — أحدها شدة تعاق مسلمي الهند بالدولة العلية . لأنها  
أقوى الدول الاسلامية . وهذا أثر من آثار هداية الاسلام الذي من مقاصده جعل البشر كاهم  
إخوة . ولو وجد في الهند مثما يوجد في مصر من أحداث السياسة وخطباء الفتنة الذين  
يحثون قومهم على بغض كل من لا يمكن له نسب عريق في بلادهم ويسمّون هذا وطنياً لا بقي  
لحب الدولة العلية في قلوبهم عرق بغض . ولا لحقوق المسلمين حكم بفرض . ( وثانيتها ) ان آمال  
المسلمين لا تزال معلقة بالسياسة ورجالها . والحكومات وأعمالها . وليتهم ينظرون أولاً  
الى انفسهم وأعمالهم . ويعتمدوا بعد الله على كفاءتها واستقلالهم . ( وثالثها ) حرية  
الحكومة الانكليزية فلو ان أهل جاوه ارادوا أن يعملوا عملاً كهذا لتصدت لهم  
الحكومة الهولندية وصدتهم عنه . فيا ليت المساكين الذين هب عليهم نسيم الحرية المنعش  
للأرواح يعرفون كيف تكون به الحياة الطيبة ويعملون بما يعلمون ولا يحفلون بما  
يلفت به الغاشون الذين يقبحون لهم نعمة الحرية بدم مصدرها



## ﴿ السيد محمد المهدي السنوسي ﴾

نمت النابريقات أوربا في شهر المباحي هذا الرجل العظيم الذي أشهر بالعلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى والارشاد إلى طريق الرشاد فارتبنا في حجة الخبر وربنا به التكذيب ما كان إلا أن أكدته الجرائد الغربية تأكيذاً وتبعها غيرها .

وقد اطمأنا اليوم قبل طبع على كتاب من طرابلس الغرب لأحد التجار جاء فيه مانصه :  
« وردت مكاتيب مشعرة بوفاة الأستاذ المهدي وبالتحقيق لم يثبت ذلك إلى الآن »

أدلاً بالكلية بل المتحقق أنه انتقل إلى جهة من الجهات مجهولة .

« محاربة الفرنسيين بالأقطار السودانية لم يحصل على خبر منها إلى الآن وقد كان في تلك المحاربة رجل من الجزائر أتى إلى قسطنطينة إحدى الممالك الجزائرية وأرسل إلينا جواباً يفيد أنه قادم إلى طرفنا وعند وصوله نفهم منه حقيقة الواقع تفصيلاً وأجلاً وما الذي سيصنعه الفرنسيون بخصوص ما ذكر ونعرفكم بذلك والسلام » اهـ

وسأني البحث في ذلك وقول من يكذب خبر المحاربة فيما نشر من ترجمته

(الترجمة) جمع هذا الرجل من الصفات والحلال ، ما يندر أن يكون لأحد من الرجال .

— الشرف والعلم والزهد والارشاد وسيادة المصيبة فهو الرجل الديني الوحيد الذي

كانت تلهج بذكره الجرائد الأوربية وتستقري أعماله وتبع حركاته وسكناته وبني

عليها الآراء السياسية بل كان على زهده وانزوائه في زاويته أشبه بملك عظيم أوقاد

باسل مستعد لكفاح الأقران ، وفتوح البلدان ، وكان الناس في أوربا وفي الشرق

مختلفين في أمره ، وهائمين في أودية الظنون من شأنه ، والا كثرون يعتقدون أن

طريقته جامعة بين الدين والسياسة ومن أصولها الاستعداد للمدافعة والمقارعة عند الحاجة

إلى ذلك . واشتهر بين الناس في هذه البلاد وغيرها أن أتباعه كانوا يعتقدون أنه

المهدي المنتظر . وقد عرفت أحد دراويشه الصالحين من صحراء طرابلس الغرب

واستفدت منه فوائد كثيرة عن السنوسيين فكان مما قاله أنهم يعتقدون أن شيخهم هو

المهدي المنتظر وأنه سيحج ويبايع في حرم مكة أو في عرفة الشك . في ، وقال :

إذا ذهب سيدي المهدي إلى الحجاز فلا يتخلف أحد من المغاربة عن الحج في تلك

السنة إلا لعجز مفسد . وكان يقول أيضاً : أن من أصول الطريقة أحياء الأرض

وغرس الأشجار واقتناء السلاح . ونحن نعلم أن السنوسيين أتباعاً في مصر يكتمون

كل ما يعرفون من أمرها بل يكتمون في الغالب كونهم من أهلها

مثل هذه الأخبار وذلك الاحتبار ، هو الذي أثار في النفوس عندنا ما أثار .



وأما الأوروبيون فمشتا نواهم وأخلاقهم في السنوسيين حراند فرنسا وكسها  
( راجع صفحة ١٧٨ وما بعدها من مجلد المنار الأول بحذفه القول التي تؤيد هذا ) .  
وقد باننا أن الحكومة الفرنسية قد خصصت مئة ألف فرنك في كل سنة لمقاومة  
سلطة أصحاب الطريق في الجزائر وما يابها ويتصل بها وإن الذين يأخذون هذا  
المال هم الذين كانوا يعظمون أمر التيجانية ثم صاروا يعظمون أمر السنوسية بما  
يكتبونه في الجرائد والكتب والله أعلم بالحقيقة . وإنما غرضنا من هذه الجملة كلها  
بيان اختلاف الناس في أمر السنوسية وعذرهم في هذا الاختلاف

وقد كتب في جريدة ( الحاضرة ) التونسية مقالة بتوقيع ( محمد الحشايشي )  
في بيان الطريقة السنوسية وترجمة صاحبها . قال الكاتب انه كتب عن عام وروية  
لأنه ساج في الصحراء الكبرى وما جاورها من البلاد المجهولة واختبر السنوسيين  
الاختبار التام وكتب في ذلك رحلة سماها الرحلة الصحراوية . وخلص من مقالته  
المفيد لأنها أوسع ما كتبه المسلمون في هذا الرجل الكبير فنقول

ساق أولاً نسبه الى سيدي ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط  
ابن علي من قاطمة الزهراء عليهم السلام . ثم قال ان صاحب الترجمة من مدينة مستغلم  
بعمالة وهران ( التابعة للجزائر ) من قبيلة الخطاطبة . ارحل والده الى مدينة فاس في  
سنة ١٢٢٩ بعد أن حفظ القرآن بالروايات السبع وكان ابن ثمان فاجتمع بالشيخ أحمد  
التيجاني شيخ الطريقة التيجانية الشهير وتلقى هناك العلوم حتى برز فيها ثم ارحل الى  
المشرق سنة ١٢٤٥ قاصداً أداء فريضة الحج . وظهرت له كرامات عديدة في طريقه  
فأقام بمكة المشرفة سنين عديدة ونشر في أثناءها طريقته المستمدة من نفس الطريقة  
الحمدية التي أخذ إحازتها عن سيدي أحمد بن ادريس . فانتشرت الطريقة في الحجاز  
واليمن الى ان بلغت العراق وفي سنة ١٢٥٩ انتقل الى الجبل الأخضر من وطن درنه  
وبنغازي ( من ولاية طرابلس الغرب ) وتصدى الارشاد . وولده صاحب الترجمة  
سنة ١٢٦٠ بالزاوية البيضاء فرباه التربية الدينية في مهد العلم والارشاد . حفظ القرآن في  
الثامنة ثم حفظ الكثير من المتون الفقهية وغيرها واشتغل بطلب العلم على الاستاذ الحافظ  
لشيخ أحمد الربيعي بعد ما قرأ القرآن على . وودبه الشيخ هاشم الصفاقي والحافظ الشيخ  
مدين وأخذ عامي التفسير والتصوف عن والده وعلوم الادب عن الشاعر الأديب الشيخ  
محمد أبو سيف وعامي الحديث والأصول عن الشيخ أحمد الربيعي . جميع هؤلاء من علماء  
المغرب بعضهم من الاقصى وبعضهم من الاذي



بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي يستمعون القول  
فيعملون حسنة أولئك الذين هم  
أولئك هم أولئك الذين هم

# المكتبة

١٣١٥

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي يستمعون القول  
فيعملون حسنة أولئك الذين هم  
أولئك هم أولئك الذين هم

( قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و مناراً ، كمنار الطريق )

( مصر في يوم الجمعة غرة رجب سنة ١٣٣٠ - ١٣ أكتوبر ( تشرين ) سنة ١٩٠٢ )

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية .

( وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العليم )

( نتائج هذه الاصول وآثارها في المسلمين )

الى م أفضت طبيعة الاسلام بالمسلمين ؟ وماذا كان أثرها في اسلافهم  
الأولين ؟ - فتبع عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر واستولى بجيشه  
على الاسكندرية بعد لحاق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرفيق  
الاعلى بست سنوات في رواية وتسع سنوات في رواية أخرى والاسلام  
في طلوع فجره ، وتفتح نوره ، فكان من بقايا ما تركت الازمان الأولى  
رجل مسيحي من اليعقوبيين اسمه يوحنا النحوي كان في بدء أمره ملاحاً  
يهر الناس بسفينته وكان يميل الى العلم بطبيعته فاذا ركب معه بعض اهل  
العلم اصفى الى مذاكرتهم . ثم اشتد به الشوق فترك الملاحة واشتغل بالعلم



وهو ابن أربعين سنة فبلغ فيه ما لم يبلغه الناشئون فيه من طغوليتهم وقد أحسن من العلم فنونا كثيرة حتى عدَّ من فلاسفة وقته وأطبائه ومناطقته يقول كثير من مؤرخي القرنين ومؤرخي المسلمين أن عمرو بن العاص سمع به فاستدناه منه وأكرمه لعلمه ووقعت بينهما محبة ظاهرة أمرها واشتهر حتى قال أحد فلاسفة القرنين : « ان المحبة التي نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر ويوحنا النحوي ترينا مبلغ ما يسمو اليه العقل العربي من الأفكار الحرة والرأي العالي . بمجرد ما اعتق من الوثنية الجاهلية ودخل في التوحيد الحمدي أصبح على غاية من الاستعداد للجولان في ميادين العلوم الفلسفية والأدبية من كل نوع »

خالط المسلمون أهل فارس وسوريا وسواد العراق وأدخلوهم في أعمالهم ولم يمنعه دين عن استعالمهم حتى كانت دفاتهم بالرومية في سوريا ولم تغير بالعربية إلا بعد عشرات من السنين فاحتكت الأفكار بالأفكار وأفضت سماحة الدين الى أن أخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع

سخر اشتغال المسلمين بالعلوم الأدبية ثم العقلية

وبعد عشرين سنة من وفاته عليه الصلاة والسلام أخذ الخليفة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه يحض على تعليم الآداب العربية ويطلب وضع القواعد لها لما رأى من حاجة الناس الى ذلك . وأخذ المسلمون يحسسون نور العلم في ظلام تلك الفتن استرسالا مع ما يدعوم اليه دينهم وتنبيههم لطلبه شريعتهم . وان كانت الحروب الداخلية التي اشتعلت نارها في أطراف بلادهم للنزاع في أمر الخلافة قد شغلهم عن كل شيء من مصالحهم فانها لم تشغلهم عن تلمس العلوم والتناول منها بالتدريج على



سنة الفطرة . فالبراعة في الآداب من علم بوقائع العرب وتاريخهم وقول  
الشعر وإنشاء البليغ من النثر قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغاً لم تبلغه أمة  
قط في مثل مدتها . وكان الخلفاء الأمويون يملون منزلتها ويرفعون  
مكانات الشعراء والخطباء والعلماء بالسير . ثم ظهرت آثار العلوم العقلية في آخر  
دولتهم وترجمت جملة من الكتب العقلية والصناعية قبل نهاية القرن الأول .  
نقل الخلفاء الأمويون دار الخلافة من المدينة إلى الشام ولم يسيروا  
في الزهد سيرة الخلفاء الراشدين فقد جاء رسول من الفرس إلى عمر بن  
الخطاب رضي الله عنه فلما سئل عنه ذلّ عليه فذهب إليه فإذا هو نائم على  
الأرض تحت نخل البقيع بين الفقراء وجاءت رسل الملوك إلى معاوية  
رحمه الله فإذا هو في قصر مشيد محليّ البنيان بأجل ما يكون من الصنعة  
العربية مزين بالجنان والرياض وينابيع الماء مفروش بأحسن الفرش يرى  
الناظر فيه أنحر الأثاث والرياش . ولم يكن معاوية في ذلك قد خالف  
الدين أو حاد عن طريقه وإنما تناول مباحاً وتمتع برخصة آتاه الله إياها ولا  
يجزئ ما في ذلك من ترويح فنون الإبداع في الصنعة على اختلاف ضروبها  
استغاثهم بالعلوم الكونية في أوائل القرن الثاني .

انقضت دولة بني أمية والناس في ظلمات من الفتن كما قلنا ودالت  
الدولة لبني العباس واستقرت في نصابها من آل بيت النبي قرب نهاية الثلث الأول  
من القرن الثاني للهجرة (سنة ١٣٢) ثم نقل المنصور عاصمة الملك إلى بغداد  
فصارت بعد ذلك عاصمة العلم والمدينة أيضاً . وأخذ المنصور ينشي المدارس  
للطب والشريعة وكان قد جعل من زمنه ما ينفعه في تعلم العلوم الفلكية  
وأكل حفيده الرشيد ماضع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة



لتعليم العلوم بأنواعها . وجاء المأمون فوصلت به دولة العلم الى أوج قوتها ، ونالت بها أكبر ثروتها ، ويقال انه حمل الى بغداد من الكتب المكتوبة بالقلم ما يشغل مئة بعير . وكانت من شروط صلحه مع ميشيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الاستانة . فوجد مما فيها من النفائس كتاب بطليموس في الرياضة السماوية فأمر المأمون في الحال بترجمته وسموه بالمجسطي . ولايسهل على كاتب إحصاء ما ترجم من كتب العلوم على اختلافها في دولة بني العباس أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم

من أنشأهم دور الكتب العامة والخاصة

وقد أخذت دول الاسلام تعني بديار الكتب عناية لم يسبقها مثلاً من دول سواها حتى كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مئة ألف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك لا غير . وكان من نظامها أن تعار بمض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة . وكانت فيها كرتان سماويتان أحدهما من الفضة يقال ان صانعها بطليموس نفسه وإنه أنفق فيها ثلاثة آلاف دينار . والثانية من البرنز . ومكتبة الخلفاء في اسبانيا بلغ ما فيها ست مئة ألف مجلد . وكان فهرستها أربعة وأربعين مجلداً . وقد حققوا انه كان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية . وكان في هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالعة والنسخ والترجمة

وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويحملون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوي عليه . يقال ان سلطان بخاري دعا طبيباً أندلسياً ليزوره فأجابه ان ذلك لا يمكنه لأن كتبه تحتاج الى أربعمئة جمل لتحملها وهو لا يستغني عنها كلها . وكان حنين ابن اسحق النسطوري في بغداد ممن جعل



في داره مكتبة عامة يقد إليها طلاب العلوم العقلية والرياضية وكان يبرع  
بمذاكرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه .

انشأواهم المدارس للعلوم وكيفية التدريس

غطى بسيط المملكة الإسلامية على سعتها بالمدارس . تقول « على  
سعتها » لأنها زادت في السعة على المملكة الرومانية بكثير . فكنت تجد  
المدارس في كل الاقطار - في المغرب . في الشرق . في النصارى من جهة الشرق . في  
مراكش . في فاس . في اسبانيا من جهة المغرب .

كانت طريقة الاساتذة في التدريس أن كل مدرس يُعَدُّ درسه  
ويكتب في الموضوع الذي يلقي الدرس فيه ما يريد ان يكتب ثم يلقيه على  
التلامذة وهم يكتبون عنه ثم تكون هذه الدروس كتباً وأمثالٍ تنشر بين  
الناس في كل علم . وهنا نبادر الى القول بأن المؤرخين قد أجمعوا على  
ان جميع المقالات والكتب كانت تنشر ويتداولها الناس بدون أدنى  
مراقبة ولا حجب ولا نقص شيء مما كتب صاحب الكتاب غير ان مؤرخاً  
واحداً رأيته ذكر أنه قد وضع قانون في بعض الممالك الإسلامية لنشر  
كتب العقائد مقتضاه ان لا ينشر منها شيء الا باذن . على أني لا أعلم شيئاً  
من ذلك وقع في الممالك الإسلامية أيام كان الاسلام إسلاماً

نرجع الى الكلام في المدارس الإسلامية . يقول جيون في كلامه  
على حماية المسلمين للعلم في الشرق وفي الغرب : « ان ولاية الأقاليم والوزراء  
كانوا ينافسون الخلفاء في اعلاء مقام العلم والعلماء ، وبسط اليد في الانفاق  
على إقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه . وكان عن ذلك ان ذوق  
العلم ووجدان اللذة في تحصيله قد انتشرا في نفوس الناس من سمرقند



وبخارى الى فاس وقرطبة . انفق وزير واحد لأحد السلاطين ( هو نظام الملك ) مائتي ألف دينار على بناء مدرسة في بغداد وجعل لها من الريع يصرف في شؤونها خمسة عشر ألف دينار في السنة . وكان الذين يُعَدُّون بالمعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم المظالم في المملكة وابن أفقر الصنائع فيها . غير ان الفقير ينفق عليه من الريع المخصص للمدرسة وابن الغني يكتفي بمال أبيه . والمعلمون كانوا يُنقدون رواتب وافرة » اهـ

انقسمت الممالك الإسلامية في زمن من الأزمان الى ثلاثة أقسام وتنازع الخلافة ثلاث شيع . كان المباسيون في آسيا ( الشرق ) والامويون في الأندلس من أوربا ( الغرب ) والفاطيون في مصر من أفريقيا ( الوسط ) . ولم يكن تنافس هذه الدول الثلاث قاصراً على الملك والسلطان ولكن كان التنافس أشد التنافس في العلم والأدب . وكان مرصد سمرقند قائماً في ناحية المشرق يشير الى ما كان عليه المشرقيون من العناية بالرياضة الافلاك ، ومرصد جيرالد في الأندلس يجيبه بأن أهل المغرب ليسوا بأحط منهم في الادراك ،

جميع المدارس في البلاد الإسلامية أخذت نظام الامتحان في المدارس الطبية عن مدرسة الطب في القاهرة وكان من أشد النظمات وأدقها . ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادة بأنه فاز في الامتحانات على شدة . وأول مدرسة طبية أنشئت في قارة أوربا على هذا النظام المحكم هي أنشأها العرب في ساليرن من بلاد ايطاليا . وأول مرصد فلكي أقيم في أوربا هو الذي أقامه العرب في أشيلية من بلاد اسبانيا



ولم المسلمون بالعلوم الكونية على اختلافها، والفنون الأدبية بجميع أنواعها، حتى القصص والاساطير الخيالية، في الأحوال الاجتماعية، وابتدأوا بأخذ العلم عن اليونانية والسريانية، وأخذوا ينقلون كتب الأولين من تلك اللسان إلى اللغة العربية بالترجمة الصحيحة. وكان مترجموهم في أول الأمر مسيحيين وصابئين وغيرهم ثم تعلم كثير من علماء المسلمين اللسان اليوناني واللاتيني وكتبوا معاجم في اللسانين. وذلك كله ليأخذوا العلوم من أصولها، وينقلوها إلى لسانهم على حسب ما يصل إليه علمهم فيها، وكان المعلمون لأبناء العظماء في أول الأمر من المسيحيين واليهود ثم انشئت المدارس الجامعة وكان المدرسون فيها من كل ملة ودين. كل يعلم العلم الذي عرف هو بالبراعة فيه

#### ❦ علوم العرب واكتشافاتهم ❦

كان علم العرب في أول الأمر يونانياً لكنه لم يلبث كذلك إلا دون قرن واحد ثم صار عربياً. ولم يرض العربي أن يكون تلميذاً لأرسطو وأفلاطون أو أقليدس أو بطليموس زمناً طويلاً كما بقي الأوربي كذلك عشرة قرون كاملة من التاريخ المسيحي

قالوا إن باكون هو أول من جعل التجربة والملاحظة قاعدة للعلوم المصرية وأقامها مقام الرواية عن الأساتذة والتمسك بأراء المصنفين وأطلق العلم من رق التقليد. ذلك حق في أوروبا. أما عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها في أواخر القرن الثاني من الهجرة. أول شيء تميز به فلاسفة العرب عن سواهم من فلاسفة الأمم هو بناء معارفهم على المشاهدات والتجربات وان لا يكتفوا بمجرد المقدمات العقلية في



العلوم ما لم تؤيدها التجربة حتى لقد نقل جوستاف لوبون عن أحد فلاسفة  
الأوربيين : أن القاعدة عند العرب هي « جرب وشاهد ولا حظ تكن  
عارفاً » وعند الأوربي الى ما بعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي « اقرأ في  
الكتب وكرر ما تقول الاساتذة تكن عالماً » . ( فلي نظر المصريون وغيرهم  
من الشرقيين كيف انقلب الحال ، وماذا أعقب من سوء المآل )

قال دي لامبر في تاريخ علم الحياة : « اذا عددت في اليونانيين اثنين  
أو ثلاثة من الراصدين امكنك ان تعد من العرب عدداً كبيراً غير  
محضور » . أما في الكيمياء فلا يمكنك ان تعد مجرباً واحداً عند اليونانيين  
ولكنك تعد من المجربين مئين عند العرب ولهذا عدت الكيمياء  
الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم . وقد كانوا يعدون الهندسية  
والفنون الرياضية من الآلات المنطقية ، يستعملونها في الاستدلال على  
القضايا النظرية ، وهي من أصدق الأدلة في الايصال الى المجهولات  
كما هو معروف

العرب هم أول من استعمل الساعات الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن  
وهم أول من اتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض . وقد اكتشفوا  
قوانين لثقل الأجسام جامدها ومائعها حتى وضعوا لها جداول في غاية  
الدقة والصحة كما وضعوا جداول للأرصاء الفلكية وكانت تلك الجداول  
معروفة بطالع عليها الناظرون في سمرقند وبغداد وقرطبة حتى لقد وصلوا  
بتلك القوانين الى ما يقرب من اكتشاف الجاذبية

لا يمكنني في مقالتي هذا ان أعد ما اكتشف العرب ولا ما زادوه في  
العلوم على اختلاف أنواعها فذلك يحتاج الى سفر كبير . وقد أحصى ذلك



أهل المعرفة والانصاف من فلاسفة الأوربيين ومؤرخيهم . وربما يتيسر  
لأبناء الأمة العربية أن ينشروا ذلك لأخوانهم حتى يعرفوا ما كان عليه  
أسلافهم .<sup>(١)</sup> ولكني أذكر كلمة قالها بعض حكماء الغربيين<sup>(٢)</sup> : « تأخذنا  
الدهشة أحياناً عند ما ننظر في كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم  
تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقى الكائنات العضوية وتدرجها  
في كمال أنواعها فان هذا الرأي كان مما يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا  
يذهبون به الى أبعد مما ذهبنا فكان عندهم عاماً يشمل الكائنات غير  
العضوية والمعادن . والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى  
المعادن في أشكالها . قال الخازني : اذا سمع الشعب الجاهل ما يقال بين  
العلماء ان الذهب قد تقلب في الأشكال المختلفة حتى صار ذهباً ظن من  
هذا أنه مرّ في صور معادن أخرى فكان رصاصاً ثم قصديراً ثم صفراً ثم  
فضة ثم صار بعد ذلك ذهباً ولا يعلم ان الفلاسفة اذا قالوا ذلك فانما  
يقصدون منه ما أرادوه من قولهم في الانسان انه وصل الى حالته الحاضرة  
بالتدرج ومن طريق الترقى وهم لم يعنوا بقولهم هذا انه تقلب في صور  
الأنواع المختلفة كأن كان ثوراً ثم حميراً ثم فرساً ثم قرداً ثم صار بعد ذلك  
إنساناً اه ويقول الفيلسوف كوستاف لوبون : « ان العرب أول من علم  
العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين »

وهنا أنكر على بعض فلاسفتهم ما نقلوه عن ابن رشد من انه ذهب  
في حرية الرأي الى نقض أصل الدين وقال إن الروح لا بقاء لها بعد فناء

(١) قد نشرنا جملة صالحة من ذلك في مقالات (مدنية العرب) في المجلد

الثالث (٢) هو الفيلسوف درابر الاميركاني



الجسد وإنما الذي يبقى هي أرواح الأنواع . فإن هذا خطأ عرض لهم من سوء فهم كلامه في بيان بقاء الأنواع دون الأشخاص فانه قال كما قال ارسطو وغيره : ان الأشخاص توجد وتفتنى وأما الأنواع فهي باقية لا تزول . وهذا باب آخر يفاير بالمرّة ما استنتجوا منه (وقد سبق الكلام في بيان رأيه من وجه آخر) <sup>(١)</sup> كما أخطأوا في قولهم عنده إنه كان يعتقد بأن الله روح العالم يظهر في صورته والكل يرجع اليه بمعنى انه يقنى في ذاته ولا يبقى في العالم باق آخر وهو يقرب من قولهم السابق . فان ابن رشد كان مسلماً وكان يعرف ان الاسلام لا ينافي العلم وإنما ينافي هذا الضرب من الوهم الذي لم يسقط فيه أحد الا من عثر في طريق العلم أو الاسترسال مع الخيال . وكثير ممن سكروا بهذا الرأي أفاقوا منه . ولكن كتب ابن رشد التي بين أيدينا تبعد بنا عن نسبة هذا الرأي اليه كما سبق بيانه <sup>(٢)</sup> ولكنني لا أنكر نسبته لو نسب الى ابن سبغين وهو ممن أخذ عن تلامذة ابن رشد فان في كلامه ما يدل على ذلك

ويقول فيلسوف آخر : « ان العلوم التي تلقاها العرب عن اليونانيين وغيرهم وكانت ممتدة بين دفات الدفاتر مقبورة بين جدران المكاتب أو مخزونة في بعض الرؤس كأنها أحجار ثمينة في بعض الخزائن لاحظاً للإنسانية منها سوى النظر اليها — صار عند العرب حياة الآداب ، وغذاء الأرواح ، وروح الثروة ، وقوام الصنعة ، ومهمازاً للقوى البشرية يسوقها الى كمالها الذي أعدت له . وليس في الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر ان الفضل — في إخراج اوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها

(١) و (٢) قد سبق ذلك في المقالة الاولى التي رد بها الكاتب على الجامعة



كيف ننظر وكيف نتفكر وفي معرفتها ان التجربة والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبني عليهما العلم -- انما هو للمسلمين وآدابهم ومعارفهم التي حملوها اليهم وأدخلوها من اسبانيا وجنوب ايطاليا وفرنسا عليهم . وكان من حظ العلم العربي والأدب المحمدي عندما دخل الى ايطاليا ان البابا كان غائباً لأن كرسيه كان انتقل الى فرنسا في أفينيون نحو سبعين سنة فدب العلم الى شمال ايطاليا واستقر به القرار هناك . ان شوارع باريس لم تفرش بالحجارة الا في القرن الثاني عشر وقد رصت بالبلاط على نحو مارصت به مدن اسبانيا . اه  
ويقول آخر : « لا أدري كيف أعطانا الاسلام في مدة قرنين عدداً من الفلاسفة يطول سرد أفرادهم وان الكنيسة تسلطت على العالم المسيحي اثنى عشر قرناً في اوربا ولم تمنحنا فكراً واحداً »

هذا النماء والازكاء العلمي لم يكن خاصاً بطائفة دون طائفة بل كان الناس في التمكن من تناوله سواء . وانما كان التفاضل بالجد والمعمل . والفضل في ذلك كله حلم الخلفاء وعمائمهم وسماحة الدين ويسره وسهولته على أهله وأهل ذمته . قال بعض فلاسفة الغربيين قولاً يعرفه الحق وثبته المشاهدة : « ان شعوب الأرض لم ترق قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ ( يريد فاتحي الاسلام على اختلافهم ) ولا ديناً بلغ في لينه ولطفه هذا الحد »

أخذ الخلفاء والأمراء . بيد العلم والعلماء

ان الخلفاء الذين يقال عنهم انهم رؤساء دين وحكام سياسة معاً كانوا هم بأنفسهم المتعلمين للعلوم الداعين الى تعلمها . كانوا العالمين الماملين . كان خليفة كالمامون يضطهد أحياناً أعداء الفلسفة . وقد عرف التاريخ كثيرين من أرباب الشهرة الذين قضوا في سجنه الشهور أو السنين لأنهم كانوا



يعادون الفلسفة ظناً منهم ان منها ما يدعو على الدين فيفسده . هل رأيت في غير الاسلام رئيساً دينياً يضطهد أعداء العلم وجفاة الفلسفة ؟ لملك لا يجده أبداً كان أهل العلم والأدب عامة يجدون من الاحترام عند الخلفاء والأصراء والخاصة ما يليق بهم كيفما كان حالهم . وسأضرب المثل بالشيخ أبي العلاء المعري لشهرته بين الناس بما يشبه الزندقة : يذكر علي بن يوسف القعطي أن صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى المعرة وقد عصى أهلها عليه فنازلها وشرع في حصارها ورماتها بالمنجنيق فلما أحسن أهلها بالغلب سمعوا الى أبي العلاء بن سليمان وسألوه ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فأكرمه صالح واحترمه ثم قال : ألك حاجة ؟ قال : الأمير أطال الله بقاءه كالسيف القاطع لان مسه وخشن حده ، وكأنهار البالغ قاطر وسطه وطاب برده ، « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » فقال له صالح قد وهبتها لك . ثم قال له انشدنا شيئاً من شعرك لنرويه فانشده على البديهة أبياتاً فيه فترحل صالح . فانظر كيف وهب الأمير بلداً عصى أهله لفيلسوف معروف بما هو عنه معروف . ولو ذكرت مانال العلماء والفلاسفة عند الأصراء والخلفاء ل طال بي المقال أكثر مما طال وفيما سبق كفاية لمكتف

حقيقة إزالة شبهتين وبيان حقيقة الاضطهاد

قد يتوهم قوم ان الاضطهاد قد يظهر في مقت العامة وخلقهم ما يخلقون من المفتريات على أهل العلم والفكر الحر وهمس بعضهم في آذان بعض وتناصرهم على أهل الفضل ولمزم إياهم بالألقاب بل واحتقارهم في بعض الأحيان وهذا النوع منه عند المسلمين بلا تكبر . وهو خطأ ظاهر لأن



هذا النوع مما يكره أهل العلم لا تخلو منه أرض ولا تظهر منه بلاد منها بلغ أهلها من الحرية ومما بلغ ذوق العلم من نفوس أهلها فإن القائمين على عقيدة الكاثوليك الى اليوم في أرض فرنسا نفسها يعتقدون الفلاسفة الذين يظهرون بمعاداة الكنيسة ويكتبون ما يوهن قواعدها وقد يخلق عليهم أحزاب الكاثوليك ما لم يقولوه ويرون ان النظر في كتبهم لا يجوز في شريعة الدين . ونحن لا نرتاب في ان نحو هذا كان عند المسلمين أيام كانت سوق الفلسفة رائجة عندهم ولكنه ليس من الاضطهاد في شيء وإنما هي نفرة الانسان مما لا يعرف مع ترك صاحبه وشأنه يمضي في سبيله الى حيث يشاء

يقول آخرون : ان التاريخ يروي لنا ان بعض أرباب الأفكار قد أخذوا السيف لفلوّه في فكره فلم يترك له من الحرية ما يتمتع به الى منتهى ما يبلغ به وليس يصح أن ينكر ما صنع الخليفة المنصور وغيره بالزيادة وأقول : ان كثيراً من الفلّو اذا انتشر بين العامة أفسد نظامها وأضرّ بأمنها كما كان من آراء الحلاج وأمثاله<sup>(١)</sup> فتضطر السياسة للدخول في الأمر لحفظ أمن العامة فتأخذ صاحب الفكر لا لأنه تفكر ولكن لأنه لم يرد أن يقصر حق الحرية على شخصه بل أراد أن يقيد غيره بما رآه من الحرية لنفسه مع أن غيره في غنى عما يراه هو حقاً له وتخشى الفتنة اذا استمر مدعي الحرية في غلوّاته فلماذا يرى حفاظ النظام أن أمثال هؤلاء يجب أن ينقّي منهم المجتمع صوتاً له عما يزعم أركانه . ونحن نرى الفلسفة

(١) المنار — ذكر امام الحرمين في كتابه (الشامل) في اصول الدين انه كان بين الحلاج والجنابي رئيس القرامطة اتفاق سري على قلب الدولة وان ذلك هو السبب في قتل الحلاج



اليوم تضطهد الدين هذا الضرب من الاضطهاد . ألم تقض الحكومة الفرنسية على الراهبين والراهبات أن تكون جمعياتهم ومدارسهم تحت سيطرة الحكومة وان لا ينشأ شيء منها الا بإذن من الحكومة ومن لم يخضع لذلك تحل جميته وتقتل مدارسه بقوة السلاح . وقد ينفي من البلاد كما نفي كثيرون في سنين سابقة ؟ ولكن هل يسمى هذا اضطهاداً ؟ كلا ولكن الاضطهاد حق الاضطهاد هو اضطهاد محكمة التفتيش واضطهاد رؤساء الاصلاح بعدها في أول نشأتهم

ماذا يقول القائلون ؟ ان التعليم عند المسلمين كان غريباً أمره ، يكاد يكون خفياً سره ، مسجد أو مدرسة تابعة لمسجد يجلس فيها للتدريس الفقيه والمتكلم والمحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والملكى والمهندس . ينتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ومن مجلس الحديث الى مجلس الأدب . واذا وقت مذاكرة بينهم في مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في الإقناع والإلزام وسقطت قيمة الغلو في التعبير وأخذ التسامح بينهم مأخذه . كان عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة وأشدهم صلابة في أصول مذهبه ومع ذلك هو من مشايخ الامام البخاري صاحب الصحيح وكانت له منزلة عند المنصور تلو كل ذي منزلة عنده حتى قال له يوماً وهو خارج من بين يديه : « رميت لكل الناس حباً فلقطوا الا أنت يا عمرو بن عبيد » فانظر كيف كان لامام من أئمة السنه أن يصل سنده في الحديث برئيس من رؤساء المعتزلة ولا يرى في ذلك بأساً

اذا عدّ عادّ بعض رجال العلم الذين أخذتهم القسوة في الاسلام وقتلهم حماقة الملوك باغراء الفقهاء وأهل الغلو في الدين فما عليه الا أن ينظر



في أحوالهم فيقف لأول وهلة على ان الذي آثار أولئك عليهم ليس مجرد  
 المصيبة للدين وأن ليست الفيرة عليه هي الباعث لهم على الوشاية بهم  
 وطلب تنكيلهم . وإنما تجمد الحسد هو العامل الأول في ذلك كله والدين  
 آلة له . ولهذا لا ترى مثل ذلك الأذى يقع الا على قاضي قضاة ( كآبن  
 رشد ورجوع الحاكم الى العفو عنه وإنزاله منزله دليل على ذلك ) أو وزير  
 أو جليس خليفة أو سلطان أو ذي نفوذ عظيم بين العامة . وهذا كما يقع  
 من الفقهاء مثلاً لا يذاه الفلاسفة يقع من الفقهاء بعضهم مع بعض لا يهلك  
 بعضهم بعضاً كما يشهد به العيان ويحكى لنا التاريخ فليس هذا كذلك معدوداً  
 من معنى اضطهاد الدين الفلسفة لأن التعاسد أكثر ما يقع بين من لا دين  
 لهم على الحقيقة وان لبسوا لباسه . وإنما ذلك الاضطهاد هو الذي يحمل  
 عليه محض الاختلاف في العقيدة أو ظن المخالفة للدين في شيء من العلم أو  
 العمل لضيق الدين عن ان يسمع المخالف بجانبه وهذا لم يقع في الاسلام .  
 اللهم الا أن يكون حادث لم يصل إلينا

هذه طبيعة الدين الاسلامي عرضت عليك في أهم عناصرها  
 ومقومات مزاجها . وهذا كان أثرها في العالم الشرقي والغربي . وهذه  
 سعة فضل الدين وقوته على احتمال مخالفته وتيسيره لأولئك المخالفين ان  
 يحتموا به متى رضوا بأن يستظلوا بظله . هل في هذا خفاء على ناظر ،  
 وهل يرضى لبيب لنفسه أن ينكر الضوء الباهر ، أفلا يبسم الاسلام عجباً  
 وهو في أشد الكرب لمقوق أنبائه ، من أديب لم يكن يعدة من أعدائه ان لم  
 يحسبه في أحبابه ، عند ما يراه يستدسهم اليه ، ويجور كما يجور  
 الجائرون في حكمه عليه ؟؟



## ﴿ الاسلام اليوم - أو الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام ﴾

﴿ المقال الرابع لذلك الامام الحكيم ﴾

ربما يسأل سائل فيقول : سلمنا ان طبيعة الاسلام تأتي اضطهاد العلم بمعناه الحقيقي وأنه لم يقع من المسلمين الأولين تعذيب ولا إحراق ولا شق لحمة العلوم الكونية ، ومقومي العقول البشرية ، لكن أليس العلماء من المسلمين اليوم أعداء العلوم العقلية ، والفنون العصرية ، أوليس الناس تبعاً لهم ؟ أفلا يكون للأديب عذره فيما يراه ويسمعه حوله ؟ ألم يسمع بأن رجلاً في بلاد اسلامية غير البلاد المصرية كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه الى ما ذهب اليه أئمة المسلمين كافة . ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفية وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون مما رزى به أو ما يقرب من هذا وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبله . فلما طبع مقاله في مصر تحت اسمه هاج عليه حملة العائمه ، وسكنة الاثواب المباعية ، وقالوا انه مرق من الدين ، أو جاء بالإفك الميين ، ثم رفع أمره الى الوالي فقبض عليه وألقاه في السجن . فرفع شكواه الى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله الى العاصمة ليثبت براءته مما اختلق عليه بين يدي عادل لا يجور ، ومهيمن على الحق لا يحيف ، الخ ما يقال في الشكوى . فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ولم يعف عنه الا بعد أشهر مع انه لم يقل الا ما يتفق مع أصول الدين ولا ينكره القارئ والكاتب ، ولا الآكل والشارب ،

ألم يسمع السامعون ان الشيخ السنوسي ( والد السنوسي صاحب الجنوب ) كتب كتاباً في أصول الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول



المالكية وجاء في كتاب له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الاحكام من الكتاب والسنة مباشرة وقد يرى ما يخالف رأي مجتهد أو مجتهدين . فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية ( رحمه الله تعالى ) وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حربة وطلب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لأنه خرق جريمة الدين ، واتبع سيلا غير سبيل المؤمنين ، وربما كان يجترئ الأستاذ على طعن الشيخ السنوسي بالحربة لو لاقاه وإنما الذي خلص السنوسي من الطعنة ، ونجى الشيخ المرحوم من سوء المغبة ، وارتكاب الجريمة باسم الشريعة ، هو مفارقة السنوسي للقاهرة قبل ان يلاقيه الأستاذ المالكي .

هل غاب عن الأذهان ما كان ينشر في الجرائد من نحو ثلاث سنين بأقلام بعض علماء الجامع الأزهر من المقالات الطويلة الأذيال الواسعة الأردان في استهجان إدخال علم تقويم البلدان ( الجغرافيا ) بين العلوم التي يتلقاها طلبة الجامع الأزهر ؛ وكان كتاب تلك المقالات يعرضون بمن أشار بإدخال هذا العلم وغيره بين تلك العلوم وأنه إنما يريد الغرض من علوم الدين . أم لم تنشر في العام الماضي فصول بأقلام بعضهم تشير الى الطعن في عقيدة البعض الآخر وإرادة التشهير به مع أنه لم يجهر بمنكر ولم يقل قولا يبعد عن الكتاب والسنة ؟

ألم تحمل الينا الرواة ما عند علماء الأفغان والهند والمعجم من شدة التمسك بالقديم ، والحرص على ما ورثوا عن آبائهم الأقربين ، وإقامة الحرب على كل من حاول ان يزعجهم أصعباً عما كان عليه سلفهم ، وان كان في البقاء عليه تفهم ، وما عليه الحال اليوم في حكومة المغرب من الفلأ في التعصب والمماقبة بقطع بعض الأعضاء في شرب الدخان أو بالقتل



في كلمة ينكرها السامعون ، وان أجمع عليها المسلمون الآخرون ،  
ثم ألا تخيل المؤمن انه يسمع من جوف المستقبل صخباً ولجياً وضوضاء  
وجلبة ، وهيئات مضاربة ، اذا قيل انه ينبغي لطلبة الأزهر ان يدرسوا  
طرفاً من مبادئ الطبيعة أو يحصلوا جملة من التاريخ الطبيعي ؟ ألا تقوم  
قيامه المتقين ، ألا يصبحون أجمعين أكتعين أبتعين : هذا عدوان على  
الدين ، هذا توهين لعقده المتين ، هذا تغريب بأهله المساكين ، ولا يزالون  
يشيرون بهذا الى ان لا يبقى شيء عرف له اسم في اللغة الا الصقوه بهذه  
البدعة في زعمهم

هل هذه الحال جديدة على المسلمين حتى يقال إنها عارض عرض  
عليهم ، أو مرض من الامراض الوافدة اليهم ، ؟ لا يسرل على من يعرف  
أحوال المسلمين تحت نظره من قرون متعددة أن يظن ان هذه الحال  
من الملل الطارئة على أمة خاصة عند ما يجد الوحدة في الصفات ،  
والشمول في جميع الاعتبارات ، فلو أخذ مسلماً من شاطئي الاطالانطيق  
وأخر من تحت جدار الصين لوجد كلمة واحدة تخرج من أفواههما وهي :  
« إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » وكلهم أعداء لكل  
مخالف لما هم عليه وإن نطق به الكتاب واجتمعت عليه الآثار . اللهم الافئة  
قليلة زعمت أنها نفضت غبار التقليد وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها  
وبين النظر في آيات القرآن ومتون الاحاديث لتفهم أحكام الله منها .  
ولكن هذه الفئة أضيق عطناً وأخرج صدراً من المقلدين وان أنكرت  
كثيراً من البدع ونحت عن الدين كثيراً مما أضيف اليه وليس منه . فلها  
تري وجوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقيده بدون التفات الى



ما تقتضيه الاصول التي قام عليها الدين ، واليه كانت الدعوة ، ولا جليها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعلم أولياء ، ولا للمدنية السليمة أحياء ، هل يمكن ان ينكر أحد جود الفقهاء ووقوفهم عند عبارات المصنفين على تباينها واختلافها واضطراب الآراء في فهمها واذا عرضت حادثة من الحوادث ولم يكن لمصنف معروف رأي فيها اجتمعا عن إبداء الرأي واجتهدوا في تحويلها عن حقيقتها الى أن تتفق مع قول معروف في كتاب من الكتب حتى لقد جاء طالب علم من بلد من بلاد الدولة العثمانية وأراد الالتحاق بأحد الأروقة في الجامع الأزهر فوقع الشك هل بلده مما لأهله استحقاق في ذلك الرواق على حسب نص الواقف . فقال قائل لشيخ الرواق : ان كتب تقويم البلدان تشهد بأن البلد داخل في شرط الواقف فقال : إني لا أقنع بما في تلك الكتب وإنما الذي يصح ان آخذ به هو ان يكون فقيه ( ممن مات ) قال : ان هذا البلد من قطر كذا وهو الذي وقف الواقف على أهله . واذا قيل لأحدكم : إن الأئمة أنفسهم لم يعينوا مواقع البلدان ولم يضعوا لنا جدولاً لبيان ما يحويه كل قطر وبيان الحدود التي ينتهي اليها وإن أصول ديننا تسمح لنا بأن نأخذ بأقوال العلماء في هذه الفنون ( وهم منا ) وتواتر الاخبار وما أشبه ذلك من البديهيات قال : إنما أريد نصاً فقهياً ، لا دليلاً عقلياً ،

واذا قيل لهم : اختلت الشؤن ، وفست الملكات والظنون ، وساءت أعمال الناس ، وضلت عقائدهم ، وخوت عباداتهم من روح الاخلاص ، فوثب بعضهم على بعض بالشر ، وغالت أكثرهم اغوال الفقر ، فتضعفت القوة ، واخترق السياج ، وضاعت البيضة ، وانقلبت



المزة ذلة ، والهداية ضلالة ، وسا كنتم الحاجة ، وأنتم الضرورة ، ولا تزالون تألمون مما نزل بكم وبالناس ، فهلا نبهكم ذلك الى البحث في اسباب ما كان سلفكم عليه ، ثم علل ماصرتم وصار الناس اليه ، قالوا : ذلك ليس الينا ، ولا فرضه الله علينا ، وإنما هو للحكام ينظرون فيه ، ويبحثون عن وسائل تلافيه ، فان لم يفعلوا ولن يفعلوا فذلك لأنه آخر الزمان وقد ورد في الأخبار ما يدل على انه كائن لا محالة وان الاسلام لا بد ان يرفع من الارض ولا تقوم القيامة الا على لكم ابن لكم . واحتجوا على اليأس والقنوط بآيات وأحاديث وآثار تقطع الأمل ، ولا تدع في نفس حركة الى عمل ، رأي رنان في الاسلام : هذا الجمود - الذي لو أنه دنا بيان ما امتد اليه

من طبقات الأفكار وثنيات الوجدان لكتبنا فيه كتاباً - هو الذي حمل الموسيو رنان الفيلسوف الفرنسي المشهور ان يقول في عرض كلام له في تساهل المذاهب الدينية مع العلم نقلته عنه الجامعة : « على أنني أخشى ان يثبت الدين الاسلامي وحده في وجه هذا التسامح المم في العقائد ولكنتي أعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بآداب الدين الاسلامي القديمة وفي بضعة من رجال الاستانة وبلاد القرس جرائم جيدة تدل على فكر واسع وعقل ميال الى المسائلة . الا أنني أخشى ان يفتق هذه الجرائم بتعصب بعض الفقهاء فاذا اختنقت قضى على الدين الاسلامي . ذلك انه من الثابت الآن أمران - الأول ان التمدن الحديث لا يريد إقامة الأديان بالمرّة لأنها تصلح أن تكون وسيلة اليه . والثاني انه لا يطبق ان تكون الأديان عشرة في سبيله . فلي هذه الأديان ان تسالم وتلين والا كان موتها ضربة لازب » اه كلام رنان يتصرف لقضي قليل



فمن أين يكون هذا الجمود العام الذي سمح للطاعنين ان يحكموا على الاسلام بأنه عثرة في طريق المسلمين يسقط بهم دون ان ينالوا فلاحاً في سعيهم ، أو نجاحاً في أعمالهم ، من أين يكون هذا الجمود ان لم يكن من طبيعة الدين ؟ ومن أين يكون ما سردناه من الحوادث إن لم يكن ناشئاً من أصول الدين ؟ فان لم تسلم بأن هذا اضطهاد وان الاضطهاد من لوازم الدين الاسلامي فمليك ان تسلم بأنه عداوة للألم أو أشد تراز منه ، أو استهجان له أو احتقار لشأنه ، وأحد هذه الأمور كاف اذا عم بين المسلمين في ان ينفر بهم عن كل مجد ، وأن يحرمهم كل نفع ، وان يحقق فيهم ما تنبأ به رنان وغيره فما قولك في هذا ؟ ( له بقية )

( المنار ) سيأتي الجواب في الجزء الآتي وفيه بيان حقيقة هذا الجمود وأسبابه وكونه لا بد ان يزول ان شاء الله تعالى فانتظر العجب العجيب

### الاجتماع السادس لجمعية أم القرى

يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في الضحى الأول من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معتادها وقرئ الضبط السابق واستعدت الأذهان لتاتي ما يفيضه الله على السنة أهل الإيمان من الإخوان قال ( الاستاذ الرئيس ) مخاطباً ( الشيخ السندي ) انك يا مولانا لم تشاركنا في البحث الى الآن فارجوك أن تتكرم على إخوانك ببذرة من عرفانك تنور بها افكارنا ونرجوك أن لا تحتشم من التعلم في بعض التعبيرات اللغوية لغاية المعجمة عليك فان لك أسوة بالفيروز آبادي والسعد والفخر وغيرهم .

فقال ( الشيخ السندي ) انكم ايها السادة الاخوان سراء افاضل الزمان ، وسباق فرسان كل ميدان ، قد افدتم وأجدتم ولم تتركوا القائل من مجال ، ولا المثلي غير الإصفاء والامثال ، وإني احب ان اذكر لكم حالي وفكري قبل هذه الاجتماعات وما



أثره في هذه المفاوضات . فأقول : انني من خلفاء الطريقة النقشبندية وإذ كان والذي المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للأقاليم الشرقية والجنوبية في الهند فقد صرت بعد والذي مرجعاً لعامة خلفائها ثم جرت لي سياحات مكررة في تلك الأرجاء وفي أيلات كاشغر وقازان حتى سيريا وتلك الأنحاء . وبسبب حرصنا على تعميق طريقتنا صار لها شيوع مهم وانتشار عظيم بين مسلمي هاتيك الديار .

ومن المعلوم ان طريقتنا من أقرب الطرائق للاخلاص وأقلها انحرافاً عن ظاهر الشرع وهي مؤسسة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان ومراقبة المرشد والاستمداد من الروحانيات وإني لم أكن أفكر قط في أن الذكر وقراءة الورد على وجه راتب فيه مظنة البدعة أو الزيادة في الدين ولا أن المراقبة والاستفاضة والاستمداد من أرواح الانبياء والصالحين فيها مظنة الشرك إلى أن حضرت هذه الاجتماعات المباركة فسمعت وسمعت وأقلت والحمد لله .

على اني صرمت أيضاً على أن ألتطف في الامر بالنصيحة والموعظة الحسنة عسى ان أوفق لهداية جماهير النقشبندية في تلك البلاد إلى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله قلباً ولساناً بدون عدد مخصوص معين قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية معينة متى شأوا وأرادوا بدون وقت مرتب فرادى ومجتمعين بدون تداع . وان يتركوا المراقبة ويستغيثوا عنها بالدعاء بالغفران والرحمة لكل من الشيخ بهاء الدين النقشي مرشدهم الأعلى وخليفته مرشدهم الأدنى الذي هم مبايعوه .

وقد فتح الله عليّ بركة جمعيتنا هذه فهم أسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد صالحهم وفاسقهم للانتساب إلى إحدى الطرائق الصوفية وكنت قبلاً أحمل ذلك على مجرد اخلاص المرشدين والآلآن اتضح لي أن السبب هو ان السادة الفقهاء عندنا من الخفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين المبادات تضيقاً لا يعلم ان الله تعالى يطلبه من عباده وكثروا الاحكام في المعاملات كثيراً ضيع الناس وشوش الاقتاء والقضاء حتى صار المسلم لا يكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته ما لم يكن فقيهاً .

فتوسيع الفقهاء دائرة الاحكام أنتج تضيق الدين على المسلمين تضيقاً أوقع الأمة في ارتباك عظيم ارتباكاً جعل المسلم لا يكاد يمكنه أن يعتبر نفسه مسلماً تاجياً لتعذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون بالزائم فبذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون



اضطراباً فيهن عليهم التهاون اختياراً كالغريق لا يحذر البلل . لأنه كيف يعلمون  
الخفي العامي حتى الاطمئنان في الاستبراء لتصح طهارته وكيف يحسن مخارج  
الحروف كلها وقد أفسدت المعجمة لسانه لتصح صلاته . وكذلك كيف يصحح الشافعي  
العامي نيته على مذهب امامه في الصلاة أو يعرف شدات القاشحة الثلاث عشرة  
ويقتبه لإظهارها كلها ليكون أدنى فريضته

بل أي عامي يعرف وصف الكلام ومعنى الاستواء وتأويل الوجه واليد واليدين  
وتعيين الجزء الاختياري وإضافة الأعمال له أو لله إلى غير ذلك ليكون عند الحنفية  
الماتريدية والشافعية الأشاعرة مسلماً مقادراً يرجى له قبول الإيمان ؟ ومن من العامة  
يحيط عاماً بكل ما ثبت بالنص القاطع حتى صفة بقرة بني اسرائيل مثلاً لكيلا يعتقد  
خلافه فيكفر فيحبط عمله ومن جملة انتفاخ نكاحه . وم من مسلم يحكم عليه الفقيه  
الشافعي بأنه نسل سفاح ومقيم على السفاح وراض لمخارمه بالسفاح إلى غير ذلك مما  
ينافي سماحة الدين ومزينة الدين به في الدنيا قبل الآخرة .

فهذا التضييق صار المسلم لا يرى لنفسه فرجاً إلا بالاتجاه إلى صوفية الزمان  
الذين يهونون عليه الدين كل التهوين . (مرحى) وهم القائلون : ان العلم حجاب  
و : بامحة تقع الصلحة . و : بنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي وياً وبنفخة  
في وجه المرید أو تفلته في فمه تطيعه الأفعى وتحترمه العقرب التي لدغت صاحب النار  
عليه الرضوان (١) وتدخل تحت أمره قوانين الطبيعة . وهم المقرررون بأن الولاية  
لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها إلا الكذب وان الاعتقاد أولى من الانتقاد وان  
الاعتراض يوجب الحرمان أي ان تحمين الظن بالفساق والفجائر أولى من الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من الأقوال المهوثة للدين والأعمال التي  
تجعلها نوعاً من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين .

على ان الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين — وأين هم — لفروا منهم فرارهم  
من الأسد لأن ليس عندهم لاء الا التوسل بالاسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس من  
أمراض الإفراط في الشهوات وتصفية القلوب من شوائب الشره في حب الدنيا  
وحمل الطبائع بوسائل القهر والتقرين على الاستئناس بالله وعبادته عوضاً عن الملاهي  
المضرة وذلك طلباً للراحة الفكرية والعيشة الهنية في الحياة الدنيا والسعادة الأبدية



في الآخرة . وأن التوهم السالف البيان الصوفي الزمان من هذه المطالب التهذيبية الشاقة ومن حقائق العرفان المعنوية التي لا يعرفها ويتأيس بها إلا من وفقه الله وكشف عن بصيرته . وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان أن من أعز كلمة الله أعز الله ومن نصر الله نصره الله ومن توقع الخير أو الشر جازماً نال ما توقع ومن تصفوا نفسه بأنهم رashed ومن اتكل على الله حقاً كفاء الله ما أهمه ومن دعا الله مضطراً أجاب دعاءه إلى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن وأسرار حكمة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم ( مرحي )

قال ( الأستاذ الرئيس ) قد أحسن أخونا الشيخ السندي توصيفه المتفقه المتشدة والمتصوفة المختفة واني مالحق تقريره بما يناسب ان يكون مقدمة تاريخية لبحث التصوف فأقول :

قد كان التنسك في المسلمين شيمة لأكثر الصحابة والتابعين ثم ان التوسع في الدنيا قلل عدد المتنسكين فصار لأهل حرمه مخصوصة بين الناس وصار بعض المتفرغين يقصدون نيل هذه الحرمة بالتأيس بالنسك والزام النفس بالتمرن عليه وإذ كان من لوازم استحصا تلك الحرمة اظهار التقشف اتخذوا التصوف دثاراً واسم الفقر شعاراً فغلب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء ثم ان بعض العلماء من هؤلاء المعتزبن بالنسك أحبوا التميز بالرياسة أيضاً فصاروا يدعون الناس إلى التنسك ويرشدونهم إلى طرائق التمرن عليه ومن هنا جاء اسم الإرشاد واسم الطريق . وإذ كانت ارادة الاعتراف بالدين ارادة حسنة لإن فيها اعزاز الكلمة الله فلا يؤخذ بشيء على المرشدين الاواين ولا على البعض النادر من المتأخرين ولو من أهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية في صحراء أفريقيا .

أما دخول الفساد على التصوف واضرارده بالدين وبالمسلمين مما ذكره أخونا الشيخ السندي وغيره من الإخوان الكرام فقد نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع لما رأوا توسع الفقهاء في الشرع وتفنن المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الإلهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملاً وألبسوها لباساً إسلامياً فجعلوه علماً مخصوصاً ميزوه باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن . وهكذا بعد ان كان التصوف عملاً تبادياً محضاً جعلوه فناً نظرياً اعتقادياً بحتاً .

ثم جاء منهم في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة رأوا مجالا في جهل



أكثر الأئمة لأن يحوزوا بينهم مقاماً كمقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقطبانية أو الفوئية وذلك بما يدعون من القوة القدسية والتصرف في الملكوت فوسموا فلسفة التصوف بأحكام تشبه الحكم بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكمات والمثال والخيال والأحلام والأوهام وأنفوا في ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة محشوة بمحكايات مكذوبة وتقريرات مخترعة وقضايا وتركيبات لامفهوم لها البتة حتى ولا في محيلة قائلها كما ان قارئها أو سامعها لا يتصورون لها معنى مطلقاً وان كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم ويتماظ بان للقوم اصطلاحات لا تدرك الا بالذوق الذي لا يعرفه الا من شرب مشربهم

وبعض هؤلاء الغلاة قتلوا كفراً ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم وحازوا المقام الذي ادعوه بعد مماتهم لأن في تعظيم شأنهم ترويج مقاصد المقتفين لآثارهم كالإباحيين . وبعضهم لم يكن من الغلاة ولكن أخلافه اعظاماً لأنفسهم في نظر حتى الأمة نسبوا اليه الغلو وعزوا اليه كتباً ومقالات لا يعرفها ومنهم الأفاعيون يفعلون ذلك حتى في عهدنا هذا ولا حول ولا قوة الا بالله ( له بقيه )  
( النار لقد بانغ الرجل رحمه الله في التقديوان للقوم في مجموعهم حسنات لم يذكرها كما ان لهم سيئات وقد بينا ما لهم وعليهم من قبل

### باب الوسيلة والهجوة

( س ٩ ) الاستمطار بالكهربائية ومفاتيح الغيب — محمد افندي كامل الكاتب بمحكمة أسيوط : رأيت في بعض المجلات أن علماء الطيعة في اليابان أمكنهم أن يستحدثوا سحبا ويستمطروها حسب أهوائهم . ورأيت في مجلة أخرى أنهم في بلاد الانكلين يستمطرون السحب الطبيعية . وقد ورد في القرآن الشريف للإعجاز أن الخالق جلت قدرته هو الذي ينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الخ . وورد أيضاً أن الغيث ينزل بقدر معلوم وان الله تعالى هو الذي يرسل السحاب حيث يشاء . فهل ما ذكر عن الانكلين واليابان ينافي الإعجاز الوارد في القرآن وما حده من علم الانسان بالكائنات؟ نرجو البيان وتفسير الآية « نفخنا الله والمسلمين بغزارة علمكم . . . » اهاباختصار  
( ج ) ان الأمة الاميركية هي السابقة الى ادعاء مكان الاستمطار بالعمل وذلك بارسال مقدار عظيم من الكهرباء في الجو تنتشر في السحاب فتجتمع بها دقائق  
( ٦٤ — النار )



البخار فتكون ماء فينزل مطراً . ويقال انهم جربوا ذلك فتجح بهض النجاح ولكنه لم يأت على حسب المراد ، ويعبر خاضعاً لكسب الإنسان بفعله متى أراد ، والذي نههم الى هذا الملاحظة حدوث المطر عقيب الحرب حيث تطلق المدافع فتحدث في الجو تغيراً عظيماً .

وليس من المحال عفو ولا شرعاً أن يصل علم الإنسان بسنن الله في الخلق الى حد يستمطر به السحاب متى شاء فان الله تعالى لم يجعل لعلم الإنسان بالكائنات حداً معيناً بل تشير آيات القرآن باطلاقها الى أنه لا حد له كقوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض » ولا ينافي ذلك ان حصل كون الله تعالى هو الذي ينزل الغيث وكونه ينزله بقدر معلوم فان ما يناله الإنسان بسعده وكسبه لا يخرج عن قدرة الله تعالى وعلمه ولم يرد ذلك الا بحجاز . رأيت هذه الينابيع التي تفجرها ، والآبار التي تحتفرها ، أهي تخرج بكذبنا عن سلطة القدرة الإلهية ، وتحتجب بسمينا عن علمه المحيط بالبرية ، كلا أما قوله تعالى : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت » فليس نصاً في في كون علم الإنسان لا يصل الى معرفة شيء من هذه الأمور . ولكن يشبه على الناس تفسير قوله تعالى « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو » بهذه الخمس المذكورة في الآية كافي حديث أحمد والبخاري . وقد قال الإمام الرازي وغيره أن المراد مفاتيح خزائن الغيب أي فلا يعلم جميع ما في خزائن الغيب الا من بيده مفاتيحها وهو الله تعالى . وقد ظهر لي في أيام طلب العلم وقراءة التفسير وجه دقيق لجعل هذه الخمس مفاتيح للغيب ولم أر أحداً من المفسرين تعرض لذلك . وقد عرضت هذا الوجه يومئذ على أستاذنا الشيخ محمود نشابة وعلى شيخنا القاوجي ( رحمهما الله تعالى ) فاستحسناه وكتبته في كتابي ( الحكمة الشرعية ) وهو :

ان المفاتيح جمع مفتاح بفتح الميم أو كسرهما بمعنى الخزائن أو المفاتيح والغيب ما غاب عن الناس وهو عالم الآخرة وعالم البرزخ بين الدنيا والآخرة وبهض عالم الدنيا وهو النبات الذي لم يفت والحوان الذي لم يولد وما تكسبه النفس في المستقبل . فالساعة مفتاح عالم الآخرة والغيث مفتاح عالم النبات وما في الارحام مفتاح عالم الحيوان وقوله تعالى « وما تدري نفس ماذا تكسب غداً » ظاهر في مفتاح الكسب والاعمال التي ستحدث . وكذلك كون الموت مفتاح عالم البرزخ ظاهر في باقي الآية . اه وفي الكتاب



تصوير لمعنى الآية بصورة أخرى . ولك أن لا تسمى الموت برزخاً ولا تجعل البرزخ عالماً  
(س ٢) الأعطار الأفرنجية - ١٠ ز . غ . في السوريس : أرجو الافادة عن

المطر المسمى ( بالوندا ) ونحوه أطاهر أم نجس الخ

(ج) هو طاهر كما ي بناء بالأدلة في الصفحة ٥٠٠ من المجلد الرابع فليراجع السائل

(س ٣) الخطباء والموضوعات - ١٠ ع . بالأزهر : صلياً آخر جمعة من جمادى

الثانية في الأزهر الشريف . فمن الخطيب ذكر في الخطبة الحديث الذي كنتم ذكرتم  
في المنار أنه موضوع وهو من صام يوماً من رجب فله كذا الخ فإذا كان ما نقلتم عن  
المحدثين من وضعه هو الصحيح الثابت فكيف تجرأ خطيب الأزهر على إسناد  
الاحاديث المكنوبة على النبي صلى الله عليه وسلم إليه وهو بخطب على رؤس أشهر  
علماء الدين في المسلمين . وهل يجب منع أمثال هؤلاء الخطباء من ذلك أم لا

(ج) جاء في فتاوي ابن حجر المكي الحديثية أنه سئل عن خطيب يرقى المنبر

في كل جمعة ويروي احاديث كثيرة ولم يبين مخرجها ولا روايتها . فذكر في الجواب اشتراط  
معرفة الحديث في جواز ذلك أي أن يكون الخطيب محدثاً يروي ما صح عنده أو

ينقله من كتب الحديث المعتبرة . قال : « وأما الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد  
روايتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث أو في خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحل

ذلك ومن فعله عزير عليه التعزير الشديد . وهذا حال أكثر الخطباء فإنهم بمجرد  
رؤيتهم خطبة فيها احاديث حفظوها وحفظوا بها من غير أن يعرفوا أن تلك الاحاديث

أصلاً أم لا . فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك ويوجب على حكام  
بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه ، ما هو ولا يخفى أنه ليس عندنا في هذا العصر

حفاظ ولا محدثون فيا ليت مدير الاوقاف يلزم الخطباء بتخريج الاحاديث من الكتب  
الصحيحة وعزوها في الخطبة الى مخرجها كالبخاري ومسلم وغيرهما من الحفاظ

والذي ساق الخطباء الى اختيار الاحاديث الموضوعة والواهيية هو التزامهم انشاء  
الخطب في مدح الشهور والمواسم المبتدعة . واذ لم يجدوا حديثاً صحيحاً ولا حسناً في

صوم رجب ذكروا المكذوب والواهي . أكثر المشتغلين بالعلم جهلاء بالحديث ومن  
كان منهم عالماً به في الجملة فهو غير عامل فلا ينهي عن المنكر ولا يأمر بالمعروف ولذلك

استمرت هذه المنكرات . حق كاد يعدمها العامة من ضروريات الدين ، ألا تراهم يحتفلون  
بصلاة الرغائب في دار الساطنة وغيرها وهي كما نص الفقهاء والمحدثون بدعة مذمومة

(راجع بدع رجب في المجلدين الثاني والثالث)



(س) القراءة على القبر — الشيخ احمد حامد بدوي بالأزهر : قرأت في رواية « عذراء قریش » لحضره جرجي افندي زيدان « انه لما اشتد الخلاف على عثمان رضي الله عنه دخل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام وشكا اليه حال الأمة ودعا لها ثم قرأ الفاتحة » ونحن نعتقد أن قراءة القرآن لأتيجوز على القبور مطلقاً فجتأ بهذه السطور لنسأل المتأهل هل ما نعتقد صحیح أو يجوز قراءة القرآن كما فعل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ( كما قاله صاحب الرواية ) والاسلام منكم مزيد الفضل والشكر

(ج) ان الأخبار والآثار التي يحتج بها شرعاً لا تؤخذ من القصص ولا من كتب التاريخ وإنما تؤخذ عن المحدثين الذين يسنون أسانيداً يعلمون احتج بها أم لا . فلا أثر المنقول في الرواية غير صحيح ولو صح جلاء فيه الخلاف في الاحتجاج بعمل الصحابي ثم يقال بعد هذا ان العلماء مختلفون في جواز القراءة عند القبر ولا بد أن يكون اعتقاد السائل بالتمتع مبني على عدم الاعتماد بما ذكر المجيزون من الدليل فكيف يعتد بعد هذا برواية في قصة لمن ليس من أهل الحديث ؟ وقد ذكرنا رأينا في المسئلة من قبل فلا نزيد فإبراجع المسائل الجزء الرابع من هذه السنة والمجلدات السابقة

### باب الأخبار والآثار

أرجأنا تمة ترجمة السنوسي الى الآتي

( الاسلام والدولة البريطانية )

لهج بعض الجرائد في هذه الايام بمقالة لكاتب انكليزي اسمه ( مسترد . ج . كوريت ) نشرت في الجزء الخامس من كتاب انكليزي كبير في الدولة الانكليزية ومستعمراتها . عنوان هذه المقالة ( الاسلام والدولة البريطانية ) وقد ارسلها كاتبها الي بعض الجرائد الاسلامية ومنها جريدة المؤيد وطلب منها رأيها فيها وقد عبرتها جريدة المؤيد ونشرت التعريب في ستة أجزاء فكان له وقع عظيم عند المسلمين . ونحن نلخص عيون المقالة في اربع مسائل

(١) انكلترا أكبر دولة اسلامية يقول الكاتب في اثبات هذه المسئلة ان المسلمين الذين تحكمهم الدولة العثمانية ستة عشر مليوناً ونصفاً بحسب الإحصاء الرسمي والذين تحكمهم دولة الصين ٣٢ مليوناً والذين تحكمهم روسيا ستة ملايين . وهذه الدول الثلاث أكثر الدول تابعاً من المسلمين بعد انكلترا التي تحكم ١٠٧٠٧٦٨٠٤



مسلمين . وقد بين الكاتب ذلك بالتفصيل في ثلاث جداول احصائية . واستدركت عليه جريدة المؤيد قائلة ان هذه الجداول مأخوذة من احصاء ١٨٩١ وقد زاح عدد المسلمين في المستعمرات الانكليزية في العشر الاخير زيادة عظيمة فقد كان عدد مسلمي الهند في العشر الماضي ٥٧ مليوناً وصار عددهم بحسب الاحصاء الاخير ٨٧ مليوناً بل ٨٩ مليوناً و ١٢٥ ألفاً . وبالجملة ان المؤيد قدر عدد المسلمين الخاضعين للانكلز ١٣٨٧٠٦٧٤٠ وقال ان هذا المجموع أقل من الحقيقة بكثير

(٢) معاملة الانكلز للمسلمين : يقول الكاتب ان المسلمين في المستعمرات الانكليزية يتمتعون بالحري الدينية ويرتقون في معارج الحياة الاجتماعية ويزدادون بالتدرج ثروة وعلماً وأدباً وستكون الهند مصدراً لمدينة آسيا ومصر منبعاً لحياة ما يجاورها من آسيا وأفريقيا . ثم انه مع هذا ينسب الى قومه الانكلز التقصير في القيام بمصالح المسلمين ويثبت لهم ان مستقبل بريطانيا العظمى مرتبط بمستقبل المسلمين ومصالحهم مقرونة بمصالحهم . ويقول ان الانكلز ارتكبوا هفوات مع المسلمين جهلاً وغشوراً ونقل عن الدكتور ليتنر الذي وصفه بأنه حجة ثقة جملة جاء فيها أن الصلة انقطعت بين الانكلز والمسلمين في الهند بإبطال محكمتي الصدر الديواني ونظام عدالت

قال الدكتور « وان أحكام محاكمنا ( أي الانكليزية ) صارت بعيدة عن الغرض المقصود لجهل قضائنا باللغة العربية التي لا يمكن أن يكون لأحد مع المسلمين نفوذ بدون معرفتها لارتباطها بالشريعة الحمديدية ارتباطاً انفكاً له . » وينقل الكاتب عن هذا الدكتور أيضاً القول بوجوب رد الانكلز المرتبات والهيئات التي منعت عن المسلمين بغير حق ليستعينوا بها على « التربية الدينية والأدبية اللازمة للأمة الحمديدية » . ويقول اذا اتبعنا نصيحة الدكتور فاننا نكفر عن سيئاتنا الا دارية وغلطتنا السياسية التي وقعت من بعض حكام الهند قديماً خصوصاً إقفال ابواب المدارس العليا في وجوه الناشئة الاسلامية وما تبع ذلك من التضيق عليهم في وظائف الحكومة . ويعترف الكاتب للسيد احمد خان بأنه كان هو السبب في تقرب الانكلز من المسلمين وانهم خطوا بسعيه خطوات واسعة ويمدح مدرسته التي كانت مساعدة على هذا التقرب وازالة سوء التفاهم بين الفريقين . ويوجب على الانكلز مساعدة المدارس التي تربي الناشئة على الاستقلال ومحاسن الاخلاق وصفات الرجوية كمدرسة احمد خان

(٣) ارتباط مصلحة الانكلز بالمسلمين : قال يجب علينا وراء التكفير عن سيئاتنا ومساعدة اخواننا المسلمين على الترقى أن نزيل ماعاق بأذهان بعضنا من سوء فهم



الدين الإسلامي فإن نتيجة هذا الجهل جعلهم أعداء لنا . ثم نقول ان المسلمين دعوا الله تعالى في مساجد الهند بأن ينصر الإنكليز على البور واستبدل بهذا على إخلاصهم لحكومتهم وعلى وجوب جذبهم اليها لكيلا تصيبهم السموم التي ينفثها أعداؤها . وذكر الأفغان وما يكون لهم من الشأن اذا حاربت روسيا الإنكليز في الهند وانتقل الى افريقيا وذكر قوت السنوسيين فيها وازدياد نفوذهم وانها ستكون وبالا على الإنكليز اذا هم لم يجذبوا المسلمين اليهم فانهم لا يلومون في المستقبل إلا انفسهم

قال : « الواسطة الوحيدة لتمكين سلطتنا في آسيا وافريقيا هي أن نبذل جهدنا في افهام المسلمين ان مصالحها الدينية والسياسية مرتبطة بمصالحنا وانهم بخدمة مصالحهم يخدمون مصالحنا ونحن كذلك » ويلزم المسلمين لذلك أن يعلموا ان كثيرا من معتقداتهم التي يحسبونها من الدين ليست منه ولا جاء بها كتابه . يقول القاضي سيد امير على أحد بنياء المسلمين : « ان سبب تأخر المسلمين وبقائهم على ما هم عليه من التأخر يرجع في الغالب الى ما رسخ في أذهانهم من ان لا حق لهم في استعمال عقولهم في فهم دينهم لان ذلك قد انتهى بانقراض المجتهدين الأولين فصار الاجتهاد بعدهم محرمة . وأن المسلم لا يكون مسلماً حادفاً الا اذا كان مقلداً لذهب من افذاح المروفة . فترك المسلم ما يعتقد وما يفهم وتمسك بأراء اهل القرن التاسع من المفسرين والفقهاء غير ملتفت الى الآراء والأفكار التي وصل اليها العالم في القرن التاسع عشر »

وقد ختم الكاتب كلامه بذكر حركة العالم الإسلامي الآن للترقى وحتم على الإنكليز مساعدة هذه الحركة والاستفادة منها وعلق الأمل في ربط الامة بين افريقيين بمسلمي افريقيا (٤) دين الاسلام دين مدنية : اثني الكاتب على الاسلام ثناء من فهمه ورد على المعارضين عاينهم وعقل ونقل اقوال ثقات الحكماء والعلماء الغربيين في مدحه واجاب عن الاعتراضات المشهورة بأجوبة حسنة . وربما تلخص تلك الاقوال والمدائح بعد . وان لنا كلاما في الوفاق الاسلامي الإنكليزي نذكره في الجزء الآتي

### ﴿ مثال من أمثلة طفولية الأمة — جمعية مكارم الاخلاق ﴾

يرف قراء المنار أن جمعية وجدت في القاهرة سميت ( جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية ) ثم وجد لها فروع في الزقازيق والاسكندرية وغيرها . وقد أقبل الناس في القاهرة على الجمعية حتى صار أعضاؤها يعدون بالمئين أو تجاوزوها وأنشأت الجمعية مجلة سمها باسمها بلغ عدد المشتركين فيها بعد أشهر من ظهورها زهاء أربعة آلاف



مشترك . وكان الفرع الذي تفرع منها في الزقازيق اكبر الفروع نفعا وأعزها نفرا . فانه أنشأ مدرسة وعال بعض الفقهاء . ولكن الجمعية الكبرى لم تلبث أن انحلت وابطلت مجاتها بعد مرض عرض على ادارتها وغول غال ماليها . وظلت جمعية الزقازيق بعد سقوط أمها قائمة على طريقها حتى جاءنا في هذه الايام خبر سقوطها وابطال مدرستها وبيع ادواتها وأثاثها واقتسام الاعضاء له

يعلم الله أننا نكتب هذا بمذاد الاسف والامتعاض . ويعلم اهل الفضل والمروءة من افراد الجمعية بعض ذلك مناجحتنا اياهم على احياء الجمعية في القاهرة وتعيين رئيس لها صالح الادارة بخدم الجمعية للجمعية . واننا لم نياس من همة هؤلاء الفضلاء فان كان الهوض بعد السقوط عسرا فهو اذا حصل أجدر بالثبات واخرى بالدوام ويسر نابقاء فرع الجمعية في الاسكندرية ثابتا وقد احدث للمجلة مطبعة واعاد نشرها . ولا شك ان اهل الاسكندرية أرقى في الحياة الاجتماعية من اهل الزقازيق ولكنهم ليسوا في مجموعهم بأرقى من اهل القاهرة فامل هؤلاء بحمقة رجاءنا فيهم ولا يقتطعهم سقوط الطفل قبل فطامه ، من نهوضه وقيامه

( تصحيح ) في السطر ٥ من الصحيفة ٤٠١ كلمة ( الارحم ) وصوابها ( الارحبي ) وفي س ١٨ و ١٩ من ص ٤١١ : ( بصري الاصل . ابن الامير ) والصواب ( بصري الاصل ابن الامير ) وفي س ١٢ ص ٤٣٢ ( تجربوني ) والصواب ( تجربوني ) . وفي س ٤ ص ٤٤٣ ( بالخايقة ) والصواب ( في الخايقة ) وفي س ٣ ص ٤٤٤ ( بها ) والصواب ( فيها ) وس ٢١ ص ٤٤٤ ايضا ( دعا ) والصواب ( دعي ) وفي س ١٨ ص ٤٤٧ ( وان نجد لسنننا ) والصواب ( ولا نجد لسنننا ) وفي س ٧ ص ٤٤٩ ( الاصل الرابع ) وصوابه ( الاصل الخامس ) وايصح ما بعده من الاصول على الترتيب . وفي س ١ من هامش ص ٤٥٦ ( لوقا ١٥٥ — ٢٥ و ٢٦ ) والصواب ( لوقا ١٤ — ٢٦ )

﴿ محادثة بين صاحب جريدة الحاضرة ورئيس تحرير جريدة فرنسوية ﴾

اجتمع صاحب جريدة الحاضرة العربية الوحيدة في تونس بموسيو تريدون رئيس تحرير جريدة الديش تونزيان وتكلما في موضوع التعليم الذي تبغيه فرنسا بتونس . فرأينا أن نأخص ما دار بينهما لما فيه من العبرة للمسلمين الذين استعمر بلادهم الاوربيون أو احتلوها باسم الحماية أو غير ذلك .

( الصحافي الفرنسي ) : ما قولك أيها الرصيف في المقالة التي نشرت اليوم في



جريدتنا تحت عنوان ( ماهي النسبة التي عليها أن نعاملهم ) أي التونسيين ( عابها )  
جواباً على مقالة في هذا الشأن نشرت في التونزي فرانسي تحت تلي حرمان  
التونسيين من نعمة التعليم العالي الموصول الى النتائج الفكرية النافعة من طب و هندسة  
وخصام ( لذا و اعلم يريد الحقوق ) و تحرير إذ رأى محرر هذه الجريدة ان نظام  
الحماية قاض لا يرقاه التونسي دائماً في دوائر الجهل حتى لا يهتدي الى الصواب والبرقي  
الفكري سيلا و معاملته كما تعامل البهائم حتى لا يطمح الى الاستقلال ولا يتوصل  
الى إنكار ما يلحقه من الأذى والظلم

( الصحافي التونسي ) بعد جملة في مدح العلم : هل تشكرون ان فرنسا احتلت  
هذا القطر لبث أنوار العرفان ونشر راية المدنية بين أهالي المملكة فكيف يمكن  
الجمع بين هذه التدوي وبين قضية حرمان شبان التونسيين من التعليم

( الفرنسي ) : نحن لم نعل بحرمان تونسي من كل تعليم بل زدنا على السماح له  
بالتعلم الابتدائي أن أجزنا أن يتعلم بعض الأفراد العلوم العالية بصفة استثنائية خاصة  
لا عامة لأن انتشار العلوم العالية يتوقف العقول ويفتح البصائر ويولد الطمع بالاستقلال  
في نفوس المستعمرين لما هم عليه من صفات الرجولية والشجاعة وحب الجلال والحفاظ  
على شعائرهم بخلاف اليهود فإنهم لا وطن لهم ولا مطامع سياسية وهم بكثرة تقليد  
وميلهم لمجانسة الأوربي كادوا أن يكون على صيغته فتحن على خلاف رأي التونزي  
فرانسيي ترى تقييد نشر العلوم العالية وتخصيصه ببعض الشبان لحرمان جميع  
الأفراد منه بالمرّة

( التونسي ) : نعلمكم سلككم هذا المسلك مصانعة لأصحاب الاسم من التونسيين  
( وفي الأصل مراعاة لحاظ أصحاب الاسم )

( الفرنسي ) : ربما كان ذلك من جملة الأسباب ولكن هذا هو رأينا الخاص  
( التونسي ) : كيف يسوغ ذلك التقييد والمعلم نور ساطع لا يمكن إخماده وفي  
محاولة حجبه عن الناس خصوصاً القادرين منهم على اقتباسه بأنفسهم من إيفاد  
الصدور وجاب البفضاء ما لا يليق بدولة حرة هي قدوة الأمم في ترقى الفكر

( الفرنسي ) : لقد ضيق الانكاز من قبل دائرة تاتي الشبان المصريين للعلوم  
المالية في مدارس الحكومة

( التونسي ) : لكنهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية التي أغنت الأمة عن



واعتدوا عن هذه السياسة في تلك الفترة حيث أقام إشراف القوم وسراهم المدارس  
الكثيرة للعلوم العالية من قسبة واحدة مدينة وذلك لأنهم رأوا هذه السياسة أكفل  
إملاء وثائق وعلماء شمامهم

في تلك الفترة كانت تشق أذهان التونسيين هذه العلوم العالية وأن لا يخرجوا  
فيكونوا أسامة قاصدين على التمتع والاستماع بحضراتهم حتى تأمن مقاصدهم فلا يسلكوا  
في تلك المكي كيون في الجمال على الحكمة و انتظامات التونسية

تونس : هذا كلام فيه نظر فإن كان التعليم بقي الكامل من الخنوح الى  
البطل ويملك به طريق الجهد والعمل النافع له وقومه وحين تطرف المكي كيون من  
ثمرات التعليم الابتدائي انماقص الذي يحجزه

( الفرنسي ) : لو تجنس كل نابغ في العلوم العالية بالجنسية الفرنسية لما أوجنا  
منه خيفة لأنه حينئذ يكون متصوا فرنسيا يؤدي واجب الخدمة العسكرية من عهد الشيبه  
( التونسي ) : هل يتساوى بهذه الجنسية التونسي والفرنسي في جميع الحقوق  
والمصالح ؟ اننا رأينا من خواص الفرنسيين من لا يرى هذه المساواة مطلقاً ويعيب  
بجائسه بجدانة التجنس

( الفرنسي ) : ذلك لأنهم مع التجنس وبعد أداء الخدمة العسكرية في الجيش  
يعودون الى عوائدهم كلبس الطربوش وربما ايسوه عثمانيا وارتداء لباس البادية  
والإقبال على الصلوات والأذكار !!!

( التونسي ) : لعلكم تقصدون بالتجنس ترك شعار الدين وتغيير الأزياء ولو  
شاطركم التجنس في اعتراف الامتيازات الوطنية كشاطرة اليهود لكم في الامتيازات  
الوطنية كشاطرة اليهود لكم في الحقوق والمصالح الحيوية بتغييراتهم الصورية ؟ فهل  
المخاص لكم من يترتبا بازيائكم مع العلم بان ايس الزنار لا يقتضي الترهيب ؟ وهل  
تنطبق هذه الأفكار على حرية ( الدين ) ان لم نقل ترك الدين ؟ الا بعد هذا لو صدر  
من مسلم من التعصب الزميم والتغالي المفقوت في عرف مدينة هذا العصر الذي ضيقت  
الحكومة فيه على مدارس الرهبان ؟

( الفرنسي ) : انما نقصد نحن امتلاك القلوب ولذلك نود أن يتنازل لنا المسلم عن  
أحكام دينه الذاتية كالأ نكحة والموارث مما هو مصداق الحالة الشخصية



( التونسي ) : إذا كان القصد من التجنس هو تغيير الدين وأصوله الأساسية بما يخرج المسلم عن دائرة دينه وملكه فهو مما لا يرغب فيه مسلم ذو مروءة لأن المارق من دينه ممقوت عند الله وعند الناس ولو كان دخيلاً فيهم . ثم إن في التجنس بهذه الصفة قلب الهيئة الإسلامية بتغيير الأنساب والنسب في الموارث وحقوق الزوجية في التصرف اذ المرأة عندنا حرة لا يتوقف تصرفها على إذن زوجها الى غير ذلك من مسائل الارحام والأنساب التي جاءت بها أحكام الشريعة الإسلامية المنزلة . فلماذا لا تتغير أحكام القانون الفرنسي الى الأحكام الإسلامية ؟

( الفرنسي ) : الحق لكم في هذا البحث فان نسبة الموارث مقصودة لأجل إبقاء الميراث بيد الذكور أعمدة البيوت وهو ما تصده الانكليز من أحكامهم في هذا الباب . على أنه لا مانع من البحث عن طريقة للتوفيق بين مصالح الهاتين الأهلين والفرنسية لدوام الألفة وحسن المعاشرة في هذه الأوطان

( التونسي ) : ذلك أحسن مرغوب تنجيه اليه القلوب وترتاح له النفوس ويا حبذا لو سمت الجرائد المحمية في تحقيقه . غير أنني أقول بالأجمال : ان اكفل وسيلة لبلوغ هذه الأمنية هي توزيع الفوائد والمغانم وتقسيم المنافع المادية بصورة عادلة توفر الاهالي حظاً من فوائد القطر ومغانم حسية كانت او معنوية كالوظائف والمساعدات المادية والأدبية والحث على الترقى الفكري الذي هو ثمرة المدنية . ( قال ) ثم وادعنا رصيفنا المسمى اليه قانماً بما ونحناء له من الخطاب . اهـ

( المنار ) قلنا هذا الخطاب يتصرف لفظي قليل لا يغير شيئاً من المعنى ولا نستبسط منه شيئاً بل ندعه للقارئ يفهم منه ما يفهم . ونعرف رصيفنا الفاضل صاحب الحاضرة بأن الانكليز لم يحاولوا مقاومة التعليم الأهلي فيقال انهم وانهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية الخ وان المدارس التي حدث عنها لم تكن عن مدارس الحكومة ولا قاربها في حسن التعليم ولوان المصريين عرفوا قيمة حرية الانكليز في العلم والدين وكل ما يحتاجه من يتولون امورهم لكنت لهم مدارس كما وصف الرصيف ولكنهم رزوا باحداث ينفذون اليهم الانكليز واعمالهم ويمنونهم بأن فرنسا ستخرجهم من وادي النيل بهذين اوائك الاحداث وانقطعت فاشتغلوا بهذا عن كل شيء حتى علمهم الزمان بمحوادته حقيقة غرور الاحداث وتفريرهم والآن صار يرجي منهم النهوض الحقيقي والتعليم النافع فان فعلوا فان الانكليز يساعدونهم كما يساعدون اخوانهم في الهند والله الموفق



## السبع والخمسون

## وَالْبَقَالِيذُ وَالْعَجَابُ

﴿ مثال من أمثلة تمصّب النصرانية على العلم ﴾

صاحب مجلة الجامعة الذي يدعي أن النصرانية أكثر تسامحاً مع العلم من الإسلام ارتوذكي المذهب . وفي القاهرة جريدة لارتوذكي آخر تصدّت للانتصار له والتنويه بخدمته وفلسفته وهذه الجريدة دينية اخبارية وان لم يكتب عليها ( دينية ) وقد نشرت في العدد الذي انتصرت فيه لصاحب الجامعة المحترم مقالة عنوانها ( المدارس والاكليرس ) يصح أن تكون مثالا أو ان يؤخذ منها مثل متعددة لتمصّب النصرانية على العلم حتى اليوم « من فك أدبنك »

جاء في المقالة أن عاملين يتنازعان النجاح وعدمه في تعليم الأولاد « الأولون التمسّب الديني الذي يحمل الآباء على ارسال أولادهم الى مدارسهم الطائفية سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة » الخ « والثاني النظر الى المستقبل » وذكر أن الناس يتراوحن بين هذين العاملين ثم قال مانصه بحروقه :

« وما زلنا نرى الناس في هذا التضعف نرى رؤساء الاديان مع الفئة الاولى المتعصبة يسمعون الى الضغط على الافكار وارغام الاهالي التابعين لهم على ارسال أولادهم الى مدارسهم كأن يقولون لهم اتركوا مستقبل أولادكم وحافظوا على صحة اعتقادهم لأن هاته المدارس ما فححت في بلادكم الا لتسلب منكم أولادكم وتضطرمهم الى ترك معتقدات آبلهم وأجدادهم

« وهذا مقاله أيضاً غبطة البطريك المسكوني ونقله الينا البريد الأوربي فقد جاءه في جريدة التان لمكاتبها في الاستانة : « أصدر غبطة البطريك المسكوني لاروم الارتوذكس في الاستانة منشوراً شديداً اللهجة الى جميع المطارنة ضد المدارس الدينية الفرنسية حرض به أبناء الطائفة الارتوذكية أن لا يرسلوا أولادهم اليها » اه فهل سمع مثل هذا عن شيخ الاسلام في الاستانة أو شيخ الأزهر في مصر ؟ ليست المدارس الفرنسية ملأى بولاد المسلمين المخالفين لهم في أصل الدين لأن



مذهب من مذاهبه كالحلاف بين الكاثوليك والارثوذكس . نعم ان الاسلام ليس فيه سلطة دينية يحمل الملقب بشيخ الاسلام أو شيخ الازهر مسيطراً على الناس ولكن فيه وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأجدر الناس بالقيام بهذا الواجب ، هم الذين يرتقون الى مثل هذه المناصب ، ولكن تسامح الاسلام قد غلب حتى خرج عن كونه تسامحاً وتساهلاً وصار أهلاً وتقریباً

نسب صاحب هذه الجريدة ما نكتبه في الرد على صاحب مجلة الجامعة الى رجل صاحب منصب سام في المسلمين وما كان له ان يصرح بظنه لأن الحق يعرف بذاته لا بقائله والباطل كذلك ولأن آداب الصحافة تقضي بذلك فليس لي اذا رايت مقالة منتقدة في جريدة منسوبة لكتاب غير معين ان أنسبها لعظيم أحب غمزة والتيل منه او احب ان اجعل نفسي مناظراً له ليتوهم الجاهلون بي وبه انني من نظرائه . ولم يكتف صاحب الجريدة المشار اليها بالنسبة المذكورة والمقارنة بين شاب من المتدينين في الكتابة من اهل مذهبه وبين هذا الشيخ الجليل الذي ذكره بل خرج عن الموضوع في عدد آخر ( وهو العدد الأخير ) واتى بجانب اسمه بما لا يليق أن يصدر من السوقة . هذا وكل من قرأ الرد على الجامعة أعجب بتراهة الكلام وادبه لانه لا يشم منه رائحة تحقير احد فليس فيه ان صاحب الجامعة « اساء الفهم وتجاهل » ولا « انه حقر المسلمين » بل كل ما فيه سرد القول من كتب الدين وكتب التاريخ وما يقادر الى الفهم منها مع الاعتذار عن المعارض على الاسلام والمسلمين والتناء عليه بما عده الناس فوق ما ينبغي . فما كان لمن عومل هذه المعاملة ان يعامل بضدها من عدهم من الاصدقاء ، وهو مأمور بحبة الاعداء ، ولا أن يستجد ابن مذهب ليقول في الانتصار له مالا يقوله هو أو يرضى منه ذلك ليحقق التحويل الذي اشار اليه وأرجف به وتبرأ من تبعته والقاها على من رده عليه . تلك آداب دين التعصب والغلظة وهذه آداب صاحب الجريدة المنتصرة لدين التسامح والمسالمة ومحبة الاعداء . أقام الله منهم ادلة على دعاويهم ، وأيد كلمة الحق بما تقذفه افواه متأدبهم ،

وبقي ان نقول ان فضلاء المسيحيين وأدباءهم قد قدروا الرد الذي نشره قدره وعرفوا قيمته اذ فهموا انه ابان ما كتب في اقناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة مع المخالف في الدين ، ووجوب الأخذ باسباب الارتقاء الذي هو الوسيلة الوحيدة لمساعدة الشرق والشرقيين ، ولو تأنى الرصيف المحترم صاحب الجامعة الغراء وصبر حتى قرأ



الرد كله ( ولم يحكم بأنه ٣٥ صفحة فقط ٠٠٠ ) لجاز ان يظهر له منه ما ظهر لعلماء  
المسيحيين وكبار كتابهم من انها كبر خدمة خدم بها الشرق ، والله الهادي الى سبيل الحق

### ﴿ سخافة بشارت السلام . في الجاهلية والاسلام ﴾

نشرت مجلة بشارت السلام الانجيلية في جزئها التاسع نبذة في الجاهلية والاسلام  
زعمت فيها ان الاسلام في عقائده وأعماله دون الجاهلية وقد توسعت في الكلام على  
الركن الأعظم في الايمان وهو توحيد الله تعالى فزعمت أن الاسلام زاد الجاهلية وثنية  
على وثنيها !!! واحتجت على ذلك بستة أمور (١) كون الايمان بمحمد محمياً بعد الايمان  
بالله تعالى فجعلت هذا شركاً بالله وما هذا الا الايمان بالوحي والرسول فان من ينكر نبوة  
موسى أو عيسى كافر عند المسلمين كمن ينكر نبوة محمد عليهم الصلاة والسلام . فيظهر  
أن الايمان بالوحي شرك ووثنية عند الكاتب الانجيلي . وتعييره بمقارنة الاسمين في  
الشهادتين لا يزيد الشبهة قوة فان صيغة الشهادة المروية في الصحيحين هي «أشهد أن لا اله  
الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله» فهل يكون العبد رباً وآلهاً؟؟ وأما المقارنة في  
الذكر قولاً وكتابة فهي لا تمتنع الا اذا حرم ذكر الله تعالى ومنع بالمرّة؟ الا يقول  
الكاتب : رحم الله فلانا ونحو هذا؟ وقد كبرت على الكاتب كلمة توجد في بعض كتب  
المسلمين وهي ان كلمتي الشهادة مكتوبتان على العرش قبل خلق السموات والارض .  
القول بهذه الكتابة ليس من عقائد الاسلام فمن عاش ومات ولم يسمع بها أو سمع ولم  
يصدق بأنها وردت في الحديث بالمرّة فلا يعدّ هذا ولا ذاك نقضاً لإيمانه ولا نقضاً منه .  
واذا قلنا ان هذه الكتابة ثبتت وصحت فأى وثنية فيها والآله آله والعبد عبد؟ نعم ان  
ذلك يدل على التثنيف . وهل يقول الكاتب ان جميع عباد الله سواء في معرفته  
وعبادته ونفع خلقه وان تشریف بعضهم وتفضيله على الآخر شرك بالله . وان التوحيد  
الحال هو ان يعتقد الانجيلي بأن موسى كفرعون وابراهيم كنسروود بلا فرق؟ هذا  
هو فهم دعاة النصرانية في الدين ، وهذا ما ينقمون من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين  
(٢) زعم الكاتب ان المسلمين أنزلوا حديث النبي منزلة القرآن وجعلوها سواء في  
أخذ الاحكام مع اعتقادهم بان القرآن كلام الله والحديث كلام محمد . وزعم ان الشيعة  
تركوا الحديث فاسخطوا أهل السنة . وكل من الزعمين باطل فاهل السنة لا يقولون بان  
القرآن والأحاديث سواء والشيعة لم يرفضوا الأحاديث . القرآن أصل الدين والسنة مينة  
له قال تعالى «وانزلنا اليك الذِّكْرَ لتبين للناس ما نزل اليهم» وللقرآن خصائص ومزايا



ليست السنة كوجوب الايمان بجميع ما فيه وكالتعبد بتلاوته . وأما الأحاديث فلا يضر في الايمان انكار أي حديث منها ( ومن ثبت عنده شيء بالتواتر لا يستطيع انكاره وان لم يكن حديثاً فلا يجبي الحديث المتواتر هنا ) وهي على أقسام فما كان منها متعلقاً بأمور الدنيا لا يجب الأخذ به ويجوز أن يكون خطأ كما في حديث تأييد النخل الصحيح وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أتم أعلم بأمور دنياكم » وما كان متعلقاً بأمر الدين فإما أن يكون عن اجتهاد وإما أن يكون عن وحي . أما اجتهاد الأنبياء فقد جاوز علماء أهل السنة أن يقع فيه الخطأ ولكن لا يُقرّون عليه بل يأتون بالوحي ببيان الحق فيه كقوله واقعته أسرى بدر . وأما ما يقولونه عن وحي من الله فيجب الأخذ به . ويفرق المسلمون بين القرآن وبين الوحي الذي يعبر عنه النبي بعبارة من عنده ويسمى عند المسلمين خبراً وحديثاً بما تقدم وبأنه اذا وقع تعارض بينهما ولم يمكن الجمع يعمل بالقرآن دون الحديث . فالحديث الصحيح في المرتبة الثانية لا يمكن أن يساوي القرآن ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً عند ما أرسله الى اليمن بماذا يحكم فقال بكتاب الله وأنه اذا لم يجد يحكم بالسنة فأجازه على ذلك . وهذا هو المروي عن أبي بكر وعمر وغيرهم من أئمة الدين أي أنهم ينظرون في القرآن أولاً فان رأوا فيه حكم ما يطلبون قضاؤه والا بحثوا في السنة وعملوا بها . فلي نظر المسلمون كيف يخترع المسيحيون لهم اصولاً للدين ، ويننون عليها رميهم بالشرك المين ، فهذا هو تعصبيهم وهذا تساهلنا واحمد لله رب العالمين .

قال : « الثالث ذكر اسم محمد مع اسم الله في مواضع جمة من القرآن نظير شريك له في الأمر والنهي والحل والربط ووجوب الطاعة له والحجة » الخ وقال الكاتب أنه لا يذكر الشواهد الا من سورة التوبة وحدها ولكنه ذكر ثلاث آيات اثنتان منهما من التوبة والثالثة من الأحزاب . وقد حرف الآيتين مع وضعهما بين علامات تدل على أنه نقلهما بنضهما فكتب « ان الله بري عما يشركون ورسوله » والله تعالى يقول « ان الله بري من المشركين ورسوله » وكتب « وما كان المؤمن او مؤمنة » الخ والله تعالى يقول « وما كان المؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً » الآية . اما الجواب عن الشبهة فهو واضح وهو ان أحكام الله تعالى إنما تؤخذ عن رسوله فكل ما يفرضه الرسول من أمر الدين فهو مبلغ له عن الله تعالى ويصح اسناده اليه كما يصح اسناد الحوادث الطبيعية الى اسبابها لأن الله تعالى جعلها مرتبطة بها ولا يسمى شيء من



هذا شركا • وكأني بالكاتب يقول ان دينه يحكم بشرك من يقول « ينبغي للانسان ان يستحي من الله ومن الناس » ونحو هذا لأنه قرن اسم الناس باسم الله في حكم واحد فليُنظر المسلمون الى ثقة دعاة النصرانية في النقل وليقابلوا بين ما ذكر من التحريف في الآيات والخطأ في الفرو الى السورة وبين ما وقع لنا مع احد كبار العلماء وهو انه نهى الى وجوب التنيه على غلطة وقعت في المنار نقلا عن الأنجيل وهي « لم تجربوني » وقد حذفون الوقاية من الفعل بالطبع قطعت (مجبوني) • ولينأمل المتصفون في نقله عن القوم ونقلهم عنا للتمييز بين الصادقين والكاذبين ، والزبيل بين المتساهلين والمتحصين ، والحمد لله رب العالمين .

قال: « الرابع اتخذ المسلمون محمداً سيّداً لهم » ثم استنبط من هذا ان المسلمين يعتقدون بأنهم عبيد لمحمد وقال ان هذا هو الشرك الذي عناءه وجوابه ان المسلمين لم يوجبوا ان يقول احد عند ذكر النبي كلمة « سيدنا » ولم يرد الأمر بوصفه عليه الصلاة بذلك في الكتاب ولا في السنة • وقد ذهب بعض العلماء الى أن إضافة لفظ (سيدنا) على صيغة الصلاة الملاحقة بالشهد مكروهة وقال بعضهم انها مستحبة لأن هذا اللقب من ألقاب التكريم التي اعتادها الناس مع الكبراء ومع الاقران • واما استدلال الكاتب على هذه السيادة التي تستتبع الشرك عنده بآية « ان الله وملائكته يصلون على النبي » فهو غريب لأن الصلاة من الله الرحمة ومن غير الله الدعاء كما صرح بذلك العلماء • فلو كان كل من نطلب له الرحمة الهاً لنا وكل من مخاطبه بلقب السيادة الهاً لنا لكان لنا وللكتاب آلهة لا نحصى !!! نعم ان المسلمين يعتقدون ان محمداً افضل الأنبياء والمرسلين ويعبرون عن ذلك بالسيادة والأنبياء افضل بني آدم فهو افضل بني آدم وسيدهم ولكنهم ليس عبيداً له • اما وجه تفضيله فهو ظاهر بآثره وقد كتبنا فيه وسنكتب ايضاً ان شاء الله • فليأمل المتأملون في تمحل هؤلاء الدعاة المسيحيين • واستنباطهم الذي يضحك المحزونين ، والحمد لله رب العالمين .

قال: « الخامس مغالاة المسلمين في قدمية محمد الى ان قالوا انه نور كان قبل البشر » الخ وتقول ان هذه المغالاة ليست من الدين في شيء فلا توجد في القرآن ولا في كتب السنة الصحيحة ولا في كتب العقائد وانما توجد في كتب القصص والموالد التي لا اعتبار لها والدين ينهى عن القول بغير علم • على ان العامة الذين يروج عندهم هذا الغلو لا يختلفون في حدوث نبهم وغيره من الانبياء فلا يصح ان يسمى القائل بذلك مشركاً بوجه ما •



ولينظر الناظرون مبلغ عام هؤلاء الناس بالاديان التي يحكمون ببطلانها ويدعون أهلها الى تركها ويدلون على مسلم يتكلم مثلهم بغير علم ؛ ويمتدي عليهم في الدعوى ثم في الحكم ، وحسبنا اننا من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال « السادس والاخير اتخاذ المسلمين محمداً شفيعاً » ثم قال « واتخاذ الخلق شفيعاً عند الله هو عين الشرك الذي كان عليه العرب في الجاهلية لا اكثر ولا اقل » ثم ذكر ان اتخاذ الجاهلية شفعاء كثيرين اخف شركا من حصر المسلمين الشفاعة في شفيع واحد . على ان المسلمين لم يحصروا . والجواب ان الشفاعة عند المسلمين هي الدعاء . ولذلك يقولون في الصلاة على الميت « وقد آتيناك راعين اليك شفعاء له اللهم ان كان محسناً فزد في احسانه » الخ فكل مسلم شفيع بل كل مؤمن بالله يدعو الله تعالى لنفسه واخيره والدعاء لاغير يسمى شفاعة . كأن الكاتب الانجيلي يقول ان دينه يحكم بشرك كل من يذكر ميتاً كوالده او غيره ويقول رحمه الله تعالى . فهكذا يفعل ( دين التساهل ) بفتات اهله على المخافين ، واذا اجابوهم بالحق يدعونهم متعصين ، ولكن هذا لا يخرجنا عن تساهل المسلمين . والحمد لله رب العالمين ،

وان تعجب فعجب قول من اتخذوا نبيهم آلهة : ان الذين يقولون ان نبيهم عبد الله ولكنه افضل عبادته لأنه تقع خلقه افضل منقمة وهداهم بذاته اكمل هداية هم مشركون بالله لأنهم يعرفون فضل نبيهم ويسألون له رحمة الله تعالى ويطيعونه فيما يبلغه عن الله تعالى . قال الكاتب بعد ايراد ما تقدم : « ورد على ذلك اتخاذنا نحن النصارى السيد المسيح شفيعاً وحيداً بين الله والناس على ما جاء في الانجيل . فأجيب اذا كنا معتقدين ان المسيح مخلوق ( كذا ) واتخذناه شفيعاً وحيداً او معه غيره نكون بلا شك مشركين ولكن اذا كن المسيح باحققة كلمة الله الأزلي وهو الخالق وغير المخلوق الذي كان به كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان فلنا مشركين بل نبدا آلهما واحداً تبارك اسمه » !!! يعني ان شرك هو اعتقاد ان نبيهم عبد الله وان شفاعته دعاء لله وان التوحيد الخالص هو اعتقاد الناس ان نبيهم الذي ولد منذ ١٩٠٢ هو الله القديم الأزلي الخالق لكل شيء مما كان قبله وما يكون بعده . وانه شفيع بمعنى انه واسطة بين الناس وبين نفسه يعصاها ويلصقها لا ينجيهم ! الخ بخ ما أحسن هذا التوحيد . هذه شبهات المسيحيين المصلحين . فله الشكر والمنة ان جعلنا مسلمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،



قد سرعان الذي يستهون القول  
فيتمه من أحسنه أو تلك الذين هدام  
الله وأولئك هم أولو الألباب

# المسألة

بأننا نحن من بني آدم  
الكلية فقد أوتي خبراً كثيراً  
من الألباب

١٣١٥

( قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر في يوم السبت ١٦ رجب سنة ١٣٢٠ - ١٨ أكتوبر ( تشرين ١ ) سنة ١٩٠٢ )

— الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية —

( تمة المقال الرابع لذلك الامام الحكيم )

« الجواب »

أقول هذا كلام فيه شية من الحق ، ولعة من الصدق ، أما ما نسمعه  
حولنا من سجن من قال يقول السلف فليس : فاعمل عليه التمسك بالدين فان  
حملة المهائم إنما حركهم الحسد لا الفيرة . وأما صدور الأمر بالسجن فهو  
من مقتضيات السياسة والخوف من خروج فكر واحد من حبس التقليد  
فتنتشر عدواه فينتبه غافل آخر ويقتبه ثالث ثم ربما تسري العدوى من  
الدين الى غير الدين — الى آخر ما يكون من حرية الفكر يعودون بالله  
منها . فان شئت أن تقول إن السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فاما  
ملك من الشاهدين . اعوذ بالله من السياسة ، ومن لفظ السياسة ، ومن



معنى السياسة ، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال  
يخطر ببالي من السياسة ، ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ، ومن كل  
شخص يتكلم أو يتعلم أو يجنُّ أو يعقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس ،  
وسائس ومسوس ، . يدلك على ان المقوية سياسة أن الرجل كان يقول  
يقول السلف من اهل الدين . لا تقل : إن هذه السياسة من الدين ، فاني  
اشهد الله ورسله وملائكته وسلفنا اجمعين ، ان هذه السياسة من أبعد  
الأمر عن الدين ، كأنها الشجرة التي تخرج في اصل الجحيم ، طلعتها كأنه  
رؤوس الشياطين ، فإنهم لا يكون منها فئاتون منها البطون ، ثم إن لهم  
عليها لشرباً من حميم ، ثم إن مرجعهم لا إلى الجحيم ، إنهم ألقوا آباءهم ضالين ،  
فهم على آثارهم يهرعون ،

سبح جود المسلمين وأسبابه

واما ما وصفت بعد ذلك من الجود فهو مما لا يصح ان ينسب  
الى الاسلام وقد رأيت صورة الاسلام في صفاتها ونصوع بياضها  
ليس فيها ما يصح ان يكون اصلاً يرجع اليه شيء عما ذكرت ولا مما تنبأ  
بنو عاقبة ( رنان ) وغيره . وإنما هي علة عرضت على المسلمين عند ما  
دخل على قلوبهم عقائد أخرى ساكنت عقيدة الاسلام في اقلدتهم .  
وكان السبب في تمكنها من نفوسهم وإطفائها لنور الاسلام من عقولهم  
هو السياسة كذلك . هو تلك الشجرة الملعونة في القرآن عبادة الهوى  
واتباع خطوات الشيطان هو السياسة

لم ار كالا سلام ديناً حفظ اصاله ، وخلط فيه اهله ، ولا مثله سلطانا  
تفرق عنه جنده ، وخيف عهده ، وكفر وعيده ووعدده ، وخفي على النافلين



قصده ، وإن وضع الناظرين رشده ، اكل الزمان أهله الأولين ، وأدال منهم خسارة من الآخرين ، لأم فهموه فأقاموه ، ولأم رجموه فتركوه ، سواسية من الناس اتصلوا به ، ووصلوا نسبهم بسببه ، وقالوا نحن أهله وعشيرته ، وحماته وعصبته ، وهم ليسوا منه في شيء إلا كما يكون الجمل من العلم ، والطيش من الحلم ، وأقن الرأي من صحة الحكم ، أنظر كيف صارت مزية من مزايا الاسلام سيئاً فيما صار إليه أهله . كان الاسلام ديناً عربياً ثم لحقه العلم فصار علماً عربياً بعد ان كان يونانياً ، ثم أخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الاسلام سيلاً إلى ما كان يظنه خيراً له . ظن أن الجيش العربي قد يكون عوناً لخليفة علوي لأن الملوين كانوا الصق بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد ان يتخذ له جيشاً اجنبياً من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستعبد بها بسلطانه ، ويصطنعها بحبسه ، فلا تساعد الخارج عليه ولا تعين طالب مكانه من الملك . وفي سعة أحكام الاسلام وسهولته ما يسمح له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجيباً . خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه وخلقه ويثس ما صنع بأمره ودينه . أكثر من ذلك أنجند الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه فلم تكن الاعشية او ضحاها حتى تطلب رؤساء الجند على الخلقاء واستبدوا بالسلطان دونهم وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام والقلب الذي هذب الدين . بل جاؤا الى الاسلام بمحشونة الجمل يحملون الوية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم ، ولم ينفعه منه شيء الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل آله معه يعبده في خلوة ، ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته ، ثم عدا على الاسلام آخرون كالكنار وغيرهم



ومنهم من تولى أمره ، أي عدوّ لهُؤلاء أشد من العلم الذي يعرف الناس منزلهم ويكشف لهم قبح سيرهم ؛ فالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلهم . أما العلم فلم يحفلوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة وحملوا كثيراً من أعوانهم أن يتدرجوا في سلك العلماء وأن يتسربلوا بسرائله ليُمدّوا من قبيله ثم يضعوا للعامة في الدين ما ينقض اليهم العلم ويبعد نفوسهم عن طلبه . ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين . زعموا الدين ناقصاً ليكملوه ، أو مريضاً ليمطلّوه ، أو متداعياً ليدعموه ؛ أو يكاد ان ينقض ليقيموه ،

نظروا الى ما كانوا عليه من نفخة الوثنية ، وفي عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو برآء منه لكنهم نجحوا في إقناع العامة بأن في ذلك تعظيم شأئره ، وتفنيم أوامره ، والفوغاء عون الفاشم ، وهم يد الظالم ، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات ، وتلك الاجتماعات ، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة ، وأركس الناس في الضلالة ، وقرروا ان التأخر ليس له أن يقول بخير ما يقول المتقدم وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر ويجمد المقول . ثم بثوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والَاخبار والآراء ما يتنع العامة بأنه لا نظر لهم في الشؤون العامة . وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لا يمينه . وأن ما يظهر من فساد الأعمال ، واختلال الأحوال ، ليس من صنع الحكام وإنما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من أحوال



آخر الزمان . وأنه لا حيلة في إصلاح حال ولا مآل . وأن الأسلم تفويض ذلك لله وما على المسلم إلا أن يقتصر على خاصة نفسه . ووجدوا في ظواهر الألفاظ لبعض الأحاديث ما يبينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ما شد أزرهم في بث هذه الأوهام . وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتعاونت ولاية الشر على مساعدتهم في جميع الأطراف واتخذوا من عقيدة القدر مشطاً للمزائم وغلاً للأيدي عن العمل . والعامل الأقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات إنما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى . أمور إذا اجتمعت أهلكتك . فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم ويبينها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة سياسة الظلمة وأهل الأثرة هي التي روجت ما أدخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملاً كان يخرق به أطباق السموات ، وأخذت به إلى يأس يجاور به العجاوات ، فجُل ما تراه الآن مما تسميه إسلاماً فهو ليس بإسلام وإنما حفظ من أعمال الإسلام صورة الصلاة والصوم والحج وقليل من الأقوال التي حرفت عن معانيها . ووجدل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات إلى الجلود الذي ذكرته وعدوه ديناً . نموذجاً لله منهم ومما يفترون على الله ودينه . فكل ما يبغى الآن على المسلمين ليس من الإسلام وإنما هو شيء آخر سموه إسلاماً . والقرآن شاهد صادق « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » يشهد بأنهم كاذبون ، وأنهم عنه لاهون ، وعمما جاء به ممرضون ، وسنوفي لك الكلام في مفساد هذا الجلود وثبت أنه علة لا بد أن تزول



حفظ مفاسد هذا الجمود ونماجه

طالب أمد هذا الجمود لاستمرار عمل الممارين في المحافظة عليه ،  
 وولوع شهوراتهم بالدفاع عنه ، وقد حدثت عنه مفاسد يطول بيانها وإنما  
 يحسن إجمال القول فيها . كان الدين هو الذي ينطلق بالعقل في سعة العلم  
 ويسبح به في الأرض ويصعد به إلى أطباق السماء ليقف به على أثر من  
 آثار الله أو يكشف به سرّاً من أسرارهِ في خليقته ، أو يستنبط حكماً من  
 أحكام شريعته ، فكانت جميع الفنون مسارح للعقول تقتطف من ثمارها  
 ما تشاء وتبلغ من التمتع بها ما تريد . فلما وقف الدين ، وقعد طلاب اليقين ،  
 وقف العلم وسكنت ربحه ، ولم يكن ذلك دفعة واحدة ولكنه سار سير التدرج  
افساد الجمود للغة : أول جناية لهذا الجمود كانت على اللغة العربية وأساليبها  
 وآدابها فان القوم كانوا يُعنون بها لحاجة دينهم إليها — أريد حاجتهم في  
 فهم كتابهم إلى معرفة دقائق أساليبها ، وما تشير إليه هيئة تركيبها ، وكانوا  
 يجدون أنهم لن يلفحوا ذلك حتى يكونوا عرباً بملكاتهم ، يساوون من  
 كانوا عرباً بسلاطنتهم ، فلما لم يبق للمتأخر إلا الأخذ بما قال المتقدم قصر  
 انحصارون تحصيلهم على فهم كلام من قبلهم وانكفوا بأخذ حكم الله منه  
 بدون أن يرجعوا إلى دليله ولو نظروا في الدليل فرأوه غير دال له بل دالا  
 لخصمه بأن كانت عرض له في فهمه ما يعرض للبشر الذين لم يقرر الدين  
 عصمتهم لخطأ وأظلموا وأعموا أبصارهم وقالوا: نموذ بالله أن تذهب عقولنا  
 إلى غير ما ذهب إليه متقدمنا وأرغموا عقابهم على الوقفة فيصيه الشال من  
 تلك الناحية . فاي حاجة له بعد ذلك إلى اللغة العربية نفسها وقد يكفيه  
 منها ما يفهم به أسلوب كلام المتقدم وهو ليس من أولئك العرب الذين



كان ينظر الأولون في كلامهم .

وهكذا كل متأخر يتصرفه على النظر في كلام من يليه هو غير مبال  
بسلفه الأول بل ولا بما كان يحفّ بالقول من أحوال الزمان فهو لا ينظر  
إلا اللفظ وما يعطيه فتسقط منزلته في تحصيل اللغة بمقدار بعده عن أهلها  
حتى وصل حال الناس إلى ما نراه عليه اليوم . جملوا دروس اللغة لفهم  
عبارة بعض المؤلفين في النحو وفنون البلاغة وإن لم يصلوا منها إلى غاية  
في فهم ما وراءها قد رست علوم الأولين وبادت صناعاتهم ، بل فقدت  
كتب السلف الأولين رضي الله عنهم ، وأصبح الباحث عن كتاب المدونة  
لمالك رحمه الله تعالى أو كتاب الام للشافعي رحمه الله تعالى أو بعض  
كتب الامهات في فقه الحنفية كطالب المصحف في بيت الزنديق . تجد  
جزءاً من الكتاب في قطر وجزءه الآخر في قطر آخر فإذا اجتمعت لك  
أجزاء الكتاب وجدت ما عرض عليها من مسخ النساخ حاثلاً بينك  
وبين الاستفادة منها

هذا كله من أثر الجلود وسوء الظن بالله وتوهم أن أبواب فضل الله  
قد أغلقت في وجوه المتأخرين ، ليرفع بذلك سنازل المتقدمين ، وعدم  
الاعتبار بما ورد في الإخبار من أن المبلغ ربما كان أوعى من السامع<sup>(١)</sup> وإن  
هذه الأمة كالطر لا يدري أوله خير أو آخره<sup>(٢)</sup> وقلة الالتفات إلى أن  
ذلك قد أضاع آثار المتقدمين أنفسهم ولا حول ولا قوة إلا بالله . لا ريب

(١) النار : يشير إلى حديث ابن مسعود عند الترمذي وابن ماجه وهو : سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله امرأ سمع في شيئاً فبلغه كما  
سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع ، ورواه غيرهما عن غيره . (٢) يشير إلى حديث



ان القارئ يحيط بمقدار ضرر هذه الجناية على اللغة : يكفيه من ذلك انه اذا تكلم بلغته لغة دينه وكتابه وقومه لا يجد من يفهم مايقول ، وأي ضرر أعظم من عجز القائل عن ان يصل بمعناه الى المقول ،

افساد النظام والاجتماع : وأعظم من هذه الجناية جناية التفريق وتمزيق نظام الأمة وإيقاعها فيما وقع فيه من سبقها من الاختلاف وتفرق المذاهب والشيخ في الدين . كان اختلاف السلف في الفتيا يرجع الى اختلاف أفهام الأفراد والكل يرجع الى أصل واحد لا يختلفون فيه وهو كتاب الله وماصح من السنة فلا مذهب ولا شيعه ولا عصبية . ولو عرف بعضهم صحة مايقول الآخرون لا تسرع الى موافقته كما صرح به جميعهم . ثم جاء أنصار الجمود فقالوا يولد مولود في بيت رجل من مذهب إمام فلا يجوز له ان ينتقل من مذهب أبيه الى مذهب إمام آخر . واذا سألتهم قالوا : « وكلهم من رسول الله ملتصق » لكنه قول باللسان ، لا أصل له في الجنان ، ثم كانت حروب جدال بين أئمة كل مذهب لو صرفت آلاها وقواها في تبين أصول الدين ونشر آدابه وعقائده الصحيحة بين العامة لكنا اليوم في شأن غير ما نحن فيه . يجد المظالم على كتب المختلفين من مطاعن بعضهم في بعض مالا يسع به أصل من أصول الدين الذي ينتسبون اليه . يضلل بعضهم بعضاً ويرمي بعضهم بعضاً بالبعد عن الدين وما المطعون فيه بأبعد عن الدين من الطاعن ولكنه الجمود ، قد يؤدي الى الجمود ،

كان الاختلاف في العقائد على نحو الاختلاف في الفتيا مخالف

أنس عند الترمذي وهو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل أمي مثل النار لا يدري أوله خير أم آخره » ورواه غيره



أشخاص في النظر والرأي. وكان كل فريق يأخذ عن الآخر ولا يبالي بمخالفته له في رأيه. مسجدهم واحد وإمامهم واحد وخطيبهم واحد. فلما جاء دور الجهود - دور السياسة - أخذ المتخالفون في التنطع، وأخذت الصلات تنقطع، وامتازت فرق وتآلفت شيع. كل ذلك على خلاف ما يدعو إليه الدين. وقد بذل قوم وسهرهم في تمييز الفرق تمييزاً حقيقياً فما استطاعوا وانما هو تمييز وهمي، وخلف في أكثر المسائل لفظي، وانما هي الشهوات وضروب السياسات اشعلت نيران الحرب بين المنتسبين الى تلك الشيع حتى آل الأمر الى هذه الفرقة التي يظن الناظر فيها أنها لا دواء لها. قال قائل من عدة سنين: إنه ينبغي أن يعين القضاة في مصر من أهل المذاهب الأربعة لأن أصول هذه المذاهب متقاربة وعبارات كتبها مما يسهل على الناظر فيها أن يفهمها. وقال: إن الضرورة قاضية بأن يؤخذ في الأحكام ببعض أقوال من مذهب مالك أو مذهب الشافعي تيسيراً على الناس ودفعاً للضرر والفساد. فقام كثير من المتورعين، يحوقلون ويندبون حظ الدين، كأن الطالب يطلب شيئاً ليس من الدين، مع أنه لم يطلب الا الدين، ولم يأت الا بما يوافق الدين، وبما كان عليه العمل في أقطار العالم الى ما قبل عدة سنين. فأين قول هؤلاء « وكلهم من رسول الله ملتس »؛ لكن هو جهود المتأخر على رأي من سببه مباشرة وقصر نظره عليه دون التطلع الى ما وراءه. أو هي السياسة تحل ما تشاء وتحرم ما تشاء، وتصحح ما تشاء وتبطل ما تشاء، والناس منقادون اليها بأزمة الاهواء،

جناية الجهود على الشريعة: هذا الجهود في أحكام الشريعة جرّاً الى غسر حمل الناس على إهمالها. كانت الشريعة الاسلامية أيام كان الاسلام إسلاماً



سمحة تسع العالم بأسره وهي اليوم تضيق عن أهلها حتى يضطروا إلى أن يتناولوا غيرها وأن يتسوا حماية حقوقهم فيما لا يرتقي إليها. وأصبح الاتقياء من حملها يتخاصمون إلى سواها. صعب تناول الشريعة على الناس حتى رضوا بجهلها عجزاً عن الوصول إلى علمها فلا ترى العارف بها من الناس إلا قليلاً لا يمد شيئاً إذا نسب إلى من لا يعرفها. وهل يتصور من جاهل بشريعة أن يعمل بأحكامها؟ فوقع أغلب العامة في مخالفة شريعتهم بل سقط احترامها من أنفسهم لأنهم لا يستطيعون أن يطبقوا أعمالهم على مقتضى نصوصها. وأول مانع لهم ضيق الطاقة عن فهمها لصعوبة العبارات وكثرة الاختلاف. سألت يوماً أحد المدرسين في بعض المذاهب: هل تبيع وتشتري وتصرف النقود على مقتضى ما تجد في كتب مذهبك؟ فأجاب أن تلك الأحكام قلما تخطر بباله عند المعاملة بالفعل وإنما يفعل ما يفعل الناس. هكذا فعل الجلود بأهله ولو أرادوا أن تكون للشريعة حياة تحي بها الناس لعلوا ولسهل عليهم وعلى الناس أن يكونوا بها أحياء. تعلم ما وصل إليه الناس من فساد الأخلاق والانحراف عن الشريعة. لو سألت عن سبيه في القرى وصغار المدن لوجدته أحد أمرين إما فقد العارف بالشريعة والدين وسقوط القرية أو المدينة في جاهلية جهلاء يرجع بعض أهلها إلى بعض في معرفة الحلال والحرام وليس المسؤول بأعلم من السائل والكل جاهلون. وإما عجز العارف عن تفهيم من يسأله لاعتقال لسانه عن حسن التعبير بطريقة تفهمها العامة فهو إذا سئل يقرأ كتاباً أو يسرد عبارة يصعب على السامع فهمها وعلى المتكلم إفهامها. وذلك للخرج الذي وضع فيه نفسه فلا يستطيع التصرف فيما يسمع ولا فيما يعلم. فإذا



قلت للعارف تعلم من وسائل التعبير ما يقدرك على مخاطبة الطبقات المختلفة من الناس حتى تنفع بعلمك وأعل نفسك إلى أن تفهم الغرض من قول إمامك فتجد لأصله انطباقاً على هذه الحادثة مثلاً وإن لم يأت ذكرها بنفسها في قوله أو قول من جاء بعده من أتباعه . قال : سبحان الله : هل فعل ذلك أحد من المشايخ ؟ يريد أن لا يأتي شيئاً إلا ما أتى به شيخه الذي أخذ عنه يدأ بيد ولو أبعد بنظره لوجد قدماء المشايخ قد فعلوه وبالفراغ فيه حتى خالفوا من أخذوا عنه في بعض رأيه . ثم إذا حاجبته في ذلك لم يبعد من رأيه أن يمدك زنديقاً وأنتك تدعوه إلى الخروج من دينه ولا يدري المسكين أنه بذلك يخالف نصوص دينه وأنه يتبهاً للخروج منه نعوذ بالله تعالى

كان كلام بني وبين أحد المدرسين في أخذ الطلبة بالنصيحة وتذكيرهم بفضائل الأخلاق وصالح الأعمال خصوصاً عند إلقاء الدروس الفقهية ودروس الحديث والتوحيد . فقال لي : أنه لا فائدة في ذلك قطماً وهو تعب في غير طائل . فقلت له : ذلك حق عليك أن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وليس عليك أن يأمر بالمأثور ولا أن ينهي المنهي . فقال : إذا تحققت استحالة المنفعة كان الأمر والنهي لغوا . فانظر كيف اعتقد استحالة الانتفاع بنصحه لبلوغ الفساد من النفوس غايته كما يزعم . ولم ينظر في الوسيلة لاقتلاع هذا الفساد مع أن الدين يدعو إلى ذلك وهو يعمل كل يوم عمله لتعليم من لا سبيل إلى إصلاحه . هذا كله لأنه لم يرفضه أهلاً لأن يتخذ وسيلة لم يتخذها من أخذ عنه أو لم يرشده إليها من تعلم هو بين يديه ولم يتذكر عند ذلك شيئاً من الأوامر الإلهية التي وردت في



النصيحة والتأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن اليأس من روح الله إنما يكون من القوم الكافرين أو الضالين

لا بل إذا قلت له أن هذا الضرب من ضروب التعليم عقيم لا ينجح المطلوب منه أو أن هذا الكتاب الذي تعود الطلاب قراءته قد يضر بقاريه وغيره أفضل منه . كاد يظن أن قولك هذا مخالف للدين ورأي المدول عما تعودوا نوعاً من الإخلال بالدين . وقد يقيم عليك حرباً يعتقده نفسه فيها مجاهدات في سبيل الله إذا قلت له : أن دروس السنف كانت تقريراً للمسائل وإملاء للحقائق على الطلاب ولم يكن لأحد منهم كتاب يأخذه بيده ويقرئه تلازمته ولم يكن بأيدي الطلبة إلا الأقلام والقراطيس يكتبون ما يسمعون من أفواه أساتذتهم . وقد يعترف لك بصحة ما تقول ولكنه يستمر في عمله اعتماداً على أنه وجد الناس هكذا يعملون . فهل يخطر ببال عاقل أن هذا الجود من الدين ؟ وهل يرتاب من له أدنى إدراك في سوء عقابه على الدين وأهل الدين ؟

جناية الجود على العقيدة : ذلك جودهم في العمل وأشد ضرراً منه

الجود في العقيدة . نسوا ما جاء في الكتاب وأيدته السنة من أن الإيمان يعتمد اليقين ولا يجوز الأخذ فيه بالظن وإن العقل هو ينبوع اليقين في الإيمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة وإن النقل ينبوع له فيما بعد ذلك من علم النيب كأحوال الآخرة وفروض العبادات وحياتها وإن العقل إن لم يستقل وحده في إدراك ما لا يد فيه من النقل فهو مستقل لا محالة في الاعتقاد بوجود الله وبأنه يجوز أن يرسل الرسل فتأينا عنه بالنقول . نسوا ذلك كله وقالوا : لا بد من اتباع مذهب خاص في العقيدة



وافترقوا فرقا وتمزقوا شيعا كما قلنا . ولم يكفهم الإلزام باتباع مذهب  
خاص في نفس المعتقد بل ذهب بعضهم الى أنه لا بد من الأخذ بدلائل  
خاصة للوصول الى ذلك المعتقد فيكون التقليد في الدليل كالنقل في المدلول .  
وكأنهم لذلك جعلوا النقل عمادا لكل اعتقاد وباليته النقل عن المعصوم  
بل النقل ولو عن غير المعروف . فتقررت لديهم قاعدة : ان عقيدة كذا  
صحيحة لان كتاب كذا للمصنف فلان يقول ذلك . ولما كانت الكتب قد  
تختلف أقوالها صار من الصعب أن يجد الواحد منهم لنفسه عقيدة قارة  
صافية غير كدرة ولا مترعزعة . وقد سرى ذلك من قراء المتأخرين الى أميهم  
فترامهم يعتقدون بكل ما يقال وينقل عن معروف الاسم وان لم يكن في حق  
الأمر من أهل العلم وتناقض عقائدهم على حسب تناقض مسوعاتهم  
انجر التساهل في الاعتماد على النقل الى الخروج عما خطه لنا السلف  
رضي الله عنهم فقد كانوا ينقبون عن صفات من ينقلون عنه ويمتحنون  
قوله حتى يكونوا على شبه اليقين من أنه موضع الثقة . ولكن جهود المتأخر  
على ما يصل اليه من المتقدم صير النقل فوضى فتجد كل شخص يأخذ بمن  
عرفه وضمن أنه أهل للأخذ عنه بدون بحث ولا تنقيب حتى شاع بين الناس  
من الأقوال وموضوعات الأحاديث ما ترتفع الأصوات بالشكايه منه  
من حين الى حين . وكل ما نراه من البدع المتجددة فنشأه سوء الاعتقاد  
الذي نشأ من رداءة التقليد والجمود عند حد ما قال الأول بدون بحث في  
دليله ولا تحقيق في معرفة حاله وإهمال المقل في المقائد على خلاف ما يدعو  
اليه الكتاب المبين والسنة الطاهرة . دخلت على الناس لذلك عقائد يحتاج  
صاحب الثيرة على الدين في اقتلاعها من أنفسهم الى عناء طويل وجهاد شديد



وسلاحه الكتاب وسلاح أعدائه أقوال بعض من تقدم ممن يعرف ومن لا يعرف . وما أكثر عدد من ينصر أعداءه اليوم وما أقلهم غدا إن شاء الله .  
سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الأزهر عن حكم عمل من الأعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة - ومنزلة الشيخ من الرياسة في أهل العلم بالدين منزله - فأتى بما ينطبق على السنة وما يعرفه المارفون بالدين وقال إن العمل بدعة من البدع يجب التره عنها . أظن أن المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا ؛ كلاً . حدث قيل وقال ، وكثرة تسأل ؛ ودخلت السياسة ثم قيل إن الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الأمر كذلك من قبلنا . سكت السائل وماذا يصنع المحيب . ثم هذا من شؤم ذلك الجلود فقد فصل بين العامة ومن يرجى فيهم تقويم ما أغوج منها ووكلاها إلى أناس منها لا علم لهم بالدين ولا بالأدب وقد غرسوا في أذهان الدهماء شر الغرس ولا نمجني الأمم منه إلا أخبث الشر . فلو قام العالم بالدين وأراد أن يبين حكم الله المصريح به في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المجمع عليه عند السلف قاطبة انتصب له ناعر من العامة يصبح في وجهه « ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين » ويريد من آباءه الأولين من رآهم بعد ولادته أو ذكرت له أسماؤهم بلسان مضايه حتى صار إرشاد العامة اليوم من أصعب الأمور وأشقها على طالبه

ماذا يمكن أن أقول ؛ أصبح الرجل يرتكب في وسائل العبادة أقبح المنكرات في الدين وإذا دعي إلى ترك المنكر نفر وزمجر ، وأبى واستكبر ، انظر ماذا يصنع الموسوسون ومن يقرب منهم في الاستبراء من البول على مرأى من المرأة وفيهم النساء والأطفال وهم يظنون أنهم يتقربون إلى الله بما يفعلون





هذا هو شأن العامة يرون ما ليس بدين ديناً ويصمم على حفظ الدين ارشادهم بفضل جمودهم على ما ورثوا من ملقنيهم بدون تعقل .  
فهذا معظم الامة تراه قد تخلص من أيدي منذريه ولو شاؤا لأقبل كل منهم على صاحبه وهو أيسر شيء على حملة الشريعة وما هو إلا ان يرحموا الى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من سعة الدين وسياحته ، ثم العمل على حفظه وحياطته ،

الجمود ومتعلمو المدارس النظامية

ثم ان الجمود قد أحدث لنا فريقاً آخر وهو فريق المتعلمين على الطرق الجديدة إما في مدارس الحكومات الاسلامية وإما في المدارس الاجنبية داخل بلادهم أو خارجاً عنها . لا أتكلم عن هذا الفريق في بلاد القرم أو القوقاس أو سمرقند وبخارى أو الهند فاني لأعرف كثيراً من أحوالهم ومن رأيته منهم رأيت فيه خيراً وأرجو أن يكون منهم لقومهم ما ينتظره الاسلام من المارفين به فقد رأيت أفراداً قليلين من هؤلاء تعلموا في البلاد الأوربية ودرسوا العلوم فيها درساً دقيقاً وهم أشد تمسكاً بلب الدين الاسلامي وروحه من كثير ممن يدعي الورع والتقوى ولا يسمحون لأنفسهم بترك عادة صحيحة من المادات التي أورثها دينهم لقومهم فتم المتعلمون هؤلاء أكثر الله منهم

وانما أتكلم عن هذا الفريق من المتعلمين في مصر وسوريا وسائر بلاد الدولة العثمانية . ساحة الاسلام وسعة حلمه للعلم أباحت للمسلمين أن يرسلوا أولادهم ليأخذوا العلم في المدارس الرسمية وغير الرسمية عن أساتذة فيهم المسلم وغير المسلم أو عن أساتذة كلهم غير مسلمين بل في مدارس لم



تبين الاتروج دين غير الدين الاسلامي . وأباحث أمير آباء هؤلاء التلامذة أن  
يسكنوا وان لا ينكروا عليهم عما هم مادامت العقيدة سالمة من الهدم والضممة  
جود تلامذة المدارس الأجنبية : هؤلاء التلامذة ان كانوا في مدارس  
أجنبية لا أثر لتعليم الدين الاسلامي فيها بل ربما يتعلم فيها دين آخر فقد  
يسري الى عقائدهم شيء من الضمف وقد تذهب عقائدهم بالمرّة وتحتل  
مكانها عقائد أخرى تناقضها كما شوه ذلك مراراً . ولو كان آباؤهم على علم  
بطرق الاستدلال الإقناعية لعقائد دينهم لدعموا من عقائد أبنائهم  
وحفظوها من التزلزل أو الزوال . وكيف يكون لأولئك الآباء شيء من  
هذا العلم مع الجمود على طرق قديمة لا يصل الى فهمها من ينقطع لتعلمها  
فضلاً عن أولئك المساكين . بل لو كان هناك مرشدون على طريقة  
يسهل فهمها لتيسر لهؤلاء التلامذة أن يهتدوا بهديهم ولكن الجمود صير  
كل شيء صعباً وكل أمر غير مستطاع

فهذه جنابة من جنابات الجمود على أبناء المسلمين الذين يتعلمون في  
مدارس أجنبية يخرجهم من دينهم من حيث لا يشعرون . وباليتم يستبدلون  
بالدين رادعاً آخر من الأدب والحكمة كما يرجو بعض المغرورين الذين  
لا يعلمون طبائع هذه الأمم أو كما يروجه بعض من لا يريد الخير بها .  
ولكنه ترك أفئدتهم هواء خالية من كل زاجر أو دافع اللهم الا زاجراً  
عن خير أو دافعاً الى شر فاتخذوا إلهم هواهم وامامهم شهوتهم فهلكوا  
وأهلكوا . ومن هؤلاء ورثة الاغنياء الذين تصيح من شرور أعمالهم  
لجرائد كل يوم . فالجهل خير مما يتعلم هؤلاء بدون ربة وليت الاسلام  
لم يرحب صدره لمثل هذا الضرب من التعليم والتعلم .



وجود تلامذة المدارس الرسمية والأهلية : -

أما المتعلمون في مدارس رسمية أو غير رسمية للتعليم الديني فيها شيء من البقية . فهو لا يتشاور على شيء من المعارف في الفنون المختلفة وتقرر لهم حقائق في الوجود الساموي أو الأرضي أوفى الاجتماع الانساني ومن عرف شيئاً انطاق لسانه بالخوض فيه وقد يسمعه متطاع ممن يلبس لباس أهل الدين وهو جامد على الفاظ سبها فلو سمع غيرها أنكره وظنه مخالفاً للمعدة الصحيحة فيأخذ يلوم المتعلم ويوبخه ويرميه بالمروق من الدين . هذا والمتعلم لا يشك في قوة دليله وجهله بالدين يعتقد أن ما يقوله خصمه منه فينفر من دينه نفرة من الجهل . ولو قال له قائل : ارجع الى كتب الدين تجد فيها ما يسرك وينصرك على نفسك وخصمك . حار لا يدري الى أي كتاب يرجع ولم يسهل عليه فهم تلك العبارات التي ورثها القوم على ما فهم من تشبث وتمسك وأبقوها كما ورثوها . فيود الى النفور من الدين نفور طالب الفهم مما لا يمكنه فهمه

لهذا يعتد أكثر هؤلاء ان الدين شيء غير مفهوم بل قد يسهده بعضهم خرافة « نعوذ بالله » فيأخذون عنه جانباً ويتركون عقائده ونضائله وآدابه ويلتمسون لهم آداباً في غيره وقلما يجدونها فتراهم وقد فترت قلوبهم وقصرت همهم فلا يطلبون الا ما تطالبه المامة من كسب مميصة أو علو جاه ويسلكون الى ذلك أي طريق ولو أضروا بالمامة أو الخاصة « مادام الشرف محفوظاً » فاذا وجد بينهم من يدعي الوطنية أو النيرة المالية أو نحو ذلك فأنما ينثر الاتفاظ ثراً لا يرجع فيها الى أصل ثابت ولا الى علم صحيح ولهذا يطلب المصلحة لبلادهم من الوجه الذي يؤدي الى المفسدة وهو يشعر



أولا يشر على حسب حاله . ومنهم من يصيح باسم الدين ولا تتحرك نفسه  
لمعرفة حكم من أحكامه أو درس عقيدة من عقائده فشأنهم كلام في كلام  
وليس ما يصنعون . ولولا هذا الجمود لوجدوا في كتب دينهم وفي أقوال  
حملته ما يفتح به قلوبهم ؛ وتطمئن اليه نفوسهم ؛ ولذا اقوا طم العلم ، وأدوما  
بالدين وتمكنوا من نفع أنفسهم وقومهم ووجدت منهم طبقة مبروفة يرجع  
اليها في سير الأمة وسياسة أفكارها وأعمالها الاجتماعية .

### ﴿ الجمود على نزول ﴾

( المقال الخامس لذلك الإمام الحكيم . وفيه بيان علاج الداء )

تفصيل مضرات هذا الجمود وسيئاته يحتاج الى كتاب طويل فنكتفي  
بما أوجزناه في الصفحات السابقة . ولكن يبقى الكلام في أنه عارض  
يمكن زواله ان شاء الله تعالى .

قد عرفت من طبيعة الدين الاسلامي بعد عرضها عليك فيما سبق  
أنها تسمو عن أن ينسب اليها هذا المرض الخبيث — مرض الجمود على  
الوجود — وكم في الكتاب من آية تنفر من اتباع الآباء مهما عظم أمرهم  
بدون استمال العقل فيما كانوا عليه ولا حاجة الى إعادة ذلك . ثم اننا أشرنا  
أيضاً الى بعض الاسباب التي جلبت هذا الجمود على المسلمين لا على الاسلام  
وان محدثها إما عدو للمسلمين طالب لخنض شأنهم أو لاستبعادهم  
والاستغلال أيديهم الخاصة نفسه . وإما محب جاهل يظن خيراً ويميل  
شراً وهذا الثاني كان أشد نكابة ، وأعون على الغواية ، وهمل نزول  
هذه العلة ويرجع الاسلام الى سبته الأولى وكرمه القياض وينفض بأهله  
الى ما فخر لهم فيه ؟ ؟



جاء في الكتاب المبين « إِنَّا نَحْنُ نُزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »  
 ذلك الذِّكْرُ هو الذِّكْرُ الحكيم وهو القرآن الذي أُحكمت آياته ثم فصلت  
 من لدن حكيم خبير ، وهو كما قال : كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ  
 يَعْلَمُونَ » وعد الله بحجته هذا الكتاب وقد أنجز وعده في تعالى إليه يد  
 عزيز متعال ، لا يدع حجب جاهل ، فبقي كما نزل ولا يضره عمل الفريقين  
 في تفسيره وتأويله ، فذلك مما لا يلتصق به فهو لا يزال بين دفتي الصاحف  
 ظاهرة تبايناً من الاختلاف والاضطراب ، وهو إمام المتقين ، يستودع  
 الدين ، واليه المرجع إذا اشتد الأمر وعظم الخطب وسئمت النفوس من  
 التخبط في الضلالات ، ولا يزال لأشعة نوره نفوذ من تلك الحجب التي  
 أقام وما دونه ولا بد أن تتمزق كل ما بأيدي أنصاره فيتباج ضياءه لأعين  
 أوليائه إن شاء الله تعالى

هذا الضياء كان ولا يزال يلوح لاممه في حنادس الظلم لأفراد  
 اختصهم الله بسلامة البصيرة فيهدون به إليه ويحمدون سرائرهم ، بما عرفوا  
 من نجاح مسماهم ، ولكن الذين اطبقت عليهم ظلم البدع ، وراى على  
 قلوبهم ما كسبوا من التحزب للشيعة ، وطمست بصرهم ، وفست عقولهم ،  
 بما حشوها من الأباطيل ، وبما عطلوها عن النظر في الدليل ، هؤلاء في  
 نهي عن نوره وقلوبهم في أكنة أن يفقهودوني آذانهم وقرع يصيحون بأنهم  
 عثم صم فلا يرون له سناء ، ولا يسمعون له نداء ، ويمدون ذلك من كمال  
 الإيعان به ولبس ما رضىوا لأنفسهم من السفه وطيش الحلم وهم يعلمون .  
 هذا حال الجمهور الأعظم ممن يوصفون بأنهم مسلمون ويحبون المار على



الاسلام بدخولهم تحت عنوانه ، ويقعون جميع أعدائه في حربه بزعيمهم  
الاجتباع تحت لوائه ، وما هم منه في شيء كما قدمنا

هؤلاء لا بد أن يصيبهم ما أصاب الأمم قباهم فقد أتبعوا سلفهم شراً بشير  
وذراعاً بذراع ونسبوا على أنفسهم بدخولهم في جحر النصب الذي  
دخلوه <sup>(١)</sup> ومن أتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت أحكام سنن الله فيهم  
فلن يخلص مما قضى الله في عذابهم . فقد قص عليهم سير الأولين وبين لهم  
ما نزل بهم عند ما انحرفوا عن سننه وحادوا عن شريعته ونسبوا كتابه  
ورأههم ظاهرياً ، تحمل بهم النذل ، وضرب عليهم المسكنة ، وأوثق غيرهم  
أرؤسهم وديارهم . فهل ينتظر المتبوءون سننهم ، السائرون على أثرهم ، أن  
نعم الله بهم غير الذي صنع بسابقهم وقد قضى بأن تلك سننه . إن  
تجدد سننه تديلاً

لا تزال الشدائد تنزل بهؤلاء المنتسبين إلى الاسلام ولا تزال القوارع  
تحل بديارهم حتى يفيقوا ( وقد بدأوا يفيقون من سكراتهم ) ويفزعوا إلى  
طلب النجاة وينسلوا قذى المحدثات عن بصائرهم ، وعند ذلك يجدون  
هذا الكتاب الكريم في انتظارهم يُدِّدُ أَلَهُمْ وسائل الخلاص ويؤيدهم في  
سبيله بروح القدس ويسير بهم إلى منابع العلم فيعرفون منها ما يشاؤون  
فيعرفون أنفسهم ويشهدون ما كان قد كن فيها من قوة فيأخذ بعضهم بيده  
بعض ويسرون إلى المجد غيرنا كلين ولا مخذولين . ولهذا أقول : إن  
الاسلام لن يقف عثرة في سبيل المدنية أبداً ولكنه سيهذبها وينقيها من

(١) النار : في الكلام إشارة إلى حديث « لتبمن سنن من قبلكم شراً بشير  
وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » الحديث رواه الشيخان وغيرها



رضارها وستكون المدنية من أقوى أنصاره حتى سرقته وعرفوا أهله. وهذا  
الجمود سينزل وأقوى دليل لك على زواله بقاء الكتاب شاهداً عليه بسوء  
حالته واطف الله بقبض أناس للكتاب ينصرونه ، ويدعون اليه ويؤيدونه ،  
والحوادث تساءلهم ، وسوط عذاب الله النازل بالجامدين ينصرهم ،

هذا الكتاب المجيد الذي كان يبعث العلم حيثما سار شرقاً وغرباً لا بد  
أن يعود نوره إلى الظهور ويترقب حجب هذه الضلالات ويرجع إلى  
موطنه الأول من قلوب المسلمين ويأوي إليها العلم يبعثه وهو خليه الذي  
لا يأنس إلا إليه ، ولا يعتمد إلا عليه ،

يقول أولئك الجامدون الحامدون كما يقول بعض أعداء القرآن :  
إن الزمان قد أقبل على آخره ، وإن الساعة أوشكت أن تقوم ، وإن ما وقع  
فيه الناس من الفساد ، وما مني به الدين من الكساد ، وما عرض عليه من  
المال ، وما تراه فيه من الخلل ، إنما هو أعراض الشيخوخة والهرم ، فلا  
فائدة في السعي ولا ثمرة للعمل ، فلا حركة إلا إلى المدم ، ولا يصح أن  
يمتد بصرتنا إلا إلى المدم ، ولا أن نتنظر من غاية لأعمالنا سوى المدم ،  
(نمود بالله) هؤلاء حنّده الجهل وأعوان الناس يهرفون بما لا يعرفون .  
ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا أنه كاد ينقطع عند نهايته ، أن الذي  
مضى بيننا وبين مبدأ الإسلام ألف وثلاثمائة وعشرون عاماً وإنما هي يوم  
وبعض يوم أو بعض يوم فقط من أيام الله تعالى . وإن آيات الله في الكون  
ـ وإن كانت تدل على أن ما مضى على الخليفة يقدر بالدهور والدهارير ، -  
تشهد بأن ما بقي لهذا النظام العظيم يقصر عن تقديره كل تقدير ؛ « فها هؤلاء  
القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » . ان ما بيننا وبين مبدأ الإسلام لا يزيد



عن عمر ستة وعشرين رجلاً كل رجل يعيش خمسين سنة . فهل يعد مثل ذلك دهنًا طويلاً بالنسبة إلى دين عام كدين الإسلام ؟ ان زماناً كهذا لا يكفي — وقد تبين أنه لم يكف — لاهتداء الناس كافة بهديه . ولم تقوم القيامة على الدين ولم تقم على شرهم وطمعهم ؟

قد وعد الله بأن يتم نوره وبأن يظهره على الدين كله فسار في سبيل التمام والظهور على المقائد الباطلة أعواماً ثم انصرف به أشده عن سبيله وصاروا به إلى ما يرون ونرى . ولن ينقضي العالم حتى يتم ذلك الوعد ويأخذ الدين بيد العالم ويساونا معاً على تقويم العقل والوجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ، ويمرّف حدود سلطنته ، فيتصرف فيما آتاه الله تصرف الراشدين ، ويكشف ما يمكنه فيه من أسرار المالمين ، حتى إذا غشبه سبجات الجلال وقف خاشعاً ، وقنل واجماً ، وأخذ أخذ الراسخين في العلم الذين قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ( كرم الله وجهه ) فيما روي عنه : « هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون القيوب ، الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فدح الله اعترافهم بالجزء عن تناول الغيب لمّا رأوا به عجزهم ، ثم اتفقوا على انهم لم ينظروا في البحث عن تفسيره ، واعتبر به ذلك بقوله : « فاقترع على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقاك فتكون من المالكين . هو التامر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطعاً <sup>(١)</sup> قدرته ، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوسوس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، وتولت <sup>(٢)</sup> التلويح اليه لتجري في كيفية صفاته ، ونغمست مداخل المتول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ،

(١) الخلق ما يتطلع عند النبي وهو آخره (٢) تولت اشتد عشتها



يدعها وهي نوب - راوي - سدف<sup>(١)</sup> النيوب متخلفة اليه سبحانه ، فرجبت  
 إذ جبت<sup>(٢)</sup> معرفة بأنه لا ينال مجور الاعتساف كنه معرفته ، ولا تخذل  
 بال أولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته ۞

هناك يلتقي ( أى العقل ) مع الوجدان الصادق ( القلب ) ولم يكن  
 الوجدان ليدبر العقل في سيره داخل حدود مملكته متى كان الوجدان  
 سليماً ، وكان الاستثناء به من نبراس الدين صحيحاً ، إياك انت تمتد ما  
 بمتقدم من السذج من ان فرقاً بين العقل والوجدان ( القلب ) في  
 الوجهة بمقتضى النطارة والغريزة . فأنما يقع التخالف بينهما عرضاً عند  
 عروض الملل والأعراض الروحية على النفوس . وقد أجمع العقلاء على  
 ان المشاهدات بالأس الباطني ( الوجدان أو القلب ) من مبادي البرهان  
 العقلي كوجدانك أنك موجود ووجدانك لسرورك وحزنك وغضبك  
 ولذتك وألمك ونحو ذلك .

منحنا العقل للنظر في الغايات ؛ والأسباب المسببات ؛ والفرق بين  
 البسائط والمركبات ؛ والوجدان لإدراك ما يحدث في النفس والذات من  
 لذائذ وآلام ؛ وهلع واطمئنان ؛ وشماس وإذعان ؛ ونحو ذلك مما يذوقه  
 الانسان ؛ ولا يحصيه البيان ؛ فها عينان للنفس تنظر بهما - عين تقع على  
 القريب ؛ وأخرى تمتد الى البعيد ؛ وهي في حاجة الى كل منهما ولا تنفع  
 بأحدهما حتى يتم لها الانتفاع بالأخرى . فالعلم الصحيح مقوم الوجدان ؛  
 والوجدان السليم من أشد أعوان العلم ؛ والدين الكامل علم وذوق ؛  
 عقل وقلب ؛ برهان وإذعان ؛ فكر ووجدان ؛ فإذا اقتصر دين على أحد

(١) السدف جمع سدفة كظلمة لفظاً ومعنى (٢) جبه ضربت جبهته ورؤد



الأمرين فقد سقطت إحدى قائمتيه وهيات أن يقوم على الأخرى .  
ولن يتخالف العقل والوجدان حتى يكون الإنسان الواحد إنسانين ؛  
والوجود الفرد وجودين ؛

قد يدرك عقلك الضرر في عمل ولكنه تمله طوعاً لوجدانك ؛  
وربما أيقنت النعمة في أمر وأعرضت عنه إجابة لدافع من سريرتك ؛  
فتقول : إن هذا يدل على تخالف العقل والوجدان . ولكني أقول : إن  
هذه حجة من لا يعرف نفسه ولا غيره . عليك أن ترجع إلى نفسك  
فتحقق من أحد الأمرين -- إما أن يقينك ليس يقين وأنه صورة  
عرضت عليك من قول غيرك فأنت تظنها علماً وما هي به . وإما أن وجدانك  
وهم تمكن فيك ؛ وعادة رسخت في مكان القوة منك ؛ وليس بالوجدان  
الصحيح وإنما هو عادة ورثتها عن حولك وظننتها شعوراً منبهة الغريزة  
وما هي منه في شيء .

( نتيجة ) : لا بد أن ينتهي أمر العالم إلى تآخي العالم والدين ؛ على سنة  
القرآن والذكر الحكيم ؛ وتأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه (١)

(١) انظر -- قال التبراني : رواه أبو نعيم في الحلية بالرفوع . به إسناد ضعيف  
ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني  
في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث بن عمر وقال : هذا إسناد فيه نظر . قلت  
فيه الوازع بن نافع متروك . وقال الزبيدي في شرح الإحياء : قلت حديث ابن عمر  
لفظه « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب  
التفكير وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الأوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي  
وضممه والاصبغاني وأبو نصر في الإبانة وقال غريب . ورواه أبو الشيخ من حديث  
ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ورواه  
ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في



« تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » وعند يكون الله قد أتم نوره ولو كره الكافرون ؛<sup>(١)</sup> وتبعهم الجامدون القانطون ؛ وليس بينك وبين ما أعدك به إلا الزمان الذي لا بد منه في تنبيه الغافل ؛ وتعليم الجاهل ؛ وتوضيح المسجع ؛ وتقويم الأعوج ؛ وهو ما تقتضيه السنة الآلهية في التدرج « سنة الله في الدين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » « إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » « انت تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وهو خير الناصرين .

(الكلام بقية)

### ﴿ الوفاق الاسلامي الانكليزي ﴾

لقد أذن الله المسلمين أن يهبوا من رقادهم ، ويسترجعوا مجد أجدادهم ، وقد سبق لنا ان قلنا في مقالة نشرت في الجزء الرابع من المجلد الثالث ان مجد الاسلام قام على أساسين وأنه هدم بهدمهما وإنما يعود بإقامتهما وهما استقلال الفكر واستقلال الارادة أما الأول فأقامته بالاجتهاد في علوم الدين والدنيا وأما الثاني فأقامته بالقوة الخ مالهناك . وقد لاحظ من قرأ مقالة ( مسترد . ج ، كوربت ) الانكليزي الذي عربتها جريدة المؤيد ونشرتها في ستة أعداد وذكرا أقطاب مسائلها في نحو صفتين من الجزء الماضي أن هذا الكاتب السياسي بنى دعوة قومه الى الاتفاق مع المسلمين على أمرين ( أحدهما ) ان دين الاسلام دين مدنية يمكن متبعيه ان يتفقوا مع أمة راقية كالأمة الانكليزية ويسيروا معها في كل طريق من طرق العمران فتنتفع بهم وينتفعوا بها . وهو يشترط في ارتقايتهم ، ما يشترطه أشهر فضلائهم ، وهو إطلاق العقل من القيود والاعلال ، وتمتعه بنعمة الاستقلال ، والتربية الدينية ، التي تعيد اليهم صفات

الله الخ . وتعدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد . (١) الكافر من يرى الدليل فيصد عنه ولا ينظر فيه أو ينظر فيعرف الحق ثم يتاري فيه وينكره منادا . اهـ من هامش الأصل



الرجولية ، و ( ثانيهما ) ان المسلمين قويتين و عديدين آتيا وهي الأمة الافغانية .  
 وأخرى في أفريقيا وهي الفرقة السنوسية ، وقد الكاتب ان الواجب على الانكليز  
 أن يستنوا بمسألة القويتين ، على تمكين ساعتهن في القارتين ، وذلك بحمل مصالحهم  
 متفقة مع مصالح الأمة الاسلامية . ومساعدتها على العروج في معارج المدنية ، فقامت أمة  
 واحدة لاجنية فيها ولاوطنية ، ( فليتم الأحداث الذين يفرقون بين المصري  
 والشامي ، والمصري والحجازي )

هل نحن في حاجة الى مساعدة دولة قوية حرة كالدولة الانكليزية ؟ وهل الدولة  
 الانكليزية في حاجة إلينا ؟ نعم ولكن فرقا بين الحاجتين . نحن نحتاج الى مثل الانكليز  
 الذين هم السلطان الرسمي وغير الرسمي على نحو عميق لأجل الترويض والقيام ، وهم  
 يحتاجون إلينا لأجل الثبات والدوام ، أو نحن نحتاج إليهم في الحال ، وهم يحتاجون  
 إلينا لأجل الاستقبال . وهل يصدق الانكليز في مساعدتنا على التقدم والارتقاء إذا نحن  
 صدقناهم ؟ نعم إذا قالوا صدقوا أولئك يقولوا حتى يستقدوا بأن المصلحة في ذلك وحتى  
 يتقوا بنا . وقد رأينا هذا الكاتب منهم يحاول إقناعهم بالمصلحة ويكوننا أهلا لتقمة  
 وقد سبقه الى ذلك غيره من كتابهم وعلمائهم فهل وجد قينا من حاول إقناعنا بذلك  
 مع أننا أخرج الى الوفاق منهم إذ من البديهي أن الخكوم الجاهل الضعيف أخرج  
 الى مرضاة حاكمه العالم القوي . ولكن الجاهل يتمه الجهل ان يعلم المصلحة وإذا  
 علمها يتمه الضعف ان يدعو قومه اليها لأن الجاهلين إنما يتخاطبون بما يهزون لا بما  
 ينتفمون . رأيت كيف كان السيد احمد خان ظننا في قومه متهماً في بلاده عند مقام  
 يدعو الى الوفاق بين مسلمي الهند وحكامهم من الانكليز ؟ لا جرم ان هذا هو شأن  
 الجهل ولكن اناس انتابوا يتسلطون به يوماً وليلة لا يلاقون من يجرهم في مصر  
 على دعواتهم السيد احمد خان عشر مختار ما بقي من الضمة وما عاق من سراره  
 الهمة وان كانت مصر ليست من الامبراطورية البريطانية كالمند

المسلمون في مصر عرفوا ما كان عليه اخوانهم مسلمو الهند أيام الخفاء بينهم وبين  
 الانكليز وعرفوا ثمرة دعوة احمد خان وثمره مدرسته في حفظ حقوقهم ومصلحتهم  
 بالوفاق مع الانكليز واسترجاع ما كان سلب منها بالتدريج . وظهر لهم خذلان أحداث  
 السياسة الذين جعلوا النفاق بالتفكير من الانكليز منبعاً للمال ومنيراً للجهل وعلموا أنهم  
 فاشون خادعون ضالون مضلون فقيرت الأحوال وصار شيخ الجامع الأزهر يزور عميد  
 الانكليز في مصر وشاعر الحديو يمدح ملك الانكليز وينشر ذلك في الجرائد التي تسمى الى



الانكليزوايس هذا ولا ذلك عن تضطرم وظيفتهم أو تقديري سياستهم بأن يفعلوا ما فعلوا  
 أننا نعلم مع هذا أن أكثر المسلمين يرتابون في تحقيق هذا الوفاق ولو عرّفوا  
 مصالحهم ومصالحه القوم بالبرهان لما كان لهم أن يرتابوا . أن من مصلحتنا التي  
 لا نشك فيها أن تكون تربتنا اسلامية دينية ويزي الانكليز الداعين الى الوفاق يرون  
 أننا في هذا . أن من مصلحتنا ان نكون رجالا مستقلين في علومنا وأعمالنا ويزي  
 الانكليز بدعوتنا الى ذلك ويقولون أنه يساعد على الوفاق يتنا وينهم . أن من  
 مصلحتنا احياء اللغة العربية لغة الكتاب والسنة واللغة الجامعة للأمة ويزي الانكليز  
 بواقفونا على ذلك . فهل ترتاب في أن شيئا من هذه الأمور هو من أهم مصلحتنا؟ كلا  
 يقول قائل : أن كاتب المقالة وطائفة من الكتاب والسياسين الانكليز قالوا بهذا  
 القول ولكن الدولة لم تقل به ولم ينتشر بعد فيصر رأيا للأمة البريطانية فنقول ان  
 الحكومة منتضطر الى مجازاة الأمة . فهل نخدع لقول بعض الكائين ، ونثق بمن  
 لا يتفق معنا في لغة ولا جنس ولا دين ؟ ونقول في الجواب : قد قال مثل ما قال  
 هؤلاء حاكم الهند العام الذي يحكم مئتي مليون من النفوس منهم نحو تسعين مليوناً من  
 المسلمين أوزهاء خمسة أضعاف ما تحكّمه الدولة العلية من المسلمين . وهب أنه لم يقل بذلك  
 أحد من الحاكين البريطانيين فأنا سألك : أي خدمة تقدمها أنت وقومك للانكليز  
 جزاء على اعتقادك باخلاصهم في حب الوفاق معكم فتخاف ان تضيع هذه الخدمة  
 مع من لا يستحقها ؟ لو أن هذه الدولة محتاجة إلينا اليوم في عمل احتياري وهي  
 نخطب وداداً لتخدمها به لكان لنا ان نقول : انه يجب علينا أن نأخذ بالاحتياط  
 ولا نخسر عملنا حتى نثق بصدق مجاملتنا .

يقولون لنا بلسان حلهم أو بلسان مقالهم : ربوا التربية الدينية ، وانصعوا بصفت  
 الاستقلال والرجولية ، وتعلموا العلوم المتنون ، وحصلوا المال والثروة ونحن  
 نساعدكم على ذلك . فهل من الاحتياط ان لا نشغل بشي من ذلك لأن هذا ثقة  
 بالقوم ولا ينبغي لنا ان نثق بهم إلا بعد قيام البرهان على صدقهم . كيف يكون هذا  
 وان ما يصدر عنهم هو عين البرهان على صدقهم .

يقول القائل : أنهم يخادعون بمثل هذه الأقوال أمير الافغان والسوسي ليكون الأول  
 معهم على روسيا وليأمنوا من اغارة الثاني على السودان . ونقول ان هؤلاء الكتاب  
 مخاطبون دولتهم وان حاكم الهند كان مخاطب رعيته المسلمين ومثله حاكم سيراليون (راجع  
 صفحة ٧٠٧ من المجلد الرابع) فهل اتفق هذا وهو في غربي أفريقيا مع ذلك في شرقي



آسيا على مخادعة السنوسي الذي لا يسمع خطبهما ولا يقرأ الجرائد فيعرف خبرهما ؟ .  
نعم ان أمير الافغان يعرف أحوال الهند وما يقول حاكمها . ولكن حاكم الهند العام  
لا يقول للمسلمين : « انني لو كنت مسلماً لما أضعت من وقتي خمس دقائق من غير  
فكر في ترقية شأن الاسلام » ولا ينصح للمسلمين بأن يقيموا التربية الدينية ويعددهم  
بمساعدة الحكومة لهم لجرد المخادعة فانه انما كان يخاطب قوماً جاهلين يخاطب رجال  
التربية الاسلامية في احتفالهم العام بمدرسة عليكده . فقوله هذا اكبر منشط لهم  
بالفعل . ثم ما كان لأمر الافغان أن يتخدع بالاقوال ، التي لا تنطبق على الاعمال ،

يقول هذا القائل : ان هؤلاء الحكام يقولون هذا ليطمن المسلمون الى حكومتهم  
وهم يعلمون ان المسلمين لا يعملون . وتقول : اذا كنت أيها المسلم أسوأ ظناً  
بقوهك منك بالانكليز فلا تجعل الذنب على خير الفريقين ولكن اجعله على شرهما  
وهو من يقال له اعمل لنفسك فلا يعمل ثم يعتذر بأن من يقول له اعمل غير  
مخلص في قوله . واعلم ان عقلاء المسلمين لا يرضون لأنفسهم ما وصفتهم به وأن  
الانكليز لم يقولوا ولن يقولوا للمسلمين اقموا ونحن نسمى لكم . وأنهم ان قالوا  
لرعاياهم : اعملوا ونحن لانعارضكم فاهم الشكر . فان زادوا وقالوا ونحن نساعدكم  
فلهم الفضل العظيم فان سار المستعمرين من الافرنج يمتعون رعاياهم ومن في حمايتهم  
من غير اهل دينهم من التعلم ، وكل وسائل التقدم .

هذا الوفاق يراه المصريون رأياً جديداً ويراه سائر الممانيين قديماً فهو رأي أكثر  
وزراء الدولة وساستها ولكنه كان وفاقاً انكليزياً تركياً . وكان عليه العمل بين الدولتين  
ولا تنسى مساعدة بريطانيا العظمى للدولة العلية في الحروب الروسية حرب القرم وما  
بمدها . ثم راحت عرى الصلة بينهما بعد احتلال انكلترا مصر وكادت سياسة المستر  
غلاستون الحمسية تقطع تلك العرى قطعاً بما ظهر من تعصبه على الدولة وعلى  
الاسلام في ابان الفتنة الأرمنية . وكان من أثر ذلك توثيق عرى الصلة بين السلطان  
وعاهل الامان وضمف نفوذ الانكليز وكسدت تجارتهم في البلاد الممانية حتى قال  
البرانس بسمرك ما مضى : ان المعلم غلاستون قد هدم بشقشقة الحق ما بنه دواته  
في نحو قرن . ولا يزال أكثر نبيه الممانيين يفضلون الانكليز على كل دولة أوربية  
وهذا كله مبني على قاعدة مسامة عندهم وهي انه لا بد للدولة من الاعتماد على دولة أوربية  
في سياستها الخارجية



لا يمكن أن نعتبر هذه المسألة من حيثها القانونية، بل من حيثها السياسية، فجميع مسلمي فرنسا، بما في ذلك المسلمون الذين وفدوا إليها في القرنين الأخيرين، لا يفتخرون إلا باسمهم، كما تفعل المسلمون الذين وفدوا معهم إليها في القرنين السابقين. أولئك المسلمون بالدولة التي يسيطرون عليها هم عن قسري، والاستقلال الذاتي الذي هو روح طراز الاجتهادية كما ينادى من قبلهم، ويزيد عليهم سيطرة حكومتهم لأنهم يرونهم مبالغين إلى حكومة أخرى، ومن شأن الضغط أن يفيد بذلك لا يفيد شيئاً لأن المصروف عليه لا يحاول التخلص من الضغط لاعتقاده على غيره، وقد ثبت هذا بالتجربة المؤيدة للنظر، كان الوفاق انكليزياً تركياً فأصبحنا نحدث بوقاق إسلامي انكليزي وهو وفاق أشرف وأعلى وأعم وأنفع، كانت سياسة انكلترا في ذلك الوفاق مبنية على قاعدة: يجب أن لا تسقط تركيا ولا تقوم يجب أن لا تموت ولا تنحيا، وأما قاعدة هذا الوفاق فهي: يجب أن يعود للمسلمين استقلالهم الذاتي وأن ينفخ فيهم روح الدين الإسلامي بفضائله وآدابه ليصمم إلى المدنية الحقيقية ولكن يشترط أن يكونوا هم العاملون والانكليز من المساعدين، فإذا صح هذا فهو أكبر أمنية يتمناها كل عاقل من المسلمين، ويرضى هؤلاء العقلاء من انكلترا بأن لا تكون على الدولة العلية إذا لم تكن معها وبأن لا تدخل جزيرة العرب ولا تمكن دولة غير مسلمة من دخولها كيفما كان حال الدولة العلية لأن الجزيرة عند المسلمين معهد ديني كالمسجد ومن أركان الوفاق إقامة دين الإسلام لاهدم مناره وتعطيل شعاره.

الواقفون بدينهم من هؤلاء العقلاء يعتقدون بأن الأمة الانكليزية الحرة إذا عملت بنصيحة مسيحية كريت وأضرابه (ومهم اسحق طيلر الذي نشرنا كثيراً من مقالاته في أجزاء من السنة الماضية والسنة الحاضرة) ودرست الإسلام درساً صحيحاً فإنها تدخل فيه أفواجاً، وقد سبق لنا القول بأن أمة أوربية كهذه إذا دخلت في الإسلام فإنها تملك بالمسلمين الشرق كله ولا يبعد أن تملك بهم الغرب أيضاً فإن أكبر قواد الحرب في أوربا قالوا أنه سهل عليهم أن يفتحوا أوربا كلها بمئة ألف من جيوش المسلمين.

أننى لنا بصوت ندي من ذي برهان قوي، يبلغ قومنا مبلغ انتفاعهم من هذا الوفاق ويطلبهم كيف يقننون الانكليز به ويمثلون له مصلحتهم فيه مندودة مع مصلحتنا في قرن، أن هذا من وظيفة الجرائد ووظيفة أهل الرأي في الأمة، وقد علمنا نحن ذاكرناهم من عقلاء المصريين الارتياح لهذا الوفاق إذا وثقوا من رضاه



الدولة الانكليزية به ورأينا الجريدة السياسية الكبرى للمسلمين في مصر ( المؤيد ) موافقة عليه ولا يوجد في مصر جريدة سياسية غيرها يعتقد المسلمون بأنها في مصلحة المسلمين . الا أن هؤلاء يرتابون في انكليز مصر ان لم يرتابوا في انكليز الهند وحجبتهم في الارتباب ما ذكره المؤيد ويذكره جميع الناس من تصرف المستر دنلوب في المعارف تصرف من يريد اضافة اللغة العربية والدين الاسلامي في مدارس الحكومة . واستفاد عمل المستر دنلوب بجمع عليه في مصر لا يختلف فيه مع المسلمين القبط والاسوريون فهو منتقد في غير ما ذكرنا من أمر اللغة والدين ولا ينسب عمله الا الى سياسة دولته . وان كان يجوز انه خطأ في ادارته .

والذي يكشف عن وجه الحق في هذه المسئلة وأشباهاها هو أن يرجع بعض الوجهاء العقلاء الى من بيده أزمة سياسة هذه البلاد وهو اللورد كرومر ويدينوا له الضرر فيما يعتقدونه ضاراً للبلاد أو للمسلمين في لغتهم أو دينهم فان أشكاهم وأزال الضرر فليهم أن يعتقدوا أن الانكليز لا يريدون بالمسلمين سوءاً وانما يحبون أن يتفهموا من بلادهم ويتفهموهم جزاء على ذلك . وان تبين له الضرر وأصر على إبقائه فليهم أن يسيروا الفطن بدولته وأن يعتقدوا أن هذه الأقوال التي تقال في الخطاب والكتب والجرائد تقرير وتمويه . اما نحن فنظن انه لا يتبع منهم بمضرة الا ويزيلها قياساً على من كلمه في شأن ابطال النيابة من المحاكم وبين له ان ذلك ضار بالبلاد فكث قتل الاتفاق على ذلك بعد توكيده . وعلى من كلمه في مسئلة بيع الدائرة السنية وبين له مضرة الفلاحين فيه فقفز الاتفاق بعد ابرامه . ومثل ذلك كثير

ونحتم البحث بقول ينبغي أن نكرره دائماً وهو أن من لا يعمل لنفسه فلا يصح ان يطالب غيره بأن يعمل له . ومن كان مفسراً في حفظ حقوقه فلا يلوم من غيره اذا قصر فيه . ومن عرف نفسه وعرف مكانه ممن يعيش معهم لا يظلم ولا يهضم . ومن أعطى الحرية في العلم والعمل ، فليس له عذر في التقصير والكسل ومن لحرف قوة الرابطة الاسلامية لا يقطعها بجدية الوطنية فلولا أن المسلمين كالجسد الواحد كما ورد في الحديث لما طلب الانكليز الوفاق معهم ، ومن ظلم نفسه كان جديراً بأن يظلمه غيره . اذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

والسلام على من تدبر القول فحكم عليه لا على الفاعل . وكان همه منه التمييز بين الضار والنافع والحق والباطل .



## تاريخ التمدن الإسلامي

### ﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

( تاريخ التمدن الاسلامي ) كتاب جديد يشغل بتأليفه صديقنا المؤرخ المتصف جرجي أقيدي زيدان صاحب مجلة الهلال الشهيرة ، وهو يبحث في نشوء الدولة الإسلامية وتاريخ مصالحها الإدارية والسياسية والمالية والجندية وسعة مملكتها وبيان ثروتها وحضارتها وأبنائها وأحوال خفافئها ومجالسهم وقصورهم وكل ما يتعلق بهم وتاريخ العلم والصناعة والأدب والشعر والآداب الاجتماعية والعادات والأخلاق في إبان ذلك التمدن وعلاقته بالتمدن الحديث ، وقد صدر الجزء الأول منه في هذه السنة وفيه من المباحث المهمة (١) بحث ( العرب والتمدن ) وفيه ثببات أن العرب عريقون في التمدن وأولو استعداد له راسخ فيهم ، و (٢) عصر الجاهلية في الحجاز و (٣) حكومة العرب في الجاهلية و (٤) النهضة العربية قبل الإسلام أي استعداد العرب لظهور الإسلام فيهم بارتقاء عقولهم وآدابهم وإحساسهم ببعض خواصهم بالحاجة إلى الاجتماع ، و (٥) الدعوة الإسلامية ، و (٦) الروم والفرس عند ظهور الإسلام ، وما كانوا عليه من الفساد والانقسام ، و (٧) انتشار الإسلام وأسبابه ، ومثل هذه المباحث يراها الجاهل طعناً في الإسلام لأنها تبين أنه قام على سنن الكون المعقولة والسلام العالم يراها مؤيدة للإسلام ومينة لبعض حقائقه لأن من مقاصد هذا الدين ترقية العقل وهدايته إلى سنن الله في الخلق ليسير عليها حتى يبلغ كماله وما هو بدين الغرائب والعجائب ومن مباحثه الكلام في الخلفاء الراشدين والفتوحات الإسلامية والدول العربية في الشرق والغرب ، والكلام في الخلافة والولاية والوزارة والجند والسلاح ونظام الحرب والاساطيل أو بيت المال وموارده ومصادره والقضاء والحسبة ، والكتاب مزين بالرسوم وصفحاته ٢٠٣

يرى القارئ أن هذا وضع في العربية جديد بهذا التريب والتبويب وبحكم بالأجمال قبل أن يراه بأنه وضع مفيد ، وإن الأمانة في افتقار إليه شديد ، وقد قدره الباحثون في التاريخ من المسلمين قدره إذ تصدى غير واحد منهم لانتقاده فكتبوا في المؤيد مقالات يظهرون فيها ما عاوه عليه من الخطأ في بعض المسائل وقد رد المصنف على بعض من كتب واعترف ببعض الخطأ وأشار إلى سيئه وأنه غير مهم ، وقد



كنا شرعنا في قراءة الكتاب بالتدقيق لنتقدم بما يظهر لنا ولما رأينا شواغلنا  
الكثيرة لا نسمع لنا بما تمامه إلا بعد عدة أشهر ورأينا المناقشة في أمره كثرت رأينا  
من حقه علينا أن نبادر إلى التنويه به والاعتراف بأنه مثال مفيد لقراء العربية ولكن  
مسائله لا تؤخذ قضايا مسأمة فعلى من اطالع على النقد والرد أن يحكم الإنصاف وقواعد  
العلم مع النقل وعلى من لم يطلع على ذلك أن يراجع الكتب فيما يراه محلاً للتوقف .  
أقول هذا وأنا واثق بأن مؤلف الكتاب لم يكتب إلا ما اعتقده مع حسن النية  
وصحة القصد . وأوضح دليل على ذلك أحجُّ به من أساء به الظن من  
المسلمين لأنه غير مسلم هو أنه أثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قام  
بالدعوة وهو موقن بأنه مرسل من الله تعالى وأنه لم يكن طالب ملك ولا مال ولا  
جاء بل طالب إصلاح أئمة الله تعالى القيام به ولما لم يعود إلى انتقاد الكتاب بعد  
إتمام مطالعته . أما ثمنه فنسرون قرشاً وهو يطلب من مكتبة الهلال بالنجدة

( المروءة والوفاء ) أو الفرج بعد الضيق . قصة عربية جاهلية حدثت في الجزيرة  
من العراق العربي بين الفريسيين قرب الحورثق والسدير على ضفة الفرات قبل  
الاسلام في يوم يؤس النعمان بن المنذر . وقد نظمها ومدتها فيها ماشاء فقيد بيت  
الأدب الشيخ خليل اليازجي بن الشيخ ناصيف اليازجي الشهير ومثلت في  
بيروت على عهد الناظم . وقد طبع في هذه السنة بمطبعة المعارف الشهيرة بأقنان  
الطبع . وقد قرأنا منها جملة فاذا شعر محرر . وهو على صاحبه لا ينكر . وثمن  
النسخة خمسة قروش وهو ثمن لا يذكر

( الهذيب ) . جريدة تهذيبية أدبية علمية تاريخية دينية لطائفة الاسرائيليين  
القرابين بمصر . محررها الأديب الأصولي مراد افندي فرج المحامي . وهي تصدر  
في شكل كراسة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش تدفع إلى ( الحاخاخانة ) أنشئت  
الجريدة في العام الماضي وقد أهدانا جناب الحاخام الفاضل ورئيس اللجنة المالية المجاهد  
الأول منها فالفناء طامحاً بالمباحث التاريخية والأدبية والدينية . وقد كنا نعجب قبل العلم  
بهذه الجريدة للشعب الاسرائيلي كيف لا تكون له جريدة علمية أدبية أو مليّة في مصر  
مع ارتفاع الاسرائيليين في العلم والأدب والثروة والرابطة المليّة . وقد سرنا من هذه الجريدة  
عدم تعريضها بما يسوء أحد الطوائف . ولا غرو فأدب الاسرائيليين العاليه تقضي بذلك  
( السعادة ) مجلة نسائية علمية تهذيبية تاريخية فكاهية تصدر في الشهر مرتين



صاحبها ونشأتها روحيا، وقد تصفنا العدد الثامن منها الصادر في ( ١٥ )  
 أكتوبر ) قاذم مفتوح بنالة في ( الدفاع عن النساء ) تناقش فيها الرجال الجاهلين،  
 الذين يرون حرمان الأنثى من التعاطف من الدين، ويلبها وصية من والده لابتها وهي  
 وصية تدور على وجوب قيام المرأة بتدبير بيتها بنفسها وإن كانت غنية ووجوب محبتها  
 لزوجها حتى يرى سعادته مرتبطة بها . ويتلوها مقالة في المرأة لصاحب المطبعة  
 التجارية بعد بضعة أسطر غريبة في خبر غريب عنوانه « دير في سفينة » وهو أن رهبان  
 جبل أثوس اتخذوا لهم سفينة في البحر ديرا . ولعلهم يتمنون فيها على الأعمال البحرية  
 كما يتمنون في أديار الحيل المقدس على الأعمال الحربية . لأنهم كما يقال رهبان من ابطلون  
 بارشاد روسيا . وسيكون لهم شأن في مستقبلها مع تركيا .

هذا وإن المجلة مؤلفة من ثلاث كراسات وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشا  
 مصرية في مصر و ١٦ فرنكا في خارجها فمضى أن تلقى رواجها ونجاحها

( أسرار القصور ) — قصة وضعية تبحث عن ماهية الروح ومعالها من الجسد  
 وعن التنويم المغناطيسي الشائع بأوربا وعن الزار والتدل بالقطار الشرقية . مؤلفها  
 محمد أفندي حسين محرر جريدة اليوسه وقد كتب في مقدمتها أنه نشر فيها رأيا له منذ ست  
 سنين . وكان سنة ثلاثا وعشرين ، وهو اليوم لهذا الرأي من المتقدين .

( المصري ) « جريدة أسبوعية عامة مدرسية تصدرها جمعية التلامذة الإسلامية »  
 ومحررها مدير الجمعية علي أفندي عبدالكريم . يطفو في مصر كثير من هذه الجرائد  
 الصغيرة ثم يرسب بل يبدو ثم يخفى ولا تذكر منها شيئا لعلنا بأنها في حكم العدم .  
 ولكن للتلامذة عندنا شأنا كبيرا وبأيت شأنهم عند أنفسهم كذلك . لهذا نقول أنه  
 يسرنا أن تتوجه نفوسهم إلى الأعمال الاجتماعية فيتكلموا بالبينهم وأعلامهم عنها في  
 وقت التعليم ليقوى استمدادهم ويكمل رشادهم . حتى إذا صاروا في سن العمل  
 كانوا من العاملين . ويسرنا جدا أن ترضى جمعية التلامذة الإسلامية نفسها  
 إصدار جريدة تطبع على أردا الورق وتخوض في الموضوعات الحسنة والهنزية،  
 والأشعار الحمرة والفرامية ، فإن المرأ المذهب يحفظ أحسن ما يسمع ويقول أحسن  
 ما يحفظ وهو مع هذا يتساهل في القول مالا يتساهل في الكتابة التي يرض فيها عقله  
 وأدبه وأخلاقه على الناس أجمعين . فمضى أن يلتفت من يصدر هذه الجريدة إلى قبول  
 نصيحتنا باختيار الحسن من الكلام والورق حفظا لكرامة التلامذة وقادتهم والله الموفق



## ﴿ الاحتفال بافتتاح مدرسة بني مزار ﴾

أنشئت في هذه السنة مدرسة خيرية إسلامية في بني مزار من مديرية النيا بتعاون أهل الخير والبر وقد أنيطت إدارتها بالجمعية الخيرية الإسلامية التي أنشأتها بمساعدة الأهاليين فهي ليست كسائر مدارس الجمعية خاصة بأولاد الفقراء وخالية من اللغات الأجنبية بل هي كالمدارس الابتدائية الأميرية الأمازيغية من زيادة العناية فيها بأمر الدين وتعليم فيها أولاد الأغنياء بأجرة قليلة وقد كان افتتاحها في يوم السبت الماضي باحتفال رأسه الأستاذ الشيخ محمد عبده رئيس الجمعية الخيرية وحضره الوجهاء والفضلاء في مقدمتهم سعادة مدير النيا وقاضي المديرية ورئيس لجنة المدرسة حسن بك عبدالرازق المصطفى في مجلس شوري القوانين عن مديرية النيا . وقد كتب إلينا المحامي الفاضل حسن اقدى عبد الرزاق تفصيلاً عن هذا الاحتفال لخصناه بما يأتي

لما اكمل نظام المحفل قام الأستاذ الرئيس خطيباً فيبدأ بالبسملة وقائمة الكتاب والصلاة والتسليم ، على النبي الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وأعلن افتتاح المدرسة . ثم شكر المتبرعين بإنشاء المدرسة غيرتهم وفضلهم ومما قاله لهم . انكم أنفقتم في خير سبيل ، وتاجرتم أربع متاجرة ، فإن هذه المدرسة ملككم لو أن العلم يملك وما الجمعية الخيرية إلا نصيرتكم في عملكم وهي لا تني في معاومتكم بإذن الله وتوكل ان تكونوا سواعدها وأعضادها . ثم قال . ان ما فرض على التلامذة الموسرين من أجر التعليم ( وهو ثلاث مئة قرش سنوياً ) ليس مما يضيق به صدر الكريم ، وتعلمون أن نفقة التنفيذ في المدارس الأخرى تبلغ ثمانية جنيئات في السنة أو تزيد ولو أنكم دفعتم في مدرسة بني لكم ضعف ما تدفعون في مدارس غيركم لكنكم الراجحون لان فرقاً بين من يتفق في بناء دار هي له ومن يتفق على دار متاجرة

ثم قال ما يخصه : لا تريد ان تخاطب الموسرين الذين أغوتهم شررة الغنى وأسكرتهم خمرة الشباب فقدفوا بأموالهم في هوة الضياع وصرفوا الطارف والتايد . فيما يضر وما لا يفيد . فأولئك كالأنعام بل هم أضل . وإنما تخاطب العقلاء من الأغنياء فتقول : اذا كنتم تقتصدون لتوفروا من مالكم ما تتركون لأولادكم حتى لا يكونوا فقراء تصحاء فقد سمعتم في طريق محمود . هذه الاسلام ودعا اليه النبي عليه الصلاة والسلام ، وان ما تصرفونه في سبيل العلم والتربية هو من هذا القليل أيضاً لأنه توفير لمادة الأبناء بل لا سمادة بالمال اذا لم تصحبه تربية نافعة وعلم صحيح يهتدي بهما المتمول الى كيفية الانتفاع .



لا يكون الانسان سعيداً الا اذا كان عايشاً مع مهندسين سعداء . هب انك تركت ليد  
بناهي من البروة وهو في موطن خيمت عليه الخرافة ، واستحوذت على أهله الصلاة ، آراء  
بين سمية آيين الاشياء ، وسياخية بين القفر ، ولا تمتد اليه يد الغواية وتغلب عليه  
بنايع السفهاء ، وتستهوي به شياطين الأهواء ، كلا ، ان المرأ بقريته ورجل الخير بين  
أبناء الشرور على خطر . فمن أتقى من ماله لتسلم والتربية فهو الذي يوطئ لذريته  
اكثاف السمادة ، ويوظف لهم دعائم الميثمة الراضية ، لأنه يصلح لهم مبادئ يعيشون في  
ظلالها آمنين .

ثم بين الاستاذ أسباب اقصر المدرسة في هذه السنة على تعاليم السنة  
الأولى للتلامذة وعدم إنشائه فرق من تلامذة السنة الثانية وما بعدها مع أن في  
طلاب التعلم من هم أهل لذلك . وذلك للأسباب هي صيق المحل الذي استوجب  
تلمذة الى أن يتم بناؤها ولم يوجد غيره . وكون الوقت بين قبول الجمعية الخيرية  
إدارة المدرسة وافتتاحها لم يكن كافياً لاختيار المعلمين الأكفاء والظفر بهم لقلّة  
عددهم في مصر . وشم سبب ثالث عام وهو أن السنة الالهية في الترقى أن يبدأ التي  
مهميرة أنم يترقى بالتدرج وأن الأمور التي تنشأ كبيرة فالغالب أن يخل عقد نظامها  
في القريب العاجل والياد بالله تعالى .

ثم تكلم الاستاذ الرئيس في مسألة من التلميذ فقال . ان الجمعية الخيرية الاسلامية  
لم تحدد من التلميذ في نظامها عبثاً ولا تقليداً ولكن حددته لقوائدها . تعلمون  
بالضرورة أن ليس كل من دخل هذه المدرسة يكون تحت لواء الوظائف بل سيكون منهم  
التاجر والزارع والصانع . لذا دخل التلميذ المدرسة في التامة وأنم التعليم في أربع . بين  
أو خمس يخرج منها تلميذاً مهيناً للدخول في أي عمل شاء . واذا تقدم في السن  
ودخل المدرسة بعد العاشرة فقد يدرس عود . بين أن يلين لأعمال الصناعية أو الزراعية  
وربما يخرج أبوه عن أعين نظائره وهو عاجز عن الاشتغال بأعمال العاش فيضيع بين عجزين  
ثم ختم القول بشكر معادة المدير لحضور الاحتفال واستقرض همة لتعميم المدارس  
في المديرية وشكر لعمد الرحمن بيك فهمي مأمور مركز بني مناز سعيه في الاكتاب  
لهذه المدرسة . ثم دعا للمدرسة الدعاء الصالح ونسبوا الحديو المنظم فأن الحاضرون  
وقام في أراء المدير فشكر الرئيس فضله وسعيه ووجه أنظار الوجهاء الحاضرين لتدبر نصائحه  
ثم تلاه حسن افندي عبد الرارق فبدأ قوله بخطاب الرئيس مثناً عليه بما هو أهله



مبيناً نحوهم القلوب عليه ، وتوجه نفوس طلاب الترقى إليه . ثم أتى على المتبرعين للمدرسة وخص بالذكر كرام المسيحيين الذين عرفوا قيمة الوطنية ، ف تبرعوا للمدرسة مع علمهم بأنها إسلامية ، ثم تلاه المأمور فأظهر السرور والابتهاج بالاحتفال وأتى على فضيلة الرئيس وسعادة المدير .

ثم خطب حسن بك عبدالرازق رئيس لجنة المدرسة فذكر معنى ما تقدم فأحسن وكان الحام مسكافزى الله هؤلاء المحسنين خير الجزاء ، ووفق سائر الناس إلى حسن الأسوة والافتداء .

### باب إرفار التاريخ ونور

#### ﴿ تمتة سيرة السنوسي المنشورة في الجزء ١٢ ﴾

وكان اعتناؤه منصرفاً إلى علوم القرآن والتفسير والحديث ، ولم يذكر كاتب المقالة السبب في هذا وما هو إلا النزعة الأجهادية التي كان عليها والده ورباه عليها ولذلك تولى تعليمه التفسير والحديث بنفسه ، وكان الاجتهاد في الدين وفهم الأحكام من الكتاب والسنة صار معباً عند المساميين ، ولذلك حاول كاتب المقالة تكذيب ما أشيع من أن المهدي غير مالكي المذهب وزعم أن كل السنوسيين على مذهب الإمام مالك ( رضي الله عنه ) قال « ويصلون في الصلاة ويقتضون أيديهم » لعله يريد أنهم لا يتركون المشهور من مذهب مالك إلا في بعض التدويات ، والصواب أن السيد محمداً المهدي السنوسي لا يعمل إلا بما صح عنده في الكتاب والسنة كما كان والده من قبله

ثم نكلم الكاتب عن سياسته فقال أن السنوسيين لا يخوضون فيما لا ينهون كالتسياسات فذلك عندهم فأنحرمت وما أشيع عن السنوسي من أنه يستمد لأحرب ويدخر الأسلحة المتقنة المجلوبة من أوروبا وأنه يشيد الحصون بالصحرَاء ويشتنع البارود وله عسكر وخيول مسومة ويغض الإفرنج فهاته كلها خرافات وأرائيف لا أصل لها وسيعرف الناس ذلك عندما تسمح الحال بالمواصلات بين أفريقيا الشمالية والجهات الصحراوية ، وكتب مستشهداً : ولا ينبغي مثلك خير ، ثم أطنب الكاتب في تكذيب هذه الإشاعات ونسبها إلى ذوي الأغراض حتى كاد إطنابه يوقع في الظنة ، واحتج على صدق قوله بأن الرحالة ( مونتاني ) وصف السنوسي وإخوان طريقته بما يقرب مما قاله



وقد كان في سنة ١٣١٢ في الحيرة نشاءن الغارة وأغار  
على أهل الحيرة السنوسية وحرقوا جميع ما كان في الحيرة من الكتب  
وكانت له أخت اسمها فاطمة في حاصمة راجح . ثم وصف من ظلم هذا السنوسي  
الجديد وعنه وذكر أن بعض الكتاب الفرنسيين لما سمعوا بخبره طفقوا يسددون  
بالسنوسي صاحب الطريقة ففان أنه جاهلهم بالسودان . وسرى هذا الغلط الفاحش  
إلى الطبقات العالية من أهل الصحف كالطائر وغيره . وقال أنه لا يوم على تلك  
الصحف في غلطها . لأن هذا الإيهام سرى أيضاً لبعض الصحف الإسلامية نفسها  
مثل مجلة المنار فقد ذكرت أن السنوسي المهدي له حرب مع الفرنسيين .

ثم قال أن الشيخ المهدي السنوسي رحل في سنة ١٣١٢ من بلد جنوب على  
حين نغمة مع أهله وولده وبعض الإخوان قاصداً بلاد الكفرة بالصحراء الشرقية في  
عرض ٢٥ درجة وطول ٢٠ درجة ( من باريس ) فوصل إليها بعد مسير أربعين  
يوماً وسببها بغداد . الجديدة ولم يعلم السبب في ارتحاله والذي أظن هو ميله  
للأزواء وإيمانه عن الوسوس والانكليزية اذ كان قدم عليه بعض سياح  
الانكليز في جنوب . وفي سنة ١٣١٧ ارتحل من الكفرة فوجه إلى نواحي كأم  
ولا زال في تلك الأماكن على عادته المألوفة من عبادة ربه وعدم اشتغاله بما لا يعبه  
هو وطائفة من أخوانه إلى أن بلغنا انتقاله إلى الدار الآخرة في شهر جمادى الأولى  
سنة ١٣٢٠ على طريق الصحف الاخبارية رحمه الله تعالى وجعل الجنة مثله ومثواه .  
( المنار ) : قد انتهى تلخيص ما كتب في جريدة الحاضرة . ونحن نقول : إن أمر  
موته لا يزال مشكوكاً فيه فإن السنوسيين الواردين من زوايا الصحراء على مصري كذبون  
ذلك ولا يبعد أن يكون تكذيبهم سبباً على اعتقادهم بأنه المهدي المنتظر . فإن احتق  
أياماً فلا بد أن يظهر ، ولذلك نرى أنه يقتضي الشك في موته لا رجحان عدمه

وأما خبر مناوشة الفرنسيين للسنوسيين فاعلمنا اعتماداً فيه على مكاتبات السنوسيين  
أنفسهم لا على الاشاعة والاستنباط ، وليس حديث هذه المناوشة بالحديث وإنما كان في  
العام الماضي فقد راجعنا بعد نشر مکتوب ذلك الطرابلسي مكتوباً آخر من أحد  
بطانة السنوسي مؤرخاً في رمضان سنة ١٣١٩ وفيه ما نصه :

« الاخبار الواردة من جهة كأم أن الفرنسيين لما سمعوا أن سيدي البراني  
وجه للزيارة قصدوا الزاوية مرادهم في هناك حرمها فوجدوا بها بعضاً من الإخوان



وبعضاً من العربان وبعضاً من التوارق والتقوا عند طلوع الشمس ٢٦ رجب ثم انتشب بينهم الحرب من الصباح الى الزوال وقتل منهم جماعة وافرة وثلاثة من كبارهم والمقاتلون الذين بأيديهم السلاح ثمانية عشر رجلاً لأن الناس متفرقة والكفار اتوهم على حين غفلة لكن نصر الله المسلمين وهزم المشركين واستشهد فيها من الاخوان اخونا سليمان بن اخ سيدي البراني وأخونا عبد الرزاق فقيه الزاوية وأخونا حسين بن الفضل . ومن المجاورة ثلاثة أخونا ابو علي الفخر وأخونا عبد الله بن موسى وأخونا مهدي بن شبيب واستشهد أيضاً الشيخ نعيث بن الشيخ عبد الجليل وابن عمر المضبوه المغربي وبعض من التوارق وأثنان من جماعة السلطان قرورن كنا عند الأستاذ زائرين وواحد قطروني وباعوا نفوسهم لله كما قال عمر وجل : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واسموالهم بأن لهم الجنة » . ولما أتى الخبر الى الأستاذ رضي الله عنه وجه سيدي البراني والحاج محمد التني ومعهم جيشاً من المجاورة وزويه لقتال أعداء الله ربنا ينصر المسلمين على أعداء الدين » اه باختصار قليل جداً

ومنه ومن أمثاله من الكتب ( ومنها ما نشرناه في الجزء الثامن ) يعلم القراء انه حصل شيء بين الفرنسيين والسنوسيين استمر قريباً من سنة ولا نعلم كيف انتهى لأن الاخبار الخصوصية انقطعت عنا من مدة طويلة وانما نتوقع الخبر اليقين عن قريب . ومما ذكرناه يعرف القراء ان السنوسيين مستعدون للدفاع عن أنفسهم ولكنهم ليسوا أهل اعتداء فهم يمثلون قوله تعالى « وقالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تمتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وستكون هذه الآية الكريمة هي منتهى المندنية في الحرب فان بقي صاحب المقالة المنشورة في الحاضرة في قريب بعد هذا فلتنا نذكر له في جزء آخر شيئاً من نفوذ السنوسيين في اديار ونواحيها وتواشيهم للملوك وحلهم للمشكلات بينهم بذكر وقائع مينة بالاسماء والجهات ليحلم اننا نتكلم عن بصيرة . وقد كنا ذكرنا فلك الخبر لغرابته بالنسبة الى المصريين وليس من موضوع المتار التوسع في هذه المسائل لانها اقرب الى السياسة منها الى التاريخ ولا غرض لنا بالسياسة

أما المبرة التاريخية في ترجمة السنوسي فهي في شيئين ( أحدهما ) اجتهاده في الدين وعدم تقيده بمذهب من المذاهب وقد مهد له والده رحمه الله تعالى السبل الى ذلك بكيفية تعليمه وبما ترك له من مؤلفاته التي بين بها الحق على وجوب العمل بالكتاب والسنة وعدم الرغبة عنهما الى قول أي عالم أو امام . وقد اطلعنا على كتابه ه بنية



المقاصد . في خلاصة المراد ، وهو مختصر كتاب الراسد ) وفي القدر الكافي من الاحتجاج على وجوب العمل بالكتاب والسنة ، و ( ثانيهما ) تأليف عصية كبيرة بساطة الطريقة . وبما انتقده على أصحاب هذه الطريقة أنهم غلوا في شيخوهم كثر أهل الطريق مع شدة تمسكهم بالدين الذي ينهي عن الغلو وأنهم يمتقدون في شيخوهم المترجم هو المهدي المنتظر وهذا الاعتقاد يضر في المستقبل عندما يتبين لهم كتمان غيرهم عقبة واننا نرى عقلاءهم لا يمتقدون هذا الاعتقاد ويقولون ان شيخوهم لا يرضاه والله أعلم بصير الأمور .



### ﴿ مشروع مجلة الجامعة الاقتصادية ﴾

كانت مجلة الجامعة تصدر في الشهر مرتين ثم جعلت في السنة الثالثة ( الحاضرة ) شهرية وجعلت عشر كراسات ( ملازم ) أو إحدى عشرة ويضاف إليها كراستان من القصة المعربة المملوكة بها . فمقدر على منشأ إصدارها في مواعيتها على نشاطه واجتهاده حتى كان بين الجزء وما يليه أكثر من شهرين . ثم أنه شرع الآن في جعل المجلة خمس كراسات مع بقائها شهرية وجعل القصة التي يضيفها إليها كذلك فتوفر عليه تعريب ثلاث كراسات في كل شهر . ثم أنه يطبع من القصة المملوكة بالمجلة نسخاً زائدة ربع منها مثل ربع المجلة أو أكثر . ونرجو ان يتمكن بذلك من إصدار المجلة في كل شهر مرة .

وما كان له ان يسمى هذا العمل مشروعاً لأن الناس اصطلمحوا على إطلاق لفظ المشروع على الأعمال الكبيرة العمومية الجديدة التي تعدها الحكومات والشركات والجمعيات ثم شرع في تنفيذها ، وتعريب القصص ونحوها من الكتب لا يستحق هذا الاسم لأسباب إذا كانت منفعة الناس به تكون أقل مما كانت كما هو الشأن في هذا العمل فان مجلة الجامعة كانت صفحات مجموعتها السنوية تزيد على ألف صفحة بعد تجريد القصص المملوكة فصارت الآن تنقص عن خمسمائة . وانتقدنا على الرصيف أيضاً اختياره قصة بولس وفرجين للتلخيص والحقها بالجزء الأخير الذي ابتدأ به مشروعاً وبينا عليه ملاحظتنا . وذلك ان حسن هذه القصة في لغتها الفرنسية هو الإطناب في وصف البيئة البدوية فباختصارها زال هذا الحسن وايس في الموضوع قائدة أخرى تستحق المنايا . ثم ان القصة عبرت بتمامها من قبل وطبعت . ثم أعاد تعريبها بعض الأدباء



وهو ينشرها تباعاً في جريدة التمدن القراء . فسي يكون اختيار الرصيف للأجزاء التالية أنفع من هذا الاختيار . هذا ما كتبته للجزء الماضي من النوار وقد تبين أن المعجز مستمر لأن المجلة لما تصدر . فسي أن يزول قريباً بزوال الضنك المالي . .

( البراعة في الإعلان ) كان صاحب مجلة الجامعة يرسل لكل جزء يصدر من مجلته إعلاناً إلى جريدة المؤيد يثني فيه على الجزء ما شاء ويشترط أن يكتب في الأخبار المحلية بصفة تفریط وكانت ساحة الإسلام تحمل المؤيد على القبول . ثم أنه تحرش بصاحب الهلال ليناقشه فيشوق قراءه إلى الإطلاع على ما يجيب به ولكن صاحب الهلال لم يرد عليه مطاعنه فيه حياءً بالمسألة التي هي طبع له . ولما ضاق ذرعه تحرش بالإسلام وطعن فيه وفي أئمة قسدين للرد عليه لأننا كنا نعتقد فيه حسن النصد ولا نكره التنويه بمجلته وانتشارها . ثم أنه خيب ظننا فيه وأظهر أنه متعمد لعدم فحجبتنا لذلك حتى زال العجب لما علمنا أنه أرسل كتاباً إلى صديق له يقول فيه عن الطعن بالإسلام : قد عرفت أنه اكتشاف مهم للإعلان عن الجامعة وتكثير مشتركها وسترى قريباً في الجامعة بحثاً آخر عن الغزالي سيكون بصفة إعلان أشهر وبمثل ذلك تزول « غنى الصبرات ونفعي الضنك » بفضل اقبال المشتركين من المسلمين حتى لم يبق جزء واحد في الإدارة من هذه السنة . هذا ما كتبته فعلمنا أن خدمة « الحقيقة والضمير » هي خدمة المجلة لازالة « الضنك والصبرات » وأما نعلم علم اليقين أن المسلمين لا يقبلون على تعصيد من يطعن في دينهم وأئمتهم وأنه لم يكتب إلى بعض أصحابه ما كتب إلا ليثيموا ذلك فيكون نعمة للإعلان . وتذكر الرصيف المحترم وبجريدة كبيرة منتشرة في القطر المصري انتشاراً لا تطمع فيه الجامعة نقلت لنا في الإسلام مرة فكادت تسقط لشدة اعراض المسلمين عنها مع قوتها ورتبها فكيف تبت الجامعة أمام هذه الماصفة على ضعفها وبشره . بأن المسلمين شعوراً يميزون به بين ما يسي وما يسر ولا يمكن أن يعصداً من يطعن بدينهم مهما كانوا مقصرين في خدمته . فقدم الشهرة خير من الشهرة السيئة فليترك الغزالي وغيره وابتكلم بما يعلم . فهو أنفع وأسلم . وهذا آخر نصائحنا له أو إعلاننا له .

( النقل أمانة ) نرى بعض الجرائد في هذه الديار وغيرها تنقل عن النوار ولا تنزو إليه . ومن ذلك أن جريدة المأمون القراء تنقل المقالات الطويلة من مجلدات النوار السابقة تغير عناوينها أو تقسم المقالة إلى مقالات تجعل شكل عنواناً وكثيراً ما تسند المقالة إلى طام مجهول فتكتب : قال بعض علمائنا . فذكرها بوجوب اسناد الشيء إلى مأخذه لأن النقل أمانة



بني الحكمة من بناء وتنظيم  
الحكمة فقد أوتي خبراً كثيراً وما  
يذكر إلا أول الألباب

# المقدمة

١٣١٥

فبشر عباده الذين يستمعون القول  
فبينهم من أحسنه وأحسن الذين هداهم  
الله وأولئك هم أول الألباب

( قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر في يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣٢٠ — ١ نوفمبر ( تشرين ٢ ) سنة ١٩٠٢ )

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

( حرية العلم في أوروبا الآن . ونسبها الى الماضي والحاضر في الإسلام )

( وهو المقال السادس لذلك الامام الحكيم )

لم يبق علينا من الكلام الاما يتعلق بالأرض الرابع مما ذكرته الجامعة<sup>(١)</sup>  
وهو « ان تمكن العلم والفلسفة من التغلب على الاضطهاد المسيحي في  
أوروبا وعدم تمكنهما من التغلب على الاضطهاد الاسلامي دليل واقعي على  
ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً مع الفلسفة »

ليس من السهل عليّ أن أعتقد أن أدباً كصاحب الجامعة يقول  
هذا القول وهو ناظر إلى الحقيقة بكلماته مع معرفته بلسان الغربيين

(١) يذكر القراء ان كلام الجامعة في الطعن بالإسلام كان مبنياً على أربعة أمور

تقدم الرد على ثلاثة منها وفي هذا المقال الرد على الرابع



وإطلاعهم على ما كتبوا في هذه المسألة وهي من أهم المسائل التاريخية .  
وإنما هي عين الرضى تناولت من حاضر الحال ومما انتهى إليه سير التاريخ  
مأثولات ثم أملت على قلبه ما جرى به قلمه

هل يصح أن تسمى الاستكانة للغالب تسامحاً ؟ وهل يُسمى المجز  
مع التطلع للأزاع عند القدرة حلماً ، أم يُسمى غلّ الأيدي عن الشر بوسائل  
القهر كرهاً ، هل تعد مساكنة جناب البابا ملك إيطاليا في مدينة واحدة  
واجتماع الكرسين العظيمين كرسي المملكة الإيطالية والمملكة البابوية  
في عاصمة واحدة تسامحاً من قداسة البابا مع الملك ؟ أليس الأجدر بالمنصف  
أن يسمي ذلك تسامحاً من الملك مع البابا لأنه صاحب القوة والجيش  
والسلطنة ويمكنه أن يسلب البابا تلك الثمالة التي بقيت له من السلطة  
الملكية ، كما أن الأليق به أن يسمي تلك الحالة التي عليها أهل أوروبا اليوم من  
طائفة العلم بينهم بجانب الدين تساهلاً من العلم مع الدين لا تسامحاً من الدين  
مع العلم بعد ما كان بينهما من الحوادث ما كان وبعد غلبة العلم واستيلائه  
على عرش السلطان في جميع الممالك ورضاء الدين بأن يكون تابعاً له في أغلبها  
( اقتباس مدنية أوروبا من الإسلام . وأسباب ظهورها التام )

السبب الأول الجميات : كان جلادين العلم والدين في أوروبا وتألفت  
لنصرة العلم جميات وأحزاب منها ما اتخذ السرّ حجاباً له حتى يقوى  
ومنها ما ابتدأ بالمجاهرة . وكان الدين يظهر بالعلم كما سبق بيانه لكثرة أعوانه  
وضعف أعوان العلم حتى أشرفت الآداب المحمدية على تلك البلاد من سماء  
لأندلس وتبع إشراق تلك الآداب واشتغال الناس بها سطوع نور العلم  
لعربي من الجانب الشرقي كما ذكرنا . وقد وجد هذان النوران استعداداً



من النفوس للاستضاءة بهما في السبيل التي تؤدي بهما إلى المدينة التي كانا يحملانها. هذا الاستعداد كسبته الانفس بما ضايقها من غلو رؤساء الدين في استعمال سلطانهم واشتدادهم في استعباد العقل والوجدان حتى ضاق ذرع الفطرة عن الاحتمال فأخذ الشعور الإنساني يتلمس السبيل إلى الخلاص وإذا لاح له هذان النوران اتخذها له هداية واستقبلها بوجهه وكان بعد ذلك ما كان من تأثير الدين لأهل العلم وإراقهم بالنيران، ونقيهم من الأوطان، ومقاومة رؤساء الدين للحكومات ولأهل الأفكار المستقلة في أدنى الأشياء وأعلاها حتى إنه عند ما شرع ملوك فرنسا في فرش شوارع باريس بالبلاط على الأسلوب الذي وجدوه في مدينة قرطبة وصدر الأمر بمنع تربية الخنازير في تلك الشوارع أغضب ذلك قسوس القديس أنطوان ونادوا بأن خنازير القديس لا بد أن تمر في الشوارع على حريتها الأولى . وحصل لذلك شغب عظيم اضطر الحكومة أن تسمح بذلك مع صدور الأمر بأن توضع في أعناقها أجراس . وقالوا إن الملك فيليب السمين مات بسقطة عن فرسه عند ما انزعج الهرس من منظر خنزير وصلصلة الجرس في عنقه لقائل ان يقول : إن القسوس في ذلك الزمان كان يمكنهم أن يتمتعوا من وضع الأجراس في أعناق الخنازير فرضاهم بذلك بعد تسامحا عظيما مع العلم (أو الصناعة) ويسهل علي أن أوافقه على أن مثل هذا الضرب من التسامح في أجراس الخنازير كان يظهر من حين إلى حين إلا أنه فيما ظن لا يكفي في تشييد هذه المدينة التي يفتخر بها الأوربيون اليوم ونحن لا نجسمها قدرها كذلك

السبب الثاني الضغط الديني : شدة الحاجة وغلو رؤساء كاثايقودان الصيرة في قلوب طلاب العلوم فلم تفتقر لهم همة فنهظم أمرهم واكتشفوا كثيرا من



الحقائق التي نفقت العامة ونسبت اليها قول الأعداء أخذوا يجهلون بغير صارت أحرار  
بينهم وبين رؤساء الدين سجالاً إلى أن سر دعاة الإصلاح الذين  
( البروتستانت ) فانضم دعاة العلم اليهم فظنوا أنهم أن سيكونون معهم من  
المجاهدين في سبيل العلم . وكان منهم إبراهيم الشيرازي انتصر طلاب الإصلاح  
ودالت لهم دولة استمروا يعاقبون بالموت على الأفكار التي تخالف مبادئهم  
ما يعتقدون كما تقدم فأنفصل إبراهيم ومن معه من حماة الحرية واستقلال  
الارادة الشخصية وترك المصلحين يفرقون شيئاً ويقتل بعضهم بعضاً وقال :  
ما كنت أظن أن دعاة الإصلاح يكونون كذلك أعداء العلم

هذه الطوائف التي تفرقت عقائدها في الإصلاح لم تنظر إلا أن  
تأمين عدوها المأمور وهو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فلما امنها أخذ بعضها  
يصول على بعض واشتعلت نيران الحروب بينهم . قال أحد أفاضل  
مؤرخيهم : « وكما ارتفعت طائفة منهم إلى عرش القوة لوئت يديها بالجرائم  
في العمل لإفناء البقية حتى شئت النفوس دوام تلك الحال ووجدت من  
توالي حوادث الانتقام وظهور مضارته في كل طائفة أن الأفضل لكل  
طائفة أن تمنح الأخرى من الحرية ما لا تستغني عنه واحدة منها . والعلم  
كان يعمل عمله في كشف الحقائق وترقية الآداب وكان من أقوى المنبهات  
إلى مضار الحروب ومفاسد المدوان على حرية الأشخاص من أي طائفة  
كانت . من هذا نشأ ذلك الأصل العظيم أصل التسامح والرضى بمجاورة  
المخالف في الرأي . نشأ من القهر والقسوة التي كانت كل طائفة تعامل  
بها الأخرى » انتهى كلام المؤرخ بالمعنى

السبب الثالث الثورة : ولا حاجة بي إلى ذكر ما جاءت به الثورة



الفرنسية وكيف كانت قيامتها على الدين ورؤسائه مما هو معلوم . وإنما أنه القارىء إلى الاعتبار بما تقدم من القول ، وبما يمكنه أن يقف عليه في مكتب القوم ، ليعلم أن الدين المسيحي في أوروبا لم يحتل العالم فضلاً وكرماً ، بل كانت عليه أحزاب العلم فسامره استكانة وخضوعاً ، ولو

كان في فرنسا من يستطيع أن ذلك سيلا .

والدين المسيحي : رؤساء الدين المسيحي رجال ذوو عنصرية  
وهم في الدين وادّعاءهم في استعمال سلطانهم على النفوس كانوا ولا يزالون  
يتخذون كل وسيلة لتأييد دينهم . وهم أشد الناس حرصاً على تقويم أركانهم  
ودفع الشبه عنه ولم يزد في العلم الجديد إلا وسائل وسبل لترويج عقائده  
وأدائه ولم تقتر لهم مهمة في نشره وتزيينه للقلوب . ومع ذلك كله نرى  
أن رجال العلم وحماة المدنية يتماثلون منه ، والعامّة من الشعوب في تخاذل  
عنه ، والأمة الفرنسية التي كانت تدعى بنت الكنيسة أصبحت من أشد  
الناس عليه ، ورائت فلسفتها أن تحدّ حرية أهل الدين في تعاليمهم  
واجتماعهم . كل ذلك ومدارس اللاهوت لا تزال عامرة وطلاب اللاهوت  
يعدّون بالآلاف . كل ذلك وكثير من الدول ترى من مزاياها حماية  
الدين المسيحي في أقطار الأرض . قال أحد رؤساء البروتستان في خطبة  
من خطبه التي ألقاها في بعض البلاد الفرنسية سنة ١٩٠١ بعد كلام له في أن  
المسيحية رومانية أو بروتستانية فقدت خاصتها الدينية كما فقدت قائلتها  
الاجتماعية ملازمه مترجماً : « إذا كان الدين المسيحي ليس شيئاً سوى  
الكثرة المحتاجة إلى الإصلاح ( المذهب الروماني ) أو الكثرة التي دخلها





الإصلاح بالفعل (المذهب البروتستانتي) فالتقوى لم تكن تمشي مع الدين  
الخالص (لا يكون مسيحيًا أبدًا)

وقد جاء في كلام عبد الخطيب ما يبرح يده يوم أن يطلب  
للمسيحية معنى آخر ينطبق كل الانطباق على اعتماد المسلمين بها فإن  
وفق للنجاح في سعيه زال الخلاف - أن شاء الله - بين تشي وعلف  
بين المسيحية والإسلام

عود إلى ساحة الإسلام : أخذ بيد القاري الآن ، وأرجع به إلى ما مضى  
من الزمان ، وأقف به رفقة بين يدي خلفاء بني أمية والأئمة من بني  
العباس ووزرائهم : والفقهاء والمتكلمون والمحدثون والأئمة المجتهدون من  
حولهم : والأدباء والمؤرخون والأطباء والفلكيون والرياضيون  
والجغرافيون والطبيعيون وسائر أهل النظر من كل قبيل مطبقون بهم ؛  
وكل من قبل على عمله فإذا فرغ عامل من العمل أقبل على شئيه ووسع يده  
في يده يضافح النقيه المتكلم والمحدث الطيب والمجتهد الرياضي والمحكم  
وكل من يرى في صاحبه عوناً على ما يستعمل هو به ، وهكذا أدخل به بيتاً من  
بيوت العلم فأجد جميع هؤلاء سواء في ذلك البيت يتخذون ويتأخرون  
والامام البخاري حافظ السنة بين يدي عمر ابن حطان البخاري يأخذ  
عنه الحديث وعمر بن عبيد رئيس المعزلة بين يدي الحسن البصري شيخ  
السنة من التابعين يتلقى عنه وقد سئل الحسن بن عمار بن عمار  
لقد سألت عن رجل كان في شركه أدبته وكان لأبيه ربه إن علم به  
فقد به وإن قعد بأمر قام به وإن أمر بشئ كان الزم الناس له وإن نهى  
عن شئ كان أترك الناس له ما رأيت ظاهراً أشبه بإطمن منه ولا باطناً



أشبه بظاهر منه « بل أرفع بصري فأجد الامام أباحنيفة أمام الامام زيد  
ابن علي (صاحب مذهب الزيدية من الشيعة ) يتعلم منه أصول العقائد والفقه  
ولا يجد أحدهم من الآخر الا ما يجد صاحب الرأي في حادثة ممن ينازعه  
فيه اجتهدا في بيان المصلحة وهما من أهل بيت واحد - أمر به بين تلك  
المنفوف التي كانت تختلف وجهها في الطلب وغايتها واحدة وهي العلم  
وعقيدة كل واحد منهم أن فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة كما ورد في  
بعض الأحاديث (١)

الخلفاء أئمة في الدين مجتهدون وبأيديهم القوة وتحت أمرهم الجيش  
والإمام والمحدثون والمتكلمون والأئمة المجتهدون الآخرون هم قادة أهل  
الدين ومن جند الخلفاء الدين في قوته والعقيدة في أوج سلطتها وسائر  
الملاء ممن ذكرنا بدمع يمتعون في اكنافهم بالخير والسعادة ورفه العيش  
وحرية الفكر لا فرق في ذلك بين من كان من دينهم ومن كان من دين  
آخر فهناك يشير القاري المنصف الى أولئك المسلمين ، وأنصار ذلك  
الدين ، ويقول : ههنا يطلق اسم التسامح مع العلم في حقيقته ، ههنا يوصف  
الدين بالكرم والحلم ، ههنا يعرف كيف يتفق الدين مع المدنية ، عن  
هؤلاء العلماء الحكماء تؤخذ فنون الحرية في النظر ، ومنهم تبيط روح  
المسألة بين العقل والوجدان (أو بين العقل والقلب) كما يقولون

(١) النار: رواء أبو الشيخ ابن حبان في المظنة عن أبي هريرة بسند ضعيف .  
ورواء من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات . ولكن له روايات أخرى منها رواية  
الديلمي في مستند الفردوس عن أبي بلقيظ (ثمانين سنة) وفي رواية موقوفة على  
ابن عباس « خير من قيام ليلة » ولشبهة هذا المعنى قال الغزالي وردت السنة بكنا



يرى القاري أنه لم يكن جلافاً بين العلم والدين • بل كان بين  
أهل العلم أو بين أهل الدين شيء من التخالف في الآراء شأن الأحرار  
في الأفكار الذين أطلقوا من غل التعبد ، وعرفوا من علة التقليد ، ولم  
يكن يجري فيما بينهم اللز بالأتا ب فلا يقول أحد منهم لا خرافة زنديق  
أو كافر أو مبتدع أو ما يشبه ذلك • ولا تناول أحداً منهم بذي بأذى إلا  
إذا خرج عن نظام الجماعة وطلب الإخلال بأمن العامة فكان كالمنصور  
المجذم فيقطع ليذهب ضرره عن البدن كله

( ملازمة العلم للدين • وعدوى التعصب في المسلمين )

متى ولع المسلمون بالتكدير والتفسيق ، ورُمي زيد بأنه مبتدع وعمره  
بأنه زنديق ، ؟ أشرنا فيما سبق إلى مبدأ هذا المرض ونقول الآن إن ذلك  
بدأ فيهم عند ما بدأ الضعف في الدين يظهر بينهم وأكلت الفتن أهل البصرة  
من أهله ( تلك الفتن التي كان يثيرها أعداء الدين في الشرق وفي الغرب  
لخنس سلطانه ، وتوهين أركانه ) وتصدر القول في الدين برأيه من ثم  
تمتزع روحه بروح الدين ، وأخذ المسلمون يظنون أن من البدع في الدين  
ما يحسن إحداه لتعظيم شأنه تقليداً لمن كان بين أيديهم من الأمم المسيحية  
وغيرها • وأنشأوا ينشرون ماضي الدين ومقالات سلفهم فيه ويكتفون  
برأي من يرونه من المتصدين المتعالمين ، وتولى شؤون المسلمين جهلهم ، وقام  
بارشادهم في الأغلب ضلالهم ، في أثناء ذلك حدث الغلو في الدين واستمرت  
نيران المداوات بين النظار فيه وسهل على كل منهم لجهله بدية أن يرى  
الآخر المروق منه لأدنى سبب • وكلما ازدادوا جهلاً بدينهم ازدادوا غلوًا  
فيه بالباطل ودخل العلم والتفكير والنظر ( وهي لوازم الدين الاسلامي ) في



جاة ما كرهوه ، وانقلب عندهم ما كان واجبا من الدين محظورا فيه  
 لا أكاد أخطئ القاري إذا زعم أن المسلم إنما استفاد اسم زندقة  
 وزندق ومتزندق وزنديق من فضل ما عطفه جيرانه إذا كانوا يقولون :  
 هرطقة وهرتق وهو هر توقي ، أو ما يماثل ذلك ، أو زعم أن قد فشت في  
 المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشذدة وأن الذي  
 سهل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند  
 المسلمين بجهلهم بأصوله ومقوماته ومتى ضعف المزاج استعد لقبول  
 المرض كما هو معلوم .

ان المسلمين لما كانوا علماء في دينهم كانوا علماء الكون وأئمة العالم .  
 أصيبوا بمرض الجهل بدينهم فانهزموا من الوجود وأصبحوا أكلة الآكل  
 وطعمة الطاعم ، هل وقف الجهل بالمسلمين عند تكفير من يخالفهم في مسائل  
 الدين أو يذهب مذهب الفلاسفة أو ما يقرب من ذلك ؟ لا بل عدا بهم الجهل  
 على أئمة الدين وخدمة السنة والكتاب فقد حُمِلت كتب الامام الفزالي  
 الى غرناطة وبعد ما انتفع بها المسلمون أزمانا هاج الجهل بأهل تلك المدينة  
 وانطلقت السنة المتعالمين من البربر بتفسيره وتضليله فجمعت تلك الكتب  
 خصوصا نسخ « إحياء علوم الدين » ووضعت في الشارع العام في المدينة  
 وأحرقت . قال قوم يعدون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية — وهو أعلم  
 الناس بالسنة وأشدّهم غيرة على الدين — : إنه ضال مضل . وجاء على  
 أثر هؤلاء مقلدون علّاون أفواههم بهذه الشتائم وطهروا أئمتها وإثم من  
 يقفون بها الى يوم القيامة



أهل آثار السلف وحال علوم الدين وطلابها

أهل المسلمون علوم دينهم والنظر في أقوال سلفهم حتى أنك لا تجد اليوم في أيديهم كتاباً من كتب أبي الحسن الأشعري ولا أبي منصور الماردي ولا تكاد ترى مؤلفاً من مؤلفات أبي بكر الباقلاني أو أبي اسحق الإسفرائيني . وإذا بحثت عن كتب هؤلاء الأئمة في مكاتب المسلمين أعياك البحث ولا تكاد تجد نسخة صحيحة من كتاب . كتبت على القرآن تفاسير كثيرة في القرن الثالث من الهجرة وما بعده إلى السادس منها تفسير الطبري وتفسير أبي مسلم الأصفهاني وتفسير القرطبي وتفسير الجصاص وتفسير النزالي وتفسير أبي بكر ابن العربي وكثير غيرها وفيها من آراء أولئك الأئمة ووجوه استنباط الحكم والأحكام ما لا غنى لطالب علم الدين عنه . فهل يجد الباحث المجددة نسخة من هذه الكتب الجليلة يمكن الوثوق بصحتها إلا بطريق المصادفة وحسن الاتفاق ؟ وهل يليق بأمة تدعي أنها على دين وأن لها فيه سلفاً صالحاً أن تهجر آثار سلفها وتدع ما كتبوا طيبة لثمة وفراشاً للتراب ؟ هل وقع مثل ذلك من المشتغلين باللاهوت المسيحي في زمن من الأزمان ؟

إن حالة طلبة العلوم الدينية الإسلامية أصبحت مما يرثي له في أكثر بلاد المسلمين فهم لا يقرأون من كتب الكلام إلا مختصرات مما كتب المتأخرون يتعلمون إذ كام منها ما تدل عليه عباراتها ولا يستطيعون أن يتعلم البحث في أمثلها وتسميع مقدماتها وتمييز صحيحها من باطلها وإنما يتلقاها كأنها كتاب الله أو كلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ ما فيها بالتسليم . فإذا ناظره مناظر في بعض قضاياها وعجز عن تصحيحه قطع الجدال بقوله



هكذا قالوا وإن لم يكن القول منفعاً عليه بل قد يكون القول مما لم يقل به  
سوى صاحب الكتاب الذي اشتغل به وربما كان صاحب الكتاب ممن  
لو رآه أحد من السلف لم يرضه تلميذاً يعني عنه ما يقول .

كأن ينقطع طلب العلوم الدينية في سوريا والحجاز وتونس والجزائر  
وقل جداً في المغرب الأقصى ولم يبق الاهتمام به إلا في بعض الصحاري  
وذلك إما لصعوبة طرق التعليم واقتضائها الزمن الطويل وحاجات الناس  
مانعة لهم من إقناء أعمارهم في عمل لا يسد من حاجتهم . وإما لتفضيل الآباء  
تربية أبنائهم على الطرق الحديثة في أوروبا أو في المدارس الأخرى وليس  
فيها من الدين شيء وإن كان فيها شيء منه فهو مما لا يعد تلميحاً دينياً ينظر  
إليه . وإما لافتور والجمود ، الذي نشأ عن التقليد والجمود ؛ وبذلك تجد  
الذين قد تولاهم الجهل بدينهم ؛ وأخذتهم البدع من جميع جوانبهم ؛  
وانتشرت الصلة الحقيقية بينهم وبين سلفهم ؛ حتى لو عرض على الجمهور الأعظم  
منهم ما اتفق عليه السلف من الأحكام لا نكروه واستغربوه وعدوه بدعة  
في الدين وصح فيهم ما قال عمر الخيام في بعض أشعاره الفارسية مخاطباً للنبي عليه  
الصلاة والسلام : « إن الذين جاؤا بعدك زينوا لك دينك ووشوه وزركشوه  
حتى لو رأته أنت لا تذكره » فهذا الصنف من المسلمين وهو معظمهم قد  
أنكر دينه الحق وعباده وتقم على أهله القاعين بخدمته وإنما اصطنع  
لاعتقاده بعض أفرادهم يعرف عن السلف اختصاصهم بالثقة ولم يسمح الدين  
باختصاصهم بالتقليد . فإذا وقع عن هذا الصنف ما فيه أذى للعلم وأهله فقل  
بعد ذلك واقفاً من دين الاسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم دين القرآن  
دين السنة الثابتة دين الخلفاء الراشدين ومن تبهم من السلف الأولين ؟





متابعة العلم للإسلام ومبادئه : أقول وأخبر : في تفرقة ما بين

العلم والدين : ما دام العلم لا يمتدحهم عن شربهم ولا يخذلهم عن اعتقادهم عنه  
فكلما بعد عنهم علم الدين بعد عنهم علم الدنيا وخرموا ثمار العقل ، وكانوا كالأقويسة  
في العلوم الدينية ، توسعوا في العلوم الكسوفية ، وضرروا الزمان بسوء من  
المرّة ، أما غيرهم فكلما اتصلوا بالدين وجدوا في المحافظة عليه أنكرهم العلم  
وتجرهم ، واكفروا وجهه للقاتلهم . وكلما بعدوا من الدين سالهم العلم وبش في  
وجوههم ، وتلك تصرحون بأن العلم من ثمار العقل والمقل لا يصح أن يكون  
له في الدين عمل ، ولا أن يظهر منه فيه أثر ، والدين من وجدانات القلب ولا  
علاقة بين ما يجد القلب وما يكسب العقل . فالفصل تام بين العقل والدين  
ولاسيما إلى الجمع بينهما . سألهم الله فيما يسمونه تسامحاً مع العلم ، وهم يصرحون  
بأنه عدوه الذي يستحيل أن يكون بينه وبينه سلم ،

هل عرفت السبب في اضطهاد المسلمين للعلم ؟ أقول اضطهاد ولا  
أريد به ما كان عند الأمم المسيحية من الاشتداد في إبادة أهله والتكثير  
بهم واختراع ضروب التعذيب والتقن في صنع آلات الهلاك مع الأخذ  
بالشبهة ، والاكتفاء في الإعدام بمجرد التهمة ، فإن ذلك لم يقع عند المسلمين  
لا أيام علمهم ، ولا في أزمنة جهلهم ، ولكن أريد من الاضطهاد الإعراض  
عن العلم ورمي الألفاظ السخيفة في وجوه أهله وقذفهم بشي من الشتم  
مع الابتعاد عنهم . لأرب أنك قد أيقنت بأن السبب في هذا الذي  
يسميه الأديب اضطهاداً إنما هو جهلهم بدينهم . فالدواء الذي ينفع  
في شفائهم من هذا الداء لا يكون إلا ردهم إلى العلم بدينهم والتبصر  
فيه للوقوف على أسرارهِ والوصول إلى حقيقة ما يدعوا إليه . كان الدين



واسطة التعارف بينهم وبين العلم فلما ذهبت الوساطة تناكرت النفوس  
وتبدل الأُنس وحشة

الدعاة الى الاسلام : فهل قام بينهم دعاة للعلم حقيقيون ، أو دعاة لأصل  
الدين عارِفون ، ثم استمصبت قلوب المسلمين عليهم ، وجمعت نفوسهم عن الانقياد  
لهم ، وهل كثر أولئك الدعاة في أطراف بلاد المسلمين كثرتهم في أوروبا من  
أواسط القرن السابع عشر من التاريخ المسيحي الى ان ظهرت قوة العلم في أوائل  
القرن السابع عشر وفيما بعد ذلك ؟ لا ، إنما رأينا من الصادقين أفراداً يظهرُونَ  
متفرقين في عصور مختلفة ربما لا يجتمع أربعة منهم فإني في قرن واحد يأخذون  
في العمل لما وجَّهوا اليه ثم لا يكادون ينطقون ببعض الكلام فيحس الناس بهم فيأخذ  
المتعمد أهبة لمفارقة ما كان عليه واتباعهم حتى تشر السياسة (نعوذ بالله منها) بما  
عنى يكون من أمرهم فتخمد أنفاسهم ، قبل ان يلبثوا من قلب واحد ما أرادوا  
من غرس أفكارهم ، فينطفئ النور ، ويذهب الدَّيجُور ، فهل يمد الأديب هذه  
الضربات من أيدي أرباب السياسة اضطهاداً للعلم لأجل حماية الدين ؟ أنزه  
كل أديب عن ان يظن ذلك وإنما هي صدمات تقع على الدين لا تختلف  
عن أمثالها مما يصيبه منهم مباشرة فلا تمتد حجة على الدين في نظر المنصف

المقلد دون المقلد : ربما يقول القائل : ان كان المسلمون قد أخذوا الجمود  
في التقليد والنفرة من العلم والاعتقاد بالعداوة بين الدنيا والآخرة وبين العقل  
والدين وما أشبه ذلك مما هم فيه وورثوه عن الأمم السابقة عليهم خصوصاً  
أقرب الأهل اليهم ، فما بالهم لم يقلدوا المسيحيين في الحرص على نشر دينهم  
والتوسع في علومه مذيلاً بما أخذوه عنهم ولم يقسموا أنفسهم قسمين كما قسم  
المسيحيون إخوانهم قسمين فما ينقطع الى الآخرة في الأديار والصوامع



وقدما يشتغل بالدنيا ليقبض نفسه وبقيت أهل القسم الأول ويحمي نفسه  
ويحميهم من العدوان ؛ ومالك ترى المسلمين يملأوا وارتخت أعصابهم  
وشتموا النظر في علوم دينهم كما ذكرت ثم صاروا أبعاد الناس من معرفة  
الطرق لتحصيل الغنى والثروة ، والقبض على ناصية القوة وصولاً إلى النزة ،  
ومدحوا أنفسهم في تيار من القدر كما يقولون ، يجري بهم إلى حيث  
لا يعلمون ؛ ثم هم مع ذلك أحرص الناس على حياة ؛ وأشدهم لهفأ على  
الخطام ، فلا ترى الجمهور منهم في شيء للدين ولا للدنيا فما هذا التناقض ؛  
فأقول له : أنك قد نسيت أن المقلد يكون دائماً أخطأ حالاً وأخس  
منزلة من المقلد . فالمقلد إنما ينظر من عمل المقلد إلى ظاهره ولا يدري  
سره ولا ما بني عليه . فهو يعمل على غير نظام ، يأخذ الأمر لا على  
قاعدة ، ولذلك سقط المسلمون في شر مما كان عليه مقلدوهم لأسباب أهم  
قد خاطوا في التقليد وأضافوا إلى دينهم مالا يمكن أن يتفق معه فصاروا  
في مثل حال المتخبط الذي تنازعهُ عدة قوى يذهب مع كل منها آثام  
ينتهي أمره بعد الخيبة بالتمسك الشديد فيستلقي إلى أن يستريح فينهض إلى  
العمل على هدى أو يموت . لما كان المسلمون غلاة كانت لهم عينان عين  
تنظر إلى الدنيا والأخرى تنظر إلى الآخرة فلما طفقوا بقلدون أغمضوا  
أحدى العينين وأقعدوا الأخرى بما هو أجنبي عنهم ففقدوا المطلقين ولن  
يجدوها إلا بفتح ما أغمضوا وتطهير ما أقعدوا

الأصلا ح والمصلحون : لا تأمل أن يقول : كيف تدعي أن دعاة العلم والدين

قليل بين المسلمين مع أننا نسمع أمواتهم تتلاقى في جوف مصر وسوريا وغيرها  
من البلاد في هذه الأيام . كل يقول : ديني ملتي : اسلام مسلموني : قرآن سنه :



تجدد الإسلام القديم ، ساقه الصالحون : أعلم قديري : كتب قديمة كتب جديدة ، وما يشاكل ذلك مما يظهر منه ان الداعين الى العلم أو المنهين الى الاخذ باصول الدين الاسلامي كثيرون ولا يرى مع ذلك من اغلب المسلمين الا آذانا صمًا وأعينًا عميًا وصدًا عميًا يدعو اليه هؤلاء ، ويعتكبي أن أقول له : ان الصادق في هؤلاء ليس بكثير عساه ، والجمهور منهم ظلمًا مخلص قصده ، وما تجد أكثرهم الا متجهين بسفه كلمات ، لا تكسب بعض درجيات : ويظهر لك ذلك من أنهم يلقطون هذه الاسماء وقلما يدرسون شيئاً من مدلولاتها ايقنوا على الحقيقة منه ، وإنما يلقف بعضهم عن بعض خواهر كان لا تمكث في الأرض ، اما الصادقون على قلوبهم بقديراً بعض الناس يسمعون ما يقولون ، ويطلبون الرشاد مما يعلمون ، خصوصاً في أمر الدين والجمع بينه وبين مصالح الدنيا لا سيما في بلاد الهند وبين مسلمي روسيا . ولكن الاصلاحي ليس ربحاً تهب غمسه الأرض من الشرق الى الغرب في وقت قريب فانتظر قد يقول القائل : نعم نعم يكثر هؤلاء أكثرهم بين الأوربيين فيما مضى حتى يغلبوا الظالمين من أهل السياسة ويستميلوا المادئين منهم اليهم ، وينهضوا بالمسلمين من هذه الرقعة التي طال أمدها عليهم ، ولم لا يزال أهل البصير منهم قليلين . تفرقين يمسون بالقول ولا يجهرون ، وليس للعلم فيهم دعاء مليون ، أليس ذلك سبيلاً لمواخذه الاسلام وحجة عليه ؟ وأقول له : ان حظ المسلمين لا يصح ان يكون أسعد من حظ مقلديهم بل المنتظر ان يكون أتمس وقد أقامت المسيحية ما يزيد على ألف سنة قبل ان يظهر فيها العلم أو تنشأ الحرية الشخصية ، أو تسري فيها الحركة العملية ، الى ما فيه صلاح الجمية الانسانية ، مع توالي المنهات ، وتواصل



الصدومات إثر الصدمات ، ولم يمس على المسلمين من يوم استحكمت فيهم البدعة وأطبقت عليهم ظلم المحدثات ودخلوا جحر الضب الذي دخله من كان قبلهم الا أقل من ثمانمائة سنة فلم يمس عليهم وهم في بدعهم الجديد ذلك الزمن الذي قد يكون عمرا مثل هذه الحالة ثم تقضي نحبها في آخره . وما أظن ان يمر على المسلمين مثل تلك المدة قبل ان يبلغوا من صلاح الدين والدنيا ما هم أهل له

الفرق بين التعصبين : وعلى كل حال لا يجوز في شريعة الإنصاف أن يذكر المسلمون في جانب جمهور المسيحيين اذا ذكر الغلو في التعصب الديني فضلا عن ان يقال ان المسلمين أشد إفراطا فيه . والشاهد يدلنا على انه قد يكون للمسلمين في التعصب أفاظ وكلمات ، ولكن الذي يكون من جمهور المسيحيين إنما هو أعمال وضربات في الممارسات ؛ وما على طالب الحقيقة الا ان يسبح بفكره في المستعمرات الهولندية في الشرق ومثل مملكة الترنسفال قبل سقوطها وبلاد النبال في الجنوب ثم يرجع الى بعض بلاد روسيا في الشمال من قبل عشرين سنة ثم يرجع الى الجزائر وما يليها في جهة الغرب ليعلم كيف تكون الشدة في المعاملة مع غير أهل المذاهب المسيحية وكيف يبلغ التعصب من أهله حدا تنظر اليهم فيه الانسانية شرا ، ولا تقبل لهم فيه المدينة عذرا .

ما على الباحث الا أن ينظر فيما يكتبه الكتاب الفرنسيون ليعلم أنهم في حيرة من أمرهم مع المسلمين . يريدون أن تكون لحكومتهم طمأنينة فيما ملكت من بلاد المسلمين ولكن حكومتهم لا تجد السبيل اليها مع ما اتخذته قاعدة لمعاملتها وهو الشدة والافراط في القسوة على المسلمين خاصة



وخدم دون سواهم، وأرباب الأقاليم يبحثون عن تلك الطمأنينة مع المحافظة على تلك القسوة ويأبى الله أن يشرع على ما يبحثون عنه لأنهم يطلبون الجمع بين الضدين في موضوع واحد وهو محال كما يفرضه فلاسفتهم

سيجي رأي هانوتو الأخير في معاملة المسلمين

موسيو هانوتو أطلق لقلبه من سنوات أن يجري في البحث عن طريقة حكم للمسلمين وقاعدة لمعاملتهم في البلاد التي يحكمها الفرنسيون وجاء في فصول مقاله بما لا يزال يذكره القراء، ثم بعد أن قل المسألة علما ثلاث سنين رجع الى موضوع البحث هذه السنة بالأسان غير الذي كان ينطق به ورأي غير الذي كان يصدر عنه، وإني ذاكر، اخص ما نقلته الجرائد من خطابه الذي ألقاه في المجمع الجغرافي في شهر مارس من هذه السنة متعلما بأفريقيا واقتصر منه على ما يتعلق بما نحن فيه وهو بالمعنى : « ان التواعد الجديدة التي يجب ان يكون عليها العمل في أفريقيا هي مخالفة للتواعد القديمة التي كانت تجري عليها السياسة الاستعمارية فيما مضى من الزمان » ( أي قبل ساعة وقوف الخطيب لالقاء خطابه ) ثم بين هذه القواعد الجديدة التي يعامل بها المحكومون فقال لها السلام وتسلم ثم قال : « إنا مدينون لهم بالعدل والسلام كما اننا مدينون لهم بالتساهل الذي ولست أشير الى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل ما يشير النفس البشرية الا إشارة خفيفة فاقول : ان التمدن الاوربي يجد في طريقه في أفريقيا لاسيما في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذي هو دين الاسلام والذي هو في هذه الجهات ( شمال أفريقيا ) أكثر نشاطاً منه في غيرها، وهذا الدين يدعو الى آله واحد ويحمل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل المضائل



الدانية والاجتماعية ويسبوني عن المؤمنين به استيلاء عندنا في  
 على التنازل منه . فمن المشرع علينا التساهل في هذا الشأن . ليس  
 التساهل بكاف وحده فمن الواجب ان ندرس هذا الدين ونبدل جهتنا  
 في فهمه . وعلينا ان نتخذ الكلمة الاسلامية « لا إكراه في الدين »  
 شعاراً لنا لا نخرج عن حدود معناها . وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه  
 من كل طارئ سوء . ولا بأس بذكر كلمة للأمير عبد القادر الجزائري  
 في هذا المقام وهي : « إن أصحاب الأديان الثلاثة يشبهون ثلاثة اخوة من  
 ثلاث أمهات » انتهى محصل كلام هانوتو . قبل الكلام عليه أسأل القارئ  
 هل سمع مثل هذه الكلمة ممن يماثل الأمير عبد القادر في نسبه الى  
 الى صاحب الرسالة ومقامه في أهل دينه ومكانته من سلامة السيدة في  
 في مذهبه ؟ أو سمع ما يقرب منها ممن لا يدانيه من أهل المال الاخرى ؟  
 ترى هانوتو يرشد أهله الى اتخاذ سبيل جديدة في سياسة المسلمين  
 وهذا الجديد هو السلم والأمن والتساهل مع المسلمين في أن يستمر  
 مسلمين واحترام حقوقهم وتركهم يعملون بدينهم ، وعد هذا مبدءاً جديداً  
 لم يسبق الجري على مثله . وهل تجيب الحكومة الفرنسية عليه ؟ مسألة  
 فيها نظر . فهل يليق بمنصف ان يذكر المسلم اذا ذكر التمصب مادام  
 في الكون مثل هذه الدرجة منه ؟

❦ سياسة الانكليز في التسامح ❦

نم نحن لاننكر ان بين الأمم الاوروبية أمة تعرف كيف تحكم من  
 ليس على دينها وتعرف كيف تحترم عقائد من تسوسهم وعوائدهم وهي  
 الأمة الانكليزية فهي وحدها الأمة المسيحية التي تقدر التسامح حق قدره .



ولا يسمي علينا أن نقول : إن إنشاء ذلك أن أمراء صفاء الحروب الصليبية وقواد جيشها كانوا من أشد الصليبيين علاقة بسلاطين المسلمين وأمراء جيشه . وقد امتاز الانكيز في ذلك الزمن المظلم بدرس عقائد المسلمين وعاداتهم فحماوا من ذلك شيئاً كثيراً إلى بلادهم ولم تحجبهم غشاوة المصعب عن إبصار ضوء الحق وظهور أثر ذلك في أقلام كثير من كتابهم مثل واتر سكوت وشيل وغيرهما قبل أن يظهر في أقلام الكاتين من غير الانكيز بأزمان طويلة . فلنا أن نقول ولا نخشى لاحقاً : إن هذه الخصلة الشريفة - خصلة إطلاق الحرية لأهل الدين - تتمتع بأداء غرضها مع احترام واختراع - هي من أجل الخصال وربها غير المسلمين عن المسلمين . وهل أجد من يأتي على القول بأن الاسلام السليم من البدع هو استاذ الانكيز وعنه اخذوا هذه الخلة ؟ الا ترى ان نظامهم في ذلك يقرب من نظام المسلمين يوم كانوا مسلمين : يكتفون من الناس بالخضوع للقوانين واداء ما تفرض عليهم من الضرائب ثم يحفظون نظام العدل بينهم بقدر ما تسمح به السياسة لا يفرقون بين دين ودين . وهكذا كان حال المسلمين وان كان ذلك على قاعدة ابر وارجم

خاتمة : فان قال قائل : اليس لهذا المقال من آخر ؟ اليس في طول الكلام مجلبة الملل ، وترويج الكسل ، قلت اني أوجه كلامي هذا الى أهل النهم الى الفهم ، وأرباب الشره الى المعرفة ، ولا أظن هؤلاء الا طالبين ، ما هو أوسع من هذا المقال وأطول منه اضغاث مضاعفة لأن الموضوع جليل ، والكلام فيه مها كثر قليل ، وأما القارئ الملول ، فعليه بدخول وعزمه منلول ، يفكر منلول ، وهو قصير الهمة فيما يدور في أطوار ، فلا



1. 2013-2014  
 2. 2014-2015  
 3. 2015-2016  
 4. 2016-2017  
 5. 2017-2018  
 6. 2018-2019  
 7. 2019-2020  
 8. 2020-2021  
 9. 2021-2022  
 10. 2022-2023  
 11. 2023-2024  
 12. 2024-2025  
 13. 2025-2026  
 14. 2026-2027  
 15. 2027-2028  
 16. 2028-2029  
 17. 2029-2030  
 18. 2030-2031  
 19. 2031-2032  
 20. 2032-2033  
 21. 2033-2034  
 22. 2034-2035  
 23. 2035-2036  
 24. 2036-2037  
 25. 2037-2038  
 26. 2038-2039  
 27. 2039-2040  
 28. 2040-2041  
 29. 2041-2042  
 30. 2042-2043  
 31. 2043-2044  
 32. 2044-2045  
 33. 2045-2046  
 34. 2046-2047  
 35. 2047-2048  
 36. 2048-2049  
 37. 2049-2050  
 38. 2050-2051  
 39. 2051-2052  
 40. 2052-2053  
 41. 2053-2054  
 42. 2054-2055  
 43. 2055-2056  
 44. 2056-2057  
 45. 2057-2058  
 46. 2058-2059  
 47. 2059-2060  
 48. 2060-2061  
 49. 2061-2062  
 50. 2062-2063  
 51. 2063-2064  
 52. 2064-2065  
 53. 2065-2066  
 54. 2066-2067  
 55. 2067-2068  
 56. 2068-2069  
 57. 2069-2070  
 58. 2070-2071  
 59. 2071-2072  
 60. 2072-2073  
 61. 2073-2074  
 62. 2074-2075  
 63. 2075-2076  
 64. 2076-2077  
 65. 2077-2078  
 66. 2078-2079  
 67. 2079-2080  
 68. 2080-2081  
 69. 2081-2082  
 70. 2082-2083  
 71. 2083-2084  
 72. 2084-2085  
 73. 2085-2086  
 74. 2086-2087  
 75. 2087-2088  
 76. 2088-2089  
 77. 2089-2090  
 78. 2090-2091  
 79. 2091-2092  
 80. 2092-2093  
 81. 2093-2094  
 82. 2094-2095  
 83. 2095-2096  
 84. 2096-2097  
 85. 2097-2098  
 86. 2098-2099  
 87. 2099-2100  
 88. 2100-2101  
 89. 2101-2102  
 90. 2102-2103  
 91. 2103-2104  
 92. 2104-2105  
 93. 2105-2106  
 94. 2106-2107  
 95. 2107-2108  
 96. 2108-2109  
 97. 2109-2110  
 98. 2110-2111  
 99. 2111-2112  
 100. 2112-2113  
 101. 2113-2114  
 102. 2114-2115  
 103. 2115-2116  
 104. 2116-2117  
 105. 2117-2118  
 106. 2118-2119  
 107. 2119-2120  
 108. 2120-2121  
 109. 2121-2122  
 110. 2122-2123  
 111. 2123-2124  
 112. 2124-2125  
 113. 2125-2126  
 114. 2126-2127  
 115. 2127-2128  
 116. 2128-2129  
 117. 2129-2130  
 118. 2130-2131  
 119. 2131-2132  
 120. 2132-2133  
 121. 2133-2134  
 122. 2134-2135  
 123. 2135-2136  
 124. 2136-2137  
 125. 2137-2138  
 126. 2138-2139  
 127. 2139-2140  
 128. 2140-2141  
 129. 2141-2142  
 130. 2142-2143  
 131. 2143-2144  
 132. 2144-2145  
 133. 2145-2146  
 134. 2146-2147  
 135. 2147-2148  
 136. 2148-2149  
 137. 2149-2150  
 138. 2150-2151  
 139. 2151-2152  
 140. 2152-2153  
 141. 2153-2154  
 142. 2154-2155  
 143. 2155-2156  
 144. 2156-2157  
 145. 2157-2158  
 146. 2158-2159  
 147. 2159-2160  
 148. 2160-2161  
 149. 2161-2162  
 150. 2162-2163  
 151. 2163-2164  
 152. 2164-2165  
 153. 2165-2166  
 154. 2166-2167  
 155. 2167-2168  
 156. 2168-2169  
 157. 2169-2170  
 158. 2170-2171  
 159. 2171-2172  
 160. 2172-2173  
 161. 2173-2174  
 162. 2174-2175  
 163. 2175-2176  
 164. 2176-2177  
 165. 2177-2178  
 166. 2178-2179  
 167. 2179-2180  
 168. 2180-2181  
 169. 2181-2182  
 170. 2182-2183  
 171. 2183-2184  
 172. 2184-2185  
 173. 2185-2186  
 174. 2186-2187  
 175. 2187-2188  
 176. 2188-2189  
 177. 2189-2190  
 178. 2190-2191  
 179. 2191-2192  
 180. 2192-2193  
 181. 2193-2194  
 182. 2194-2195  
 183. 2195-2196  
 184. 2196-2197  
 185. 2197-2198  
 186. 2198-2199  
 187. 2199-2200  
 188. 2200-2201  
 189. 2201-2202  
 190. 2202-2203  
 191. 2203-2204  
 192. 2204-2205  
 193. 2205-2206  
 194. 2206-2207  
 195. 2207-2208  
 196. 2208-2209  
 197. 2209-2210  
 198. 2210-2211  
 199. 2211-2212  
 200. 2212-2213  
 201. 2213-2214  
 202. 2214-2215  
 203. 2215-2216  
 204. 2216-2217  
 205. 2217-2218  
 206. 2218-2219  
 207. 2219-2220  
 208. 2220-2221  
 209. 2221-2222  
 210. 2222-2223  
 211. 2223-2224  
 212. 2224-2225  
 213. 2225-2226  
 214. 2226-2227  
 215. 2227-2228  
 216. 2228-2229  
 217. 2229-2230  
 218. 2230-2231  
 219. 2231-2232  
 220. 2232-2233  
 221. 2233-2234

البدع والمحدثات فيه والعمل التي نشأت بالمسلمين بسببها فرصة أخرى  
وقبل أن أترك القاري أنبه إلى أن ما أجهل في هذه الأصول لم يقصد  
به الطعن في حال أحد من الناس ولا طائفة من الطوائف كما يعرفه القاري  
نفسه من لباس المعاني وما يكسوها من الأدب والتزهد عن كل كلمة تشم  
منها رائحة الميب على آخر . وقد يعلم من هذه التزاهة أن هذا رأي طبخناه  
لنطعمه بأنفسنا ، ونفق منه على من تازمنا نفقته من أهلنا ، ولم يكن يخاطر  
بالنا عند ما أجدنا بلبخه أن شفيض منه على غيرنا ، لكن إذا عشنا الساري  
إلى ضوء نارنا ، وطلب القري مناهقا سمناه ما لدينا ، وعرضنا عليه آخر من  
نفس الحياة ، وأهنا من خلق الأناة : أن شاء الله ، اهـ

(المدار) من شيب الاتفي أنه بعدنا كتب هذا المقالات ونشر بعضها  
ظهرت تلك المقالة المستر كوريت الانكليزي التي نشرت في المؤيد فجاءت  
شاهدا مؤيدا لما كتب الكاتب في فضل الإسلام وفي صفات الانكليز  
وسلطوا قواه في الإسلام بالمقالات التي طبعت على حشوها في كتاب بونابار  
القرء بان هذا الامام وعد بان يكتب مقالا آخر ملحقا بهذا في بيان ان ما نشر  
على الاسلام من البدع وما لحقها من الجحود سيكون هو السبب في الرجوع  
الى الأصل وإعادة مجد الاسلام ولعلها تنشر في الجزء الآتي

وقد باع كتاب (الاسلام والضرورية مع العلم والهداية) نحو مئتي صفحة  
وسنريده شهادة الكاتب الانكليزي ثم قال الامام الموعود به . وقد طبع على  
ورق جيد وجعلنا منه مع هذا خمسة قروش صحيحة فقطار غبة في سعة انتشاره



## ﴿ باب الأسئلة والأجوبة ﴾

( حدوث العالم في نظر الإسلام والفلسفة )

( س ١ ) المولى رضا الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الإسلامية العامل في أوقاف ( الروسيا ) : قد طال النزاع وقوي الجدل وكثر في هذه الأيام القليل والقال بين الناس في هذا القطر في مسألة حدوث العالم من جهةها الشرعية . فبعضهم يقول : ان الاعتقاد بالحدوث الزماني حسب ماقرره علماء الكلام من متأخري المسلمين فرض على العباد مثل الاعتقاد بوحدة الله تعالى وصدق رسوله وسائر الاعتقادات الواردة في القرآن الشريف . وبعضهم يخالفه ويقول : ان الاعتقاد بحدوث العالم حدوثاً زمنياً لا يكلف به الشرع ولا أخبر به النبي ولا نطق به القرآن الكريم بل هو من آراء أهل الكلام ويدعمهم أخذوه من فلاسفة اليونان ولقنوه العوام باسم الدين وما هو من الدين أصلاً . بل هو من باب الدين بالرأي . وإنما الواجب على المسلمين هو اعتقاد ان العالم مخلوق له تعالى من غير تعرض الى حدوثه بالزمان أو بالذات . وهو الذي نطق القرآن به في عدة مواضع . وبالجملة ان القول بالحدوث الذاتي أو الزماني إنما هو من مسائل الفلسفة لا تنطبق له بالشرعية . ولما كانت جريدة المنار هي الجريدة الدينية الوحيدة جئنا الى حضرتكم نستفسر رأيكم في هذه المسئلة ونشره أيضاً في أحد أعدادها ويكون هو ان شاء الله تعالى الفاصل بين الحق والباطل .

( ج ) ان الجواب في الرأي الثاني . وما كان لدين الفطرة . مقرر الحثيثة السليمة . الذي ظهر في الامين ، ودعا اليه المتوحشين والممدنين ، ان كل يكلف كل فرد في نصحيح الأديان ، بنظريات فلاسفة اليونان ، والتجبر بين تلك الخلافات في حدوث الزمان والحدوث بالذات . ثم خلافات الفلاسفة مع أهل الكلام ، في أصل وجود الزمان . فالتكلم يقول انه أمر اعتباري ، والفيلسوف اليوناني يقول انه وجودي . وأما الممارك يحارب الباحث فيها غير عدو حتى اذا أعيا من مقارعة الدليل بالدليل ، وتفض عنه غير القال والقيل ، رجع الى أحد الأمرين — وقوف الحيرة أو دين الفطرة ، المقصد الاول من مقاصد القرآن المبين ، تقرير عقائد الدين ، ثم هو لم ينطق بكلمة من مادة الحدوث للاعيان ، لا بحسب الذات ولا بحسب الزمان ، فلما نظر ان يقول : ان أطراد السنن الإلهية ، في العمالم العلوية والسفلية ، ووحدة النظام مع الاتقان ، في جميع هذه الاكوان . يدلان على ان لها ذاتاً علياً . قدراً حكماً .



حياً قيوماً ، لا ارادة لارادته ، ولا مقب لحكمه وحكمه ، ، انه قد علم ان  
النظام المشهود ، في مجرم الوجود ، وبهذا يكون مؤمناً بالبرهان ، وبهذا طريق القرآن ،  
وان لم يختار به الله حدوث الذات ، وحدث الزمان ،

أما مسألة حدوث انفس في نظر الفلاسفة فالمتفق عليه عند فلاسفة العصور ان كل ما وراء  
ونحس به من هذه العوالم الأبنسية والسموية فهو حادث بمعنى أنه لم يكن كذا هو الآن  
ثم كان ، ولكن عظمة العند عند المتقدمين والمتأخرين ، هي مسألة منشأ التكوين ،  
وهم متفقون على ان الوجود المطلق قديم وان المدم المطلق لاحقة له ولا يتصوره  
المنزل وانه لا يحدث شيء من الاشياء ، فالفلاسفة والمتفلسفون يحسبون ان مسألة  
المسائل القطعية ، لا تطبق على الايمان وان سماوية ، ونحن نقول : انها هي التي تحرى  
عالم القرآن ، فمررها الاسلام فليس في كتاب الله تعالى آية تدل على ان الوجود  
الحقيقي ، صدر عن المدم الخيالي ، بل قال : « وسخا كل شيء فقدره تقديراً » والخلق  
لله الذيب وهو لا يكم في المدم ، بل هو « أولم ير الذين كفروا ان الله خلق  
والارض كانتا رتقا ففتقناهما » وقال : « ثم اسفلوى الى السماء وهي دخان فقال لهم  
والارض انبثا انبثا فتنشق انبثا فتنشق » وحل مسألة منشأ التكوين  
في الوجود الذي انما يمكن حدوثه وأنه صدر عن وجود واجب قديم  
لانعرف حقيقة ولا كيفية صدره عنه وانما قام البرهان بأنه صدر بارادة وهدرة  
وعلم وحكمة ، وذلك ما ذكرناه من وحدة النظام والاحكام واطراد التواءيس والسفن ،  
دعوى كتابة بالنبى التركية . ( س ٢ ) ومعه : قال القائل امرجاني الخزاني

صاحب « ناطورة الشفي » في رسالته « مستنار الاحبار » : ان حدث أني عريرة  
الذكور في أسد الشاه السطوع بحضر القامه ( ج ٤ ص ١٤ ) . ففقه عاقل اعلام  
وقت طبعه والصواب ما في النسخة الخطية في زمان قريب من عصر المؤلف ابنه  
الأثير رضي الله عنه . وهو هكذا : « وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب  
امير ومن معه كتاباً تركياً ذكره . فان رواه نقالوه بالفاظ عربية وبدلوها وحفظوها  
تركناها لذلك » . ولما لم يكن لدينا نسخة أخرى سوى المطبوعة المذكورة انقلبنا  
رجونا من حضر تكم متابلة النسخة المطبوعة مع الأصول المصححة خدمة للمعلم  
والدين ثم بيانه لنا نكون على بصيرة من ذلك وأجركم على الله .

( ج ) ان يكن التحريف والتبديل في النسخة المطبوعة وانما كانا في رسالة



الفاضل القزاني « مستفاد الأخبار » فإن ما كتبه عن النسخة الخطية هو عين ما في النسخة المطبوعة إلا أنه صحف لفظ « تركنا ذكره » بقوله « تركنا ذكره » ولفظ ( غريبة ) بلفظ ( عربية ) فكان التبديل والتحريف ، من هذا التصحيف ، وسببه أن النسخة الخطية التي رآها غير منقوطة فأوقعت الفاضل فيما رأيت . وما كان مثله أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم يكتب لقوم من العرب كتاباً تركياً فإن جاز أن يعرف هو التركية من طريق المعجزة فمن أين لعمر وقومه بني أسلم علم ذلك ؟ وما هو الداعي إلى مخاطبة العرب بلسان المعجم ؟ ثم ما كان مثله أن يخفى عليه أن كلمة ( ذكره ) بكلمة ( تركيا ) لا معنى لها ولكن معناها ظاهر إذا كانت الكلمة ( تركنا ) وهو أن المصنف ترك ذكر الحديث لوقوع التحريف فيه وسبب التحريف وجود الالفاظ الغريبة التي لم يفهمها رواه . أما عبارة الكتاب فهي كما في ترجمة عمير بن أفضى الاسامي : « روى أبو هريرة قال قدم عمير بن أفضى في عصابة من أسلم فقالوا يا رسول الله انا من أرومة العرب نكافي العدو بأسنة حداد ، وأذرع شداد ، ومن ناوانا أوردناه السامة ، وذكر حديثاً طويلاً في فضل الانصار وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمر ومن معه كتاباً تركياً ذكره فإن رواه نقلوه بالفاظ غريبة وبدلوها وصحفوها تركناها لذلك أخرجه أبو موسى اه وقد قابلنا النسخة المطبوعة بنسخة خطية في مكتبة الحكومة المصرية كتبت في سنة ٧٢٢ هـ بعد وفاة ابن الأثير بأقل من قرن فالفيناها مطابقة لها

السلام على غير المسلم : ( س ٣ ) الشيخ بسطوي سي بركات بالمحلة الكبرى : قال الله تعالى « وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » وقال تعالى « وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُدْعَى إِلَى اللَّهِ بَلَاءٌ أَلَيْسَ الَّذِي يَدْعَى إِلَى اللَّهِ بَلَاءٌ أَلَيْسَ الَّذِي يَدْعَى إِلَى اللَّهِ بَلَاءٌ أَلَيْسَ الَّذِي يَدْعَى إِلَى اللَّهِ بَلَاءٌ » وقال « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ غَيْرِ بَيْوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا » الآية . فهل هذا الإطلاق في الآيات الكريمة يشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وغيرهم من بني آدم أم هو خاص بالمسلمين قيدت إطلاقه عليهم أحاديث صحيحة صريحة ؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم فيما مضى : أن من حق المسلم على المسلم إفشاء السلام . يعتبر من قيود الإطلاق لفهم البعض سقوط حق غير المسلم أم لا ؟ وإذا قيل أنه عام فهل ينبغي شيوعه بين الطوائف حتى يصير عادة مأثوفة أم لا ؟

( ج ) إن الاسلام دين عام ومن مناصده نشر آدابه وفضائله في الناس ولو



بالتدريج وجذب بعضهم إلى بعض ليكون البشر كلهم أخوة . ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النبوة إقباض السلام إلا مع المحاربين لأن من سأم على أحد فقد أمته فإذا فك به بعد ذلك كان خائناً ما كنا نعهد . وكان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيرد عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بانفظ ( السَّام ) أي الموت فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحجبهم بقوله « وعايكم » وسمعت عائشة واحداً منهم يقول له : السَّام عليك فقالت له : وعليك السَّام واللَّعنة . فأنهرها عليه الصلاة والسلام ميناً لها أن المسلم لا يكون فاحشاً ولا سبياً وإن الموت عايانا وعليهم . وروى عن بعض الصحابة كابن عباس أنهم كانوا يقولون لأدسي : السلام عليك . وعن الشعبي من أئمة السلف أنه قال لنصراني سأم عليه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى . فقل له في ذلك فقال « أليس في رحمة الله بيمس » وفي حديث البخاري الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف . وروى ابن المنذر عن الحسن أنه قال « فحيوا بأحسن منها للمسلمين » أو ردوها « لأهل الكتاب » وعليه يقال للكتابي في رد السلام عين ما يقوله وإن كان فيه ذكر الرحمة

هذه لمة مما روي عن السلف ثم جاء الخلف فاختلفوا في السلام على غير المسلم فقال كثيرون أنهم لا يبدأون بالسلام لحديث ورد في ذلك وحملوا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على الحاجة أي لا يسلم عليهم ابتداءً إلا الحاجة . وأما الرد فقال بعض الفقهاء أنه واجب كرد سلام المسلم وقال بعضهم أنه سنة وفي الحاشية من كتب الحنفية ولو سلم يهودي أو نصراني أو مجوسي فلا بأس بالرد . وهذا يدل على أنه واجب عند هذا القائل لا واجب ولا مستنون مع أن السنة وردت به في الصحيح أما ما ورد من حق المسلم على المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق التحية وتأمين من تسلم عليه من القدر والإيذاء وكل ما يسيء . وقد روى الطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة : « إن الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل دمتنا » . وأكثر الأحاديث التي وردت في السلام عامة وذكر في بعضها المسلم كما ذكر في بعضها غيره كحديث الطبراني المذكور آنفاً

أما جعل تحية الإسلام عامة فنصدي أن ذلك مطلوب وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم فكان من تحريفهم ما كان سبياً لأمر النبي صلى الله تعالى عليه والسلام بأمر المسلمين أن يردوا عليهم



بأنظ « وعليكم » حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين . ومن مقتضى القواعد أن النبي  
 يزول بزوال سيده . ولم يرد أن أحداً من الصحابة نهي اليهود عن السلام ، لأنهم لم  
 يكونوا يحظروا على الناس آداب الاسلام ، ولكن خاف من بعدهم خائف أرادوا  
 أن ينموا غير المسلم من كل شيء بعده المسلم حتى من النظر في القرآن وقراءة الكتب  
 المشتملة على آياته وظنوا أن هذا تعظيم للدين ، وصوّن له عن المخالفين ، وكذا زادوا  
 بعداً عن حقيقة الاسلام زادوا إيناساً في هذا الضرب من التعظيم ، وإيائهم لينابعدون  
 النصارى في هذا العصر يجهدون بنشر دينهم ويوزعون كثيراً من كتبه على الناس مجاناً  
 ويعلمون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليقرّبوهم من دينهم ، ويجهدون في تحويل  
 الناس إلى عاداتهم وشعائرهم ليقرّبوا من دينهم حتى أن الأوربيين فرحوا فرحاً  
 شديداً عندما وافقهم خديو مصر الأسبق على استبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري  
 وعدّوا هذا من آيات الفتح . ونرى اليوم الآن يسمعون في جعل يوم الأحد عيداً أسبوعياً  
 للمسلمين يشاركون فيه النصارى بالبطالة . ومع هذا كله ترى المسلمين لا يزالون  
 يحبون منع غيرهم من الأخذ بأدابهم وعاداتهم ويؤمنون أن هذا تعظيم للدين ،  
 وكأن هذا التعظيم لا نهاية له إلا حجب هذا الدين عن العالمين ، أن هذا هو البلاء  
 المين ، وسيرجعون عنه بعد حين ،

## باب التبرير والتعليل

الازهر والازهريون . وفاضل هندي

(الرسالة الثانية مما وعده الشيخ عبد العزيز العربي الازهرى والأولى نشرت في الجزء ١٠)

(من القاهرة إلى حيدر اباد)

إليك أيها الأخ سلام صديق طبع قلبه على الخلاص لك ، وارتبط بأسباب محبتك ،  
 وشكوى شوق قد برح بي برحاً ، لا أستطيع له شرحاً ، وبعد فقد ذكرت لك في  
 رسالتي السابقة طرقاً من نظام مدرسة الازهر وطرق التعليم بها على وجه الجملة  
 والآن أريد أن آتي لك بعبارة أوسع وتفصيل أشنى على كل ما رأيته من نظام طلبتها  
 وسلوكهم مناهج التحصيل مقتفياً أثر الطالب في كل دور من أبواب طلبه من إبان



دخوله فيها حتى يترشح لنيل شهادتها ميئاً لك قوته وما حصل عليه في كل دور منها  
 زرت أيها الأخ تلك المدرسة من تاريخ الرسالة الأولى حتى اليوم زورات متعددة  
 في أوقات مختلفة وقفت فيها على تلك الدروس وقفة العاشق الدقب على الربيع المحيل  
 وهو يبكي لأناس غاهدوا الرحيل على أن لا يعلموا التذليل

فكانت نتيجة ذلك البحث الدقيق والتقرير المتواصل أن ظهر لي ما عليه تلك  
 المدرسة الواسعة الكثيرة العدد ووقوفها على مواضع خلتها وسوء نظامها على ما أنا  
 عليه من الغربة وبعد الدار . ورأيت أن أجعل كل موضوع رأساً مستقلاً بنفسه  
 أذكر فيه كل ما استبان لي من النقد كما سيربك أن شاء الله

انتظام الطلبة : وأول أمر رغبت في كشف سره وبيان سببه من أمور هذه المدرسة  
 هو سبب كثرة طلابها حتى بلغوا التسعة آلاف أو يزيدون وأغلبهم من المصريين كما  
 قدمت لك في رسالتي السابقة فكان غاية ما وقفت عليه من ذلك ما سمعته هناك من أن  
 ثقة خير قال : لا يكاد يمر الإنسان ببلدة من البلدان المصرية أو قرية من قرراها حتى  
 يرى مئات من شبان المصريين خلفاء القرية وضيق ذات اليد وهم يطاردون الجوع  
 بالغاس والمحراث وتمضية يومهم الطويل في الحقول والمزارع والتعب والنصب تحت شمس  
 مذيب بوجهها رأس الضب . ومن بينهم أفراد لا يكاد يتخلو منهم بلد من البلدان أو قرية  
 من القرى مطلقون عن كل عمل يطلقون عليهم تارة لقب الفقهاء أو الوعاظ وطوراً اسم  
 المأذونين يرى الواحد منهم في حبة وقباء وعمامة عجرا . يأكل جميع ساعات نهاره مامتاً بمأفئ يته  
 خالياً من كل عمل أو قاعداً في إحدى الزوايا ينثر من فيه على بسطاء أهل الفلاحة  
 ما يسمونه وعظاً وارشاداً وما هو إلا أقاصيص أو لغو في حكمها يدعوا الناس به إلى  
 حب التواكل والبطالة حتى إذا أتى على آخر الدرس لبث مكانه منتظراً ما تدركه  
 أيدي أولئك العملة الساكنين الذين لم يحصلوا على الدرهم الا طراداً ولم ينالوا  
 اللقمة الا جهاداً . ومن ذلك يتألف هؤلاء المظلمين عيشة لا تعب فيها ولا نصب فإذا  
 رزق الله أحد الفلاحين الفقراء ولداً وقع بين تارين إما أن يدعه يشتغل بما يشتغل  
 هو به فيعيش عيشة البؤس والخصاصة وإما أن يدفع به إلى الأزهر ويثابر على أن يقسم  
 له ما يناله من الأجر على أعماله حتى يمضي عليه عدد من السنين فيخرج منه وقد  
 ترشح لأن يأكل من أوساخ الناس ويعيش عالة على السباد متوسداً الراحة من  
 عناء كل عمل . فإذا ترجع عنده الأمر الثاني دفع به إلى الأزهر وأخذ يجري عليه



من النفقة ما يقطع من قوت يومه الضروري . لذلك لا تكاد تجد في المائة واحداً من الطلبة من البيوتات الشريفة التي يعمل أهلها لمستقبل شريف كالتضاء والافتاء . فأتت اذا سرت في ساحة تلك المدرسة قائما تشق أجساماً تنبوء عن رؤيتها النفس وهم مختلفون متبعثون ليس لهم نظام ولا ترتيب . ويغلب ان يكون سن الطالب عند ادراجه في سلك الازهرين . ما بين الخامسة عشرة الى الثلاثين ، وقد كان امتحان الدخول في هذه المدرسة بسيطاً قاصراً على معرفة القراءة والكتابة اما اليوم فهم يشترطون مع ذلك حفظ جميع القرآن للكفيف ونصفه لغيره .

ولأجل ان تمكن من أن أبين لك ادوار الطالب هناك وأوقفك على قوته في كل دور منها اقسما الى ثلاثة ادوار كل دور ثلاث سنوات فيكون المجموع اثنتي عشرة سنة . وهي أقل مدة أمكن بعض الطلبة نيل الشهادة فيها

الدور الاول : يتقدم الطالب للانتظام في الازهر وهو في السن الذي قدمت لك فان كان من الفلاحين (وهو الاغلب) رأى نفسه قد انتقل طرفة من بين رعاة الشاء الى حلقات المدرسين ومجالس العلماء، وان كان من البيوتات الكبيرة والاسر الخاصة ( وقليل ما هم) انتقل المسكين وثبة في يوم واحد من نعم العيش وحسن الحال الى عيش الشظف والحشونة ويبدل في ساعة واحدة بروية أهله وهم على ما عهد من النظافة وجمال الهندام رؤية أولئك الذين ذكرت لك . وسواء كان الطالب من العامة أو من الخاصة فانه يتساوى مع غيره في الطلب وطرق التحصيل

يدخل الطالب تلك المدرسة وهو لا يدري كيف يحضر ولا ماذا يقرأ ولا على من يتلقى دروسه ولا على أي وجه يسير فيها ولا ما هي الكتب تشرى لذلك الغرض من حيث لا ناظر له هناك ولا رقيب عليه يأمره بشراء كتاب معلوم والاختلاف الى درس مخصوص بل يمكث هناك المسكين أياماً يجول في أركان الازهر وهو على ما ذكرت من البساطة والسذاجة ويأخذ كل يوم في التطواف بحلقات الدروس يتساءل من الطلبة المتقدمين عن كتاب يشتريه، ودرس ينتظم في سلك طالبه ، حتى اذا تسمر له ذلك بعد الذي تقدم من الحيرة والتعب وضياح الوقت وحضر احد الدروس اخذ يقلب طرفة فيما بين يديه ، ويحدد أذنيه لسماع ما يلقي عليه ، فلا ينظر الا تقوشاً لا مقدرة له الا على النطق بها دون أن يعقل لها أقل معنى . ولا تقع في أذنه الا ألفاظ هي أنبه بالرطانة منها بما يتكلم به الناس فيظل سنت الاولى وهو يروح الى الدروس كما يغدو اليها خالياً من الفائدة مجرداً من



فهم أي شيء مما يتلوه عليه معلمه اللهم إلا أن يحفظ بعض كلمات مثل : ضرب زيد .  
وقبل بكر محرراً : وتأبط شراً : وقال رحمه الله تعالى : الخ . . . هذا مبلغ ما يصل إليه  
الطالب من اختلافه إلى دروس النحو في سنة الأولى - وأريد قبل أن أسلك  
بالكلام إلى دروس الفقه أن أقول كنت أود أن أطلعك على جميع ما يشتغل به  
الطالب من الكتب على المذاهب الأربعة إلا أنني لا أرى في استقائها كبر فائدة بل  
الأحسن أن أفصل كتب مذهب واحد واستخرجت أن يكون الحنفى لأنه الأشهر .  
وإن لم يكن إلا أكثر : ثم أنت تقيس ما بقي من الكتب في المذاهب الأخرى عليه  
لما بينها من المشاكلة التامة في صناعة التأليف وأسلوب التحرير .

وما حصل عليه في سنة الأولى من النحو يحصل على ما يشاكله في الفقه . وأول  
كتاب في النحو يسمونه الكفراوى وما يقابله من الفقه يسمى مراقى الفلاح . أما الكفراوى  
فقد وضعه صاحبه شرحاً لمتن صغير اسمه الأجرومية مشروح العبارة مختصراً جداً .  
وأما مراقى الفلاح فهو كتاب يقتصر من الفقه على المبادئ فقط وهو على  
ذلك مجلد ضخم سلك به مؤلفه مسلك الإسهاب والإطناب . على أنه على ما به من  
التطويل يعد أحسن كتاب في الفقه هناك . وتصارى القول أن الطالب يقطع شهور  
سنة الأولى كلها ولا يعلق بذهنه ما يستحق أن يذكره لك . وإنما هي كلمات يسميها  
قمر عليه من الخيال الناري - ثم يدخل في سنة الثانية وهو على هذه الحال في كل  
أيامها وهو بالحيرة والذهول لقصور ذهنه عن إدراك أي شيء مما يسمع أو يقرأ .  
وكثيراً ما يلحق الطالب أو أهله القنوط من التجاح فيخرج من هناك ليحترف . ولا  
كتب يحضرها في سنة الثانية على الغالب إلا ما أمضى فيها سنة الأولى وسيره فيها  
لا يميز عن السنة الفاتية إلا بكونه وصل إلى أن يعرب جملاً بسيطة معلومة حفظ  
أعربها حفظاً على غير فهم ولا تفكير . ويعرف بعض أسماء الأئمة وشيء من الاصطلاحات  
الفقهية في الفقه . ثم يتدرج من هاتين السنتين إلى السنة الثالثة وفي أولها يكون قد أثر  
في ذهنه كثرة ما يرد عليه من تعقيد الجمل وتشويش المبارات تأثيراً يحملة على الجلد  
والتصبر على تلك الأساليب وربما فهم إذ ذاك بعض الجمل بعد أن ينصب نفسه ويستمع  
فكره كل التعب وينقل حينئذ من الكفراوى إلى كتاب يسمونه ( الشيخ خالد )  
وهو كتاب أصغر في الحجم من الكفراوى وأسهل منه عبارة ولكن يظهر أن  
سهولته لم ترق للاتياع هناك فأنبرى له بعضهم وعلق عليه حواشي من المفروض



عن كتاب الازهرى أن يكده ذهنه في فهمها ولم أر - علم الله - كتاباً يكده الفكر  
 عن التقارى في فهم عباراته المشوشة المضطربة مثل ذلك الكتاب . ويقابل هذا  
 كتاب من الفقه في هذه السنة كتاب ( الطائى ) أخو تلك الحاشية في فساد العبارة  
 وسماحتها وقبح تحريرها ركب به مؤلفه أسلوباً لم أر ما يشاكله في كل ما وقع لي من  
 مؤلفات العرب فهو يحذف ما يلزم إثباته ويكتب ما من حقه الحذف ويؤخر ماله  
 التقديم ويقدم ما من شأنه التأخير .

وأعجل اليك قبل أن أرتقى الى ذكر الكتب الفقهية الكبيرة بيان أن هذا  
 الطالب الضعيف يفاجأ في هذه المدة بتلك الأبواب الطويلة المحشوة بالخلاف وتضارب  
 آراء الأئمة فيما لا يسود بأقل فائدة على التلميذ ولا ينتظر أن تكون منه فائدة لغيره  
 مثل أبواب المتق والرق الخ وهناك أبواب أخرى فتحها نافع ولكن توسعتها ضارة  
 لأن مؤلفي تلك الكتب خرجوا بها عن دائرة التشريع الى بيده واسعة من الخيال  
 المحض فلا تكاد تنظر في باب من أبواب الطلاق مثلاً حتى ترى الكثير من الصور  
 الغريبة النائية عما يقصد الشرع في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم  
 وما جرى عليه أصحابه وأئمة السلف في المصدر الاول من الاسلام .

على ما قدمت ينهي التلميذ من دوره الاول ولو أتى بسلام سليم الفطرة الى معلم  
 حكيم في التعاليم وأخذ يمل عليه كل يوم قليلاً من النحو والفقه ويفهمه اياه حتى التفهم  
 لبلغ في ثلاثة شهور من التحصيل الى أضعاف ما يبلغه طالب الازهر في ثلاث سنوات .

الدور الثاني : اذا خرج الطالب من هذا الدور وهو على ما سر بك وأخذ يدخل في  
 الدور الثاني كان أول شيء يبدأ به أن يضم الى درسي النحو والفقه درساً أو درسين في  
 التوحيد أو المنطق أو البلاغة أو العروض واختيار الطالب أي فن من هذه الفنون  
 أمر موكول الى المصادفات التي تسوقه الى أي فن منها وكثير من الطلبة لا يمد عينه  
 الى تلك العلوم الا بعد مضي ست سنوات ولا أريد أن أذكر لك الآن ما هي هذه  
 الكتب وما يستفيده الطالب منها بل ادع ذلك لفرصة أخرى وآتي لك قبل ذلك  
 عن وجه ما يستعمل به من الكتب في العلمين الأسليين عندهم الفقه والنحو  
 وأول كتاب يفتحون به السنة الرابعة في الفقه كتاب يقال له ( متلا مسكين ) يقضي  
 فيه الطالب على الطالب سنتين ومتلا مسكين هذا كتاب ما تقدم من الكتب محشو  
 بالحجج والبراهين على غير جدوى والتعمق في فروع تنقضي الأعمار ولا تقع ولا



يحتاج إليها غير أنه يمتاز عن تلك الكتب بالخطأ فيها يورده من تقول أئمة المذاهب الأخرى في معترض الرد عليهم وزينب أقوالهم . وهو مالا يكاد يخلو منه كتاب أو باب من الأبواب . بعد أن يتم المسكين (منلا مسكين) يأخذ في تلقي كتاب بعده يقال له (الميني) وهو كتاب بلغ به صاحبه حد النهاية من الخطأ والفاط والتسجل في تزيف مذهب الامام الشافعي واختراع الصور الفقهية ولا يكاد يأتي الطالب على آخره وفي صدره شيء من جوهر العلم اللهم الا تلك الصور الذهنية والمسائل الخيالية والمباحكات اللفظية وحفظ أسماء أغلب من اشتغلوا بهذا الفن لكثرة ما يروى من اسمائهم في صدد الخلاف ، وإن تعجب فمجب بل ألف عجب اتفاقاً أكثر جماعة الازهر وجل مشايخه على استحسان هذا الكتاب وامتناع كل من حذا حذوه في صناعة التأليف . رندي ان ذلك كاف لبيان ما هم عليه من الذكاء والنبل وما وصلوا إليه من العلم والفضل . ويشغل الطالب فيما يقابل ذلك من النحو في الدور الثاني بثلاثة كتب — الازهرية والقطر والشدور . أما الازهرية فكتاب سهل العبارة اقتصر من النحو على المبادئ الا أنه مبتلى كاخوانه بحاشية شط فيها مؤلفها في أغلب المواضع عما هو بصدده . وأما كتابا القطر والشدور فكلاهما درة متلألئة بين اطمار بآلة الفهما ابن هشام رحمه الله غاية في حسن العبارة وانسجام الاسلوب لم يترك قاعدة يحتاج إليها الطالب الا أني علم في هذين الكتابين . ولو اقتصر الازهريون على قراءتهما متابعين من الحواشي والتقارير لحصل الطالب منهما على الغرض المقصود من النحو . ولكن الأمر على عكس ذلك فقد وضع بعض الأشياخ على كل كتاب حاشية لم يقع طرفي حتى اليوم على عبارة أبرد ولا اسمع من عبارتها وقد سلك بها طريق التصف والتعقيد حتى صارت سجناً يحول بين الطالب وما توخى بيانه المؤلف رحمه الله . ومن غرائب الاتفاق ان وقعت في يدي اليوم حاشية القطر فكانت أول جملة وقع طرفي عليها من غير قصد ما كتبه صاحبها تطبيقاً على بيت أورده المؤلف وهو :

(الايأسلمي يدارمي على البلى ولا زال منها ليجر عاكك القطر)

(قال المحشي) الاحرف استفتاح واسلمي فعل امر وسمي اسم امرأتها البلى مقصور مكسور المراد به الاندراس والفتاء اي اسلمي وان كنت قد بليت . ثم قال بعد كلام واعتراض على الشاعر أنه لم يحترس لأن دوام المطر يخرب الدار . واجيب بأنه قدم الاحتراس في قوله اسلمي وبأن ما زال تقتضي ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلاً



أَنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

(١) م من عدى سكت الغضب بمن ولم يشهد له وإنما الشاهد في الآية  
معدى بمن . وقد فسر (سكت) الزجاج وغيره بسكن . وقيل إن الكلام على القلب  
أي سكت موسى عن الغضب . وذكر الزمخشري الحرف في مجاز الأساس فقال :



سكت عن موسى النضب . . . وتقول قد نَقَدَ المالُ والطعامُ بكسر الفاء قال تعالى  
 « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنَفِدَ البحر » . وتقول عجزت عن الشيء  
 بفتح الجيم ومنه قوله تعالى ذِكرُهُ « أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ »  
 وتقول كسرت ظفر زيد بضم الفاء والظاء جميعا (١) قال الله تعالى « وعلى الذين  
 هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ » وتقول قد صرفت فلانا وقد صرف وجهه بغير  
 ألف ولا يقال أصرفت فلانا قال الله عز وجل « ثم أنصرفتوا صرفاً الله قلوبهم »  
 وتقول قد أَصْرَفْتُ الكلمة إذا طَلَبْتَ الماطلة . وتقول قد اسْتَدَّتْ البطانة بكسر  
 الباء (٢) قال الله جل ذكره « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ »  
 وتقول لنا على الماضي الي فلان (٣) بتشديد الياء قال الله تعالى « فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا  
 وَلَا يَرْجِعُونَ » . وتقول شكرت لك ونصحت لك ولا يقال شكرتك ونصحتك .  
 وقد نصح فلان لفلان وشكر له . هذا كلام العرب قال الله تعالى « واشكروا لي ولا  
 تكفروا » . « وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ » . وتقول عَسَيْتُ  
 أَنْ أَكَلَّمَ زيدا بفتح السين قال الله عز وجل « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ  
 تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ » . وتقول قد أريت فلانا موضع زيد ولا يقال أوريته فإنه خطأ  
 قال الله تعالى « وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا » وقال أيضاً « رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ »  
 وتقول قد أوريته النار إذا أشعلتها بالواو وقال تعالى « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ »  
 وقال عدي بن زيد في شاهد ذلك :

وُطِفَ حَدِيثُ السَّوِّءِ بِالصَّمْتِ      إِنَّهُ مَتَى تُورِ نَارًا لِلْعَنَابِ تَأْجِجًا (١)

« وسكت عنه النضب والحزن وكل من له أثر ناطق » ففهم وجه العجوز وقال السكاكي  
 أنه استمارة تبعية . وقرأ معاوية بن قرة في الشواذ (سكن) بالنون فهو ليس خطأ  
 (١) هذه هي اللغة الفصحى ويقال ظفر بضم الظاء وكسرها مع سكون الفاء .  
 (٢) في اللسان السدد القصد في القول والوفق والإصابة وقد سدده واستد . وبطانة  
 الإنسان خاصته الذين يفضي إليهم بأسراره مأخوذ من بطانة الثوب (٣) الجملة غير ظاهرة  
 ولعلها في الأصل استفهام (١) كذا ضبط (طف) في الأصل والمعنى يقتضي أنه من  
 المهموز والمصروف أظنا النار . ثم رأيت اللسان والتساجع ورواه (وأطف) وتأججا  
 أصله تتأجج محزوم وحذف التاء قياس



وَيُنَالِ وَقْعَ الْقَوْمِ فِي صُعُودٍ وَهَبُوطٍ وَحَدُورٍ وَفَتْوحَاتٍ أَلَا وَاعْلَوْ كَذَلِكَ السَّخُورُ مَجْزُورُ  
 الصَّامِ (١) أَوِ الْفَطُورُ أَيْضاً عَلَى مِثَالِ قَوْلِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَاءَ رُفُوقَهُ صُعُودًا وَكَذَلِكَ  
 الرُّكُوبُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى هُنَا رَكُوبُهُمْ ه ه وَتَقُولُ شَدَّ ثَوْبَكَ وَشَدَّ عَلَيْهِ بَضْمُ الشَّيْنِ  
 قَالَ تَعَالَى فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ه وَتَقُولُ ذَرُّهُ وَدَعَّهُ وَذَرِ الْأَمْرَ وَلَا يَقَالُ وَذَرْتَهُ وَلَا  
 وَدَعَّمْتَهُ قَالَ اللَّهُ ذَرَّهُمْ يَا كَلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ه وَلَا يَقَالُ مِنْهُ فَعَلْتَهُ وَلَكِنْ تَرَكْتَهُ ه وَتَقُولُ  
 جَهَدْتُ بِهِ كُلَّ الْجُهِدِ وَالْجَسِيمِ الْأُولَى مَفْتُوحَةٌ وَالثَّانِيَةُ مَضْمُومَةٌ قَالَ اللَّهُ ه وَالَّذِينَ  
 لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ه وَتَقُولُ دَمَعَتْ عَيْنِي بِشَمْعِ الْمَيْمِ وَبِجَنَّتِ عَيْنُهُ بِالْفَضَادِ وَلَا يَقَالُ  
 بَجَنَّتِ بِالْبَيْنِ (٢) إِنَّمَا الْبَخْسُ وَالنَّقْصُ أَنْ تَقْصُ الرِّجْلَ حَقَّهُ ه وَتَقُولُ وَدِدْتُ أَنِّي فِي  
 مَنْزِلِي بِكسر الدال الأولى قَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ :

أَحَبُّ بُنَيْتِي وَوَدِدْتُ أَنِّي حَفَرْتُ لَهَا بَرَابِيَةً قَبِيرًا (٣)

### ﴿ الهدايا والتأريظ ﴾

(الصراط المستقيم) كثرت شكرى الباحثين في الإصلاح — ورأسه إصلاح التربية  
 والتعليم — من كتب القرون المتوسطة وما بعدها ووعورة مسالكها وضروبة أساليبها  
 وعدم وافقها للتعليم فقبض الله تعالى لهم من أنفسهم من يسمى في إحياء كتب  
 السلف ليستعان بها على إحياء اللغة والدين، ومن يشتغل بتأليف كتب جديدة يستعان بها  
 على التربية والتعليم، فينا جمية إحياء العلوم العربية تشتغل بطبع المختص وتسمى  
 باستنساخ مندونة الإمام مالك وكتاب الأم للإمام الشافعي لطبعهما ومنهني هذه  
 الجهة يشتغل بطبع (دلائل الإعجاز) بعد طبع (أسرار البلاغة) إذا بالشيخ أحمد زاتي  
 ناظر مدرسة القبة الحديوية وأستاذ العربية والدين فيها يؤلف الكتب القريبة التناول  
 في التعليم القوية التأثير في علم الدين

وأشكر مؤلفاته فها، وأحسنها صنعا، كتاب في علم الدين سماه الصراط المستقيم،  
 وقد جعله ثلاثة أقسام قسم في المقائد وقسم في العبادات وقسم في الآداب ه وفي

(١) السخور ما يؤكل وبالضم فعل الأكل وقت السحر ه ومثله الفطور (٢) أنكر

البخن بمعنى الفق الأزهرى والمصنف وأثبتته الأصمعي وقال إنه لغة كالبخن

(٣) كذا ضبطها الطابع ولا يصح ولعلها تصغير قبر ه وفي هامش النسخة المطبوعة

لفظ (خفيرا) وهو بمعنى الله



كل قسم فصول في الواجبات الاعتقادية والعملية والأدبية . يقدي الفصل بالآيات  
الكريمة الواردة في الواجب الذي يتكلم عنه فيه ثم يأخذ الحكم مما يهدي اليه مع  
بيان معناها . فهكذا يجب أن تكون مكتب الدين لتطمن بها القلوب ، وتؤثر في  
النفوس ، وقد ألزم في الكتاب بيان أسرار العبادات والآداب الدينية ، ومنافعها  
الدنيوية والآخرية ، وبعد فراغ المؤلف من كتابه عرض على الأمير المباس  
أيده الله تعالى فسر به وأمر بأن يطبع على نفقة الخاصة الخديوية فطبع في المطبعة  
الأميرية طبعاً متقناً على ووق جيد وجعل في جانب كل صفحة من جدولتين يذكر في  
أحدهما بأزاء الآيات القرآنية التي اقتضت بها الفصول اسم السورة وفي الثاني عدد  
الآية ولو كان هذا البيان عاملاً لجميع الآيات القرآنية في الكتاب لكان النفع أتم .  
ومصفحات الكتاب ٤٠٠ وثمنه ١٢ قرشاً صحيحاً

( الهداية الى الصراط المستقيم ) اختصر المؤلف كتاب الصراط المستقيم بكتاب  
سماه بهذا الاسم وهو مثل الأول في ترتيبه وأسلوبه إلا أن حجمه نصف حجمه  
والغرض من الاختصار أن يكون المختصر كتاب تعليم يرتقي منه التلميذ الى المطول  
وعندي يتلقى هذا دراسة الى فهم ذلك بنفسه . وقد طبع الكتاب الثاني على نفقة الخاصة  
أيضاً وفقى الله مولانا الأمير ، الى ما فيه احياء العلم والدين . وثمنه ثمانية قروش  
صحيحة فنحت كل من يطلب فهم الدين على مطالعة الكتابين

( حجب القرآن ) كتاب من أجل ما كتب علماء الاسلام في خدمة الدين  
للإمام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي جمع فيه الآيات القرآنية  
التي محتج بها الفرق المقتدة من الاسلام في المسائل المختلف فيها بينهم ليعلم الناظر في  
الحجج مجتمة لديه ، ممثلة أمام عينيه ، أيها الحق بالقبول ، وأدل على المدلول ، وقد  
ذكر في قافته أن أصل الفرق ثمان — الخيرية وفي مقابلتها القدرية . والمرجئة وفي  
مقابلتها الوعيدية . والصفائية وفي مقابلتها الجهمية ، والشيعة وفي مقابلتها الخوارج .  
قال : ومن هذه الفرق الثمان تشعبت الفرق الثلاث والسبعون ، أي التي ورد بشأنها  
الحديث المشهور . وابواب الكتاب ثلاثون باباً في كل باب فصول كثيرة جمعت المسائل  
المهمة المختلف فيها . وأما لتقداته يصير على كل عالم أن يفهم الحق في هذه المسائل  
بدون أن يطلع على هذه الآيات التي مجتج بها كل فريق على رأيه ولا نعرفها مجموعة  
في غير هذا الكتاب . فلذا نقول أن إحياء هذا الكتاب خدمة جليلة للإسلام .  
فجزى الله الشيخ أحمد عمر المحمدي الأزهرى خير الجزاء أن طبعه ونشره بين



الناس ثمن بخس وهو قرشان صحيحان ، ومن طلبه من الخارج فليس سل مع الثمن قرشاً لأجرة البريد . وهو يوجد في إدارة المنار بمصر وفي مكتبة هندية ومكتبة المليبي ومكتبة الرافعي ومكتبة المؤيد ومكتبة الهلال

(حياتنا التناسلية) أو « دليل المازب وطيب الزوج » كتاب يدل اسمه على موضوعه مؤلفه الطبيب سعيد أبو جرة الذي تلقى الطب في المدرسة السكليه بيروت وأتمه في كلية ( ماريون سمس ) في الولايات المتحدة . هو يبحث عن أعضاء التناسل في الذكور والإناث وما يمرض لها من العلل والأمراض قبل الزواج وبعد . وعبارته سهلة يفهمها كل قارئ ولا غنى لقارئ عنها فإن أكثر الناس عرضة للأمراض والأدواء التي تتولد في هذه الأعضاء أو في البدن كله من استعمالها فيما يحرمه الدين والطب ( وكل ما ثبت ضرره طبياً فهو محرم شرعاً ) ومن ذلك المادات الضارة التي تكون من الشبان في حال الانفراد ويحسبونها هينة وما هي بكنة وانما هي علة العلل للأدواء والأمراض القاتلة . ولو علم الناس ما وراءها لأعلمهم العلم على مغالبة الشهوة ، ومحاربة اللذة ، لأنه هو الركن الركين . بعد تربية الدين ، وأين التربية الدينية من قوم يذكر أطباؤهم ومرشدهم عجائب صنع الله تعالى وحكمه وآياته في الآفاق وفي أنفسهم فيسندونها إلى شيء مجهول يسمونه « الطبيعة » ولا يسندونها إليه جلّت قدرته كما فعل صاحب كتابنا هذا . واننا لا نرى في هذا الكتاب غير هذا العيب . ونقول على كل حال أنه ينبغي لأهل كل بيت اقتناء هذا الكتاب ومطالعة والاستعانة به على تربية الأولاد . وهو مطبوع في مطبعة الهلال وعدد صفحاته مئتان وثيف وثمانه ١٢ قرشاً مصرية ويطلب من مكتبة الهلال بمصر ( نيل الأرب في موسيقى الأفرنج والمرب ) الموسيقي فن من الفنون الحسينية يرتقي في الأمم بارتقاء المدنية والحضارة ويتبدل بتدليهما . والميل إلى طبيعى في الإنسان بل الميل إلى حسن توقيع النعم مهود في الحيوان الأعجم . ولقد كان للعرب حفظ منه أيام مدنيهم فذهب بذهابها . ولما ذالت الحضارة إلى الأمم الغربية ارتقى عندهم هذا الفن حتى صار ركناً من أركان الفنون الحربية ، كما أنه ركن من أركان التربية النفسية . وكان من موضع العجب أن المصريين اشتغلوا بتقايد الأفرنج من زمن طويل وأخذوا عنهم كثيراً من علومهم ولكنهم لم يضموا لنا كتاباً مصنفاً أو مترجماً في فن الموسيقي حتى ظهر هذا الكتاب في هذه السنة لمؤلفه أحمد اقدى أمين الديك . ومن عريف المؤلف بحكم بأنه انما ألف هذا الكتاب بباعث طبيعي وشعور بأن قومه في حاجة إلى هذا الفن وأنه



أراد أن يكون البادي بسد هذه الحاجة. وانما قلنا هذا لأنه شاب بيد من التفرغ ومذاهبه متمسك بالدين عملاً وأدباً على أن الشائع في قومه أن الموسيقى من الفنون المذمومة في الدين. وما المذموم في الدين إلا هذا التخت الشائع عندهم في الغناء. أملاً للموسيقى فهي نافعة في الحرب والآداب والأخلاق. هذا وأما أن يحكم على الكتاب من الجهة الفنية لأننا نعرف مع الجحول بأننا لا نعرف الفن. والكتاب مطبوع بالرسوم وأشكال (النوتة). بالمطبعة الأميرية وثمنه خمسة قروش.

(الأنهار بالنساء) هي القصة العاشرة. من (روايات عجائبات الشعب) المصرية بقلم حسن أفندي توفيق الخرجوي من ضباط البوليس ومترجم كتاب (التربية الحديثة) وقد صدرت القصة صاحب مطبعة الشعب بكلمة الصحافة المصرية يطالبها فيها بانتقاد هذه القصص التي يقصد بنشرها خدمة الأمة. ويقتد قريظ الجرائد بنسخ كل كتاب أو قصة بنشر وتغني الرواج لها.

الانتقاد واجب وإن كان يسيء ناشر في الكتب كالجريئة. وإذا لم يسمع وقت أصحاب الجرائد وكتابتهم قراءة الكتاب كله أو بعضه فلا يجوز لهم قريظه لأن القريظ حكم لا بد فيه من العلم بالمحكوم عليه. وأما طالما قصة الأنهار بالنساء هذه ظناً منا أن الذي حمل نشرها على أمر يضاهي للتقد هو ثقته بأنها تعلمو عليه لما فيها من الإرشاد النافع فالفيناها مشجونة باخبار الفسق والفحش والسكند وسفك الدم والانتقام. ومثل هذه الحوادث التي تشرحها القصة يؤثر الكلام عنها في النفس أسوأ تأثير ويكون غذاء رديئاً للنفوس المستعدة للشرور لأنها لم تترب تربية صالحة. وأين التربية الصالحة في هذه البلاد؟ يحتاج ناشر وأمثال هذه القصة بأنها لا تخلو من بيان سوء عاقبة المجرمين. ونحتاج عليهم بأن الكتابة في تمثيل عواقب الجرائم والمآثم بشرط فيها أن يكون ما يكتبون فيه شائعاً فيمن يكتبون لهم بحيث تفيدهم الكتابة عظة وعبرة ولا يزيدهم علماً بوجود المنكرات وطرق السيئات. لأن ما لا شبهة فيه أن كل قارئ يوجه فكره إلى ما يناسب طباعه ورغائبه من الكلام ويفعل عن غيره. والجرائم المشروحة في هذه القصة لم تأت على الشرط بخلاف قصة (الحال والمآل) التي قرظناها من قبل فأنها جاءت على الشرط لأنها ذكرت منكرات معروفة قاصداً في مصر ويثبت سوء عاقبته فذلك الثبوت عليها أنكرنا على هذه وألحقنا كلامنا في الموضوعين يكون حاملاً على الرغبة عن الضار إلى الرغبة في النافع والله الموفق.

(روايات الخدائن) أحسن القصص التي تنشر في مصر لخلق المهد عبارة مصرية

تفيد التحذير من تعذيب أفندي الخدائن وقد أجديت إليها بيان فيها منذ أشهر الخدائن



أحداها واستعار الأخرى أحد اصدقائنا ولم يعدها فكنتنا هذه الكلمة للتأنيدهم  
المهدي أننا أغفلنا بقرينتهما أحيانا بحجة

### باب الأخبار والآراء

( ألقاب التعظيم ) سرت الى الكتابة العربية والى أهل العربية عادة من عادات  
الأعاجم المفضولة وهي اضافة الألقاب التعظيم والتعجيل الى أسماء الأشخاص عند ذكرهم  
في القول والكتابة . ولقد أسرف الناس في هذه الألقاب حتى ألحقوا بها المنفصول  
بالفاضل ، وسأروا الصالح بالجاهل ، وإننا كنا نألم لاتباع مادة الجرائد في ذلك على  
تجزئتنا القصد فيها وترى النفس تنزع الى اتباع سلفنا فيه ولكننا نرجي ذلك حق كان في هذا  
الجزء أن كتبنا تبذره من رسالة الكشائي وذكرنا في رجبها اسم طابعها واسم المهداة اليه  
مقروئين بألقاب التعظيم المألوفة ثم لم نلبث أن نقلنا اسم الكشائي وهو من أئمة العلم  
وهرون الرشيد وهو من أعظم الخلفاء بعد الراشدين ولم نرها مقروئين بلقب  
فنبهت النفس الى ما كانت تنزع اليه وأمرت بترجيح تلك الألقاب التي كانت كتبت  
فترجيحت . ونحن بعد اليوم لا نذكر مع اسم أحد الألقاب الذي يميزه في نفسه  
أو صنفه كالشيخ والبك والأفندي . ومن كان غير معروف للقراء نعرفه بحجة خبرية  
لا بالألقاب مفردة يثبت بها ثباتا ، وتنظم مع اسمه عقدا ، ويدخل في هذه القاعدة  
أستاذنا وأمرأؤنا فإذا نقلنا قولاً عن أستاذنا الأكبر (ولفظ الأكبر هنا بيان للواقع)  
نقول : قال الشيخ محمد عبده أو مفتي الديار المصرية . وإذا كان الكلام عن الجمعية الخيرية  
نقول : قال رئيس الجمعية . ولكننا اذا استدلنا به قولاً من غير ما ذكر اسمه قلنا الشيخ  
اليه بلقبه الذي اشتهر وهو ( الأستاذ الامام ) بالتريف . وإنما سبق لنا تعريفه بلقبين  
لأن لفظ ( الأستاذ ) وحده ينصرف في كتب الكلام والاصول الى الشيخ أبي اسحق  
الاسفراييني ولفظ ( الامام ) وحده ينصرف الى تفر الدين الرازي ولفظ ( الشيخ )  
الامام ) أطلقه تاج الدين السبكي في كتبه على والده الشيخ تقي الدين . فبعد ما استقر  
رأينا على أن نجعل لاسمنا الذي يكثر نقلنا عنه لقباً مختصراً يعني عن ذكر اسمه ووظيفته  
اجترنا هاتين الكلمتين لأنه لم يشتهر بهما أحد . وقد عرفت ذلك قراء النصارى جميع  
الاقطار لذلك نقره بشرطه

( كلمة في المنابر ) قد كتبنا مرات متعددة على غلاف المنابر بأنه لاحق للمشارك  
ان يطلب جزءاً من المنابر لم يصل اليه بعد صدور ما بعده . ثم رأينا بعضهم يحتاج



بأنه إذا تأخر جزء يتوهم أنه لم يصدر فلا يعرف أنه قد صدر إلا بعد وصول ما بعده إليه . لذلك رأينا أن نمد في الوقت فنجعله عشرين يوماً في القطر المصري . فن طلب الجزء الذي يصدر في أول الشهر مثلاً في الحادي والعشرين منه فما بعده فطلبه أن يرسل عنه ٢٥ ملياً سواء كان قد صدر الجزء الذي بعده أم لا . ومن وصل إليه الجزء فأضاعه أو وهبه فلا يجوز له أن يطلب بدله إلا باليمن . وربما يمد بعض القراء هذا تشديداً في موضع التساهل ولكنه إذا علم أن الطالبين للأجزاء المفقودة كثيرون جداً وأن كل جزء رسله يضع علينا مجموعة سنة كاملة فانه يندرت الاحالة

(سكة الحديد الحجازية) أخبرنا من شاهد العمل في هذه السكة واختبره بنفسه أن المهمة المبذولة فيه عظيمة وإن الآلات والأدوات الحديدية والخشب التي في بيروت والشام كافية لإيصال الخط إلى مكة المكرمة وأن مهندساً ألمانياً قال : إن هذا الخط آمن وأحسن من خطوط الحديد في انكلترا . ومع هذا كله لا بد لإتمام العمل من أربعة ملايين جنيه . وهو مبلغ لا يرجي له إلا سخاء صاحب المشروع الذي يتخذه له تمامه على يديه أشرف الذكر وهو مولانا السلطان وفقه الله تعالى لما فيه خير الأمة والدولة . وما ينتقده جميع الذين شاهدوا العمل أمر التضييق على العسكر المشتغلين به فانهم لا يجدون ما يكفيهم من الغذاء والدواء وهم يحملون مجلدات حبر المهندسين الأوربيين وأنوافدين المتفرجين . وقد علمنا أن الرئيس الذي يدير العمل من خير الناس فمضى أن يوفق للمحافظة على صحة أولئك الجنود المساكين . (الأذان السلطاني) بلغنا أن شيخ الجامع الأزهر أنكر في جامع القلعة هذا الأذان في الليلة السابعة والعشرين من رجب التي احتفل فيها بقراءة قصة المعراج . وكاشف بانه نكاهه . ففي الديار المصرية واتفقا على النهي عنه فيها فمضى أن يؤثر ارشادهما في محو هذه البدعة السيئة

### ﴿ نصيحة للقارئ ومن يسمع من الأميات ﴾

إن من خلائق الأتقي وسجايها ما هو عون للسفهاء على إغوائها وهو أنها تحب دائماً أن تكون موضع الإعجاب والاستحسان . ولذلك تجاق إليها المبهضون ويخادعونها بالمدح . والفواتي يغرن من الثناء . حتى يستميلوها اليهم ويهينوا شرفها بالمغازلة على الأقل . ومن الضمف في الأتقي أن تعتقد أن كل من يرمي بيمره إليها يكون مستحبناً لها . ناهيك بصاحب التعديق ونظر التزييق وهو نظر الماشق المستهتر



مادة والمبصص المتعلق اختلاباً وخداعاً فإنه يغر القناعة الغير ويقع من قلبها موقع السهم ،  
الذي سقى بالسهم ، وقد ورد في الحديث : النظره سهم مسدوم من سهام ابليس فمن تركها  
خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يمجّد حلاوته في قلبه . رواء الحاكم وصحيح اسناده .  
بلغ النساء عندنا من الغرور بتطاعم السفهاء اليهن أنك تمجّد نساءنا يتلفتن في  
الأسواق ماشيات ، وينحنين وهن في المركبات ، وقد يكن مع هذا من المحصنات  
الزنيات ، وإن هو الأحب توجيه الانظار ، وأعجاب النظر ، و يرى نساء الأفرج  
يمشين قاصرات الطرف ، مستقيمت المطف ، تحسبن في ادبهن الظاهر من اللامعة  
المقريين ، وإن كان فيهن من هن اغوى من الشياطين ، وما ذلك إلا لأنهن تربين على  
ادب الاجتماع ، وتعلمن ما يبعدهن عن سرعة الانخداع ، وإن الظهور في المنكر  
ليزيد في ضرره لما فيه من اغواء الناس وتسهيل سبله على من لا يعرفه ولذلك ورد  
في النسخ ان المضيعة الصغيرة تكون كبيرة بالمجاهرة و ترى القوانين الوضعية عند  
الأمم كلها تحظر الجهر بما ينافي الآداب حتى ما يبيحه منه في السر  
السبب في هذا التبرج والتفتيح ، والتشوف والتقصص ، والانتاء والانهاء ،  
الذي يزيد في فساد السفهاء ، هو حب الأتني لأن تكون زينة في الأعين وشغلا  
للقلوب . وأنها تكون كذلك في جميع الأعين وجميع القلوب إذا ظهرت بمظهر  
الكمال والهيأة ولم تلتفت لكلام المبصصين ولم تكلمهن إذا تعرضوا لمكائنها  
فإن هذه الاماديج التي تسميها منهم تنقلب الى ضدها بمد أن تبعد عنهم فلا تسمع  
ما يقولون ، فإن سفهاء الناس وغوغاهم لا يزالون يرفون قيمة الفضيلة ويحترمون أهلها  
هذا الدين في العطف والخضوع في القول قد اطمأ أصحاب القلوب المريضة في  
كل امرأة تمر في الطريق فلا تسكاد تسلم من سفههم او عيبهم امرأة ولا يبعد مثل  
هذا المنكر في مدينة ولا قرية مثلاً يوجد في هذه البلدة الظالم أهلها . وأنا تعجب  
من ضعف غيرة الرجال التي اباحت لهم التساهل مع نساءهم حتى اباحوا لمن كل هذا  
إننا ليسو نحن جداً أن نرى البنات ينشأن على مثال امهاتهن وعماتهن في هذا الدين  
المذموم لا فرق بين المتعلقات منهن والجاهلات ، وإننا ليحزننا أن نرى التلامذة الذين  
هم محل الرجاء ، مستتبين بسنة أولئك السفهاء ، حتى أنك لا تسكاد تمجّد فرقا بين من نشأ  
في المدارس ومن نشأ في الطرق والشوارع . رايت من أيام تلميذاً يجثي مع اخواته  
في السوق خارجين من المدرسة فمر بأمرأة فوضع يده على وجهها وعبث بريقها ولم  
ار مثل هذه الوقاحة من غوغاه الحشاشين ، فهل يغر البنات تطلم أمثال هذه التلميذة



الذين . وتضديه لاغوائهن ؟ وهل كان مفرماً بتلك المرأة التي عبت ببقيةها فكان الغرام هو الحامل له على اهانتها في السوق ؟ وهل مثل هذا الغرام - اذا فرض - مما يرغب فيه ؟ ان ما تقدم من القول هو مقدمات النصيحة التي اقدمها للفارثات والنتيجة المقصودة هي ان الإنسان يؤخذ دائماً من جهة ضعفه ومن الضعف في الانثى الانخداع لمن يظهر لها الحب والاستحسان . وان الرجال دائماً يخادعون النساء حتى ان احدهم اثبت على النظار بالحب زمناً طويلاً ليصدق . فيجب على الفتاة المتعلمة ان لا تصدق احداً من هؤلاء الشبان الذين يظهرون لها الحب والغرام فان احدهم ليخاتل كل فتاة يراها بمثل هذه الخاتلة . ولو كان صادقاً فيما يظهر من الإعجاب بمحاسنها والرغبة في الاقتران بها وكان اهلاً لذلك لكان يغار عليها من نفسه ومن غيره فلا ياملها بهذه المعاملة . من البصيرة والمنازلة . ولكنه يزيد على هذه الاهانة التي تكون منه في كل طريق . بان يتحدث بها كل صديق ورفيق .

( الحسود المعتم ) كتب ذو عناية الى صاحب الجامعة يثريه بالطعن في صاحب مقالات ( الاسلام والنصرانية . مع العام والمدينة ) لأن صاحب العمامة حسد صاحب هذه المقالات على ما اوتيته من سعة العلم وقوة التأثير وعلو المسكاة فحاول ان يطلق نار حسده بذنوب من ذنوب ذلك الطعن الذي امر به . ولكن صاحب الجامعة اعقل من صاحب العمامة وأعلم منه بقيمة تلك المقالات . وان انكر من قائلتها ما عرف حكمته في انائها وخاتمها ، وإنه يعلم ان مثل صاحب العمامة مغر كمثل الشيطان اذ قال للإنسان اكفر الخ فهو لا يراه الا بعين النقص ولا يفتقد فيه الا ما يليق به في رقة عقله ودينه . ولا يرضى لنفسه ان يكون مع صاحب العمامة كما كان صاحب الحمارة . على ان الطعن في مثل هذه الحال ، على مثل ذلك المقال ، لا يزيد المظنون فيه الاحترام واجلالاً . ولكنه يسلي الحسود لأن عقله صغير ، وفكره قصير .

( مفكرة مطبعة الموسوعات ) . اخترع الافرنج هذه الدفائر التي يسمونها المفكرة او المذكرة لاصحاب الاشغال الكثيرة من الحكام والتجار والمحامين . ولما رأت مطبعة الموسوعات ان المصريين يشترون هذه الدفائر الافرنجية ويتمبون في كتابة التاريخ في كل صفحة منها بالعربية اصدرت في هذه الايام ( مفكرة ) عربية لسنة ١٩٠٣ وضمت التاريخ الهجري في كل صفحة منها الى التاريخ المسيحي . رجعت في آخرها جداول لتحويل النقود فجاءت خيراً من المفكرات الافرنجية . وجمعت من النسخة ١٢ قرشاً ونصفاً مجيهاً فهي ارخص من المفكرات الافرنجية وتطلب من المطبعة والمتنظر ان تصادف رواجاً عظيماً



يقول الحكمة من بقاء ومن يوت  
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما  
ينكر إلا أولو الألباب

# المعراج

١٣١٥

قيل هادي الدين يستحقون القول  
قيل هو نأ حسنه اولئك الذين هداهم  
الله وأولئك هم أولو الألباب

( قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر في يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٢٠ — ١٧ نوفمبر ( تشرين ٢ ) سنة ١٩٠٢ )

## المستقبل للمسلم

( بقلم صاحب السماحة السيد الشيخ محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الصوفية (١) )

— { الفصل الأول في رأس مال الاسلام } —

( المكان والسكان )

ان مستقبل الأمم يتوقف في الحقيقة على أمرين طبيعيين هما كثرة السكان وخصب المكان فاذا استوفت الأمة حظها من هذين الأمرين عظم مستقبلها بقدر ذلك مهما حرمت في الحال من الأسباب الأخرى البكسية كالعلم والأخلاق والقوانين والحكومة وغير ذلك فان هذه جميعها تأتي بها دور الزمان ، وان آخرتها آتية طوارق الحدوث ، ولذلك قال ( مونتسكيو ) و ( تين ) وغيرهما أن مستقبل الصين أكبر من مستقبل أية دولة أخرى ومن شاهد رقي اليابان وما كانت عليه روسيا منذ ثلاثة قرون وما هي عليه الآن من ضخامة السلطان لا يشك في صواب ذلك القول المتقدم ، وقد أشار ابن

(١) من قراء المنار في الاقطار النائية من لا يعرف البكري هو من بيوتنا الحبيب والمجد وقد انقرد في صنفه بتاتي العلوم في مدارس أوروبا المانية وينيل مرتبة قاضي محكم من الدولة العلية ، وهو في العربية خزنة الأدب ، ولسان العرب يشهد له بذلك شعره فحل ، ونثره جزل .



خلدون الى شيء من هتاف حيث قال ان اتساع نطاق الدولة يكون بقدر اتساع عصيتها في الاصل : وقال الشاعر : وانما العزة كآثر . فاذا تقرر ذلك علمنا ان مستقبل الاسلام كبير وشأنه خطير . فان لحظه من هذين الأمرين وافر ، ونقصه متكاثر ، واليك البيان اذا تأمل المسلم في مظهر الجغرافية يجد ثلاثة عوالم قد تقسمت الارض وهي العالم الاسلامي في الوسط والعالم المسيحي عن يساره والعالم الوثني عن يمينه على هيئة قلب وجناحين . ويرى ان قسط العالم الاسلامي من هذا الاقسام عظيم ، ونصيبه جسيم ، فهو يمتد في فسحة من الارض بدوها ببحر الأطلنطيق ، ونهايتها برسيمف الباسيفيك آخذة من حواشي سيبيريا شمالا الى جزر المحيط جنوباً . أقاليم متصلة ، وأقطار غير منفصلة ، وأمنار متاخمة ، وأخفاف متلاحمة ، وبين ذلك قصور وخيام ، ودور وآطام ، ووبر ومدر ، وبدو وحضر ، بقاع هي أطيب المعمور رقة ، وأمرعه نجمة ، فيها النيل والفرات ، وسبحون وحيحون ، فيها أوداء مصر ، وسهول الهند وميطان الصين وسواد العراق ، وبطاح الأناطول وجبالها ، وريف فارس ورمالها ، فيها مرقد النبي العربي الهاشمي ، ووطن المسيح بن مريم ، ومبعث موسى الكليم ، ومهبط الوحي على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الى غير ذلك من هواء طاق ، وماء عذب ، وجو بهج ، حسنة وراء حسنة ، تقصر دونها الأمنار ، وتموت حسرة عليها الأقطار ، ذهب بعض مجوس الهند الى لوندرة فقال له بعض أهلها كيف أنتم تعبدون الشمس ؟ فقال المجوسي : وأنتم لو رأيتموها لبعدها



ثم ان هذه السعة في الارض والبسطة في الخصب التي رزقها العالم الاسلامي أصل كبير في نمو أفراد وحسن حالهم اذ ارتباط المكان بالسكان في السعادة والشقاء والقلّة والكثرة امر مقرر في علم الاجتماع الانساني . قال (لوبون) : « ما دامت الارض القابلة للزراعة كافية للسكان يتأتى هؤلاء ان يزيدوا عدداً فيكثرون وينمون بالفعل فان تعادلت موارد الأرض وعدد السكان بقي هؤلاء على حالهم لا يزيدون ولا ينقصون فان زاد عددهم عن موارد الأرض وقعوا في افرة الشدائد والضيق وتواترت عليهم المصائب والأزمات الى ان تأتي حروب جارفة او وبئة قاشرة فتعدل الكفتين » . هذه حقائق بسيطة ومع ذلك قد تغيب من افهام كبار الخواص واشهر الكتّاب فلا يفتأون يطلبون كل يوم زيادة السكان بأية وسيلة كانت بلا مراعاة لما



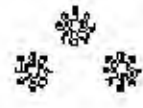
تقدم وقد وقع في مثل هذا الخطأ ( جول سيون ) وزير معارف فرنسا السابق على سعة علمه حيث قال في خطاب ألقاه على مجمع المعارف سنة ١٨٦٨ : « ان من يمكنه ان يزيد سكان فرنسا مليوناً من النفوس يفيدوها أكثر ممن يزيد حدودها بعض فراسخ من الأرض بواسطة الحرب والدم بألف ضعف وهذا كلام خلو من الصواب لأن من يزيد مساحة فرنسا يكثر مواردها فيجمل الزيادة في السكان محتمة : ومن شك في هذه الحقيقة احلناه على قول استاذ لا يشق له غبار في هذا المضمار وهو ( بيليج ) الشهير قال : « قد اقتضت الحال زيادة السكان في بلدان أوروبا زيادة كثيرة غير طبيعية حتى اختلت النسبة بين عديدهم وبين غلات تلك البلاد فلا يمضي غير حقبة من الزمن حتى تعجز الأرض عما يفي بحاجاتهم مهما انتهكوا قواها بمختلف الأسمدة وعندها لا يحتاج الى نظريات علمية او قياسات فنية لإيضاح الناموس الطبيعي الذي يأمر الانسان بان لا يفعل عن المحافظة على ابواب رزقه ويعاقبه العقاب الأليم عند مخالفة ذلك . ولا يكون ثمة للام الأوروبية من حيلة ولا مخلص الا ان تتفانى لتبقى فتري اذن امثال مجاعات سنة ١٣١٦ و سنة ١٣١٧ وحروب بعد ذلك تلها حتى يحمل الأمهات جيف القتلى لا طعام اطفالهم كما وقع ذلك في ( حروب الثلاثين سنة ) المروفة فكل ذي دربة وروية دقق النظر في امم ممالك أوروبا ومستقبلها يجدها غير قائمة على اسس متينة بل على أسنة الإبر » اهـ

\*\*\*

هذا : وربما ذهب بعض المعارفين الى أن طبيعة أرض الشرق مفسدة للهمم ، مقعدة للأعم ، فلا تكون اذن هذه الأرضون من النعم بل من النقم ، وهذا رأي تفنده الأقيسة الصحيحة ، والآراء النافذة ، قال ( فولتر ) في دحضه مانصه : « نسال من يذهب الى أن طبيعة الأجواء يتوقف عليها حالة الأمة وأخلاقها لما قال الامبراطور ( جوليان ) ان الذي اعجبه من أهل باريس هو متان أخلاقهم وأجدهم بالجد والمصلاية والسكون في طباعهم ، وهما في أجواء باريس كما هي وأهلها فيها الآن أخف احلاماً وطباعاً من فراشة . أطفال في زي رجال ، وصغار وان كانوا كباراً . وهؤلاء المصريون الذين يصفهم لنا المؤرخون بقوة العزائم ومتانة الطباع وعظم الفتوح أصبحوا الآن أمة رخوة ضعيفة العزائم ، طعماً لكل آكل ، ولم لا يوجد الآن في أثينا مثل ( أناقريون ) و ( اوستطاليس ) و ( زوقيس ) . ولم استعاضت روحاً عن ( شيشيرون ) وعن ( قاطون ) وعن



( تَلَيْقُف ) قَوْماً بِهَذَا لِيُحْسِنُونَ أَنْ يَقُولُوا وَلَا أَنْ يَعْمَلُوا . أعظم أمانهم ينحصر في أن يكون الزيت ونخيس الثمن لديهم . وقد كان من عادة ( شيشيرون ) الخطيب الروماني أن يهزأ بالإنكليز ويتنادب عليهم حتى أنه كتب مرة في رسالة ل أخيه ( أفانتوس ) الذي كان ضابطاً مع قبصر في غزوة التي غزاها بإنكليزاً يسأله مستهزأ أن كان وجد ثمة فلاسفة كباراً أو رياضيين عظاماً ؟ فهلا علم ( شيشيرون ) أنه نشأ بعده فيها أعظم فلاسفة العالم ورياضيه تحت تلك السماء المظلمة بعينها . هذه كلها أمثلة تدل أن ليس للأقليم أثر يذكر في ارتفاع الأمم وانخفاضها بل العوامل الأخرى مثل الحكومة أو الدين تفعل في ذلك أكثر منها بمائة ضعف .



كأن الله سبحانه وسعدانه أراد أن لا تنزع هذه البلاد الجميلة من أيدي المسلمين إذا أعجزهم الضعف يوماً ما عن صونها حتى يؤوبوا إلى القدرة على حفظها فجعلها شبه وقف عليهم وذلك أن جعل وسطها الطبيعي غير صالح لأن تعيش فيه الأمم المتغلبة الآن وهي الأمم الأوربية وليان هذا نقول :

قد تقرر في الطبيعيات أن الحيوان أو النبات أو الإنسان إذا نشأ في وسط طبيعي لا يعيش في وسط آخر غير مماثل له وأقيم على ذلك هناك البرهان . وعندهم أنه كما لا يمكن للسماك أن يعيش في اليباء ، ولا للثاقه أن تدوم في الماء ، ولا للذئبة أن تنبت بين صخور الجليد ، لا يمكن للإنكليزي أن يستوطن الهند ، ولا لابن اللمان ، أن ينبت في السودان ، قال ( لوبيون ) في كتاب الفسيولوجي : « ذكر بعض المؤافين أن الإنسان يمتاز عن الحيوان بكونه يعيش في كل جو وعلى كل أرض . وهذا خطأ عظيم . ووههم كبير ، فقد أثبت التاريخ مراراً أن أهل الشمال لا يمكنهم العيش في أرض الجنوب . انظر إلى البربر من أهل الشمال وبلاد الجليد الذين فتحوا أرض الرومان وسكنوا أقاليهم الحارة كيف لم يمض قرن واحد حتى أفناهم الموت وأتى عليهم الفناء فلم يبق من الغوطيين واحد في إيطاليا . وهذه مصر حكمتها عشرون أمة فأكلتهم وبقي الفلاح المصري كما هو على أرضه . وكذلك عجز الرومان عن أن يستوطنوا أفريقية مع أنهم استوطنوا أسبانيا وأرض الجول حتى جعلوها بلاداً لاتينية بحتة . ولا ريب أننا سنلاقي في الجزائر ما لا يقل فيها الرومان في سابق الزمان فهلك هذه الأرض ذراري فاتحها ما لم يفهموا كما يفهم الإنكليز في الهند من إرسال أبنائهم ليتربوا في أوربا . وبالجملة إن الإنسان



إذا اختلف وسطه الطبيعي هلك وخصوصاً إذا جاء من الشمال إلى الجنوب هـ اهـ

\* \*

\* \*

جميع ما تقدم متعلق بالمكان أي مواطن الإسلام وببلاده . أما السكان وهم الأمم المسلمة فحدث ولله الحمد عن حمصى البطحاء ، ورمال الدهناء ، أو نجوم السماء ، كثرة آحاد ، ووفرة أعداد ، فمن هؤلاء في أفريقية ما ترى :

|                                                               |           |
|---------------------------------------------------------------|-----------|
| ..... في مرآكس                                                | ٩٠٠٠٠٠٠   |
| ..... الجزائر                                                 | ٤٥٠٠٠٠٠   |
| ..... تونس                                                    | ١٥٠٠٠٠٠   |
| ..... طرابلس                                                  | ١٤٠٠٠٠٠   |
| ..... مصر                                                     | ١٠٠٠٠٠٠   |
| ..... السودان المصري                                          | ٦٠٠٠٠٠٠   |
| ..... الصحراء الكبرى                                          | ٤٠٠٠٠٠٠   |
| ..... السودان الذى تحت حماية فرنسا                            | ١٣٠٠٠٠٠   |
| ..... السودان الذى تحت حماية انكلترا وفي النيجر               | ٩٠٠٠٠٠٠   |
| ..... السودان الاوسط كواداي وباجرمي ونحوهما                   | ٥٠٠٠٠٠٠   |
| ..... الكونغو                                                 | ١٥٠٠٠٠٠   |
| ..... توبوقامرون                                              | ٤٠٠٠٠٠٠   |
| ..... الأوغنده                                                | ٣٠٠٠٠٠٠   |
| ..... الأريطرا والحبشه                                        | ٣٥٠٠٠٠٠   |
| ..... موزمبيق ومدغشقر والكاب والزنجبار وأوبوك وأفريقيا الوسطى | ٣٠٠٠٠٠٠   |
| ..... مجموع ما في أفريقيا                                     | ١٠٥٤٠٠٠٠٠ |
| ..... وفي أوروبا ما ترى                                       |           |
| ..... في تركيا أوروبا                                         | ٢٥٠٠٠٠٠   |
| ..... البوسنة والهرسك                                         | ٧٠٠٠٠٠٠   |
| ..... البلقان والرومللي الشرقي                                | ١٠٠٠٠٠٠   |
| ..... رومانيا                                                 | ٦٠٠٠٠٠٠   |
| ..... المجموع                                                 | ٤٢٦٠٠٠٠٠  |



|                             |             |
|-----------------------------|-------------|
| في الصرب                    | ٢٠ ٠٠٠      |
| » الجبل الأسود              | ١٠ ٠٠٠      |
| » اليونان                   | ٣٠ ٠٠٠      |
| » روسيا أوروبا والقفقاس     | ٢ ٥٠٠ ٠٠٠   |
| مجموع ما في أوروبا          | ٦ ٨٢٠ ٠٠٠   |
| وفي آسيا ما ترى             |             |
| في الأناطول                 | ٧ ٠٠٠ ٠٠٠   |
| » أرمينية                   | ٤ ٠٠٠ ٠٠٠   |
| » العراق                    | ٢ ٥٠٠ ٠٠٠   |
| » الشام                     | ٢ ٠٠٠ ٠٠٠   |
| » جزيرة العرب               | ١٢ ٠٠٠ ٠٠٠  |
| » المعجم                    | ١٢ ٠٠٠ ٠٠٠  |
| » روسية آسيا                | ١٠ ٠٠٠ ٠٠٠  |
| » أفغانستان                 | ٩ ٠٠٠ ٠٠٠   |
| » بلوچستان                  | ٥ ٠٠٠ ٠٠٠   |
| » الهند                     | ٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠  |
| » سيام                      | ١ ٠٠٠ ٠٠٠   |
| » الهند الصيني              | ٢ ٠٠٠ ٠٠٠   |
| » الصين                     | ٤٥ ٠٠٠ ٠٠٠  |
| مجموع ما في آسيا            | ١٩٧ ٠٠٠ ٠٠٠ |
| وفي الأقيانوس ما ترى        |             |
| في فيلپين                   | ٥ ٠٠٠ ٠٠٠   |
| » سوماطرا                   | ٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠  |
| » الجاوا                    | ٣٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠ |
| » بورنيو                    | ٥ ٠٠٠ ٠٠٠   |
| » ماليزيا وغيرها من الجزائر | ٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠  |
| مجموع ما في الأقيانوس       | ٥١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ |



فهذه ثلاثمائة وستون مليوناً من النفوس خلف لفلان السلف الذين يقول الله سبحانه فيهم « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشِدُّوا عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءَ يَبْتَغِمْ قَرِيبَهُمْ رُسُلَهُمْ سُبُحًا يُتَفَنُّونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيبَاهُمْ فِي وَجْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَظْلَمَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَصِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا »

\*\*\*

وهذه الأمة الكريمة ان حرمت الآن كثيراً من أسباب العلم والعمل فإنه لم يزل في أمر جتها آثار شريفة وصفات قويمه من أثر دينها وارث سلفها تمتاز به على كثير من الأمم. قال القسيس (اسحاق طيلر) « ان الاسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار قالكرم والعفاف والتجدة من آثاره، والشجاعة والإقدام من أنصاره، ومن الأسف ان السكر والفحش والقمار تنشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين » وقال (كونتسن) : « يمتاز المسلمون في الصين على مواطنهم من الوثنيين برفعة في السجايا وشرف في الاخلاق قد طبغته في نفوسهم ونفوس آبائهم وصاها القرآن بخلاف الوثنيين فانهم في سقوط تام من حيث ذلك »

ومن أهم السمات التي يمتاز بها المسلم غيرة النفس فهو سواء في حال يؤسه ونعيمه لا يري الغيرة الا لله ولرسوله وله. وهذه الصفة التي غرسها الدين في نفوسهم اذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع لها الى التسابق الى غايات المدنية ورقبات الكمال. وان أردت فاللع بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا يجد من فتور في حركاتهم وقصور في همهم وخصوصاً اذا بنى عليهم الجهل فظفوا أنهم أدنى الملل كطائفة الدهير وما ذلك.

\*\*\*

ثم ان هذه الأمم الاسلامية ولان اختلفت بهم البلدان وتباينت البقاع والميطان، وتنوعت الاجناس واختلفت الألسنة فقد وحدتهم وحدة الاسلام وجمعتهم جامعة الدين وهي جامعة كبرى تتلاشى أمامها الجامعات الصغرى وتلغى الفروق فيكون جميع المسلمين بها اخوة. قال تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا الى عصبية » فوطن المسلمين هو مجموع الأمة الاسلامية في الدين



وهو الذي قيل فيه : حب الوطن من الإيمان . (١) وليس المراد به حب التربة والمسكن والأهل والعشيرة ولو كان كذلك لما كانت الهجرة في الإسلام . ولما نطق الكتاب بالحث عليها والأمر بها . قال الله تعالى : « وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » فمن قال من المسلمين في أية بقعة من الأرض (وطني) فقد قال (ديني) وقال تعالى : « إِنَّ هَذِهِ أُمَمُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » وقال سبحانه : « وَاتَّعَصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » ولهذا ترى المسلمين مهما تباعدوا أو تباغضوا لا تزال تعمل هاته إلى الجامعة عملها فيهم يسرون اسرور بعضهم ويخزنون كذلك وان افرقت بهم البلدان ما بين المشرق والمغرب . وقد عظمت الصلابة في هذه الجامعة الدينية والرابطة الإسلامية حتى سماها غيرهم الآن (تعصبا) (٢)

على ان التعريف بالوطن على هذا النحو هو غاية ما رقى اليه الامم ، وتنبعث نحو الهمم ، قال آدمون ديمولان : والمهاجر من الانكليز السكسونيين يشعر دائما بأنه انما يرحل عن بلده مستصحباً لوطنه اذ هو يرى الوطن حيث يعيش المرء حر ثم قال : « والتصر كل النصر للام التي وطدت اركان نظامها على دعائم هذه الوطنية والتعريف بالجامعة ايضا على مثال ما تقدم سير مع سنة العمران وذلك ان اوا اجتماع للانسان كان على شكل جميات صغيرة جامعتها التسب كبنى دار وبني أسب وبني شيان الخ ثم ارتقى الى جميات أكبر من الأولى جامعتها الجنسية وهي التي عليها الام الآن ويقول العلماء انه سيرتقى الى جنسيات كبرى واحدة جامعتها الانسانية

- (١) المار — اشهر ان هذه الكلمة حديث وقد نهينا غير مرة على انه موضوع
- (٢) ان في مصر من أحداث السياسة من يكتب ويخطب لينسخ هذه الآيات الكريمة ويفرق هذه الجامعة بكلمات سقيمة مثل « الوطنية الحقة » و« الدخلاء » فهذه الوطنية الباطلة لا ترضى الاسلام والمسلمين ولا غيرهم من وطنيين ومهاجرين لأنها هضمت كل حق . أما الجامعة الاسلامية فانها تعطي كل ذي حق حقه . لهم مالنا وعليهم ما علينا » واثن وجد شيء من التعصب في بلاد المسلمين فانما وجد بتراخي مصري هذه الجامعة العادلة كما ينادى مرارا



وترى الأمم تقرب من تلك الغاية النهائية بتأليف الأجناس المتقاربة الى جنس  
أعم كشي الخريمان والسكسون والبلاتين في ذلك الآن . فإذا تبين هذا  
كانت الجامعة الاسلامية التي أسست بل لاقت جامعات الأجناس ونقائها الى جامعة  
عظمى يكون فيها كل مسلم الروماني من ٣٦٠ مليوناً خطوته كبرى في السير نحو تلك  
الجامعة التي ستضم أفراد الانسان والتي يسمى ورأيها الاسلام من ثلاثة عشر قرناً (١)  
فشان الجامعة الاسلامية أشبه بحال الجامعة الامريكية التي تضم الأجناس المختلفة فيها  
شرقاً وغرباً لتأيد مبدأ (عوروي)

ولا يقول بعض المسيحيين ان التثبث بالجامعة الاسلامية يفقد  
الاساسين الارتباط بهم فانهم لو صدقوا في هذا القول لفقد المسلمون بذلك عشرة  
ملايين نفس من كل المسيحيين الذين في بلاد الاسلام وكسبوا ٣٦٠ مليوناً من  
أخوانهم . على ان الامريكيين كذلك فان رابطة الذمة تقوم مع هؤلاء المسيحيين مقام الدين  
فلا يحرم الفريقان من التعاون والتعاقد للعمل وقد أمر القرآن بمزيد الحسنى معهم  
قال تعالى : « لَا يَنْهَى كُمْ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ أَمْ يُفَارِقُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يَخْرُجْوْكُمْ  
مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِرُوا عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »  
هذا وان الاسلام أخذ في الزيادة والنمو في اكفاف الارض بكيفية تستوقف  
البصر ، ونحير الفكر ، بل هو كما حزبه الاعداء ، وضايقه الأواء ، أربى في الجماء ،  
كالشجر اذا شرب من ماء زاد ، او الأتي اذا شدد طريقه غرق البلاد ، وقد جزم  
المعارفون وفي أولهم عاماء الأفرنج انه لا يمضي حرس من الدهر حتى يربو على جارية المسيحي  
والوثني وعدد الأول الآن ( ٤٢٠ ) مليوناً والثاني ( ٥٠٠ ) مليون . وذلك لأن نسبة  
الزيادة فيه والزيادة فيهما مختلفة جداً حتى تكاد تكون كالفرق ما بين المائتين والاربع  
الهملاج . كان سكان مصر سنة ١٨٨١ ستة ملايين فاصبحوا سنة ١٨٩١ نحو عشرة  
ملايين وكان مسلموا الهند سنة ١٨٩٢ ( ٥٧ ) مليوناً فصاروا سنة ١٩٠١ ( ٩٠ ) مليوناً  
وعلى هذا فقس مسلمي الصين والسودان وغيرهم . وهذا شيء لا يوجد مثله في الأمم  
الأخرى . قال ديمولان : يتضاعف عدد سكان فرنسا في ٣٣ عاماً وسكان ألمانيا

(١) المنار : راجع القراء مقالة (الجنسية والدين الاسلامي) في المجلد الثاني من المنار ( ص  
٣٢١ ) ومنها يعلم أن الاسلام هو الذي جاء لجمع البشر كلهم فهم يسمون اليه ولا يعلمون



في ٩٨ عاماً وانكلترا في ٩٣ عاماً وأستراليا في ٦٢ عاماً  
والأسباب في انتشار الإسلام وازدياده في كل صقع وقطر من أحشاء إفريقيا  
الى ميطان الصين الى جزر المحيط كثيرة نذكر بعضها فنقول

(السبب الاول) - سلامة العقيدة الإسلامية وسهولتها . فأت مرة للسيد جمال  
الدين الأفغاني ما هو دين المستقبل؟ فقال لي هذه الآية من كتاب الله : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِّينَ مِنْ آيِنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سَوَاءٌ عَمَلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ  
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » وقال لي كاستري في مؤلفه عن  
الإسلام : « هكذا جذب الإسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من اعلاء شأن النفس  
بتصور الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها خمس صلوات في كل  
يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث اباح للناس دائما مما يشتهون . واعظم  
عامل في انتشار الإسلام خصوصاً عند الأمم الزنجية ( السود ) بساطة مذهبه وسداجة  
تعامله وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم الطباع . دين لا اسرار فيه  
وكلمته ( اي كلمة الشهادة ) يمتاض عنها عند الاحتضار بآشارة تدل عليها كرفع السبابة  
الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكلمها وجد الرجل الجاهلي امامه دينين  
متحدتين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح - وهما الإسلام ودين عيسى - تراه يختار  
الدين الذي لا يزيد شيئاً على دينك الحقيقية ويمتنق الإسلام بلا محالة وهي قوة يفضل  
بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند أهل القرن السابع عشر لذلك  
نقرأ في كتاب القس ( ماراشي ) الذي سماه ( الرد على القرآن ) : « ولا يفين عن ذهن  
القارئ ان تلك الطائفة . . . لا تزال حافظة لكل مافي الدين المسيحي من الامور  
الظاهرة الواضوح القريبة التصديق مضافاً اليه ما يوافق نظام الكون وقانون النشأة  
النسوية فقد أبدع هذه احاجي الانجيل التي تخالها في أول الامر غير صحيحة لا تدركها  
المقول كما انه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشد بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك  
الكتاب وبهذه الواسطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحسن كل واحد منا بانهما  
الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو  
السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في آيائنا هذه يمتاضون عنه بالإسلام  
دون الديانة المسيحية » اهـ

وقال (اسحق طيلر) : « ايس أمر المسيحية واقفاً عنسد المعجز عن إلهه »



مواطناً جديدة لأقدامها فقط وأكن المقام الذي هي فيه قد تعجز عن حفظه أيضاً.  
أن دين الاسلام قد انتشر آنفاً من مراکش الى جاوا ومن زنجبار الى الصين وهو  
الآن ينتشر في افريقية بسرعة لا يأتى عليها الوصف واننا نرى الاسلام أوفق ما يكون  
لهذيب الأمم المتوحشة وترقيتها. أما الديانة المسيحية فلا منالها عقولهم وبذا قد نفع  
الاسلام المدنية أكثر مما نفعها المسيحية. اذا دخلت الديانة المحمدية في قبيلة زنجية تحت  
عبادة الأوثان وأبطلت أكل لحوم البشر ووراد الأطفال وأنشأت فيهم النظافة وعزة  
النفس والوقار وكرم السجيا فيصير قرى الضيف بمنزلة الفريضة الشرعية ويندر السكر  
والقمار والمراقص الخزية وتعد العفة في الأنث من خلائق التقوى ويفشو التناصح  
بالاحسان والأخوة بالوجدان (\*)

(السبب الثاني لانتشار الاسلام) - موافقة أحكامه للفطرة الانسانية وابتنائها على  
الحكمة العقلية. قال (اوشاتليه) في كتابه المسمى (الاسلام في القرن التاسع عشر):  
«إن نمو الاسلام في الهند أمر لا ينكر وسببه في الغالب حكم المساواة بين  
الناس الذي سنته الشريعة الاسلامية وذلك ان أهل الهند بحسب مذاهبهم القديمة  
ينقسمون الى طوائف لا ينبغي لطائفة منها أن ترقى الى الطائفة التي فوقها فمن ولد  
منهم في طائفة دنيا لا يجد له مخلصاً للارتقاء الى العلاء والخلوص من قيد الطائفة الا  
اعتناق الاسلام» وقال (لودوفيق دو فنتاسون) في كتابه المسمى (النصارى والاسلام):  
«لا يصل أهل الهند الى أن تكون لهم حكومة وطنية مستقلة الا اذا ذهب من بينهم  
التخالف في المذاهب والطوائف والاجناس ولا يكون ذلك الا اذا ساد فيهم الاسلام  
الذي يبيد جميع هذه الفروق ويقم اركان المساواة والإخاء والحرية التي هي من قواعد  
الديانة الاسلامية» (١)

(السبب الثالث) - وهو أهم الأسباب حذق دعاة الاسلام وهم الصوفية. الصوفية  
جمعية في الأمة الاسلامية مرتبة النظام، منظمة الهندام، يبالغ عددها مائة مليون من النفوس  
فهي أكبر جمعية في الدنيا لا يضارعها البوكسر في الصين ولا الطوائف الدينية في

(\*) تراجع مقالات اسحق طيلر وخطبه في المنار (١)، إن من أحداث السياسة  
في مصر من يحاول إبطال هذه المزايا الاسلامية بقمه وقلمه لغواً بالوطنية ويزعم مع  
ذلك انه يخدم مصر والاسلام !!!



أوروبا وغيرها وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة الإسلامية مقاماً محيياً (١) . قال بعضهم : « ان العالم الإسلامي وقف عن التقدم والغاب أمام الدول الأوروبية من مدة مديدة فاستطاعت هذه الدول على الممالك الإسلامية وغلبت الكثير منها بالقوة »

(١) للصوفية ( علم وعمل ) أما العلم فهو العقائد والقواعد والاحكام المعروفة في كتب التصوف كالفتوحات ، والفصوص ونحوها وأما العمل فهو ارشاد المسامعين ودعوة غير المسلمين الى الاسلام .

وانا نرى في هذه الايام من بعض متفوري الكتاب انكاراً وتثريباً على عقائد الصوفية وطلباً لتلاشي هذه الجمعية من بين المسلمين بسبب ذلك قال بعضهم : فان هذا المذهب دخل الى الاسلام من القرن الثاني مع ما دخله من المذاهب اذ ذاك وانما نقل اليه من الفرس بدليل ان مشائخه الاولين كلهم اعاجم كالجنيد النهاوندي وأبو يزيد البسطامي وابراهيم ابن ادهم البلخي وبشر الحافي المروزي وسهل التستري الخ وبدليل انهم جعلوا سند الطريق الى علي رضي الله عنه دون غيره ولا يفعل ذلك الا الفرس الذين هم شيعة . وبدليل انه كان مدوناً في كتب الفرس واشعارها قبل الاسلام وقد نقله الفرس عن اليونان اذ كان عندهم مذهباً للحكماء الاشراقيين . وأخذوا اليونان من الهنود الاقدمين اما بواسطة فتوح الاسكندر أو قبلها . قال ابو الريحان البيروني في كتاب الهند عند ذكر اعتقاد الهنود في الموجودات العقلية والحسية مانصه : ( ان قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم بالسبعة المسمين أساطين الحكمة وتهذب الفلاسفة عندهم كانوا على مثل مقالة الهند وكان فيهم من يرى ان الاشياء كلها شيء واحد ( وحدة الوجود ) ثم من قائل في ذلك بالكهنة ومن قائل بالقوة وان الانسان مثلاً لم ينفصل عن الحجر والجماد الا بالقرب من العلة الاولى بالرتبة والا فهو هو ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الاولى فقط لا استغنائها بذاتها فيه و حاجة غيرها اليها وان ماهو مفقور في الوجود الى غيره فوجوده كالتخيال غير حق والحق هو الواحد الأول فقط . وكانت هذه الآراء آراء ( الصوفية ) أي الحكماء فان سوف باليونانية معناها الحكمة وبها سمي الفيلسوف أي محب الحكمة ولما ذهب في الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سموهم باسمهم ولم يعرف باللقب بعضهم فذهبهم بالتوكل الى الصفة وأنهم أصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصيره بعضهم من الصوف وعدل ابو الفتح البستي عن ذلك احسن عدول في قوله :



العقلية والمادية ولكن الذي أعجزها وضاعت معه قوتها وحياتها هم الصوفية . فالصوفية هم في الحقيقة القوة الدالة على الحيوية والنماء في العالم الاسلامي فتراهم في افريقية

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدما وظنوه مشتقا من الصوف  
ولست أحل هذا الاسم غير فتي صافي فصوفي حتى لقب الصوفي  
وكذلك ذهبوا الى أن الموجود شيء واحد وان العلة الأولى تترأى فيه بصور  
مختلفة وتحل قوتها في أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغير مع الاتحاد ( الحلول  
والإتحاد ) وكان فيهم من يقول ان المنصرف بكنيته الى العلة الأولى متشبهاً بها على  
غاية امكانه يتحد بها عند ترك الوسائط وخاف الملائق والمواثق (الرياضة والتجرد) .  
وكانوا يرون في الأنفس والأرواح أنها قائمة بذواتها قبل التجسد بالابدان  
معدودة مجتدة تتعارف وتتأكر وأنها تكتسب في الأجساد بالخيرورة ما يحصل لها به  
بعد مفارقة الابدان الاقترار على تصارييف العالم ولذلك سموها آلهة وبنوا الهياكل  
باسمائهم وقرَّبوا القرايين لها كما يقول جالينوس في كتاب الحث على تعلم الصناعات  
( أصحاب الكرامات ) اه كلام البيروني

قالوا والوصول الى المعرفة عند الصوفية ليس من طريق النظر والتجربة بل  
من طريق الرياضة وكل ما يفعله الصوفية الآن من الاهتزاز الشديد في الذكر ونحوه  
هو لتخليص النفس من الحس حتى تجلي لها المعرفة بقدر ذلك ولا شك ان هذه  
جميعها عقائد وقواعد يجب إلغاؤها لأنها لم يجيء بها كتاب ولا سنة . اه

أقول هذا تهور وخطا وبعد عن الصواب اذ كيف يجوز لمسلم أن يطالب ايقاف  
الحركة التي يعترف الافرنج أنفسهم بأنها الحركة الحية الوحيدة الباقية الآن في الاسلام  
والتي فتحت للاسلام الآن قدر ما فتحت سيوف الفاتحين الأولين أما الطريقة لاصلاح  
حال الصوفية ونفي الضر عنها وإبقاء النافع فيها فهي ان نجعل ( العلم ) عندهم هو  
علم الشرع الاسلامي بلا زيادة ولا نقص و ( العمل ) يبقى موضوعه على ما هو عليه  
فيكون عبارة عن ارشاد المسلمين الى الشريعة المطهرة ودعوة غير المسلم الى الاسلام  
وبهذا يكون التصوف عبارة عن ( علم بالشرع وعمل به ) ويقوم مشايخ الصوفية  
اذن بركني التعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين حث عليهما الكتاب  
الكريم قل تعالى ( واتمكم منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون  
عن المنكر ) وقال تعالى ( فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا



وفي الصين والهند وأواسط آسيا بل في جزائر المحيط يدعون إلى الإسلام ويدخلون  
الافواج فيه كل يوم حتى أن الخطوط التي ترسم في افريقية لبيان حدود الإسلام  
وراء خط الاستواء تنقل متقدمة إلى الجنوب في كل عام من أثر فتوحات مشايخ  
الطرق في مجاهل افريقية . وما دخل الفرنسيين قرية في الكونغو إلا وجدوا  
الصوفية قد سبقوهم إليها وزرعوا بغض الناس لهم فيها . ومن اطلع على المؤلفات  
الكثيرة الأوربية التي تؤلف في هذه السنين في أوربا عن أحوال الصوفية وتاريخ  
الطرق وكيفية سير أهلها في الدعوة علم أن مسألة الصوفية هي المسألة الشاغلة  
للباحثين عن حالة الإسلام الماضية والمستقبلية

وقد بلغ من العناية بهم أن والي الجزائر كلف جمعية برئاسة (اوكتاف دويون)  
عن البحث في أحوال الصوفية ففعلت وطبعت أعمالها في مؤلف ضخمة ورسمت  
خريطة عامة يتبين منها ما يوجد من الطرق والطوائف في كل بلد من بلاد الإسلام  
بعلامات مخصوصة حتى تستقصى منها حركاتها وتنقلاتها في الأقاليم اهـ

وقال دي كاستري : « قد فطن المسلمون إلى ما أحرق بهم من الأخطار و أرادوا  
تمكين الجامعة وتوحيد الروابط بينهم وهي عند المسلمين أشد قوة منها لدى غيرهم  
من الأمم التي تدين بدين واحد لأن القرآن شريعة دينية وقانون مدني وسياسي  
ومن ذلك وجدت حركة في النفوس غايتها مقاومة النصرانية بجميع الوسائل الممكنة  
وعلى الخصوص مغالبة التمدن الجديد باسم الإيمان . قال القائد (رين) وتأتي قوة هذه  
الحركة الإسلامية من تعدد الطرق الصوفية التي وجدت من أول هذا القرن وعظم  
شأنها في جميع الأنحاء وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس ولهم رسل ومريدون  
يطوفون البلاد الإسلامية التي لا حدها وغير الإسلامية كبشرين أو مستعطين أو  
قاصدين للحج ويصلون بهذه الكيفية بين الأقطار من مكة إلى جنوبي إلى القسطنطينية  
وبغداد إلى فاس وتبكتو إلى القاهرة إلى الخرطوم إلى زنجبار ثم كلكتا وجاوه  
ومنهم التاجر والمنجم وطالب العلم والشحاذ والمجنون وكلهم يلاقون صدوراً رحبة  
ونزلة كريمة بين المؤمنين اهـ

قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون .) وتكون جمعية الصوفية في الدنيا أشبه  
بمدرسة عظمى فيها المشايخ والخلفاء أساتذة والمريدون من الكافة تلامذة قد وضعوا  
أنفسهم تحت التعلم ومراقبة العمل به مدى العمر اهـ مؤلف الرسالة



وقال (كونتانسون): نرى حركات كثيرة وأعمالاً كبيرة يقوم بها المهديون أو الأمراء في العالم الإسلامي ثم نزول كأن لم تكن . أما العمل الثابت الدائم فيه فهو عمل الصوفية فالفضل لهم في انتشار الإسلام شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً. وقال (شاتليه) بعد أن اطال في وصف انتشار الإسلام في الدنيا وعزاه لمساعي مشايخ الطريق: «والخلاصة أن الإسلام مدين بكل فتوحاته السامية وانتشاره في الأفطار لجماعة الصوفية . فمشايخ الطريق هم في الحقيقة الذين يدبرون حركة الإسلام الحية . ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوربية »

(السبب الرابع) : تعدد الزوجات وهو الأمر الذي به يتفق للمسلم الواحد أن ينسل خمسمائة نسمة وفي الحديث «تناكحوا تكاثروا فاني مباد بكم الأمم يوم القيامة» (١) وقال تعالى في حكاية دعاء إبراهيم وإسماعيل : ( رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ )

قال دي كاستري أيضاً: «ومن الوسائل الناجحة في المسلمين لانتشار الإسلام الزواج فإن سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الأسباب لانتشار الدين الإسلامي وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك في بعض كتبه حيث يقول ( من الصعب ان يصم المرء أذنه اذا تقدمت اليه النساء والأطفال ومد كل يديه اليه وطلب منه ان يعتقد بمن نعتقد ) على ان الزواج هو السبب في وجود انصار الاسلام الاولين »

(السبب الخامس) — بغض الأمم الوثنية للمسيحيين وميلهم الى المسلمين بالفطرة قال (كونتانسون) : ان مما اعلى كعب الاسلامية على النصرانية في الصين عناية ملوك الصين بالمسلمين من قديم فهم يمنحونهم على الدوام من المراتب والألقاب والمنح ما يمتدونه النصراني . وقال بعض الكتاب : «قدملاً الأوربيون بلاد الصين بجماهير المرسلين من كل ملة ونحلة وسهلوا لهم سبل التملك ووعدهم بالمساعدة فأدخل هؤلاء المرسلون بعضاً من أهل الصين في دينهم بعد ما وعدوهم بالحماية الأجنبية . من كل ساطة للقانون فجرأهم ذلك على ارتكاب ما حرمه القوانين والاعتداء على أهل البلاد فنجم عن هذا معظم الأسباب التي أوجبت كره أهل الصين للمسيحيين كرها يشبه التعصب

(١) المنار : رواء عبد الرازق في مصنفه من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلًا بسنده ضعيف . ولكن ورد بمعناه في مكاررة النبي الأئمة والأنبياء بأئمة ما يقويه



وبالجملة إن الأوروبيين القائلين بالمساواة يعاملون اللون الأبيض من بني الإنسان معاملة الأخ لأخيه واللون الأصفر معاملة الرجل لخدمته واللون الاسمر معاملة السيد لخدمته ويطلقون الرصاص على ذي اللون الأسود كما يطلقونها على الوحش الضاري فالإنسان كلما مال لونه الى السواد كان نصيبه من هؤلاء الخذلان وفاحش الامتهان . ولهذا كان كره الأمم الشرقية لهم متكاملاً وحقدهم عليهم عظيماً .

وقال ( فيليكس مارتان ) في كتابه عن اليابان مانصد : « وقد استأصل أهل اليابان جميع النصارى فلم يبقوا مبشراً الا شردود ولا قسيساً الا قتلوه وكان قد تنصر من أهل اليابان ٣٧٢ ألف نفس فاعدموهم قاطبة » . وقال أيضاً : « ان الصبغة التي تغطي كل مشكلة أو ثورة في اليابان الآن اتجملها مقبولة من الناس هي الحركة ضد الافرنج » .

وقال أيضاً : « كل من زار اليابان من الأوروبيين يعلمون بان الحالة اليوم كانت في الازمنة السابقة وان الافرنج في اليابان كأنهم في دار حرب أو بلد عدو وأنه لو كشف الغطاء عن الياباني الحالي وزخرفته لوجد انه ذلك ( الساموري ) القديم الذي يغلي دمه بعداوة الافرنج عداوة وراثية فيهم لا فرق فيها بين الكبير والصغير والامير والحقير » . وقال هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقاً في مقابته عن الاسلام : « وقد انبعت شعبة منه في بلاد الصين فانتشرت فيها انتشاراً هائلاً حتى ذهب البعض الى القول بان العشرين مايو تأمن المسلمين الموجودين في الصين لا يلبثون أن يصيروا مائة مليون (١) فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء ( لسا كياموتي ) وايس هذا الأمر الغريب فانه لا يوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشراً في الآفاق . فهو الدين الوحيد الذي امكن اعتناق الناس له زمراً وأفواجاً وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل الى الدين به كل ميل الى اعتناق دين سواه . ففي البقاع الافريقية ترى المرابطين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلل البيضاء يحملون الى الوثنيين من العبيد العارية أجسادهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا كما ان أمثالهم في القارة الآسيوية ينشرون بين الشعوب الصفراء الألوان قواعد الدين الاسلامي ثم هو — أي هذا الدين — قائم الدعائم ثابت الاركان في اوربا عينها أعني في الاستانة حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذي يحكم على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية عن بعضها شطرين »

(١) المنار : جاء القاهرة في هذه الأيام تاجر بلوحي مسلم ذهب الى الصين مراراً فأكد القول بان مسلمي الصين يبلغون ٨٠ مليوناً وان علماءهم يبرزون بقول الأوروبيين أنهم ٤٠ مليوناً



وقال آخر : ان الاسلام في الصين أربعين مليوناً من النفوس وان للمسلمين عند أهل الصين منزلة عالية قال موسيو (وازيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي : ان مصيره القيام مقام مذهب (ساكياو ني) (١) وان لمسلمي المملكة السماوية اعتقاداً جازماً بأن الاسلام لا بد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة وهي مسألة من أهم المسائل اذ الصين أهلة بثالث العالم او تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لاوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد باجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الأكبر الهادي ويخشي على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم ان أمة الصين أمة عامة وان هددت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عماها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذو البأس القوي لحشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها (٢) وقال موسيو (مونطيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام طاغر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية «

وقال شاتليه (ان من تأمل حال الاسلام في الفطرين اللذين هما أهل أقطار آسيا بل أقطار العالم — الهند والصين — يجد أن الاسلام وحده يتقدم وينمو على حين يرى غيره من الديانات القديمة تتداعى وتضعف والمسيحية لا تكاد تثبت )

وقال آخر بعد ان وصف فتوح الاسلام في الديانات الأخرى وعجز الآخرين عن الفتوح فيه : ( ولم رالمبشرون في طريقهم بلداً قامت في وجههم سدوده وأقفلت دونهم أبوابه مثل بلاد الاسلام ومن الصعب أن يكيف الانسان حالة مسلم يريد أحد المسيحيين أن ينصره حتى لو شبهناه بمسيحي مستنير يريد وثني أن يعيل به الى عبادة الاصنام لكان التشبيه ناقصاً )

وقد ملأت هذه الفتوحات الاسلامية قلوب الامم الأخرى وبلبلت بلبالهم حتى عدوها من الخوارق وينوا أسبابها على ما وراء الطبيعة

(١) هو أحد ملوك الصين تخلى عن الناس في التاسعة والعشرين من عمره وعكف على المعلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم او المتنور ووضع المذهب الذي اتخذه الصين والهند ديناً وكان ظهوره في القرن الحادي عشر قبل المسيح وقيل في القرن السابع وهو الأرجح (٢) راجع كتاب موسيو دابري المسمى الديانة المحمدية في الصين وتركستان الشرقية المطبوع في باريس سنة ١٨٧٨ هـ من هاشم كتاب الاسلام لدي كاستري



قال دي كاستري : « هذه هي أهم الأسباب في انتشار الإسلام ولست أدري ان كانت تكفي لإدراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية غير ان الإسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الأرض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة

« ونحن نعلم ان يهوذا قال لإبراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيراً وكرر له ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من أولادك وأعاد يهوذا هذه البشري مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجاني الصحراء حيث رمي ليموت عطشاً وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجل الروايات ووصف بادية الظماء وهلف الأم على ولدها من اللطف ما يقال ( نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلاً ثم جلست أمامه على مسافة مرمى النبل وقالت لست أصبر ان أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل سبقها الى السماء فاجابها الملك من قبل الله : مالك يا هاجر لا تخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعت فيه فقومي وساعديه على القيام وايسند ساعدك على حملاه فيكون من ذريته أمة كبرى )

« ولقد ارتعشت يدي عندما مددتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطرتها ولولا ماقاله الاب بروغلي من أن تقدم الإسلام أمر مندرج تحت ما بشر به أبو المؤمنين لما تجرأت ان أطبق تلك الآيات على الإسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سرّاً من الأسرار الربانية » اهـ

هذا ما أردنا بيانه في هذا الفصل ومنه يعلم أن حفظ الإسلام من الأرض أو فر حظ وان أرضه له لا يمكن أن ينتزعها منه غيره وان عدد المسلمين كثير وان صفاتهم الفطرية قوية، وجاهتهم الدينية عظيمة، وانهم يزيدون زيادة تستوقف الأبصار، وتثير الأفكار، وانه لا يتسنى لغيرهم أن يجاريهم في هذا المضمار، واذا كان الأمر كذلك كان رأس مال الإسلام من الأصليين الطيبين الضروريين مستقبل الامم كبرا في الحال، أكبر من غيره في المستقبل، ولا ينقصه الا الامور الكسبية والاسباب الوضعية التي لا بد أن تدفعه طبيعة العمران لنحصيلها شاء أو أبى. فيصل الى ما قدره له الله من السعادة والعلاء والمجادة والله در القائل :

لي في ضمير الدهر سر كما من لا بد أن تستلّه الاقدار



## ﴿ الفصل الثاني ﴾

( في أسباب الانحطاط )

« الجهل »

اختلف العلماء واختلف العقلاء في أسباب انحطاط الأمم وارتقائها وانقسموا في ذلك الى فريقين وهما

( الفريق الأول ) — يرى هذا الفريق ان الأمم في ارتفاعها وانخفاضها أشبه بالإنسان في أدوار عمره لا تكبره الإرادة ولا تضمره الصنعة فهو اذا جاء زمن المضي مضي وحده واذا جاء زمن النطق نطق كذلك . وان الجماعات الإنسانية مسيرة بناموس طبيعي كالناموس الذي يسير الكواكب في أفلاكها . وان الجمعية الحالية هي نتيجة ضرورية لماض طويل الأمد ، وأنها حاملة معها جميع بذور التحولات والأطوار التي لابد لها من المرور عليها في رقيها وانحطاطها . وأنه بذلك تكون الجمعية كالشخص لا يبلغ سنا ملهم بالادوار التي تفصله عنه وان تأثير الإنسان في هذا السير هو كتأثير الطبيب في سير المرض أي ضئيف لا يذكر .

[ الفريق الثاني ] — يرى هذا الفريق ان الأمم مثل الشمعة المذابة تضعها في أي شكل أردت ، وتجعلها في أية صورة صورت ، وأن الإرادة تفعل في كيانها فعل الا كسير الذي يحول التراب ثبراً . ورجال هذا الفريق هم أساطين الحكمة مثل ( أفلاطون ) و ( أرسطو ) و ( أينيذ ) و ( ليكورغ ) . ولا حاجة في اطالة الكلام لترجيح الفريق الثاني في هذا المقام فان اليابان هي البرهان الذي لا يختلف فيه انسان .

\*\*\*

ثبت عند كبار الحكماء أن الأمم يمكن رفعها وخفضها بالإرادة . أما الآلة الرافعة أو الخافضة لها فقد اتفقوا على انها العلم أو الجهل ، قال لينين الحكيم : « لو كان أمر التعليم موكولاً الى لغيت وجه أوروبا في أقل من قرن » وقال أيضاً : لو أجلنا النظر لألفينا ان تسعين في المائة من الناس هم فضلاء أو أرقلون نافعون أو مضررون بالتعليم الذي تعلموه وان كل ما يوجد من فرق بينهم فسببه ذلك التعليم . وقال ( ديدرو ) علة الطلل في ارتفاع أو انحطاط الأمم هو العلم أو الجهل وما عدا ذلك فأسباب ثانوية وعال جزئية ترجع الى تلك العلة الاصلية



هذا وقد يدنا النظر في حالة العمران أن العلم هو القوة التي تقوى بها أمة على أمة والجهل هو سبب الخطا فربق عن فريق وسبب أن هذه الأرض وإن تنوعت أسماء أجزائها في المواضع واختافت ألوان بقاعها في الخرائط فهي بسبب واحد في العاصم والغاصم والأهم فيه كآمة واحدة فيها القوي والضعيف . وقد أوجدت المصادفة بعض هؤلاء في حيز عامر مفعم بالنعم والبعض في حيز غامر مملوء بالقم وجبيل الإنسان على حب الأثرة لنفسه ولو هلك في ذلك أهل الأرض جميعاً . قال سهل بن هارون البخيل : « ليس لي من مالي إلا ما منعه الناس ولو أمكنهم لقصوا بقي حجرياً حجرياً فوقهم بين القوم بسبب ذلك ما يسمى بالنزع الحياة وهو في الواقع قتال بلا سيوف . كل يطلب الطيبات لنفسه ويحرم على نزع ذلك من الآخر بقوة بأسه . فكل يعيش فيها الجليل ، ويهلك الرعايا ، ويحوي القوي ويموت الضعيف . فلهذا احتاج كل واحد أن يكون أقوى من قرينه فتراجعوا في الأزمان الأولى إلى القوة الجسمية حتى إذا سما العقل واستنبط من الأساليب ما طمأن به قوة الجسد فزعموا إلى القوة العلمية ولهذا قال بعض السياسيين : « الخامل الآن كالأعرج في القرون الوسطى » . فمن كان أكثر علماً كان أكثر قوة فكان له الغلب والفلاح على خصمه . وقد يكون هذا التنارع جهرياً وهو معروف في غلب الأمم بعضها على البعض بقوة الآلات المستبعدة والعدد المبتدعة وقد يكون خفياً وهو التنظر في سائر وسائل الحياة ، فالأمة في الحقيقة جيوش متلاحمة ، ومقاتلة متحاملة . كما قال المتنبي :

إنما أنفس الأتيس سباع يتفارسن جهرة وغتياً

فالجنود تقاتل الجنود والتجار التجار والصناع الصناع والزراع الزراع وهكسدا . وكما أن الجندي إذا غلب الجندي وكان سلاح أحدهما المكسب وسلاح الآخر الرمح غلب الأول لا محالة فكذلك الحال في سائر الأنواع الأخرى . ويهدر ما يكون في جميع طبقات الأمة من سعة العلم يكون غلب مجموعها على غيرها ولا يمكن أن يحط فرد واحد منها إلا أثر ذلك في كونها كما إذا وقفت بعوضة على طرف سفينة عظيمة أثقلتها وأمالها حقيقة وإن لم تدرك ذلك . شاعرنا .

ومن هذا يعلم أن جميع أحوال الأمة متوقفة على حالة أشخاصها من الجهل والعلم فإن صاحبت الأشخاص صاحبت الأحوال والعكس بالعكس . وبهذا جاء القرآن الكريم قال تعالى : « إِنْ أَلِهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ »



وقال تعالى : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِدِكَ الْقُرَىٰ يُظْلِمُوا وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » وقال تعالى : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » وقال جل شأنه : « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَيَّ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم : « كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ » (١) وفي معناه قول الحكيم ( الأمة تعطى الحكومة التي تستحقها ) وقال فواتير : « الظلم الواقع على الأمة عقاب لها على جهلها » .  
ويعلم مما تقدم أيضاً أن الذين يعددون الأسباب الكثيرة في انحطاط الأمم أو ارتفاعها إنما يذكرون أسباباً ثانوية لعل أولى هي علة الملل وهي الجهل أو العلم . فمن جعل السبب محصوراً في الحكومة متلانا له أن الحكومة لا تكون إلا على نسبة استعداد الأمة وما شذ عن ذلك الأحكام بل لأفادة فيه فقد رأينا أن المصادفة قد توجد حكومة فوق قدر الأمة فلا تلبث أن تبدل بموت القائم بها أو نحوه ما يجري تفسد كل ما أتت به الحكومة الأولى . وهكذا من جعل السبب في فشور العقائد الفاسدة في الأمة أو المبادئ التي تزعم أنها من الدين وليست منه نقول له أن السبب هو الجهل بالدين وهامجراً

\*\*\*

ثم إن العلم له ثيمان في الوجود وهما الأنبياء والحكماء أي الدين والحكمة فناخذ من الدين أولاً ثم إن أردنا التفصيل في الفروع أخذنا من الحكمة . قال ابن مسكويه : « أن تحصيل السعادة على الإطلاق يكون بالحكمة . وللحكمة جزآن نظري وعملي فبالنظري يمكن تحصيل الآراء الصحيحة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة ويهتدين الأمرين بعث الله الأنبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عابها وهم أطباء النفوس يعالجونها من أسقام الجهالة بالآداب الحق لما يأخذونهم به من الآداب الصحيحة والأعمال النافعة ويطالبونهم بالاستسلام لهم بعد إقامة الحجة عليهم بالمعجزات فمن تبعهم ولزم محجّتهم وقف على الصراط المستقيم . ومن خالفهم ردّى في سواء الجحيم . فأما من أحب أن يعلم نعمة مادعوا إليه بالنظر الصحيح فانه يجد ذلك من جهة الحكماء » . ولا يقول قائل أنه يوجد تباين بين الدين والعلم يتنافيان به فإن ذلك غير صحيح وإنما جاء لهم من أنهم حصلوا من الدين ما ليس منه أو أخطأوا مقاصده ومعناه . قال شيخ الفلاسفة في هذا الزمان هربرت سبنسر في كتابه ( التربية والتعليم ) مانصه :

(١) المنار : رواه الديلمي عن أبي بكره والبيهقي عن أبي اسحق السبيعي مرسلًا



« العلم عدو الأوهام المتداولة بين الناس باسم الدين ولكنه ليس بعدو للدين الحق الذي كثيراً ما تحاول هذه الأوهام ستره عن الأبصار . نعم أنه يوجد شيء من العلم المتداول يظهر عليه مناقضة الدين ومعاداته . ولكن هذا أيضاً من قبيل العلم الذي أكثره وهم إذ العلم الحقيقي الذي يغوص وراء حقائق الأشياء لا يناقض الدين كما قدمنا » وقال ( باقون ) امام الفلسفة الحديثة : « القليل من العلم يسعد من الله والكثير منه يقرب منه » وقال ( هكسلي ) الحكيم الكبير : « الدين والعلم كتنوأمين متلاصقين فصلهما يؤدي الى موتهما . فان العلم ينمو متى كان ديناً والدين يثبت متى كان علمياً . وأهم آثار الفلاسفة أنتجت أفكارهم بسائق ديني في الحقيقة »

ولو تتبعنا جميع رؤساء الحكماء وأساطين الفلسفة العقلاء من سقراط وأرسطو وأفلاطون الى كانت وديكارت وليبنز وأمثالهم لوجدناهم من أهل الدين وان لم يتسموا بهذا لأنهم يعتقدون بما جاء به الدين ويتخلطون بالحكمة التي أمر بها أن تكون . قال ( كارايل ) الفيلسوف في كتابه ( الهيرود ) : « قال ( جوتي ) اكبر شعراء الجرمان وقد وصف له الاسلام : ان كان هذا هو الاسلام افلا نكون جميعاً عائشين فيه ؟ ( ثم قال كارايل ) نعم ان كل واحد منا عنده حظ من الفضيلة والكبر في الحياة عائش فيه » ولا فرق مثلاً بين قول سقراط : « يجب ان تعرفوا ان إلهكم واحد » وقول المسيح في الانجيل : « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوا انك انت وحدك الاله الحق » وقول الله سبحانه وتعالى « قل هو الله أحد »

وكل ما أدخل على الدين من تحريف الاصول الحقيقية والقواعد العامة التي فيه قائماً جاء من فساد عرض أو عرام طراً وهو منه براء . وهذه الاصول العامة التي هي عمدة السعادة كما لا يختلف فيها الدين عن الحكمة لا يتباين فيها دين ودين بل الأديان فيها سواء . قال الله تعالى : « قُواُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » وقال تعالى : « مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ »



إذا توضح ذلك وانه لا خلاف بين العلم والدين فليبين هنا ماهية كل منهما ليس العلم هو هذه الابواب المحفوظة فقط التي يتسمى بمحصلوها بالعلماء عند المسلمين



الآن بل هو أوسع من فلك رحاباً وأفصح مجالا ، هو معرفة حقائق الوجود جميعاً .  
وينقسم الى حكمة نظرية وحكمة عملية . وتنقسم الحكمة النظرية الى ثلاثة أقسام  
وهي ( قسم العلم الإلهي ) وهو ما لا يفتقر في الوجود الخارجي والتعقل الى المادة  
( القسم الرياضي ) وهو علم بأحوال ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي دون التعقل  
( القسم الطبيعي ) وهو علم ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي والتعقل . وتنقسم الحكمة  
العملية الى ثلاثة أقسام أيضاً ( قسم الأخلاق ) وهو علم بمصالح الشخص و ( قسم تدبير  
المنزل ) وهو علم بمصالح العائلة و ( قسم السياسة ) وهو علم بمصالح الأمة ويدخل تحت  
كل قسم من هذه الأقسام جملة علوم كالرياضي يدخل تحته عيلم الحساب والهندسة  
والجبر والهيئة والطبيعي يدخل تحته الكيمياء والطب والنبات والحيوان والجغرافية  
والفلاحة الى غير ذلك بل كل واحد من هذه العلوم يدخل تحته علوم أخرى كالطب  
يدخل تحته التشريح والجراحة والكحالة وهكذا الى ما شاء الله . ولو أحصيت العلوم  
التي تقوم بها أعمال المجتمع الانساني الآن لارت على ألف علم

وكل علم من هذه العلوم له وظيفة لا يقوم بها غيره فتتلها في جسم الاجتماع كمثل  
الأعضاء في الجسم لا تغنى فيه العين عن الأذن ولا اليد عن القدم وهكذا . فالعلم  
الالهي أو الفلسفة الاولى هو أس العلوم في الحقيقة . سأل ( رينان ) السيد جمال الدين  
عن سبب عقم المدارس في الشرق سوائاً فيها القديمة والحديثة فقال له السيد ان سببه فقد  
الفلسفة الاولى منها اذ هي لا معلوم كالسلك للعقد او القاعدة للمسائل فليكن قصد  
السلك تبذد العقد أو عدمت القاعدة تأثرت المسائل

وأما العلم الطبيعي والرياضي فهما باب الارتزاق وسلم المدنية وعلمهما قصد  
نراه في الأمم المرتقية الآن من الحركة والعمران

وأما علم الأخلاق فهو طب النفس . ومن العجيب اننا نرى الانسان اذا أصيب  
دُمل في جسمه اسرع الى العلاج والطبيب وفي نفسه عشرون دماً لا يلتفت اليها وان  
انهكته في الحقيقة آلامها ولا سبب لهذا الانقراض هذا الطب من بين المسلمين الآن مع نمو  
عند غيرهم من الأمم وحسبك انه الف في مرض الارادة وحده عندهم كتب ذات أسفار .  
ويجب ان يكون هذا العلم ملكة في النفس كملكته النحوي في اللسان حتى تنطبق  
أحوال المرء على قواعده بلا تكلف فتصير الفضائل - كأوقوف عند الاعتدال في الأعمال  
والحق في الأقوال والاعتماد على النفس ونحو ذلك جميعه - خاتمة له وسجية طبيعية  
وأما تدبير المنزل فهو من أهم الأمور الضرورية لسعادة الأمة وذلك ان المنزل



هو المدرسة الاولى وبعده مدرسة التعليم ثم مدرسة الدنيا فان كان عمل الاولى مضاداً للثانية ضاعت النفس بينهما ضياع لب المأمور لا مبرر من مختلفين

وأما علم السياسة فهو طب الاجتماع الانساني وطالما أدى الجهل به الى شقاء البشر قال لوبيون: إنك لا ترى أحداً لم يقر الفلك أو الجبر ثم يحاول حل مسائل فلكية أو معضلات جبرية ولا ترى أحداً كذلك لم يتعلم التشریح ثم يحاول ان يخيط عرقاً مقطوعاً مثلاً ولكن ترى كل يوم رجالاً لا يفقهون شيئاً من علم السياسة يسوسون الأمم ويضعون القوانين ويسنون التواميس غافلين عن الاخطار والازمات التي تنجم من عمالهم هذا مع ان خطأ الجاهل بالطب يؤدي بشخص واحد وهذا الخطأ يؤدي بأمة . وعلى هذا النحو ففس سائر العلوم والفنون

أما الدين فليس هو ايضاً ما يفهم الناس من أنه مجموع حركات بدنية فقط أو اذنيف أحاجي لا يصل اليها العقل بل هو العلم باقسامه الا انه أبعد غاية . ومقصده هو عين المقصد الذي وجد لاجله العلم اي ارشاد الخلق الى الحق ثم هدايتهم بقواعده الى كل ما فيه السعادة لهم الا ان الدين يمتاز على العلم بأنه يجمع السعادتين سعادة الدنيا والآخرة وان العلم يرغب في الفضيلة فقط وهو يقهر عليها قهراً ويرتب على ذلك ثواباً وعقاباً

ولتقريب فهم المقصود من الدين والانتفاع بما جاء به تفرض على وجه التمثيل أن الكتاب السماوي الكريم هو كتاب علم وحكمة ونقسه في ذهنا الى الاقسام السابق ذكرها في تقسيم العلم . فتجد تحته قسم الإلهيات مفعماً بما لا يصل البشر الى الاتيان بمثله ولا الوصول الى مثل تعبيره وتمثيله . قال سبنسر الحكيم في كتاب المبادئ الاولى : « نعرف للدين الفضيلة الكبرى بأنه أول ما دل على الله وأنه لم يفتأ يعلو ذلك في كل زمان ومكان » . ثم اتينا نجد الدين وان لم يتعرض لقسم الرياضيات والطبيعات فقد حث عليها في جملة ما حث فيه من النظر في الكوان وكذلك وضع العبادات التي تحي التوحيد في النفوس . أما الاخلاق وتدير المنزل والسياسة المدنية وما يتبع ذلك من الاحكام فقد بلغ فيها غاية ليس وراءها مطالع الناظر وكانت عمومياته هي الاصل الذي فرع عليه الحكماء جميع ما أتوا به في هذه الابواب . وأما ما يقوله السفهاء من عدم موافقة بعض احكام الدين لسير العمران فهو خطأ وورهم اذ نراهم قد قهروا الى الرجوع الى كثير منها بعد أن انكروها قروناً عديدة



وإذا قد تبين أن الجهل هو سبب الانحطاط وأن العلم هو سبب الارتفاع على الإطلاق  
ففيهما فلم يبق خلاف في أن سبب انحطاط الأمم الإسلامية هو الجهل • ولو نظرنا نظرة  
واحدة في أحوال المسلمين لتبين لنا مقدار ذلك الجهل وآثاره السيئة فيهم

قلنا إن بابي العلم هما الدين والحكمة • أما الدين فلو حكمناه في نفوس أكثر المسلمين  
الآن وطبقناه على عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم لوجدنا لدى أكثرهم في محل كل عقيدة  
قرآنية أو خلق ديني عقيدة أخرى أو خلقاً آخر يكاد يضاد الأول على خط مستقيم •  
وإذا كان الأول آله للعلاء كان الثاني عنة الانحطاط • ليس الغاية من الدين مجرد  
الانتساب إليه فإن ذلك لا يهدي إلى خير ولا يدفع عن شر وإنما العمل والانتفاع بكل  
ما جاء فيه هو الذي يرقى صاحبه إلى ذرى السكالك وذلك كالطب فإنه لا يكفي أن يعتقد  
الإنسان أنه نافع فيبرأ من مرضه أو وسابه وإنما يحصل على ذلك باستعماله والأثمار بأوامره  
والانتهاء عن نواهيه • ولذلك حرصت جميع الأديان على تبيان هذه الحقيقة للناس  
قال تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا  
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » وجاء في الإنجيل « وأنه  
ليس الذين يقولون للمسيح ياسيدي ياسيدي يدخلون ملكوت الله بل الذين يعملون  
إرادة الله » ومهما قابلت بصرك لا تجد الدين في الغالب مستعملاً فيها وضع له • فهو  
عند الخاصة موضوع مناقشات لفظية وصناعة فصاحة كلامية ومجال براءة في اختراع  
وجوه وتأويل مناجي وبعد عن مقاصد • وعند العامة دفتر تعاويد ورقى وكتاب ترتيل  
وكلام يقال لكي لا يفهم حتى قال بعض الأدباء : فات هؤلاء أن يفهموه الأحياء فهم  
يسمعونه الموتى في القبور « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا »

وأما العلم فخالهم فيه كحالهم في الدين • فهم كل يوم يبعدون عنه ويقربون من  
نقيضه ولهذا نجد الكتاب عندهم كلما كان أقدم كان انفس وأجود بخلاف الأمم الحية  
فإنه لا يقرأ الكتاب فيها إذا مضى عليه عشرون عاماً

منذ كسرت أقلام المسلمين الأولين ترى العلم واقفاً بيتنا لا يتحرك • أين الجماعات  
المشتغلة بالعلوم الإلهية ؟ أين منشئو المذاهب والآراء ؟ أين المحامون عن العقائد ؟  
أين المؤلفون في الرياضيات ؟ أين المخترعون للعلوم لم تكن كالجبر والكيمياء ؟ أين من  
نقل فلسفة أوربا كما نقل أولئك فلسفة اليونان ؟ أين من شرح كتب كانت وديكارت  
منما شرح ابن رشد كتب أرسطو وابن كونه كتب أفلاطون ؟ أين من جمع علوم



الأوائل في سفر شامل كما فعل الفارابي في كتاب التعليم الثاني ؟ أين من ألف فوق  
مائة مؤلف في الطب كإبن سينا والرازي ؟ أين من سافر لجمع غريب النبات وتدوينه  
كما سافر ابن البطريق إلى بلاد الأمازيغ ؟ أين من جرب في الحراثة ودون كتابي  
زكريا الأشيلي الذي رقت تجاربه زراعة الأندلس ؟ أين من ساح آسيا وأفريقية  
والجزر واكتشف البقاع ووصف المواطن كالحسن بن محمد القرطبي المعروف بالأسد  
الأفريقي والبيروني والشريف الإدريسي ؟ أين أنواع العلوم الكثيرة التي يتداولها  
المسلمون ويؤلفون فيها والتي حصرها صاحب كشف الظنون في زهاء مائتي علم ؟ أين  
من دون حوادث زمانه يوماً يوماً وأخبار قومه خبراً خبراً باختلاف الروايات وتنوع  
الأسانيد ؟ أين من وقف على حدود العلوم وزاد فيها على ما كان عند الأمم ؟ أين من  
طلب العلم للعلم وأراد به أن يعرف حقيقة يجهلها ولذة عقلية يحصلها ؟ أكثر ما عند  
المسلمين الآن اختلاف في أعراب البسمة وبيان وجوه الصفة المشبهة وأمثالها وشيء  
من الفقه يعلمونه ولا يعلمون به وما عدا ذلك ففقشور من العلم في المدارس الحديثة  
المقصود منها صنع موظفين للحكومات أو إجراء لبعض المهن كالطب والحقوق ونحوها

هذه مصر وهي في مقدمة بلدان الإسلام عمرانها حضارة ورفاهية وشارحة - تسمون في المائة  
من أهلها أميون ولا يوجد إلا واحدة في المائتين من نساها تقرأ الحط - فكيف حال  
المغرب والتركمان والمجمر والسودان ؟ حيثما سرت وابن اتجهت وقعت عينك على أناسي  
لو جردتهم في الخيال من ألقابهم وأموالهم وحليهم لم يبق في يدك شيء ؟ قال المهري :

لو يعرف الإنسان مقداره لم يفخر المولى على عبده

لولا سجاياه وأخلاقه لكان كالمعدوم في وجوده

الناس أجمع في حركة وعمل والمسلمون في سكون وسكوت كما قال تعالى « وحين تضعون  
أيديكم من الظهيرة » ولله در أبو تمام حيث يقول :

أفكر في أحلامكم أين عنيت فيصير عني طورا وأصرعه الفكر

إذا الوحي فيكم لم يضركم فاني زعيم لكم أن لا يضركم الشر

الفصل الثالث في وسائل الارتفاع

( العلم )

إذا كان الجهل سبب الانحطاط كان العلم سبب الارتفاع . فلا تصلح أحوال  
المسلمين حتى تصلح نفوسهم توقف المملوك على العلة



ولكن ربما رأى الانسان الفساد الجمال بالمسلمين في أنفسهم في أهلهم في أمتهم في دينهم في دنياهم وقد سكن في كل عضو منهم علة ، وفي كل جراحة ألم ، وازمنت الادواء واستطردت الى بعضها حتى أصبحت كل علة تسوق عللاً وكل مرض يهيج أمراضاً وغداً بينها شبه الدور والتسلسل . فنتيه في هذا التيه ولا بدري كيف يسري وماذا يصلح وماذا يترك وأي دواء يستعمل وقد اختلفت الأمراض وتباينت الآلام فيقف حاراً بارئاً يائساً يرى ان خلق خلق جديد أهون من اصلاح هذا . فمثل هذا الحائر المشتبه أضرب المثل الذي ضربه ( فكتور هوجو ) الشاعر الكبير قال : مثل سلطان الاستبداد مثل مصر بني علي بطائح ( النيفا ) في روسيا وقد جدد الناج ماها فشيدت القرى والمنازل على الجليد وسارت المجالات ودارت حركة المعاش في الأسواق كأكثر ما يكون وضرب الرجل برجله الأرض فوجد أصلب من الصخر لا تعمل فيه المماول ولا يقطعها الدينامت فليل له ان هذا كله ظل زائل لا يلبث الا عشية أو فحاشا حتى يمحي فلا يكون له أثر فكذب وأنكر وهاله الأمر وبينما هو كذلك واذا بشماعة من الشمس سالت على هذه الدنيا الصغيرة فاذا هي حلم حلم . قال ( هوجو ) هذه الشماعة هي ( الحرية ) وأقول انا هي ( العلم ) وقد بينا آنفاً ماهية هذا العلم الذي ترقى به الأمة اذا أخذ كل منها بنصيبه منه . فنذكر الآن الوسائل اللازمة لإدخاله في أرض المسلمين . وهي تنحصر في ( كيفية نقله ) و ( كيفية تعاليمه ) و ( المال اللازم لذلك ) و ( من يقوم بهذا العمل )

أما نقل العلم واجتاده بين المسلمين فله طريقتان وهما ترجته الى لغات المسلمين أو تعاليم المسلمين لغة من لغات العلم ( وهي الآن الفرنسية والانكليزية والألمانية ) انكون هي لغتهم العلمية ومن يقول بالوجه الأول يذكر انه هو السبيل الذي سلكته كل الأمم السالفة في نقل العلم اليها كما فعل العرب في نقل علوم اليونان والشران والكلدان وكما فعل الفرنج في نقل علوم العرب حتى انك لتجد الآن كثيراً من مؤلفاتهم المهمة مترجمة الى اللاتينية مطبوعة بها من قرون عدة مع فقدتها من بلاد الإسلام ويقول هؤلاء : اننا اذا ترجمنا العلم فقد نقلناه اليها وان تعلمنا اللغات فقط فقد نقلنا افراداً منا الى العلم . وأما من يقول بالوجه الثاني فيرى ان سير النقلة وسير العلم في حركته كفرق ما بين راكب الناقة وراكب البخار فان بدءا من نقطة واحدة الآن فلا يلبثان أن يتفارقا فيسبق العلم النقل ويبقى الناقل أبداً لا يبدد ذنباً له . وان أريد نقل



ما عند القوم من أول الدهر إلى اليوم لزم لذلك خمسمائة عام يكونون فيها قد تقدمونا بمثل هذا القدر من السنين . ويقول هؤلاء : لهذا رأينا الأمم الآن غيرت الطريق الأول في نقل العلم إلى هذا الطريق كما فعلت اليابان

وعندي أنه يجب التوفيق بين هذين القولين فتجعل تعليم اللغة العلمية إجبارياً وبهذا نعطي لكل واحد ( مفتاح الجفر ) ونرفع الستار عن عالم العلم . ثم نجعل التعليم والتأليف بلسان الأمة التي هو فيها . ومق فعلنا ذلك أمكننا أن نسير مع العلم إذ كتبه وحدوده التي هو عليها تصبح كتبنا وحدودنا وأمكننا أن ننقل منه ما شاء الله أن ننقل منه .

ولا يلزم أن نتعلم اللغة العلمية بحيث نحسن الكتابة والتكلم بها بل يكفينا القدرة على فهمها جيداً والنقل منها كما كان ذلك شأن النقلة الكبار مثل ابن ماسويه وخنيزن ابن اسحق ورفاعة بك والرشيدى صاحب المادة واما لهم . ولو حفظ الانسان في كل يوم خمسة مصادر بمشتقاتها لكان رأسه في ختام السنة قاموساً

وانما يجب اذن أن نجعل اللغات الاسلامية في حالة يمكنها بها أن تكون لغة عالمية وذلك بنقل ما جدد من الالفاظ والاصطلاحات اليها وللوصول الى هذا نتخذ أحد المعاجم الموجودة بين أيدينا أصلاً ونذيله بما استجد من ذلك ناقلين ألفاظ العلوم واصطلاحات الفنون كما هي بمد تحوير قليل ننظم به في صيغ اللغة الأصلية . أما الجهد في سد هذا النقص بإيجاد ألفاظ من متن اللغة القديمة تؤدي المعاني الجديدة واستدراك ذلك بواسطة النحت أو الاشتقاق من الجوامد أو نحو ذلك فعبث ولا لزوم له

\* \* \*

وأما كيفية تعليم العلم وترتيب ذلك فأهم ما يجب أن يعمل فيه أن يكون التعليم عاماً إجبارياً على ثلاث طبقات (ابتدائي وثانوي وعالي) وأن يكون التلاميذ بقدر عشرين في المائة من عدد السكان . منهم واحد في المائة للمدارس العالية وسبعة في المائة للثانوية وما بقي للمدارس الابتدائية . وأن يكون الاساندة على نسبة واحد لكل خمسة عشر تلميذاً في المدارس العالية وواحد لكل ثلاثين في المدارس الثانوية . ولكن خمسين في المدارس الابتدائية

وعلى هذا يجب أن تكون المدارس الابتدائية منتشرة في كل قرية انتشار المساجد والزوايا . والمدارس الثانوية في كل مركز . والمدارس العليا (أي الجامعة) في أمهات المدن



وينبغي أن تكون الغاية عند الكافة من طاب العلم أن يكون المرء سعيداً في رزقه سعيداً في نفسه وفي فكره وفي بيته وفي أمته لا أن تكون أداء امتحان واخذ شهادة ثم ان جدول التعليم في المدارس ( البروجرام ) هو بمثابة الجوهر وكل ما عداه في مقام العرض فعليه يتوقف الفلاح في الحياة أو الحية فيها . وطالما حرص الفلاسفة على تبيان أهمية هذا الأمر واهتمت به الحكومات . قال جان جاك روسو : « ان أكثر ما نتعلمه في المدارس كأنما نعلمه لنفسنا لاغير ذلك اذ معظمه مما لا نستفيد منه في حياتنا مرة واحدة » وقال آخر : « الفساد في التعليم يفسد أمة بأسرها » وقال هيرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي « لو لم يكن عندنا من العلم إلا ما نعلمه في المدارس لكانت انكلترا اليوم على ما كانت عليه في القرون الوسطى . فجميع ما عندنا من المعارف الكبرى التي صرنا بها أمة عظيمة في الدنيا لم تنشأ من المدارس المعدة لذلك بل من أكواخ حقيرة وزوايا مهجورة » وقال ( كوريون ) عن مدارس الصنائع في فرنسا ان ثلاثة أرباع الوقت يضع فيها سدى . وقال ( هنري دوفيل ) في جاسة عامة باكاديمية العلوم في فرنسا « اني غطو في المدرسة الجامعة ( كلية باريس ) من مدة واني اليوم على وشك الاعتزال من الأعمال فأقول لكم قولاً يجب أن يمد كل أذن وهو انه ما دامت هذه المدرسة على هذه الحال فلا تسوق الا الى الجهالة . واذا كان الأمر من الأهمية بحيث استدعى ايراد هذه الأقوال عن مدارس اوربا وجبان نحيها في المنزلة التصوى من الاهتمام به ولا تقلد تلك الأمم بنقل برجراماتها كما هي وقد سمعنا اقوال الفضلاء في قيمة تلك البروجرامات وقلة جدواها في التربية العامة

وايس لي ان اجزم هنا في مسألة هي الآن مشكلة الأمم ومختلف المقالء وانما رأيي ان يكون التعليم الابتدائي محصوراً في الأمور التي يجب على كل امرئ ان يعلمها وهو علم ( ما يحفظ الجسم ) كمبادئ قواعد الصحة والفسولوجيا وعلم ( ما يحفظ النفس ) كالاخلاق وما ( يحفظ العائلة ) كتدبير المنزل وما ( يحفظ الأمة ) كمبادئ السياسة والتاريخ ونحوه وما ( يحفظ العقيدة ) وهو مبادئ الآلهيات والحكمة الأولى التي هي سلك المعلوم الحافظ لها من الضياع كما قدمنا ثم لا بد له من علم ( ما يحفظ الرزق ) وهو الزراعة أو الصناعة أو التجارة ومبادئ علم الاقتصاد والحساب الضابط للعمل

واما المدارس الثانوية فيتعلم فيها العلم الذي اختاره المرء لنفسه وما يلزمه من الفنون

ولغة اجنبية من لغات العلم



ويتعلم التلميذ في المدرسة العليا تفصيل ما أجمله في المدرسة الثانوية . وتقسم حينئذ المدارس العليا (الكلية) الى أقسام كل يختص بعلم مخصوص .  
والاختصاص بالفن الواحد من أهم الأمور في بلوغ الغايات في العلوم اذ العلم يعطيك من نفسه بقدر ما تعطيه من نفسك . ومما يجب تعويد الطلبة عليه السير مع العلم كل يوم وعدم الوقوف طول العمر عند ما يتلقونه في المدارس . وذلك بالاطلاع على فهارس (دور الكتب) والوراقين والوقوف على كل ما يجد في الفن . قال برتولو الكيماوى المشهور: كنت أقرأ في كل عام فوق مائتي مئة كتاب في الكيمياء وأحلل ما أجده منها في نفسي تحليلاً كيماوياً فيتيسر لي بذلك توسيع دائرة هذا العلم واكتشاف أمور كثيرة فيه

\* \*

وأما المال اللازم لذلك فهو لا يتجاوز ريالاً واحداً عن كل شخص من الأمة وهو ثلث ما تنفقه أمة كالأمة المصرية على الخمر والدخان في كل سنة . والحصول على هذا المال يكون إما من طريق الحكومة بالطاب منها والاحتاج عايتها والاستمارة في ذلك . أو من طريق الأمة بالاشتراك العام الدائم والحث عليه بالخطب على المنابر والجرائد وغيرها . وقد كان السيد جمال الدين رأى في ذلك رأياً وهو أن ينشأ صندوق يسمى (صندوق المسلمين) يوضع في كل قرية وعلى كل طريق ومسجد ويجمع فيه المال لأصلاح أحوال المسلمين . ولا بأس من جعله تحت مراقبة إدارة رسمية تزداد ثقة الناس به كما جعلوا صندوق التوفير تحت إدارة مصلحة البوسطة مثلاً . على أنه لا يدم الإسلام رجالاً في هذا الزمان يقومون على قدم أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سالف العصر من بذل كل أموالهم في تأييد العقيدة التي أخذوا بها والدين الذي انتسبوا إليه . روى مسلم في صحيحه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من أمن الناس علي في ماله وخبرته أبا بكر)

أما البحث عنم يقوم بهذا الأمر فهو أهم الأبحاث وأهم المسائل . الذي يقوم بهذا الأمر إما الأمة وإما الحكومة . أما الأمة فما دامت في الضفوية فلا يمكنها أن تميز خيراً من شر أو أن تترك اللامعة وتشترى الكتاب . وأما الحكومة فهي إما حكومة وطنية وهي في الغالب الآن مع الأمم الإسلامية في مقام السيد مع العبد فان تعلمت الأمة وارتقت أصبحت معها في مكان الوكيل مع موكله وهيئات هيئات ان تساعد على ذلك . وأما



الحكومة الأجنبية فهي بمثابة الوصي الطماع مع القاصر الغني فسلحتها ان تحول بينه وبين الرشيد دائما (١) وإذ قد نفضنا أيدينا من هؤلاء جميعا فلم يبق أمل يرجى وأمنية تنتظر الأمن فئة قليلة بلغت الرشيد فعرفت الحال والمآل اعني بها (عقلاء المسلمين) هذه الفئة هي المسأولة وحدها ولا مسؤولية على عامة الأمة « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج » وهؤلاء العقلاء بالنسبة الى بقية الأمة القاصرة في مقام الأولياء فهم المسؤولون عن خيرها وشرها ونفعها وضررها لاسيما الى نجاة المسلمين وإعلاء كلمة الاسلام الا أن يؤلف هؤلاء، العقلاء في كل قطر جمعية يسمونها جمعية (مستقبل الاسلام) وان يؤلفوا جمعية أخرى عامة تضم هذه الجمعيات تسمى (المؤتمر الاسلامي) يعتقد في مكة أو في أي مكان يتفق عليه كل سنتين مرة ويكون أعضاؤه مندوبو جمعيات الاقطار المختلفة ووجهته اصلاح

(١) يقول بعض السذج من البسطاء لا حاجة لاهتمام المسلمين بأحوالهم اذ الافرنج لا بد ان يسوقهم دافع المدنية وروابط الانسانية الى أن يحتلوا بلادهم فيصالحوا احوالها وينظموا اعمالها كما ذكر ذلك (روسفات) رئيس جمهورية الولايات المتحدة في خطبة له قال فيها : ( ان داعي الانسانية يضطرنا الى احتلال البلاد الضعيفة والغاب على الأمم المتحطة لترتب احوالهم ونصاح اعمالهم ورقمهم حتى يصبحوا مثلاما تماما وما نأخذه في انشاء ذلك من المنافع هو اجر ذلك العمل ) اقول ان هذا تحرير للابصار، وتضليل الأفكار. اذ لا فرنج قد يصالحون الأشياء لا الأشخاص ومثل هذا الاصلاح لا يفيد المسلمين وهم في حالة الانحطاط بل هو شبه باثياب المهندمة التي يضمنها الباعة على تماثيل الحشب، زخرف على ربة، ونقش على خربة. فان الأمة لا يمكنها ان تنازع غيرها سبيل الحياة الا بنفسها فاذا فقدت نفسها فهي فاقدة لكل شيء . ولا ترجع فائدة هذه الاصلاحات الا على الافرنج انفسهم فنتلهم فيه مثل من يعمر البيت بأجره ثم يسكنه مدة طويلة حتى اذا خرج منه يوما كان البيت قد عاد الى حاله الاولى .

اما اصلاح الأشخاص الذي هو أس كل اصلاح حقيقي فهو مالا يفعله الافرنج بل ما يدأبون في الغالب لصدده وردده. قال بعض نبهاء التونسيين وقد سئل عن حال بلاده ( تقدمت البلاد وتأخر اهلها ) ولا عجب في ذلك كله ما دامت سنة الاجتماع قد قضت بان تكون حياة القوي في موت الضعيف اه لمؤلف الرسالة .



أحوال المسلمين ونشر التعليم الذي هو وسيلة ذاك  
أي دولة قامت، أو راية نصبت، أو أمة خلصت، أو وحدة تألفت، الأبالجيات،  
الجمعية عامل لا يموت وأمة في واحد، هل اجتمعت الوحدة الإيطالية أو نهيات الجامعة  
السلافية والجنسية السكسونية، الأبالجيات السرية أو الجهرية. هذه الأمة  
الارمنية والطائفة المقدونية والفئة الكريتية على صغرها في الوجود، وكونها لا تكاد تذكر  
بين كل موجود، تعمل أعمال الجبايرة في الخلاص من حضيض الأسر، إلى أوج النسر،  
والأمة الإسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تنفض انتفاض الطائر في شباك الصائد  
ولا تعمل للنجاة عملاً. وكيف ترجو الوصول إلى الغاية وهي لا تنقل إليها قدماً، ولا  
تحرك شفة ولا قلماً، ومن طلب شيئاً وجده، ومن تركه فقداه.

ولا يعتذر الحيان المفقود القلب بأن عقد هذه الجمعيات مما يعتذر حصوله في البلاد  
الإسلامية الآن إذ أي جمعية انشئت لمثل هذا الغرض فلم تقابل بالكفران، وتخط  
بالنيران، ولكنها العزيمة التي ترى أن الموت في حياة الأمة خير من الحياة في موت  
وأنه لا محيص من الصدر أو القبر. على أن كثيراً من بلدان الإسلام الآن مفتوحة  
الابواب لمثل هذا العمل واخصها الممالك التي احتلها الإنكليز ويقرب سكانها من  
نصف المسلمين (١) على أن الممالك الأخرى متى علمت أن المقصد من العمل هو  
التعليم والتربية. لا يكون لها مجال في منعه. فإن منعه في الجهر فهل يمكنها أن  
تمنع في السر؟ وإن أمسكت الأفواه فهل يمكنها أن تضبط القلوب  
أما أولئك الآخرون الذين تراهم ينذرون بفناء الإسلام وانتهاء أمده ويستدلون

(١) أوجه كثيرة كانت تحماني دائماً أن أجزم بأنه من الضروري للمسلمين أن  
يتفقوا مع الإنكليز في السياسة العامة سوا في ذلك الذين تحت سلطتهم والذين تحت سلطة  
الدول الأجنبية الأخرى والمستقلون.

أما الذين تحت سلطتهم فيجب عليهم ذلك لأسباب كثيرة منها أن الإنكليز  
يطلقون في مستعمراتهم حرية الدين والتعليم والقول والتجارة ويكتفون من الفائدة  
بأن تكون البلاد سوقاً لتجارهم ومجالاً لارتفاقاتهم المالية. ولا شيء أنفع وأجدي على  
الإسلام من هذه الحرية التي لا توقف نمو الطغيان ولا ينجي عابه أكثر من وقوف  
القوة أمام ذلك النمو.



على ذلك بالأحاديث الموضوعة والأقوال التي افقها أعداء الدين قديماً لإدخال اليأس على قلوب المسلمين فيجب أن نسد أفواههم ونوحيق أفتاءهم ونسلو على أسماعهم قول الله تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وقوله تعالى : « يريدون أن يعطفوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتيم نورهُ ولو كره الكافرون »

أيها المسلمون جدوا في هذا امر لتجدوا ، وموتوا فيه لتحيوا ، واعرفوا قومكم قبل أن ينكروكم ، واحفظوا بلادكم قبل أن تضيعكم ، قد حدثت فيكم حركة عامة فأبدوها

ومنها أنه يمكن للأمة الإسلامية إذا ارتقت أن تخلص من نير الانكيز بالاتفاق أو بالقوة إذ قوة الانكيز البرية ضعيفة ، وقد صعب عليهم أن يخضعوا ثلاثمائة ألف من البوير أخيراً فكيف يخضعون ثلاثمائة مليون إذا أصبحوا مثل البوير

ومنها أنه إذا لم تكن الانكيز بين ظهرانهم فلا بد أن يكون غيرهم من الأمم الأجنبية إذ الضعف الذي هو علة تسلط أولئك لم يفارقهم فإن تسلطت عليهم دول أخرى كالروسيا في آسيا أو ألمانيا وفرنسا في إفريقيا ودهمتهم بما عندها من الجند الذين لا يقاؤون عن خمسة عشر مليوناً فقل على المسلمين السلام .

على أنها إذا لم تنكل بهم فأنها تسد أبواب الحرية الدينية والسياسية في أوجههم . هذه تونس ابطل منها الحج ، والجزائر لا تدخاها جريدة اسلامية حرة كالمؤيد وركستان لا يقرأ في مدارسها أي الجهاد من كتاب الله ، وجاوه أصبح المسلمون فيها من الضفط والاهانة في مرتبة الحيوان الاعجم .

وأما المسلمون الذين تحت سلطة الدول الأخرى — فللاسياب المتقدمة جميعها ولأن مصلحة الانكيز في خلاصهم من يد تلك الدول وهي أقدر الناس على هذا في الحقيقة إذ هذه الدول (ماعدا الروسية) لاتصل الى ممالك الاسلام الا من طريق البحر ومنح البحر في أيدي الانكيز .

وأما المسلمون المستقلون فيجب عليهم الاتفاق مع الانكيز ايضاً لأوجه منها أن مصلحة الانكيز تفضل بقاء هذه الممالك مستقلة غير محكومة بدولة اجنبية وذلك لان روح هذه الأمة التجارة وما دامت الممالك الاسلامية مستقلة فأبواب التجارة مفتوحة وطريقها مأمونة فإن احتلتها دولة اجنبية فهناك الخفاقة والخطر . ولهذا



وتحملوا فيها الأذى . هذا صوت القرآن ينادىكم . وداعي الله يستدعيكم « يا قَوْمُ مِنَّا أُحْيُوا  
دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَّكُمْ مِّن عَذَابِ النَّارِ »

### الهدايا والتقاريظ من باب الآثار الأدبية

( المؤلف العظيم ، في روم التعلم والتعليم ) كَتَبَ الشيخ الإسلام زكريا الأنصاري  
المتوفى سنة ٩٢٦ ذكر فيه شروط الاشتغال بالعلم وآفاته . ثم ذكر العلوم المعروفة  
في العربية وتعرفاتها . أما ما ذكره من الشروط والآفات فهو حسن جداً . ويأيت  
أهل الأزمهر يتدبرون قوله ويسيروا على منهجه كما يقرأون منهجه في الفقه وغيره من  
كتبه . فقد ذكر من الشروط أن يقصد بكل علم ما وضع له وهم يقصدون بكل علم  
المنافسة بعبارة كتبته . وذكر منها أن يشتغل كل طالب بالعلم الذي يميل إليه طبعه لا  
كلَّ ميسر لما خلق له وهم لا يراعون هذا . وذكر منها اختيار الكتب الحيدة وهم  
قد التزموا كتباً مفضولة لأحجية لهم على اختيارها الاتقيد الآخر لمن سبقه في ذلك .  
وذكر منها أن لا يدخل علماً في آخر وهذه الحواشي التي التزموها قد امتزجت فيها  
المعلوم المتزجاء فصارت أخلاطاً وأمشاجاً

وأما ما ذكره في تعريفات العلوم وفوائدها فقد جرى فيه على المعروف عند أهل

السبب كان الإنكليز احرص الناس على مساعدة هذه الممالك على التقدم والنجاح  
والبقاء ومن رأى مخاطبات السير ليارد سفير إنكلترا للباب العالي بعد الحرب  
الروسية وجد غيرة كبيرة على مستقبل الدولة

أما استيلاء الإنكليز أنفسهم على بعض الممالك الإسلامية فهو في الغالب لتحقيقهم  
وشك وقوعها في أيدي غيرهم ان لم يسبقوا إليها . على أنه لو لادماء الإنكليز وأموالهم  
لا يتولى الروس على القسطنطينية وعلى المعجم والافغان ومملكة فرنسا مراكن  
والظليان طرابلس وهكذا . ومن هذه الأسباب يعلم أن الممالك الإسلامية محتاجة في كل  
وقت إلى عضد قوي تنقي به أوربا . والإنكليز هم أولى الناس بهذا إذ تجمعهم مع الأمة  
الإسلامية كراهية أوربا للفريقين وكرههم لها

هذه هي أفكارى في هذا الموضوع ولولا أن هذه المسألة جوهرية بالنسبة إلى  
مستقبل الإسلام لما احتجت للتمرض لها في هذا المقام . اهـ المؤلف الرسالة



عصره في الغالب وفيه خطأ وقصور من اغرب ذلك قوله في الكيمياء : « علم بأصول يعرف بها معدن الذهب والفضة » وقوله : « علم الهيئة علم يعرف به الاجرام البسيطة من حيث كمياتها وكيفياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها »

( تعريف اصطلاحات علم الأصول ) رسالة أو مقدمة للشيخ زكريا الانصاري أيضاً ينبغي لمن يتعلم الأصول الاطلاع عليها فانها تؤنسه بتلك الاصطلاحات على ما فيها من خطأ وقصور . ومن غريب ذلك قوله في تعريف المعدوم : « ضد الموجود » مع قوله عقيب : « الضدان أصران وجوديان يستحيل اجتماعهما في محل واحد » وهذا يفيد أن المعدوم من الامور الوجودية !! ومنه قوله : « الذاتي ما يستحيل فهم ذاته قبل فهمه » ومنه تعريفه العدل والعدالة بالاعتدال والثبات على الحق . وانما نهت على هذه الانغلاط لألفت طلاب الازهر الى عدم التسليم بكل ما قال الشيوخ المؤفون لانهم ألفوا وماتوا هذا وقد طبع الرسائلان أو المقالتان أو الكتيبان الشيخ أحمد عمر المحمصاني الازهري وجعل لهما مقدمة وخاتمة فكان جميع ذلك ٣٦ صفحة صغيرة ولكن الثمن أصغر من ذلك فهو نصف قرش صحيح

( المعلقات السبع ) هي أشهر من أن ينوء بها ثما من مشتغل بالعلم الا وهو يعلم أنها أبلغ ما يؤثر عن العرب في الجاهلية وأنها يحتاج اليها في اكتساب ملكة فصاحة اللسان وذوق اللغة ولكن نسخها التي في الأيدي غير موثوق بضبطها وصحتها لذلك ابرى الشيخ أحمد عمر المحمصاني الى تصحيحها وضبطها على الشيخ محمد محمود الشقيطي وهو كما يعلم القراء امام اللغة في هذا العصر وقد طبع النسخة المصححة مضبوطة بالشكل وذكر في هاشمها اختلاف الروايات وأضاف اليها القصيدة المعروفة بلامية العرب مضبوطة مثلها وجعل ثمن النسخة من الورق الأبيض الناعم قرشين صحيحين والنسخة من الورق الباتي قرشاً ونصفاً فنحت كل مشتغل بالعربية على حفظها بهذا الضبط والتصحيح . ويا حبذا لو كان أضيف الى ذكر الروايات تفسير الغريب ( سفينة النجاة في قواعد النحاة ) اسم لكتاب تعليمي مؤلف من أجزاء طبع الثالث منها أخيراً طبعاً حسناً مضبوطاً بالشكل على ورق حسن وهو أوسع من كتاب النحو الرابع الذي يقرأ في المدارس الأميرية او مثله لكنه أكثر تمريناً فهو خير كتاب رأيت في تسهيل تعليم النحو . ومما رأيت منتقداً فيه ذكر جمل فاسدة في التمرينات لأجل اصلاح التلامذة لها وعندي ان هذا مما يترك للمعلمين ولا يكتب في الكتب . والخطب سهل . ومنه ذكر بعض الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكم الماثورة مع تصرف



فيها بالزيادة والنقصان أو التبديل والتفسير والمعنى صحيح. وأعل المؤلف يعتذر بأن هذا من قبيل الاقتباس الذي اعتادوا التصرف فيه بالمأثور وهو عذر يقال وإنما انتقدت لأن القارئ يقع في الوهم من ذلك السرد الذي ليس مظنة للاقتباس إذ لم يعتد في مثل هذا المقام، أما مؤلف الكتاب فهو أحد (الفرير) وقد أشار إلى اسمه بهذه الإشارة (ح ط هـ) وأتبها بهذه العبارة «مفتش اللغة العربية في أحد المدارس الكبرى بالقاهرة»

### ﴿ المنار وجريدة » تربيت « الفارسية ﴾

جاء في جريدة تربيت الفارسية التي تصدر في طهران تحت عنوان (مجلة المنار) ما ترجمته أن العلوم والمعارف في هذا العصر قد بنيت في عمدة أقسام الدنيا كما ينبغي أن تبني، وأحكمت كما يجب أن تحكم، ولم يبق إلا القليل من الأمكنة التي يعيش أهلها بالأوهام الباطلة، والخيالات الواهية، جاعلين عنان اختيارهم بأيدي أهواء مختلفة ورياح متناوذة، يسلكون المناهج المظلمة عمياً لا يبصرون

أن معارف الفلاسفة الأقدمين وأفكار العلماء العرفاء من أهل القرون المتوسطة قد أصبحت مفاتيح لحكماء هذا العصر الجديد حتى سهل لهم بها تذليل الأقفال الصعبة، وفتح الأبواب الموصدة، وأصبح عمر الإنسان القصير من جراء هذه الاكتشافات يعد بالألوف من السنين. والعالم يفهم أن معنى العيش وحقيقة الحياة هو العلم ومن فوائد العلم القدرة على العمل ومن لا علم له لا قدرة له

والأشياء التي رومها الجاهل في عمره ويرجو أن يدفع بها آلامه وأوجاعه هي التي تولد الأمراض وتضاعف الأوجاع، فحكمها حكم الخمر التي يشربها الشارب في جنح الليل أصدع همومه فيحدث في صباحه ما يكثر همومه من الصداع والكسل قال أحد عبدة الخمر: إني لم أشرب في عمري غير جام واحد أترويح النفس وكل ما شربته بعد فائس كان لدفع ما أورتته تلك الكأس من الخمول والخمود

لا بعد فالغرض هو العلم إذ به أصبحت أكثر الممالك في هذا العصر جنات دانية الخفي وقد تسلسلت أنهار الفضل بعضها وصيرت السراب محراً متدفق الجوانب بالأمواه العذبة. وأحد تلك البحور الزاخرة التي ليس لها ساحل هو وادي النيل وكرسي الفراغة الذي صار حقيقة بأن يدعى في عصرنا هذا بعرش الحكمة. وأي دليل على ما نقوله أقوى من وجود منبع الفضل العلامة الأوضح مولانا الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية — متصلاً بالله بطول حياته — في الجامع الأزهر في القاهرة



(الجامع الأزهر هو مدرسة تحتوي على آلاف من الطلبة مشغولين فيه بتحصيل العلوم) وقبل هذا كثيراً ما تكلمنا عن الجرائد والمجلات المصرية وأنا نكرر الحديث فيها حتى لا نكون مدينين بشيء لشرح هذا المطالب المهم ولا يفوتنا مستحب مؤكده بل فريضة لازمة .

في هذا الأسبوع وردت على إدارة التربية ( مجلة المنار ) ففاز رواد المعارف الذين هم في حوزتنا الصغيرة من مطالعة تلك المجلة بأكثر المنافع وبها عرفنا منزلة صاحبها سيد الفضلاء الأستاذ الأمامي السيد محمد رشيد رضا ومقدار ما عليه حضرة من الفضل والادب أقول : لم يبق في هذا العصر الأمة المصرية شيء يغنيها من بلوغ مقاصدها السامية فإن أسباب الكمال مجموعة لديها فكتابها مثل السيد ومحررو أخبارها من ذكرنا قبل ومرشدها فيلسوف مثل فضيلة الشيخ الأجل الشيخ محمد عبده ( شكر الله مساعيه ) ودار كتبها الشهيرة ( المكتبة الخديوية ) لا يحيط بها الوصف . فإذا لم يصل أوائك القوم إلى أقصى درجات العلم والحكمة فلا أدري من أي جهة يكون التقصير وما هو السبب فيه .

المنار مجلة علمية أدبية تهذيبية هدية وفيها أخبار متنوعة تصدر في غمرة كل شهر وفي السادس عشر منه . هي جنس يجب أن يشرى بالروح . ومن زينة الحياة الدنيا أن هذه المجلة الواحدة تكفي وتفي . إن ما يسطر فيها يمزج بماء الحياة ويشرب فهو ينقذ من مخالب الاستسقاء المهلك ويحيي الروح ويخفي من الموت ولم يؤلف كتاب ولا رسالة أحسن من مجلة المنار . لأجل الوصول إلى الحقيقة ومن أيا الإسلام ولو أن ابن خلدون الحضر مي كان حيّاً لأم ما أقوله وأثبتته .

في كل مقالة من هذه المجلة الغراء أثر من طيب ريحانة الفاضل الخبير ، والنحير الذي ليس له نظير ، رئيس معالي قانوس كل علم ، علم الأعلام ، سند الإسلام ، فضيلة الشيخ محمد عبده دام علاه ، الذي هو كمال المشرق والمغرب وجهلما . وإذا راقى الآراء المعدودة من حكائنا في آراء العرفاء من الإفرنج قائل تلك الآراء هي تصورات ذلك المولى الكبير — أعني الشيخ محمد عبده جعل الله إلى أعلى المقامات منتهاء وإلى أعظم البحور طريقه ومن هذه الجملة أستنبط حسن حفظ المصريين الذين هم اخواننا المسلمون واعلم ان شكر هذه النعمة من الواجب . وبعد الأسف الكثير على حال المسجونين في ظلام الجهل أقول : نرجو لصر التي منحت فوق دار الكتب ودار الآثار والعائيات والمدارس كنوز معارف من المجلات المفيدة المفيدة . وما أطيب زمن طلاب جامع



الازهر إذ يحكمون مباني عقولهم وأفهامهم وينورون ساحات قلوبهم وأبصارهم بسماع  
حكمة تلك الكلمات والآيات وجواهر أحاديث الفيلسوف الأعلم، الجناب المستطاب  
المعظم، الشيخ محمد عبده سامه الله تعالى، بحسن من أهل بلادنا أيضاً أن يطلبوا  
مقداراً من هذه المجلة ويسرحوا النظر فيها وإذا نشأ عن ذلك خطايا لخطاياهم في عتقي.  
طلات حياة شيخنا الأجل الشيخ محمد عبده إذ فيها خير المسلمين، وإن شاء الله

سنزين أوراق «التربية» بشرح ذلك مع الفوائد العظيمة من مجلة المنار  
(المنار) لقد سبق أن قرّط المنار من علماء الاقطار وفي خير الجرائد والمجلات  
العلمية في مصر وغيرها ولم ننقل من ذلك شيئاً لأننا نرى أن نقل مدحه كما دح نفسه  
بنفسه ولكمنا غنياً بتعريب ما كتب في هذه الجريدة (تريبت) ونشرناه لأن صاحب  
الجريدة من أكابر العلماء والفضلاء، وخيرة الكتاب البلغاء، ولا لأن الجريدة لها  
المكانة العالية في نفوس كبراء الفرس وفضلائهم كما أخبرنا بذلك صديقنا ميرزا مهدي بك  
صاحب جريدة «حكمت»، الفراء، بل لأن صاحبها على مذهب الشيعة فأحببنا أن يعرف  
قراء المنار من أهل السنة أن من فضل الله تعالى على الاسلام والمسلمين أن نزع من  
قلوبهم في هذا العصر تلك التعصبات والتجزبات التي خضدت بها من قبل شوكتهم،  
وفرقت كلمتهم، فذهبت ريحهم، وخبت مصابيحهم، نقشت الظلمات وانجالت النجاسات  
عن فضلاء الامة فأبصروا أن مصابيحهم واحدة لأن جامعهم واحدة وهي جامعة الدين  
الحق الذي جماعهم اخواناً، ضار المسلم في فارس بفرح لاخيه المسلم في مصر إذا أحسن  
عملاً وبحزن لاخيه في مراكنش إذا أساء صنعا، وكذلك حال المصري يتنهج بما يسمع  
من حسن حال اخوانه في ايران، ويستاء إذا هضمت حقوقهم في بلوچستان، إلا ما  
يلفظ به بعض الاحداث، وإن لم يصادف أقل اكراث، فلا وطنية ولا عصبية، في هذه  
الديانة الاسلامية، وعلى كل حال يجب أن نشكر لأخيها صاحب جريدة (تريبت)  
حسن ظنه بنا وبالمنار على ضعفنا وتقصيرنا، أمام مقاله في الاستاذ الامام، فهو الذي اتفق عليه  
ذوو الافهام، ولكن الشرط في حصول المراد، هو كمال الاستعداد

### باب الأخبار والآراء

(مدرسة الشوريجي في كفر الزيات) — الناس معادن والاستعداد للخير يظهر  
أحياناً في أفراد لا يهتمدي أحد من الناس الى السر في ظهوره فيهم لأنهم لم يمتازوا في  
تربيتهم امتيازاً يرفعهم عن قومهم فيسند الى تلك التربية ما يندفعون الى القيام به من



الأعمال النافعة والمشروعات العامة \* وإنما يتعالى علماء النفس والأخلاق في التعاليل بأن ذلك الاستعداد جاء من الوراثية لأحد الأجداد السابقين وفاتهم أن الله في بعض البشر عناية أزيلى ، وفي بعض القلوب الهلوات خفية ، وليس هذا وذلك من الشذوذ عن التواميس القطارية . وأنت غير معروف بالتحقيق والتعليل الصحيح عند علماء النفس مصطلح بك الشوريجي تربي في الحقول والمزارع لأبي المكاتب والمدارس وهو لا يقرأ الكتب والجرائد التي ترعى في إنشاء المدارس والمستشفيات \* وقد وفق منذ سجن إلى إنشاء مستشفى ومدرسة للبنين والبنات في بلدة ( بمديرية البحيرة ) وأوقف عليها من الأرض ما يفي ريعه بنفقتيها ثم المصار يتردد إلى بلدة كفر الزيات ( بمديرية الغربية ) نعامدة أرامى اشتراها فيها ورأى أنه ليس فيها مدرسة للمسلمين شرع في بناء مدرسة للبنين والبنات فيها وبناء ميوت بجانبها توقف عليها . وكان يوم الجمعة الماضي يوم الاحتفال بالتأسيس وكان رئيس الاحتفال عدلي باشا يكن مدير الغربية وحضره كثير من الوجهاء والفضلاء \* وبعد أن وضع المدير الحجر الأول ~~على~~ الأساس على الطريقة الأوربية الجديدة دعي كاتب هذه السطور إلى الخطابة فقام وقال ما فتح الله به من بيان حسنات العلم ومنافعه في الزراعة والصناعة والتجارة وكل أعمال الحياة الاجتماعية لاسيما جمع كلمة الأمة وتوحيد مصالحها ومنافعها الذي يحقق به معنى الإنسانية \* ثم بيان أن نشر العلم الذي له هذا الشأن في الحياة هو أفضل الفضائل على الإطلاق حتى أن إنشاء المدارس له أفضل من إنشاء المساجد \* ثم الانتقال إلى بحث الأغنياء على إنشاء المدارس وبيان أن جميع طبقات البشر متقاربون في اللذات الحسية وإن أوهمت المظاهر الضرورية خلاف ذلك فلم يبق من فائدة للاستزادة من جمع المال إلا الشرف وكان في أيام الجهل محصوراً في الإنفاق على احتفالات الأعراس والمآتم ونحوه ولكن أهل هذا العصر لا يرون الشرف إلا في العلم والسعي في نشره أو القيام بمراته في نفع الناس فهني من يريد أن يكون شريفاً عزيزاً في الدنيا أن يسعى في إنشاء المدارس وعلى من يريد أن يكون سعيداً في الآخرة أن يسعى في ذلك أيضاً

ثم نهت بعد هذا على إقبال الثبسط على تسخير التعليم وتبقيهم المسلمين فيه مينا أن العلم هو القوة الكبرى فإذا وجدت في فريق من الأمة دون آخر يرى الفريق العالم أنه الأحق بالسيادة والرفعة وينشأ عن ذلك التنازع والتغابن بين الفريقين الجاهل فإذا كان هذا على نسبة قريبة منه في العدد والثروة يسرع إليه الغلب والثلاثي ويسود العلم على الجهل سرباً كما يرشد إليه قوله تعالى : « أن الأرض يرثها عبادي الصالحون »



أي الذين يصلحون إعمارها، والعمل بسنن الله في رقيتها، وإذا كان للفريق الجاهل قوة من العدد والمال يكون التنزع شديداً، وخراب البلاد وشيكاً، والنتيجة أن خير البلاد في أن يكون أهلها متفقيين على عمرانها ولن يتفقهوا في العمل حتى يتفقهوا في العلم بالمصلحة، وقد ذكرت أيضاً العلم النافع وأنه ما يصلح العمل له دنيا أو الدين أو ما يصلح الاعتقاد ويهتوم الفكر، ثم ختمت القول بحث وجهاء الغربية الحاضرين على محاربة وجهاء المتوفية في إنشاء المدارس وعقدت الرجاء بسعادة مدير الغربية وسعيه وبالله التوفيق ثم قام إبراهيم بك الهلباوي المحامي الشهير فألقى خطاباً مفيداً بين فيه أن العلم كان حلية وزينة في الزمن الماضي وصار ضرورياً للحياة في هذا الزمن، ومن كان كانوا يتمازرون بالسجاية القبطية فصاروا يتمازرون بالمعارف الكسبية ولذلك صار العلم حياة حقيقية والجهل مهانة حقيقية وضرب المثل بهنود أمريكا الذين تعرضوا لأنهم لم يقدرُوا أن يعيشوا مع المستعمرين العالمين - إلى غير ذلك من الفوائد التي اشتهرت بتنويه المؤيد بها، وقد ضم الخطيب صوته إلى صوتي في تعليق الرجاء مدير ثم قام جندي أفندي إبراهيم صاحب جريدة الوطن الغراء فألقى خطاباً قال فيه أن الذي حملاه عليه هو مقاله الخطيب الأول (صاحب المنار) في النسبة بين المسلمين والقبط وقال أنه موافق في القول وشاكر عليه، ثم ذكر بمآثر المصريين مشيدي الأهرام وذكر أن السبب في سبى القبط المسلمين في التعاليم هو العناية بتعليم البنات وإطال في بيان فائدة تعليمهن فجعله أهم من تعليم الذكور

وكان من محاسن الاحتفال حضور بعض التلامذة والتلميذات من مدرسة الشرحجي في البحيرة فخطبوا وانشدوا الأناشيد في مدح العلم ومؤسس المدرسة، ثم انصرف الناس داعين شاكرين

(الاستقبال الاسلام) شغلنا معظم هذا الجزء بهذه الرسالة الحافلة ليحيط القراء بفوائدها مرة واحدة، وإذا كان هذا رأي شيخ عامة المسلمين في القطر وهم الصوفية وما تقدم في مقالات (الاسلام والنصرانية...) هو رأي شيخ خواصهم من العلماء والكتاب، وقد اتفقا وبرهنا على أن المستقبل الاسلام والعاقبة للمتقين فلم يبق عذر للمسلمين في تهدير القول قدره والعمل في تحقيق حسن العاقبة



فقد عبادى الذين يستمعون القول  
فبهم من احسنه انك الذين هداهم  
الله واولئك هم اولو الابواب

# المسحاة

بؤنى الحكة من بناء ومن يث  
الحكة فقد اوى جبراً كثر اوى  
بذكر الاول والآخر

١٣١٥

( قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر في غرة رمضان سنة ١٣٢٠ - ١ ديسمبر ( تشرين ١٧ ) سنة ١٩٠٢ )

— أبصروهم ولا يسلوه ولهم مؤمنون —

اذا كان الله تعالى قد منحنا الدين ليهدينا به الى سعادة الدارين ومنافع  
الحياتين فلا غرو ان يكون لكل عبادة فيه وجهان احدهما روحاني  
ينظر الى توثيق عقدة الايمان وتهذيب الاخلاق والآخر اجتماعي دنيوي  
ينظر في احكام عمرى الارتباط بين المؤمنين الصابدين لتأكيد اخوتهم ،  
وتبرم جامعهم ، وتحقيق وحدتهم ، وقد اهتمدى علماء الاجتماع في هذه  
العصور الى وجوب توحيد عادات الامة لان الرفاق كلما كثر وتمدد ما  
به يكون اشتدت الاواخي وأمنت التراخي حتى يكون مجموع الافراد  
كالشخص الواحد ، فتراهم قد اتفقوا في انواع الماديات فهم يلبسون زيّاً  
واحداً أو يأكلون في وقت واحد ويشتهون في وقت واحد كما يتعلمون  
على طريقة واحدة ويتربون على مثال واحد ، وبهذا صاروا كأنهم اهل بيت  
واحد يتماطفون ويتماضدون بل صاروا في مجموعهم كالجسد الواحد كما



ورد الحديث في وصف المؤمنين

الصوم والصلاة عبادتان علمتا المسلمين الاولين مراقبة الله تعالى والتوجه اليه وطالب مرضاته فصاحت نفوسهم وسمت همهم وتهذبت اخلاقهم وعلمتاهم الاجتماع في اوقات معينة والاكل في اوقات متفقة فأرشدتاهم الى النظام وطرق الوحدة فصاحت احوالهم باطنياً وظاهراً فكانوا كما قال الله تعالى في خطابهم: «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتبعون» أو كالبنين يشد بعضهم بعضاً كما ورد في الحديث

مضت سنة الاولين من أهل المال إن الدين يضعف فيهم ويضمحل على هذا النحو - نزول حقيقته المعنوية أولاً ثم نزول بعدها صورته الظاهرة بالتدرج . الجسد الحي بقاءه بقاء روحه فإذا أزهقت الروح منه أسرع اليه التسادم التلاشي والاضمحلال . وإنما تزهق روح الدين بأمراض تعرض لها بعد فقد الأطباء الروحانيين أو إهمال خواص الأمة لهم وتركهم طبهم لأرواحهم عند مرضها . والسبب في رغبة هؤلاء عن مداواة نفوسهم هو أن الأمراض التي تلم بهم مستأذنة بل هي لا تعدو الإفراط في اللذة مع الجهل بالماقبة وما وظيفة الدين إلا هداية الانسان الى موقف الاعتدال في استعمال قواه الفكرية والنفسية لتبقى فطرته سائمة معتدلة

الصلاة افضل من الصيام لان سلطانها على الروح اعلى ، وجذبها اياه الى عالم القدس اقوى ، ولان تأثيرها في جمع القلوب والتأليف بين الافراد ابلغ ، وإشعارها نفوس الطبقات المختلفة معنى المساواة أشد ،

الصيام يذكر النفس بالسلطان الالهي عند ما تعرض لها الطيبات في النهار فتري انها ممنوعة منها بأمر الله تعالى شأنه وعند الفطر والسحور



إذا تذكرت أن تغيير مواقيت الأكل إنما كان لتحقيق هذه العبادة التي فرضها الباري جل جلاله على عباده ترويضاً لأرواحهم وجسودهم وتوذكيراً لهم على حكم قوام النفسية كيلا تفرط عليهم وتغني يستمدوا بذلك كله لتقواه جل وعلا . وأما الصلاة فكل قول من أقوالها وكل عمل من أعمالها فهو يفتح هذا الروح الحي فيقيم الصلاة لا في كل من يصلي لأن فصلاً بليداً بين إقامة الشيء على وجهه وبين الإتيان بصورته كالفصل بين خالق الإنسان وبين رسم صورته على لوح أو جدار

إذا قال مقيم الصلاة : الله أكبر : أعطته هذه الكلمة من تجريد التفضيل في التكبير أن الله تعالى أكبر من كل ما يوجد ويتصور فيطمئن قلبه بالتزويه وتستولي عليه هيئة الكبرياء والعظمة . ثم إذا قال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض : (وهو مستحضر أنه يعبر عن توجه قلبه ، إلى حضرة معرفة ربه ،) فإن نفسه تسمو عن الالتفات إلى الدنياه ، وتسمو عن الاشتغال بالخصائس ، وحسبك من الصلاة ما تطيه هاتان الكلمتان فكيف بك إذا تدبرت سائر الأذكار والتلاوة وفهمت ذلك القيام والتمود ، والركوع والسجود ،

كأنني ببعض الممكرين الذين يحكمون على الدين وتأثيره بما يجدون في أنفسهم وما يعرفون من حال معاشريهم والمعاشرين معهم يقولون : إن هذه الامعاني مخترعة ، وأسرار مبتدعة ، وخواطير سائغة ، وموازين غير راجحة ، وعذرهم في ذلك الحرمان ، وعدم تدبر سيرة الذين سبقتونا بالإيمان ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف وصف ، واست واقتنا هنا موقف الناظر ، ولم أقصد بهذا القول إقناع المسكبر ، وقد سبق للمشار



القول في بيان فوائد الصوم النفسية والبدنية والاجتماعية ( فليراجع في  
المجلدين الثاني والرابع ) وكذلك القول في فوائد الصلاة . وانما نريد الآن  
أن نذكر امراً غريباً في التصور ولكنه واقع شائع وهو ان كثيراً من  
الانس يصومون رمضان ولا يصلون الا في رمضان اولا يصلون مطلقاً .

الصوم من آيات الايمان فلا يجمع الكفر والجحود ولكن كيف  
يكون المرء مؤمناً بدين ثم هو يستبيح ترك افضل عباداته وآكد فرائضه  
وأعظم شعائره ، وما هي علة هذا الترك المطلق ، والإهمال المستغرق ،  
اذا كان الايمان هو الذي بعث ذلك الصائم على الصوم فلماذا لم يدعه دعاء الى  
الصلاة التي تلي الايمان في المرتبة ، أيتصور ان يكون لعله واحدة معلولات  
فتوجد ويختلف عنها اول تلك المعلولات وأولاهها ، ثم يوجد أضيقها وأقصاها ،  
هذا وطن من مواطن المعجب ، ولا بد من بيان السبب ،

قد يقال : اذا كان ترك الصلاة لا يجمع الايمان وترك الصيام لا  
يجمع الكفر فلا بد ان يكون من يصوم ولا يصلي في مرتبة بين المؤمن  
الصادق ، والكافر المارق ، وهو ما كانوا يدعونه المنافق ، فهو مرتاب  
يصوم لاحتمال صحة الدين ، ولا يصلي لفقد اليقين ، ويمكن ان يقال : ان  
صوم مثل هذا ليس من ثمرات الايمان ، وانما هو مجارة للاهل والجيران ،  
فهو عادة لاعبادة . ولو تركه المعشرون والاقربان ، لما بعث عليه القرآن ،  
ولذلك ترى الذين لا يبالون بالمعادات لقوة عزائمهم في العمل بما يتفقدون  
قد تركوا الصوم فهم يحاربون الدين جهراً ولا يحترمون اهل ولا ياملونهم  
من حيث هم به مستمسكون . ويصحح ان يقال : ان من تارك الصلاة  
المارق ، ومنهم المنافق ، ومنهم من يتركها مرض الجهل والكسل لا مرض



الارتياح أو الجحود . ولذلك يصوم هذا صوماً حقيقياً يفيد تقوى الله تعالى في أمور كثيرة فهو يظلم ويصدق ولا يشرب في خلوة لعله بأن الله تعالى يراه ولا يرضى له أن يكون ضعيف النفس مغلوباً لشهوة الماء يمضي الله لأجلها . فإن لم يلاحظ مثل هذا بالتفصيل فلا أقل من الإجمال

أما الجهل الذي يساعد الكسل على ترك الصلاة فهو ذو شعب كثيرة يوجد بعضها عند أبناء العصر الجديد وبعضها عند أبناء العصر القديم . يقول أبناء العصر الجديد : انت الله تعالى لا تعذب الناس إذا قصرُوا في عبادته لأن الدين لا يصح أن يكون عقوبة للبشر وإنما فرضت الصلاة لتعين على تهذيب النفس ونحن قد تهذبت نفوسنا فلا نرضى لأنفسنا أخلاق هؤلاء المصلين الذين فشا فيهم الكذب والنش والزور والطمع والدناءة الخ :

قول أشبه حقه بإطله ومسلك الجهل فيه دقيق . ولنا أن نقول لهم صدقتم في قواكم أن الدين لا يصح أن يكون عقوبة بل هو رحمة من الله تعالى قال تعالى لنبيه وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، وقال في خطاب المكلفين « ولو شاء الله لأغنتكم » ولكنه لم يشأ فله الحمد والشكر . وقال جل ثناؤه « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وفي معناه قوله عز وجل « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ولكن العقوبة على ترك الصلاة ليست من الحرج وإنما هي من الرحمة فإن الصلاة منفعة وترك المنفعة ضار لأنه وقوع في الضد وهي واقعة في الدنيا ومعقولة فمن الجهل الارتياح فيها . ألا ينظر هؤلاء القائلون في صنفهم والذين تعلموا وتربوا مثلهم كيف تفتك فيهم القواحش والمنكرات فتذهب بمالهم وبصحتهم وتكبل بالاسل والأغلال



وتسليمها إلى الأُجنب . وإذا وجد فيهم أفراد ساعدتهم الاستعداد الفطري وما يسونه (الظروف) والوراثة الطبيعية أسلفهم المصائب على تهذيب نفوسهم فهل استغنوا بهذا التهذيب الذي امتازوا به على العدد الكثير من أمته المريضة عن تكميل نفوسهم بما جأه الله تعالى . أليس لكل واحد منهم أمراض نفسية لو أقام الصلاة لو وجد فيها شفاءها . منهم الهلوع الذي يجزع لكل شر يصيبه حتى كأنه امرأة ضعيفة أو طفل صغير والذي إذا أصابه الخير أمسكه عن إعانة الضعيف ، وإغانة للضيف ، بل الذي لا يخرج منه الحق الثابت عليه الا نكداً . وإذا فرضنا أن جهله بحقيقة نفسه وحقيقة الصلاة زين له عدم حاجته إليها ولو لشكر الله تعالى وحفظ شعار الدين الذي ينتمي إليه فهل يُزين له أيضاً أن أهله من زوجة وبنين وبنات في غنى عن هذه الصلاة ؟ وإذا لم يكونوا في غنى عنها فهل يرى أن إقامتهم إياها من الأمور السهلة إذا كان هو لا يصلي ؟؟ أما صلاة فاسدي الأخلاق لذين يمثل بهم هؤلاء فهي شبيهة بصيامهم أي إنها محاكاة وتمثيل لحياة الصلاة الظاهرة .

وجملة القول في جواب هؤلاء أن اعتذارهم بعدم المقوبة على ترك الصلاة غير مفيد وأنهم لم يفهموا معنى الصلاة فيفهموا معنى المقوبة على تركها . ولو فقهوا تأثيرها في النهي عن الفجشاء والمنكر افقهوا معنى كونها رحمة تزي النفس فتطلع في الدنيا والآخرة . وكون تركها نقمة تدسي النفس وتسهل لها سبل الفواحش والمنكرات فتسلكها فتخسر في الدنيا والآخرة . لو تأمل المتأمل المؤمن بالله منهاها وما وصفتها به الكتاب العزيز لفقه ذلك . ولو علم أنها الآلية الكبرى في انقلاب أحوال مسامي الصدر الأول وتبدل أخلافهم ومسجياتهم لفقه ذلك . ولو كان عندنا اليوم عدد من مقيمي الصلاة



لاستغنيا عن هذا وذاك في تعليم الجاهل، وتنبه الغافل، واقناع المجادل،  
 هذا ما يقول لنا أبناء العصر الجديد وما قول لهم الآن بالاجازة وان  
 لنا امودة تفصل فيها القول تفصيلا ان شاء الله { وأما أبناء العصر العتيق  
 فان لهم من الضلال في فهم الشفاعات والمكفرات، والانتساب الى  
 اصحاب الاضرحة والمقامات، ما يصرفهم عن اقامة الصلاة، ويغل  
 أيديهم عن أداء الزكاة، فكيف إذا أضافوا إلى ذلك الغرور بالله والتشديق  
 بذكر الرحمة والمغفرة. وقد كشفنا من قبل جميع هذه الشبهات وأن  
 أكبر آية على ضلالهم في فهمها سوء تأثير هذا الفهم فيهم حتى انتهى بهم  
 أركان الاسلام وترك شعاره فكاد ينطمس مبناه، بعد ما جهل معناه، ولكن  
 خطباء الفتنة وعلماء السوء هم الذين يروجون هذه الاضاليل فهم قادة  
 المقادير، وعونهم على إضاعة الدنيا والدين، وكأنك بغربانهم تنفق على اعداء  
 المذاير بهذه المكفرات ومنها المكذوب على الله ورسوله كقولهم: إن الله  
 يعتق في كل ليلة من رمضان ستمئة الف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة  
 منه اعتق بقدر ما مضى: وامثال ذلك. وفي أقوالهم ما تصح روايته ولكن  
 الفساد في جهل معناه. لذلك نرى أكثر العامة يصومون ولا يصائمون ولا  
 يزكّون، ومنهم الذين لا يحآون ولا يحرمون،

الصوم اسهل على النفس من المحافظة على الصلاة ومن إيتاء الزكاة.  
 فهو الرسم الباقي عند أكثر المسلمين فاذا درس (والعياذ بالله تعالى) كان دروسه  
 خطرا كبيرا على الرابطة الاسلامية. لهذا نرى ان الذين يجاهرون بالإفطار  
 في رمضان من المسلمين الجغرافيين أشد فتكا بالاسلام والمسلمين من كل  
 مخالف يطمئن بمقائدهم أو يستأثر بسياستهم، ومن العجيب ان يوجد فيهم



من يتشدد بكلمة الوطن أو الامة . وأعجب المعجب ان بعضهم يذكر  
الاسلام ويظهر انه يتمنى عزته . ويحاول خدمته ،

اذا كان تارك الصلاة إنما يتركها ثقلاً من مقدماتها وشروطها  
وتكرارها فإنا أدله على ما يذهب بثقل هذه الامور كلها ويسهل عليه ما  
عسره اختلاف الفقهاء . وإنما يكون ذلك بالرجوع الى اصل الدين ، والعمل  
بما اتفق عليه جميع المسلمين ، فأما الطهارة فالغرض منها النظافة وهي مما  
يرغب فيه كل كريم النفس ويحراه بحسب استطاعته واما كون التنزه عن  
القليل من النجاسة والكثير شرطاً لصحة الصلاة فما اختلف فيه السلف  
الصالح والائمة المجتهدون فليتحرر الانسان التنزه احتياطاً الا اذا عسر عليه  
ولماذا محتاط لقول بعض الفقهاء حتى يترك الصلاة احتياطاً ولا يعمل بقول  
من لا يرى الشرطية ويقيم ركن الدين الركن احتياطاً . بل ان الذين اشترطوا  
طهارة الثوب والبدن للصلاة قالوا ان المشقة تجلب التيسير ولا حرج في  
الدين فمن صعب عليه الاحتراز من شيء فله رخصة فيه

وأما الوضوء فهو اسهل شيء اذا روعيت السنة ونبذت الوسوسة  
فقد ورد ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم توضأ ولم يقع شيء من ماء  
وضوئه على الارض فيسهل على العارف بالسنة ان يتوضأ من كوب ماء  
( كوباية ) وهو واقف او قاعد لا سيما اذا كان يمسح على ما يستر رجله ولو  
جوربا من قطن او صوف فان ذلك جائز عند كثير من الصحابة والتابعين  
وعليه الامام احمد

واما تمدد الصلاة فخير لصاحب الشغل الكثير من الترك ان يأخذ  
بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه والشافعي في سننه وغيرها وهو ان



الذي صلى بالصباحة الظهر والعصر في وقت واحد والمغرب والمشاء في وقت واحد « من غير مرض ولا سفر » وقد أول أكثر الفقهاء الحديث فحمله الشافعية على وقت المطر والمالكية على تأخير الأولى والتعجيل بالثانية وإكن في بعض رواياته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعليل ذلك بقوله « لئلا يخرج امته » فدل هذا على أن هذا الجمع رخصة والمزمنة في أداء الصلاة في وقتها أفضل ولكن الرخصة أولى من الترك كما هو واقع . كل واحد من هؤلاء المترفين الذين يتناقلون عن أداء الصلاة بفصل أطرافه عند القيام من النوم فإذا جعل ذلك الفصل موافقاً للوضوء الشرعي وصلى ركعتين شكر الله تعالى وحفظاً لأفضل شعار يربطه بأتمه وتعالجاً لمن يعيش معهم الدين بالعمل أو حملهم على التأسى به فاي ثقل عليه ثم إذا فعل مثل ذلك في وقت الظهيرة إذ يسكن إلى الراحة أو وقت الاصيل إذا شغل وقت الظهيرة فاي تب في ذلك وهو عمل لا يستغرق ربع ساعة؟ وكذلك وقت المشي عند ما يستريح من عمل النهار

اختتم القول بتذكير أبناء العصر الجديد بمسألة هم أعرف بتفصيلها من سواهم . وهي أن الأئمة الحجة يحافظ على عاداتها القوية وشعائرها الملية وإن كانت تمتد أنهم وضعية فلا يرضى أهل الرأي منهم بترك شيء من ذلك إلا إذا تبين لهم أنه ضارٌّ ضرراً كبيراً لا يشفع فيه حفظ الرابطة المماثلة بالثبات عليه ثم إنهم يروون في ذلك التروى الواجب . فما بالكم وأنتم تقلدونهم في الزي والحركة في الطريق (لا في العمل) ونى الماعون والاثاث لا تقلدونهم في الثبات على شعائركم والمحافظة على روابط جامعتكم ؟ تعلمون أنهم ما تركوا شيئاً إلا بعد أن استبدلوا به ما رأوه خيراً منه فإذا استبدلتم بهذه الشعائر



الاسلامية النافمة ، والروابط المالية الجامعة ، التي تتركونها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ؛ ألا إنكم تستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، تخاون عسى جاء منكم التي فيها عنكم وشر فكم في الدنيا وسما دكم في الآخرة وأنتم لا تشعرون ، فتوبوا الى الله للمسلم تفلحون ،

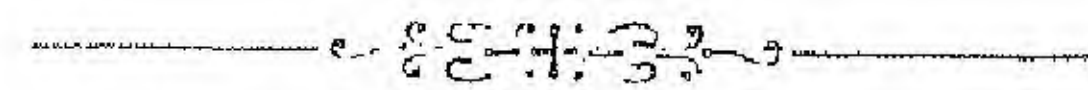
### ﴿ تفسير القرآن الحكيم ﴾

( مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده في الازهر )

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ .

تقدم تذكير بني اسرائيل بالنعمة في آية قبل هذه الآية مقرونا بالامر بالوفاء بعهده الله وبالوعد بالجزاء عليه ثم الامر بالخشية منه وحده وتلاها آيات أمرهم فيها بالايان بالقرآن ونهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمانهم . ثم أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم وبمنحهم على نسيان أنفسهم من البر مع امر الناس به وتلاوة الكتاب الداعي اليه ودلهم على الطريق الذي يذهب بهذا النسيان وهو الصبر والصلاة التي فقدوها بفقد روحها وهو الاخلاص والخشوع . وبعد هذا عاد الى التذكير بالنعمة بنوع من التفصيل فان النعمة في الآية الاولى مجملة والإجمال ينبه الفكر الى التذكر في الجملة فإذا تلاه التفصيل والبيان كان على استمداد تام اكمال الفهم فيكون التذكر أتم والتأثر أقوى والشكر على النعمة أرجى





### ﴿ كيف يكون المستقبل للمسلمين ﴾

قرأت في (المنار) الزاهر مقال سماحة السيد البكري فائق في نفسي  
آهلاً كبراً، وهاج من قلبي مرامي بماداً، ورأيت يتفق معي في الناية؛  
ويلاقي قلبي قلبي في الناية، إلا أنه سار إليها من طرق المعارف التشريعية،  
وانتهى إليها وجهة علم الظواهر البهوية، وناط ذلك المستقبل بالفواعل  
الدائمية، والاحوال الوسطية، من كثرة السكان، وخصوبة المكان،  
وعدم امكان الانسان المميشة في كل مكان، وهي قضايا يتناولها النقد،  
ويمكن فيها الاخذ والرد، والاقبال والصد، إن رضيا (جوستاف لوبون)  
ورفضها (لينيه) و(كاترفاج) و(داروين) و(وروسل ولاس) و(هكسلي)  
و(لامارك) و(كوفيه) و(بوفون) وغيرهم من إخوانه النفسيولوجيين،  
على أن تعليق حياة الاسلام على مؤثرات الوسط وعوامل المكان لا



بنايب مجده وعلو شأنه ، وأهميته أكبر من أن تدفع الكاتب إلى تحري  
 افكار الافراد لسكين الحواطر على نجاة بلدانه ، وسلامة اوطانه ، فان  
 كان الاسلام له المستقبل الباهر ، والآتي الزاهر ، فليس ذلك الا لكونه  
 الحق الصميم ، والنور الصريح ، والكلمة العليا ، والمحجة البيضاء ، أنشودة  
 الانسان ، وضالة العرفان ؛ ونظام العلم والدين ؛ وسلك الفلسفة الحسية  
 واليقين ، ان كان ينشره الصوفية اليوم بين الشعوب الشرقية ؛ المنحطة في  
 درجات المدنية ؛ والعلوم الكونية ؛ فينشره غداً لهايم الفلسفة الحسية ،  
 ويا فيخ المعارف الطبيعية . ليس لكونه كما اعتدنا ان نقول دينا جمع بين  
 المصالح الروحية والجسدية ويربط بين الأمور الدنيوية والاخرية فقط  
 هذه بعض مزايا الاسلام وتابع بسيط لتعاليم نسردها سرداً لبعض المقول  
 البسيطة التي لا تدرك غيرها ، ولا تتمسك بالدين الا من أجلم ؛ أما غداً وليس  
 ببعيد يوم تجي دولة الروح ويخرج الانسان من قهر المادة العمياء وسلطة  
 الطين الأصم وينتهي دور الخراف الحيوانية ؛ وتزول سلطنة البطن والامبال  
 البهيمية ؛ وينقلب شأن الانسان من حال مادي الى حال روحاني ، كما انقلب  
 من حال فطري الى حال فكري عتلي ؛ فتشرق الروح في عالمها وترجع الانسان  
 الى أداء مطالبا ؛ وتصيح به لأن يرجع بها الى محتها ؛ ويصعد معها الى  
 أوجها ؛ كما كانت تزججه المادة الى القيام برغائبا ؛ وتميل به الى عالمها ؛ وتطالبه  
 بالركون الى طينها ؛ ذلك اليوم تطلب الروح باباً لزوجها ؛ وترتاد طريقها  
 لصمودها ؛ تأنفت الى جثمانها فتراه عبثاً ثقيلاً ؛ ومازماً كثيفاً ؛ وأنى له اختراق  
 طبقات اللطافة المملكوية بها ؛ وكيف له السبح في الموائم النورانية معها ؛ هنالك  
 يكون التنازع بين الروح والجسد لا كما هو الآن تنازع بين مطالب غذائية



وزخارف مادية ؛ وأغذية دهنية وشحمية ؛ وألبسة قطنية أو حريرية ، بل  
تنازع في كيفية اعتمادهما معاً على الصبح في سبحات النور الاقدس ،  
والجري يدا بيد في باحات الكمال الاقدم .

هناك سيدور الانسان على نفسه دورة اخرى على محور لا يتخيله  
الآن الا كبار الافئدة كبار العقول . هناك سيكون الاسلام قائد تلك  
الحركة وسلطان تلك الدولة والداعي الى الكمال بلسان العدالة المطلقة  
والمؤاسي بمראה الشافية القلوب الياسة . هناك سيحوم الناس حول  
الاسلام كما يحول الفراش حول النور يطلبون نجاة ارواحهم واجسادهم معاً  
لأرواحهم فقط . هذه حقائق لا خيالات الا ان تجليها الاذهان يحتاج  
الى كلام كثير بل سفر كبير

فستقبل الاسلام فيما أعلم وأرى من هذا الباب دون غيره وهو اليق  
بملوشاته وأنسب لرفعة مكانه واولى به ديناً إلهياً ؛ ووحياً علوياً ؛ ولكن  
متى نصل اليه ؛ وأي نوع من أنواع الوسائل نمول عليه ؛ هذه جهة الخلاف  
بيني وبين سماحة السيد . يرى أن أنجع الوسائل لذلك فتح المدارس وترتيبها ؛  
وترجمة الكتب العلمية ونشرها ؛ ومشاطرة الاجانب في لغاتهم والتعمق  
فيها ؛ ورجو لذلك أن تمقد جميات ؛ وتشكل هيئات ، وتنضم أصوات  
وتتحد وجهات ، وتتفانى هم أئمة ؛ وتشكاتف عزائم إسلامية ؛ وتبذل أنفس  
عزيرة وأرواح ؛ وتباع في سبيل الوحدة بيع السماح ؛ وكلها مطالب سامية ؛  
ورغائب عالية ؛ ولكن هل تتحقق ؟

لنجل في إمكانها نظراً ؛ ونعمل في احتمالاتها فكراً ؛ فإن لاح لنا برق  
امل ضمنا صوتنا الى صوته ؛ والا أبدينا فيها رأينا ؛ وعززناه بأسلوبنا ؟



حكم السيد بأن لا وطن للإسلام ولا جنسية؛ وأن رابطتنا الوحيدة هي جامعة العقيدة وأصرة الإيمان ووشيجة اليقين. فليُنظر هل تلك الرابطة اليوم صالحة لأن تضم أجزاءنا وتلم شمسنا وتوجه عواطفنا إلى تيار واحد لنحقق بذلك آمالاً عظيماً؛ ونرأب بها من جسم هيأتنا صدوعاً جناساً؛ يضرب لنا السيد مثلاً بالجميات الأجنبية التي تألفت للوحدة الإيطالية؛ والجامعة السلافية، والجنسية السكسونية، وعاج من ذلك على ذكر الثورات الأرمنية والمقدونية والكريدية، ثم قال إنها «تعمل أعمال الجبارة في الخلاص من حضيض الأسر، إلى أوج النسر، والامة الإسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تنتفض انتفاض الطائر في شباك الصائد. ولا تعمل لإنجاة عملاً. وكيف ترجو الوصول إلى الناية وهي لا تنقل إليه قدماً، ولا تمحرك شفة ولا قفاً، ومن طالب شيئاً وجده، ومن تركه فقد»، ثم أردف ذلك بقوله: «ولا يمتدح الجبان المنقود القلب بأن عقد هذه الجميات مما يمتدح حصوله في البلاد الإسلامية الآن إذا أي جمعية انشئت قبل هذه فلم تقابل بالكفران، وتمحط بالانحلال، لكنها العزيمة التي ترى أن الموت في حياة الأمة خير من الحياة في موتها وأن لا محيص من الصدر أو القبر».

نقول ولستنا مجبناء ولا منقردي الذاب ولا يائسين ولا مفتونين: لقد سلك السيد في مقاله مسلك الكاتب الحماسي - ولكنه لم يسر سير العالم ولا الفيلسوف العمراني. ولو كان قبل أن كتب مقاله تدبر في ألوف المقالات التي كتبت قبل مقالاته بمشرين سنة وكان فيها من ضروب الخوض والحث والتعميس مالا يمكن المزيد عليه ومع ذلك لم تنتج أثراً؛ ولم تحقق



لكتابها ولا لخلافه أملاً ، لكان رجع إلى نفسه وعلم أن المانع للأمة من سماع تلك الصيحات ، والإصاخة لتلك الهيئات ، أمر جال وخطب كبير . ولترأت له أدواء يجب فحصها وعال لا ينجح دعاء بوجودها .

قررت العلوم النفسية ، وحكمت المشاهدات الوجودية ، أن الإنسان لا يعمل عملاً بل ولا يتحرك حركة الا وهو معتقد صلاحية ما يعمل او يتحرك من أجله ومتيقن من الوصول الى غايته فهل لدى فضلائنا الذين يطلب منهم تأليف تلك الجمعيات من العقيدة الراسخة واليقين الثابت ونحن في القرن العشرين ما يحملهم على تشكيل الجمعيات وبذل نفوسهم ونفائسهم دفاعاً عن حقيقتهم وقراءاً دون حريتها ؟

أنا أول من يقول بأن المستقبل الاسلام وكتبي ومؤلفاتي تشهد لي بذلك ولكنني لا أحب أن أجعل للخيال سلطاناً على قلبي ، ولا للجهالة التي تنطفي بمجرد الكتابة نفوذاً على إحساسي ؛ بل أعلم أنني عايش في عصر الفاسدة الحسية . والمدنية المادية . والممارف الطبيعية . وصرفت زماناً ليس بالصغير في فحص وسطي الذي أعيش فيه وامتني التي أنا بين ظهرائها ورأيت بالحس أننا إن لم نسع لمداواة عللنا من اصولها تنهنا في تطهيرها وضللتنا في علاجها وذهبت كل صيحاتنا أدراج الرياح كما ذهبت صيحات من كان قبلنا . أما دأؤنا الوحيد اليوم وسبب عدم صلاحية خاصتنا لاداء وظائفها الصحيحة فوهن العقيدة وضعف الايمان وما دامت على هذه الصفة فلا يرجى منها اجتماع على أمر البتة .

مجرد اعتقاد ان الاسلام دين يدعو الى الفضائل ومحض على الاخذ بالماديات والمعنويات ، مما وانه آخذ في الانتشار بين القبائل الشرقية ، او انه



مهيب الجانب في بعض البلاد الأجنبية ، كما اعتاد كثير من خاصتنا التفكر به في المجالس اظهاراً لغيرتهم على الاسلام وتحملاً لكثرة براهينه لا يفيدهم في اليقين شيئاً لان كلهم تقريباً ممن تعلموا اللغات الأجنبية ، ودرسوا العلوم الطبيعية ، والمعارف التشريعية ، ووقفوا على تعاليم ( داروين ) و ( جوستاف لوبون ) الذي استشهد به السيد وعرفوا منها ومن أمثالهما ان اصل الانسان قرد وانه لا آدم ولا حواء ولا كتاب سماوي ولا روح ولا نفس ولا حشر ولا نشر ومن يرد أن تعطيه صورة موجزة من فلسفة هذه المدنية التي يقرأها خاصتنا من عرفة اللغات الأجنبية ويعتقدون حقيقتها فاليه غير مضمون عليه

يقولون يامشر المتدينين انكم لو جردتم نفوسكم عن الهوى ، ووجهتم وجوهكم شطر الهدى ، لرأيتم انه ليس دينكم الا اثر من آثار الماضين ، وبقية من بقايا أوهام السالفين ، ليس لها من القيمة والقدر الا كما لساثر آثارهم الاخرى من العلوم الطبيعية ، والصناعات اليدوية ، فقد حكم العلم ( بماذا الله ) بان نواميس الكون كافية في تمثيل ظواهره ، وقوانينه قد فسرت اكثر غوامضه ، فلا داعي لفرض وجود قوى وراء الطبيعة ، ولا موجب لتبرئ عالم علوي بهذه المراتب المحسوسة ، أما الوجود فقديم إن لم يكن بصورته فبمادته الاولى . وأما القوى التي تصرفه فلا استئلال لها في ذاتها بل هي صفة لهيولاه الاصلية فلا مادة بلا قوة ولا قوة بلا مادة بل المادة في نفسها تظهر من مظاهر القوة المتحركة في الأثير من الازل .

أما الانسان وما نسبتموه اليه من نفس مستقلة عن الجسد وما منحتموها من صفة الخلود بمدفناؤه وتبعثر ذراته فيما تبطله الشواهد العلمية .



وتحميله البداهة التشريحية ، فقد قرر العلم ( وماذا الله ) أنه لا فرق بينه وبين غيره من الكائنات السفلية ولا ميزة له على سواه من الأنواع الحيوانية ، بل ليس هو في ذاته إلا حيواناً فاق في قوة التعقل والادراك غيره من أبناء نوعه . على أن أبناء نوعه ( الحيوانات ) غير محرومة من قسط مناسب من التعقل والادراك . وإذا أردت الدليل فدونك كتب حياة الحيوان ترى من آثار الفكر ونتائج التعقل ما يدل على تمام الدلالة على أن العقل ليس بوقف على الإنسان ولا هو وصفه المميز ، فإذا نسبت للإنسان روحاً مستقلة عن الجسد ومنهجها مزية الخلود والبقاء اعتماداً على القوة العقلية فلم لا تحكم هذا الحكم نفسه بالنسبة إلى الحيوانات أيضاً ؟ اليس هذا من آثار المعلومات السابقة النافذة حينما كان الناس لا يميزون بين ما يؤيده الحس والبيان وبين ما هو من قبيل الخيالات التي تنشأ في الوجدان بلا روية ولا إيمان ؟ أما الفضائل التي تفرعون الأذان بها . وتضربون وجوه مناظريكم بإصلاحها مدعين أنكم قادتها وزعماؤها . وإن لكم حق السيطرة على الناس بها . فإست في الحقيقة تبعاً لتعاليم من التعاليم القديمة لكتب خاصة يقوم بها رجال ذوو صفات خاصة بل هي تامة لنواميس طبيعية تظهر في الأمم الحية ظهور سائر آثار النواميس الأخرى فلا علاقة لها بدين البتة . الاترون أن كثيراً من المتدينين بمداء عن الفضيلة . مشغولين في غمرات الرذيلة . ودونك الإحصائيات المدققة التي يعتني بجمعها علماء الإنسان ترى أن أكثر أصحاب الجرائم من المتدينين المتشددون في الدين واليك كتب علماء الجرائم مثل ( لومبروزو ) و ( فريرو ) و ( سيرجي ) ترى العجب العجيب . بل انظر بعينك إلى الأمم التي تزعم أن لها ارتباطاً بالدين



وغيره على اليتين ألا تراها في حالة من الإجرام والتسفل تفضل عليها معها  
الامم التي تركت الأديان ، وجعلتها خبراً آكناً ، والتفتت للمدنية ، والمعلوم  
الطبيعية ، فاصبحت شؤنها ، ودبرت أمورها ، فقامت على قطب الاستقامة  
والاستقلال ، ونحت منحى الكرامة والجلال ، فكشفت لها المدنية عن وجهها  
الباسم ، وتجلت لها الحضارة في شكلها الفاتن ، فسيطرت على الامم الاخرى  
بعلومها وصنائعها ، وقهرتهم بقوتها وسطوتها ، كما صارت بالنسبة اليهم علماً  
في فضائلها وآدابها ؟ اذا كانت لا فضيلة بغير الدين وأنها لا تخرج عما  
حددتم لها من القيود في كتبكم فما سبب هذه الآثار المدهشة للعقول المضلة  
لإدراكك ؟ اذا كان الانسان كما تقولون خلق مستقلاً بذاته من طبيعة  
علاوية ، وأنه مستعد لأن يسمو بروحه اسمى منصة للحياة الملكية ،  
فلماذا هبطتم وعلا عليكم اولئك الذين يزعمون أن الانسان من سلالة  
القرود وان بينه وبين الحيوانات أواصر من القرني ووشائج من الرحم ؟  
اذا كانت الفضيلة كما تقولون لا تثبت للانسان بغير دين ولا تطبع بضميره  
الا بطابعه فلماذا حرمتهم من أصغر أنواعها وسبقتكم في باحائها من يقول  
أن الفضيلة صفة من صفات الحياة الانسانية والذيلة كذلك . تنشأ الأولى  
عند ما تكون شؤن تلك الحياة جارية على سمت منتظم ، ملائمة لقوانين  
الخلقة وتبرز الثانية في ضد تلك الحالة ؟

أما ما تزعمون من أن لا اقوام للامم بغير الدين ، ولا نظام لهم - سوى  
حبلة المتين ، فما لا يحتاج معكم فيه الى كبير جدال ، ولا كثير قيل وقال ،  
فدونكم الامم الغربية الكبرى قد بنت عظمتها بعلا شانه وأقامت وحدتها  
بتنازلة أشيائه ، ومع ذلك نرى لها كل يوم في سجل الممالي أثرًا جديدًا ،



وفي حدائق الفخار والمجد صرحاً مشيداً، فإن كان الحال كما ترعمون فها هذا  
الآثر المنعكس؟ وما تفسير هذا الأمر الملتبس؟ ليست كل هذه البراهين  
المحسوسة دالة على انكم متمسكون بأقوال لا يقوم عليها من عالم الشهود  
شاهد، ولا ينهض لها من وقائع الحوادث مدافع، لا جرم أنكم  
تأخرون وتقدم، وتخضون وتحكم، ولا غرو أن علونا وسفلم،  
وتعزنا وذاتم، كما لا عجب أن استخدمنا نواميس الكون وأسرتكم،  
واستغلنا خيرات الطبيعة وحرمتكم.

كل هذه الشبه المتعاضية قد نشأت في وسط العلم الأوروبي ونبع منها  
من بين ذرات دسم هذه المدنية المعجية فالتأت باكثر العقول أقذارها.  
وتسمت الفطر بسوءها، وقد سرت هذه السموم الى شبيبتنا الإسلامية  
التي نهات من دن الملوأ الاجنية نخلمتها عن مجموعها وذهبت بها مذهباً لا تجملها  
منع هؤلاء ولا هؤلاء، وكفى امة عجزاً وضعفاً وقصوراً وتأخراً أن لا يكون  
لشبيتها وجهة تسير عليها، ولا غاية تمتد لها وتوق اليها، وتدأب للحصول  
عليها، حلت هذه الشكوك والشبه من قادة النشأة وزعماء التقدم في البلاد  
الاجنية محلاً علياً، وجمعتهم يندون، منقداتهم ظهرياً، ولكن قام مقامها لديهم  
موقفاً غير قومية، وحمية جنسية اولفوية، ملت شمتهم وضمت اجزاءهم حيناً  
ظنوا فيه امكان قيامهم بدون الدين بل خالوا ان مصدر رفعتهم ومنبع نظامهم  
والثامهم، ومنشأ الفهم ووثامهم، هدم تعاليمه وتذريتها في الهواء مع الهباء ثم  
لما استقاموا على هذه المفازة الخطرة حيناً من الزمان ورأى قادتهم ورؤساء  
معارفهم ان هذه خطة عوجاء، وسراب ليس وراءه ماء، وان بالادمان  
على متابعة السير في خطهم هذه الهلاك المستأصل والجائحة الكبرى التي



أطلق نور مدنيهم ، وتهدم صروح عظمتهم ، وساعد هذا الأثر في نفوسهم الاحساس بالفراغ الذي ألم بصميم معناتهم الانساني وجوهرهم البشري من جراء فقد العقيدة التي هي لازم من لوازم هذه النفس الناطقة تمطشت قلوبهم الى الدين الصحيح وحنث فطرهم اليه حنين البائس ينتظر فرجه ويتفهم من شطر الخلاص نسمة . ولكن أين الدين ؟ كانت الفلسفة الحية فلسفة ( اجوست كونت ) وأتباعه القائلين بأن المعقول اذا لم يؤيده شاهد من الحس جاز أن يكون ضالاً آخذاً من الافكار مكانة لا يمكن قلعه منها وما دامت أسس الدين من عقيدة وجود الروح وخلودها في دار بعد هذه الدار مما لا يمكن الاستدلال عليها بمحسوس جاز أن تكون وهماً لاحقيقة له في الواقع . فهي على حسب أسلوب هذا المذهب الكثير الأشياء من قيل مالا يمكن إثباته ، وما لا بد من عدم الخوض فيه ، وما معنى دين بدون روح وخلود وآخرة فيها نعيم مقيم أو شقاء مستديم ؟ كيف الوصول الى الاعتقاد بدين مهما كانت تماثيله في عصر هذه فلسفة بنيه وتلك مبادئها ؟ ولكن الله سبحانه أكرم من أن يخيب سائلاً وأرحم من أن يطرد طارقاً فأرسل عليهم من جهة فلسفتهم هذه آيات تأخذ بالاعناق خضوعاً وبالأبصار والبصار دهشة وخشوعاً ، فذهبت أبحاث سموها ( اينوتزم ) و ( مانيتزم ) التبريم المغناطيسي و ( اسبرتزم ) استحضار الأرواح وغير ذلك استدلت منها عليهم على أن للإنسان روحاً وخلوداً فأنشأوا مشات من المجالات والجامع وعقدوا لها المؤتمرات والمحافل ، وألفوا فيها الكتب والرسائل ، وبلغ عددهم من العلماء الأعلام ، وقادة المعارف العظام ، والمحامين البارعين ، والكتاب المتفتين ، ما يزيد عن عشرين مليوناً كما سنوضحه بعد ان شاء الله . فهم على هذا لم يقوموا حتى نهضوا ولم يضلوا حتى أوشكوا يهتدون . ولكن شبيقتنا التي جرعنا من حوض علومهم وشبهت في أذهانها صور معارفهم لم يشأوا أن يوسموا دائرة معارفهم وكأنهم لم يعلموا أن ما يدرس في المدارس من العلوم الطبيعية والرياضية ليس الا قطرة من بحر لا تنقح صدى ولا تروي غلة . بل كأنهم يعتقدون أن العلم واقف حيث هو من عهد ( لفوازيير ) و ( تويسيلي ) و ( ماريوط ) و ( قواطط ) وان باب الرحمة الالهية أغلق في وجه بني آدم ( معاذ الله ) فلا صرحى بعد مرماهم ولا مذهب بعد مذهبهم ثم نسوا ما تعلموه أيضاً ولم تحفظ ذاكرتهم منه الا بشكلا مشوهاً من استنتاجات عرجاء ليس لها أصل ترتكن اليه ولا أساس تعتمد عليه فهم على مذهب ( اجوست كونت ) و ( داروين ) بدون أن



يكتفوا أنفسهم معرفة ماهية مذهبهما ، ولا أصول نظريتهما ، وكأنهم كفاهم في أن يكونوا ( اوجوستيين ) و ( داروينيين ) ان يزوا في بعض المجالات نبأ من فلسفتهم ما لم يرد على أسلوب صحيح ولا سلك فيه كاتبه ، سلك الاستقراء والتحليل . ثم انهم على فرض صحةهم في فلسفة علماء هذا العصر وتغافلهم في مناقبها تدقيقاً وتمحيصاً لم يكتفوا أنفسهم النظر في ماهية الاسلام وأصوله ليروا ان كانت مبانيه مما تهدمها هذه الابحاث أو هي بالمعكس تقويها وتؤيدها

أقول هذا ولا أنكر ان لدينا افراداً من رجال هذه النهضة صاروا لهامة علوم العصر تاجاً وتي ذروة العلماء الاسلامي عاملاً ، ولكنهم وبالأسف قليلو العدد مبثرون في الجهات مشغولون بالوظائف يتألمون لهذه الحالة مثل ما تألم ويرون أدواء نأمل ما نرى . هذه صورة مصغرة من الشبه والشكوك التي جرفتها اليها مدينة اوروبا والعقبات باذهان كثير من رجال نشأتنا التي استقت منها معلوماتها ، واخذت عنها لغاتها ، فهل بعد هذا يطوف بفكر عمراني باحث أو تحليلي مدقق انه يمكن جمع جمعية عصيتها الدين وجامعتها العقيدة وسلاحها اليقين ويكون من أثرها تشييد مهالي الاسلام وإرجاع مجده اليه ولو ببذل الارواح ، وبيع المهج ببيع السماح ؟ اللهم لا . أذن فلنختار احد أمرين اما أن نقبل شكل هيئتنا الاجتماعية من شكلها الحالي الى شكل آخر روابطها الوطنية أو الجنسية أو أي امر غيرها وهيات ان يتم لنا ذلك في ألفي سنة . وإما ان نتعهد رابطينا الأصلية وهو الدين ونجليه لتلك الأذهان ، في شكل يذهب شكوكهم وشبههم ، ويرجع الى تلك الفطر الاسلامية النათية نورها الصافي حتى تدور على نفس القطب الذي كانت تدور عليه تلك الأرواح الطاهرة والنفوس الكريمة روح سيد ولد آدم واصحابه الذين كانوا حجة الحق الدائمة . وانوار الفضائل الساطعة ، وخلفاء الله في ارضه وجيرانه في عالم قدسه . صل اللهم عليه وعليهم وتابعيهم آمين

محمد فريد وجدي

( المثار ) : ما دخل هذا القرن الميلادي الا وكان شغل طائفة من كبار كتاب أوروبا البحث عن مستقبل الاسلام فيه فكتبوا في ذلك المقالات الطويلة كل يظهر رأيه فمنهم من بشر ومنهم من أنذر . وقد كنا نسرعنا من عدة أشهر بكتابة مقالة في ذلك عنوانها « مصير الأنام » ومستقبل الاسلام » ولكن شغلتنا عنها مقالات « الاسلام والنصرانية » مع العلم والمدنية » ثم مقالة السيد البكري في الموضوع ثم



هذه المقالة . السيد البكري أحسن في بيان الأغراض التي رمى إليها ونتائجها صحيحة  
وان كان بعض البحث في المقدمات لا يسلم من النقد كما قال صاحب هذه المقالة ولكن  
لم يكن للتخيلات في كلامه ذلك السلطان الذي نسب إليه بل التخيلات الخطائية  
والشمرية في هذه المقالة أكثر ولا بأس بذلك إذا أريد به التأثير فيها بحمد وإثمها يذم  
إذا كان خلافة وخطاها وأما قوله : ان الجامعة الاسلامية لا ترجى لما رجاه السيد منها وان  
عقلاء المسلمين الذين طالبهم السيد بالعمل لا يمكن ان يعملوا واستدلاله بعدم تأثير المقالات  
الطويلة التي كتبت منذ عشر من السنين : فهو غير سديد فان كل ما كتب بحق واخلص قد أثر  
حتى احدث حركة عظيمة في العالم الاسلامي وان عقلاء المسلمين يشغلون الآن بما طالبهم  
به السيد وانما طالبته لزيادة اليان والنشاط والكمال . وانما لم يظهر أثر كبير اسمهم اضعف  
الاستمداد « الكل أجل كتاب » وفي هذه المقالة . وافقة على هذا فان الكاتب طالب المسلمين  
في آخرها بأحد أمرين وهم قائمون بالثاني منهما وهو السيد . ولعل من نبأ بمدحهم  
التنويم واستحضار الأرواح لم يزل أثرهما مبهماً ، ومستقبل أثرهما مجهولاً  
وآفاق مستقبل الاسلام عليهما لا يبحث المسلمين على عمل ، ولا يحكي في نفوسهم ميت  
الأمم . نعم اننا نرجو من كل ما يكشفه العلم من اسرار الخليفة تأييداً للإسلام سواء  
كان السر روحانياً او مادياً والقول الذي لا ريب فيه هو ان المستقبل للإسلام لأنه دين  
القطرة والاجتماع المرشد الى مصالح الروح والجسد والهادي الى الوفاق بين وظائف  
العقل ووظائف القلب . فلا بد ان يكون الاسلام هو الحاكم الأعلى في المدنية العليا  
عند ما تكمل هي ويظهر هو خالياً من التقاليد التي اضيفت اليه كما قلناه مراراً .  
وسنزيده بياناً . اما ما ذكره الكاتب من شبهات اوربا على الدين فهو لا يمس الإسلام  
لأن عقائده مؤيدة بالعقل وسيرة المسلمين اطهر سيرة البشر عند ما كانوا على الإسلام  
السليم من البدع . وعلى كل حال نشكر للكاتب الاول وللكاتب الثاني اعمال قاميهما  
في هذا الموضوع الشريف وكل منهما احسن في الوجه الذي كتب فيه ولا تنافي بينهما  
ولاتناقض في الحقيقة وكل ما كتبنا لا نمتنا من نشر ما كنا نؤمننا فيه ولكنه كفانا  
مؤنة التطويل « والله يقول الحق وهو يهدي السيل »



## ﴿ نعمة الاجتماع السادس لجمعية أم القرى ﴾

(تابع لما في الجزء ١٣)

ثم قال ( الاستاذ الرئيس ) للخطيب القازاني : ان الاخوان يترقبون منه أيضاً ان يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية

قال ( الخطيب القازاني ) : ان الاخوان الأفاضل لم يتركوا قولاً لقائل ولذلك لا أنجد ما اتكلم فيه وإنما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وافرنجي روسي من العلماء المستشرقين الصارفين باللغة العربية المولعين باكتشاف وتبع العلوم الشرقية ولا سيما الإسلامية وقد هداه الله الى الدين المين فاجتمع بمفتي قازان وقال له انه اسلم جديداً وهو بالغ من معرفة لغة القرآن والسنة مبالغاً كافياً وعالم بموارد ومواقع الخطاب علماً وافياً ف يريد ان يتبع القرآن وما يمكنه ان يتحقق وروده عن رسول الله فيعمل بما يفهمه ويمكنه تحقيقه على حسب طاقه لانه لا يرى وجهاً معقولاً للوثوق بزيد او عمرو او بكر أصحاب الأقوال المتضاربة المتناقضة لان حكم العقل في الدين المتعارضين التساقط وفي البرهانين المتباينين الهار فهل من مانع في الإسلامية ينمعه من ذلك فاجابه ( المفتي ) ان اكثر الامة مطلق منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرره احد المجتهدين الأربعة المنقولة مذاهم فاطباق الاكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ فقال ( المستشرق ) لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقدم وان خالف المعقول لاقتضى ذلك حواجية الوثنية ورجحان النصرانية ولاقتضى كذلك عكس حكم ماصح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان امته تفرق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة هي التي كان هو وأصحابه عليها وقد وقع ما اخبر به وكل فرقة تدعي انها هي تلك الواحدة الناجية ولاشك ان الاثنين والسبعين فرقة اكثر من اي واحدة كانت منها فابن يبقى حكم الأكثرية .

فاجابه ( المفتي ) انه قد سبقنا من اهل التحقيق والتدقيق الذين تشهد آثارهم بمزيد علمهم ألوف من الفضلاء وكلمهم اعتمدوا لزوم اتباع احد تلك المذاهب القديمة حتى بدون مطالبة اهلها بدلائلهم لأن مداركنا قاصرة عن ان توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح من غيرها ومثلنا في ذلك كالطبيب لا يلزمه ان يجرب طبائع المفردات كلها ليعتمد عليها بل يأخذ عامه بطبائهم اعما دونه أمة الطب .



فقال ( المستشرق ) نعم ان الطيب يعتمد على ما حققه الأولون ولكن فيما اتفقوا عليه واما ما اختلفوا فيه على طرفي نقيض بين نافع اوسامٍ فلا يعتمد فيه على احد القوانين بل يحلها ويجدد التجربة بمزيد الدقة والتحقيق لان اعتماده على احدهما يكون ترجيحاً بلا مرجع . هذا وإننا نرى ببادئ النظر ان هؤلاء الأئمة الأقدمين لم يقدرُوا ان يطلعوا على ما لا يقدر المتأخرون ان يطلعوا عليه ويكفينا برهاناً على ذلك ( أولاً ) تخالفهم في كل الاحكام الا فيما قل وتدر تخالفاً مهماً ما بين موجب وسالب ومحلل ومحرم حتى لم يمكنهم الاتفاق في نحو مسائل الطهارة وستر المودة وما يحل أكله وما لا يحل . ( ثانياً ) ترددهم في الاحكام وتقلبهم في الاراء وذلك كحكم أحدهم في المسألة ثم عدوله عنه الى غيره كما يقول اصحاب الشافعي انه كان له مذهبان رجع بالثاني منهما عن الأول ( ثالثاً ) اختلاف أتباعهم في الرواية عنهم كاصحاب أبي حنيفة الذين قلما يتفقون على رواية عنه وبأول ذلك لهم بعض المتأخرين بتمدد مذاهبه في المسألة الواحدة . والحاصل ان الانسان الذي يتقيد بتقليد أحد أولئك الأئمة ولا سيما الامام الاعظم منهم لا يتخلص من قافي الضمير أو يكون مخاطب ليل وعلى ذلك لا بد للمتحرري في دينه من ان يتهدي بنفسه لنفسه أو يأخذ عن يثق بعلمه ودينه وصوابية رأيه ولو من معاصريه لان الدين أمر عظيم لا يجوز العقل ولا النقل فيه المماشاتة واتباع التقايد .

أجابه ( المفتي ) نحن لا ننحتم بأن الصواب مقطوع فيه في جانب احد تلك المذاهب بل المقلد منا اما أن يقول باصالة الكل أو يرجح الخطأ في جانب من ترك مع احتمال الصواب .

فقال ( المستشرق ) هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله أو القول بالترجيح بلا مرجع لانكم تخافون المفاضلة بين الأئمة واعتراؤكم باحتمال المذاهب للخطأ . يقتضي جواز تركها كلها مع انكم توجبون اتباع أحدها أفليست هذه قضايا لا يتطابق ولا تنقل فلماذا لا تجوزون وانتم على هذا الارتباك ان يستهدي المبني لنفسه فإذا تحقق عنده شيء عن يقين أو غلبة ظن آتبعه والآ كان مختاراً ولا يكلف الله نفساً الا وسعها . أجابه ( المفتي ) اننا لبعده العهد لم يبق في امكاننا التحقيق فما لنا من سبيل غير اتباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه يحتمل الخطأ .

قال ( المستشرق ) ما الموجب لتكليف النفس ما لم يكلفها به الله ؟ اليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره فيستهدي بنفسه لنفسه حسب وسعه فان أصاب كان مأجوراً وان أخطأ كان معذوراً ويكون ذلك أولى من أن يأمر نفسه



للخطأ المحتمل من غيره .

أجابه ( المفتي ) ان هذا الغير أعرف منا بالصواب وأقل منا خطأ فتقليده

أقرب للحق .

قال ( المستشرق ) هذا مسلم فيما اتفق عليه الأقدمون اما في الخلافات فالمعقل يقف عند الترجيح بلا مرجع ولا سيما اذا كنتم لا تجوزون أيضاً البحث عن الدليل ليحكم المبطل عقله في الترجيح بل تقولون نحن أسراء النقل وان خالف ظاهر النص .  
أجابه ( المفتي ) اننا اذا أردنا ان لا نعد من شرعنا الا ما تحقق بانفسنا دليله من الكتاب أو السنة أو الاجماع نضيق حينئذ عنايا احكام الشرع فلا نفي بحل اشكالنا في المبادات ولا تعيين احكام حاجتنا في المعاملات فيحتاج كل منا ان يعمل برأيه في غالب دقائق المبادات والمعاملات ويصير القضاء غير مقيد بالمجبات شرعية وهل من شك في ان اطراد الآراء وانتظام المعاملات البقى بالحكمة من عدم الاطراد والنظام .

قال ( المستشرق ) لاشك في ذلك ولكن أين الاطراد والانتظام منكم ولا يكاد يوجد عنكم مسألة في المبادات أو المعاملات غير خلافية ان لم تكن في المذهب الواحد فين مذهبين أو ثلاث . هذا وربما يقال ان توفيق العمل على قول من اثنين أو أكثر أقرب للاطراد من الفوضى المحضة في تفويض الامر لرأي المبطل أو تفويض الحكم لحربة القاضي فيجيب عن ذلك بأن الامر ديني ليس لنا ان نتصرف فيه برأينا ونعزوه الى الله ورسوله كذباً وافتراراً وافساداً لدين الله على عباده ولو ان الامر نظام وضحي لما كان ايضاً من الحكمة ان يلتزم اهل زماننا آراء من سلفوا من عشرة قرون ولا ان يلتزم اهل الغرب قانون اهل الشرق وعندي ان هذا التضييق قد استلزم بامور مشاهد عنكم من ضعف حرمة الشرع المقدس .

ثم قال ( المستشرق ) واعيد قولي انكم تحبون ان تكلفوا انفسكم بما لم يكلفكم به الله ولو ان في الزيادات خيراً لأختارها الله لكم ولم يمنعهكم منها بقوله تعالى : ( مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ) أي مما يتماق بالدين (١) وقوله تعالى ( الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ) وقوله تعالى ( تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوها وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) ولكن علم الله الخير في القدر الذي هداكم اليه وترك لكم الخيار على وجه الإباحة في باقي

(١) يريد ان القرآن محيط باحكام الدين وما يناسبه لا بكل علم الله كما يتوهم الكثيرون



شؤونكم لتوفقوها على مقتضيات الزمان أبي الغير وموجبات الاحوال التي لا تستقر  
فناء عليه اذا أتيتم اكثر اعمالكم الحيوية باطمئنان قلب بالباحثها يكون خيراً من أن  
تأثروها وأنتم حيارى لا تدرون هل أصبتم فيها ام خالفتم امر الله فتمشون وأفتدتمكم  
منطرية تحاذرون في الدين شؤون المخالفة وفي الآخرة عذاباً عظيماً وليس هذا من مخافة  
الله التي هي راس الحكمة ولا من مراقبة الوازع التي هي منزلة الدين بل هذا من الارتباك  
في الرأي والاضطراب في الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والعزم في الامور

ثم قال : اعلم أيها المفق المحترم أن هذه الحالة التي أنتم عليها من التشديد والتشويش  
في أمر الدين هي أكبر أسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الأولى في شؤون الحياة  
كما انحط قبلهم الاسرائيليون بما شددته وشوشه عليهم أهل التلمود وكما انحطت  
الأم النصرانية لما كانت ( ارتوذ كسية ) مغلفة أو ( كاثوليكية ) متشددة يتحكم فيها  
البطارقة والقسيسون بما يشاؤون تحت اسم الدين فكانوا يكلفون الناس أن يتبعوا  
بما يلقونهم من الاحكام بدون نظر ولا تدقيق حتى كانوا يحظرون عليهم أن يقرأوا  
الإنجيل أو يستفهموا عن معني التليث الذي هو أساس النصرانية كما ان التوحيد  
أساس الإسلامية . وبقي ذلك كذلك الى أن ظهرت ( البروتستان ) أي الطائفة  
الانجيلية التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاصلية وأبطلت المزيادات والتشديدات  
التي لا صراحة فيها في الأناجيل والى أن اتسع من جهة أخرى عند الأمم النصرانية  
نطاق العلوم والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها فتأطفت أيضاً الكاثوليكية  
والارتوذ كسية عند الموم واضمحلتا بالكلية عند الحواص لان العلم والنصرانية  
لا يجتمعان أبداً كما ان الإسلامية المشوبة بمحشوات المفتنين تضلل العقول وتشوش الافكار .  
أما الإسلامية السمحة الخالصة من زوائب الزوائد والتشديد فان صاحبها لم يزل  
إيماناً كلما ازداد علماً ودق نظراً لانه باعتبار كون الإسلامية هي أحكام القرآن  
الكريم وما ثبت من السنة وما اجتمعت عليه الأمة في المصدر الاول لا يوجد فيها ما  
يأباه عقل أو يناقضه تحقيق علمي

وكفى القرآن العزيز شرفاً انه على اختلاف مواضعه من توحيد وتعليم وإنذار  
وتبشير وأوامر ونواه وقصص وآيات آلاء قد مضى عليه ثلاثة عشر قرناً ثم خضعه  
أفكار الناقدين الممادين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد كما قال الله تعالى فيه :  
« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » بل الأمر كما نبه إليه



المدققون المتأخرون أنه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبقة التاميم أو التصريح في القرآن. أودع الله ذلك فيه ليتجدداً عجزاً ويتقوى الإيمان بأنه من عند الله لأنه ليس من شأن مخلوق أن يقطع برأي لا يبطله الزمان.

فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان وغيرهم على أنها حقائق ولم ترد فيها عقول عامة البشر الوفا من السنين أصبحت محكوماً على أكثرها بأنها خرافات.

وكذا يقال كفى السنة النبوية شرفاً أنه لم يوجد في أعظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين من يربو عدد ما يميز إلى من الحكم التي قررها غير مسبوق بها على عدد الأصابع مع أن في السنة المحمدية على صاحبها أفضل التحية من الحكم والحقائق الأخلاقية والتشريعية والسياسية والتعليمية الوفا من المقررات المتكررة بحجلى أعظم قدرها مع تجديد الزمان وترقي العلم والمرفان.

وكفى بذلك ملزماً لأهل الإنصاف بالإقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوة والأفضلية على العالمين عقلاً وعلماً وحكمة وحزماً وأخلاقاً وزهداً واقداراً وعزماً وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزماً بتصديقنا في كل ما جاء به واتباعه في كل ما أمرنا ونهى لأن الدهر لم يأت بمشرد للبشر أكمل وأفضل منه (مرحى).

ثم قال (المستشرق) للمفتي وهذا مادعاني إلى الإسلام فليت والحمد لله وعندى أن لو قام في الإسلام سيرة حكماء دعاة مقدمون لما بقي على وجه الأرض عاقل يكفر بالله. ثم قال: واني أرى أنه لا يمضي قرن إلا ويكثر المهتدون من المستشرقين ويرسخون في الدين فيتولون تحرير شريعة الإسلام، ويفيضون بها على الأنعام، حتى على أهل الركن والمقام، ولا يبعد أن تأتي الأيام بالفرنس محمد المهدي النروسي أو الأكليري متلاً قائماً مقام الإمام، سيداً عن الإسلام يأكل نظام.

أجاب (المفتي): لا مانع مما ذكرت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ودين الله دين عام. لا يختص بقوم من الأقوام.

ثم قال (المستشرق): أيها المفتي المحترم لا يطأو عني أساني أن ادعي الغيرة على الملة البيضاء الأحدية أكثر منك أنما أناشدك بالله وبحبك لدينك أن تترك هذه الأوهام التقليدية القائمة في فكري وتعينني على تأليف كتاب يصور حكمة دين الإسلام وسماحته ليكون سعيًا هذا خيراً عظيماً ننال به نحر وتواب هداية عشرات الملايين بل مئات الملايين من الناس إلى هذا الدين المين. ولا يكبرن ما أقول على فكري فان أهل هذا الزمان



المستعيرين الأحرار لا يقاتلون بأهل الأزمنة المظلمة الغابرة . نعم وننال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من أبناء المسلمين العربيين تلامذة المدارس المصرية من هجر الإسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات الممثلة بثقل التشديدات المبتدعة فالبدار لأن نفوز بهذه الخدمة التي (يكاد) يعادل أجرها أجرني مرسل والله الممين الموفق .

اجابه (المفتي) أصبت فيما تفكرت ولمع ما أشرت به ولكن هذا عمل مهم يحتاج القيام به لنهاية جممية يتكون من تضاع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف لا إحاطة وحصول الثقة واسوء الحظ لا يوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ولذلك تحتم علينا أن نترك هذه الفكرة آسفين ندعو الله تعالى أن يباهم علماء مكة أو صنعاء أو مصر أو الشام القيام بأداء هذا الواجب .

ولما انتهى (الخطيب القازاني) الى هنا قال هذه هي المساجلة وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين فوجدهم كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الاسلام غير العرب مع أنهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الافرنجية بأصول تعليم العربية أسهل من الأصول المروقة عندنا .

قال (المجتهد التبريزي) اني أرى ان الاسلام اصابه قنطان عظيمتان واولا قوة أساسه البالغة فوق ما يتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن . أما الفتنة (الأولى) فقد قدرها الله ومضت على وجهها وهي حين نشاجروا في الخلافة والملك وانقسموا على أنفسهم باسمهم يقتل بعضهم بعضاً وتفرقوا في الدين لتفرقهم في السياسة .

وأما الفتنة (الثانية) فلم تزل . سميرة وهي ان الخلفاء العباسيين ملأوا الى تمصيق النظر في المقائد فخدمهم من خدمهم من علماء الاعاجم تقريباً اليهم في علم الكلام وأكثروا من القيل والقال ثم سرت المدوى الى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من المذاهب فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافات بين أبي حنيفة والشافعي وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحرباً صماء وتركوا بقية المذاهب فاندست ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد في جزيرة العرب ومذهب مالك في الغرب ومذهب جعفر في بلاد الحزر وفارس فأكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب كل مؤلف يحب ان يبدي ما عنده ليشتهر فضله وينال حظه من دنياه زاعماً ان غرضه استنباط دقائق الشرع



وتقرير على المذاهب فتزاحموا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضاً وكان من العلماء بعض الصلحاء الغضائين شاركوهم في الفتنة وهم لا يشعرون كما قال الله تعالى : ( وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَا يَشْعُرُونَ ) وقوله تعالى ( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُخْسِنُونَ صُغَاءً ) .

وهكذا اتسعت دائرة الأحكام في الشرع فصار الخلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع إلى الأصول فاطمأنت الأمة للتقليد وأقبل العلماء على التمهقات في الدين يغرب المفسر ويتفنن ولو بحكايات قاضي الخن لأنه غير مطالب بدليل ويتفحص المحدث عن نوادر الأخبار والآثار ولو موضوعاً لأنه غير مسئول عن سنده ويستلطف النقيه الحكم ولو بالشبه من وجه للأزم اللازم للعملة لأن مجال الأحكام واسع وهدد الفتنة لم تزل مستمرة إلى أن أوقفها قصور الهمم عند الأكثرين .

على أن هؤلاء المتأخرين اخلدوا إلى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدين ومبدأ الإيمان واليقين والتأرق بين الكفر والإسلام وجمعوا أنفسهم كالعميان لا يميزون الطامة من الزور ، ولا الحق من الزور ، وصاروا يحسنون الظن في كل ما يجدونه مدوناً بين دفتي كتاب لأنهم رأوا التسليم أهون من البصر ، والتقليد أسهل للجهل ، وصار أهل كل إقليم أو بلد يتهصبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين ويتخذون الخلافات مداراً لتطبيق الأحكام على الهوى لا يبالون بحمل أفعال الناس في الدين على عواقبهم يزعمون أن التسليم أسلم وإنهم أسراء النقل وإن خالف نظام التنسج يرون أن اختلاف الأئمة رحمة للأمة .

نعم إن اختلاف الأئمة يكون رحمة إذا حسن استعماله ويكون نقمة إذا صار سبباً لتفرقة الدينية واللباغض كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السفائية وبين أهل مصر والعرب والشام والترك وغيرهم من المسلمين وبين أهل عراق المجثم وفارس والصنف الممتاز من أهل الهند الشيعيين وبين أهل زنجبار ومن حولهم من الإباضيين فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم أنهم وحدهم أهل السنة والجماعة وإن سواهم مبتدعون أو زائغون فهال والحالة هذه ينوهم بما قل أن هذا التفرق والانشقاق رحمة لأنقمة وسببه وهو التوسع في الأحكام سبب خير لأسباب شر .

وكذلك اختلاف المجتهدين في كل فرقة من تلك الفرق لا يتصور العقل أن يكون



رحمة لا يقيد حسن استعماله، إلا فيكون نعمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكيه وحنفي وشافعي مثلاً .

والمراد من حسن استعمال الخلاف هو أن كل قوم من المسلمين قد اتبعوا مذهباً من المذاهب ترجيحاً أو وراثاً أو تسمياً ولا بد أن يكون في المذهب الأخذ به كل قوم بعض الأحكام الاجتهادية التي لا تناسب أخلاق أو تلك القوم أو لا تلائم أحوالهم الماشية أو طبائع بلادهم فيضطرون إلى الإقدام على أحد أمرين أما التمسك بتلك الأحكام وإن أضرت بهم أو الخوض إلى تقايد مذهب اجتهادي آخر في تلك الأحكام فقط وقد كان أكثر علماء وفقهاء المسلم من إلى القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثاني فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى واسكن بعد النظر والتدقيق في الأدلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الأصلية مثلاً يكونوا مقلدين تقليداً أعمى لا يجوز له الدين أساساً إلا لجاهل بالكلية .

وهذه الطريقة هي الطريقة المتبعة إلى اليوم في بلاد فارس والعلماء المتصدرون لذلك هم أفراد من نواحي العلماء المتصانمين في علوم ما خلد الدين وأكثرهم ولا سيما الإيرانيون منهم متفقهون ومخرجون من مذهب الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه) المدون عندهم ويطلق أهل فارس على هؤلاء العلماء اسم (مجتهدين) يجوز أو أبا عما لمادة الأعاجم في التمثالي في التبجيل ونعوت الاحترام ومن ذلك يعلم أن ما يظنه فهم أخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على أحوالهم الأمن تقوّهات السياسيين غير صحيح فما هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدين يجوزون الرأي في الإجماعات يخرجون الأحكام أخذوا من الدلائل الظنية ولو لم يقل بها أحد من علماء الصحابة والتابعين وأعظم أئمة الهداية الأولين ما أحرى مجتهد في فارس بأن يلقبوا بمخرجين أو مخرجين أو فقهاء مدققين

ثم إن بعض الناس دعوا المقلد لأحد المذاهب إذا أخذ في بعض الأحكام بمذهب آخر ملفقاً وسموا أخذه تلفيقاً واستعملوا لفظة تلفيق في مقام التلاعب في الدين أو الترقيع القبيح والحال أن ما سموه بالتلفيق ليس إلا عين التقليد من كل الوجوه ولا بد لسلك من أجاز التقليد أن يميزه لأنه إذا تأمل في القضية بحسب القياس هكذا يجب على كل مسلم عاجز عن الاستدعاء في مسألة دينية بنفسه أن يسأل عنها من أهل الذكر أي يقلد فيها مجتهداً وكل مقلد عاجز ملجأ عن الترجيح بين مراتب المجتهدين فبناءً عليه يجوز له أن



عائد في كل مسألة دية مجتهداً .

وما المانع على هذا الاعتبار من تسليم التقليد ان يتم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد أو فقيه تابع لمجتهد فإذا اغتسل بماء دون قلتين لحقته فطرة خروا واعتبره طاهراً كما علمه عالم مالكي غسلاً بدون ذلك كما علمه عالم حنفي وبعد حدث موجب توضأ ومسح شمرات من الرأس كما علمه عالم شافعي وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي ووصل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علمه عالم حنفي وأغلا يكون هكذا المقام صلى صلاة تحبها عند الله ؟ إلى ثم إلى تحبها بالضرورة حتى لا يقوم دليل على أن ذلك خلاف الأولى كما يقال في حق الخروج من الخلافات لأنه لا يمكن أن يكلف هذا التقليد بأخذ دينه منه من عالم واحد لأن الصحابة رضي الله عنهم مع اجتهادهم وخلافهم في الأحكام كان يصلي بعضهم خلف بعض مع حكم المؤمنين حتى حسب اجتهادهم بينهم صحة صلاة إمامه واشترائط صحة صلاة الإمام بصحة صلاة الإمام . وهل يتوهم مسلم أن أبا حنيفة كان يمتنع أن يأثم بمسالك أو يأن أن يأكل من يبيحه جعفر كالأكل كانوا أجل قدراً من أن يخطر لهم هذا التعصب على بال ومكان مخالفهم إلا من احتياط كل منهم لنفسه .

ويوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الإمام أو الفقهاء المعروفين بالمرجحين كل منهم كان مجتهداً لم يتقيد بمذهب إمامه تماماً وخالفه في كثير أو قليل من الأحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطلاع على أدلة مجتهد آخر أو الفتح عليه بما لم يفتح به على إمامه ولأن الذين يلزم المسلم بأن يتبع في كل مسألة منه الشارع لا الإمام وإن يميل في مواقع الاجتهاد باجتهاده لا باجتهاد غيره وإن كان أفضل منه .

وهذا أبو حنيفة وإمامه رحمه الله تعالى كانوا أفضل من أن يستقدوا في أنفسهم الأفضلية على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومع ذلك خالفوها في كثير من الأحكام الاجتهادية وفقهاء كل مذهب من المذاهب لم يزالوا إلى الآن يجوزون الاختلاف بقول الإمام ونارة قول أحد أصحابه مع أن ذلك هو عين التلويح فلماذا لا يجوز الحنفية مثلاً التلويح بين أقوال أبي حنيفة والشافعي أو غيره وليس فيهم من يقول إن أصحاب إمامهم أفضل من الشافعي ومالك وابن عباس فهذا لا يفريق بلا فارق وحكم يمسك الدال .



وقد نتج من التفريق بين المسلمين والتشديد عليهم في دينهم ومصالحهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لأمره تعالى (اقیموا الدین ولا تتفرقوا فيه). «مرحي» ثم ختم (المجتهدين التبريزي) مقاله بقوله: «وليس مقامنا الآن مقام استيفاء لهذا البحث وإنما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان جواز التلقيق إذا كان عن غرض صحيح كما جوزه كثير من فقهاء كل المذاهب». ولا شك أن ضرورة التلقيق أهم من الضرورة التي لأجلها جوزه الفقهاء الحيل الشرعية مع أنها وصمة عار على الشرع حيث لا يقلل أن يقال مثلاً أن الشفعة مشروعة دفعاً للضرر عن الشريك أو الجار ولكن يجوز هذا الإضرار للمحتاج. أو أن الربا حرام ولكن إذا أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفس جاز استباحة مقصد الربا. أو أن إيتاء الزكاة فرض ولكن إذا أخرج رب المال ماله قبل الحول ثم استماده سقطت عنه — إلى غير ذلك من إبطال الشرع وجعل التكليف تخيراً والتقييد إطلاقاً. ولا حجة لهم في هذا غير ما رخص الله به لايوب عليه السلام من التوصل للبر باليمين في قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تخش) وما أبعد القياس بين الخث وبين إبطال الشرع. ولا شك أن المسلمين بذلك صاروا كأنهم لا شرع لهم وقد غضب الله على اليهود لتجيلهم على صيد السبب فقط ونحن نجوز ألف حيلة منها بضرورة وبلا ضرورة.

بناءً عليه من الحكمة أن نلتزم للضرورات أحكاماً جهادية فيأمر بها الإمام إن وجد والا فالسلطان ليرفع الخلاف فتعمل بها الأمة مادام المقتضي باقياً فإذا ألح الزمان إلى تبدلها بقول جهادي آخر فكذلك يأمر به الإمام أو السلطان وفقاً للخلاف. ويمثل هذا التدبير الذي لا باباء شرعاً ولا تنافيه الحكمة أن تبدل بتلك الحيل الممثلة للشرع المسلمة الترتيبات كقوله واتفقه أحكاماً شرعية إيجابية لا زيف فيها وبخود ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب ويخلص القضاء والإفتاء من التوفيق على الأهواء. وحينئذ يحق أن الخلاف في الفروع رحمة. والحاصل أنه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون آخر فيكون سعيهم هذا منتجاً للتأليف وجمع الكلمة في الأمة.

قال (الأستاذ الرئيس) أنا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس وعلى غيرته لادين وقصده التأليف بين المسلمين أما تقريره بخصوص أن حكم الإمام أن وجد والا فالسلطان يرفع الخلاف وبخصوص أن التلقيق هو عين



التقليد فتقرر يحتاج الى نظر وتدقيق واستقواء بمثل هذه التدقيقات في المسائل الدينية  
التي بحث فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التي ستشكل ان شاء الله . واليوم قد  
قرب وقت الظهر وآن آوان الانصراف

### باب الادب والادب

(رمضان - المنكرات فيه) هم شهر الصيام ، والتلاوة والقيام ، والاقبال على الله ،  
والاعراض بقدر الامكان عن سواه ، وان تأثير ما يظهر في جميع بلاد المسلمين بترك معاهد  
انهو والكوف في المساجد وتغيير امادات الا ان هذا التأثير في هذه المدينة (القاهرة) اصبحت  
منه في سائر بلاد الاسلام فيما أعلم واظن ان ما تثار به من كثرة المراتلن تقرأ في البيوت  
ترى اكابر العلماء في غير القطار المصري قد اندبوا فيه لقراءة الدروس الدينية واللقاء  
المواعظ المؤثرة منتشرين في المساجد وترى مساجد القاهرة التي عدد علمائها يزيد على  
عدد العلماء في كل مدينة بواها خلة باسم الاقال كالمسجد الحسيني والمسجد  
الرباني . واكثر من يتصدى لوظائف العلماء الذين يغرون الاس بالاماني ويقصرون  
عليهم التخصص الحرفية والاساطير الوهمية . وفي كل سنة نذكر الشيخ عاليا البيضاوي  
شيخ المسجد الحسيني بوجوب منع هؤلاء القداميين منه وامامه يقول في هذا العلم  
يقول شيخ الأزهر في المسجد الزاوي لا يادن لأحد بالوعظ فيه الا اذا وثق بعلمه  
اذا كانت معاهد العلم والإرشاد ليست عامرة في القاهرة فلا تجب اذا عمرت  
معاهد اللهو والفسق حتى في رمضان فقد اطلقنا منذ أيام على (إشلال) يثار في  
الطرق والشوارع فاذا فيه أن زعماء من زعماء الملاحية قد استحضروا قضية شهر تورا قصة  
اربعة الاجل اجراء الي رمي ان الربيع . ان اولوهم عدد هؤلاء الذين الحرفيين  
الذين يخرجون بيوسهم بأيديهم ايمروا بيوت أعدائهم بقية من تيرة الملاية والشهامة  
الاسلامية لكافوا هذا المستهين بهم والمستهزي بديهم بالاعراض على قبيته وراقصته  
وان لم يتوبوا عن الفسق توبة نصوحا

### الجرائد ورمضان - أو - المنار والمنارات

سمعتنا من بعض أصحاب الجرائد المنتشرة الشكوى من بخل رمضان عليهم وهو  
أبسط الشهور في الاتفاق بدا ، واكثرهم في التوسع مددا ، ولكن هذا البسط هو  
السبب في ذلك القبيض أعني قبض الأيدي عن دفع اشتراك الجرائد لأن الناس  
يحبون الانفاق في رمضان على المآدب لا على الآداب وفي القرعات الدينية ، لاني



الكرات السياسية ، ولهذا لم يكن النار من الشاكرين ، وإنما هو من الشاكرين .  
 لأن حفظه في رمضان كخط أخواته منارات المساجد كما أن وظيفته كوظيفة كل منهما  
 وضع لدعوة المسامحين إلى الصلاة والصيام ، وكل منهما يزيد مدده في هذه الأيام ،  
 أما المنارة فمددها الزيت والقناديل ، وأما المنارة فمدده الدراهم والدنانير ، وحق المنارة  
 أكد وأثبت من حق المنارة لأن دعوتها عامة تشمل العقائد والأخلاق ، ودعوتها  
 خاصة بالصلاة والصوم ، ودعوتها يسميها الألوف ، ودعوتها يسميها تفرق قليل ، ودعوتها  
 مؤيدة بالبرهان ، ودعوتها تذكير مجرد لأهل الإذعان ، ودعوتها متوقفة على مدد القراء ،  
 ودعوتها لا تتوقف على الزيت ولا الكهرباء ، ولهذا كان إمدادها هذا متقدماً عند  
 المتورعين ، وترك إمداده متقدماً عند المتدينين ، وقد سبق إلى العمل بهذا الحكم  
 أهل المنصورة والسنبلاوين ، وستتلوه اليوم وشيخنا ، اللهم آمين

(بدعة جديدة في مسجد جديد) جدد ديوان الأوقاف مسجداً من المساجد المدعومة  
 في اليوم وقد احتفلوا بافتتاحه في يوم الجمعة الماضية بالصلاة فيه وكان الاحتفال بعد الصلاة  
 وسماع خطبة الخطيب الخرافية التي مدح وأضمرها فيها المسجد مدحاً استبطنه من  
 خروفيه . وبالله كيف يرضى المسلمون بأن يقول خطباءهم مثل هذا الكلام اللغو  
 الذي أمر الله تعالى بالأعراض عنه كما أمر بالاسماع للخطبة حتى أن حاضر مثل هذه  
 الخطبة لا يدري أهو مطالب بأن يكون ممن قال الله تعالى فيهم « والذين هم عن اللغو  
 معرضون » وقال فيهم « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » أم هو مطالب بأنه مثالي قوله  
 عز وجل « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا » على قول المفسرين أنها نزلت  
 في الخطبة ؟ ذأما كون ذلك من اللغو فيعرفه العامي إذا لاحظ أن كل حرف يكون مبدأ  
 كلمات تدل على معاني شريفة وكلمات تدل على معاني خسيسة فالدال أول حرف من  
 كلمة الدين والدعاء والدراية وكذلك هو أول حرف من كلمة الدنس والدناءة والدعارة  
 ثم قام خطيب الاحتفال بعد الصلاة وقال « أفتتح المسجد باسم الخديو » الخ ثم غني  
 في كلامه والناس تصفق له لاسيما عند ذكر الأمير حتى كأنهم انقلبوا عن الإسلام إلى  
 عبادة الجاهلية التي نزل فيها قوله تعالى « وما كان صلاحهم عند البيت الامكاه وتصدية  
 فذوقوا السذاب بما كنتم تكفرون » والتصدية هي التصفيق . فليعلم الغافلون أن  
 بيوت الله تفتح باسم الله والخشوع له وتجتنب فيها عبادات الجاهلية ، وبدع المدنية ،  
 فمن كان مخلصاً لسلطانة واميره فليدع الله تعالى فيها بأن يصاح شؤونهما ويوقفهما لما فيه  
 خير الملة والامة وإعلم أنها بيوت يستوي فيها المأمور والأمير ، في الخشوع لله العلي الكبير



( استشارة في أمر ذي بال ) رأى القراء فيما قرأوه من مباحث جمعية أم القرى في الاجتماعات الستة أن كل ما ذكره أعضاءؤها من أسباب فتور المسلمين وضعفهم يرجع إلى الدين والشؤون الاجتماعية والسياسة العامة . وفي الاجتماع السابع الآتي تفصيل أسباب الفتور في سياسة الدولة العثمانية وإدارتها وهي عشر ون سبباً . وقد كنا ذكرنا عند التوجيه بسجل الجمعية وذكر المزم على نشره في انبار أن مافيه من القول بسيئات الدولة العلية يؤلم أكثر القارئ وأننا نختار حذفه عند الوصول إليه . ولكننا رأينا كثيراً من الناس يفتند هذا الرأي ويقول إن قراء المنار كلهم أو جلهم من خواص الناس وأهل الفضل الذين يزيدهم العلم بميوب دولتهم حرصاً على بقائها وسعياً في إصلاح حالها أن استطاعوا فيجب أن لا يحرموا من الاطلاع على الآراء والمباحث التي دونت في سجل الجمعية . فلم يبق لنا هذا القول تمام الإقناع وأحياناً أن نستشير قراء المنار الآخرين فمن كان يرى نشر السجل برمته وذكر كل مافيه عن الدولة والترك نفسه سكوته دليلاً على رأيه . ومن كان يرى وجوب حذف ما ينتقد على الدولة فعليه أن يذكر لنا رأيه قولاً أو كتابة وإننا نرجع هذا الرأي إذا كان عليه عشر المشتركين ولا يصح لمن يسكت قبل النشر أن يلوم بعده .

( أشهر مشاهير الاسلام ) صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في سيرة سيدنا عمر بن الخطاب ( رضي الله تعالى عنه ) وفيه أبواب من العبرة واسعة ، ومباحث في التاريخ والسياسة الاسلامية نافعة ، منها بحث في حكم الاسلام في المسيحيين وحكم الاوربيين في المسلمين ، ومنه يعلم أي الفريقين أعدل . وبحث الردة وحقيقتها . وبحث كون دمشق كانت قاعدة القسائين أو كون سوريا كانت وطنهم . وبحث شجاعة المسلمين ومساعدتهم للرجاء في الفتح . وبحث الحكم الديني والشورى في الاسلام . وبحث الاستعمار . وبحث تدوين الدواوين وترتيب العمال وضرب النقود ووضع البريد والحكومة العسكرية والحكومة القانونية وبيت المال وغير ذلك مما يؤخذ من سياسة سيدنا عمر وسيرته العادلة التي تضرب بالامم بها الامثال ناهيك بذكر الوقائع والفتوح والقضاء . واننا نشكو من كثرة اغلاط الطبع فيه ولكتناواقفون على سببه وهو ان معظم الكتاب طبع ومؤلفه ( رفيق بك العظيم ) غائب في الشام ولما علم منع إصداره حتى استخرج له جدولاً أحصى فيه الاغلاط والحق به ولولا ذلك لصدر من بضعة أشهر . وصفحاته تزيد على ٣٠٠ وثمنه ١٠ قروش صحيحة وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من ادارة مجلة المنار بمصر ومن الكتاب المشهورة



يؤمن بالحكمة من بقاء من يؤمن  
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما  
يذكر إلا أولو الألباب

# المسحاة

١٣١٥

فيؤمن عبادي الذين يستمعون القول  
فيؤمنون أحسنه أولئك الذين هداهم  
الله وأولئك هم أولو الألباب

( قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر الثلاثاء في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٠ - ١٦ ديسمبر ( ٣ كانون أول ) سنة ١٩٠٢ )

## سير الانعام . ومهبر الاسلام

كتب الباحثون من أهل أوربا مقالات كثيرة في مستقبل الاسلام  
في القرون العشرين تخاضوا فيه من الجهة الدينية والجهة الاجتماعية والجهة  
السياسية حتى ضربوا في كل فج ، وهاموا في كل واد ، فمن زاعم ان  
المسلمين سائررون الى العدم والانقراض لأنهم اعداء المدنية الحديثة القائم  
بناؤها على سنن الكون ونواميسه التي لا تبدل ولا تتحول فهم بذلك  
أعداء الوجود ومن عادى الوجود فالعدم أولى به . ومن قائل ان هذه  
الامة الكبيرة لا تنقرض كما انقرض هنود امريكا لانهم أرقى منهم بما  
سبق لهم من المدنية ولكن يزول سلطانهم فلا تبقى لهم حكومة فتخطفهم  
الأمم القوية ويعيشون أذلاء مستضعفين ، اني أبدأ بالبدن ، ومن ذاهب  
الى أنهم سينهضون ، ومن يمد عليهم سيفلون ، وأختلف هذا الفريق في



هذه النهضة كيف تكون وأين توجد . فظن بعضهم أن ستكون بالأخذ  
بمدينة أوروبا وتنشأ في الهند ، فارس والاسمانه ومصر ورجح بعض أنها  
تكون بالمصيبة الدينية والقوة الحربية وتنشأ في افريقيا او الصين . وعقل  
كل من المختلفين عن منبتين آخرين لمجد الإسلام المستقبل وهما أوروبا  
وأمرينكا اذا أسرع بهما العلم ونظام الاجتماع الى الإسلام ، الذي لا بد  
أن تنتهي تلك الأمم اليه في يوم من الايام ، أو جزيرة العرب اذا أبطأ  
بهما سير العرفان ، وسنن العمران ، فظلت أوروبا تطارد المسلمين وتضطهدهم  
حتى يارز الاسلام برجالاته المحنكين الى جزيرة العرب كما تارز الحية الى  
جحرها ومن ثم ينفثون سموم التعصب في الشرق كله فما ينظر الأوروبيون  
فيه إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون

أراني عجبت برأي قبل التمهيد له وذكرت نتيجة لمقدمات مطوية  
ودلائل خفية ، فلا غرو أن ينكرها علي المسلمون ، قبل أن يعرفها  
الأوروبيون ، الا من بعد نظره ، وغاص في أعماق المسألة فكره ، فترك  
المنكر في انكاره ، وانسأير المتفكر في أفكاره ، باحثين معه في مسير الانام ،  
ومستقبل الاسلام ،

أين تذهب الأمم المتقدمة دائماً الى الأمام ، وإلى أي غاية ينتهي  
سير هؤلاء الاقوام ، وهل تزداد الشعوب المتقدمة تقدماً ، وتزداد الشعوب  
المتخلفة تخلفاً ، وتزداد الأمم الحية حياة والماتة موتاً ، حتى تكون الثانية غذاء  
للأولى كما قال اللورد سالسبوري سياسي انكارتا الكبير ؟

هل تبقى هذه المدنية الاوربية مادية حيوانية تبيع الفحشاء والمنكر ،  
وهل يحرف سيلها ما في بلاد الاسلام من بقايا العفة والصيانة والتراحم



والثواب هل حتى لا يبقى للمسلمين - وقد أخلقت فيهم اخلاق العمران -  
 من الصفات ما يستحقون به رحمة الله تعالى فيكونوا من المالكين ؟  
 هل تظل أوروبا تواب الدين كلما قلت حاجة السياسة اليه ، وعذبت  
 العلوم الكونية عليه ، وهل يكون حظ الاسلام عند المتعلمين الآتين ،  
 كحظ النصرانية عند المتعلمين الحاضرين والقابرين ، يتسائلون عنه لو اذا ،  
 ويمرقون منه زرافات واقدادا ؟

هل تنبت المدينة المصرية في ارض الاسلام كما نبتت في المغرب  
 وتنمو كما نمت وتثمر كما اثمرت سواء بسواء فيرجع المسلم التهقري الى القرن  
 السادس عشر الميلادي فيبتدي منه ؟ أم يكون اول سيره من نهاية  
 القرن التاسع عشر فتكون مدينته اسرع وانجلى ، ومعارفه أتم واكمل ؟  
 اذا اراد الناظر ان يستنبط الجواب من سيرة المسلمين الذين ولوا  
 وجوههم شطر المدينة ، ولتقروا هذا اللامح من العلوم الاوربية ، لا يسعه  
 الا ان يقول : ان حال هذه المدينة ستكون ( او هي كائنة منذ اليوم )  
 دون حال الاوربيين وانهم سينبذون الاسلام باسرع مما نبذ اولئك  
 النصرانية لان رؤساء الدين في النصرانية دولة لها في كل فرقة رئيس عام ،  
 وموظفون يسرون بقانون ونظام ، وهم مستقلون في ذلك عن الحكام ،  
 ولذلك تيسر لهم محاربة العلم زمنا طويلا ولما دالت لاعلم الدولة وفاز بالنصر  
 سالموه واستعانوا به على حفظ الدين حتى ان أزمة المدارس اصبحت في  
 أيديهم فلم يتركوا مدرسة بدون كنيسة . ومن عجزوا عن إقناعه بقضايا الدين  
 والزامه بالعمل به والدعوة اليه لا يعجزون عن إقناعه باحترامه والدفاع  
 عنه باعتبار أنه رابطة للجنسية ولا يزال لهم من السلطان في الامم المسيحية



حتى اكفرها بالدين كفر ناسا ما يخيف الحكام منهم فيضطهدونهم . وليس للمسلمين مثل هذه الرياسة المنتظمة في فرقة من الفرق ولا في قطر من الاقطار وما عند الشيعة من المجتهدين ليس لهم من النظام والثروة ما للأكليروس عند النصارى ولا يرجى منهم مثلكا كان من اولئك

ترجى رئيس علماء الدين في مصر — وان لقبوه بشيخ الاسلام — لا يرجع اليه بشيء من أمور المسلمين ولا يستشار في كيفية تعاليمهم وتربيتهم وليس له سلطان ما على اوقافهم الخيرية ، ولا إشراف على أعمالهم الاجتماعية ، وكذلك شيخ الاسلام الرسمي في دار السلطنة العثمانية لا وظيفة له الا تعيين القضاة والمفتين وعزلهم فهو موظف تحكم عليه السياسة ويعزله السلطان متى شاء . وليس له من الاستقلال في عمله مثلكا لرؤساء الديانة النصرانية على ان عمله للحكومة لا للامة . واكبر من هذا كله ان رجال الدين الاسلامي لا يعهد اليهم بشيء يستقلون به دون الحكومة ولا خدمة المساجد فالحاكم السياسي هو الذي يجعل امام الصلاة اماما وخطيب الجمعة أو الحج خطيبا فهو عند المسلمين رئيس ديني مستقل وان شرع لحكومته غير ما شرع الله ، وصار يحكم بين المسلمين باسمه دون اسم الله !!!

يقول الناظر : اذا كان حال الحكام المسلمين ما نرى من البعد عن الدين وصاروا كما قال الله تعالى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » . واذا كان المسلمون على هذا راضين عنهم وخاضعين لهم مع علمهم بأنهم إمام خاضعين للأجانب إما ظاهرا وباطنا وإما باطنا فقط . واذا كان علماء الدين لا يرجع اليهم شيء من سير الامة الاجتماعية والاشي ولا هم ينتدبون لذلك من أنفسهم ويجعلون الامة مستغارة الى الرجوع اليهم



والاعتماد في تربيتها عليهم . واذا كان المتعلمون على الطريقة الاوربية من المصريين والأتراك كثيراً ما يندون الدين ظريفاً ، ويحسبونه شيئاً فريفاً ، ويستحلون الخمر ، ويستمرعون سرعى الفجور ، ويفضلون الظلمة على النور ، واذا كان هؤلاء المتعلمون هم الذين يتولون الاحكام ، يأخذون من الامة بكل زمام ، واذا كان الناس على دين ملوكهم . والراعايا تبعاً لحكامهم . وناموس الاجتماع قاض بتقليد الناس لامراتهم وكبرائهم . أفلا يحق لنا ان نحكم بأن المسلمين سيكونون أسرع في ترك دينهم ممن سبقهم . فان كان الجهاد بين العلم والدين في اوربامدة خمسة قرون قد انجم ببقاء الدين في نمو ، وسلطانه في نفوذ وعلو ، فلا يمضي على المسلمين قرن أو قرنان ، الا وهو في خبر كان ، واذا لاحظنا انه ليس للمسلمين جنسية ولا وطنية تقوم مقام الرابطة الدينية . وأن الذين أحبوا الامتياز فيهم والانتفاع منهم بدعوتهم الى « الوطنية » لم ينجحوا لان تأثير الدين لم يجعل لهم تأثيراً بل عدتهم الذين يفهمون حكم الاسلام وأسراره أعداء الاسلام وان كانت اسماؤهم اسماء المسلمين - فلنا ان نحكم بأن المسلمين سيفقدون بانحلال الرابطة الدينية كل استقلال ، ويكون مصيرهم الى الزوال ، فلا تفيدهم سمعة البلاد ، ولا كثرة التعداد ، إذ لا كثرة مع فقد الرابط العام ، كما لا يكون المقعد بغير نظام .

هذا ما يقول الناظر بإحدى عينيهِ ، الى ما بين يديه ، واعني بإحدى العينين العين التي تنظر الى السوءى دون الحسنى والى منافذ الخوف دون ابواب الرجاء . واعني بما بين اليدين الظاهر الشائع من حال الامم دون الخفى الذي لا يرى الا بالتحديق ، وبنفوذ اشعة البصر من الحجاب الصفيق ،



ذلك ان كل انسان يدرك مما يشاهده ويمر به ما هو مستعد لإدراكه  
وينبو طرفه عما سواه وإن كان واضحاً جلياً . فما بالك اذا كانت ما يعلو  
استعداد الناظر الحسير خفياً سرده ، مجهولاً عند امره ،

إن سير الأنام يشبه سير الظل لانه لا تعد له الخدوات ، وانتقالها يحاكي  
انتقال النجوم السيارة لا يدركه لا وفقدت ، ولولا يد يمدد اذا انكر سير  
الظل وجزم بأنه واقف لأنه لا يرى حركته . والجاهل بعلوم الفلك يمدد اذا  
انكر بدت ان السيارات تدور من الغرب الى الشرق لأنه يراها تغيب في  
جانب الغرب فهو يرى أثر حركة الأرض لأنه قريب يكرر كل يوم ولا  
يلحظ . بسبب تأخر . علمه عن اقرب كل الله انضالا عن غيره من السيارات .  
كذلك يمدد الماخذ اذا جاء يدرس سائق فيها على الحذات والواخيل اذا  
قال ان غاية مدينة أوروبا ان تكون منسوبة الى الجور ولا غاية وراها . ويمد  
كليل النظر اذا جاء مصر رأت في كل شيء . ان ما كان يسمع اذا حكم  
على مستقبلها بعد ما كان يكلمه به وهو يمدد عنها ويتس من مستقبل  
الاسلام بالنسبة اليها

يمد بالياس اذا دخل الازهر فراء كالم الخيال لا أثر لحال الناس  
في علمه ولا أثر لعلمه فيما عليه الناس في سيرهم ورأى أن الآثار القامية  
التي تصدر عن مصر ليست منه في شيء ولا هي مرضية في الغالب  
عند اهله وانما جل علمهم مناقشة في أساليب المؤلفين وتدقيق في تحليل  
عبارات كتب مخصوصة اختاروا تدريسها . ثم رأى أن أهله غير محترمين  
عند طبقة من طبقات الأمة حتى ان الحوذني ( سائق المركبة ) ليسخر  
من المجاور في الازهر ومن العالم أيضاً إلا بعض الوجهاء الذين يحترمون



لناصهم التي بقيت لهم او اثروتهم وقليل ما هم  
 ويمذره إذا غادر الازهر الى المدارس فرأى فيها العناية باللغة  
 الانكليزية، أضعاف العناية باللغة العربية، ورأى التلامذة يتلقون تاريخ  
 الدين، عن المدرسين الأوربيين، ورأى علم الدين كالرسم المدارس، لا  
 يحفل به المدرس ولا الدارس، ووطن لذلك أن الانكليزية سوف تستبدل بالعربية  
 ويعذره إذا شاهد الجريدة الهزلية البذئية تطبع منها الوف من النسخ  
 فتباع بالنقد يدأيد ويتهافت عليها القارئون والدارسات من جميع الطبقات،  
 يلغون بها مقهقهين ولا مشار للقهقهة والكركرة، ولا للإلهاس والهرففة، ثم  
 يرى قراء المجلات العلمية والتهذيبية على قلوبهم يلغون ويطلون ولا يخرج منهم  
 حقها الانكده، ويعذره به إذا لاحظ حال تلامذة المدارس وبلا أخبارهم،  
 واكتشف ضمايرهم وأسرارهم، فرأى أكثرهم مشغولين بالسفاسف فاسدي  
 الترية قصيري الآمال لا هم لأخدم إلا أن يكون موظفا في الحكومة لا  
 يرفع شأن أمته ولا يخدم مصلحة بلاده ولكن ليكون رزقه مضمونا فلا  
 يتكلف عناء الاعمال، وان كان وراءها نعيم الاستقلال، - ويعذره به إذا  
 رأى الاغنياء والوجهاء لا هم لهم الا التمتع بالذات تنبسط أيديهم في  
 الإسراف والخيلة، وتنقبض عن الاعمال الجليلة

ويكون أعذر باليأس والقنوط إذا رفع بصره الى الحكم والامراء  
 ورأى الهوبة في أيدي الأجانب، وقد أخذتهم القن من كل جانب  
 هذا ما يراه الطرف القصير، والبصر الحسير، ويبنى عليه حكمه الجائر  
 واكن الاسلام يسير من وراء مدى طرفه سيرا طبيعيا، ويتقدم تقدما  
 تدريجيا، يسير بافته وعلومه سير الظل الوارف وينتقل انتقال الكواكب



من الغرب الى الشرق في الباطن ومن الشرق الى الغرب في الظاهر بل كل واحد من الخافقين يسير نحو الآخر كلما خطا المسلم الى المدينة الاوربية المسرفة خطوة خطا مثلها الاوربي الى الاسلام أو أبعد منها أو أقرب ولا ندري وهما في مبدأ السير أيهما يكون الاسبق الى تحكيم الاسلام في هذه المدينة المسرفة المائلة ليرجعها الى الاعتدال الذي هو غاية الكمال الممكن ولكننا نعلم أن التلاقي هو نتيجة هذا التقرب المستمر وإن ذلك لواقع ماله من دافع .

\*  
\* \*

ندع الكلام الان في الحركة الاسلامية العامة الى التقدم في كل قطر من الاقطار وتقرب الشعوب المسلمة بعضها الى بعض ونداء الشيعي والسني السلفي والتمذهب الى الاصلاح وفي امتداد هذا النداء وتأثيره . وفي الجمعيات الاسلامية وفي ترقى لغة الدين ( العربية ) ونقدمها السريع من غير نصير من الحكومات الاسلامية أو الجمعيات العلمية -- ندع هذا لفرة أخرى ونقول كلمة وجيزة في تقرب أوربا الى الاسلام بطبيعة العلم والعمران فيها لان هذا أغرب عند أكثر القارئین من الاول .

كانت أوربا في القرون الماضية تغتد أن الاسلام دين وتي نشأ بالسلب والنهب والاعتداء وإباحة الفواحش والمنكرات وأن أهله قوم متوحشون يتقربون الى أصنامهم وأوثانهم بسفك الدماء وكانوا يذنون على هذا الاعتقاد أنه يجب على أوربا السعي باستعبادهم أو محوهم من بلادهم ليسلم سائر الناس من شرورهم . والشواهد على هذا كثيرة في كتبهم فعندهم كتب كثيرة مؤلفة في سوء حال الاسلام والمسلمين ألفها القسيسون والسياسيون لتنفير الشعوب الأوربية من العالم الاسلامي حتى أنهم ترجعوا



القرآن الحكيم ترجمة مبدلة محرفة بل انهم اكتبوا وضعية منها ترجمة للقرآن لو قرأ المسلم منها ما سموه سورة الفاتحة ( وهي التي لا يجهلها مسلم ) ولم يذكر له ان هذا ترجمة القرآن لما خطر في باله القرآن عند قراءتها مطلقاً لانه ليس فيها معنى جملة واحدة من جمل الفاتحة الشريفة . ولو شئت أن أسرد الشواهد من كلام الاوربيين في ذم الاسلام ، ونبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، لأحتجت الى تأليف مستقل . وأهون وصف وصفه به الفيلسوف رنان الفرنسي <sup>(١)</sup> في كتابه ( ابن رشد ) قوله فيه « دين الخنازير أو القوم المنهكين في الشهوات » ومن التحريض عليه تلك الكلمة الخبيثة التي جاءت في مقال للدوسيو هانوتو وهي الاقتراح على فرنسا بأن تهدم الكعبة المشرفة وتنقل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى قصر اللوفر في باريس . ومن أراد الزيادة على ذلك فليقرأ كتاب ( الاسلام ) للكونت هنري دي كاستري الذي عربه احمد فتحي بك زغلول وطبع بمصر سنة ١٣١٥

هذه إشارة الى اعتقاد أوربا في الاسلام وقولها فيه وأما العمل فما زال الاوربيون يسومون المسلمين الخسف في كل بلاد لهم استولت عليها دول أوربا حتى خفت انكثرا ثم روسيا وطائهما عنهم من عهد قريب فاذا نت روسيا لهم بطبع المصاحف وكتب الدين وأعطتهم شيئاً من الحرية يتمتعون به الآن وكان ممن سعى بذلك لدى القيصر السيد جمال الدين الافغانى ( رحمه الله تعالى ) . وهذه انكثرا التي كانت ولا تزال أبعد أمم أوربا

(١) هذا هو رنان وهذا كتابه الذي اعتمدت عليه مجلة الجامعة في ترجمة ابن رشد فيلسوف الاسلام العظيم . فهل يوثق بقول متعصب على الاسلام هذا التعصب المشهور في أمر ما يتماق بالاسلام او تاريخ رجاله العظام ؟



وحكوماتها عن التعصب وأقربهن إلى التسامح كانت قاعدة الوظائف عندها في الهند أنه تكون للإنكازي فالأوربي فالوثني فالمسلم فما كان يوظف مسلم إلا إذا لم يقبل الوظيفة التي يتولاها أحد من هؤلاء .

انقلبت الحال بعد هذا في الاعتقاد وفي القول والعمل وفي السياسة فقد أقبل المدد الكثير من الأوربيين على دراسة لغة القرآن وعلوم الإسلام فظهر لهم فضل هذا الدين في الجملة وأنفوا كتباً كثيرة في فضله وصار أكثر الباحثين فيه يعتقدون بأن نبيّه كان يدعو إلى هذا الدين معتقداً بأنه ملهم من الله . ومؤيد من لدنه سبحانه وتعالى وأن ما جاء به إصلاح عظيم للبشر عقائده نافعة وأخلاقه محمودة وشريعته عادلة . ثم إن منهم من اجتهد في كشف الشبهات التي يوردها علماءهم على الإسلام وهي منه حقيقة كإباحة تعدد الزوجات بشرطها والرخصة في الطلاق والجهاد . وإن بعضهم من الأجوبة عن هذه الأمور المتقدمة في نظر قومهم أشد الانتقاد مالا تجد مثله لعالم من علماء المسلمين . وقد قام بعض القسيسين منهم يحاول الجمع بين الديانتين كاستحق طيلر الذي نشرنا بعض خطبه ومقالاته من قبل .

لم يقف التحول عند حد اعتقاد بعض الباحثين وأقوال بعض المؤلفين بل قصت طيبة الاجتماع بالعمل ببعض ذلك ومخالفة دينهم إليه لأنه ظهر لهم أنه ضرورة لا بد منها وذلك كالطلاق الذي صار مشروعاً عندهم وشائعاً فيهم . وكذلك ظهرت فيهم بوادر الحاجة إلى تعدد الزوجات حتى قام من الكتابات من يدعو إليه في الجرائد ( راجع مقالة « الرجال والنساء » ص ٤٨١ م ٤ ) وكأنك بهم وقد عادوا إلى ذلك بعد حين وسيجدون في الإسلام الطريقة المثلى لحل المشكلة الاجتماعية الكبرى التي من آثارها الفوضوية



والاشتراكية وتعصب المال الذي تفاقم خطبه في هذه الأيام  
ان ما كشفه العلم في الخلق والتكوين يوافق ما ينطق به القرآن . ان  
الآيات الكونية التي يفصلها القرآن في اثبات الألوهية هي أقرب الى العلم  
الحاضر والفلسفة الحاضرة منها الى فلسفة اليونان . ان الوحي الذي يطالب  
القرآن بالايان يمكن ان يقبله حتى العالم المادي من غير حاجة الى إبطال  
مسئلة ثابتة من مسائل علمه أو فلسفته . ان الأخلاق التي يدعو اليها  
القرآن هي أخلاق الاجتماع والعمران ، والعزة والسلطان ، ان أصول  
الأحكام والشرائع السياسية والمدنية والقضائية والحربية في الإسلام منطبقة  
على ما ثبتت فائدته للأمم الغربية وفيها مالم يصلوا اليه ، ولو عرفوه لمولوا عليه ،  
ان لكل داء من أدواء العمران وكل مرض من أمراض الاجتماع البشري  
دواء شافياً في القرآن يعرف ذلك الراسخون في فقه القرآن من علماء  
الاجتماع . وان من هذه الادوية ما ينفع بدين الايمان ومنها ما لا يتم الا  
به كدواء الزكاة لأدواء المسألة الاجتماعية الكبرى كما قال تعالى « ونزل من  
القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، وان المدنية الكاملة التي تسير اليها الأمم  
الرافية لا تكون الا بدين يجمع هذه الاصول الإلئية التي أجمعناها الان ،  
وقد جاء في المنار بعض التفصيل لها وسنزيدها تفصيلاً اذا أمهلنا الزمان  
ان المسلمين الاولين أخذوا هذه الاصول بالايان والتسليم فأسرعت  
اليهم بالسيادة والسماذة واماكن لم يلبث العلم بها أن ذهب وحل محله التقاليد  
الأعشى فتركوا الأخذ بحكمة القرآن الى أقول مقلديهم ولا غناء فيها عن كتاب  
الله تعالى فجعلوا في مجموعهم فقه هذه الاصول وزادوا عليها لا يوضحها ما  
أخفاها فساروا الى الوراء ، يخبطون خبط العشواء ، ولما تكمل مبدئيتهم ،



الأتري مقلدسهم في العقائد كيف تركوا في العلم الإلهي طريق القرآن، إلى نظريات  
 اليونان تأثراً بذلك الزمان، ألا ترى مقلدسهم في السياسة والأحكام كيف تركوا  
 أصول القرآن وما يوضحها من السنة وأستبدوا بالعمل، ألا ترى الأئمة بين هؤلاء  
 الرؤساء، من الملوك والعلماء، قد فقدت الاستقلال الاجتماعي وعمومات  
 معاملة السوائم من الانعام، هذا هو سبب ضياع أثر تلك الأصول في  
 سبيل الوصول إلى المدنية السكامة

الأوربيون يسرون الآن إلى الاسلام من طريقه فقد بدأوا بالبحث  
 في الآفاق فعرفوا من آيات الله فيها ما لم تعرفه الأمم من قبلهم وثنوا  
 بالبحث في أنفسهم فاهتدوا إلى كثير من سنن الله تعالى في قواها وفي  
 عملها الحيوي والاجتماعي، ثم أنهم يقرنون العلم دائماً بالعلم بل لا يحل عندهم  
 إلا ما أيده التجربة العملية، وكل ما علموه كان مقرباً من القرآن فما علموه  
 إلا أن يفهموه وقد أنشأوا في هذه السنين بدرسون لغته ويدرسونه بقوة  
 واجتهاد وقام فيهم من أنفسهم دعة إليه وقد كاد يأتي فيهم تأويل قوله تعالى  
 « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

أما نحن المسلمين فأننا نمتزف بالتقليد أنه الحق وانكسنا تركنا من  
 عدة قرون البحث في الآفاق وفي أنفسنا الذي علق عليه كتابنا بين الحق والآن  
 توجه الكثيرون منا إلى علم الآفاق وعلم النفس تقليداً للذين سبقونا فإذا  
 ضلنا في هذا السير الجديد قلنا نقدرهم من بدلتهم فنترك الدين وآدابه وليس  
 عندنا شيء يقوم مقامه كما كان عند من فكروا من الممالكين ويكفونهم  
 السابقين إلى الاسلام فلا يزالون يقبلون عليه ونحن مدبرون عنه إلى أن  
 يصلوا بحسبهم واجتهادهم إلى الحق ونحن عثرة في طريقهم وعند ذلك نرجع



### باب الأمر والوجوب

(تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) مصطفي أفندي رشدي المورلي بالزقازيق : ما هي الحكمة في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما أباحه القرآن الشريف لسائر المؤمنين وهو الزوج بأجمع فلا دونها وتعين الواحدة عند خوف الخروج عن العدل ؟

(ج) إن الحكمة العامة في الزيادة على الواحدة في سن الكهولة والقيام بأعباء الرسالة والاشتغال بسياسة البشر ومدافعة المعتدين دون سن الشباب وزراعة البلاد والسياسة الرشيدة . فأما خديجة وهي الزوج الأولى فالحكمة في اختيارها ورأيتها الفطرة معروفة وليست من موضوع السؤال . وقد عقدت بعد وفاتها على سودة بنت زمعة وكان توفي زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها أنها من المؤمنات المهاجرات الهاجرات لأهلين خوف الفتنة ولما طابت إلى أهلها بعد وفاة زوجها (وكان ابن عمها) لمذبوها وقتلها فكفلها عليه الصلاة والسلام وكافأها بهذه المنة العظمى . ثم بعد شهر عقدت على عائشة بنت الصديق والحكمة في ذلك كالحكمة في الزوج بحفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها خديس بن حذافة بيدر وهي أكرام صاحبيه ووزيره أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وأقرار عينهما بهذا الشرف العظيم . وأما الزوج بزینب بنت جحش فالحكمة فيه تملو كل حكمة وهي إبطال تلك البدع الجاهلية التي كانت لا حجة بيدعة النبي كتحريم الزوج بزوجة المتوفى بعده وغير ذلك . وقد نشر في المجلد الثالث من المنار مقالان في هذه المسئلة أحدهما للأستاذ الامام فليزاجيهما



السائل هناك . ويقرب من هذه الحكمة الحكمة في الزوج بجويرية وهي برة بنت الحارث سيد قومه بني المصطلق فقد كان المسلمون أسروا من قومها مئتي بنت بالنساء والذراري فأراد عليه الصلاة والسلام أن يعتق المسلمون هؤلاء الأسرى فتزوج بسيدتهم فقال الصحابة عليهم الراضون أنهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي أسرهم واعتقوهم فأسلم بنو المصطلق لذلك أجمعون وصاروا عوناً للمسلمين بعد أن كانوا محاربين لهم وعوناً عليهم وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب

وقبل ذلك تزوج عليه السلام بزينب بنت خزيمة بعد قتل زوجها عبدالله بن جحش بأحد وحكمته في ذلك أن هذه المرأة كانت من فضليات النساء في الجاهلية حتى كانوا يدعونها أم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم فكافأها عليه التحية والسلام على فضائلها بعد مصابها بزوجها بذلك فلم يدعها أرملة تقاسي الذل الذي كانت تحير منه الناس وقدمات في حياته . وتزوج بعدها أم سلمة (واسمها هند) وكانت هي وزوجها (عبدالله أبو سلمة بن أسد بن عمة الرسول برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة) أول من هاجر إلى الحبشة وكانت تحب زوجها وتجاهه حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته فلم تقبل . ولما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم «سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيراً» قالت : ومن يكن خيراً من أبي سلمة : فمن هنا يعلم السائل وغيره مقدار مصاب هذه المرأة الفاضلة زوجها وقد رأى عليه الصلاة والسلام أنه لا عزاء لها عنه إلا به فخطبها فاعتذرت بأنها مسنة وأم أيتام فأحسن عليه السلام الجواب — وما كان إلا محسناً — وتزوج بها . وظاهر أن ذلك الزواج ليس لأجل التمتع المباح له وإنما كان لفضائلها الذي يعرفه المتأمل بحجود رأيها يوم الحديبية وتعزيتها كما تقدم

وأما زواجه بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب فلهل حكمته لا تخفى على انسان عرف سيرتها الشخصية وعرف عداوة قومها في الجاهلية والإسلام لبني هاشم ورغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأليف قلوبهم . كانت رملة عند عييد الله بن جحش وهاجرت معه إلى الحبشة الهجرة الثانية فتصر هناك وثبتت هي على الإسلام فانظر إلى إسلام امرأة يكافح أبوها بقومه النبي ويتصر زوجها وهي معه في هجرة مروفة سبها . أمن الحكمة أن تضيق هذه المؤمنة الموقنة بين قنيتين ؟ أم من الحكمة أن يكفلها من تصاح له وهو أصالح لها ؟

كذلك تظاهر الحكمة في زواج صفية بنت حبي بن عصب سيد بني النضير وقد قتل أبوها مع بني قريظة وقتل زوجها يوم خيبر . وكان أخذها دية الكاكي من



سبي خير فقال الصحابة يا رسول الله أنها سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح إلا لك فاستعصم  
 رأيهم وأبى أن تذل هذه السيدة بأن تكون أسيرة عند من تراه دونها فاصطفاهما  
 وأعتقهما وتزوج بها ووصل سببه بني إسرائيل وهو الذي كان ينزل الناس منازلهم  
 وآخر أزواجه ميمونة بنت الحارث الهلالية (وكان اسمها برّة فسماها ميمونة)  
 والذي زوجها منه هو عمه العباس (رضي الله عنه) وكانت جعلت أمرها إليه بعد وفاة  
 زوجها الثاني أبي رهم بن عبد العزى وهي خالة عبد الله بن عباس وخالد بن الوليد فلا  
 أدري هل كانت الحكمة في تزوجه بها تشعب قرابته في بني هاشم وبني مخزوم أم غير ذلك  
 وجهلة الحكمة في الجواب أنه صلى الله عليه وسلم راعى المصلحة في اختيار كل  
 زوج من أزواجه (عليهن الرضوان) في التشريع والتأديب فحذب إليه كبار القبائل  
 بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء وإكرام كرائمهن وقرر الأحكام بذلك وترك من  
 بعده تسع أمهات للمؤمنين يعامن نساءهم من الأحكام ما يبقينهن مما ينبغي أن  
 يتماخمنه من النساء دون الرجال ولو ترك واحدة فقط لما كانت تعني في الأمة غناء التسع  
 ولو كان عليه السلام أراد بتعدد الزواج ما يريد الملوكة والأمرأة من التمتع بالحلال  
 فقط لا اختار حسان البكار على أولئك الثيبات المكتهلات كما قال لمن استشاره في الزواج  
 بأرملة «هلا بكراً تلاءمها وتلاعبك» هذا ما ظهر لنا في حكمة التعدد وإن أسرار سيرته  
 صلى الله عليه وآله وسلم أعلى من تحيط بها كلها أفكار مثلنا.

### ﴿ ترك الملوكة والأمرأة فريضة الحج ﴾

(س ٢) ١- ع بالزهر: «من المعلوم أن الحج لبيت الله الحرام فريضة عينية على  
 كل مسلم استطاع إليه سبيلاً وبديهي أن أمرأة المسلمين وحكامهم هم أقدر على  
 الاستطاعة فلم لا يحجون وهل هناك مانع شرعي أو ما يوجب سقوطه عنهم سيما وقد مضى  
 نحو الثلاثة قرون ولم نسمع بملك منهم حج أو اعتمر أفيدونا الجواب ولكم الاجر والثواب»  
 (ج) لانهم لا أحد منهم عذراً في ترك هذا الركن الديني العظيم وقد كنا شددنا  
 التكبر في هذه المسئلة في الصفحة ٣٨٦ من منار السنة الأولى. وإننا نرى العقلاء منا  
 صاروا يلهجون بهذه المسئلة ويقولون ما بال بعض ملوكنا وأمرائنا كشاه المعجم وخديو  
 مصر يذهبون إلى أوروبا مرة بعد المرة ولا يذهبون إلى مكة المكرمة فإذا كان الساطان  
 عبداً لم يخاف على نفسه من قومه الترك أو من الأرمين (دون سواهم من رعيته) إذا خرج  
 حاجاً لأنه لا يتيسر له من الاحتياط في السفر ما يتيسر له في قصره. وإذا كان



سلطان المغرب الأقصى وأمنير الأفغان يخافان على بلادها من الفتن أو إقامة غيرها في مكانهما إذا خرجا من بلادها فما بال غيرهم ممن لا يخشى على نفسه ولا على بلاده لا يحج . نعم ان الحج مفروض على التراخي فلا يسترض على شخص بعينه أنه لم يحج لجواز أن يكون لم يؤخر الحج الا وهو عازم عليه ولو كان يظهر من حال ملوكنا وأمراءنا الحاضرين أن سيكونون كمن سبقهم من عدة قرون . ويعتقد المشتغلون بالسياسة أن السلطان عبد الحميد لا يرضيه أن يحج شاء المعجم ولا أمير مصر وأنه يمنعهما إذا أرادا ذلك ما استطاع وكذلك سلطان مراکش لأنه يخاف أن يعملوا في البلاد المقدسة عملاً سياسياً كتحويل الخلافة الى أنفسهم فهذا كل ما نعلمه في اعتذار المعتذرين والله أعلم بالسرائر . أما الفوائد التي تكون من حج الأمراء والسلاطين لأنفسهم وللمسلمين فهي كبيرة جداً فان الاجتماع في تلك البقاع المقدسة هو خير سبيل في تعارفهم وتحالفهم على ما فيه مصلحة الملة والامة مع بقاء كل منهم في امارته أو سلطنته . ونعيد ما قلناه في المنار من خمس سنين وهو انه لو كان لعوام اهل أوروبا وقيصرتهم وملوكهم مثل هذا المجتمع العظيم لما تركوا الاختلاف اليه ( اختلاف الشريعة باختلاف الزمان والمكان )

( س ٣ ) م . ر . ه . بمدرسة الحقوق بمصر : يقول أرباب الشرائع والفوائد إنه يجب في تحقيق عدالتها أن تكون موافقة لآخلاق الأمم وعاداتهم وطبائعهم ودرجة تربيتهم وأقاليمهم واحوالهم المعاشية والاقتصادية . فاذا كان الامر كذلك فلم لم نشاهد سوى قانون واحد لدى الأمم الاسلامية ( الشريعة الفراء ) مع أنه يوجد اختلاف عظيم بين تلك البلاد في العادات والآخلاق والأقاليم ؟

( ج ) ان علماء الحقوق والقوانين الوضعية انما يضعون قوانينهم لاهل السياسة وهم انما يهتمهم من رعاياهم بحماية الاموال والأمن من الخروج عليهم لاسيما اذا كانوا من غير جنسهم وما يساعد على ذلك من منع التمدي . فواضع القانون يحترم عادات كل قوم وان كانت ضارة كالسكر والزنا ويخص أحكامه بحفظ النظام فيها ومنع التمدي . واما الشريعة الالهية فاصلاح الآخلاق وانماذات فيها مقصود بذاته واساس هذه الشريعة درء المفاسد وحفظ المصالح سواء كان ذلك في الأفراد أو الجماعات وما بينهم من الروابط والعصاات . وقد وضع الاسلام على هذا الاساس أصولاً عامة الاحكام لا تختلف باختلاف الزمان والمكان كالمساواة في الحقوق وإقامة القسط ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين . . . وكون ردة المفاسد مقدما على جلب المصالح . وارتكاب أخف

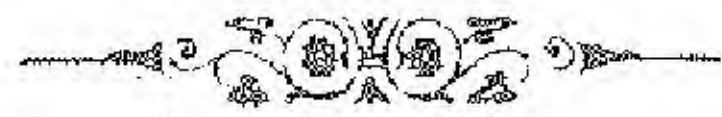


الضرر من وجعل اليقظة على المدعي وهي كل ما يقين به الحق وجعل الحاكم مستقلاً  
مجتهداً يستنبط الأحكام مع فرض الاستشارة عليه الى غير ذلك من الأصول العادلة  
وبعد هذا كله جعلت العرف محكماً كوضع الشرع ليراعى فيها مختلف من أحوال البلاد  
والعباد التي لا تخل بمقاصد الشريعة والدين في التهذيب وتقريب الشعوب بعضها من  
بعض لتكون الامم كلها أمة واحدة

لهذا الذي أجهلناه لم نلزم الشريعة الإسلامية اتباعها بالزام جزئيات الانكسار التي  
صدرت في عهد التشريع كما هي بدون مراعاة أساس درء المفاسد وحفظ المصالح وقد  
تقدمت الأدلة على هذا في مقالات ومحاورات المصلح والمقلد فليراجعها السائل في  
أواخر المجلد الثالث وأوائل الرابع من المنار ومنها يعلم ان هذا الوضع من أسباب جعل  
الشريعة خاتمة الشرائع ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين كما بيناه صراحة بالتوضيح  
( طهارة السيرتو او الكحول )

( س ٤ ) علي افندي حسني بكمر ك السويس: قد ألجأت حالة الوقت الى (السيرتو)  
في إزالة ما على الملابس والطرايش من الوسخ والدهن وقد تردد الناس في طهارته ونجاسته  
لشك في أصله فان كان نجساً فهل تطهر الطرايش المظففة به بحرارة النار عند كها  
أو بكونه سريع الطيران كما يقال ؟

( ج ) قد أثبتنا من قبل طهارة الكحول بأنواعه في المنار بالأدلة بل هو أقوى  
المطهرات على انه سريع الطيران ولو لم يمرض الثوب على حرارة النار . والقول  
بنجاسته وتنجيسه شديد مبني على فلسفة غير صحيحة [ راجع ص ٥٠٠ م ٤ ]



### الاجتماع السابع لجمعية أم القرى

( في مكة المكرمة يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ )  
في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية وقضى الضبط السابق حسب القاعدة المرعية  
قال ( الاستاذ الرئيس ) مخاطباً السيد القرآني ان الجمعية تنتظر منك فوق  
همتكم في عقدتها وقيامكم بمهمتها التحريرية ان تفيدها ايضاً رأيك الذاتي في سبب  
الفتور المبحوث فيه وذلك بعد ان تقرر لها يحمل الآراء التي اوردتها الاخوان  
الكرام اذ اخطت بها علماً مكرراً بالسمع والكتابة والقراءة والمراجعة فأتت اجفنا



لها فكر أهـ هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامي والبلدغ الاسكندري ان يشتركا في ضبط خطابك بأن يتعاقبا في تلقي الجمل الكلامية وكتابتها لانهما كباقي الاخوان لا يمران طريقة الاختصار الخطي المستعمل في مثل هذا المقام

نظر (الفاضل الشامي) الى رقيقه واستلمح منه القول ثم قال اننا مستعدان للتشرف بهذه الخدمة

قال (السيد الفرائي) حباً وطاعة وان كنت قصير الطول ، قليل القول ، قليل البضاعة ، ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليها الفاضل الشامي والبلدغ الاسكندري وما لبث ان صرع في كلامه فقال : يستفاد من مذاكرات جمعية المباركة ان هذا الفتور المبحوث فيه ناشئ عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة . وهذه الأسباب منها أصول ومنها فروع لها حكم الأصول وكلها ترجع الى ثلاثة أنواع وهي اسباب دينية واسباب سياسية واسباب اخلاقية . واني أقرأ عليكم خلاصتها من جدول الفهرست الذي استخرجته من مباحث الجمعية راجعاً للأصول منها بحرف (الالف) وللفروع منها بحرف (الفاء) وهي

### (النوع الاول الاسباب الدينية)

- (١) تأثير عقيدة الجبر في أفكار الأمة (١) (٢) تأثير المزهديات في السعي والعمل
- وزينة الحياة (ف) (٣) تأثير فتن الجدل في عقائد الدين (١) (٤) الاسترسال في التخالف
- والتفرق في الدين (١) (٥) الذهول عن سماحة الدين وسهولة التدين به (١) (٦) تشديد
- الفقهاء المتأخرين في الدين خلافاً للسلف (١) (٧) تشويش أفكار الأمة بكثرة تخالف
- الآراء في فروع احكام الدين (ف) (٨) فقد امكان مطابقة القوة للعمل في الدين
- بسبب التخليط والتشديد (ف) (٩) ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات
- كتابية وخرافات وبدعا مفسدة (١) (١٠) تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه
- هواً ولعباً (ف) (١١) افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات
- (ف) (١٢) ادخال المدلسين والمقاريبة على العامة كثيراً من الاوهام (١) (١٣) خام
- الانجمن والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالمرهبات (ف) (١٤) ايهام
- الدجالين والماسحين ان في الدين اموراً سرية وان العلم حجاب (١) (١٥) اعتقاد
- منانة العلوم الحكمية والعقلية للدين (١) (١٦) تطرق الشرك الصريح أو الخفي
- الى عقائد العامة (ف) (١٧) تهاون العلماء العاملين في تأييد التوحيد (ف) (١٨)



الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء (ف) (١٩) التعصب للمذاهب والآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلكت السلف (ف) (٢٠) الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعية الحجج (أ) (٢١) العناد على نبذ الحرية الدينية جهلاً بمزيتها (ف) (٢٢) التزام ما لا يلزم لأجل الاستهداء بالكتاب والسنة (ف) (٢٣) تكليف المسلم نفسه ما لا يكلفه به الله وتهاونه فيما هو مأمور به • (ف)

### (النوع الثاني الأسباب السياسية)

(٢٤) السياسية المطلقة من السيطرة والمسئولية (أ) (٢٥) تفرق الأمة الى عصبيات وأحزاب سياسية (ف) (٢٦) حرمان الأمة من حرية القول والعمل وفقدانها الأمن والأمل • (ف) (٢٧) فقد العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الأمة (ف) (٢٨) ميل الأمراء طبعاً للعلماء المدلسين وجهلة المتصوفين (ف) (٢٩) حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (أ) (٣٠) اعتبار العلم عطية يحسن بها الأمراء على الإخصاء وتفويض خدم الدين للجهلاء (أ) (٣١) قلب موضوع اخذ الأموال من الأغنياء واعطائها للفقراء (أ) (٣٢) تكليف الأمراء القضاة والمفتين أموراً تهدم دينهم (ف) (٣٣) إبعاد الأمراء النبلاء والأحرار وتقريبهم للمتعلقين والأشرار (أ) (٣٤) مراعاة الأمراء السراة والهداة والتشكيل بهم (ف) (٣٥) فقد قوة الرأي العام بالحجر والتفريق (ف) (٣٦) حماقة أكثر الأمراء وتمسكهم بالسياسيات الخرفاء (ف) (٣٧) إصرار أكثر الأمراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف) (٣٨) انغماس الأمراء في الترف ودواعي الشهوات وبمدهم عن المفاخرة بنسب القحطفة والمال (ف) (٣٩) حصر الاهتمام السياسي بالحياة والجندية فقط (أ)

### ﴿ النوع الثالث الأسباب الأخلاقية ﴾

(٤٠) الاستغراق في الجهل والارتياح اليه (أ) (٤١) استيلاء اليأس من اللحاق بالفائزين في الدين والدنيا (ف) (٤٢) الإخلاء الى الخمول وتوحيماً للنفس (ف) (٤٣) فقد التناصح وترك البغض في الله (أ) (٤٤) انحلال الروابط الدينية الاحتسابية (أ) (٤٥) فساد التعليم والوعظ والخطابة والارشاد (ف) (٤٦) فقد التربية الدينية والأخلاقية (أ) (٤٧) فقد قوة الجمعيات وثمره دوام قيامها (أ) (٤٨) فقد القوة المالية الاشتراكية بسبب التهاون في الزكوة (أ) (٤٩) ترك الأعمال بسبب ضعف الآمال (ف) (٥٠) أهمل طلب الحقوق العسامة جبناً وخوفاً من المتخلفين (ف)



(٥١) غلبة التخلق بالخلق تزلقاً وصغاراً (ف) (٥٢) تفضيل الارتزاق بالجندية والخدم الأميرية على المناهج (٥٣) توهم أن علم الدين قائم في الممائم وفي كل ما سطر في كتاب (ف) (٥٤) معاداة العلوم العالية ارتياعاً للجهالة والسفالة (١) (٥٥) التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشؤون العامة (١) (٥٦) الذهول عن تطرق الشرك وشؤمه (١)

ثم قال (السيد الفراتي) هذه هي خلاصات أسباب الفتور التي أوردها اخوان الجمعية وليس فيها مكررات كما يظن • وإذ كان للخلل الموجود في أصول إدارة الحكومات الإسلامية دخل مهم في توليد الفتور العام فإني أضيف إلى الأسباب التي سبق البحث فيها من قبل الاخوان الكرام الأسباب الآتية أعددها من قبيل رؤس مسائل فقط إذ لو أردت تفصيلها وتشرحها لطال الأمر وخرجناعن صدد محفلنا هذا والأسباب التي سأذكرها هي أصول موارد الحلل في السياسة والإدارة الجاريتين في المملكة العثمانية التي هي أعظم دولة بهم شأنها عامة المسلمين • وقد جاءها أكثر هذا الحلل في الستين سنة الأخيرة أي بعد أن اندفعت لتنظيم أمورها فعمطت أصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الإبداع فتشتت حالها ولا سيما في العشرين سنة الأخيرة التي ضاع فيها ثلثا المملكة وخرب الثلث الباقي واشرف على الضياع لفقد الرجال وصرف السلطان قوة سلطته كلها في سبيل حفظ ذاته الشرفية وسبيل الأصرار على سياسة الأفراد وأما سائر الممالك والامارات الإسلامية فلا تخلو أيضاً من بعض هذه الأصول كما أن فيها أحوال أخرى اضرت وأمر يطول بيانها واستقصاؤها والأسباب المراد إلحاقها ملخصة • هي •

### ❖ الأسباب السياسية والإدارية العثمانيتين ❖

(٥٧) توحيد قوانين الإدارة والمقوبات مع اختلاف طبائع أطراف المملكة واختلاف الأهالي في الأجناس والمادات (\*) (١) (٥٨) تنوع القوانين الحقوقية وتشويش القضاء في الأحوال المتماثلة (١) (٥٩) التمسك بأصول الإدارة المركزية مع بعد الأطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الإدارة في المركز على أحوال تلك الأطراف

(\*) من أهم الضروريات أن يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي إداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم كما هي الحالة في امارات ألمانيا وولايات أمريكا الشمالية وكما يفعله الإنكليز في مستعمراتهم والروس في أملاكهم من هاشم الأصل







اتباعها وتنفيذها والإصرار على ان تكون الادارة نظامية اسما ارادية فعلا • (٧٠)  
 (٧٠) التهاون في مجاراة عادات الاهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجلاباً لمحبتهم القلبية  
 فوق طاعتهم الظاهرية • (٧١) الغفلة أو التغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الحيران  
 وترقية السكان بسبب عدم الأهتمام بالمستقبل (٧٢) الضغط على الأفكار المنبهة بقصد  
 منع نموها وسد موانعها وإطاعتها على مجاري الإدارة محاسنها ومعايبها وان كان الضغط  
 على النمو الطبيعي عبثاً محضاً ويتأتى منه الإغراء والتحفز وينتج عنه الحقد على الإدارة  
 (٧٣) تمييز الأسافل أصلاً وأخلاقاً وعالماً وتحكيمهم في الرقاب الحرة وتسليمهم  
 على أصحاب المزاي و هذا التهاون بشأن ذوي الشئون يستلزم تسفل الإدارة • (٧٤) إدارة  
 بيت المال إدارة اطلاق بدون مراقبة وجزاف بدون موازنة واسراف بدون عتاب  
 واتلاف بدون حساب حتى صارت المملكة مديونة للاجانب بديون ثقيلة توفي بلاداً  
 ورقاباً ودماءً وحقوقاً • (٧٥) إدارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون استشارة  
 الرعية ولا قبول مناقشة فيها وان كانت إدارة مشهودة المضرة في كل حركة وسكون •  
 (٧٦) إدارة الملك إدارة مداراة واسكات للمطالعين على معايبها حذر من أن  
 ينفثوا ما في الصدور فتعلم العامة حقائق الأمور والعامة من اذا علموا قالوا واذا قالوا  
 فعلوا وهناك الطامة الكبرى • (٧٧) إدارة السياسة الخارجية بالترلف والإرضاء والمحابة  
 بالحقوق والرشوة والامتيازات والنقود • تذلل الإدارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميمهم  
 عن المشاهد المؤلمة التخريبية وصبرهم على الروائح المنكئة الادارية • ولولا ذلك لهدم  
 والروائح لما وجد الحيران وسيلة للضغط مع ما ألقاه الله بينهم من العسداوة والنجس  
 الى يوم القيامة •

ثم قال ( السيد الفراتي ) ان بعض هذه الاسباب التي ذكرتها هي أمراض قديمة  
 ملازمة لإدارة الحكومة العثمانية منذ نشأتها أو منذ قرون وبعضها أمراض قديمة  
 تزول بزوال محدثها وربما كان يمكن الصبر عليها لولا ان الخطر قرب والعيان بالقميص  
 القاب كما أشار اليه الاستاذ الرئيس في خطابه الأول (٣)

• رعاية المذاهب التي تستوجب ان لا تسقط انزكاة عن الدافعين وكاستخدام قضاة بالسوم  
 برواتب جزئية جداً • (١) تعطيل بعض احكام الشرع كاف خرق حرمة  
 النظامية فمع كثرتها البالغة عشرات الوف قضاياء لم يتفق الى الآن اجراء شيء منها  
 بمض ما يتعلق بسلب الاموال (٢) أشار حضرة الرئيس وهو الاستاذ المكي في خطابه



ثم قال ويلتحق بهذه الاسباب بعض اسباب شتى انفصلها بعد تعدادها الحاقاً بالخلاصات . وهي

### ﴿ أسباب شتى ﴾

(٧٨) عدم تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة (٧٩) الفرارة أي الغفلة عن ترتيب شئون الحياة (٨٠) الفرارة عن لزوم توزيع الاعمال والأوقات (٨١) الفرارة عن الإذعان للاتقان (٧٢) الفرارة عن موازنة القوة والاستعداد (٨٣) ترك الاعتناء بتعليم النساء (٨٤) عدم الالتفات للكفاة في الزوجات (٨٥) الخور في الطيعة أي سقوط الهمة (٨٦) الاعتزال في الحياة والتواكل

أما عدم التطابق في الاخلاق بين الرعاة والرعية فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمل المدقق في تواريخ الأمم من أن أعظم الملوك الموفقين والقواد الفاتحين كالاسكندرين وعمر وصلاح الدين (رضى الله عنهما) وجنكيز والفتح وشر لكان الالماني ويطرس الكبير وبونابرت لم يفوزوا في تلك العظام الا بالعزائم الصادقة مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الاخلاق والمشارب تطابقاً تاماً بحيث كانوا رؤساً حقاً لتلك الاجسام لا كراس جل على جسم نور أو بامكس . وهذا التطابق وحده يجعل الأمة تعتبر رئيسها رأساً فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لا يكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبي

انما الناس بالملوك وهل يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لا خلاف فيه ان من أهم حكمة الحكومات أن تتحقق بأخلاق الرعية وتحدد معها في عوائدها ومشاربها ولو في العوائد غير المستحسنة في ذاتها . ولا أقل من أن تجاري الحكومة الاجنبية اخلاق الرعية ولو تكلفاً وقتياً الى أن تتوفق لاجتذابهم

الاول للحالة السيئة في الحجاز من فقد الأمن في بلد الله الامين . والجور الفظيع الذي يقع على أهل الحرمين وزوارهما من تنازع السلطات الثلاث الامارة والولاية والعسكرة وتفسير ذلك من الاحوال التي لا تقاوم وصار يتشكى منها عامة الحجاج لاسيما الداخلين تحت ساطع الأجانب وهو السواد الأعظم من المسلمين ولا غرو ان هذه الحال تستدعيهم لأن يدعوا حكوماتهم للمداخلة في شؤون ادارة الحجاز لأجل حصولهم على الأمن والراحة وحيث لا قدر الله يتفانى العرب دون حفظ بيضة الاسلام كما تفانوا قبلاً وخدمهم في دفع الصليبيين عن المسجد الأقصى . اهـ من هامش الاصل



الى انفسها فاخلاقها فجنسيتها كما فعل الامويون والعباسيون والموحدون وكما تنهم به الدول  
المتعمرة الافرنجية في هذا العهد وكما فعل جميع الاعاجم الذين قامت لهم دول في  
الاسلامية كال بويه والسمجوقيين والايوبيين والغوريين والامراء الجراكسة وآل  
محمد علي فانهم ما لبثوا أن استمروا وتخلقوا باخلاق العرب وامتزجوا بهم وصاروا  
جزءاً منهم وكذلك المغول التار صاروا فرساً وهنوداً فلم يشذ في هذا الباب غير المغول  
الأتراك أي العثمانيين فانهم بالعكس يتفخرون بمحافظتهم على غيرية وعاباتهم لهم فلم  
يسعوا باستئراكمهم كما انهم لم يقبلوا أن يستمروا والمتأخرون منهم قبلوا أن يتفرنسوا  
أو يتألموا . ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بفضهم للعرب كما يستدل عليه من  
أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الامثال في حق العرب

ذلك كاطلاقهم على عرب الحجاز (ديانجي عرب) أي العرب الشحاذين واطلاقهم  
على المصريين (كوز فلاح) بمعنى الفلاحين الاجلاف و(عرب جنكته سي) أي نور  
العرب و(قبطي عرب) أي النور المصريين . وقولهم عن عرب سوريا (نه شامت  
شكري ونه عربك يوزي) أي (دع الشام وسكرياتها ولا تر وجوه العرب) وتعبيرهم  
بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان أسود وقولهم (ليس عرب) أي عرب  
قذر و(عرب عقلي) أي عقل عربي أي صغير و(عرب طيبتي) أي ذوق عربي  
أي فاسد و(عرب چكه سي) أي حنك عربي أي كثير الهذر وقولهم بوفى پارسيه  
عرب اوله يم) أي ان فعالت هذا أكون من العرب وقولهم (ترده عرب ترده طنبوره)  
أي ابن العرب من الطنبور .

هذا والعرب لا يقابلونهم على كل ذلك سوى بكلمتين الأولى هي قول العرب  
فيهم (ثلاث خاقن للعجور والفساد العمل والتركة والجراد) والكلمة الثانية تسميتهم  
بالأروام كناية عن الريبة في اسلامهم وسبب الريبة ان الأتراك لم يخدموا الاسلام  
بغير اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر اسمائهم على منابرهم لم تقم .  
وانهم أتوا الاسلام بالطاعة العمياء للكبراء وبخشية الفلك أبي المصائب وباحترام مواعيد  
الانبران (أوحاقات) فزادوا بذلك بلاد في طين الخرافات

ثم قال (السيد مراني) جو المذهب في القوم الروس لانه يعلم اني ما أفرقت واولا  
المسعودي في رتبة المصاحف والاسم في تصحيحه من ركبته من يضحك . قال  
(الاستاذ الرئيس) ان هذا السيد المراني خطيب قوال وفارس جوال والابحاث التي  
أشار اليها في حديثه جوال في يومه قبل بوقت اليه في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٩١





## باب التاسع في تعليم الاطفال

الشذرة التاسعة منه هريفة الدكتور راسم (١)

في تعليم الاطفال اليونانية واللاتينية واقرائهم كتبهما

تناظرت مع هيلانة غير مرة في ضرورة تعليم اميل هيلانة اللغتين واقرائه ما ألف فيه من الكتب واست ذاكر لك من هذه المناظرات الا منحصرها فاقول : الواجب ان يرى كل طفل تربية من ينبغي ان يكون من كبار الرجال فذلك هو الوسيلة التي يحصل بها عامة الناس ويمتاز عنهم في مستقبله ولهذا كان حقاً على المربي ان يعرف طبيعته ويبحث في ضروب مياله ويختبر أنواع استعداده العقلي . ولما كان التميز والامتياز يحصلان في هذه الدنيا بكيفيات مختلفة ويتلآن بطرق شتى كان اول فرض علي ان بحث في هذه الطرق عما يلائم طبيعته ويناسب استعداده

فالذي أعنيه في طريقة التربيته عندنا هو اغناء ما للناشئين من القوى وضروب الاستعداد الذبسية وعدم اعتبارها في شيء من التربية . فقلت انك ترى بعض الناشئين مثلاً قد ولد بحالة ليضرب في الأرض ويحب آفاقها وأخضر حاجته فيما خلق لأجله هي معرفه اللغات فحينئذ يهاجم بها مع الأجانب في بلادهم فيبدأ المربون بتعليمه لغتين مهمتين انقطع التحاطب بهما من على وجه الأرض . وترى آخر خالق مبالاً الى معرفة علم القوى المحركة وقوانين التوازن ( الميكانيكا ) يلقون به في بحر من الكتب ماله من قرار . وتجد نائلاً أعد للتجارة ورابعاً يخر للزراعة لا يراعى ما لكل منهما من الميل الى ما أعد له ان يبيع في حقهما ما قضت به العادة ويجري عليه المعروف وهو انه لا بد من مزيد الاشتهار بالعلم في هذه الدنيا من سمحه في المدرسة ثمان سنين . كم رأيت من مناهي اللاتينية واليونانية من يقضى عليهم بأن لا يستعملوها في حياتهم لانهم متى خرجوا من المدارس واشتغلوا بمصالحهم قلوا وايم الحق ان يخطر ببالهم تصحيح كتاب فرجيل (١) أو ديوان عمير (٢) وانظر في صحفهما البالية التي فضوا في مطالعتها ذبوا من ساعات النصب والسآمة واست أقصد بقولي ههنا تجريد أي معرفة من

(١) مغرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر





معارف العقل كائنة ما كانت من الفائدة مطلقاً ولكن لا حرج علي ان ترتب في ان  
ما يخسر كثير من التلامذة من زهرهم في تعلم نيك الناشئين لا يسوي ما يعود عليهم من  
الفوائد بتعلمهما

أنا اعلم كل ما لا يقتصر لهما من وجود الاحتياج على ضرورة تعلمهما فلما ان  
يقول ان معرفتهما حاسة سادسة انما تذكر بواسطتها دقائق آداب لغتنا وانه لا يسع احد  
من الناس انكار ما كان لاطالعة الكتب القديمة المؤلفة بهما من التأثير المبالغ في عدم  
الناشئين الذين نفذوا ببيان معارف الاقدمين حتى التقديرة ان مطالعة هذه الكتب  
تخلصنا من شواغل وقتنا المصادية وتعارض عصر الذي نرت فيه الناس وتحت  
درجات التفاتل بينهم واشتغل اهل الحقائق الثابتة دون غيرها كمصوّر الاطالعة بطلان  
واقاد من مخترعات الخيال وتسرعو واضح الضعف فيما يحجب الجمال الطاهر يدون ان  
يعبر من طبيعتنا شيئاً ثم ان يند اهل تلك العصور عناو ما ينهم لنا في الاخلاق والعونة  
ما يساعدنا ايضاً على ان نبصر من خلال كتبهم الشعرية حياء تنتهي اليكم المطالعة

وفوق ذلك فان هذه الكتب حافلة بالاناشيد الوطنية التي من آثارها ما رآه  
في عهد الجمهورية الجليل من احتقار الملوكة وجر ذيل الحيلة عليهم فلقد كتبت تسبحه  
هبت من رومة او من انا في اثاره بغض السلطان المطابق لثوبنا في اقرن الفهم  
عشر فان حكماء هذا القرن وزعماء المئة الفرنسية فيه قد ساندوا بمادعوه من  
الكتب المدرسية اصاح العصور لا يقاط العول وبث روح الحياة السياسية في النفوس  
وكان لحيالات الغابرين في ذلك الجهاد الذي قام في سبيل الحق من البلاء ما كان  
للأحياء انفسهم فلا تقل لا بني غر افوس (٣) وبرنوس (٤) وثانول اوتيفانهم قدمنا  
بل هم احياء يمينوننا على كفاحنا وبما سدونا في جهادنا وبسهمونا من اصواتهم  
ويشهدوننا من اساهم ما يقوي عزيمتنا على السمي وراء الحرية التي هي غاية النفوس الابية  
لا انزع في ان معرفة اليونانية واللاتينية قد تكون من الرياضات النفسية المفيدة

(١) فرجيل هو شاعر لاتيني شهير ولد سنة ٧٠ ومات سنة ١٩ قبل المسيح

(٢) حمير هو أشهر شعراء اليونان الاقدمين لا علم مكان ولادته ولا تاريخه

كذا كتب العرب والمصريون اسودريونه يمزجون «هومير» ويكتب بالقلم الاغريقي هكذا

Homero-ero «هومير» حاكم روماني شهير في اسبانيا ورزق بولدين هما

بالغريقيين وكانا من قضات الشعب «هومير» و«برنوس» أسعد قتلة القيسر الروماني



ولكنني أقول إن لرياضة النفس وتربية العقل طرقاً شتى وإن من الظلم الفاحش قصر معنى التعليم على فرع واحد من العلوم فقد يكون الإنسان علماً يشار إليه بالبنان وخطيباً بامر اليان وسياسياً حبيب الجنان ( وفي أمريكا ما يشهد لصحة ذلك ) وهو لم يقرأ في حياته كتب أرسطو « ١ » ولا ديموستين « ٢ » ولا شيشيرون « ٣ » بل لغة التي ألقت بها . فذلك أن مراقبته بنفسه الامور ومعاملته للناس واختلاطه بهم ودراسته لآداب لغته واستعداده الفطري كثيراً ما تغنيه عن الزخارف المدرسية فإني هو ان الاحوال التي تحتف بالطفل وما يكون فيه من القوى والملكات الذاتية هي الواجب التمويط عليها في تحديد الطريقة التي ينبغي سلوكها في تربيته فان طرق التعليم انما اوجدت للاحداث ولم توجد الاحداث لها

لما أعلم حق العلم ضروب استعداد « اميل » ولا حالة عقله حتى أحكم على اليق أنواع التعليم به وأشدّها ملائمة لطبيعته والذي أتمناه له هو ان لا يكون بعيداً عن العلوم ولا عن آداب اللغة ولست أرى من وجوه الاعتراض على الجمع بين هذين النوعين من المعارف سوى ما نتخذه تعلم اليونانية واللاتينية من الزمن فان اتفق سبع سنين أو ثمان من العمر في تحصيل اللغتين مهمتين تحصيلاً في غاية النقص غالباً هو اسراف كبير في عصر لا يحصل الانسان فيه متوسط المعارف الضرورية إلا بانفاق معظم حياته واني ياخذ الآن فيما اذا كانت اضاءة ذلك الزمن الطويل في تحصيلهما لازمة لطبيعة الصعوبات التي يصادفها المتعلم فيه أو انما ليست من لوازمها وان من اليسور التعبير فيها والتقليل منها

أول سبب فيما أرى اطول مدة تعلم اللغتين هو إفراط المعلمين في تمجيل تعليمهما للأطفال لانهم يبدأونهم به قبل ان يكونوا تعلموا أو راقبوا شيئاً بأنفسهم فتراهم لجهاهم كيفية صوغ الالفاظ وتركيب الاساليب التي هي قوالب المعاني لا يكادون يتممون بأنفسهم نفسها مضبوطة ولحسهم بين جدران المدرسة من نعومة أظفارهم اعتادوا اعتبارها سحناً تتعاقب عليه الاجيال الناشئة تكثيراً لسيئة جهل آبائهم الاولين فهم

واما قانون اتيقافهم حفيد قانون القديم وهو ضابط روماني شهير كان من حزب بومباي وبعث ان شهد معه واقعة فرسالا انطلق الى أفريقيا وقتل نفسه « ١ » أرسطو حكيم يوناني مشهور « ٢ » ديموستين أشهر خطيب يوناني أنار مقدونيا على فليبوس وألب أنهما على الاسكندر « ٣ » شيسرون أشهر خطيب روماني



لا يعرفون شيئاً من الكون وقد حلت المدرسة بينهم وبين المحابيب اليتية والجواذب  
الاهلية وهي التي كانت تحب العمل اليهم وتشمر قلوبهم قدراً فأصبحوا لا تصلهم  
حرارتها الا من بعيد جداً ففي أول عمل لهم يمرنون به قواهم الناشئة تفاجئهم الفاظ  
وحشية وصيغ نحوية وتراكيب مجهولة فيتصيدون اتفاقاً بأيديهم العسراء من محاربهم  
الكدراء ضروباً من مخالفة القياس وأنواعاً من ضعف التأليف تجري بها اقلامهم ،  
ولا تدركها افهامهم ، فرغمهم من حيارى ذاهلين لا ينفعهم تماقب التمارين ولا  
تتابع الامثال فليس تكرار الاغلاط والخطئات الواحدة في تعلم لغة مجهولة  
هو الوسيلة الى اصلاحها

انا أحب ان رى ولدي قبل تعير اللاتينية شيئاً من العالم وان ينشئ ذهنه باحتكاكه  
بالصناعة ودراسة تاريخ الموجودات فان كل واقعة روقبت تولد في نفس مراقبها لذة  
وتتم في الحاجة الى المعرفة فاذا حصل له بكسبه بعض معان ينة صار بهذه الوسيلة  
أحسن استعداداً لفهم ما يتقادم عن غيره من المعاني ولو ظهرت في صيغ مهمة من الالفاظ  
ثم ان من اسباب طول ائدة التي تقضى في تعلم اليونانية واللاتينية على ما أرى ان  
المربين يعلمونهما للاطفال قبل ان يطعموهم على شيء من احرف الرومان واليونان  
والانسان لا يحسن تعلم لغة قوم الا في بلادهم ومن أجل ذلك سألهم عند تعليمهما  
«أميل» بان اجمل له من آثار اهلها بلاداً يتعلمهما فيها وفي هذا المقام تظهر فائدة  
انشاء معاهد التعليم التي من قبيل القصر البلوري نعم اني على يقين من ان مشاهدة ما يكون  
في مثل هذه المعاهد من التماثيل والصور ومثل المعابد والمباني ال اثرية العامة لا تعين  
التلميذ على فهم شعر عمير وفرجيل ولكن اليونانية واللاتينية اذا اقترنت تعليمهما بتعليم  
تاريخ قوميها وما يشهد لهم من دلائل التقدم القديم لا تبقيان لعتين متدثرتين اندثاراً  
تاماً كما علمتا مجردتين

ذلك ان لقنونا الرمح من التأثير في نفوس الناشئين ما هو فوق المظنون بها كثيراً  
بسبب اجلهم العقل في آثار المارين وسبقها بالنفس في اعمال الماضين والان من  
الإقناع هو السبق الذي يسهل فيه الدماغ الارتفاع في شخص غير سبب سهل الإدراك  
وهو ان معنى الاستدلال الذي لا يظهر لنا قليلاً في هذا الظهور من الحياة فبكرة هذا  
النوع من التعليم مع اليونان والرومان في بقي من آثارهم يدعي التلميذ بل يوسـ  
بإحلافهم بحدود ما يتجسده في ان يدرى انهم يقرأون بآداب دقيقة الفاعلون



في سلامين « ١ » ويشهد خلف بومباي « ٢ » واقعة فرسالا . ولا يسبقن الى خاطرك ان هذا لوجود الفكري فيما غير من الزمن ليس هو الا وهما محضاً فانه لا شيء مما كان في الماضي قد مات موتاً تاماً

لم تجد طريقتنا في تعليم اللغتين اللتين نحن بصدد الكلام عنهما نفعاً فانها لا تزال عليها مسحة من تعليم القرون الوسطى وهي التي طبعها عليها التيسيسون والرهبان اذ لا تزال العقبات تقوم في سبيل دراسة آثار الاقدمين دراسة صادقة واولها ما للادين المسيحي من الاوهام والوساوس في آلتهم التي تراه على قهره اياها لا يزال يعتقد انها مفسرة حتى في انهمزاتها امامه فان رجال هذا الدين مع استشارهم على توالي القرون باللفات القديمة واحتكاكهم معرقها كانوا يُعَنُّون في تعليمهم بازدهاق ذلك الروح الذي ألهم الصانع ما ظهر على أيديهم من تحف الصنائع وطرفها وكانت قنون الوثنيين و آداب لغاتهم من الغنائم التي اهتم أولئك الرجال بحفظها غير انهم كانوا يحترسون كل الاحتراس من اظهار آخر ما اكتشفوه من أسرارها للأحداث وكان من مصالحهم ان لا يزيلوا عن تلك الاسرار الا طرقاتاً من حجبها لانه كان لا بد لها يمين الحلف من آثار السلف ان يردهم يوماً ما الى عبادة الطبيعة وجمالها ومن أجل ذلك كان رؤساء الدين لا يفتأون يذكرون الناشئين بأن آلهة الوثنيين آلهة باطلة لا أصل لها الا الكبرياء والكذب وانه لا ينبغي النظر اليها الا من بعيد مع الاسترشاد في ذلك بهدي الدين المسيحي أنا لا أحترس كل هذا الاحتراس في تعليم « اميل » تلك اللغتين واقراءه كتبهم انه لا بد لمن يزاول دراسة أمر من الأمور ان يكون له فيه شيء من الاعتقاد فما صرنا لو انه اخلص في الاشتغال بهرقل (٤) وأعماله ومن ذا الذي ينقم منه ان قدم فرساناً والآلهات المصيفة (٥) والمنزوة (٦) الحكيمة الابيسة فان في كشف حقيقة الاشخاص الخرافيين الذين وجدوا في خيال الاقدمين وكانت حياتهم ملائمة كل الملائمة لخيال

« ١ » سلامين وتسمى الآن كولوري هي جزيرة في خليج أثينا « ٢ » بومباي قائد روماني شهير له غزوات كثيرة كان فيها ظافراً « ٣ » فرسالا مدينة باقليم تسانيا القديمة من بلاد اليونانية هزم فيها قيصر الروم انطون بومباي (٤) هرقل بطال خرافي مشهور بأعماله المعجبية (٥) الآلهات المعجبة في أساطير اليونان هي الآلهات القنونات التسمية بنات المشتري (٦) منزوة هي في الاساطير المذكورة الالهة الحكمة والقنون والحرب



اليافعين وازالة الوهم من عقول هؤلاء في شأنهم في ذلك تعجيباً بزعة عقيدتهم في النوع الانساني «ولا يظن ظان اني أقصد بما أقول ان أوقف «اميل» عند الوثنية قاني انما أريد بهذا القول انه لا بد لمن يريد النفوذ الى أسرار رافة قوم من اختلاس آلهتهم «اه

### ﴿ مقدمة كتاب الاسلام والنصرانية ﴾

«أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْيُوعْظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدَانُهُمْ نَأَى هِيَ أَحْسَنُ»  
 «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَسْلَمُ بِالْمُنْتَهِدِينَ»  
 ظهرت في العالم مدينيات ثم خفيت ، وذرست فيها العلوم والفنون ثم درست ، وصاغت أحوال الأناسي ثم فسدت ، وطلعت فيهم أمار الهداية الدينية ثم خسفت ، ولم يزل الناس في قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، والأثم في تلاش وققاء ، ونشوء وارتقاء ، حتى استمد المجموع في جملة الارقي العام ، فمنحه الله تعالى دين الاسلام ، جاء الاسلام والعالم كله في تأخر من جميع الوجوه — من جهة الدين — من جهة العلم — من جهة المدنية — من جهة السياسة — فلم يمر قرن واحد حتى جدد للعالم كله ديناً قيماً ، وعلماً محكماً ، ومدنية سعيدة ، وسياسة وشيدة ، ونشر ذلك كله في مشارق الأرض ومغاربها بقوة الحق . وسرعة البرق . فغير به وجه الأرض ونفخ في الانسان روحاً جديداً أعطاه من جرائم الحياة ما لا يقبل القناء ، ما دامت الأرض والسماء ، (١) ينبوع تفجر في أرض وقاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد موتها ولكن القائمين على حراسته وتماهدد وضعوا فوقه أنقاضاً من خرائب جيرانهم فغيض الماء وما بقي منه صار مستنقعات تجتوى . لم يابث بعد ما غاض أن فاض منه شيء في

(١) بينا ان اركان الاصلاح الاسلامي غير قابلة للتهدم في مقالات متعددة نشرناها في مجلدات المنار كمقالات « الاصلاح الديني » والمقالة التي فأنحها « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها » « صلحون » ومقالات « ساعة مشيخة العارقي الروحية » وفيها الكلام على تنفيذ الاسلام الساطين السياسية والدينية وجعل الناس سواء . وكل هذا في المجلد الأول . ومقالة « الجنسية والديانة الاسلامية » في المجلد الثاني ومقالة « إعادة مجد الاسلام » ومقالات « مدنية العرب » في المجلد الثالث ومقالات الحكومة الاسلامية والتقضاء في الاسلام في المجلد الرابع



مواضع أخرى فانتفع أهلها به وحافظوا عليه ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل النبويع المتتبعين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر في تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم. وأنهم لو أزالوا عنه تلك الانقراض لفاض ورجع إليهم خصيمهم ونساؤهم كأحسن ما كان. لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للأحياء.

فذلك مثل المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحية الراقية. أخذ الفرييون من الإسلام كل أصول الإصلاح الذين هم فيه وهم يقولون: الإسلام عقبة في طريق كل إصلاح. يقولون للمسلمين: إن ماءنا صاف تقي بحمي البلاد والعباد وماءكم آسن أجاج أحدث مستقعات أهلك الحرث والنسل. فكيف يستوي الماآن. وقد اختلف الأثران. منهم من يقول هذا معتقداً. ومنهم من يقوله متقدماً. ونحن ساكتون عنهم. لأننا جاهلون بأنفسنا وهم.

ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أئتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب. ويظهر الحق من الباطل. فقوم الحججة على الجاهل بدينه ونفسه، والمكابر لوجده وحجته. أعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً، فيرجعوا إلى أصول دينهم وهو الأولى بهم والأحرى. فقد أعدهم بنوائب الزمان، وصروف الحداث، لأن يترفوا بدينهم، وينبؤوا بالتدريج إلى رسمهم. إذا ظهر فيهم علماء ربانيون. وأضياء روحانيون، يعرفونهم بحقيقة الداء، ويصفون لهم الدواء، وما طلب الإنسان بالسان استعداده شيئاً من مولا، إلا تفضل عليه به وأعطاه إياه (١).

لهذا أخذ الله للمسلمين حكماً من الأعلام، وأماناً من أئمة الإسلام، يطب لهم، ويجمع ما تفرق من آرائهم. وقد كتب في هذه الأيام كتابة جلية في العلم والمدنية، بالنسبة إلى الدلائل النصرانية والإسلامية. رد فيها على أحد كتاب المسيحيين قوله إن المسيحية كانت أكثر تسامحاً مع العلم من الإسلام وإن الإسلام أكثر اضطهاداً للعلم والفلسفة من النصرانية، وبين في آخر ما كتبه طال المسلمين السوءى وعدم موافقها لما تقتضيه طيبة دينهم فبراً الإسلام وسافه من الملام ولكنه لم يبرئ المسلمين من تحريك بل دهم على حفيظة دأهم وهداهم إلى طريقة معالجة والخروج منه بأذن الله تعالى. وأصمري أنه أنذر فأعذر ويرى من وعيد الكتبان « من أهدى فأعلمتهدي نفسه ومن ضال فأننا بفضل علمها ».

(١) راجع مقالة « الإصلاح والسعاد » على قدر الاستعداد « (ص ٦٨١م ٤)



ويلي هذا في المقدمة إجماع لشبهات ذلك الكاتب وقد عرفها القراء من قبل كما عرفوا الرد عليها فلا حاجة لذلك ها. وقد تم طبع الكتاب وإصداره وعنه ٥ قروش صحيحة وأجرة البريد في مصر ستة أعشار القرش (٩ مليات) ويطلب من إدارة المنار بمصر

(سعی فی لوفاق الاسلامی الإنکیزی)

علم القراء من المقالة الافتتاحية في هذا الجزء أن من الفائدة الكبرى الاسلام والمسلمين ان يعرف أهل أوروبا حقيقة الاسلام لانهم متى عرفوا حقيقة يعرفون حقيقته وفضله فيكونون نصراء له وتقل مقاومة حكامهم لأهله . ولا ريب ان من عرف منهم هذه الحقيقة يكون أقدر منا على تعريفهم إياها بصورة يقبلونها . كلاهما تاب عاقل في أن معرفة الانكاري بالاسلام تكون أنفع للمسلمين من معرفة غيرهم من الأوروبيين لان للانكار سلطاناً على الشعوب الاسلامية ليس لغيرهم مثله أو ما يقاربه ولأنهم أقرب الأمم الأوروبية الى أخلاق الاسلام وفضائله وأرجاهم لفائدة أهله

بعد التذكير بهذا نقول ان الحاج عبد الله براون الانكليزي الذي اهتدى الى  
الإسلام من عدة سنين وثبت عليه وماتزج أهله توجهت نفسه الى القيام بخدمة  
صاحبة لأهل دينه الذي اهتدى اليه ولأبناء جنسه الذين ثبت فيهم وذلك بأن ينشئ  
جريدة انكليزية في مصر غرضها الأول التوفيق بين مصلحة الانكليز ومصلحة  
المسلمين في مصر وفي المستعمرات الانكليزية كالهند وغيرها . وقد سافر الى الهند  
بمساعدة أهل الغيرة والتجدة من المسلمين الذين يعرفون قيمة هذا السعي يعرض  
رأيه على كبار المسلمين هناك ويستعملهم في الإسماعاد عليه . وقد بلغنا ان لاورد  
كره من مراتب الى هذا العمل ومساند تاييده ويرجى من كبار عقلاء المسلمين  
في الهند أكثر مما يرجى من عقلائهم في مصر إسماعاداً وإرفاداً .

وَمَا يَدَّبُّنَا عَلَى أَنْ هَذَا الْعَمَلُ يَرْجَى نَجَاحُهُ أَنَّهُ رَأَيْنَا الْحَوَادِثَ قَدْ أَعْدَّتْ  
النَّفُوسَ مِنَ الْمُرِيقَةِ لَهُ كَمَا نَمُتُّ مِنَ السَّكَنَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي دَانَتْ عَلَى تَوَجُّهِ حُكْمِهِ  
الْإِنْكَازِ وَكَثِيرُهُمْ لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ الْمُسَامَحَةَ فِي الْعَرِيَةِ الْمَلِيَّةِ الْإِسْتِقْرَافِيَّةِ وَالتَّعَامُ النَّسَافِ  
وَقَدْ عَرَبَ الْوَيْدَ حَتَّى بَدَأَ فَمَرُّهُ الْمَضْرُوبُونَ كَمَا عَرَفُوا بِالْإِخْتِيَارِ سُوءَ مَقْبَعَةِ مَا جَرَى  
عَالِيهِ أَسْخَافَاتُ السِّيَاسَةِ عِنْدَهُمْ مِنَ الْإِغْطِ بِسَبِّ الْإِنْكَازِ وَشَتْمِهِمْ وَجَعَلَ حَسَنَاتِهِمْ





سيئات فرجع المصريون الى رأي إخوانهم مسامي الهند الذين جربوا قبلهم معاداة القوة ثم رجعوا فعرفوا فائدة المسالمة وهو أنه لا أنفع للمسلمين من التوفيق بين مصالحهم ومصالح الإنكاري والعمل معهم بالصدق والإخلاص وكل هذا من مقدمات مجد الإسلام المستقبل « والعاقبة للمتقين »

### ﴿ مابعد الاستشارة ﴾

استشرنا قراء المنار في نشر ما جاء في سجل جمعية أم القرى من معائب السياسة والادارة في دولتنا (أيدها الله تعالى) فكتب إلينا بعضهم يحزم بوجوب نشر السجل كله يعرف محبو الاطلاع اسباب الفتور السياسية كما عرفوا غيرها. ولم يكتب إلينا احد قط باستحسان عدم النشر ولكن بعض اصدقائنا قالوا لنا شفاهاً أنهم يرجحون عدم النشر لئلا ينفر المحب الجاهل الراغب في بقائه على جهله من المنار ويظن أنه ينفر عن الدولة العلية التي هي أعظم دولة إسلامية. ولكننا رأينا ان انتفاع الجمهور بعلم كل ما يقال عن الدولة أولى بأن يرجع على انتفاع ادارة المنار من رضاء محبي الجهل عنها. اما الانتفاع بما نشر فهو ان نشر مثل هذه الافكار هو الذي يقنع الترك والعرب وسائر المسلمين بأنه لا شيء اضر عليهم من حل الرابطة الإسلامية استغناء بالروابط الجنسية. ويظهر ان مولانا السلطان عبد الحميد (وفقه الله تعالى) مقتنع بهذا المعنى كما اقتنع به من قبل اعظم سافره (السلطان سليم ياوز) ولذلك تراه يعتمد في مهماته على ابناء العرب اكثر من غيرهم ولو كان قادراً على ازالة الجنسية التركية لأزالها فيما يظهر وقد رأينا كثيرين من عقلاء الأتراك مقتنعين بهذا الرأي اعظمهم المشير مختار باشا الغازي. ولو لا أنهم عرفوا مضرة الجنسية وعرفوا ان عقلاء العرب عرفوها لما اقتنعوا بها. ولا يجوز ان يحملنا ماورد في سجل الجمعية على بغض الترك فنزيد في ضرر الجنسية وإنما يجب ان نسعى في ازالة الجنسية والرجوع الى الرابطة الإسلامية وحدها. على ان ماذكروا من بغض الترك واحتقارهم للعرب ليس عاماً فيهم وإنما هو شئنة من افسدتهم السياسة الفاسدة واكثرهم اخلاط في الأصل من الأجانب والعناصر الغربية. وقد بلغنا ان الترك العريقتين في الانطواء يتبركون بالعربي اذا رأوه ويحاورونه لأنه من بلاد النبي صلى الله عليه وسلم وان كان في شخصه وضيقاً سافراً ويكادون يعبدون من ينسب الى آل البيت عليهم السلام

### ﴿ الجرائد والمجلات والمشترون ﴾

يكتب إلينا كثير من طلبة الاشتراك بالجملة بما دون القيمة المعروفة لأنهم تالفة



ولأنهم فقراء ومنهم من يصف حاجته إلى النار وضيق ذات يده المانع من دفع جميع الاشتراك وصفاً غريباً ولا شك أن منهم من يستحق أن يسمح له بما يريد لأنه صادق في استيفاء دفع حصة الاشتراك من قسمة واحدة لأنه فقير اليأس ومنهم من يحرم أن يساعد على طاعة شخص لا يملك النفس غني اليد وقد يشبه هذا بذلك فإن لم يشتره فإن الثاني يحني على الأول

كنا جملتنا قيمة الاشتراك لطلاب العلوم ٥ قرشاً فرأينا العلماء وأساتذة المدارس وإظهارها لا يدفعون إلا ٥ قياً على التلامذة والطلاب بجامع الاشتغال بالعلم ورأينا لزيادة الشريعة وجميع من تخرج من المدارس إلى الوظائف بأنواعها لا يدفعون إلا ٥ عملاً بقاعدة الاستصحاب الفقهية أو جراً مع حركة الاستمرار الطبيعية ٥ وبما يضيغ حق المدارس بين القاعدة الفقهية والتمويل الطبيعي بسوء التطبيق ثم وإذا جملتنا الفقراء سبباً للرضى بنصف الاشتراك وكان كل إنسان هو المعروف للفقير وإذا كان أكثر الأغنياء الخفيين مع هذا لا يخفون بالعلم والدين ولا يصعدون من يخدمهم فلا شك أنه لا يسلم لصاحب الجريدة خمسة في المئة من المشتركين يدفعون قيمة الاشتراك كاملة وإذا علم بعد هذا أن الغني والفقير والمعلم والتلميذ سواء في المطال أو الإرجاء في قيمة الاشتراك ولو إلى آخر السنة وأن بعضهم يستحل أكل ثمن الجرائد والمجلات فيخصّص اثنين للجرائد منهم من يقتدي ببعض المشتركين باستحلال أكل ما يحصله كما وقع في مصر مرة أو منهم من يشارك صاحب الجريدة بأخمس حتى كأن المال غنيمة والحصل هو السلطان أو بيت المال — فإن العالم بذلك يجادل أن يطالب الاشتراك بنصف القيمة في مجلة يباع صفحات مجلداتها في السنة نحو ألف صفحة وبسرف صاحبها في تأليف سنة كاملة (النار) أقل مجلات التطوير الشهيرة ثمناً فإنها مائتة في السنة جنيه ٥ منها مائتة ٨٠ مائتة ٧٠ وما مائتة ٩٠ وبعض هذه المجلات أصغر من المزار حجماً وربما كان الثمن فيها أقل فأناريساً تشتغل عدة ساعات في البحث عن حديث واحد لتعرف جميع مخرجه وما قيل فيه فلهذا ونحوه ما تقدم منه حرمه شرعاً الذين طلبوا الاشتراك ناصت الخدمة على عدم محاولتهم والاقتدار لكن واحد منهم ٥ وقد كتبنا هذه النبرة في الجرائد يعلم السامعون على أنكر أو يسمعون من يصانع لنا لاقتل من أحد الاشتراك يمل من خمسين قرشاً في السنة خمسة بحوا ويرجوا ومن تعلم باليقين أنه يسر عليه أن يوفر من نفقته في السنة خمسين قرشاً يجملها ثمناً لحاجة يحب أن يقرأها ويرجي أن يافع بها فربما يرسل إليه المنار بلا ثمن



يَقْبُرُ هَيَادَى الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ  
يَقْبُرُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ  
اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ

المعراج

يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ  
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا  
يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ

١٣١٥

( قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ لِلْإِسْلَامِ صَوِي وَ « مَنْاراً » كُنار الطرِيق )

( مصر الخميس ١٦ شوال سنة ١٣٢٠ — ١٥ يناير ( كانون الثاني ) سنة ١٩٠٣ )

بَابُ الْعَقَائِدِ

رَأَيْتُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ . وَطَرِيقَةً فِي اثْبَاتِ الْوَحْيِ

( إمام عادل و كاتب فاضل )

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْقَارِئُونَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . وَانْعَامُهُ وَكَرَامُهُ .



هذه كلمات قليلة قدمتها لكم على صفحات هذه المجلة النافعة . اشير فيها لبيان شيء من حال علم الكلام وأختتمها بذكر طريقة سهلة للسالك قريبة للآخذ في اثبات الوحي .

— الذي دعاني لتحرير هذا —

كيفما التفت الإنسان بحسه أو فكره لا يجد شيئاً إلا وشيئاً آخر يقابله هو ضد له . وكيفما تقلب لا يلقى نفسه إلا بين شيئين يسمى أحدهما « المحبة » والآخر « النفرة » . وكيفما تحرك فهو إما طالب لما يحب وإما هارب مما ينفر . يا ويح الإنسان الذي يشغل مدة حياته بالطلب والهرب . ثم يا ويحه حين يرى لما يطلبه طلاباً كثيرين يزعمونه وينازعونه . ثم حين يجد نفسه غير مستقل فيما يحب وينفر . يحب شيئاً ، فيعاقب ، ويكره شيئاً فيعاقب ، ثم يا ويحه حين يعلم أفراد نوعه متضادين ومتجادلين من أجل التضاد . هذا الجدل قد يحتدم بين الأخوة بني النوع من أجل الاحتياج الذي فطروا عليه وقد يكون الاحتياج دواءً مسكناً من هذا الغليان . وطالما شوهدت أشياء مثل الاحتياج تكون داءً ودواءً

من أجل الاحتياج يفرق النوع ويتخاذل ، ومن أجله يلتئم ويتعاون ، وليس كل احتياج منشأ الضرورة بل كثير منه منشأ حب التميز . ومن فضل الخالق أن جعل كلاً محتاجاً ومحتاجاً إليه . المطعمون محتاجون للكاسين ، والكاسون محتاجون للمطعمين ، والفرقان محتاجان للباينين ، والثلاثة محتاجون للباثمين ، والأربعة محتاجون للحافظين ، وخمسة المحتاجون للإثبات ، والسادس المحتاجون للمعول ، والسابع حريصون على حصيلة الثمانية ، والثامن محتاجون للشارعين ، والتاسعة محتاجون



الحدود والحقوق، والكل محتاجون مع العمل الى العلم والمعلمين، وفي هذا كله حكم عرفها من عرفها، وجهلها من جهلها

ما احوجتنا مع هذا الاحتياج والتعاون في لوازم الحس الى التحاب والتعاون في لوازم العقل في الاسف لم نر انفسنا الا على هذه الحالة متفرقين وما نحن ابتدعنا الفرق بل كان قبل ان كانت اشخاصنا وسبقنا الى من بعدنا ليس علينا رفع الخلاف ولا تقوى نحن عليه، ولكن علينا ان لا نزيده كما زاده المتعاملون المطاعون في حياتهم والمتبعون بعد موتهم، اولئك الذين يكفرون على الناس صفاء فطرتهم، ويفسدون عليهم سلامة تصورهم، بل علينا ان نجتهد في تخفيفه وذلك لا يكون الا بصقل العقول من صداها وهام فقائنا مجاهدة الاوهام واهلها مبلغ جهلنا، وما اجمل هذه من وظيفة نشكر عليها المحيط المقسم الممد الذي جعل لنا منها نصيباً، وتانا عليها عوناً، واحسن جلاء للعقول هو ازالة سيطرة المتعلمين عنها (فهو الصدا العظيم) واستعمالها في فهم اسرار الكائنات وحكم الشرائع، وافضل عون لها في بلوغها في هذا السبيل هو الدين الخالص من شوب الناس، ذلك لان البشر منذ القديم كدروا العقل بتصورات سقيمة في شأن الموجد الاول فالدين يرشد لا سلم، وحماء النفوس على عادات قيحة ضارة سموها عبادات فالدين يهدي لا جنن وانفع، وحماءها أثملاً من القوانين الجائرة فالدين يوصي بأعدل، وزيروا لها اخلاقاً فاسدة فالدين يبدل على اصالح، لكن الناس اصناف ومصنفه اكثرهم يميلون لما هو ضد الخير ونحن نفوسهم الى الرذائل الخارجة عن حد الاعتدال في كل شيء كما هو داب الذين خلوا من قبل، فمن لم يتمسك بالدين البتة فلا غلام فيه هبنا، ومن تمسك



فيه تراهم في مغايرته على نوعين - نوع يغايرونه بالفعل ويتمسكون منه بالاسم وهم الاكثرون ونوع يغايرونه بعلوم يحدثونها يُبصرون الناس فيها انهم اولياؤه . فاما الذين يغايرونه بالفعل فالوظيفة معهم الوعظ والتذكير . واما الذين يغايرونه بما يحدثونه فالوظيفة معهم وظيفة المناقل مع المناقل في الدعاوي والبيّنات . وتحقّ الحقيقة ويبطل الغلط .

ولما عرفت ان الدين كلام يفهمه المناقلون ، ولا يحتمل ما يعزوه اليه المتفردون ، حرصت نفسي على كشف حال كثير من العلوم المحدثّة فأقول ما لها وما عليها ليعلم طلابها ما يضرهم وما ينفعهم . ذاك منذ علمت ان سعادتني في ان اكون مخلص القلب للمجتمع الانساني ، القائم على ناموس رباني ، وان اكون شاكراً انعم العاملين بما ينفع الناس ملتصاً مع من عرفوا النعم فشكروها ، اوجهلوهافاً - تعرفوها ، نافراً عما كفروا بها واستيقنوا انفسهم . فهذا ما دعاني اليوم لتحرير هذه الكلمات الشارحة رأياً في علم الكلام . وطريقة في إثبات الوحي .

### ﴿ تمهيد وتقسيم ﴾

هذا الإدراك الذي اوتيّه الانسان لم يقف به عند استعراف ما يطعمه ويكتسبه ويأوي اليه بل ساح به من عالم الشهادة الى عالم الغيب = من عالم الحس الى عالم الخدس =

يسأل الانسان نفسه بنفسه ما هو الموجد الأول او ما هو الموجود الأول ، من صنع هذه الكواكب الزاهرة ، من اوجد هذه البحار الزاخرة ، من انشا هذه الأرواح العاقلة ، من خلق هذه الاسباب الظاهرة والباطنة ، من سوى هذه الروابط الثابتة ، من صوّر هذه



الصور المتغيرة ، من يدبر هذه الكائنات المتنوعة :

ثم ينتقل من هذا السؤال الى سؤال آخر فيقول : ما هي نفسنا ما هو ادراكنا . لماذا افرادنا متفاوتون فيه . ما هي هذه الحياة التي نحياها . ما الفائدة لنا منها . ما الحكمة للذي سوى فيها . ما الذي يجب ان نعمله معها . اين تذهب ارواحنا عند اضمحلال هذه الحياة . لماذا نحيا وهي مع قصرها مرة المذاق . كدرة الموارد . لماذا نتراحم . لماذا نتجادل . ما السبيل لسلامتنا بعضنا من بعض ؟

هذه الأسئلة وامثالها شغلت فكر هذا النوع من زمن قديم ليس لنا ولا لغيرنا علمه . وما زال الناس ولا يزالون يتساءلون ويتجادلون في هذا الى ما شاء الله ، وليس البحث في هذه شأن كل فرد من الأفراد بل هو شأن نفر من كل امة من هذه الأمم المتفرقة . وقد يعقب البحث والتفكير تصور ويعقب التصور عقد . ويحمل العاقد بشيء غيره ان يعتقد كما اعتقدكم كذا تكونت نحل الناس وملائهم .

والذين اشتغلوا بتدوين العلوم قد تقيدوا باصطلاحات خاصة زعم ان بها يمكنهم تعميم فائدتها . واما الذين عرفوا كيف يقرب العلم من افهام الطبقات المختلفة فيجبون ان تتجافى عباراتهم عن الاصطلاحات . هما امكنهم ذكرني بذكر هذه القضية اني رأيت مدوني هذه المباحث في لغتنا قد تباعدوا بها عن افهام الاكثرين بكثرة ما جاءوا فيها من الاصطلاحات وهم ما قصدوا الا التفهيم بل زعم بمضهم ان الناس اجمعين مكلفون ان يعلموا علمهم ذلك . ولا بد من ان يزعم هذا ان اصطلاحاتهم يفهمها كل أحد من أهل اللغات المختلفة . ولعل عذرهم انهم دونوها كما وجدوها على اصطلاح



الباختين من أتم أخرى . وهو عذر مقبول في الجملة

هذه المباحث يقال لمجموعها في اصطلاح المدونين ( فلسفة ) وهي كلمة منحوتة من اليونانية قالوا معناها ( حب الحكمه ) . ومن أجل شيوع هذه الكلمة بهذا المعنى ظن البعض أن الفلسفة اليونانية هي أول فلسفة ومن أجل أن علم الكلام ( الآتي ذكره ) يرد كثيراً من آراء فلاسفة اليونان كما يرد الفلاسفة بعضهم على بعض ظن أن علم الكلام إنما جعل لنقض الفلسفة . والظن الأول يزعمه التدقيق في التاريخ العام للأزمنة القديمة التي يجهل منها أكثر مما يعرف . والظن الثاني يزعمه معرفة أن علم الكلام فلسفة يعرف بها صحة الدين . وليست كل الفلسفة مناقضة للدين حتى يحتاج الدين إلى علمه تنقض الفلسفة كما أنه ليس كل كلام أهل الكلام مقبولا عند الدين بل كثير منه مردود بشهادة بعضهم على بعض . والمدقق يعلم أن ليس علم الكلام الأقسامين قسما يجمعون فيه نظريات على طريقة الفلاسفة القدماء يوافقونهم في أشياء ويخالفونهم في أشياء . وقسما يجمعون فيه خلافات ومنازعات بينهم أنفسهم

ويعلم أيضاً أن الدين انتصر بروحه الزكية السالمة من الشوائب قبل أن يجيء علم الكلام ناصراً له وناقضاً للفلسفة . ولكي يعلم الناظر هنا آراء الناس في الإلهيات قبل الإسلام وقبل علم الكلام أذكر نموذجاً يسيراً منها في فصل . ومنه انتقل لعلم الكلام في فصل آخر



### ❦ الفصل الأول ❦

— الفلسفة الإلهية عند الأمم السالفة —

كان الصابئة ( وهم طائفة منبها بلاد فارس منها انفصل إبراهيم النبي الذي هاجر الى فلسطين وتسلسلت النبوة في عقبه ) يقولون ان للمسلم صانعا فاطرا حكما مقدسا عن سمات الحداث والواجب علينا معرفة المعجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرأ وفعلا وحالة وهم ينكرون نبوة البشر ولكنهم يعترفون بمعلمهم الأول هرمس ( قيل هو ادريس ) ويثبتون عالما روحانيا على نحو ايسميه الكتابيون الملائكة وقسموا هذا العالم الروحاني الى طوائف منها مدبرات الكواكب التي هي هياكلها اذ لكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذاك الهيكل نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره ومدبره . وربما يسمون الهياكل أربابا وربما يسمونها آباء والعناصر أمهات . فوظيفة هذه المدبرات تحريك الكواكب على قدر مخصوص ويحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في التركيبات فيقتبها قوى جسمية ويركب عليها نفوس روحانية مثل أنواع النبات والحيوان ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي فمع جنس المطر ملك ومع كل قطرة ملك

وانخذ هؤلاء صورا وتمثيل على صور الكواكب وأمثلةا و... لها البيوت وأقاموا لها الهياكل واحتفلوا من أجلها بشروخ وهراسم شرعيا .  
ناسب كتب الجدل وكتب التاريخ . وليس غرضنا الا النموذج اليسير



وكان « الزروانية » ( وهم طائفة من الفرس ) يقولون ان النور ابداع  
اشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الذي اسمه  
« زروان » شك في شيء من الاشياء فحدث « اهرمن » ( الشيطان )  
من ذلك الشك ولهم في ذلك اساطير لم نجوز سردها لقلة فائدتها .

وكان « الزرداشية » ( وهم طائفة فارسية اخرى زعيمهم زرداشت )  
يقولون ان النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك « يزدان » و « اهرمن »  
وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت  
الصور المختلفة والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد  
لا شريك له ولا ضد ولا ندويدي اصحاب ( زرداشت ) معجزات كثيرة له  
وكان ( حنانيس ) اليوناني — الذي تعلم الالهيات والهندسة والهيئة  
في مصر وهو اعظم مؤلفي الفلسفة المسماة يونانية — يقول ان جميع ما في  
الكون لا يخلو عن احساس ما وانه مملوء بما لا يدركه الطرف من المخلوقات  
وكلها متحركة ذات ارواح

وكان ( فيثاغورس ) يقول ان العالم له روح وإدراك وان روح هذا  
الدولاب العظيم هو الاثير فنه جميع الارواح الجزئية وكان يقول ان  
الارواح لا تقف فهي تسيح في الهواء الى ان تصادف جسماً فتدخل فيه  
ولذلك كان يشدد في منع اكل الحيوانات . وادعى فيثاغورس معجزات  
كثيرة جلها لتأييد مذهبه في تناسخ الارواح ومما فعل انه بنى له تحت  
الارض حجرة صغيرة وعاهدها ان تكتب له كل ما يكون ويحدث  
فغاب فيها سنة ثم خرج نحيقاً أشعث أغبر وجمع الناس واخبرهم انه كان  
في حجرة لا يرى ان يمد يده لشيء في حجرة فحصل في غيبه فظنوا انه



فوق جميع البشر ( تأمل )

وكان ( هيرقليس ) يقول ان الكون ممثلي من الجن والعقول وان  
الآله لما قضى ألا بوجود الاشياء تركها لتدبير خلقه ( تأمل )

وكان « انكسغوراس » يقول بالعقل الذي يفيض على كل مادة ما  
يليق بها من الصورة وكان يقول لا فراغ في الجو بل هو مملوء وان  
جميع الاجسام تقبل القسمة الى مالا نهاية له ولو كان الجسم صغيراً جداً  
بحيث لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم لا يمكن ان يستخرج من رجل  
البعوضة اجزاء لو وضعت على الف الف سماء استرتها من غير تنهاهيا في  
نفسها بل لا تزال قابلة للقسمة ( تأمل )

وكان « افلاطون » يقول الأصول ثلاثة الآله والمادة والإدراك  
فالآله يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الأول للتولد والفساد .  
والإدراك كجوهر روحي قائم بذات الآله . كان الناس يقبلون  
افلاطون بالالهى وكانوا يقولون ان افلاطون يعرف الآله الحقيقي معرفة  
جيدة وهذا إما من جودة ذهنه او مما أطلع عليه من كتب العبرانيين  
( تأمل ) ووقع من افلاطون أنه نوع الالهة مراتب ثلاثاً علويين مسكنهم  
السماء ومتوسطين يسمون جنات كوزراء للعلويين مسكنهم الهواء وسفليين  
مسكنهم الماء سماهم انصاف الالهة ( تأمل ) وقال ان جميع عناصر العالم  
وسائر اجزائه ممتلئة بهذا النوع الثالث وقد يظهرون في بعض الاحيان  
لا بصارتنا ويختفون احياناً . . . افلاطون فيثاغورس في تناسخ الأرواح  
وكان « ارسطاطاليس » يقول : الأصول ثلاثة العدم والمادة والصورة .  
وعرف المادة بتعريفين مختلفين سلباً وإيجاباً فقال في الأول : المادة هي ما



ليست جوهر ذلك الشيء ولا امتداده ولا عرضة ولا نوعاً آخر من  
الامور الوجودية المعارضة له : وقال في الثاني : المادة هي مبدأ تركيب الاشياء  
ومنتهى تغيراتها : وليس في الاثنين ما يفيد حقيقتها ( تأمل )  
وكان « ابيقور » يقول بأن الروح جسمانية ممتلئة ذلك بأنها محركة  
لاجسامنا مشاركة لها المآ ولذة وانما في حالة ثقل النوم تنقبط بها بغتة وبها  
تتغير الواننا على حسب ما يمرض لها من الحركات والاعراض  
هؤلاء من مشاهير اليونان الذين تكلموا في الالهيات وهذه  
مشهورات من آرائهم فيها ( وأما علومهم الرياضية والمنطقية فليست من  
صدد موضوعنا ولا تنقضها الالهيات والعلوم الخادمة لها ولا تأمر بنقضها  
بل بإبرامها لانها لازمة نافعة واما علومهم الطبيعية فلا تنكرها عليهم أيضاً  
الا ما انكروا فيها الصانع وصنعه )

وكان « اليهود » يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويقولون إن عيسى  
بن مريم الذي خلق من غير اب زنت به امه واتى من الزنا وخالف بعمله  
النواميس الشرعية فقتلناه وصلبناه

وكان النصارى يقولون لابل عيسى هو ابن الله بعثه ليخلص الناس  
من خطيئة آدم التي لحقت بأولاده وجعله فداء لهم من الخطيئة التي لم  
يسكن غضب الرب من اجلها ثم اختار أن يكون سكون غضبه وتخليص  
الناس منه بواسطة اراقه دم ابنه ولا تنس أن النصارى يقولون أيضاً  
بأصول ثلاثة الاب والابن وروح القدس

وكان العرب أصنافاً منهم من انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع  
الحي والدهر المفني كما حكى ذلك القرآن عنهم « وقالوا ما هي الا حياتنا



الدنيا غوث ونحيي . وما يهلكنا الا الدهر ، اشارة الى الطبائع المحسوسة  
وقصر الحياة على تركيبها وتحللها . فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر  
ومنها صنف أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة  
وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة  
وهم الدهماء من العرب الا شراذم منهم

ومن العرب من كان يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أوقتل  
اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيتة فانتصب طيراً هامة

ومنها من كان على ملة ابراهيم كزيد بن عمرو بن نفيل . ومنها من  
يهود . ومنها من تنصر ومنها من تفلسف وأدرك بعقله الحشر والجزاء  
قال « قس بن ساعدة » وهو أحد حكماء العرب : كلا ورب الكعبة ايعودن  
ما باد . وقال أيضاً : كلا بل هو الله اله واحد . ليس بمولود ولا والد .  
أعاد وأبدى ، واليه المآب غداً ، وقال « عامر بن الظرب العدوي » وهو  
من حكماء العرب أيضاً اني مارأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت  
موضوعاً الا مصنوعاً ، ولا جائياً الا ذاهباً ، ولو كان يمت الناس الداء ،  
لا حياهم الدواء ، ثم قال : اني أرى أموراً شتى وحتى : قيل له : ماذا ؟ قال :  
برجع الميت حياً ، ويعود الاشياء شيئاً ، ولذلك خلقت السموات والأرض :  
وقال علاف بن شهاب التميمي

وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الأبدان

— ظهور محمد عليه السلام —

فبينما حال الناس عامة والعرب خاصة على ما مضى من ظهور محمد  
من العرب بين أظهرهم بهدى عظيم ، ودعا الى صراط مستقيم ، صدقه



بدعوته الواحد والأثنان، وكذبته الشعب الكبير المتشعب إلى جماجم  
وبطون وأنفاذ، صدقه من صدقه لنور قذف في قلبه، رأى به وجهه وجه  
صادق، وخطته خطه مرشد، ودعوته دعوة مويد من عالم الغيب، وكذبته من  
كذبه لشبهة عنت له، وحجاب أسيل على بصيرته، ثم صدقه آخراً من  
كذبه أولاً، ولم يفارق هذه الدار وفي جزيرة العرب جماعة مكذبون

كيف آمن جمهور العرب به من بعد أن أورد متعاقلوهم كل شبهة  
عنت لهم، من بعد أن قالوا ساحر كذاب، من بعد أن قالوا شاعر مجنون؟  
هل آمنوا رهبة من سيفه؟ فكيف أُرهب سيف هذا الواحد قلوب تلك  
القبائل الكثيرة؟ هل آمنوا رغبة في الثنائيم؟ فكيف سرى هذا الخاطر  
الواحد في أفكار الكل بعد أن صدوا أعظم الصدود وحارب بعضهم بعضاً  
من أجل أن ينصره قوم ويكيدهم قوم؟

إنما آمن العرب بعد حين من دعوته تربصوا فيه أن تظهر لهم أعلام  
صدقه فظهرت (كما سيظهر لك) ويومئذ دخلوا في دينه أفواجا، ووفدوا  
على حضرته زمراً، يبايعونه على التصديق والاتباع، ويستعلمون منه  
الوظائف والواجبات، ويرجعون عنه بأفئدة مسرورة، وعرائم مشتدة،

أما العقيدة التي كان هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوصي بها  
فهي أن يشهد الرجل أن «لا إله إلا الله» وأن «محمداً رسول الله». كلمة  
«الله» عند العرب علم على الخالق كانوا يقولون به ولكنهم لا يعرفون  
كماله كما يجب فكان منهم من يظن أن الملائكة بناته وأن الأصنام شركاؤه  
في بعض ملكة فعرّفهم أن الله لا يشبه المخلوقات فلا يلد ولا يولد وليس  
له شريك في الملك ولا إله غيره ولا معبود سواه ولا ينبغي أن يرجى



وينحاف من غيره . فكل هذه المعاني مجموعة في كلمة « لا اله الا الله »  
وأما الكلمة الثانية فالمقصود منها التسليم بما جاء به في الكتاب والخضوع  
لما يحكم به ونمضيه واعتقاد أن هذا الكتاب كلام الله أو جاء اليه بواسطة  
ملك من الملائكة الذين هم خلق مدركون لا يعصون الله تعالى ويندرج في  
هذه العقيدة الايمان باليوم الآخر

هذه العقيدة التي يصير بها المصدق محمدياً وقد ورد تفصيلها في  
القرآن كصفات الله تعالى والاحتجاج على المكذبين والوعد والوعيد  
في الدار الآخرة ويعلم القارئ أن الرب المدعوى لما آمنوا ما كانوا يعلمون  
القرآن كله لأنه لم يكن قد تم نزولاً . بل أكثرهم ما كانوا يعلمون غير  
الآيات القليلة وكان أعلمهم به (أي الذين يعلمون كثيراً من الآيات) لا يجد  
في الألفاظ شيئاً غريباً في مدلوله ليتساءلوا عنه ويتباحثوا فيه (الما روي نادراً)  
بل كان هذا التباحث من قسمة الدين أتوا بعبيد

أتى بعبد عصره أناس قرأوا القرآن فعلموا شيئاً وجهلوا شيئاً وأناس  
استمعوا لآراء الناس في الإلهيات من نحو ما قصصناه عليكم وانقسموا فيه  
فرقتين محبة وكرهية . ثم انقسمت المحبة فرقتين مصوبة ومخطئة . ثم  
انقسمت المصوبة طائفتين مؤولة للدين على مقتضاها وتاركة له على حاله .  
ثم انقسمت المؤولة زمريتين معتدلة وغالية . فهذا هو مبدأ نشأة الفلسفة  
في الإلهيات عند المسلمين وعلى هذا الشكل كان تفرق أهل هذه الفلسفة

### الفصل الثاني

— الفلسفة الإلهية عند المسلمين — أو — علم الكلام —

لا يصح أن تقول أن العصر الأول للإسلام كان خالياً من بذور



البدع التي حدثت بعده في الأصول والنروع . نحن لا نقول هذا القول لأن أقوال المعاصرين للرسول كثير منها محكي في القرآن ونرى في بعضها ما يدل على أنه كذهب الجبرية وفي بعضها ما يدل على أنه كذهب القدرية وغير ذلك . ولكننا نقول لم تثبت تلك البذور الا في اواخر أيام الصحابة حين أظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري القول بإنكار اضافة الخير والشر الى الخالق سبحانه . ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان هذا تلميذاً للحسن البصري . ويحكي أنه دخل واحد على الحسن فقال يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار والكبيرة عنهم كفر يخرج بها صاحبها عن الملة . وجماعة يرجئون أصحاب الكبار والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلين لا مؤمن ولا كافر . ثم قام واعتزل الى اسطوانة في المسجد وأخذ يقر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمي هو وأصحابه « معتزلة »

وقال « واصل » هذا بقول معبد وغيلان في مسألة افعال العباد وانكر مثلها قضاء الله تعالى وقدره . فسموا « قدرية » (سماهم بهذا خصوصهم) . قال ان الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمرهم به . وأن يحكم عليهم حكماً ثم يجازيهم عليه . وقال « واصل » وأصحابه يستحيل وجود إلهين اذ لئین ولذلك نفاضة العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر . والكلام عن



الباري اي لم يقولوا هذه صفات للباري قديمة ازلية بل ان الله عالم حي قادر وليس علمه ولا حياته ولا قدرته الا ذاته .

هذا رأس الطائفة. « المعتزلة » وطالع بئمه الشيوخ الذين اتبعوه كتب الفلاسفة فخلطت منهاجها بمناهج الكلام وافردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم « الكلام » إما لان اظهر مسألة تكلموا فيها هي مسألة الكلام فسمي الفن باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان . ( كذا قيل )

وتفنن « المعتزلة » في هذه المباحث وزاد الآخر على الاول وترويق كلامهم في أيام المأمون والواثق والمعتصم :

أما مسألة الكلام المشار اليها في القول بأن القرآن مخلوق وممن اشتهر بهذا القول جهم بن صفوان وكان هذا جبرياً اي يقول أنت العبد مجبور في أفعاله . وهذا المذهب ضد مذهب المعتزلة الذي معناه ان العبد حر في أفعاله أي ليس مسلوب الاختيار بإرادة الله وحكمه .

وكان بين « المعتزلة » العلماء العقليين وبين أهل الرواية في كل زمان اختلافات ومنازعات في مسألة الصفات وكان العلماء النقليون يناظرون الآخريين لا على قانون منطقي بل على طريقة المفتين في الدين . وكان من احسنهم اتفاقاً أبو العباس القلانسي والحارث المحاسبي . وجرت مناظرة بين أبي الحسن الأشعري وبين استاذه أبي علي الجبائي في بعض مسائل والزمه اموراً لم يتخلص عنها بمجواب فأعرض عنه وانحاز الى النقليين السالكين طريقة السلف ونصر مذهبهم على قواعد منطقية واساسات نظرية فصار ذاك مذهباً منفرداً وهو المشهور اليوم بأنه مذهب أهل



السنة والجماعة . ويظن البعض بأنه بقي في مذهبه بقايا من مقالات  
استأذته قبل أن تركهم وهم من شيوخ الاعتزال . وقرر طريقته جماعة من  
الأذكياء كالقاضي أبي بكر الباقلاني والاستاذ أبي إسحاق الأسفرائيني  
والاستاذ أبي بكر بن فورك على اختلاف بينهم قليل .

ومن يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له أن مقاصدهم التوفيق بين  
الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لأمرين الأول أن الفلسفة التي طالعوها  
أكثرها غير صحيحة فلذلك لم تنضم مع الدين . الثاني أن المقصد الأصلي من  
الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا في الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما  
شط مجادلوه من الجبرية الخالصة والجبرية المتوسطة والمرجئة .

لكن القوم بما صنعوه في احتجاجاتهم وبما اضطروا مناظرهم أن  
يقلدوهم في النظر والاستدلال قد رفخوا شأن العقل كما يجب له ووسموا  
ميدان نظره وقرروا آداباً مهمة وقوانين محكمة في المناظرة من حيث هي  
وفي المناظرة في موضوعهم هذا بخصومه . ومن أهم تلك الآداب معرفة  
كل منهم أن مناظرهم نظيرهم . وعدم تكفير بعضهم بعضاً لجود المبينة  
بالفهم . ولا يلفنك عن تسليم هذا شذوذ البعض عن هذا الأديب الشرعي  
المتعمد على أصل شرعي ، ومن أهم تلك القوانين تقريرهم جميعاً أن الدليل  
العقلي القطعي يقدم على الدليل النقلى عند التعارض ويستعان له بالهجاز  
والتأويل لئلا يذهب سدى كذا قال بعض الأذكياء . وأقول ياليتنا استفدنا  
هذه الفائدة التي أشار إليها من غير باب الجدل في الدين . والتجربة ترينا  
أن هذه الفائدة لم يتم إلا في أعقل الباحثين وأكملهم قصداً وأوفرهم حكمة  
وليس هؤلاء بكثيرين حتى نقول أن مخالفتهم قد شذت . نعم ليس بمتكبر



عندي ان ضيعهم ذلك رفع شأن العقل وكاد ان يبلغه اشده في هذا الباب  
ويسير به الى ابواب اخرى من استعراف اسرار الكائنات وحكم الشرائع  
عامة، والشريعة المحمدية خاصة وبومئذ كان يرجى للدين دوام سيره  
وانتشاره على السيرة الاولى ولكن هو الخطأ في الدين يقف به ويمنع سيره  
ان كان قوياً ويزهقه ان كان ضعيفاً .

نرجو ان تكون قد عرفت مما تقدم ان مدار الفلسفة الالهية  
الاسلامية على آراء «المعتزلة» ومناظريهم . أما مناظروهم فالمتكاملون من أهل  
السنة (وأشهرهم الأشاعرة) والقيسون من أهل السنة والفلاة من الفريقين  
كالجبرية والحشوية والمشبهة والمرجئة . والغلو في كل شيء مذموم .

وقد أجلنا هذه الفلسفة عن أن نمد في أهامها وأوائك الذين يتشيعون في رجل  
بمينه أو يتعصبون عليه وان عدم الناس الباحثون في فرق المحمديين . اذ الشرط  
أن نحكي ماله علاقة بالفلسفة دون مالا علاقة له إلا بالهوى والسياسة .

وهذه أول كلمة نوجهها لعلم الكلام وعلمائه متأسفين على اشتغال أفاضل  
أهل هذه الصناعة من المعتزلة ومناظريهم في هذه المسئلة التي أومأنا اليها .  
وان كان للمتقدمين منهم عذر لأن الزمان زمانها فليس للمتوسطين فضلاً  
عن المتأخرين وجه من الوجوه المزيينة أو سبب من الاسباب الحاملة اللهم  
الاهوى البعض وتقليد البعض ولا يؤلم قلبي الا المتبعون على عمه الذين نزلوا  
أنفسهم منزلة القاصرين .

والكلمة الثانية أوجهها الجهورهم أيضاً على عدم تروى كل منهم في كلام  
الآخر . لأننا حين السائل والتروى نجد اختلافهم انما هو على الاصطلاحات  
دائر . وقلما نجد بينهم اختلافاً عظيماً في حقيقة من الحقائق بل اختلافاتهم



مع الفلسفة يمكن القول فيها هكذا أيضاً. ولتوضيح هذا نورد هنا أمثلة:

(١) هل بين المقول السالبة اختلاف في أن الموجودات ترجع الى مبدأ. هل بينها اختلاف في أن مبدأها يجب أن لا يكون قبله شيء. هل بينها اختلاف في أن النفوس مستشرقة دائماً أن تعرف ما هو ذلك المبدأ.

٢٠ ما هو ذلك الشيء؟ وهنا الاختلاف اذا لم يتروا الناس مع بعضهم واذا ترووا فلا خلاف. نحمل هذا السؤال الى أربعة: (١) ماهي ذاته (٢)

ماهي صفاته (٣) ماهي أفعاله (٤) ما هو اسمه؟. اما السؤال الأول فاجواب

كل عاقل فيه لا نعلمها. لا يخالف في ذلك عقلاً ملي ولا فيلسوف على

اختلاف فرق المليون والفلاسفة اللهم إلا من لا يتدبرون. واما الثاني فالجواب

فيه لا يحد لأنه لم يحس، ولا يوصف لأنه لم يعرف، لا يخالف في هذا

أيضاً. ومن يصفونه من المليون لا يصفونه بعقلهم بل يتبعون فيه

الوحي ويشوضون الأمر في علمه. ومن يصفونه من الفلاسفة فأنما يصفونه

بما هو متضمن وجوده كقولهم: واجب الوجود: بل جعلوا ذلك علماً عليه.

وأنت خير أن هذا ليس وصفاً. واما الثالث فالجواب فيه ان فعله البدء

والتصوير. وهذا لا يخالف فيه أحد أيضاً اللهم الا الجاهلون جهلاً مركباً.

ولا يمد خلافهم خلافاً ولا يجدر بما قل أن يتصدى للزبد على من يقول

ووجدت الاشياء بنفسها. وقامت منتسقة لحالها.

جهلنا فلم نعلم حقيقة نفسنا وقلنا بأن الكون قام بنفسه!!!

رأى الرابع فالجواب فيه بالاتفاق ان هذا يختلف باختلاف اللغات

ولا يعرض هذا الاختلاف للتصور تبعاً للاختلاف في اللفظ كما لا تختلف

النفوس في معرفة الأبيض لكون الدال عليه مختلفاً. ولا أرى العقلاء



الأمميتين. فلي أن اختلاف الاصطلاح كاختلاف اللغة فلا يجب تجافي  
اللي عن اصطلاح الفلاسوف ولا تجافي هذا عن اصطلاح ذاك. هذه الكلمة  
تخبرك عن أكثر ما في علم الكلام الذي ولع أهله بتشبيب الاختلافات التي  
منشأها اللفظ لا التصور كما ستري في الامثلة الآتية وأنت قس عليها .

(٢) كيف بدأ ذلك الشيء غيره ؟ أي عاقل يتجاسر على ادعاء معرفة هذا من  
طريق العقل على وجه اليقين . هل ثمة من يتجاسر على هذه الدعوى . وهل  
من يتجاسر عليها عاقل ؟ مع صعوبة هذه المسألة لا تجد الناس سكتوا في  
جوابها . أما المليون فقلها لهم الوحي فقالوا أراد أن يوجد فأوجد . وقال  
ناس من الفلاسفة نشأ عنه غيره وجوباً (أو عبارة هذا مآلها) وللفريقين  
كلام كثير . ولئن سألت اللي هل تعرف ارادته ؟ وهل يمكنك أن تشبها  
بأرادتك التي تعرفها ؟ ليكون جوابه لا ، ولئن سألت الفيلسوف ما الذي  
أوجب أن ينشأ عنه غيره وهل تعرفه ؟ ليقولن لا اعلم أو يحتج أنما يجوز  
أن يكون بمعنى الإرادة التي يقول بها اللي ، فكلاهما بالمعز عن الإدراك  
مشتركان ، وعلى وجود غيره بتأثيره (المجهول عندهما) متفقان، على أن  
المتكلمين صرحوا بأن الإرادة القديمة (نلك التي لا يعرفونها) توجب المراد ،

(٣) يبقى اوجد ذلك الشيء غيره ؟ لم يجب عن هذه المسألة المتفلسفون ولا  
اللاهوتيون المحمديون . ولكن قال اللاهوتيون (المتكلمون) أن ذلك  
الموجد قديم وفسروه بأنه غير مسبوق بعدم وإن الموجودات حادثة أي  
مسبوقة بعدم ، وقال المتفلسفون هو قديم وهي قديمة ، وللفريقين كلام  
كثير ، وهذه المسئلة لا خلاف فيها أيضاً ؛ لأنهم متفقون على أنه أوجدتها  
وعلى أنهم يجهلون متى أوجدتها ، وما كان اللي أن يقوي ما ليس له به علم



من العقل، ولم يسمع فيه كلاماً من الرحي، فليس في الدين ما يحمله على  
الخوض في هذه المزال، وما كان للفيلسوف أن يجزم بشيء لم يعم عليه  
دليل يقيني، فهما متفقان على العجز هنا إن تقاربا للحق، كما تنقفا على  
العجز عن معرفة كيف أوجدها،

هذا والمليون (تقليوم وعقليوم) قد يسألون عن أشياء لا يسأل عنها  
الفيلسوف الذي لم يتبع ملة • يسأل هؤلاء عن نصوص لا يستطيعون  
إتيانها على ظاهرها كالنصوص القائلة أن السموات والأرض خلقت في  
ستة أيام • يقال لهم هل هي أيام مثل التي نعرفونها أم أيام أخرى لا نعرفونها؟  
إن قلتم بالاول فالأيام هذه إنما عرفت بعد خلق السموات والأرض •  
وإن كان المقصود مقدار مدتها دل ذلك على أن مدتها ستة وثمانون سنة  
بالحساب (وهو الذي نقوله) فقولوا انعرف أنه خفيها وإن كنتم تعرف  
كيف خفيها • وحي خلقها • وتم خلقها • وتؤمن بقول الله تعالى «ثم  
نسوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها  
فأتتا أتينا طائعين •»

ثم أوجد ذلك شيء غيره؟ وهذا محاربة أيضاً للعقل ويغني أن يجتمعا  
هنا أيضاً على العجز عن المعرفة • على أن الذي يقول الحكمة خفية فيصح  
أن يقول الفيلسوف مثله «وما أوتيت من العلم إلا قليلاً»

ما هي صفات ذلك الشيء؟ فلنأخذ الجواب مختصراً ولكن هذه المسألة  
جديرة بزيادة البيان لأن الخلاف العظيم فيها بين المليون أنفسهم • بين العقلين  
منهم والعقلين اولاً • وبين المعتزلة من العقلين والاشاعرة ثانياً • وأحب أن  
أبني الخلاف الحقيقي هنا كما نقيته بينهم وبين الفلاسفة في الأربعة المارة •



قال النقليون ومتبعوهم من المتكلمين ان الله قديم وعلمه قديم وحياته قديمة وسمعه قديم وبصره قديم وكلامه قديم وارادته قديمة وقدرته قديمة وقضاه قديم . وقال المعتزلة هذا يوجب تعدد القدماء فالله ذات مستجمعة لصفات فهو عالم صر يد قادر حي سميع بصير متكلم . وهو قديم . وصفاته عينه . وقال الأشاعرة هي امور زائدة على ذاته لا هي عينه ولا هي غيره . ولكل كلمات سموها ادلة مرفوعة في محلها . ونحن نقول اذا ترووا فلا خلاف . وتوضيحه ان الكل قائلون هو حي عالم صر يد قادر سميع بصير متكلم والكل قائلون ان معنى الحي ذو حياة والعالم ذو علم الى آخره . والكل قائلون هو واحد . فإذ لم يبق الا ان هذه الصفات زائدة او غير زائدة؟ بقي الخلاف لفظياً عند المدققين ولا يلزم من القول بها تعدد القدماء كما توهم البعض . ولا من عدم القول بها نفياً كما توهم البعض وليس للحس هنا مبلغ من العلم ، ولا للعقل سند في الحكم ، ولا في الدين قول يحمل على الجزم

اما الخلاف بين النقليين والعقليين فهو في فهم بعض الاشياء التي وصف بها الباري وبعض الأعضاء التي نسبت اليه وهو في الظاهر خلاف مهم جداً . وقد ظهرت آثاره من القول الى الفعل وخلاصته أن كل طائفة من هذين الفريقين تنقسم طائفتين معتدلة وغالية فنحن لا ننكر وجود الخلاف حقيقة بين الغاليتين منهما ولكن الخلاف بين المتدلتين ترجحه لا الى شيء . توضيحه ان المتدلين من النقليين قالوا : ورد الوحي بصفات للباري فنحن نقف مع عبارة الوحي وقفة النأدب الحكيم ونصف بما ورد فيه لا ننفي معانيها ولا نعتقد أنها كالمعاني المنصوصة بالمحدثات وهذه هي طريقة



الصحابة ومن تابعهم عليها ( قلت وليس على هذه من غبار ) ثم المتفكرون من العقليين قالوا: إننا قد علمنا أنه ليس كمثل شيء فعلنا من هذا العلم أن الكلمات الموهمة تشبيهاً لا يصح اعتقاد معانيها كما يعتقد في المعاني المخصوصة بالمحدثات فاستفدنا لها معاني قريبة راعينا فيها قرائن اللغة وقرائن كلام الوحي ( قلت وهذه أيضاً ليس عليها من غبار ) ولقد لاح من هذا أن لا خلاف بين الفريقين . غاية الأمر أن أولئك اجتمعوا عن ادعاء التفسير وهو لا يقدروا ولم يأتوا في تفسيرهم منكرًا من القول ولا تباعدوا عن القرائن ولا تعدوا حدود ما ورد من الكلمات . فهذا لا يعد خلافاً .

أما الغالية من العقليين فاعتقدت الكلمات على ظاهرها وربما تعدتها إلى غيرها . وأما الغالية من العقليين فلم تعتقد شيئاً على ظاهره فلام منكرون النصوص ولا هم واقفون بمهاقط . وهم مختلفون أيضاً . فالبون إنما هو بين هذين الفريقين . وقد اشتبه على الناس الذين لم يعرفوا هذا التسميم فاعتقدوا بالسلف ومعتدلي خلف مائة . . . هذا هو تحقيق الأمر في هذه المسألة ونحن من الغاليتين برآء . ومع المعتدلين سواء .

(٦) ما هي أفعال ذلك الشيء؟ من الجواب عن هذا آنفاً مختصراً والكلام هنالك مع الفلاسفة من غير المليين وأعدناه ههنا خلافاً في الظاهر بين المليين والفلاسفة ومناظريهم . قال النقليون ومتابعوهم من المتكلمين إن الله تعالى يفعل كل شيء يقع في هذه الدنيا . وقال العقليون إن الله تعالى خالق خواص وأسباباً وأسند إليها الفعل . قلت هذا أصل لمسئلة مهمة . وهي أن الإنسان من جملة الأشياء وفعله من جملة الأشياء فعلى رأي الأولين أن الله يفعل الإنسان وفعله . وعلى رأي الآخرين أن الإنسان يفعله الخاصة التي



خلفها الله . وفعله يفعله هو بالخاصة التي آتاه الله إياها . وأقول هل ثمة من لا يجب من عدم تروى الفريقين في هذه المسألة التي كل كلام فيها يرجع إلى نقطة واحدة . ألم بأن للذين آمنوا أن يعلموا أن الله خلق الإنسان عاقلاً متصرفاً في هذه الدار بغيره من جماد ونبات وحيوان . ومحاسباً على عمله وتصرفه . ومهاتماً أو مكرماً بسمله فليقولوا كيفما شاءوا أن يقولوا . أفأفهم بمؤمنين بأن الإنسان محاسب على عمله ومجزى عليه ؟ أراد المتزلة أن ينفوا الشرور والقبائح عن الباري فقالوا الإنسان هو يفعل فعله . وأراد أهل السنة أن لا يثبتوا في الوجود معه فاعلوا الله هو الذي يفعل كل شيء . إبطو المراتب في أعين الأولين ، وأبسطها في أعين الآخرين . تجددهم متفقين كآفاقهم على أن المرء مأخوذ بسمله وهي المرتبة الأخيرة . وفي هذه المسألة تولد من البحث غلاة من الفريقين غالية قالوا بالجبر المحض وأفرطوا في تقريره ابتداءً . غالية قالوا بالاستقلال المحض وأفرطوا في تقريره ابتقاء التوصل لفصل الكون عن المكون في كل الشؤون . ويومئذ لا يتقى ولا يرجى ولا يدعى وفي هذا مصادمة لنصوص الدين وأسراره . على ما فيه من الرجم بالغيب واتباع الظن المحض الذي لا يليق بالعقلاء لأنه يضرهم ولا ينفعهم .

في هذه الأمثلة الستة قد أوضحنا تصديهم للمجادلة فيما لا خلاف فيه وفيما التبس عليهم من الأمر ولا أريد أن اتكلم على اختلافهم في خلود أصحاب الكبار وعدم خلودهم . بل ولا في اختلافهم في خلود الكفار وعدم خلودهم . واكتفى في هذا المحل بكلمة خرجت من بيت النبوة قالها أحد أئمة أهل البيت وهي : إن الله أراد منا أموراً . وأراد بنا أشياء .



تجيب عنا ما اراده بنا . وبين لنا ما اراده منا . فالاجدر بنا أن نشتغل  
ونتناول فيما اراده منا . ولا تتجادل وتتخاذل فيما حجب عنا مما اراده بنا .  
هذا والكلمة الثالثة من اللاقي أردنا أن نقولهن أوجهها للناس من أهل  
عصري لا يزالون يحرصون على دراسة الكتب المدونة في علم الكلام  
ويجتهدون في حلها وتفسيرها . ولا يسمحون لأنفسهم أن ينظروا في  
غيرها من كتب الفلسفة المصرية . ولا أن يمتدوا حدود ما كتب لهم  
الأولون من اصطلاحات وتعريفات . وما قرروا لهم وكتبوا عليهم من  
مذهب واعتقاد . أقول لهؤلاء : <sup>(١)</sup> ان تلك الكتب كتبت على أسلوب  
الفلسفة القديمة . والآن قد تغيرت الرسوم ، ودرست الرقوم ، وحدثت  
بعض تلك العلوم علوم ، فقرأوا ما يسر لنا وجدتموه موافقاً للدين وهو  
الأكثر فاحمدوا الله على هذا التوافق ، وما وجدتموه مبيناً فاسمعوا في معرفة  
أسباب التباين . <sup>(٢)</sup> علم الكلام فائدته على ما قالوا المتلقي من حضيض  
التقليد الى ذروة الايقان وأنتم في هذه الكتب تلتزمون مذهب رجل  
معين وتحفظون حدوداً وتعاريف ما أنزل الله بهامن سلطان . ولا شهد لجلتها العقل  
ببيان . فالذي تزعمون الخلاص منه هو الذي أنتم فيه . <sup>(٣)</sup> ان الشبه التي  
تقرأونها في كتبكم هذه قد تسمعون خلافها فينبغي ان تكونوا مستعدين  
للاحتجاج على كل شبهة كما هو مطلوبكم من هذه الكتب وهي لا تفي بمطلوبكم هذا  
والكلمة الرابعة أوجهها للناس ، آخ من من أهل عصر ، دأبهم  
الاستعداد بالدين ماتوا . أقول لهؤلاء : <sup>(٤)</sup> ان الذين ماتوا لم تختبروهم .  
ولم تعلموا السبب في كثير من مقالاتهم <sup>(٥)</sup> ان الناس قد يحدثون مقالات  
بحسب زمانهم ومكانهم وغرضهم . ان الحاكم <sup>(٦)</sup> ان الحاشية



محسوس . وحاله محدود . يقتدر المرء ان يعرف الحكمة في مقالاته  
والناس منهم مخلصون لاحكمة في مقالهم ولا سر ولا غرض الا قول  
الحق وبذل النصيح ومنهم ضد ذلك <sup>(١)</sup> ان أخذ الادلة عن الاحياء  
المخلصين والاستهداء بهم في دفع الشبه أولى من الاستهداء بالذين لا تعلم  
من أمرهم شيئاً . واعني بهذا ان يعالج المصريون أنفسهم من بعض الجمود  
والكلمة الخامسة أوجهها للناس آخرون من أهل عصري قد قرأوا  
شيئاً من الفلسفة وما قرأوا شيئاً من الدين فأمام خيارى في الأمر وإمام  
مارقون من الملة . أقول لهؤلاء ان طريقة الدين خفيفة سمحة . أركان  
اعتقاده معرفة ان لهذه الموجودات موجداً هو « الله » . وأنه لا يشبه  
شيئاً من الموجودات . وأنه متصرف فيها مدبر لها . وان الانسان الذي  
ميزه في عوالم الارض بالعقل مسئول عنده عن عقله وعما عمل بعقله . وان  
محمدًا ( صلى الله عليه وسلم ) النبى العربى أرسله ليقيم مكارم الاخلاق .  
ويرشد الناس على الاطلاق . وأركان عبادته ذكر الله تعالى بصلوات خمس  
في اليوم لتخفف الغفلة المهلكة . وصوم شهر في السنة لتغلب التهمة المتعبة ،  
وحج في العمر الى حيث يتلاقى الاخوان في البيت الحرام والمشاعر  
المعلومة لتؤكد الوحدة المالية وتزداد الالفة . وإتاء الزكاة في الحول  
للفقراء والضعفاء لتجبر الحاجة المضطرة . وبناء أحكامه على العدل في  
الحقوق ، وبناء آدابه على الاحسان للمخلوق ،

هذه جملة الدين ولا والله لا تندم من قيود هذه الجملة فيجدر بكم  
أيها الافذاك ان تعرفوا بالدين وأسراره لتجتمعوا بين فائدة الفلسفة التي  
تنور عقولكم ، وبين فائدة الدين التي تزي نفوسكم . وان سألتموني ما الدليل



على صحة الوحي الذي هو أساس الأديان . وما الدليل على صحة دعوى النبي العربي (صلى الله عليه وسلم) فأقول اني لست بأعلم منكم فتفكروا يظهر لكم هذا الامر العظيم على اني لا أضن عليكم بما غني مما عرفت

طريقة في اثبات الوحي

اني تفكرت أولاً (والإنسان خالق متفكراً) في : ماهو العقل الانساني الذي ميزه على الحيوانات المدركة بحواسها فقط بل ماهو الادراك ؟ فلم أستطع علم هذا . سألت أعلم الناس الذين اجتمعت بهم من عرب وترك و فرس و هنود و افرنج فلم اجد أعلم هذا

رجعت الى آثار الموتى قلبت في الكتب أوراقاً تعد بالآلاف فلم انب المطلوب . فسكنت اعياء عن طلبه سكوناً حاليّاً . واكتفيت بمعرفة انه قوة عظيمة قد رفعت الانسان الى طبقات الكواكب وهو لم يتحرك لجهتها فأثره بغير عينه بدائع صنعها ، واتقان نظامها ، وصورة دورانها ، وشكل تقابلها بعضها مع بعض . وهبطت به الى طبقات هذا الكوكب الذي هو فيه (الارض) فأثره بعينه وبغير عينه بدائع كونها ، وخزائنها ، أسرارها ، وانتظام سيرتها ، وبصرته انه (أي الانسان) هو سلطان عوالمها ، تنقاد كلها لتصرفه ، وتصبر تحت أمره ، فهو المنفرد في الارض بحياة جامعة للعلم (بالشاهد والغائب) والقدرة (على التصوير والتشكين) والآلة (لما يلزم البدن وما يلزم المقار) . الكلام (الذي يبلغ به اودته للحاضر منه بواسطة الآلة البدنية الطبيعية ، والغائب عنه بواسطة الآلات الحادية الصناعية ، منها هذه الكتابة التي تبلغنا كلام من قبلنا من أهل الادوار ، وتبلغ كلامنا للناسي . والآتي بعدنا في الاجيال .



هذا التصرف الذي يسمع به المشرقي ما يريد المغربي في لحظة من الزمان (والسمع الذي نفهم به إرادة غيرنا) والبصر (الذي يطبع في فكره صور الأشياء) في مجموع منايها هذه الحياة كان له السلطة والتصرف في عوالم هذه الأرض تصرفاً تابعاً لنواميس هي فوق إرادته . وفوق سمعه وبصره . وفوق علمه وقدرته . وفوق أمره ونهيته

هذا القدر عرفت بادئ بدء من آثار تلك القوة العظيمة التي هي العقل وبهذا القدر تم لي معرفة أن هذه القوة هي أكمل وأعظم قوة في العوالم الأرضية . وأن تلك النواميس التي هي فوقها وحاكمة عليها يجب أن تكون من عالم آخر

ما هو ذلك العالم : هذه نقطة ثانية سرج أنها فكري وفي هذه الدرجة وقف عقلي زماناً كثيراً يلتبس الدليل في مراجعته هذا ثم أتاه الدليل من نفسه . فقال إن ذلك العالم هو العالم المحجوب عن حسنا المعروف بالمألوف عند تصورنا . هو عالم الحقائق والتوى والطبائع التي نعرفها بآثارها ونجهل كنهها وذواتها . هو عالم العيب وهو بحر عظيم لا ساحل له والذي ظهر لنا منه نقط قليلة بعد ظهور أمثلتها في عالم الشهادة . قال بعض الأذكاء : كنا لا ندرك السر في قيام هذه الكرة في الفضاء ثم علمنا من أمثلة ظهرت للحس أن هنالك قوة عسكراً ، لا نرى تلك القوة بأبصارنا ، ولا نسميها بآذاننا ، ولا نحسها بأيدينا ، ولا نشمها بأنوفنا ، ولا نذوقها بفمنا ، ولم تبلغها عقولنا أكثر من أن نسميها بالأمم والآخرين ، واليوم دركها بعض اقصاب العلم الباحثين في أسرار الخلق ونرب ادراكها لعقولنا فصرنا نقول بها . ونلحق بالاسم الذي وضع لها ( الجاذبية ) وكذلك كنا لا



ندرك السرفى حركتها ثم ظهر . وكنا لانعلم كيف تكونت ومتى تحركت  
ويدعى البعض اليوم انهم يملون ذلك . وكذلك كنا لاندرك طبائع  
الاجسام البسيطة والانس اليوم انما يعرفونها بآثارها وبخواصها في البساطة  
وبعد انتركب - كل ذلك يرشدنا الى ان عالم الغيب (اي الاسرار التي حجبت  
عنا) واسع . وقلة ما انكشف لا ترشدنا الى انحصاره فيها واحاطتنا بمجموعها  
بل ترشدنا الى ان ما جهلناه كثير بالنسبة الى ما عرفناه وتأمرنا ان نقف  
عن تعيين طرف لهذا الميدان الذي خوات البصيرة ان تجول فيه وحرمان البصر  
قلت في فكري ان الانسان محكوم في خلقه لنواميس تحدث  
خواطره وخواطره متضادة متنازعة كمال التضاد والتنازع . فاما ان هنالك  
قوتين متضادتين (من جاس القوة التي هي العقل) مسطتين عليه وتصرفه  
تابع لنفوذها على النسبة . واما ان الأثرين المتضادين منفعلان عن المزاج  
الإنساني المركب من متضادات . وعلى الرأي الأول فالقوتان إما لهما  
وجود خارج الجسد . أو لا وجود لهما الا في الجسد . وان وجدنا خارج  
الجسد فالمادة التي تقوى ان بها اما بسيطة واما مركبة . هذه أسئلة تنحصر  
في بال الذين يريدون ان يتوصلوا للحقائق من طريق كونيتها لا من طريق  
اسميتها . والعقل السليم يعلم ان هذه الاحتمالات كلها جائزة . والقول  
بكل واحد ينفع في الدلالة على ان النواميس التي لها نفوذ على الإنسان  
هي أمور وجودية لها العلاقة العظمى في تفاوت أفراد النوع العاقل هذا  
"تفاوت المظاهر الذي يرى رجال يعلم أفضل شرع وأكمل آداب ورجلا  
تفاوت الخلق والكهنة وما يفعلان من سحر الالباب بروائع  
آثارها وبدائنها . ورجلا يستحوذ على قلوب الألوف المؤلفة ببيان يديه



ويستنزل النفوس عن محبة الحياة فيقتذفها بين القواصف والقواذف .  
ورجالا كثيرين لا يعرفون من الامر الا حيوانية وموتانا .

ولنا ان نقول ان النسبة بين الانسان وبين من هو دونه محفوظة  
بواسطة قريبة منه ومن التي هي دونها ( كالنبات مثلا هو قريب من  
الحيوان لنموه مثله ومن الجماد لعدم تحركه بالارادة مثله ) ونعلم قطعا ان  
الانسان على عظمته في الارض غير كامل . اما من حيث الصورة فلفنائها  
واما من حيث الخاصة فتردده في تحصيل ما يعتبره سعادة ( ولذلك يمش  
الانسان في هذه الدار شقياً على كل حال اما بالآلام والآتاع الجدية  
واما بالآلام والآتاع الفكرية واما بهما معاً ) فيجب ان تكون النسبة  
المحفوظة بالنسائل مع من دونه محفوظة أيضاً مع من فوقه . وليس في  
عالم الحس فوقه شيء

ففي عالم الغيب خاتمان متضادان ( تضاد المليح والقبيح ) لهما علاقة  
بالانسان كملاقة الانسان بمن دونه . وعلاقة الانساب بمن دونه هي  
احتياجه اليها لتكميل خاصته واحتياجها اليه لظهور خواصها فعلاقة هذين  
هكذا : يحتاجان اليه ( بسنة الله في الخلق ) لتكميل خواصهما ويحتاج اليهما  
لظهور خاصته . هذا القدر يكفيك ويكفيك ولا تساني عن اسميهما  
وكنهيهما فاني اكره جدا ان يختلف الملاء بسبب الاسماء واحب يتقاربوا  
من رب المعاني ويعتبروا الدلالات عرضاً تابعاً ويتساهلوا مع بعضهم  
في الاصطلاحات كيلا يكون سبب اختلافهم

أما خاصة الانسان التي يطالب تكميلها مادام حيافهي التصرف بعوالم  
هذه الارض . فاما الذين تغلب فيهم غيرة محبة الخير فيأبهون تصفية العقل



الفريزي (القابل للصفاء والكدورة) فتظهر في مرآتي أفكارهم صور  
المعقولات . وتشرق عليهم من عالم الغيب أسرار ومعارف يحسن بها  
تصرفهم ويحمد آثارهم ويبقى ذكركم حيا اذا اضمحلت صورهم يوما من الايام  
واما الذين تغلب فيهم القوة الاخرى المضادة فتكدر عقولهم وتتشوش  
بكثرة الوسواس والتردد ويكثر شقاؤهم في طلب المشتهيات المادية وان  
تنتهي وحرمانها اكثر من حصولها والم التزاحم عليها والتذامج لا توازيه  
ولا تسكنه لذتها . فبسوء تصرفهم تدم عقباهم ويموت ذكركم كما يموت  
ذكر الانعام التي تحيي زماناً ثم تهلك .

ولما كان الانسان على هذه الصورة من التضاد المحسوس الذي  
يتبدى في النفس على وجه التردد ثم يفرج وتتأدى به الخطوط المتباينة  
وكان يحكم هذا التضاد منقسما الى ابرارهم اقل وأشرارهم اكثر لم يستغن  
عن قانون عام عادل وآداب جميلة مهذبة للنفوس ومعيمة للقانون وعند قراءتنا  
في ماضي الانسان نجد ان الله جبر نقصه هذا قاصطى من البشر ناساً  
هداهم ، اوحى اليهم ، علمهم شرائع وآداباً كما اقتضته حاجة الناس . وما  
وجدنا قط امة مرتقية ليست على اساس واحد من اسس الدين الذي  
جاء به المصطفون .

وهذا التضاد كما هو دليل (اول) على ما ذكرناه هو دليل (ثان) على أن الباري  
تعالى هو المدير للموجودات . لان تصرف الانسان الذي نوهنا به تصرف  
ناقص كما هو محسوس ، وتصرف احدى التوتين ناقص ايضا كما هو  
معتاد ، ولا بد اننا نرى تصرف اهل لاه ظهر لنا شيء شاهد ان هنالك  
فوقه ، ما هو اكمل نلتصرف الاكل هو لا كل شيء فيجب ان يكون



هو الباري تعالى رب العالمين . فكان الله تعالى خلق الانسان خلقاً خاصاً مدركاً ليعرفه بنفسه وخلق فيه امثلة من الكمال ليعلم كمال الله ويعرف ان يعجده - وهو الغني - بعبارات يستعيرها . واوصاف يستعين بها مما عرف من الكمال المتجلى بنفسه المصنوعة على أبداع مثال في المحسوس ، وأقرب مثال في المقول ، ثم ليدل بنقصه على كماله لم يجعله جازماً مستقلاً في ارادته ولا دائماً مستمراً في حياته ، ولا متحداً منتظماً في كلامه ، ولا مجيداً في كل تصرفه ، ولا كاشفاً لكل شيء في علمه ، بل لم يجعل افراده وهم واحد في النوع على نسق واحد في الإرادة والحياة والكلام والقدرة والعلم . فكانه اراد ان يبين بهذا التفاوت في الأحوال والدرجات ناقصاتهم وانقصر وكاملها واكمل لتجلي برهانه ان له السلطان والملك وبيده الامر كله والحكم وهو دليل (ثالث) على ان الشرائع والآداب التي جاء بها المصطفون انما هي بوحى منه لانها معرفة به باديء بدء نصاً على وفق ما تعرف به خلقه الانسان حالاً واشارة وهذا اكمل تعريف وهيات ان يستقل به عقل الانسان الناقص المنردد والتعريف الحق به هو اول ركن من اركان الشرائع التي يراد بها زجر النفوس

و « محمد » ذلك الرسول العربي ( عليه الصلاة والسلام ) قد لبث في الأُميين زمناً طويلاً من عمره . ثم ظهر عليهم وهو الأُمي بمارف من عالم الغيب يعلل شرحها على اسلوب الفلسفة دفاتر ، وأتى من القواعد العامة التي تصالح شرعاً لكل زمان ومكان بما يعلل التفريع عليه أسفاراً ، ومن الآداب الجميلة بكلمات يسيرة ، بما يعجز أساطين علم الأخلاق عن ترتيب مثلها بدواوين ، قام بالامر وحيداً ، وصدع بالهدى على رؤوس



الملا فقول بل بالرد والدفع . فصبرت نفسه ولم تجزع ، وكبرت همته ولم  
تصغر ، واشتد عزيمته ولم يضعف ، وما زال يخطب ويدعو ، ويؤنب  
طوراً ويترفق مرة ، حتى انتصر وأمر أمره . وتهذب على يديه جماعة  
منهم يقولون ان تسلطوا بسلطاني العدل والاحسان على الارواح والاشباح  
وما زال اسمه ينمو ، ودينه ينمو ، حتى طاف المشارق والمغارب ، واستقر  
في نفوس الاعاجم والأعارب ، فماني دينه من الأدب الرافع ، والنظام  
النافع ، وماني قومه الذين رباهم وأرشدتهم من علو الهمة ، ومضاء العزيمة ،  
وماني انتشار دعوته في حياته وبعد مماته هذا الانتشار العجيب ،  
وما في سيرته الخصوصية من الكمال الانساني البديع ، وما في بقاء  
قرآنه على الحفظ من التبدل ، وما في وعوده التي وعد بها المؤمنين  
( كتمكنهم في الارض وصيروهم خلفاء في الارض ) من الصحة ، كل  
هذه تكفي من سلمت فطارته ، وصحت فطنته ، ان يعلم صحة دعواه ،  
وفضيلة هداياه ، ولا ينكر هذا الا مقلد أو معاند . اللهم صلى وسلم عليه  
ماشرك الشاكرون ، وذكره الناكرون

—اليوم الآخر—

بين الفلاسفة والمتكلمين اختلافات كثيرة في امكان الحشر وعدمه  
وفي وقوعه وعدمه . وفي لزومه وعدمه . وفي كيفيته . ونحن نختم هذه  
الرسالة بهذه الكلمة :

العقل حين يرى ان الانسان لم يبلغ في هذه الحياة غايته من سبيل  
الارتقاء . لا من حيث الصورة لأنه يموت . ولا من حيث الحال لأنه  
في شقاء الطلب . الهرب . وفي شقاء التردد بين الحصول والحرب .



والتوفيق والخذلان ، ولا من حيث العقل لأنه محبوب عن عالم الغيب ،  
 ينجح الى انه لا بد من يوم آخر ليبلغ فيه الانسان غايته من حيث عدم  
 الفناء ، ومن حيث عدم الطجاب ، ومن حيث التخاص من الاضداد ، فينقسم  
 فيه الناس الى صنفين متباينين قسم في جنة نعيم البال وسعادة الرضاء بما  
 كسبوه في حسن تصرفهم ونعم المصير . وقسم في سعي شقاء الحال وشقاء  
 الندم على ما اجتروا به سوء تصرفهم وبئس المصير .

لتعي هذا أوجه حسنة وعقائد الى انتهاء الاجسام المركبة الفانية الى  
 اجسام بسيطة باقية سواء رجعت بها الى المبدأ او ذهبت بها الى  
 المصير بنصير ما . فهذا يرشدك الى امكان ان يرجع الشيء الباقي لاسماء  
 مهما امتزج بغيره . والروحانيون من الفلاسفة لا يقولون بفناء الروح كما  
 لا يقول الماديون منهم بفناء البسائط . فالروحي ان يلزمه ان لا يستبعد  
 رجوع هذه الروح يوماً من الايام كما جات اولا للماهية التي عرفت بها لتبلغ  
 تلك الماهية بهذه الروح في ذلك اليوم غايتها التي اعدت لها . والمادي  
 يلزمه ان لا يستبعد امتزاج تلك البسائط امتزاجاً تاماً في يوم آخر كالا امتزاج  
 الاول الذي حصلت منه ماهية حي من الاحياء ليبلغ هذا الحي بهذا الامتزاج  
 الثاني ( الذي يحصل على كيفية ثانية ) في هذا اليوم الاخر غايته التي اعدت  
 له . وعاد على من يعلم ان الماس ( هذا الجوهر الكريم عندنا ) قد استخلص  
 من جنسه الفحم حتى صار كما يرى ان يستبعد ان يستخلص الانسان  
 ( هذا المخلوق المدرك الكريم عندنا ) من جنسه الحيوان .  
 وفريق منه من نوعه الانسان بأعظم من هذا المثال . اما اذا لم تقل باليوم  
 الآخر فأن تميز الانسان على الحيوان اذا ما قامينة واحدة وابن تميز



الابرار على الاشرار اذا كان الامر مقصوداً على هذه الحياة .  
 اقول قولي هذا واستغفر الله وانيب اليه واسأله لي ولكم الهداية  
 والتوفيق الى سبيل السلام . اه في رمضان سنة ١٣٢٠ (ع . ز)

### ﴿ باب شهادت المسيحيين . وحجج المسلمين ﴾

« يُخْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ  
 سَمِعَ وَرَاعَيْنَا لِيَا أَلْسِنَتَهُمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
 وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ . . . »

قد علم قراء المنار أننا لم نفتح هذا الباب لطعن في دين النصارى أو  
 غيره ابتداءً وإنما فتحناه لرد شبهاتهم التي ربما تشكك بها الجاهل بالاسلام  
 في الدين مطلقاً فتفسد أخلاقه ويكون مريبة على نفسه وعلى الناس . ولا  
 غرض لطعن الطاعنين بالاسلام الا هذا التشكيك الذي يحلّ الرابطة  
 الاسلامية ويضعف المسلمين لانه يخرجهم عن كونهم امة فيكونون أفراداً  
 متطاعين ، لا جنسية لهم ولا دين ، ولو أنهم كانوا يطمعون في تنصيرهم  
 أكان لهم عندنا بعض العذر . ولكن التجربة أفادت التاريخ ان الملايين  
 من النصارى صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل ايون من هؤلاء واحد  
 من المسلمين تنصر الا ما كان من أفراد ليس لهم من الاسلام الا وراثة  
 الاسم من آباءهم لا ودين .

قال السيد : ال دين الأفغاني الحكيم التبرير ( رحمه الله تعالى ) :  
 « من باب الدعوة . . . مذهب الدهريين في الهند وعدم الاقتصار على الدعوة



الى النصرانية ؟ فقال إن المسلم يستحيل أن يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة فهو يأمر بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التي زادت بها الجحيمات النصرانية في دينه . فلما جرب الدين يتفنون حل الرابطة الاسلامية الدعوة الى النصرانية فلم تنجح عمدوا الى تشكيكهم في أصل الدين المطلق بالدعوة الى الدهرية .

وكذلك لما رأي مثل صاحب الجاهلية أن تشكيك النصرانية بالنصرانية

يجمع في المسلمين من الطريق الذي انبرى لتشكيكهم من الطريق المعبر  
وبذل جهده لإقناعهم <sup>(١)</sup> بأن دينهم كغيره عدو للعقل والاسلام <sup>(٢)</sup> أن  
أنتمهم في العقائد ( المبكمين ) ينكرون الاسباب <sup>(٣)</sup> أن جمع السلطة الدينية  
والسلطة السياسية المدنية في خليفة الاسلام ضار بالمسلمين ومن يجب  
لتأخيرهم . ومن رأي صاحب الجامعة أن المسلمين إذا أرادوا الترقى  
والإنجاح فلا بد لهم من سماع نصيحته وهي <sup>(٤)</sup> أن يضعوا دينهم في جانب  
من العقل والعلم لأنهما قاضيان بهداه كقضائهما بهدم النصرانية فإذا حاولوا  
الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أنتمهم بما ينشر في المنار وغيره .  
فإنما يحاولون محالاً بل إنما يهدمون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين .  
و <sup>(٥)</sup> أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات . صرده في  
الواقع خلافاً لما يحكم به الدين وعلماء الكلام فإذا صدقوا بالواقع فعليه  
أن يكذبوا أنتمهم والمكس بالمكس . و <sup>(٦)</sup> أن يجعلوا خليفتهم حاكماً ودينهم  
يختار الشرائع والأحكام ويتركوا ما شرعه الله لما شرعه الشيطان ويحرمون  
الدين خاصاً بالعبادة لله تعالى . أي أنه يجب على المسلمين في رأي صاحب  
الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات الدنيوية ونحوها



النصف الثاني لمن يريد أن يتذكر العقل والعلم والأسباب لأجل العبادة .  
 هذا ملخص نصيح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولأجل أن يجعله  
 مقبولا أورد لهم كلمات عن بعض أئمتهم حُرِفَها عن معناها ليخدع البسطاء  
 بها وإنا نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المستدين  
 الذين « يريدون ليطلقوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

### ﴿ الأسباب أو سنن الله تعالى في الخلق ﴾

وإثبات الامام الغزالي لها

ذكر صاحب الجامعة في كتاب لَفَقَهَ أَنَا أوردنا قوله تعالى « ولن تجد  
 سنة الله تديلا » لإثبات أن النواميس الطبيعية لا تتغير ولا تبدل ثم قال :  
 « مع أنه لو قام حجة الاسلام الامام الغزالي من قبره وسمع هذا القول  
 لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم اطلاعه على  
 الشؤون التي يبحث فيها لأنه استشهد بتلك الآية للغرض الذي ذكره مع  
 أنها لم ترد في القرآن لهذا الأمر بوجه الإطلاق »

يقول هذا صاحب الجامعة تمريداً لخلاصة المسلمين بأن ما يتحكم هو فيه  
 من الحكم بتفسير كتاب الله برأيه الأتفين مقتبس من الامام الغزالي  
 الذي حرف قوله عن موضعه ولم يفهم مراده منه .

إذا كان الغزالي يضحك من ( بساطة ) من أخذ معظم علمه في الدين  
 من كتابه إحياء العلوم اعتقاداً وعملاً ودرسه من أول نشأته المرة بعد  
 المرة كما درس كل ما اطلع عليه من كسبه بامعان وإخلاص - فهل يضحك  
 أو يبكي من ( تركيب ) جاحد يدعي يلتصق من كلامه كلمة يحرفها عن موضعها



لينش المسلمين بشي يخالف دينهم محتجاً بكلام امام من انتمهم ولا موضع للاحتجاج ؛ ترك مثل هذا ونسرد مذهب الغزالي في الاسباب وسبب الله تعالى ونين الحق في المسألة التي اشتبه فيها على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسراً مثل صاحب الجامعة مع عوام المسلمين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهباً مع سماحة الاسلام

مذهب الغزالي : قال حجة الاسلام في الفصل الثالث من كتاب

التوكل مانه : « الاسباب التي يجلب بها النافع على ثلاث درجات . تطوع به ومظنون ظناً يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمن اليه . ( الدرجة الاولى ) المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت بالمسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً طاماً طارداً لا يختلف كما ان الطعام اذا كان موزعاً بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليه وتقول : انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله : فهذا جنون محض وايس من التوكل في شيء . فانك اذا انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شئاً دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكاً لمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الارض وطعمت في ان يخلق الله نباتاً من غير بذور أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه . اهـ بحروفه

وبعد ان قرر ان هذه الدرجة لا يأتي فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهي ما كان السبب فيها مظلوماً وبين ان التوكل لا يأتي



فيها أيضاً قال مانصه : « فإذا اتباعد عن الاسباب كلها سرائعة للحكمة و جهول بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل »

هذا التفصيل في جلب المنافع وقد أورد مثله في منعمها وفي دفع المضرات التي أسبابها قطعية أو ظنية وبين ان التوكل إنما يكون في ترك الأشياء الوهمية كالرقية والطيرة والسكي التي ورد بها الحديث . ومما صرح فيه بذكر السنة الإلهية هنا قوله : « وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال فلا ينقض التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً » ثم أورد الشواهد من الكتاب والسنة وهي : شهورة .

وقال في الكلام على التداوي وهو من منع المضار هذه الكلمة الجلية : « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً » . وقال أيضاً في تداوي النبي صلى الله عليه وسلم « وإنما لم يترك الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً لأئمة فيما تمس إليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل للاسباب : « فبينما تين أن مسبب الاسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب إظهاراً للحكمة والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال » يسارفه الا في أحد أمرين أحدهما انت معالجة الجوع والاشط بالماء والآخر جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه



بالأول . والثاني ان الدواء يسهل والسكنجيين يسكن الصنراء بشروط  
 آخر في الباطن وأسباب من المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها  
 وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال  
 العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة وقد يتفق في الموارد  
 ماوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر . واختلال  
 الأسباب أبداً ينحصر في هذين الشيئين والأفالسبب يتلو السبب لا محالة . هـ  
 تمت شروط السبب ، اهـ بحروفه

فأي نص في التلازم بين الأسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة  
 الأخيرة ؟ فهذا هو الامام الغزالي الذي يؤم المسلمين صاحب الجامعة  
 بأنه ينكر الأسباب وينكر ان معنى سنة الله التي لا تبدل ولا تحول  
 الأسباب وارتباطها بالمسببات . فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة  
 أو بحسن قصده ؟ وهل يجوز لغير العالم الراسخ ان ينظر في قول هذا  
 المشكك الذي يريد ان يفسد على عوام المسلمين عقائدهم ؟؟

( التوفيق بين هذا وبين مقاله في تهافت الفلاسفة )

مسألة الأسباب التي شرحها الامام الغزالي في كتاب التوحيد  
 والتوكل هي مايمتقده المسلمون وانما كتبها للمسلمين لانه يبين في هذا  
 الكتاب مقام التوكل الذي هو أعلى مقامات الايمان . وله كلام آخر  
 في هذه مسألة مع الفلاسفة لا مع المسلمين . وكلامه هناك يجب ان  
 يكون بلسان يخالف هذا اللسان ولكن لا يناقضه ذلك انه هنا يشرح  
 الواقع الذي يدل عليه الوجود وينطق بموافقة الشرع وهناك يتكلم  
 على الملل والتأثيرات الحقيقية في الایجاد والاعدام وما قاله في الموضمين



هو الحق الذي لا محيد عنه كما بينه

ولا بد قبل الخوض في القسم الثاني من كلمة تمهيدية في الموضوع وهي ان المنرورين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الاسباب المادية الظاهرة منزلة العلل العقالية القاطنة وينسبون اليها التأثير وينعمون أنها مطردة اطراداً ضرورياً يستحيل انفكاكه . ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون لان القاعدة المتفق عليها عند المتكلمين هي ان قدرة الله تعالى واراادته لا تتعلقان بالمتسبيل وإنما تتعلقان بالممكن فقط . ولكن لا حجة لهم على ذلك وإنما هو شبهات كشف الحجاب عنها الفزالي وغيره . وتلك الاسباب التي مر القيل في اطرادها ممكنة فهي مطردة بفعل الله تعالى

ولو سلم الناس بقول اولئك الفلاسفة اوقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التي كانوا يرون تغييرها محالاً عقلياً وإنما المحال العقلي شيء واحد وهو اجتماع النقيضين او الضدين المساويين للنقيضين او ارتفاعهما . ولو ان هذه القرائب التي كشفها العلم في عصرنا ذكرت لأولئك الفلاسفة القاصرين لجزءه واستحالوا ووردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلاً اوردوه على القول ببعث الاجساد . وأمثلة بعث الاجساد ظاهرة اليوم لعلماء الكيمياء ظهوراً تاماً قال الامام الفزالي في كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه : « هذا ا

اردنا ان نذكره في العلم الملقب عندهم بالآلهي اما الملقب بالطبيعيات فهي علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف ان الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها الا في مواضع » . وانه القاري الى عطفه الانكار على المنازعة لتغايرها فالانكار هو القول بطلان الشيء مرة واحدة والمنازعة هي



المباحثة في داليله ليظهر الصواب مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين .  
ثم قال الامام بعد سرد انواع العلوم الطبيعية المعروفة الى ذلك العهد « وانما  
نحتاجهم من جملة هذه العلوم في اربع مسائل ( الاولى ) حكمهم بان هذا  
الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة  
فليس في المقدور ولا في الامكان إيجاد السبب دون المسبب ولا وجود  
المسبب دون المسبب وأثر هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات » الى  
ان قال ما نصه « وانما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات  
المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعباناً وإحياء الموتى وشق القمر .  
ومن جعل مجاري العادات لازمة لزم ما ضرورياً أحال جميع ذلك . واولوا  
ما في القرآن من إحياء الموتى وقالوا اراد به إزالة موت الجهل بحياة العلم  
واولوا تلقف العصا لسحر السحرة بإبطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد  
موسى شبهات المنكرين . واما شق القمر فربما أنكروا وجوده وزعموا  
أنه لم يتواتر » اهـ بنصه

ولينظر طلاب الحقيقة الى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول  
الامام كيف كان . الامام قال « وانما يلزم النزاع في الاولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات  
المعجزات » ومعناه ان محل النزاع في المسئلة الاولى هو انتفاء اثبات المعجزات  
بجملها من المحالات العقلية التي لا يمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها .  
وصاحب الجامعة يقول عن لسان هذا الامام ما نصه : ثم قال وانما يجب علينا  
إنكار هذا القول لانه ينتفي به اثبات المعجزات . فجعل (الإنكار) محل (النزاع) وزاد عليه  
جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين للإنكار والنزاع آنفا . فاذا كان نقل  
صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من التفهم والامانة



فإننا نهني من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهدايتة نفس الضلالة  
ثم قال الامام الغزالي في بيان الحق في المسئلة من طريق العلم المؤيد  
لما يعتقده المسلمون ما نصه : « الاقتران بين ما يعتقده في العادة سبباً وما  
يعتقده سبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا  
ولا إثبات احدهما متضمن لإثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر  
فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم  
أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب ، والشبع والاكل ، والاحتراق  
ولقاء النار ، والنور وطلوع الشمس ، والموت وجز الرقبة ، والشفاء  
وشرب الدواء ، واسهال البطن واستعمال المسهل ، وهلمجرا الى كل  
المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف ، وان  
اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه خلقها على التساوق لا لكونه ضرورياً  
في نفسه غير قابل للفرق بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت  
دون جز الرقبة ، وإدامة الحياة مع جز الرقبة وهلمجرا الى جميع المقترنات  
وانكر الفلاسفة إمكانه وادّعوا استحالة ثم ضرب لذلك مثالا واضحا حاججة لذكره  
وما ذكره الامام الغزالي هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر فانهم  
لا يقولون بأن شيئا من هذه المقترنات في العادة المعروفة بالاسباب  
والمسببات هو ضروري واجب عقلا وانفكا كما محال لا يتصوره العقل  
بل كل هذه الاشياء عندهم ممكنة ، وانفكاك التلازم وقع كثيراً ويسمون  
مالا يعرفون له منه علة « فليات الطبيعة » وبعض الانفكاك كان بما  
اكتشفه العلم من اسرار الكون ويتوقعون بهذه الاكتشافات ما لم يقع  
كأحياء الموتى ولو كان في نظرهم محالاً لما توقعوه ، ولكن صاحب الجامعة



لا يميز بين الضروري والممكن فيخلط المسائل بعضها ببعض . وقد صرح  
الغزالي فيما تقدم أنفاً بأن المتلازمين في العقل تلازماً يثبت به أحدهما بثبوت  
الأخر وينتفي بانتفائه هما اللذان يستحيل انفكاك تلازمهما لأن قدرة الله تعالى  
لا تتعلق بالمستحيل

( الوفاق بين قولي الغزالي ومذهب باكون )

تقدم ان الغزالي قال في كتاب التوكل ان سنة الله في نظام الكون  
هي ان الاسباب مرتبطة فيه بالمسيبات ارتباطاً كلياً لا يختل الا اذا لم تستوف  
الشروط التي يتحقق بها السبب حتى قال ان السبب يتلو المسبب عند عدم  
المانع « لا محالة » وفسر مثل قوله تعالى « فان تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة  
الله تحويلاً » بهذا النظام في الارتباط بين الاسباب والمسيبات وهو التفسير  
المتعين . وقال في كتاب تهافت الفلاسفة ان هذا الارتباط بين الاسباب  
والمسيبات المادية على اطرافه ليس بضروري في نظر العقل وعدمه ليس  
محالاً وإنما هو ثابت في الواقع ونفس الامر بحكمة خالق الكون ومدبره  
واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون فيذبني للناس  
أن يبحثوا عنها وينتهدوا بها في مصالحهم ومنافعهم ولا يتوقف هذا الإهتمام  
على كون كل ما يظهر في العادة سبباً لشيء ان يكون انفكاكه عنه محالاً عقلياً  
ويعلم الناظر في فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الأدلة النظرية  
في الحكم باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوبه عقلاً فالغزالي وغيره من  
أئمة علم الكلام بينوا ان المستحيل العقلي هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين  
أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين بمعنى النقيضين . وقالوا ان المستحيل  
والواجب الضروي في نظر العقل لا تتعلق بهما قدرة الله تعالى وإنما تتعلق



قدرة الله تعالى بالمكن فقط . فكانت فائدة قول المتكلمين في أمرين عظيمين هما أساس لترقي البشر ( أحدهما ) ان ما ثبت أنه ضروري ( واجب ) أو مستحيل لا يطعم فيه الطامع لامن جهة الكسب ولا من جهة الالتجاء الى الله تعالى لانه لا يتغير . ( ثانيها ) ان للممكنات سندا منتظمة ينبني الانسان ان يعرفها وينتفع بها ولكن لا ينبني ان يوقف حركة استعدادها عند ما يظهر له بادي الرأي أنه لا يتغير بل عليه أن يبحث لعله يقف على سنة إلهية أخرى تكون السنة التي ظهر له اطرادها مشروطة بها فيجمع بين الانتفاع بالسنتين معاً . مثال ذلك أن السنة الإلهية الظاهرة في النار أنها تحرق ما يقبل الاحتراق . فلا ينبني للانسان ان يجزم بأنه لا يمكن ان ينفي هذا الاحتراق لأنه ضروري بل عليه أن يبحث لان الاحتراق ممكن وربما يكون حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المواد لو عرفت بمنع الاحتراق بها . وقد اكتشف الآن ما يمنع الاحتراق في الجملة وانتفع به في وقاية المسكنب العمومية

فهذا التقرير أتى حجة الاسلام على تلك الفلسفة النظرية من القواعد ( وإن أساء ابن رشد في فهم بعض قوله وكابره في بعضه ) وأظهر حكم الدين الاسلامي في إطلاق العقل الانساني من تلك القيود النظرية ليسبح في ذلك الله مهتدياً بدين الله فيه . رت ( اكرت ) على هذا الأثر فقرر ان الأدلة النظرية لا يتمد عليها في إثبات المسائل العلمية مالم تؤيد بالتجربة والاختبار . قال باكون هذه الكلمة التي يعدونها أساس النهضة العلمية الجديدة في أوروبا كانت مبررة عند المسلمين من قبله ( كما تقدم في مقالات الاسلام والنصرانية ) وما كانت عنده أكثر جلاء







## القسم العمومي

## الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى

في مكة المكرمة يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦  
في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق  
على العادة المألوفة وأذن الأستاذ الرئيس للسيد الفراتي بإتمام بحثه  
فقال (السيد الفراتي) ان من أعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم أي  
عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فهم من يرشدهم الى شيء من  
ذلك بخلاف الأمم الأخرى فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي  
الارشاد الى الحكمة في شؤون الحياة . وأما الأقوام الذين ليس عندهم خدمة دين أو  
الشراذم الذين لا ينتمون لخدمة دينهم فمستغنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو  
التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق وكتب تدبير المنزل ومفصلات فن  
الاقتصاد والتواريخ المتقنة والرومانات الاخلاقية والتشيلية أي كتب الحكايات الوضعية  
ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين

على ان الخاصة المسلمين من الغرارة علماً لايقرون غالباً على العمل بما يعلمون  
لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية  
والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم الاستمرار  
على نظام مخصوص في معيشتهم

ثم قال ولا أرى لزوماً للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنها مدركة مسيطرة  
عند الكافة وهي ما ينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا : ان  
المسلم مصاب . وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه . وان أكثر أهل الجنة البله . وجسب  
ابن آدم اقيمت يقمن صابه . وان غيرنا مستدرجون . وانهم كلاب الدنيا . وانهم  
يملكون ظاهراً من الحياة الدنيا . وانهم في غفلة عن الموت وغفلة عن الدنيا شاخنت .  
ثم قال فمن الغرارة (الغرارة) في طبقاتنا كافة من الملوك الى الضعاليك اننا لا نرى ضرورة  
الاتقان في الأمور وقاعدتنا ان بعض الشيء يعني عن كله . والحق ان الاتقان ضروري

« ١ » كما يتزنى أولاد أكثر أمراءنا على أيدي اللالات أو الخادومات وما أدراك

ما تلك الحيوانات . اه من هاهن الأصل



لنجاح في أي أمر كان بحيث إذا لم يكن مستطاعاً في أمر يلزم ويتحتم ترك ذلك الأمر كلياً والتحول عنه إلى غيره من المستطاع فيه إبقاء حق الإتقان .

( ومن الغرارة ) توهمنا أن شئون الحياة سهلة بسيطة فظن أن العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرن عليه يكفي للعمل به فيقدم أحدها مثلاً على الإمارة بمجرد نظره في نفسه أنه عاقل مدبر قبل أن يعرف ماهي الإدارة علماً وتمرن عليها عملاً ويكتسب فيها شهرة تمينه على القيام بها .

ويقدم الآخر منا على الاحتراف مثلاً ببيع الماء للشرب بمجرد ظنه أن هذه الحرفة عبارة عن حمله قربةً وقدحاً وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل إتقان ذلك عمن يرشده مثلاً إلى ضرورة النظافة له في قربته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه ( كذا ) ويوهم بصفاته ليشهي به ومتى يغاب العطش ليقصد المجتمعات ويحجى منها الحاجة له عن المزاحمين وكيف يتناف الناس ويوهم بلسان حاله أنه محترف بالإسقاء كفاً لنفسه عن السؤال إلى نحو هذا من دقائق إتقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وإن كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن الغرارة ظننا أن الكياسة في: أدري وأقدر : جواباً للنفس في مقاصد كثيرة شتى والحقيقة أن الكياسة لا تحقق في الإنسان إلا في فن واحد فقط يتوابع فيه فيتقنه حتى الإتقان كما قال تعالى « ما جعل الله لرجلٍ من قابضين في جوفه » فالعاقل من يخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره: لا أدري ولا أقدر: لأن الأول يتكلف أعمالاً لا يحسنها ففسد عليه كلها والثاني يحجى لكل عمل لازم له من يحسنه فتنتظم أموره ويهنأ عيشه .

فالملك مثلاً وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات فالملك مهما كان عاقلاً حكيماً لا يقدر على إتقان أكثر من وظيفته المذكورة فالملك إذا تغرر وتنزل للتدخّل في أمور السياسة أو الإدارة الملكية أو الأمور الحربية أو القضاء فلا شك أنه يكون كرتيت يداخل طبائحه في مهنته ويشارك بستانه في صنعته فيفسد طعامه ويبور بستانه فيشتكي ولا يدري أن آفته من نفسه .

ومن الغرارة « اللوث في الأمور أي تركها بلا ترتيب والحكمة قاضية على كل إنسان ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل فضلاً عن سائس رعية أو صاحب عائلة



ان يتخذ له ترتيباً في شؤنه وذلك بأن يرتب

(اولاً) أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذي لا يجد له وقتاً كافياً يهمله بالكلية او يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

(ثانياً) يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من خرجه يغير طرز معيشته ولو بالتحول مثلاً من بلدة الغالية الأسعار او التي مظهره فيها ينم عن الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

[ثالثاً] يرتب تقليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظاً اراحة نفسه من الكد في دور العجز من حياته فيربي أولاده ذكوراً وإناثاً على صورة ان كلا منهم متى بلغ أشده يمكنه ان يستغني عنه بنفسه معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

(رابعاً) يرتب أموره الأدبية على نسبة حالته المادية أعني يرتب أموره الدينية ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها ما لا تطيق الاستمرار عليه .

(خامساً) يرتب مياله الطيبي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي فمثلاً يترك نفسه تتناول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ اي المصادفة . وخلاصة البحث ان الغرارة من أقوى اسباب الفتور وقداطات في وصفها وإيضاحها ليتأكد عند السادة الأخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي ليس من عقبات الامور .

ثم قال ان الانحلال اخلاقاً سبباً مهماً آخر ايضا يتعلق بالنساء وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا حيث كان يوجد في نساكننا كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي اخذنا عنها نصف علوم ديننا وكمات من الصحابييات والتابعيات راويات الحديث والمتفقهات فضلاً عن الوف من العالمات والشاعرات — اللاتي في وجودهن في العهد الاول بدون انكار — حجة دامغة ترغم انفس غيرة الذين يزعمون ان جهل النساء احفظ لعقهن فضلاً عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون حتى يصح الحكم بان العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة . نعم ربما كانت العالمة اقدر على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة اجسر عليه من العالمة . ثم ان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غني عن البيان وانما سوء تأثيره في اخلاق الأزواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث فأقول .

ان الرجال مبالون بالطبع الى زوجاتهم والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان



التجاذب الاخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الا من استحکم فيه تقرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حل كون حقيقة الأمر أنها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت. ويتميز آخر غيره انه أماها وهي تبته فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يرها كل الناس من حولهما دونه انها انما تمشي وراءه بصفة سائق لا تابع. وما قدر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الاسلامية حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصراً لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لغدير لزوم. وأمرت باستئجارهن في البيوت الحاجة ولا شك انه ما وراء هذه الحدود الافتتاح باب الفجور. وما هذا التحديد الا مرحلة بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة.

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يمسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة ذلك الشرف الذي هو من أهم مقاصد انشراحين بخلاف الغربيين الذين لا يهمهم غير التوسع في الماديات والمذات وقد أمرت الشريعة برعاية الكفاءة في الزوج وذلك ايضاً مرحلة بالرجال.

لأئمة المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفاءة في جانب المرأة للرجل وأوجبوا ان يكون هو كفواً لها فقط لكيلا تهلك بفخارها وتحكمها على ان لرعاية الكفاءة في المرأة بالنسبة الى الرجل ايضاً وحيات عائلية مهمة منها التخير للاستسلام والتخير لتربية النسل. وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن لان الزوج بمجهولات الاصول او الأخلاق او بسافلات الطباع والمعدات او بالغريبات جنساً او الرققات مفاسد شتى لأن الرجل ينجر طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسفل لا محالة وان كانت غريبة بغضت اليه قومه وجرت له الى موالاة قومه والتخلق بخلاقهم.

ولا شك ان هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الأزواج وربما كان أكبر مسبب لانحلال اخلاق الامراء من المسلمين انهم من جهة الامهات والزوجات السافلات اذ كيف يرجي من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة (١) ان تترك بعلمها وهو في الغالب أطوع لها من خباياها ان يحجب داعي شهامة أو مروءة أو أن تفرز في رؤس صبيتهام مقاصد سامية أو تحمسهم على أعمال خطيرة كلاً لا تفعل ذلك أبداً انما تفعله الشريقات اللاتي يجدن في أنفسهن عزة وشهامة (٢) وهذا هو

(١) كالكرجيات الارمنيات والرققات الجركسيات امهات اكثر الامراء وزوجاتهم

(٢) كبنات بيوت المجيد الحريصات على الفخر وبنات أهل البادية والقرى الايبات النفوس



سراً أن أعظم الرجال لا يوجدون غالباً إلا من أبناء وبعول نسوة شريقات أو بيوت قروية وهذا هو سبب خرص أمراء العرب والافرنج على شرف الزوجات

(ثم قال السيد الفراتي) أيضاً: واني أرى أن هذا الفتور بالغ في غالب أهل الطبقة العليا من الأمة ولا سيما في الشيوخ مرتبة (الخوارج في الطبيعة) لأننا نجدهم يتقصون أنفسهم في كل شيء ويتقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل إقدام ويتوقعون الحية في كل أمل. ومن أقبح آثار هذا الخور نظرهم الكمال في الأجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلميهم فيندفمون لتقليد الأجانب واتباعهم فيما يظنون رقة وظرافة وتعدنا وينخدعون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التعصب في الدين والافتخار به فمنهم من يستحي من الصلاة في غير الخلوات. وكإهمال التمسك بالمعادات القومية فمنهم من يستحي من عمامته. وكالبعد عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قومه من سقطة البشر. وكنبذ التحزب للرأي كأنهم خلقوا قاصرين. وكالغفلة عن إثار الأقربين في المنافع. وكالقومود عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يشم من ذلك رائحة التعصب الديني وإن كان على الحق — إلى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الخور من المسلمين الحميدة في الأجانب لأن الأجانب يمهون عليهم بأنهم يحسنون التحلي بها دونهم

وهؤلاء الواهنة يحق لهم أن تشق عليهم مفارقة حالات الفوها عمرهم كما قد يالف الجسم السقم فلا تلذ له العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلموا الأدب مع الكبر يقبلون يده أو ذيله أو رجله. وألفوا الاحترام فلا يدوسون الكبر ولو داس رقابهم. وألفوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق. وألفوا الانقياد ولو إلى المهالك. وألفوا أن تكون وظيفتهم في الحياة دون الثبات ذاك يتناول وهم يتقاصرون، ذاك يطلب السماء وهم يطلبون الأرض كأنهم لأموت مشتاقون، وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق وجمال عندهم المخازي مفاخر فصاروا يسمون الصغار أدباً والتدليل لطفاً والتملق فصاحة والاكمنة رزاة وترك الحقوق سباحة وقبول الإهانة تواضعاً والرضاء بالظلم طاعة كما يسمون دعوى الاستحقاق غروراً والخروج عن الشأن الذاتي فضولاً ومد النظر إلى الغد أملاً والاقدام تهوراً والحمية حماقة والمهامة شراسة وحرية القول وقاحة وحب الوطن جنونا

ثم قال وليعلم أن النشء الذين تعقد الأمة آمالها بأحلامهم عمى يصدق منها شيء



وتتعلق الأوطان بحبال همهم عساهم يأتون فعلاً مذكوراً هم أولئك الشبان ومن في حكمهم المحمديون المهبزون الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الأساسية نحو الصلاة والصوم ويحجبون مناهيه الأصلية نحو الميسر والمسكرات الذين لا يقصرون بناء قصور الفخر على عظام نحرها الدهر ولا يرضون ان يكونوا حلقة ساقطة بين الأسلاف والأخلاف الذين يعلمون انهم خلقوا أحراراً فيأتون الذل والأسارة • الذين يؤدّون ان يموتوا كراماً ولا يحبون لثاماً • الذين يجهدون ان ينالوا حياة راضية حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقل في شؤنه لا يحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء وولد بار بوطنه لا يخل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله • الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خالق من ترابه • الذين يعشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة • الذين يعتبرون ان خير الناس أنفسهم للناس الذين يعرفون ان الفنوط وباء الآمال • والستردد وباء الأعمال • الذين يفقهون ان القضاء والقدر هما السهي والعمل • الذين يوقفون ان كل ما على الارض من أثر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتحيلون الا المقدرة ولا يتوقعون من الأقدار الا خيراً • وأما النشء المتفرنج فلا خير فيهم لأنفسهم فضلاً عن أن ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً وذلك لأنهم لا خلاف لهم تجاذبهم الأهواء كيف شاءت لا يتبعون مسلكاً ولا يسرون على ناموس مطرد لأنهم يحكمون بالحكمة فيفتخرون بدينهم ولكن لا يعملون به سهاوناً وكسلاً (١) ويرون غيرهم من الأمم يتباهون بأقوامهم ويستحسنون عاداتهم ويميزاتهم فيميلون لمناظرتهم ولكن لا يقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا أتباعاً (٢) ويجدون الناس يعشقون أوطانهم فيندفعون لانتشبه بهم في التشيب والاحساس فقط

(١) اكبر ما يشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين • ولا يخاطبهم بلسانهم فنقول: ان الطهارة والوضوء هما عين (التوالت) أو بعضه وتمكن بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هي عين (الجنستيك) واكمل منه لأنها موزعة ولا تستغرق الركعة منها اكثر من دقيقة فأطول صلاة تطول عشرة دقائق • بناء عليه فليكن على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم الذين لو لم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعار يهرف بهما المسلم • الكافي • (٢) هذه حكمة الشرع في حظره ترك سنة الأسلاف وتقليد الأغيار ولو في اللباس وهذه الأمم الأفرنجية تنفر من التقليد حتى في القياسات والموازين







وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السامحة) التي وضعها اللجنة مطبوعة في نسخ على عدد الإخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع الذاكرة حيث يبحث فيها قضية فقضية بدون جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف  
بأمر (السيد الفراتي) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من نسخة القانون فأخذوها وتفرقوا

## باب التبيين والتعليل

الشذرة العاشرة منه جريدة الدكتور راسم (\*)

### ﴿ التقليد والذاكرة ﴾

مثل هاتين القوتين في فتنة العقل والتفكير به كمثل الفتانات الخرافية التي كانت تظهر في بحر صقلية وتستهوئ الملاحين بشجي صوتهما فتورداهم في شمابه مورداهلكة فانهما بعلو مكانتهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات وبجداءهما العقل أحياناً في آدابها بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائفه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلاً وقد يكون الذنب في ذلك على المرين دونهما لما ينهجون من طريقة التربية فان أحداً لا يرتاب في كون ذنبك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة سيد أن هذا لا ينبغي أن يكون سبباً للافراط في تمهيتها فانك ترى التلميذ الذي تربي على طريقتنا يهتف لك بما قرأه في الكتب أشياء لم يرها في حياته ويفوه أمامك بجملة من القول المشهور أو المنظوم تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشمر بشيء منها قط ويبيدي من الهيج والانفعال في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن يتغنى بذكر الأشجار وظلالها والأنعام ورعائها والربيع وأزهاره لوجد فيما يذكره من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيل (١) وهوراس (٢) من النعوت والأوصاف

(\*) معرب من كتاب أهيل القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة

التاسعة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنة ٦٧ وبات سنة ٨ قبل المسيح



ومع أنه قد يكون خيراً له أن يذهب إلى المزارع ويرى بنفسه ما يحصل فيها وكيف يحصل تراه شديد الاحتراس من موافاتها خشية أن يخسر فيها اللاتينية وما تواضع عليه الأقدمون من الصور اللفظية لتأدية ما كان يعرض لأذهانهم من المعاني والأفكار وإذا استوصفته قتالاً انبرى يصف لك ما استعمل فيه من الآلات وكيف كان اصطدام الجيشين بالفاظ مطبوعة وعبارات مجلجلة وهو لم يشهد شيئاً من ذلك أبداً فإذا كان مرادك اختباره في محاصرة العدو وجدته قد انتهى من حصاره كما انتهى فرتوت (١) واقعد عرفت فيما سبق تلميذاً كان يبدو عليه كثير من مخايل النجابة نال اكليلاً مكافأة له على قرضه شعراً وصف فيه زج سفينة في البحر وهو لم ير في عمره سفينة ولا بحراً.

نعم إن الشبان في هذه الأيام لا يكادون ينفلتون من المدارس إلا وهم رافضون لآثار السلف نابذون لها ظهرياً غير أنه لا معنى لهذا إلا أنهم يقتاضون عن مثل العابرين مثل الحاضرين لأن محو طيات التقليد وغضونه من النفس وارجاعها إلى صقلتها الفطرية ليس من السهولة بالمقدار المتوهم فأننا كل يوم نقرأ في وصف الكتاب والشعراء المبتدئين قول واصفيهم في الواحد منهم أنه نابغة يفتش على نفسه قليلاً لي يربيه هذا الفتاش أين أضل نفسه حتى أصبح ينشدها

إن تربية تكون بدايتها إضلال وجدان الاستقلال إلى حد أنه ينبغي لأجل الاهتداء إليه تلمسه سنين طويلة لمن الغرابة بمكان

أنا لا أشتهي ولا أرجو أن يكون «أميل» مبالاً إلى وقف نفسه على دراسة آداب اللغة ولو أنني وهيلانة دأبنا في تحبيبها إليه وأفأحننا في حجب حالة عقله بزخارف الذاكرة لأخفقتنا في مسعانا إلى غايتنا المطلوبة. فأتقاء لهذا الخطر تراني مصممًا على ارجاء تعاليمه اللغات القديمة واقرائه كتب مؤلفيها وقد جعلت له مشاهدة الأشياء مقدمة على علم الألفاظ فأصبحت علومه على ما فيها من النقص لها أصول في الخارج ترجع إليها ودعائم في الواقع تستقر عليها وسعيت في إيتائه من آلات الضبط والدقة

(١) فرتوت هو اسقف مؤرخ من الفرنجة ولد سنة ١٦٥٥ ومات سنة ١٧٣٥

ق . م . وهو مؤلف كتاب الفتنة السويدية والفتنة الرومانية وتاريخ الاشراف الكرام والمؤرخ يلمح إلى واقعة لهذا المؤرخ وهي أنه كان يكتب تاريخاً لحصار رودس وانتظر طويلاً ورود أنباء صحيحة له عنه فلم يحضر فاتهم تاريخه قبل ورودها ثم قال انني متأكد من ذلك ولكن قد انتهت من حصاري



العقلية ما هو لازم للانسان في بحثه عن الحسن والحق أكثر جداً من سعيه في الافضاء  
إليه بما لي أو ما يغري من المعاني

وقبل ان اجعل البحث في مثل الاقدمين في مكنته سأعنى كل العناية بتسبيه الى  
ان هذه المثل لا تقلد فانه من السخف المحقق ان نباري الغابرين مباراة نحن على  
يقين من غلبتنا فيها من قبل ان ندخلها وكيف لانكون مغلوبين لهم ونحن نرضى  
لانفسنا طريقهم في الكلام والكتابة والذي لاغضاضة علينا في أخذه عن كتاب  
اليونان والرومان انما هو روح آداب لغتهم وما يناسب كل زمان وكل قوم من أساليب  
الإنشاء وترتيب المعاني والدقة في التعبير عنها وانتقاد الالفاظ اللائقة بها فكما ان من  
يعاشر بعض خواص الأجانب يقتبس شيئاً من خصائصهم بغير ان يكون ذلك موجباً  
لمشابهته لهم بحال من الأحوال كذلك معاشره الاقدمين بواسطة ما تركوه  
من آثارهم توحى اليها شيئاً من عوائد العقل واللسان المناسبة لكافة الاقوام المستضيئين  
بفضياء العرفان .

التقليد الخسيس سواء قلد فيه الغابرون أو الحاضرون لا يقتصر سوء أثره على  
إضعاف الذوق والميل الى الفنون بل انه يسلب الناشئين شرف النفس وكرامتها فلشد  
ما يتخذون بما تؤديه لهم الالفاظ عند قبولهم ايها من المعاني صحيحة أو فاسدة لان  
أساليب الإنشاء والالفاظ والجمال تفعل في نفوسهم ما يفعل السحر الحقيقي فتراهم  
يتوهمون انهم يتفكرون فيما يقولون ويكتبون والحق انهم يرددون ما فكر فيه المفكرون  
ولعمري ان هذا هو أصل بعض الاباطيل التي تحاول من قرون عديدة اطفاء نور  
العقل . ذلك ان ضروب الاستعباد متلازمة فمن قبل واحدا منها فقد أخذ على نفسه  
الرضوخ الى جميعها الا ترى الشاب المتعلم الذي اعتاد تقليد ما يصفه المقلدون بالمثل  
الحسنة بصاحبه في سيرته وأطواره روح الدين والانقياد الذي ألفه من التقليد فتجده  
يحين ويفزع عند كل عنيزة ذاتية

نعم انه قد يخاطر بحياته في براز أو يمرضها للهلكة في ساحة قتال لانه يرى ذلك  
مستحسناً في نظر الناس ولكنه اذا دعي الى مقاومة عادة بربرية أو تأييد حق قل  
ناصره ورأى ان من وراء ذلك الاستهداف للسخرية والزراية عليه نكص على عقبيه  
نكص الحيان وفر فرار الرعديد

مثل هؤلاء المخلوقين المجردين عن ذواتهم يجدون طريق عيشتهم ذلولاً ويأثمهم



رزقهم بلا نصب ولكن ما أكثر ما يسومون أنفسهم من الخسف وما احط ما يسلون بها اليه من دركات النذل . عرفت امرأة برزّة (١) محبوبة حسنة المحاضرة وكانت ارملة ولها ولد كان قبله آمالها فبداها يوماً من الايام ان تنشئه على أحسن آداب المواضعة المعروفة فرأت ان الاستشهاد باقوال الكتّاب اللاتينيين في المقامات المناسبة من المحاضرة والتمثيل باشمارهم وايراد أمثالهم من الامور التي لا بأس بها بل انه يكسو المحاور اذا كان حسناً بُرداً من الخطر ويأتي عليه مسحة من جلال القدر فارسلت ولدها الى المدرسة فغادرها كيوم كدخلها خفيف العقل لم يستفد من العلم الا فشوراً محبوبة عند الناس ولكنه اوتي ذاكرة مباركة كان يتكلم في كل موضوع ويناقش في كل شيء ولا يبدي رأياً الا قبول بالاستحسان لانه يسهل على كل انسان أن يرضي الناس عنه اذا سلم لهم ما يقولون ولم يعارضهم في شيء من آرائهم فكان ثنائياً عديم الخلق حسن الصورة عقيم الفكر أرادت والدته أن تصيره رجلاً من الأكياس أو نائباً لأحد الحكام او معتمداً سياسياً لحكومته في بعض البلدان وان أحبت أن تعرف ماذا صيرته قلت انها صيرته طفيلياً .

ان طريقتنا في التربية تظهر بادي الرأي سخيفة مضحكة وان جاز أن تكون ممتدة  
يتعمد على الافهام ادراكه وربما لا تطابق أي طريقة غيرها مطابقتها لمقاصد حكامنا  
ونظامنا السياسي

اللامذة في مدارسنا مقترعون مدينون تبكر الحكومة بتأهيلهم لوظائفهم على  
نظام ممنوي يشف عن حذق واضعه فانت ترى القائمين على تربيتهم يوزعون عليهم  
متاعاً من الآراء والعلوم التي يجب عليهم تقليدها في مستقبلهم مراعين في ذلك الدقة  
العسكرية التي تراعى في توزيع متاع الجند وينادونهم: «الهويناء» أيها الاحداث واياكم  
ان تحيدوا عن الخطوة المضروبة لكم . نعم ان منهم من يولونهم أديارهم ولا يصغون الى  
ندائهم وان كثيراً من هؤلاء ينجحون الى فئة الآخذين بحرية النظر ويتضاعف عددهم  
كل يوم ولكن لشدة ما يلاقون على ذلك من العقاب يحرمون من تقلد الوظائف العلمية  
في المدارس الجامعة ومن القيام بالوظائف الادارية في الحكومة فلا يواي أحد منهم شيئاً  
منها وفوق ذلك تراهم ان لم يسبوا سيرة مرضية وقد أخذت الحكومة على نفسها تعليمهم  
كيف يسبوا بما يتابعه لهم من ضروب الابداء وما تلبوهم به من العقوبات والتهكبات

(١) البرزة المرأة الجليلة التي تظهر للناس ويختلف اليها القوم



السياسة ولا جرم فانهم في قبضة حاكم ماهر والذنب عليهم في انهم لم يعرفوا من قبل ان لهم والياً يقوم عليهم واستاذاً يرشدهم  
ولما لم يكن هذا هو الفلاح الذي أرجوه « لامل » وكان الذي يعني من أمره قبل كل شيء انما هو حفظ كرامته وشرفه من حيث هو انسان كان نصيب هذه الطريقة مني محض الإعجاب بها دون ان أرضاها تربيتها

### ﴿ النشرة الحادية عشرة ﴾

#### في المؤلفات المفيدة للناشئين واختيارها

أجد في نفسي انبعاثاً كثيراً الى اعتقاد انه لا شيء أضرّ على كتاب الاقدمين وأدعى الى هجر مؤلفاتهم من اطراء المعلمين اياهم واعتيادهم الإعجاب بما كتبوا  
ذلك ان هؤلاء بالزامهم الطفل حفظ ما يختارونه له من هذه المؤلفات وارشادهم اياه الى ما يجب عليه ان يراه فيها من ضروب المحاسن خشية ان يقصر في احترام آثار سلفه واكرامهم له على ملاحظة جميع ما فيها حتى علامات الفصل والوصل بذلك كله لا يفاعون غالباً الا في ان يكرهوها اليه وهي أحسن أعمال عقل الانسان  
فلا فرط في الوقاية من جانب المعلم بصير سبباً للضعف من جانب المتعلم وافراط ذلك في إعجابه بما يعلمه يذهب بالحلية من نفس هذا فيما يتعلمه  
والقصود من التعليم على أي حال انما هو انشاء القوة الحاكمة في نفس الطفل وأنا في شك من بلوغ هذه الغاية بالجري على تلك الطريقة فانه على فرض وجود التلامذة الذين يكون فيهم من الامثال ما يكفي لان يروا الحسن فيما يمدح لهم والقبیح فيما يذم ( وفي التلامذة من هم كذلك ) لا تكون أذواقهم من أجل ذلك أسلم من أذواق غيرهم ولا اكثر منها دربة بل ان هذا مما يدعو الى سلبهم قوة تمييزهم الامور بأنفسهم فتكون همهم في مستقبلهم بصروفة الى تاتي آراء من تعتبر آراؤهم حجة من الناس لا الى النظر في الامور والحكم عليها حكماً مستقلاً

سادع ابني وشأنه في انتقاء كتبه فلا اجتنب الا ما يكون منها ضاراً بالاخلاق لاني اود ان يكون هو صاحب الخيار فيما يفضل في نظره من كتب الآداب فاذا ضل ذوقه في الاختيار عولت في رده الى الصراط السوي على ضروب نمو عقله لا على ما يدعو اليه كدري من انواع التوبيخ والتأنيب ومع كوني لا اضمن عليه بالارشاد متي سأني اياه تجديني اقصد ان يلتمس في ما يطالع تمية افكاره ورؤية ضروب وجدانه الذاتي



نعم اني قد اشتهي ان اقدم له بعض كتب مخصوصة واعتبط لوانه اتفق معي في التأثير بما فيها غير اني لا اجدني محققاً في اقتضاء ذلك منه لان الاعجاب بالشيء من اجل ان يكون مفيداً لا بد ان يصدر عن نفس المعجب ولان الانسان في كل طور من اطوار حياته منفرداً كان أو مجتمعاً يتصور للحسن كلاً يطابق بالضرورة بعض أحوال تتماق بنفسه أو بوظائف أعضائه • يدلك على ذلك اننا لانكاد نعرف الآن ما قرأناه في عهد شبيبنا من الكتب ولا مؤلفيها ولا نحس بشيء من الميل الى كتب الادب التي طالعناها في ذلك الزمن • لم يبق من الشعراء والكتاب الذين كانوا أساتذتنا فيه بكتبهم من يصحبنا في شيخوختنا الا النزر اليسير •

## اثار عبد الباقى

(الاسلام والنصرانية • مع العلم والمدنية) لقد أقبل الناس على هذا الكتاب اقبالا لم يعهد في هذه البلاد وامثالها حتى اننا لتوقع نفاد نسخة المطبوعة كلها في زمن قريب جداً • وقد قدمنا نسخة منها الى رئيس علماء الدين في مصر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر فتقبلها بأحسن قبول وأظهر لنا غاية الارتياح بطبعه وأنى بما هو أهله ثم انه لم يرض الا أن كافأنا بما هو أضعاف ثمن الكتاب والزمن بقبول المكافأة وحسبنا رضاه عن هذا الأثر أدامه الله نصيراً للاسلام وقد نشرنا في آخر الكتاب أبياتاً من قصيدة في تقيظه لأحمد أفندي الكاشف وأننا نشرها أيضاً في المنار وهي

|                          |                          |
|--------------------------|--------------------------|
| ورضواناً رجاء المسلمين   | سلاماً حجة الإسلام فينا  |
| يؤيد وحي ما يهتكم المينا | عنيت بما كتبت فكان وحي   |
| يرى فيه المزاем والظنون  | فلم تترك لمتهج مكانا     |
| فما يدعو بأخر مستعينا    | فما بطل يخوض الحرب فرداً |
| بمهجته المواطن أن تهونا  | جهاداً في سبيل الله يفدي |
| وقدراً في قلوب العالمينا | بأبقى منك آثاراً وذكرا   |
| وكان كتابك الدرع الحصينا | وكان يراعك المنصور سيفاً |



ملكته به معاقل عاليات      نبته عنها سيوف الفاتحين  
وماضراً الضلال المخلق حتى      نفستهم وأوضحت اليقين  
فرقاً بالمكابر قد كفاه      مجادلة وأوشك أن يدبرنا  
ودعته في تأمله عساه      يجيئك باعتراف المهتدين

### باب التقرير

#### رحلة صادق باشا العظيم الى صحراء افريقية الكبرى

الفريق صادق باشا المؤيد العظيم أحد حجاب مولانا السلطان عبد الحميد خان كاتب أديب وقائد شجاع وأمين عنده ولاء يبعثه في المهمات السياسية والفنية العملية . فكما عهد اليه بأمر مد الأسلاك البرقية في الحجاز ثم بأمر النظر في سكة حديد الحجاز من الأمور الفنية عهد اليه من قبل بالرحلة الى صحراء افريقيا واكتناه شؤونها عامة وشؤون السنوسي وجماعته خاصة فقام بذلك وعهد اليه من بعد بالذهاب مع بعثة الى روسيا لمقابلة قيصرها في أمر سياسي . أما سفره الى الصحراء بأمر السلطان فقد كان مرتين وكتب فيما شاهد في المرة الثانية رحلة باللغة التركية أودعها وصف ما رآه واختبره من أحوال المكان والسكان . وقد عرب الرحلة جميل بك العظيم وطبعت في كتاب مستقل بعد طبعمها في جريدة « معلومات » ولا شك ان قراء العربية كلهم يحبون الاطلاع على مثل هذه الرحلة الا من لا يحب التاريخ ولا يخل بما يبنى عليه من أحوال السياسة الحاضرة . والرحلة تطلب من ادارة مجلة المنار بمصر

( الإسلام في عصر العلم ) كتاب جديد يشغل بتأليفه وطبعه محمد فريد أفندي وجدي . وقد جعله ثلاثة أقسام أحدها في « الإنسان » وثانيها في « المدنية » وثالثها في « ما وراء المادة » ورابعها في « حياة النبي صلى الله عليه وسلم » والغرض من الكتاب تأييد الدين الاسلامي بمباحث المعلوم على ما انتهت اليه في هذا العصر

الغرض شريف وحاجة المسلمين اليه شديدة فان المفتونين منهم بمدينة أوربا يخطف أبصارهم كل شيء يرونه من آثارها ويحتلب أفئدتهم كل يسمونه من علومها وعقواهم تتبع أفئدتهم وأبصارهم . فترى الكثيرين منهم في شك من دينهم الذي اتموا اليه ولم يعرفوه حق المعرفة لا اعتقادهم أن أولئك الذين تلك المدنية مدنيهم وتلك العلوم علومهم لا يمتدحون بصحة الدين . ومنهم الضعيف الواهن الذي يكفي



لا يناعه في الشك أن تخفى عليه حقيقة مسألة واحدة مما يعزى الى دينه أو يراها مخالفة لما يقول أو تلك الحافظون لبصره والمختابون لفؤاده وربما تكون تلك المسألة ليست من الدين بل من التقاليد اللاصقة بأهله أو تكون من الأمور الواردة فيه لا على سبيل القطع أو يكون لها معنى غير ما يفهم أو يكون المخالف للمسألة هو المخطئ ولكن من قن باعتقاد عظمة إنسان لا يخطر له أنه يخطئ . انتقايدفتك بعقل المقلد حتى يجعله أسيراً لكل من يعتقد عظمته يسلم له بكل شيء تسامياً

أمثال هؤلاء يجب أن يعرفوا نسبة هذه المعلوم وهذه المادية الى الإسلام وما يؤيده منها ومن علومها . ولن يجدوا حاجتهم هذه على طرف التماس الا اذا انصرفت همه الباحثين للتأليف فيها وهذا ما توخاه صديقنا محمد فريد وجدي في كتابه هذا فنسأل الله تعالى أن يوفقه لا كماله ويسهل له سبيل كماله ويوفق اخواننا المسلمين لمساعدته على عمله بالاقبال عاياه . وقد اختار هو أن يصدر الكتاب لمن يشترك فيه منجماً تجميعاً في كل شهر ٦٤ صفحة من القطع الصغير اللطيف . وقيمة الاشتراك في السنة ٣٠ قرناً صحيحاً يدفع سلفاً أو على ثلاثة مجرم . وهو يطلب من مؤلفه بالسويس

### ﴿قاموس الماني عربي﴾

ان الحاجة التي تسوق الامم الى الاقتراب من الامة الالمانية ودراسة لغتها أصبحت متأكدة وتزداد من يوم الى آخر ذلك بانها من حرب السبعين الى اليوم وصلت في علومها وصنائعها وتجاريتها وسائر ضروب المدنية الى درجة أبهرت العالم فأخلت الامم لها المحل الاول وصار الكثيرون من المتكلمين يدرسون لغتها ويرحلون اليها في طلب الكمال وقد أخذ عدد من الشرقيين ليس بالقليل في دراسة هذه اللغة يتقنون ان يصيبوا من هذا ما يصيبه غيرهم وسينمو هذا العدد من غير شك تبعاً لامتداد الملائق بين البلاد الالمانية وبلادهم وازدياد المستكلمين وطلاب الحقائق في هذه البلاد . هذا قول حق نلفت به القراء منهم الى قاموس الماني عربي ظهر في هذا المعهد . ألف هذا الكتاب العالم الفاضل الافسوي المؤرخ الدكتور ارنست هرر المحرر باحدى الجريد الشهيرة التي تصدر ببرلين « بختش رند شو » والقاموس المذكور مشتمل على ثلاث وثمانمائة صفحة جمعت نحو ثمانية عشر الف كلمة مراعى في جمعها حاجتنا المتكلم والقارى في الكتب الادبية سواء كانت جرمانية الاصل أو دخيلة شائعة في اللغة . ان هذا الدكتور — وقد عاشت زمناً طويلاً — يصيب



ان يضع للكلمة الالمانية اخرى عربية بازائها اذا لم يكن المعنى واحداً بل يعتمد اذا لم يصيب الكلمة المطلوبة الى التعبير عن المعنى في جملة يصيب بها الغرض قدر ما يمكن . ساعده على أداء هذه المهمة التي يعمل لها منذ عهد بعيد معرفته باللغة المصرية الدارجة والفصحى وقد وضع فيها أجرومية باللغة الالمانية طبعت سنة ١٨٩٨ بمطبعة «هيدابرج» وصادفت اقبالا طيباً . قد يضع المؤلف افرض ما إزاء الكلمة الالمانية اخرى من اللغة الدارجة مع التنبه على ذلك . لم يوجد من قبل قاموس الماني عربي الا واحد لحضرة البروفيسور فارمولد النمساوي الا انه غير واف بالغرض ومن هذا ان كلماته لا تزيد على الثلث من الفاظ الكتاب الجديد . ان هذه الخدمة الجليلة التي قام بها هذا المؤلف هي في منفعة الناطقين باللغة العربية اكبر منها في صالح قومه ولهذا نشكر له هذا العمل ونسأل له دوام التوفيق ليعمل على الصالح العام

ومن أراد ان يكتب حضرة المؤلف في أمر يخص كتابه أو نحو هذا فليتفضل بالاستفهام عن طريقة ذلك من حضرة السيد الفاضل صاحب هذه المجلة (أحد القراء) (مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لمؤلفه المؤرخ النصف جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بتراجم الملوك والأمراء والقواد ورجال الإدارة والسياسة ولم تمكن من مطالعة شيء منه ولكننا نعلم ان طريقته فيه هي طريقته في الهلال بل هو قبسة من نور الهلال . وصفحاته ٢٦٤ وفيه ٧٢ رسماً وثمنه ١٥ قرشاً صحيحاً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(الحال بين العامة) «رسالة دينية أدبية تهذيبية اجتماعية» ألفها عبد العزيز أفندي فتحي الجورجستاني وقال في مقدمتها ان أكبر داع دعاه الى تأليفها هو انه سمع من الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية كلمة قالها للناس بعد صلاة الجمعة في بلده (محلة نصر) وهي : يكاد قلبي يقطر دماً عند ما أرى بدعة أئندها مبتدعها الى الدين : وتلا الأستاذ قوله تعالى «ان الذين اتخذوا دينهم هزواً ولماً» الآية . أما فصول الرسالة فهي (١) الصدق والامانة وضدهما . و (٢) الاقتصاد وبعض ماورد في مدحه وذم ضده . و (٣) الإصلاح والمعاونة . و (٤) حسن المعاملة وطاعة أولى الأمر . و (٥) النجاسة والنجاسة والحسد . و (٦) نشر المعارف وفضل العلم . و (٧) العمل وترك الكسل . و (٨) المبتدعون في الدين . و (٩) المفسد في الموالد . و (١٠) الطريق . وختم الرسالة في انتقاد الوعظ . ولا شك ان مطالعة العامة لهذه الرسالة نافعة لأنها تنفّر عن المنكر وتحث على المعروف والخير . ولكن اسمها لا يطابق اسمها الا في



كلمات من الفصول الأخيرة لأن سائر الفصول لا تشرح من أحوال العامة ما ينبغي شرحه فعسى أن يوفق المؤلف إلى كتابة ما يعرفه من المنكرات الفاشية بين العامة بالتفصيل . ولم يمتن بتصحيح الرسالة كما يجب وذلك لا يمنع من الانتفاع بها ( النخبة ) ديوان شعر جديد لناظمه رشيد أفندي بن حنا مصوبع البستاني وقد عرفنا الناظم شابا متوقدا الذكاء ومن أحسن شعره قصيدة يصف بها سوق احسان أقامها سرب من العذارى الاسرائيليات في فندق ( كو تينتال ) بمصر قال فيها

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| حيي في مصر أربع الغادات     | وهائي الحسان والحسنات    |
| أربع قد حوين كل صنيع        | من جميل وأوجه سافرات     |
| تجاري الفتيان فيه إلى البذ  | ل باغراء أعين الفتيات    |
| آسات صيرن من كان في القو    | م بخيال مجود بالكرامات   |
| يستببه لحظ الحسان فلا يذ    | بث أن يبذل اللهى والهبات |
| كل خود للسحر في مقاتها      | عقد قد خلبن بالفتات      |
| أخذت للفقر منازكة           | قابلتها من حسننها بزكاة  |
| وغدا الزهر غالي السمر اذ قد | كان يعطى من تلكم الراحات |
| ينثر الورد حولنا من يديها   | فنبخل الحدود منتثرات     |
| وتعير التسميم من صدرها اذ   | فاس طيب نردّها زفرات     |

إلى أن قال

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| سوق حسن للمشقين وسوق     | من جميل للبائسين العفاة |
| أنشأها أيدي الكو'عب من   | ن وياحسنهن من منشآت     |
| ما كفتنا محاسن العين حتى | ما كفتنا الحسان بالهيات |
| هكذا يجمال الجمال لعل أأ | خير لا لاجلاب والمنكرات |
| هكذا تشفق الحسان وتغدو   | للذي رام قريها قاسيات   |
| هكذا يكرم التسميم بالور  | د ولكن يحمى عن الوجنات  |
| هكذا يعرض الجمال محلى    | بجميل الأفعال والفتيات  |

هذا ما أردنا نشره من هذه القصيدة الرشيقة لتكون أحسن مثال للديوان . طبع الشاعر ديوانه هذا وأهداه إلى نقولا بك توما الحامي المشاهد من حبه للأدب وأهله ( حديث ليلة ) قصة فكاهية ترامية تأليف القصصى الفرنسى الشهير اسكندر دياس الكبير . وقد عمرها الشيخ نجيب الحداد الذي كان أحسن كتاب هذا الوقت



أعرباً للقصص وطبعت في مطبعة المعارف التي هي في مقدمة المطابع المصرية اتقاناً للطبع فاجتمعت في هذه القصة محاسن التأليف والتعريب والطبع ولذلك يرجى لها الانتشار بالطبع ( المجلة المدرسية ) مجلة علمية أدبية مصورة تصدر في كل شهر شمسي مرة مدبرها ومحررها سيد أفندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية الأهلية وقد صدر الجزء الأول منها في أول يناير سنة ١٩٠٣ في ١٦ صفحة وهو مصدر برسم سمو الخديو المعظم وفيه نبذة من تاريخ سموه ونبذة بمدىها في الكلام على الأسد كأن المراد بوضعه بعدم مراعاة النظر ، وتشبيه الأسد بالأمير ، في القسم الأدبي منه مقالة في ( الافة ) وفي ختامه خطاب وجيزة لتلامذة المدرسة التحضيرية

نحن نعرف من سيد أفندي محمد شاباً غيوراً على الأمة والملة مجتهداً في تهذيب تلامذة مدرسته وقد أنشأ لهم جمعية في المدرسة يترنون فيها على الخطابة والبحث بالقول ثم أنشأ لهم هذه المجلة ليتمرنوا بها على البحث بالكتابة والقراءة فخرجوا له النجاح وبحث تلامذة سائر المدارس على قراءة مجلته ومساعدة اخوانهم في مباحثها ولعله لا يعدم من محبي العلم والأدب في غير المدارس تشيظاً واسماداً وقيمة الاشتراك في المجلة المدرسية ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة

( العلم الصناعي ) مجلة عامية صناعية تاريخية تصدر في كل شهر مرة لمنشئها عبد الرحيم أفندي فوزي وحسن فهمي أفندي أحمد المتخرجين في مدرسة الفنون والصنائع الخديوية ، صدر الجزء الأول منها في هذا الشهر في ١٦ صفحة مطبوعاً طبعاً جيداً بمطبعة الشعب على ورق جيد ، وهي منتجة بمقالة في تاريخ الصناعة وتأثيرها ( في العمران ) وتتلوها مقالة في سيرة مخترع القلم الأمريكي ، مصدر برسمه وفيها نبذة أخرى في النائج الصناعية ، وقد كتب على غلاف المجلة أن مراسلاتها تكون بعنوان ( الشركة الصناعية بمصر والسودان بشارع محمد علي ) فإذا كان هناك شركة تصدر المجلة فإن النجاح يرجى لها بقدر ربح تلك الشركة وثباتها والأفلا بدمن تنويع مباحثها ليقبل عليها صنوف القراء لأن البلاد لم ترتق إلى حيث يكون فيها لكل نوع من أنواع الفنون والعلوم جريدة أو مجلة خاصة وقيمة الاشتراك في هذه المجلة عشرون قرشاً فمسي أن تصادف إقبالا ورواحاً لتجرب الصناعة إلى أهل هذه البلاد الذين هم في أشد الحاجة إليها .

( النبات ) جريدة أسبوعية عامية أدبية تهذيبية بشكل الجريدة الرسمية تصدر كل ١٥ يوماً الآن وقد صدر العدد الأول منها منذ أيام وفيه مقالات في ( شبان العرب



وشبان الشرق) ونبذة في محاسن الاخلاق وأخرى في أشهر ملوك العالم . أما صاحبها فقد كتب اسمه عليها هكذا ( ا . عبد الحميد ) ولكنه أرسل الينا مع العدد الأول رقبيا علمنا منه أن الالف اشارة الى ( ابراهيم ) فانتقدنا ذلك منه وامله يصرح باسمه في الأعداد الآتية . وأما قيمة الاشتراك فيها فهي ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة . فتدني له التوفيق ولجريدته الانتشار

### ﴿ إعجاز أحمدى - أو سخافة جديدة لمسيح الهند ﴾

كل يوم يتبدى صروف الليالي خلقاً من أبي سعيد غريباً وأبو سعيد هذا الزمان هو غلام أحد القادياني المفتون بنفسه ، المغلوب على عقله وحسه ، فهو كل يوم يأتي بنا بخلق غريب ، وخلق من إفكه عجيب ، ففي الشهر الماضي أرسل الينا قصيدة من الخزيات ، ولكنه نظمها في سلك ما يدعيه من المعجزات ، وجمالها مقدمة هذيانية . ولكنها باللغة الاوردية ، وأرسل لنا معها منشوراً باللغة الانكليزية ، يقول فيه انه أوتي من البلاغة في العربية ما لم يؤته أحد من العالمين ، وانه يتحدى بقصيدته هذه جميع المطالعين ، ومن يعارضها في الهند من شعراء العربية ، يُعطى عشرة آلاف روبية ، ولم يذكر لنا الحاكم الناقد ، الذي تعرض عليه القصائد ، ليميز بين سحر البيان ، وبين اللغو والهلذان ، وقد أخرجنا الكتابة في هذه السخافة الجديدة لاننا كنا عازمين على قراءتها كلها وإظهار ما فيها من الأغلاط اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية والتنبيه على ما فيها من السرقات الشعرية ، التي ساءلها من كلام فحول الرجال ، ومسئولها ولا غرو أن يظهر المسخ على يد المسيخ الدجال ، ثم بدا لنا ان هذه الانتقادات ليست بضرورية ، عند العارفين باللغة العربية ، فان عرض القصيدة عليهم يكفي لمعرفة دركها في السخافة . وأما المخدوعون به من الأعجمين في الهند فلا يفهمون انتقاداتنا اذا هو وصل اليهم لذلك نذكر هنا أبياتاً من القصيدة وترك للقراء الضحك منها ومن غرور المستدل بها على دعوى المسيحية قال

|                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| أيا أرض مدّ قد دفاك مدّ     | وأرداك ضليل وأغراك موغر       |
| دعوت كدوباء فسد أصيدي الذي  | كحوت غدير أخذه لا يعزّر       |
| وجاءك صبحي ناصحين كأخوة     | يقولون لا تبغوا هوّى وتصبّروا |
| فظل أسارى كم أسارى تعصب     | تريدون من يعوي كذّاب ويختّر   |
| فجاؤا بذّاب بعد جهد أذا بهم | ونعني نساء الله منه وأظهر     |



فلما أتاهم سرهم من تصاف وقال افرحوا اني كمي . مظهر  
وقال استروا امري واني اُرودهم أخاف عليهم أن يفروا ويدبروا  
وارضى اللثام اذا دنا من أرضهم على النار مشاهم وقد كان يبسط  
ومنها في هجو منكر عليه

فلما اعتدى وأحس قومي أنه يصبر على تكذيبه لا يقصر  
دعوه ايتهان لموت مزور مضل فلم يسكت ولم يحسر  
وكذب إعجاز المسيح وآية وغايته كذبا وكان يزور

ثم قال هذه الآيات التي كتب بإزائها في الهامش انها وحي من الله تعالى

فقد سرني في هذه الصور صورة ليدفع ربي كلما كان يحشر  
فألفت هذا العظم أعني قصيدي ليخزي ربي كل من كان يبذر  
وهذا على اصراره في سؤاله فكيف بهذا السؤل أغضى وأنهر  
وليس علينا في الجواب جريمة فهدى له كالأكل ما كان يبذر  
فان الك كذاباً فيأتي بمثلها وان الك من ربي فيغشى ويشير  
وهذا قضاء الله بيني وبينهم ليظهر آيته وما كان يخبر  
قطعنا بهذا دابر القوم كلهم وغادرهم ربي كغصن تجذر  
ارى ارض مذكور اريد تبارها وغادرهم ربي كغصن تجذر  
أيا محسن بالحق والجهل والرشا رويدك لا تبطل صنيعك واحذر  
انتم بعد العون والمن والندى انسى ندى مد وما كنت تنصر  
ترى كيف أغبرت السماء بآبها اذا القوم آذوني وعابوا وغدروا  
فلا تخير سبيل غي وشقوة ولا تخان بعد النوال وفكر

### ﴿ سخافة أخرى لمسيخ الهند الدجال ﴾

قلنا انه أرسل الينا في الشهر الماضي قصيدته الإعجازية ونقول أيضاً انه أرسل  
الينا في هذا الشهر رسالة باللغة الانكليزية كتبها باسم ملك الانكليز لا باسم الله وجعلها  
خدمة للدولة الانكليزية في زعمه ووجهه ولكن لم يكتب في الحقيقة ما هو أضر منها  
على السياسة الانكليزية . وهذا شأن الصديق الاحق يريد أن يتفع فيضن  
من سياسة هذا المسيخ الدجال انه نسخ حكم الجهاد في الاسلام لكيلا تعارضه  
الدولة الانكليزية في دعوته ظناً منها انه يؤلف عصية دينية للخروج عليها في الهند كما



يفعل أمثاله الدجالون الذين يدعي كل خارج منهم انه المهدي المنتظر . وقد كتب في هذا المعنى كثيراً . وانما كانت كتابته في هذه الرسالة وأمثالها ضارة ومناقضة للسياسة الانكليزية لأنه يقول فيها ان جميع علماء المسلمين يقولون بوجوب الجهاد الديني وانهم جهلاء مخطئون في هذه الدعوى . فاذا انتشرت هذه الرسالة وقرأها الناس فربما تحرك نفوسهم الى الأمر الذي تصرح الرسالة بان العلماء يحجمون عليه ولا تلتفت الى تخطئة خارجي مثل غلام أحمد القادياني لهم .

وأما الرأي الأفين الذي أشار به على الحكومة الانكليزية وهو جميع مؤتمر من العلماء للنظر في مسألة الجهاد واستقراء أدلتها في الكتاب والسنة ليظهر لهم انه غير واجب فيقرروه — فهو رأي لا رضى به سياسة حكيمة كالسياسة الانكليزية ولا هي محتاجة اليه . أما عدم رضاها به فلأنه اذا قرر العلماء خلاف ما يقول غلام أحمد الدجال فيخشى من وقوع فتنة عظيمة . وأما عدم حاجتها اليه فلأن أهل الهند راضون من حكومتهم ولا يخطر في بالهم الخروج عليها وحسبها هذا منهم . ولو كان هذا الدجال يجنب هذه الأحوال، اسكان أسلم له على كل حال .

## باب الحكمة في الحج

### الحج في هذا العام

أمرت حكومة تونس وحكومة الجزائر الفرنسية بمنع الحج في هذا العام لثلا يحمل الحجاج من بلاد الحجاز جراثيم الوباء الموهوم الى بلادهم فتشكياً بهم وأرادت حكومة مصر أن لا يحج في هذا العام الا الأغنياء القادرون على الاحتياطات الصحية اذا نزل البلاء ووقع الوباء واحتيج الى النفقة الواسعة فأمرت بالزام كل من يريد الحج بدفع خمسين أو سبعين جنهاً للحكومة تكون أمانة عندها تنفق عليه منها ما تنفقه بقدر الحاجة وترد اليه ما يبقى بعد عودته اذا عاد وبقي من المال بقية

ضمنت الحكومة للحجاج بازاء ذلك القيام بجميع شؤونهم في السفر . وقد استكثر الناس هذا القدر من المال واعتقدوا أكثر أن الغرض منه التوفير عن الحج والتمهيد لئلا يطلب مجلس الشورى من الحكومة أن تنقص منه فلم تقبل



والناس في استياء عظيم من جراء ذلك وقد كتبوا من جهات متعددة يشكون للحكومة بل لمستشاريها ومديريها من الانكيز ثقل ذلك المال المفروض وأكثر الشكوى كانت مستشار نظارة الداخلية وانكيزها لم تفن شيئاً . على ان الوقت لم يفت والاورد كرومر صاحب النقض والارام في السودان

ولقد كان في هذا العمل فرصة للانكيز يمكنون بها ميل المصريين عامة اليهم لو انتموها وخففوا من المال المفروض شيئاً . وامل الذي يمنعهم من تلبية الأهالي وسماع شكواهم هو لفظ أحداث السياسة بالمسألة ونشر تلك الشكاوي في بعض الجرائد المتطرفة على ما فيها من الطعن بالحكومة الاسلامية التي قرخت ذلك المال بالاتفاق . فكان مستشار الداخلية خجل من أن يطلب من هذه الحكومة الرجوع عن شيء قرره وكان هو راضياً به لأن الامة التجأت اليه وحده دون الأمير ودون نظار حكومته بل مع التعريض بذمهم والطعن بدينهم .

ولو أراد المصلحة من أشرنا اليه من أحداث السياسة لما نشر في جريدته كلمة من شكوي الأهالي الجارية ثلاثة أمور (أحدها) ان نشرها يثبت ان قلوب الأهالي انحرفت عن الحكومة الخديوية الاسلامية ولم يبق لها رجاء تميمه في مصلحة من مصالح دينها وديارها الا المحتلون (ثانيها) ان نشرها يكون صاداً للمحتلين عن اغانة الناس لعلمهم بأن ذلك يتضمن إهانة الحكومة على اسان من يفتخر دائماً بالطعن في الحكومة وفي المحتلين بسبب وبدون سبب ويرمي الجميع بسوء القصد . فلا يرضى المحتلون أن يغيثوا الأهالي ليفتخر ذلك الحدث الصغير . بأنه كان الحامل لهم على ذلك بما لجريده من قوة التأثير . (ثالثها) ان نشرها في الجرائد ينتهي بإقرار من نشرها وتسجيله كون المحتلين هم الفوئ الوحيد للمسلمين والقائمون بمصالحهم الدينية والديوية دون حكومة الامير الاسلامية — هذا لو أشكوا الأهالي وأجابوا طلبهم وعند ذلك لا يبقى للاحداث سبيل الى الطعن فيهم وهو بضاعتهم التي يعيشون منها .

ولذلك تعجب الناس من نشر تلك الشكاوي المفصحة عن تماق قلوب مسلمي مصر بالانكيز من جريدة الاحداث التي تنشر بذمهم . قالوا : اذا كانت الجريدة لا ترجو نفع تلك الشكاوي فهي ساعية في هدم سياستها الأولى وهي لا يمكن أن تنجح بغيرها وان كانت لا ترجو نفعها وإنما تنشر صور تلك الشكاوي امامها بأن نشرها يغيظ المحتلين ويجهلهم مع الحكومة على الاصرار فهي لا تقصد نفع المسلمين ولا تسعي في تسهيل الحج عليهم . وأصحاب الرأي يعلمون أن تلك الجريدة لا يهتمها أكثر الجمع



أو قاتوا وإنما سبب الصياح والمويل شيء واحد وهو جذب قلوب الأهالي إلى الجريفة وإيادهم أنها أشد غيرة عليهم وعلى دينهم من غيرها وهذا مقصد يتلأشى أمامه النكر في نتيجة النشر هل تكون تسجيل مدح الانكاز والعلمين بحكومة الأمير أو تكون الإصرار على تنفيذ ما أمرت به الحكومة . والذي لا ريب فيه أن نشر تلك الشكاوي الجارحة كلها كان ضاراً وما كان يتصور له وجه منفعة قط .

أما نحن الذين لا بهمنا إلا تسهيل سبيل الحج لأنه عبادة لله تعالى — ونحن دعاة دين لا دعاة سياسة — فلم ينقطع أماننا من سمو الأمير ومن حكومته لأننا نعلم أنهم لم يأصروا بما أمروا به ليصدوا الناس عن سبيل الله . كيف وحكومة مصر لا تقاس بحكومة إسلامية أخرى حكومة تونس مثلاً لأن أكبر شرف لها عند المسلمين أنها تسير ركباً مخصوصاً للحج وتقدم كسوة الكعبة فهي مساهمة للدولة المالية في خدمة الحرمين الشريفين وهي جارة البلاد المقدسة . فحكومة عزيز مصر لا يسهل عليها أن يחדش هذا الشرف ولا أن ينتهس . ولكنها أمرت بما أمرت به لتنع الفقراء عن الحج خوفاً عليهم وعلى البلاد في هذا العام فإذا لاحظت الآن أن الأغنياء قلما يحجون لأنهم مشغولون بتمتتهم وهم أحرص الناس على حياة وإن الخير في جميع الأئمة إنما يكون غالباً في الطبقة المتوسطة وأن أهل هذه الطبقة هم أقرب إلى الصحة من الأغنياء لقلة الإسراف وقلة الوهم والوسواس ولكن يشغل على الأكثرين منهم أن يعطي أحدهم الحكومة خمسين جنباً أو سبعين غير ما يأخذ منه وما يتركه لأهله وعياله من النفقة — وإذا لاحظت مع هذا أيضاً أن الأمة كلها مستاءة من ثقل هذه الفريضة وتشكومتها وتطالب تخفيفها وكل الحكومات العادلة والدستورية تحتم الرأي العام — فلا غرو أن يأمر مولانا الأمير أعزه الله باجتماع مجلس النظار ثم يصدرون أمراً آخر تخفيف ما فرض أولاً إلى نصفه مثلاً . والنسخ مـهـود في الشرائع السماوية وفي القوانين الوضعية بالأولى . يجب أن يكون الأمير وحكومته محل الرجا وغاية ما نرجو من حرية المحتابين أن لا يعارضوا في مثل هذا الأمر الديني وما كانوا عارضين

إذا كان غرض الحكومة أن يكون ركب الحج في هذا العام مؤثماً من أهل اليسار فما كان أجدر المومنين بالانتظام في هذا السلك الذي لا خسر بين درره وآله . ونخص بالذكر المنزقين الذين يؤخرون الحج لما يكون فيه من الزحام وقلة العناية بالنظافة أصعبها مع كثرة السواد من الفقراء . ولو هنأت الأريحية الإسلامية بعض النظار إلى الحج لكان فيمن يحج منهم هذا العام أسوة حسنة لكثير من الأغنياء



ولكان أجره بذلك عند الله، مضاعفاً ومقامه في نفوس المصريين رفيعاً مشرفاً .  
وإذا لم يبادر عدد كبير من الأغنياء إلى الحج لإحياء شعائره وحفظ شرف مصر  
الديني فلا سلام على الأغنياء . ولا زادهم الفنى الأناسة وشقاء .

### ﴿ الجامعة الدينية ، والجامعة الوطنية ﴾

بيننا رأينا في الجامعات مرات كثيرة وأحسن ما لتبتاء في ذلك وأوضحه ، مقالة  
مسيحية في المجلد الثاني من المنار عنوانها « الجنسية والدين الاسلامي » أثبتنا فيها بالبرهان  
المعقول ان تمسك المسلمين بدينهم واعتصامهم بعروة جامعته هو المؤلف الوحيد بين  
مصالحهم ومصالح من يساكنهم في بلادهم والحامل لهم على « وادّة » من ليس على دينهم  
ففيه معنى الوطنية التي يطلبها بعض عقلاء المسيحيين في الشرق لعلهم بأن سمادته في  
ألف بين شعوبه المتفرقين في الدين تفرقاً كثيراً . ومن هؤلاء العقلاء ، بعض أصحاب  
الجرائد السورية المسيحية في سوريا ومصر وأمريكا . وثما نعتقد فيه الاخلاص من  
هذه الجرائد ( المناظر ) ويعرف أصدقائنا في مصر اننا كثيراً ما فضلناها على غيرها  
من الجرائد العربية ونوهنا بموضوعاتها النافعة

ومن الناس المشتغلين بالصحافة من يلفظ بالوطن والوطنية بغير علم ولا هدى  
منهم الذي يلقب في المنار بتحدث السياسة فإنه خالق وطنية لا يعرفها احد سواها  
« الوطنية الحقة » ومعناها ان يرفض المصري المسلم كل من ليس مصرياً لانه ليس  
وطنيا وان كان كالمصري في لغة ودينه وجنسيته السياسية وهي ( المبنية ) وأن لا يحب  
القبطي المصري لانه ليس مسلماً . فهذه الوطنية الباطلة التي لا يتصور فيها العاقل الا  
تسيرة هي التي جعلت لها في المنار حاراتها المروعة . وانما يرى جميع الكتاب من  
المسلمين والمسيحيين يوافقوننا على محاربة هذا الهذيان الضار

وقد اتفق بعض الكاتين السوريين في البرازيل ان كتب في ( المناظر ) كتابة في  
الدعوة الى الوطنية ونبد التعصبات الدينية ثم اتفق له ان رأى في المنار كلمة في « حدث  
السياسة » ووطنيته فظن انه المني وطفق يرد علينا ملقبا ابنا بكهل السياسة وعساه  
يعالج على هذه البذرة . لم أنه ليس المني بالحدث وانما لتتأس السياسة في شيء واننا ان  
كنا ندعو المسلمين الى الله من بلاد الاسلام فلما ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي  
تفدي بها رسالة المسيح لا إلى الله . وأما نحن ونصليها وملكها وامرائها . نرى  
المسلم في تركيا وروسيا والمند والجوهر ومصر وتونس والجزائر وفي سائر الاقطار متأخراً



في العلم والفن والجمال والخلق ونحوه، ان تقابلهم تأثيراً في هذا الأخير وهو يتوهم ان ذلك من الدين ونحن نعلم ان الدين ضده فنحن ندعوه باسم الاسلام الحقيقي الى ان الرضا والطمع في العلم، لا يجاري مجاوريه في سبل الحياة، ولا يمكن ان ندعوه هذه الدعوة باسم الوطنية، لأن مجلتنا ليست سياسية ولا تجارية ولا زراعية لتبحث اهل الوطن الواحد على الاتفاق في ترقية هذه الامور باسم الوطن، على اننا لا نقصر في الدعوة الى التأليف بل هو امر عرفنا به ولا نعرف كاتباً عربياً كتب فيه ما كتبنا.

﴿ التمسبب الديني والجرائد والمجلات ﴾

... لا ينحصر في الاعتصام به والاستمسك بمروته فضيلة هي أم الفضائل والتعصب عن ايداء الدين ليس مخالفة في دينه رغبة ترونها مناسبات كثيرة لاسباب اذا انبثت لنا التمسبب جرائد ومجلات تدعو اليه وتحركه. والتمسبب بالمعنى الأولي قوي عندنا من انصارهم فيه أحد حتى في هذا التطور الذي هم فيه الآن طور التمسبب... والتمسبب بالمعنى الثاني لا يسلم منه اهل دولة ولكنه عند المسلمين انتم من غيرهم لا سيما النصارى

أنظر تر المسلمين أكثر من تسعة أعشار اهل القطر المصري ولكنه ليس لهم جريدة دينية ولا مجلة مائة الا النار وهو حديث العهد فهم، والنصارى لهم فيه عدة جرائد ومجلات دينية على قمة عددهم، واقراء هذه الجرائد والمجلات تجدوها تنزى بدعوة المسلمين الى التصراعية والطمع بالاسلام ولا ترى في النار الاسلامي» دعة... الى ترك... الدخول في الاسلام وقد مرت عليه ثلاث سنوات من اهل نشأته هو مريض عن الرد على المعتضيين والقادحين في الاسلام على كونهم يرون اليه كتبهم وجرائدهم لأنهم نكح نرى المسلمين مبالين بها فأحبينا بقاء ذلك الكون بالسكوت عنهم. ولكتنا لما رأينا سوء تأثير بعض الكتب والمجلات فوجدنا في النار بالارد شهادات المسيحيين، التزمنا فيه الأدب واللمجة وما كنا مقتدين،

أليس عجيباً ان تسعة ملايين من المسلمين في مصر ومئات من الملايين في غيرها لا تعرف لهم الا مجلة دينية واحدة ويوجد في كل قطر من أقطارهم جرائد ومجلات كثيرة لأولئك الشراذم الذين يساكنونهم وهم أقل منهم عدداً ومالاً وتمسكاً بالدين؟ نعم ان هذا عجيب وأعجب منه ان جرائد الشراذم الصغيرة تمضي على تلك الملايين الكسيرة وتطعن بدينهم وتدعوهم الى تركه واتباع دينها. وان أعجب فهناك ما هو



أعجب من الأمرين وهو أن المسلمين يشتركون بتلك الجرائد ويضدونها بأقوالهم  
عابها وهم يعلمون أن النصارى لا يكادون يشتركون بجريدة صاحبها مسلم أن لم تكن  
دينية إلا لغرض شخصي ونحوه وأما المجلة الدينية الإسلامية الوحيدة وهي (المنار) فليس  
لها من المشتركين المسيحيين إلا انسان من القبط (وكان لهم ثالث اشترك ثلاث سنين ولم يدفع  
شيئاً من قيمة الاشتراك فرجع اسمه) وخمسة من السوريين، وفي ذلك عبرة للمعتبرين،  
ومن المبر التي هي إحدى الكبر، ما جاءت به «الجامعة» في الأيام الأخرى،  
وهو أنها تصدت للظلم في الاسلام. وفي أثناء الأعلام، من طريقة خدمة العلم دون  
الدين، ودعوى ارادة النصيحة للمسلمين، وهي تجد مع هذا من يشترك فيها منهم  
بلى يزعم صاحبها أنه كان بين آيات الفقر، ومخالب الضحك والسر، الى أن تخرش  
بالمائل الإسلامية، وتطرح بقرنه أعلام الملة الخفيفة، فأقبل عابيه المسلمون، وهم  
من كل حذب ينسلون، وما زالت تتوالى عليه منهم «الاشتراكات»، حتى زال عنه  
بما لهم «الضحك والسر»، والعبرة في هذا على تقدير صدقه ظاهرة، وأما العبرة على  
تقدير تمويهه وتعظيمه لشأن نفسه وبراعته في الاعلان عن جامعته فهي ان المسلمين في  
اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهل والحمالة مبلغاً يستزلهم فيه بهذا الكلام  
الى مكافئته على الظلم بدين الاسلام،

وأكبر من هذا وأعجب مما سبقه كله أن من جرائد المسلمين في مصر وسوريا  
من قرظ كتابه الذي لفته في الظلم بالاسلام وأئمة ووجهه انظار المسلمين اليه،  
وحثهم عليه، أليس من الألفاظ والمعميات التي يصعب حلها على الأكثرين ان جريدة  
بيانية إسلامية تقرظ كتاباً يظلم في الاسلام ويحرفه كلام أئمة ليقنع المسلمين بما  
يقول ويترجم ان الجمع بين الرياسة الدينية والمدنية في خليفة المسلمين قاضٍ بهم الاسلام  
وتأخر أهله عن جميع الأمم ويصرح بأنه يجب على المسلمين إزالة هذا المعنى في الخلافة  
وجعل السلطان رئيساً مدنياً كملوك أوروبا — الى آخر ما أشرنا اليه في باب الشبهات  
سنوضحه بمقالة مخصوصة؟ بلى ان هذا من عجيب (غرارة) المسلمين المشروعة في  
الاجتماع الثامن للجمعية أم القرى المنشور في هذا الجزء أو من عجائب تساهلهم

مع هذا كله يقولون اننا متعصبون وانهم متساهلون، كأنه يتمذر علينا ان نرضيهم  
ونحن منون... وان ترضى عنك... ولا ننكر ان أصحاب الصحف المتعبرة كالهلال  
والمقتطف والمقطم والأهرام غير راضين عن خدمة الجامعة وفتحها أبواب التعصب  
على المسلمين وهم يعلمون ان جمال متعصبهم دينية



## ﴿ الفلاسفة القديمة وابن رشد ﴾

فلاسفة المتقدمين من اليونان والعرب الذين جروا على آثارهم قد نسخت بالفلسفة الحديثة ولم يبق للبشر حاجة فيها إلا من الجهة التاريخية فلا ينبغي تضيق الوقت بالاستغفال بنظرياتها المقيمة إلا لأفراد يتفرغون لحفظ تاريخ العلوم ليصرفوا نسبة الناس إلى الحاضر وهؤلاء الأبرار لا يوجدون إلا في الأمم الراقية التي أحاطت بالعلوم والفنون العملية التي عليها مدار العمران لأن حفظ أسئلة الفلسفة والعلم من الأمور التي يسهل كمالها وأمامها مرتباً الأمور الضرورية والامور الحاجية

ولا يخفى أن أهل هذه البلاد لا يزالون في المرتبة الأولى فلا يجوز أن تشغل أفكارهم بالمرتبة الكمالية لأن ذلك تضيق الوقت وإفساد التفكير . فلا يستغفال بنشر فلسفة ابن رشد وأمثاله بين الفارين وترغيبهم فيها ضار بهم ولو كان ضرورياً أو حاجياً لطلبوه بسائق المنفعة وقرروا في مدارسهم

أتم أن ابن رشد عالم متكلم إسلامي كما هو فيلسوف مثا كنيه في نسبة الفلسفة إلى الدين ينبغي أن يطالع عاينه المشتغلون بعلم الكلام في الأزهر وغيره من المدارس الدينية وذلك هو كتابه ( فصول المقال ) المطبوع بمطبعة المؤيد . ولا بأس للمتوغل في علم الكلام من النظر في كتابه تهافت التهافت بعد النظر في كتاب تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي وكلاهما مطبوع بمصر في كتاب واحد ومنه ينحس

ولا ينبغي إغفال أن يعتمد في فلسفة ابن رشد - إذا هو أرادها - على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رنان أو من الكتب العربية فإن صاحب الجامعة شاب لم يمت إلا في علوم الفلاسفة في مدرسة كثر من لا يعرف هذه الفلسفة ولا هو حسن الفهم في بيان ما يفهمه كما علم من مقالة ( الأسباب والسنن ) المنشورة في هذا المنار ويعلم مما سنشره في إثبات أن دين الإسلام مبني على العقل كما صرح القرآن الكريم وقد زعم صاحب الجامعة أن الإمام الغزالي وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أي بخلاف ما ينطق به كتاب الله تعالى ( حاش لله )

## ﴿ القوى الأدبية في الشرق ﴾

يقول من يدعي القيام بأحياء الآداب في الشرق بالسان صديق له مجهول إن الشرق في حاجة إلى القوى الأدبية ولم يبين ما هي تلك القوى بالنص ولكنه بينها بالفحوى وهي الكذب وسوء الظن والحوض بالاعراض ومكافأة المحسن بالاساءة



والنخبة والبهتان لتفريق بين الصديق وصديقه والرفيف ورفيفه والأستاذ وتلميذه  
أما الكذب فمنه نسبه ما كتبه في هذا الموضوع أخيره مع ان العبارة والأسلوب  
والفحوى تشهد كلها بأن ذلك له والأشئ هو ذلك الكاتب الذي يسمع عندنا القول  
من فلان ويسمع نقيضه منه عند ذلك المدعي ؟ ومنه أنه حكى عنا من العطن في بعض  
الأصحاب والرففاء ما لم نعلم أنه لم يقع ونقيس عليه ما حكاه عنهم فنعلم ان كل ما قاله كذب الخ  
وأما سوء الظن فمنه أنه جزم بأن الذي أفنى سره النبي بسوء قصده وبغزمه  
على الاستمرار في عمله السيئ هو ذلك الأديب الذي ينوء به ويمدحه ويدافع عنه  
والحقيقة ان السر انما ظهر من قطر غير القطر المصري فكان على محي الآداب في  
الشرق أن لا يجاري ظنه السيئ في صديق له ويحمل عليه تلك الحملة المنكرة

وأما الخوض في الاعراض فمنه أنه أوهم ان صديقه الذي أساء الظن به كان  
مستخدماً قدام ما هو فيه الآن من العمل التجاري في موضع لا ينبغي التصريح به وانما  
يشار اليه بالقط . . . مع ان الرجل لم يكن مستخدماً الا في شركة الاسواق .

وأما مكافأة المحسن بالالاءة فثنا وهو أظهرها معاملته المشار اليها آنفاً مع صديقه  
الذي كان متغافلاً في مساعدته . ومنها معاملته غيره من المحسنين بالاحاجة الى التصريح به  
ويعرفه من يعرف الرجل وسيرته

وأما النخبة والبهتان فثنا زعمه ان فلانا كان يقول في فلان كذا ويذم عمله وكذلك  
الآخر ولو كان كل ذلك صحيحاً لوجب كتمانها فكيف يصرح به محي آداب الشرق  
وهو أفك صريح وبهتان عظيم وهنقه النخبة والبهتان قد عزيت الى أسماء صريحة

### أحوال العالم الإسلامي

الدولة العلية في اضطراب من زلازل الفتن في مكدونية والباح الدول عليها  
بوجوب الإصلاح ومن مطالبة انكسارها بالأذن لسفها الحربية أن تمر في الدردنيل  
والبوسفور عند الحاجة كما أذنت لبعض السفن الروسية

والدولة المراكش في خطر عظيم من خارج يدعي (أبا حمارة) خرج على  
السلطان محاول نزع الملك منه . وقد كبرت فتنة هذا الخارج وقويت عصيته لأن  
الاهلين نفروا من السلطان عبد العزيز لما يرون من ميله الى الاجانب وتنافسهم في  
زخرف مدينتهم . ولا شك ان السلطان عبد العزيز لم يسلك طريق الحكمة فيما وجه  
اليه وجهه من تغيير حال بلاده أو إصلاحها كما يقولون . وقد كنا نصحنا له والحكومة



بالاستمارة بالدولة العلية على الاصلاح العسكري والعلمي بطلب رجال من الممانيين  
 المسلمين يقوون بالاصلاح — والمثار يرسل دائما الى ناظر خارجيه ولكن هذا  
 التقاطع بين ملوك المسلمين وامرائهم هو اصل كل بلاه ابتلوا به  
 هاتان الدولتان الاسلاميتان مظهرينان وبقيه البلاد الاسلاميه وادعه ساكنه  
 ليس فيها شيء يؤثر ولا حادث يذكر اللهم الا الهند ومصر فاما الهند فقد احتفل فيها  
 من عهد قريب بتتويج ملك الانكاز ونسبته امير اطور الهند وهذا الاحتفال يسمونه  
 (الدربار) ويكون في مدينه (دهلي) عاصمة الهند الاولى وتلا هذا الاحتفال احتفال  
 آخر بمؤتمر التربية الاسلاميه وهو خير ما يعمه المسلمون في هذا العصر لانه انفع  
 الاشياء لهم وأما مصر فقد احتفل فيها ثلاثه احتفالات عظيمة في مدة قريبه أحدها  
 الاحتفال بدار الآثار والعاديات المصريه وثانيها الاحتفال بالجزان الذي بني في أصوان  
 وثالثها احتفال المؤتمر الطبي الدولي المصري وانما نتكلم عن الاخيرين بموجز من القول

### ﴿ المؤتمر الطبي الاول بمصر ﴾

الغرض من هذا المؤتمر دراسة أمراض البزارة والاشك ان مصر جبر مكان  
 يصاح ان يؤمه أطباء أوروبا لهذا البحث وقد اشتركت فيه الدول المغليه رسمياً  
 وأرسلت مندوبين عنها يحضرونه وقد افتتح المؤتمر عزيز مصر العباس في المامى  
 الحديوي (الأوبرا) في ١٩ رمضان (١٩ دسمبر) الماضي فخطب خطبة فرنسية  
 رحب فيها بأعضاء المؤتمر وشكر الحكومات والجامع العلميه التي لبّت دعوة حكومته  
 وأرسلت مندوبها الى المؤتمر ومما قاله «يجدر بي أن أفتخر بأن بلادى قد اهتمت  
 اهتماماً حقيقياً بالسير في سبيل التقدم وفيما هو صانع ونافع نوع الانسان ولذلك جعلت  
 مساعي موجهة دائماً الى المحافظة على سيرها في هذا السيل »

وقد تكلم الناس في أمرين أحدهما كون خطبة الامير بالفرنسية دون لغة حكومته  
 الرسمية (العربية) وجهل هؤلاء ان هذا الاحتفال لو كان في روسيا لما خطب القيصر  
 فيه الا بالفرنسية التي يفهمها كل الذين يخاطبهم وثاني الأمرين ان مختار باشا الفارسي  
 لم يحضر المؤتمر ولم ترسل الدولة العلية مندوباً آخر من الأطباء ويقال ان هذا  
 المؤتمر لا يرضى الدولة العلية لأن من شأنه ان يكون في البلاد المستقلة وكأنها ترى  
 ان الواجب ان يكون المؤتمر في بلاد مستقلة كفرنسا أو ألمانيا أو روسيا أو الحكومة المصرية بنفسها



## ﴿ الخزان - أو - سد أسوان ﴾

اقامة السدود على الأنهار لحفظ الماء الذي يحتاج اليه في ري الارض قديم في البشر وكان العرب من السابقين اليه تصوراً وعملاً فسد مأرب في بلاد سبأ مشهور أمره . وكان في دولة العبيديين في مصر من تصور بناء سد للنيل ولم يبرز ذلك للفعل . ثم أن نابليون الأول تصور هذا العمل وأراد أن يتكلم فيه من بعده كثير من المهندسين ولم يتم الا في زمن هذا الأمير ( العباس ) وبأيدي الموظفين في حكومته والمقاولين في بنائه من الانكليز . وقد وضع الحجر الأول من سد أسوان في ١٢ فبراير ( شباط ) سنة ١٨٩٩ وضعه دوق كنوت اخ ملك الانكليز ووضعت زوجته الحجر الأخير منه في ١٠ ديسمبر ( كانون الأول ) سنة ١٩٠٢ وقد كتب على كل من الحجرين بالإنكليزية اسم واضمه والتاريخ وكون السنة سنة كذا من حكم سمو ( الخديو عباس حلمي )

طول السد من الشرق الى الغرب الفاتر وسمكه من أسفله نحو ثلاثين متراً ومن أعلاه ٧ أمتار ويزيد ارتفاعه عن سطح الماء عند انخفاضه على ٢٠ متراً وفيه ١٨٠ صفاً للماء سعة المصب نحو ٣ أمتار من الأمام وتران من الورا في الغالب ولها أبواب تفتح وتغلق بحسب الحاجة لحبس الماء وإطلاقه . ويبلغ ما يمسكه السد من الماء ملياراً و٦٥ مليون متر مكعب أو ملياراً و ١٤ مليون طن . وهي تفتح وتغلق بالآلات الكهربائية . وأما منافع السد المقدرة فهي عظيمة جداً منها الحياة أرض واسعة تقدر بمئات الألوف من الفدادين ومنها التمكن من زرع نحو ٦٠ ألف فدان في مرتين في العام وذلك مما لا يزرع الآن إلا مرة واحدة ومنها سدّ المعجز الذي يكون من انخفاض النيل في بعض السنين . ومن ثمّة متفحة هذا السدّ انه بني في أسبوط قاطر كلقناطر الخيرية عددها ١١١ قنطرة عرض كل قنطرة خمسة أمتار وارتفاعها من قاع النهر الى السطح ١٢ متراً ونصف وسمكها عند القاعدة ٢٦ متراً وقائدها اصلاح الري فيما تحت أسبوط من الوجه القبلي

اما الاحتفال بفتح الخزان فقد كان في رمضان الماضي ودعت الحكومة اليه وكلاء الدول وكبار الموظفين والوجهاء وكثيراً من الأفرنج وكان الأمير دعا دوق كنوت وزوجه . وابتدأ الاحتفال ناظر الاشغال العمومية حسين نخري باشا بخطبة فرنسية ذكر فيها وجه الحاجة الى السد بالاجمال والعناية في بنائه فأجابه الأمير بخطبة فرنسية وحيزة اعترف فيها بمظمة العمل وأثنى على الناظر واعوانه الموظفين الذين شكر لهم همهم في مساعدته وقال : وانه يسرني كثيراً أن أرى حكومتني تتبع اعز رغائبي وأخص ميلى فبذل كل الجهد في جلب الخير والسعادة للبلاد .



بوثى الحكمة من يقناه ومن يوثى  
الحكمة فقد أوثق خيراً كثيراً وما  
يذكر إلا أولو الألباب

# المحكمة

١٣١٥

فيشر عبادى الذين يستمعون القول  
فيستمعون أحسن أو تلك الذين هداهم  
الله وأولئك هم أولو الألباب

( قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر يوم الجمعة غرة ذي القعدة سنة ١٣٢٠ — ٣٠ يناير ( كانون الثاني ) سنة ١٩٠٣ )



باب العقائد ورد الشبهات

(الاسلام دين العقل)

كنا ولا نزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل وحيثنا الكتاب والسنة وكلام الائمة ولكننا ابتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الدعوة اليه بإيهامهم ان ما نقول ليس من الدين وأنه خارق به لانت الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدوا للعقل وان بناءه على العقل مؤذن بهدمه كغيره وأنه لو كان معقولا لكان علما ولم يكن ديناً الى غير ذلك من التشكيك وإنما نأخذ ديننا عن الادلة العقلية والعلمية من كتاب ربنا لا عن المخالفين المشككين

بسم الله الرحمن الرحيم . هم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ان في السموات والارض لايات للؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . وأختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون . ويل لكل أفاك أثيم . بسم آيات الله تتلى عليه ثم يصير مستكبرا كان لم يسمها فبشره بعذاب أليم .



فهذا كتاب الله يقيم الأدلة والبراهين ، طالباً بها أهل العقل باليقين في الإيمان ؛ واليقين لا يكون إلا بالبرهان ، ومعرفة الشيء برهانه هو أعلى العلم وأقواه . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » . وقال بعد آية « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » والبصائر جمع بصيرة وهي الحجة توصل إلى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحى وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » فنفى عنهم العلم وبين أن الظن لا ينفع في الدين ، لأن المطلوب فيه علم اليقين ، كما قال في سورة أخرى « وما لهم بذلك من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً » .

تلك آيات من سورة قصيرة تدل على أن الإسلام دين العقل وأنه علم وأنه يطلب فيه اليقين ولا يكفي باطن في الإيمان بأصوله كوحداية الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثه الأنبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم السلام . وقد جاء في القرآن كله ، يدلون بالآيات والنسب نحو خمسين مرة وفيه ذكر العقل والعلاء في الخطاب وإقامة الآيات على الإيمان بغير هذا الحرف كالنهي واللب فلفظ الألباب جاء في بضع عشرة آية . لهذا كانت العلم بالكون طريق الإيمان والإسلام . قال عز وجل « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغمر غيب سود » . ومن الناس والدواب والأنعام مثاقب ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء أن الله عز وجل غفور . فبينما والله الحمد تلم وكل عبادنا دين لأنه يزيدنا إيماناً ومعرفة بالله سبحانه



وقد ورد في الحديث « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »  
وأما قول المشككين ان العلم محصور في المحسوسات فكل مالا تحس به  
فلا يقال في عرف الفلاسفة ذلك. عالم به فهو من المغالطة أو الجهرل فإنه لا علم  
يعتصم باليتين كعلم الرياضيات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

( تعرض الدليل العقلي مع الدلائل السمعية )

ذكرنا في المنار غير مرة ان الذي عليه المسلمون من أهل السنة  
وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها ان الدلائل العقلية النطمية اذا جاء في ظاهر  
النسج . فالتأويل فاعمل بالدلائل العقلية مستند ولما في النقل التأويل أو  
التفويض وهذه المسألة مذكورة في كتب العقائد التي تدرس في الازهر  
وبغيره من المدارس الاسلامية في كل الاقطار كقول الجوهرة

وكل حسن أو هم السمعيات قوله أو فوض ودم تنزيها

قال الامام الرضي في كتابه قوله تعالى لا يكذب الله نقلاً الاوسعيا

عند ذكر التأويل . وقد ثبت انه متى وقع العارض من القاطع العقلي والظاهر  
السمعي فإما ان يكذب القاطع العقلي ولا يكذب الله تعالى أو أن يكذبها  
وهو محال لأنه ابطال للنقيضين وإما ان يكذب القاطع العقلي ويرجع الظاهر  
السمعي وذلك يوجب لطرق الطعن في الدلائل العقلية ومتى كان كذلك  
بطل التوحيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدلائل السمعية يوجب القدح في  
الدلائل العقلية والدلائل السمعية مما فلم يبق الا أن يقطع بصحة الدلائل  
العقلية ويحمل الظاهر السمعي على التأويل « اهـ ثم انه أقام الدلائل بهذا  
الوجه على المعتزلة في مسألة التكليف لانهم يتفقون مع أهل السنة فيه  
هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لا تحتاج الى تأييدها بقول



ولكن فشت بيننا في هذه العصر مطبوعات المشككين في الدين فإذا نقل المسلم عبارة من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من يغتر بأقوالهم . وقد تقدم في مقالات « الاسلام والنصرانية » أن الاصل الثاني للاسلام تقديم العقل على النقل عند التعارض وهذا دليله من القرآن ومن كلام بعض الأئمة ولو أردنا سرد النقول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام والتفسير ومن كتب المتأخرين كخوashi الباجوري والرسالة الحميدية لأطلنا الكلام في معنى واحد

### الشكوك في المسألة

فان قيل ان الامام الغزالي بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة في أدلتهم النظرية في علم الله تعالى قال: « فَإِذْ نَ لَيْسَ يَنْفَكُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ عَنْ خَزِي فِي مَذْهَبِهِ وَهَكَذَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ » وطمأن الأمور الإلهية يستوي على كنهها بظن وتخييل . فهل يدل هذا القول على ان الدين غير معقول أم لا فالجواب انه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنهه الخالق وحقيقته وكنه صفات الباري وحقيقتها . واذا عجز الحكماء والعلماء عن معرفة كنه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكافئنا به الدين فيكون قول الغزالي بانكاره على الفلاسفة دليلا على أن الاسلام يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم المشكك

ومثل هذا قوله في هذا البحث ( بحث العلم الإلهي ) مخاطبا للفلاسفة بعد إظهار عجزهم وتهافتهم : « الْمَقْصُودُ تَعْيِيزُكُمْ عَنْ دَعْوَاكُمْ مَعْرِفَةَ حَقَائِقِ الْأُمُورِ بِالْبِرَاهِمِينَ الْقَطْعِيَّةِ وَتَشْكِيكُكُمْ فِي دَعَاوَيْكُمْ وَإِذَا ظَهَرَ عَجْزُكُمْ فِي



الناس من يذهب الى ان حقائق الأمور الإلهية لاتنال بنظر العقل بل  
ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله  
عليه « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » اهـ

فهذه الجملة من الامام الغزالي كالجملات السابقة خاصة ببيان عجز البشر  
عن ادراك حقيقة الباري وحقائق صفاته وقد مرت القرون والاجيال  
وستمر قرون واجيال أخرى الى ينقضي عمر البشر ولا يصلون الى معرفة  
حقيقة الله وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب مقالات  
( الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة ) قال ( ص ٤٤٤ من المنار ) : « لا بد  
ان ينتهي أمر العالم الى تأخي العلم والدين ، على سنة القرآن والذكر الحكيم ؛  
ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صرح به ، « تفكروا في خلق الله  
ولا تفكروا في ذات الله » . وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره  
الكافرون ، وتبهم الجامدون القائلون ، « فكلام الامام الغزالي وكلام  
هذا الامام واحد لا فرق بينهما . ولو كان الاسلام كافناً بأن نعرف كنه  
ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكفناً لنا بما لا يعقل ولا يستطاع ولكن  
الله يقول : لا يكلف الله نفساً الا وسعها »

هذا وان الامام الغزالي لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذي نقلنا  
منه تينك الجملتين بيان القواعد الإسلامية وإنما قصد بيان فساد نظريات  
الفلاسفة في الأمور الإلهية وقد يدفع الفاسد بالفاسد ولذلك قال قبل  
الجملة الثانية بأسطر ( ص ٥٠ ) : « نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض  
الممهدين ، بل خوض المهامدين المعترضين ، ولذلك سميناه الكتاب ( تهافت  
الفلاسفة ) لا ( تمهيد الحق ) » فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب



مذهبه في المتأندولا في غيرها كما بنا على ذلك في مقاله لأسباب والمسببات في  
الجزء التاسع عشر والعشرين . وإنما يؤخذ مذهب من كتبه في المتأندولا أصول  
وهو فيها موافق لسائر أئمة السنة من أن العقل أصل الاسلام وإن برأيه  
القطامية لا ترد فإن جاء في الشرع ما يخالفها في الظاهر فالحكم فيه ما تقدم  
فإن قيل : قد علمنا أن أئمة المسلمين في العقائد والأصول لم يختلفوا  
في أن دين الاسلام هو دين العقل فهل تعلم أن الفلاسفة الاسلاميين خرجوا  
عن هذا الأصل وفصلوا بين العقل والدين ؟ فالجواب كلا إن الفلاسفة  
أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم وقد ألف فيلسوف  
الاسلام في الغرب أبو الوائيد بن رشد رحمه الله تعالى كتابا في هذه المسألة  
أثبت فيها ما أثبتته أهل السنة من قبله . ذلك الكتاب هو ( فصل المقال  
فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ) ففي هذا الكتاب أثبت أن الشريعة  
الإسلامية أوجب النظر بالعقل وجمعها أساسا للعقائد ثم قال ( في ص ٨ ) ما نصه :  
« وإذا كانت هذا الشرائع حقا وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة  
الحق فإننا معشر المسلمين نعم على التقطع به لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما  
ورد به الشرع فإن الحق لا ينافي الحق بل وافقه ويشهد به . وإذا كان هذا هكذا  
فإن أدعى النظر البرهاني إلى نحو ما من المعرفة بوجود ما فلا يخلو ذلك  
الموجود أن يكون قد سكت عنه في الشرع أو سكت به . فإن كان سكت  
سكت عنه فلا تمارضه الشك وهو غير له . سكت عنه من الأحكام فاستنبطها  
الدقيقه بالقياس الشرعي . وإن كانت التدرية نطقته به فلا يخلو ظاهر  
النطق أن يكون موافقا لما أدى إليه البرهان فيه أو مخالفا . فإن كان موافقا  
فلا قول هناك . وإن كان مخالفا سكت هناك تأويله . ومعنى التأويل هو



إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بمادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه او سبيه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عهدت في تعريف اصناف الكلام المجازي . واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فكيف بالحري ان يفعل ذلك صاحب العلم بالبرهان فان الفقيه انما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني

« ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي . وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع يخالف بظاهره لما أدى اليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر أجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل » اه المراد منه بحروقه

قول : الله اكبر ، لمع الحق وبهر ، وظهر ان علماء المسلمين متكلميهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهائهم لم يختلفوا في ان الاسلام دين العقل على العقل بني شرعه والعقل هو المخاطب به ( لا القلب وحده ) وظهر ان ما قاله ذلك الامام في مقالات ( الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ) في تعارض الادلة العقلية والنقلية ، هو المجمع عليه في الملة الحنيفية ، وهذا ما يدعو اليه المنار جهاراً ، وكبر على اعداء الاسلام فكروا مكراً كباراً ، ولن



يجدوا لهم من دون الله أنصاراً،

فإن قيل : إن لأبن رشد كلاماً آخر في « تهافت التهافت » يشبه أن يكون مخالف لقوله هنا كقوله « الفلسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع فإن أدركته استوى الإدراك كان وكان ذلك أتم في المعرفة وإن لم تدركه أعلمت بقصور العقل الانساني وإن يدركه الشرع فقط » وكقوله : « أما الكلام في المعجزات فليس فيه للقديماء من الفلسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الأشياء التي لا يجب أن يتعرض للفحص عنها وتجهل مسائل فانها مبادي الشرائع والفاحص عنها أو المشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادي الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السمادة موجودة وهل الفضائل موجودة ، وإنه لا يشك في وجودها وإن كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الانسانية » والملة في ذلك أن هذه هي مبادي الأعمال التي يكون بها الانسان فاضلاً ولا سبيل إلى حصول العلم إلا بعد حصول الفضيلة . فوجب أن لا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة . وإذا كانت الصنائع العملية لا تتم إلا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولاً فأحرى أن يكون ذلك في الأمور العلمية » اهـ بحروفه

فالجواب أن هذا الكلام لا ينافي ذاك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ولقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به إلى صاحب مقالات ( الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية ) ولو فرضنا أن بين القوانين مخالفة لكاتب الواجب اعتبار الأول لأنه مبين لمذهبه واعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع . وأما قوله هنا فهو حكاية



عن الفلاسفة الأولين ولا يضرنا مخالفتهم لنا مادامنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان . على أن ابن رشد يقول هنا أن الفلاسفة الأولين لا يعارضوننا في هذه المسائل أي أن مقتضى مذهبهم ذلك والافتقار صرح بأن ليس لهم كلام في هذه المسائل التي ذكرها فالخلاف بينه وبين الغزالي في هذا المقام محصور في نقل إنكار الفلاسفة على المليون مسألة المعجزات ومبادئ الفضايل فالغزالي يسند اليهم على الإطلاق وابن رشد يقول أنه لم يبحث ذلك إلا ابن سينا والخطب سهل

أما الوفاق فإنك تراه بدأ يتكلم عن رأي الفلاسفة في الأديان ومبادئها لا في الإسلام الذي هو أرقاها وهو مع ذلك يعترف بأمر لا يتجمل الدين (المطلق) فوق العقل بمعنى أن فيه ما يحيله العقل ويقطع بعدم صحته (منها) أن ما لا تدركه الفلسفة بنظرياتها فهو دليل على أن العقل الإنساني قاصر عن الوصول إليه نفسه فهو محتاج فيه إلى إرشاد الشرع . ولا شك أن العقل الإنساني قاصر حتى اليوم عن إدراك كل ما بين يديه فهو يستخدم الكهرباء وينتفع بها ولا يعرف حقيقتها فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية ؟ وليس معنى قولنا أن دين الإسلام معقول أن كل مسأله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالاً بل معناه أنه ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالة ككون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً . وكون الإله يتحد بالبشر ولولا أن هذا هو المراد لكأن العقل يستقل بوضع الدين ولا يحتاج فيه إلى الوحي

(ومنها) قوله أن مبادئ الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يشك في وجودها . والوجود لا يكون محالاً لأن المحال لا يقبل الوجود . وقوله



عنه : ان كيفية وجودها أمر إلهي تعجز عن إدراكه العقول الإنسانية :  
لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالاً في نظر العقل لأن  
هذه الموجودات التي نحس بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة  
كيفية إيجادها فمجزها عن معرفة كيفية وجودها لمعجزات أولى . ويسهل  
على كل عاقل أن يميز بين ماهو مستحيل لا يتصور العقل وجوده وبين  
مالا يشك في وجوده لكنه لم يصل الى معرفة كيفية حدوث هذا الوجود  
و ( منها ) ان هذه المبادئ الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ  
بالتسليم والتقليد للشرع ( لا آراء الناس ) من غير أن نسلط النظريات  
الفلسفية على البحث في إمكانها وفي كيفية وجودها لأن هذا البحث سفه  
خبيث . وأي سفه وضرراً أكبر من التشكيك في شيء موجود نافع للناس  
لصددهم عن الانتفاع به بنظريات لا قيمة لها . اي سفه أكبر من سفه  
من كان يماري بالموجود الثابت بالمشاهدة أو التواتر ( كالمعجزات )  
او يازم الانسان بأن لا يسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية  
الفكرية في إمكانها وفي كيفية حصولها وهو يرى ويشاهد أنها تحصل  
بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لا النظريات الفكرية ؟؟  
وما احسن ما اوردته الفيلسوف في هذا المقام أيضاً وهو :

« واما ما نسبته ( أي ما نسبته الغزالي الى الفلاسفة ) من الاعتراض  
على معجزة إبراهيم عليه السلام فشيء لم يقله الا الزنادقة من اهل الاسلام  
فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ  
الشرائع وفاعل ذلك عندهم محتاج الى الأدب الشديد وذلك انه لما  
كانت كل صناعة لها مبادئ وواجب على الناظر في تلك الصناعة ان يسلم



مبادئها ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هي  
أخرى بذلك لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندئذ ليس  
في وجود الإنسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم. ولذلك يجب على  
كل إنسان أن يسلم بمبادئ الشريعة وأن يقاد فيها ولا بد من هذا الوضع  
لها فإن جحدها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الإنسان ولذلك وجب قتل  
الزنادقة. فالذي يجب أن يقال فيها أن مبادئها هي أمور الهية تفوق  
المقول الانسانية فلا بد أن يعترف بهامع جهل اسبابها ولذلك لا تجد  
احدا من القدماء تكلم من المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم  
لأنها مبادئ تثبت الشرائع والشرائع مبادئ الفضائل. ولا فيما يقال فيها  
بعد الموت. فإذا نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا بإطلاق  
فإن تمادى به الزمان والسعادة إلى أن يكون من العلماء الراسخين في العلم  
فعرض له تأويل في مبدأ من المبادئ فيجب عليه أن لا يصرح بذلك  
التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى « والراشخون في العلم يقولون آمنا  
به » هذه حدود الشرائع وحدود العلماء « اه بحروفه من (ص ١٢٩)  
حقا أقول أن هذا ما يصرح أن يسند إلى الحكماء العقلاء وإنما نوضحه  
بمثال آخر طالما ذكرناه في مباحثنا مع الأخوان وهو أن الطب علم قد  
ثبتت فائده للناس بالتجربة والمشاهدة فمن الحماقة وسفه الرأي أن يقال  
للمريض عليك أن لا تقبل من الطبيب علاجا حتى تبحث أولاً عن مبادئ  
الطب وتثبت بالأدلة النظرية أنه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذي يصفه  
للك الطبيب ما هو وما نسبة بعض أجزائه إلى بعض وكيف يؤثر في مقاومة  
المرض وما الدليل العقلي على تأثيره وما أشبه ذلك



كذلك يكون أفين الرأي من يقول للناس عليكم ان تبحثوا قبل  
 الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التي رأتموها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى  
 كانكم كنتم حاضريها كيف أوجدها الله تعالى ثم تبحثوا أيضا عن كل ما جاء  
 في الشرع لتعاموا بالدليل النظري لم كان كذلك وكيف كان وبعد ذلك  
 كله آمنوا اذا عرفتم كل المسائل بالدليل النظري ولا تؤمنوا اذا لم تعرفوها  
 يفتاك المرض بمرض الجسد حتى يكون حرجاً أو يكون من الهالكين  
 ولا يقدر ان يقف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال وهو كسبي كله وضمه  
 أمثاله من الناس بالنظر والتجربة . وكذلك تفتاك الرذائل والمقائد الباطلة  
 بمرض النفس فتجعله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر الى هذه  
 الكيفيات فبقى ان الصواب ما قرره الاسلام وهو ان النظر واجب في الاصول  
 التي تثبت بها معرفة الله تعالى وصحة النبوة ومتى اعتمدنا بقدره الله وإرادته  
 وعلمه وكونه أوحى الى بعض عبده وأهدى به الناس الى ما يسمونهم  
 حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا ان نسلم بكل ما يقول الموحى اليهم ( الانبياء  
 عليهم السلام ) تسليماً فان وجدنا فيه شيئاً يخالف ظاهره الدليل العقلي  
 الذي نرده اليه بالتأويل أو نفوض الامر فيه الى الله مع الاخذ بالدليل  
 العقلي . هذا ما أجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف في كون الاسلام  
 دين العقل لان المسلم لا يترك الدليل العقلي الماطع بحال من الاحوال .  
 وقد أحسن ابن رشد في رأيه أن لا تشر التاويلات التي تظهر  
 للاسرخين في العلم بل تبقى خاصة بأما لا تكون . يات فتح باب الجدل  
 على العامة في الاتصال اليه أنبياءهم من حقائق العلوم . والجدل مدعاة  
 الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والاعراض عن المجادلين



## ارتقاء الأديان ، وفهمها بالاسلام

( جاء في « رسالة التوحيد » الاستاذ الامام مانصه )

جاءت أديان والناس في فهم مصالحهم العامة بل والخاصة في طور أشبه بطور الطفولية للناسي الحديث العهد بالوجود لا يألف منه الا ما وقع تحت حسه ، ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمه ، وان يتناول من المماني ما لا يقرب من لسه ، ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن ما يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على ما يقيم بناء شخصه في هم شاتل عما يلحق اليه فيما يصله بغيره اللهم الا يداً تصل الى فمه بطعام ؛ أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الأديان ، ان تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان ؛ أو يرقى اليه بسلم البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تسير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سداجة السن لا يأتيه الا من قبل ما يحسه بسمعه أو ببصره . فأخذتهم بالاولى الصاعدة ، والزواجر الرادعة ، وطالبتهم بالطاعة ، وجعلهم فيها على ما بلغ الاستطاعة ، كلفتهم بمقولات المنى جلي الغاية وان لم يفهموا معناها ، ولم تصل دأركهم الى صرماه ، وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم ، وتفعل به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه<sup>(١)</sup>

(١) المعروف الى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ كتبه المقدسة التي يسمون مجموعها ( التوراة ) يتجلى له انطباق الوصف عليهم ففيها أن الرب كان ياقب شعب اسرائيل بالشعب الغليظ الرقبة ، أي المريض القفا والمراد البليد الجاني وكان يربه الآيات والخواف فيخضع ثم يعود الى تمرد . وكان يعلى له الاحكام بالوقائع الخاصة كأنجائه من المصريين . وكان يعاقبه على ترك أي حكم بأشد العقوبة ومنها ان من يعمل يوم السبت عملاً يقتل قتلاً



ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الأقوام وسقطت ، وارتفعت ،  
وجرت وكسبت ، وتخالفت واتفقت ، وذابت من الأيام آلاما ، وتقلب  
في السعادة والشقاء أياما وأياما ؛ ووجدت النفس بنفث الحوادث ؛ ولقن  
الكوارث ، شعورا أدق من الحس وأدخل من الوجدان ؛ لا يرتفع في  
الجملة عما تشمر به قلوب النساء أو تذهب معه نزعات الغلمان ؛ فجاء دين  
يخاطب العواطف ، ويناجي المراحم ؛ ويستمطف الأهواء ؛ ويحادث  
خطرات القلوب ، فشرع للناس من شرائع الزهادة ما يهرفهم عن الدنيا  
بجملة ما وبوجه وجوههم نحو الملكوت الأعلى ، ويقتضي من صاحب الحق  
أن لا يطالب به ولو بحق ، ويفلق أبواب السماء في وجوه الأغنياء ؛ وما ينحو  
نحو هذا مما هو معروف . وسن للناس سنا في عبادة الله تنفق مع ما كانوا  
عليه ، وما دعاهم إليه ؛ فلاقى من تعاق الناس بدعوته ما أصبح من فاسدها ،  
ثم لم يمس عليه بضعة أجيال حتى ضعفت المزائم البشرية عن احتمالها ،  
وضاقت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ بأقواله ، ووقر في الظنون  
أن اتباع وصاياه ضرب من المحال ، فهب القائلون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك  
في السلطان ، ومزاحمة أهل الترف في جمع الأموال ، وانحرف الجمهور  
الأعظم منهم عن جادته بالتأويل ، وأضافوا إليه ما شاء الهوى من الأباطيل ،  
هذا كان شأنهم في السجيا - نسوا طهارته ، وباعوا نزاهته ؛ أما في المقائد  
فتفرقوا شيعا ، وأحدثوا بدعا ، ولم يستمسكوا من أصوله إلا بما ظنوه من  
أشد أركانها ، وتوهموه من أقوى دعائها ؛ وهو حرمان العقول من النظر  
فيه وفي غيره من دقائق الأكران ، والحظر على الأفكار أن تنفذ إلى  
شيء من سرائر الخلقة ، فصرحوا بأن لا وفاق بين الدين والعقل ، وأن



الدين من أشد أعداء العلم ؛ ولم يكف الذهاب الى ذلك أن يأخذ به نفسه بل جدد في حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة . وأفضى الغلو في ذلك بالأنفس الى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الإنساني وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للإلزام ببعض قضايا الدين . فتقوض الأصل ؛ وتخرمت العلائق بين الأهل ، وحلت القطيعة محل التراحم ، والتخاصم مكان التعاون ، والحرب محل السلام ؛ وكان الناس على ذلك الى أن جاء دين الاسلام ؛ (\*)

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالإنسان أشده ؛ وأعدته الحوادث الماضية الى رشده ، فجاء الاسلام مخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم واللب ، ويشركه مع المواطنين والاحساس ؛ في إرشاد الإنسان الى سعادته الدنيوية والاخرية ، وبين الناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه الاختصام عليه ، وبرهن على أن دين الله في جميع الأجيال واحد ، ومشيئته في اصلاح شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، إنما هو الجديد الذي في الأرواح ، وأن لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب ؛ وطالب المكافأة برعاية جسده كما طالبه بإصلاح سره ، وفرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعدّ كلا الأمرين طهرًا مطلوبًا ؛ وجعل روح العبادة الإخلاص ، وأن ما فرض من الأعمال إنما

(\*) يرى الناظر ان الاستاذ الإمام يصدق جميع ما ابتدع في النصرانية وكان شؤما على الإنسانية . بالرؤساء الذين خرجوا من زهادة المسيح ويدعون انهم نوابه الى مزاحمة الملوك والاستعلاء عليهم . فلا يتوهم أحد أن مسلما يعتقد أن في دين المسيح نفسه شيئا كان ضارًا بذاته فيمن خطوط جوابه



هو لما أوجب من التطيع بظاهر المسكات : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ، « ان الإنسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين » ورفع الغني الشاكر الى مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه ، وعامل الإنسان في مواعظه معاملة الناصح الهادي للرب بل الرشيد ، فدعاه الى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة ، وصرح بما لا يقبل التأويل ان في ذلك رضا الله وشكر نعمته وان الدنيا صرعة الآخرة ولا وصول الى خير المقبي ، الا بالسمي في اصلاح الدنيا ،

.....  
(ثم قال) « كشف الاسلام عن العقل نعمة من ألوهية فيايرش من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون الصغير « الإنسان » فقرر ان آيات الله الكبرى صنع العالم إنما يجري أمرها على السنن الإلهية التي قدرها الله في علمه الأزلي لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزئية ، غير أنه لا يجوز أن يغفل شأن الله فيها ، بل ينبغي أن يحكي ذكره عند رؤيتها ، فتدجاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تشنان موت أحد ولا حياة فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله » <sup>(١)</sup> فيه التصريح بان جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يتقضي فيه الا العناية اللازمة على السنن التي اقامته عليها ، ثم أماط اللثام عن حال الانسان في النعم التي يتمتع بها الاشخاص أو الأمم والمصائب التي يرزؤن بها ففصل بين الأمرين فصلاً محكماً - ثم بعد ان ذكر حال الافراد وأن ما يعيهم قد يكون كسبهم وقد يكون بغير ذلك قال

(١) كسبهم من نعم الله التي هي على الله عليه وادعوا لهم من

أنس أنها كسفت الموت فذكروا بحارهم وسيره



«أما شأن الأمم فليس على ذلك فإن الروح الذي أودعه الله جميع شرائعه الإلهية من تصحيح الفكر وتسديد النظر ، وتأديب الأهواء ، وتحديد مطامع الشهوات ، والدخول إلى كل أمر من باب ، وطلب كل رغبة من أسبابها ، وحفظ الأمانة ، واستشعار الأخوة ، والتعاون على البر ، والتناصح في الخير والشر ، وغير ذلك من أصول الفضائل - ذلك الروح هو مصدر حياة الأمم ومشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة » من يرد ثواب الدنيا ثوته منها « وإن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها . يزيد الله النعم بقوته وينقصها بضعفه ، حتى إذا فارقتها ذهبت السعادة على أثره ، وتبعها الراحة إلى نقره ، واستبدل الله عزرة القوم بالنذل ، وكثرهم بالقل ، ونعيمهم بالشقاء ، وراحتهم بالعناء ، وسلط الله عليهم الظالمين أو المادنيين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون ، « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » أمرناهم بالحق ففسقوا عنه إلى الباطل ، ثم لا ينفعهم إلا نين ولا يجديهم البكاء ، ولا يفيدهم ما بقي من صور الأعمال ولا يستجاب منهم الدعاء ، ولا يكشف لما نزل بهم إلا أن يلجؤا إلى ذلك الروح الإكرم فيستنزله من سماء الرحمة يرسل الفكر والذكر والصبر والشكر « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » - « سنة الله في الذين خلوا من قبل وإن نجد لسنة الله تبديلا » . وما أجل ما قاله المباس بن عبد المطلب في استسقاؤه « اللهم إنه لم ينزل بلائ إلا بذنب ، ولم يرفع إلا بتوبة » على هذا السنن جرى سلف الأمة فبينما كان المسلم يرفع روحه بهذه المقائد السامية ويأخذ نفسه بما يتبعها من الأعمال الجليلة ، كان غيره يظن أنه ينزل الأرض



بدعائه ؛ ويشق الفلك بكائه ، وهو واقع بأهوائه ، ماض في غلوائه ، وما  
كان يعني عنه خذه من الحق شيئاً » اه المراد هنا من رسالة التوحيد

سورة تشبيه التعليم الديني بتعليم المدارس

هذا مقاله الأستاذ الامام في رسالة التوحيد التي طبعت سنة ١٣١٥  
وقرر مجلس ادارة الازهر تدريسها رسمياً في الجامع الازهر . وعلوم  
ان رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع فهو مع سائر العلماء أعضاء المجلس  
بل وسائر علماء الازهر متفقون على ما في هذه الرسالة . وما تقدم عنها  
يعلم معنى كون دين الاسلام هو دين العقل والقرآن يشهد بهذا في  
عشرات ومئات من الآيات . ويعلم أيضاً ان المسلمين يعتقدون بحقيقة  
الديانة المسيحية وكونها جاءت اصلاحاً للناس ولكن الى أجل محدود قد  
انتهى واستغنى عنه بالدين الأخير

تقدم ان دين الله واحد « لا تفرق بين أحد من رسله » وان خطاب  
الوحي كان مختلف باختلاف استعداد الناس . فالشريعة الموسوية وماشا كلها مما  
كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية . والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية .  
والديانة الاسلامية كالمدرسة العالية التي هي التعليم الأخير . وهذا لا يتضمن  
انتقاص اليهودية والمسيحية كما أن وجود المدارس العالية لا يقتضي انتقاص  
المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لا بد منه والترض من الجميع  
واحد . ولا تنس ان التشبيه بالنسبة الى مجموع البشر في الجملة فلا يقل  
ينبغي أن يكون كل فرد من الناس يهودياً ثم نصرانياً ثم مسلماً . وهذا  
الذي قلناه . وقد بما ارشد اليه العلم الصحيح من سنة الارتقاء البشري وقد  
جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملايين من اليهود والنصارى



في الاسلام أفواجا وكانوا في ذلك كمن انتقل من مدرسة الى مدرسة  
أعلى منها ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليديا وجعلوا عليه سياجا من  
القوة الحسية والوهمية ولولا الطواري التي طرأت على سير الاسلام  
بواسطة الرؤساء من الملوك والاصراء ، وفتنتهم للعلماء والفقهاء ، لما بقي  
للأديان الأولى من الاتباع ما يكونون به أمما كبيرة .

### القسم العمومي

الاجتماع التاسع لجمعية أم القرى ويتبعه الاجتماع ١٠ و ١١

« في مكة المكرمة يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ »  
في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد الغراني ضبط مفاوضات  
اليوم السابق حسب الأصول المرعية .

قال ( الأستاذ الرئيس ) اننا نقرأ اليوم قانون الجمعية وقد علم الاخوان من مطالعة  
السانحة التي وضعها اللجنة ان هذا القانون هو الآن في حكم قانون . وقت الى أن  
تشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله وتزاول وظائفها فهي تعيد النظر فيه وتعني بتطبيقه  
على الموجهات والتجربات ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه فاذا  
امضته صار حينئذ قانوناً راسخاً .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرة حتى اذا كان لأحد الاخوان ملاحظة على  
بعض الفقرات منه فليبددها عند قرائتها وبعد المناقشة اما أن تقبل أو ترد أو تعدل  
بالأكثرية . وعلى كل حال تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا  
يرجع اليه عند اللزوم

ثم أمر ( الأستاذ الرئيس ) بقراءة سانحة القانون فقرئت وجرت على بعض القضايا  
وبعض الفقرات منها مناقشات وتولى المدقق التركي رئيس اللجنة إعطاء الإيضاحات  
اللازمة عن المقاصد التي لاحظتها اللجنة فيه فقبل أكثر قضاياها وعدل بعضها وضبطت  
المناقشات على حدة

وقد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم وكذلك جلسة الاجتماع العاشر



المتفق يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر وجلسة الاجتماع الحادي عشر  
المتفق مساء الأحد أي ليلة الاثنين

### الاجتماع الثاني عشر

« في مكة المكرمة يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ »  
في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب مصادها  
أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة القانون الذي تقرر في الاجتماعات الثلاث السابقة متناً  
مجرداً فقرياً وهذه صورته .

### قانون جمعية تعليم الموحدين

#### المقدمة

قد تقرر في الجمعية المتقدمة في مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ست عشرة وثلاثمائة  
والف المسماة « جمعية أم القرى » النتائج الآتية  
« ١ » المسلمون في حالة فتور مستحكم عام « ٢ » يجب تدارك هذا الفتور سريعاً  
والاقتحاح عصيتهم كلياً « ٣ » سبب الفتور تهاون الحكماء ثم العلماء ثم الأمراء  
« ٤ » جرثومة الداء الجهل المطلق « ٥ » أضر فروع الجهل الجهل في الدين « ٦ » الدواء  
هو إنباء الأفكار بالتعليم أولاً وإيجاد شوق للترقى في رؤس الناشئين ثانياً « ٧ » وسيلة  
المداواة عقد الجمعيات التعليمية القانونية « ٨ » المكلفون بالتدبير هم حكماء ونجباء الأمة  
من المرأة والعلماء « ٩ » الكفاءة لإزالة الفتور بالتدرج موجودة في العرب خاصة  
« ١٠ » يلزم تشكيل جمعية ذات مكانة ونفوذ في دائرة القانون الآتي البيان باسم « جمعية  
تعليم الموحدين »

### الفصل الأول

#### [ في تشكيل الجمعية ]

« قضية ١ » تشكل الجمعية من مائة عضو منهم عشرة عاملون وعشرة مستشارون  
وثمانون فحريون ويرتبط بالجمعية أعضاء محتسبون لا يتمين عددهم .  
« قضية ٢ » يجب أن يكون الأعضاء كلهم متصفين بست صفات عامة وهي « ١ » سلامة  
الحواس وكون السن بين الثلاثين والستين « ٢ » الاسلام من أي مذهب كان  
من مذاهب أهل القبلة « ٣ » المدالة بحيث يكون غير متجاهر بمعية شرعية إجماعية



ولا متلبس أو معروف بخلعة منافية للمروءة . « ٤ » المزينة بعلم أو جام أو ثروة ( \* ) « ٥ » الكتابة باثقان في لغة ما ولو عامية « ٦ » النشاط بأن يكون ذا همة ونجدة وحيية .

( قضية ٣ ) يشترط في الاعضاء العاملين والمستشارين زيادة اربع صفات على ما سبق وهي ( ١ ) القدرة على التكلم والكتابة بالعربية . ( ٢ ) إمكان الإقامة ثمانية اشهر في مركز الجمعية وهي ما عدا ذا الحجة ومحرم وصفر وأو ربيعاً الأول . ( ٣ ) تفرغ العاملين للحضور في نادي الجمعية أربع ساعات في كل يوم ما عدا الجمعة وأيام الأعياد . ( ٤ ) تفرغ المستشارين لحضور جلسة يوم واحد في كل أسبوع .

( قضية ٤ ) يشترط في الاعضاء الفخريين زيادة ثلاث صفات وهي ( ١ ) القدرة على الكتابة في إحدى اللغات الأربع وهي العربية والتركية والفارسية والأوردية . ( ٢ ) الاستعداد لمراسلة الجمعية بأحدى هذه اللغات في كل شهر مرة بمقالة أو رسالة أو فصل من تأليف يقترح موضوعه من قبل الجمعية أو هو تخيره والجمعية تستصوبه وتقرر . ( ٣ ) الاذعان لانتقادات وتنقيحات الجمعية وتصحيحها ( ١ )

[ قضية ٥ ] تشكل جمعية عامة في كل سنة مرة في أوائل ذي القعدة يدعى اليها جميع الأعضاء حتى المحتسبون فيحضرها الأعضاء العاملون مطلقاً ومن شاء من الباقين . ( قضية ٦ ) الجمعية العامة بالذاكرة والانتخاب الحفي والأكثرية المطلقة تميز المرشحين للهيئة العاملة ثم المرشحين للهيئة المستشارة .

( قضية ٧ ) الهيئتان العاملة والمستشارة تجتمعان وبالمذاكرة والأكثرية الثلثين يميزان المرشحين منهم للرياسة وليابة الرياسة وللكتابة الأولى وللكتابة الثانية ولإمانة المال ثم تنتخبان من المرشحين رئيساً لأجل سنة ونائب رئيس لأجل سنتين وكاتباً أول لأجل ثلاث سنين وكاتباً ثانياً وأمين مال لأجل أربع سنين .

( قضية ٨ ) الهيئتان العاملة والمستشارة يدققون في صفات الذين يراد ان يكونوا من الاعضاء الفخريين أو المحتسبين ثم بالانتخاب الحفي والأكثرية المطلقة يقبلون أو يردون ( قضية ٩ ) للهيئتين العاملة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عن من يعلم وقوع

« \* » ليس المقصود من الثروة ذاتها بل إعانتها صاحبها على بعض الاخلاق الشريفة « ١ » ( قضية مؤقتة ) يتدئ تشكيل الجمعية حسبما يتسهل للمؤسس وهو يرأسها مؤقتاً وله أن ينوب عنه من شاء وعند ما يبلغ عدد الاعضاء المكتتبين قدراً كافياً يجمعهم لينتخبوا الهيئة العاملة والهيئة المستشارة .



حالة منه تستوجب ذلك وتحقق خفياً وتصدق بأكثرية الثلثين .

( قضية ١٠ ) الجمعية العامة تقوم بأربع وظائف وهي : (١) تدقيق اجمالي في جميع

الاعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية . (٢) التدقيق في حساباتها الماضية . (٣) تقرير

ما يلزم التشييت به من الاعمال الكبيرة في السنة المستقبلية (٤) تقرير نفقات السنة القابلة .

( قضية ١١ ) المركز الرسمي للجمعية مكة المكرمة وله اشعبات في القسطنطينية

ومصر وعدن وحائل والشام وتقليس وطهران وخيوه وكابل وكلكته ودهلي

وستغابور وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة

( قضية ١٢ ) يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمعية المركزية مصغراً

وتكون مرتبطة تماماً بالجمعية فيما عدا مالياتها وجزئيات أمورها فان لها الخيار ان تكون

مستقلة المالية والادارة

( قضية ١٣ ) تشكل الشعبات على التراخي ويسطي لبعض المناسب الموقع منها

هيئة تصلح معها لان تتخذ عند ميسر الحاجة هي المركز الاصلي (١)

### ﴿ الفصل الثاني ﴾

( في مباني الجمعية )

( قضية ١٤ ) الجمعية لا تدخل في الشؤون السياسية مطلقاً فيما عدا ارشادات

وتنبيهات بمسائل اصول التعاليم وتعميمه .

( قضية ١٥ ) ليس من شأن الجمعية ان تكون تابعة أو مرتبطة بحكومة مخصوصة

تتلى انها تقبل المعاونة أو المعاونة من قبل السلاطين المعظم والامراء الفخام المستقلين

والتابعين بصفة حماة فخر بين .

( قضية ١٦ ) لا ينتسب الجمعية الى مذهب أو شئمة مخصوصة من مذاهب وشيع

الاسلام مطلقاً .

( قضية ١٧ ) توفق الجمعية مسالكها الديني على المشرق السلفي المعتدل . وعلى

نبذ كل زيادة وبدعة في الدين . وعلى عدم الجدال فيه الا بالتي هي احسن .

(١) ( قضية مؤقتة ) مراكز الجمعية يكون في السنين الاولى

في بور سعيد أو الكويت ثم ينتقل الى مكة بعد الرسوخ أو عند اقامة مراکش

افغان ، ان من غيرها مكالات سياسية لها في مكة وعلى كل حال يكون للجمعية يد

في مكة وليس مديرة .



(قضية ١٨) يكون شعار الجمعية القولي [ لا نعبد الا الله ] وشعارها الفعلي التزام ( المصاحفة ) على وجه السنة ووجهاتها ( الغيرة على الدين قبل الشفقة على المسلمين ) وأهم أعمالها ( تعليم الأحداث وتهذيبهم ) « تراجع قضية ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ : »

(قضية ١٩) أعضاء الجمعية لا يتكلفون التناصر والتعاون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية أي التعاون بالمال أو الجاه فيما بينهم الا لمن يصاب ويتضرر بسبب الجمعية .

(قضية ٢٠) تتكفل الجمعية بكفاية عدد مخصوص من أصحاب المزايا العامة الخاصة أو العزائم الخارقة العادة بشرط ان يكونوا مجردين لاعيال لهم أو شبهيين بالمجردين

### ﴿ الفصل الثالث ﴾

#### « في مال الجمعية »

(قضية ٢١) نفقات الجمعية تبنى على غاية البساطة والاقتصاد وهي تسعة أنواع « ١ » اكمال كفاية الهيئة العاملة بما لا يزيد على ستين ذهباً انكليزياً لكل واحد في السنة . « ٢ » رواتب الكتاب والمترجمين والخدم . « ٣ » أجره محلات المركز والشعبات غير المستقلة مالية . « ٤ » نفقات البعثات المتجولة . « ٥ » نفقات المطبوعات . « ٦ » نفقات التحرير والتأليف . « ٧ » نفقات البريد والرسائل « ٨ » كفاية المذكورين في « القضية ٢٠ » « ٩ » النفقات المتفرقة .

(قضية ٢٢) تعتمد الجمعية في الحصول على نفقاتها على جهتين فقط النصف من ربح مطبوعات الجمعية أي طبع المؤلفات الآتي ذكرها في الفصل التالي من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقنة للغاية تستوجب الاختصاص بطبعه والنصف الآخر من اعانات أصحاب الحمية والنجدة من أمراء وأغنياء الامة وبعض الاعضاء المحترسين .

(قضية ٢٣) أمين المال يكون من أغنياء التجار المشهورين المقيمين في مركز الجمعية ويكون من جملة الاعضاء المستشارين ويقوم بهذه الخدمة حسبة لربه ودينه ويكون المال في يده بوجه مضمون .

(قضية ٢٤) أمين المال يعطى وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقومة عليها عدد متسلسل في جانب منها مجموع الوارد ومجموع المصروف في تلك السنة باعتبار غاية الشهر العربي المنصرم .

(ملاحظة موقفة) يكفي للجمعية في السنين الاولى مقدار خمسة آلاف ذهب (جنه) انكليزي فقط وحصول ذلك ليس بذوي بال



( قضية ٢٥ ) أمين المال لا يصرف شيئاً الا بورقة صرف مطبوعة عامها عدد متسلسل وموقع عليها من القابض وكتاب الجمعية ورئيسها .

### ﴿ الفصل الرابع ﴾

« في وظائف الجمعية »

( قضية ٢٦ ) الهيئتان العامة والمستشارة بالاتفاق أو اكثرية الثلثين تعيدان النظر في قانون الجمعية مرة ابتداءً من كل ثلاث سنين مرة وتنظمان القوانين التي تلزم ويجب مطلقاً ان يكون ترتيب القوانين تابعاً لقواعد التروى والتدقيق والتأمين وترتبط كل قضية بشرح مفصل مسجل يرجع اليه . ولا يصير القانون دستوراً للعمل الا بعد قرأته في الجمعية العامة السنوية وقبوله . ويجوز للهيأتين عند الضرورة تقرير العمل بالبعض من أحكام تلك القوانين موقفاً ثم تعرض على الجمعية العامة الاسباب المجبرة على التسجيل . ( قضية ٢٧ ) ايقاظ فكر علماء الدين الى الامور الخمسة الآتية وتنشيطهم للنهي في حصولها ومساعدتهم براءة أسهل الوسائل وأقربها اليها وهي .

« ١ » تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمهما . « ٢ » الترغيب في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمهما وتاقبهما . « ٣ » تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد أو نوعين من العلوم والفنون ليوجد في الامة أفراد نابغون متخصصون . « ٤ » إصلاح أصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها بحيث يبقى في عمر الطالب بقية يصرفها في تحصيل الفنون النافعة . « ٥ » الحد وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس

( قضية ٢٨ ) السهي في تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب « ١ » لتعليم المبتدئين أو المكتفين بالمبادئ . « ٢ » لتعليم المنتهين البطالين الإتيقان . « ٣ » لتعليم النابغين الراغبين في الاختصاص .

( قضية ٢٩ ) الاهتمام في جعل المتعلمين والمعلمين على أربع مراتب . « ١ » العامة ومعلموهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة . « ٢ » المهذبون ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة . « ٣ » العلماء ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية . « ٤ » النابغون ومعلموهم الأفاضل المتخصصون .

( قضية ٣٠ ) السهي لدى أمراء الأمة بمعاملة كافة طبقات العلماء بمعاملة الأطباء أي بالححر رسماً على من يتصدر للتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد ما لم يكن مجازاً



من قبل هيئة امتحانية رسمية موثوق بها تقام في المواسم .

( قضية ٣١ ) التوسل لدى الأمراء أن يعطوا لأحد العلماء القبول في كل بلدة صفة محتسب ديني على جماعة المسلمين في تلك البلدة ويحصلوا له مستشارين منتخبين من عقلاء الأهالي وتكليف هذه الجمعية الاحتسابية بأن تقوم بالنصيحة للمسلمين بدون عنف وبسهولة تعميم المعارف والمحافظة على الأخلاق الدينية .

( قضية ٣٢ ) التوسل لنبيل العلماء ما يستحقون من رزق وحزمة ومنهم من عن كل ما ينحل بصفهم وشرفهم . (١)

( قضية ٣٣ ) التوسل لحل أهل الطرائق على الرجوع إلى الأصول الملائمة للشرع والحكمة في الإرشاد وتربية المريدين . وتكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها الأمة الإسلامية من نحو اختصاص فرقة كالقادرية مثلاً بعول وتعليم الأيتام وأخرى بمواساة المساكين وأبناء السبيل وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين وقفة بالتشويق إلى الصلاة وغيرها بالتفكير عن المسكرات ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية فيكون عملهم هذا عوضاً عن المثل والمطيل .

( قضية ٣٤ ) حمل العلماء والمرشدين وجميعيات الاحتساب على السعي لإرشاد أفراد الأمة خصوصاً أحدثائها إلى قواعد معاشية وأخلاقية متحدة الأصول تلائم الإسلام والحرية الدينية وتفيد ترويض الأجسام وتقوية المدارك وتثمر النشاط السعي والمعمل وتولد الحمية والأخلاق الشريفة

( قضية ٣٥ ) تعني الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات أخلاقية . الأئمة للدين وللزمان وتكون على مراتب من بسطة ومتوسطة وعالية بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام معلولات الصوفية . وتقوم بوضع مؤلفات لغة وسطى عربية لا مصرية ولا عامية وجعلها لغة لبعض الجرائد ومؤلفات الأخلاق ونحوها مما هم نشره بين العامة فقط (١)

( قضية ٣٦ ) تعني الجمعية في حمل العلماء وجميعيات الاحتساب على تعليم الأمة

( ١ ) كالقعود في محلات القهوة والتجول في المجتمعات وركوب الخمر ونحو ذلك مما لا يقدم عليه أمثالهم في الملل الأخرى

٢٤ • كالاكتفاء بالسين عن الثاء وبالزاي عن الذال والاقتصار على التثنية بالياء والجمع بالواو والنون والقصر بالألف وكقبول الوضع العامي المشهور . هـ من هامش الأصل [المنار] : هذا خطأ لا حاجة إليه إذ يمكن الوصول إلى المقصود باللغة الصحيحة السهلة



ما يجب عليها شرعا من المجاملة في المعاملة مع غير المسلمين وما تقتضيه الانسانية والمزايا الاسلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منه ورعاية الذمة والتأمين والمساواة في الحقوق وتجنب التعصب الديني أو الجنسي بغير حق .

( قضية ٣٧ ) تنشر الجمعية رسالة دينية عربية في كل شهر يكون حجمها نحو مائة صفحة بحيث يتألف منها كتاب في كل عام وتكون مباحثها ثمانية أنواع يختص لكل بحث قسم منها وهي .

(١) مقررات الجمعية وأعمالها وخلاصة المهم من مراسلاتها مع شعباتها . (٢) مباحث دينية في موضوع سماحة الدين ومزاياه السامية ودفع ما يرمى به من منافاته للحكمة والمدنية . (٣) قواعد أخلاقية ونصائح معاشية . (٤) فصول في العلوم والفنون النافعة والترغيب فيها وإراءة طرائق تلقينها وتلقاها . (٥) المقالات المفيدة التي يحررها الأعضاء الفخريون وغيرهم من فضلاء الأمة . (٦) الاخبار والاعلانات الخاصة بالهضة العلمية الاسلامية . (٧) الاسئلة والاجوبة المهمة . (٨) مباحث وقضايا مثقفة . (قضية ٣٨) تكون الابحاث والمقالات الدينية في الرسالة الشهرية ملاحظة فربما إجماع السلف أو الموافقة لمذهبين فأكثر من المذاهب المندونة المتبعة . ويتمين في المسائل المهمة الخلافية بأن يقرها بعض المشهورين عن علماء الهداية من المذاهب المختلفة (قضية ٣٩) تكون قيمة الرسالة معتدلة قريبة من نفقات تحريرها وطبعها فقط وترسل الى المدارس والامامات المشهورين بدون عوض على حساب الامراء والمختسين . (قضية ٤٠) تعني الجمعية غاية الاعتناء في إيصال الرسالة الى المرسلة اليهم بصورة منتظمة وفي ادخالها البلاد المأهولة بالمسلمين رغما عن كل مانع فترسل ولو برا مع رواد على نجائب تخترق آسيا وأفريقيا الى اقاصيها ولا تعدم الجمعية وسائل كثيرة للإيصال (قضية ٤١) تخصص الجمعية منشوراتها وإعلاناتها أربع جرائد من أشهر الجرائد الاسلامية السياسية . ١ عربية في مصر ٢ تركية في القسطنطينية ٣ فارسية في طهران ٤ أوردية في كالكته

(قضية ٤٢) تسمى الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخية دينية في مركز الجمعية لأجل تثقيف تلامذتها وتأهيلهم للسياحة والبعوث (قضية ٤٣) ترسل الجمعية بعوثا جغرافية وعلمية تجوّن في البلاد الاسلامية الغربية بتعليمهم اللغات على أصول البلاد وأهلها من حيث الدين والمعارف ولا يرشدهم



الى ما يلزم إرشادهم اليه في ذلك حسب مقتضيه الاخوة الدينية بدون تعرض للاحوال السياسية قطعياً

(قضية ٤٤) تسمى الجمعية بمدة مضي ثلاث سنين من انعقادها في اقناع ملوك المسلمين وأمرائهم بمقدومه مؤتمر رسمي في مكة المكرمة يحضره وفود من قبلهم ويترأسه مندوب أصغر أو تلك الأمراء ويكون موضوع المذاكرات في المؤتمر السياسي الدينية \*  
(قضية ٤٥) اذا صادفت الجمعية معارضة في بعض أعمالها من حكومة بعض البلاد ولا سيما البلاد التي هي تحت استيلاء الاجانب فالجمعية تتذرع أولاً بالوسائل اللازمة لمراجعة تلك الحكومة وإقناعها بحسن نية الجمعية فاذا وُفقت لرفع التعتق فيها وإلا فتلجأ الجمعية الى الله القادر الذي لا يعجزه شيء \*

### ﴿ خاتمة ﴾

(قضية ٤٦) « سياسة الجمعية » جاب قلوب من تخير جلبهم ببذل المعروف محابةً فتحرى مواساة الإنسان عند مصابه وتنقب عن أهم حاجاته أو غاياته فتعينه عليها  
(قضية ٤٧) « مظهر الجمعية » العجز والمسكنة فلا تقاوم ولا تقابل إلا بأساليب النصيحة والموعظة الحسنة وتلاطف وتجاهل جهدها من يعادي مقاصدها ولا تاجأ الى الإلجاء الا في الضروريات .

(قضية ٤٨) « قوة الجمعية » الإخلاص في النية وعمدتها الثبات على العمل ومساكنها تذليل العقبات وحادثة فواحدة وحصنها الدين الخفيف وسلاحها العلم والتعالم وجيشها الاحداث والضعفاء وقوادها حكماء العلماء والأمراء ورايتها القدوة الحسنة وغنيمتها بث الحياة في الموحدين وغايتها خدمة المدينة والانسانية وثمره أعضائها والنصارها لذة الفكر والفخر ونيل الاجر من الله . (تم القانون)

## ﴿ أحوال العالم الاسلامي ﴾

### ( المؤتمر الاسلامي في الهند )

أشرنا في الجزء الماضي الى انعقاد مؤتمر التربية الاسلامية في الهند وتذكر الآن مجالا من خبره

انتخب المسلمون في هذه السنة رئيساً لمؤتمرهم ( السير آغاخان ) وهو شاب من ( ١٠٤ - المنار )



الكبراء الذين يقرن باسمهم لقب « السمو » وقد اشتهر بالذكاء والتبيل، والعلم والفضل،  
ولهذه المزايا اختارته طائفة الاسماعيلية رئيساً لها وهي الطائفة الباطنية المعروفة بالتروى  
في اختيار الرؤساء ولذلك كان أمرها منتظماً في كل البلاد الى اليوم، ولا توجد طائفة  
تنتمي الى الإسلام في هذا العصر أشد من هذه الطائفة تعاوناً ومحاباً والتاماً ونظاماً.  
والفائدة الكبرى التي استفدتها من خبر مؤتمر هذه السنة هي انتخاب هذا الامير  
رئيساً للمؤتمر الذي معظم رجاله من أهل السنة بل هذا هو الدليل القاطع عندي على  
ان إخواننا مسلمي الهند قد ارتقوا عنا وعن سائر المسلمين الذين نعرف أخبارهم.  
ذلك ان أدواء أعداء المسلمين التفرق في الطوائف وعدم معرفة قيمة التابعين  
لا سيما اذا خالفوا الجماهير في بعض تقاليدهم — وهذه الحلة لازمة للتابعين لا تفارقهم  
— ذلك بأن مبدأ النهوض في كل أمة منحطة هو ظهور افراد فيها كبار العقول  
أقوياء القلوب يوجهون عنائهم الى الخدمة القومية، فاذا ظهوروا في أمة مستعدة  
لنهوض تشمر الأمة بفضلهم وتقديرهم حتى قدرهم وتعطيهم مكانة الهامة من الجسد  
فيدبرونها ويعرجون بها الى ما هي مستعدة له من الارتقاء، واذا ظهر واقبل استعداد  
الأمة للاستفادة من مواهبهم ترى الجماهير من خواص قومهم بمقتونهم وينفرون  
العامة منهم ويتوكلون على ما لا يخلو نافع عنه من المخالفة للجماهير في تقاليدهم وعاداتهم.  
وأعني بالخواص الرؤساء والأغنياء الذين يسير عنهم القرآن بالترفين وهم الذين كانوا  
أعداء الأغنياء والمرسلين، وكانوا ولا يزالون أعداء الإصلاح والمصلحين.

أما قولنا ان التابعين الذين يتوجهون الى إصلاح الأمم لا بد ان يخالفوا قومهم  
في بعض عاداتهم واعتقاداتهم فليس معناه انهم يحرون المخالفة طلباً للشهرة او الامتياز  
وانما ذلك أمر طبيعي لازم، وبيان ان الفساد انما يضرب بجذرائه في الأمة ويفتك بها  
لفساد يطرأ على العقول فتأخذ بالاعتقادات الباطلة، وفساد يلج بالنفوس فتستبدل  
الأخلاق الذميمة بالأخلاق الفاضلة، وتولد من الفساد العادات الضارة ويفتك  
كل ذلك بالأمة فتكاد، فالتابع الذي يتصدى للإصلاح يعرف بما يهزه الله تعالى به  
من نفوذ البصيرة منشأ الفساد في الأعمال، وينفر بما خصه به من كرامة النفس وزكائها  
عن كل ما يعتقد فاسداً ويرى أثره ضاراً، فهو بهذا وذلك يكون مخالفاً للأمة في بعض  
اعتقاداتها وعاداتها حتماً بغير تكلف ولا تصنع بل بوجود من محيي الإصلاح من  
يتكلف إخفاء المخالفة وإظهار الموافقة في بعض الأمور لأجل ان يقبل منه غيرها.



ليس هذا موضع الإطالة في أخلاق المصلحين مع أقوامهم ولكني أقول ان اكتنف الحجب بين المصالح وبين قومه هو أن ينز بأنه مخالف لهم في بعض الأمور الدينية أو مقصر فيها فإذا وصلت الطبقة المتوسطة في قوم إلى أن يعرفوا درجة المستعد للإصلاح وان لا يصددهم عن الانتفاع به كونه مخالفاً لهم في بعض المسائل الدينية أو غيرها لأنهم يعرفون كيف يتفهمون وهم واقفون بأنفسهم لا يخافون من شذوذ رأيهم في بعض المسائل ان يتمدى اليهم ومنهم إلى الأمة بأسرها فاولئك هم القوم الذين أذن الله بتزقيتهم ونجاحهم

خطب رئيس المؤتمر وذكر أمراض المسلمين التي هبطت بهم إلى الذرك الذي هم فيه بين الأمم فذكر ان جرائم هذه الأمراض أربع « ١ » عقيدة الجبر التي حلت العزائم والحق تبعتها بالامام أبي الحسن الأشعري [ رحمه الله تعالى ] و « ٢ » اعتقاد ان ترك الشؤون العامة والاشتغال عنها بالمزلة والعبادة من مهمات الدين وزعم ان منشأ ذلك اعتزال بعض الصحابة « عليهم الرضوان » الحرب بين علي ومعاوية وقولهم ان هذا أسلم للدين. و « ٣ » اهمال تعليم النساء وتربيتهن لمسا حال دون ذلك من التشدد في الحجاب والخروج به عما جاء به الشرع وأثبت ان هذه المعضلة الاجتماعية قد سرت عدواها من مترقي القرس إلى بني العباس وبسببهم رسخت في الأمة الإسلامية وكان من أثرها حبس نصف المسلمين في السجون الأبدية والقضاء عليه بالجهل والجهول. ويرى القاري في كل مسألة من هذه الثلاث نزعة يصح ان تكون تولدت في دماغه من الممكن في مذهبه الذي أصله الغلو في التشيع إلى ادعاء الحلول في بعض أئمة آل البيت ورعي عظماء المسلمين من الصحابة فمن بعدهم بالإضرار بالدين ولو عن غير عمد. لو قام مثل هذا الخطيب الذي يفتخر به مسلمو الهند اليوم وخطب خطبته هذه في مصر أو في الشام أو في تونس أو في بلاد المغرب أو في الجزائر أو في الهند لقتلوه فلنا ان نقول انه لم يرتق في البلاد الإسلامية الا مسلمو الهند الذين أثنوا على هذا الخطيب ووقروه، لأن له مزايًا يتفهم بها في العمل الملي الذي يجمونه، فإذا اعتقد أهل السنة منهم انه أخطأ في تمليل جمل اعتزال الأعمال العامة من الدين بأنه الاقتداء بفضلاء الصحابة وأخطأ باسناد عقيدة الجبر إلى الامام الأشعري فهم يثرونه بأنه قال ما يعتقد بإخلاص ولا يمكن ان تظهر الحقائق في قوم لا حرية عندهم في العالم بل يظهر اعتقاده. ومن الغريب ان ترى البلاد التي يدعي أهلها اتباع السنة يفتنون



اعتصم علماءها بحيوة النقيّة التي يعيرون بها اخوانهم الشيعة ويحتجون عليهم بأن  
من يقول بالنقيّة لا يوثق بعلمه ولا بدينه اذ يجوز ان يكون كل ما يظهره مخالفا لما  
يستقده عملا بالنقيّة . ومن تراهم يتقون ؟ يتقون العوام الجاهلين المقلدين لهم . اليس  
من أعجب العجائب ان العالم يتبع الجاهل فأقول له تعاليد وخرافاتك ليكون راضيا عنه  
وسبق مظهرا ومكرما له ؟؟

قد علم ان المرض الاول من الامراض التي ذكرها رئيس المؤتمر يتعلق بالاعتقاد  
والمرض الثاني يتعلق بالأخلاق والأعمال والمرض الثالث يتعلق بالمعادات والأعمال  
[ ولذلك رتبناها هذا الترتيب المخالف لترتيب الخطيب ] أما المرض الرابع فهو خاص  
بالسياسة وهو احتكار الخلافة والإمارة في بيت مخصوص يتوارثها أفرادها . وقد صب إثم هذه  
الجرعة على بني العباس الذين من قوا شمل الأمويين ثم العلويين ، وكادوا يفنونهم اجمعين ،  
والقاري يرى في هذا من الظنّة ما يرى فيها سبقة . ولكن مجموع الخطبة يبرئ الخطيب من  
سوء القصد في كلامه كله فقد اتى على عمرو بن العاص الذي كان عضد معاوية وساعده ويده  
التي تناول بها الخلافة وساد على العلويين من أول الأمر — نعم انه لم يثن عليه بهذا  
العمل ولكنه أثنى عليه بالسياسة الحكيمة التي لا يغمص حقه فيها بصير وان كان مثلي  
من صميم العلويين . بله ثناءه على الخليفة الثاني وعلى الصحابة كلهم في الجملة .  
وحاصل القول ان الخطيب أحسن في كلامه وأبان به عن عقل وبصيرة واستعداد  
لرياسة المؤتمر وان كان في بعض القول مجال ، لمن لا شغل لهم الا القيل والقال ، وهم  
بمعزل عن الأعمال .

أما متبحة المؤتمر التي وجه عنايته اليها فهي إنشاء مدرسة كبرى في مدينة كوتور  
التي تورد الأمكنة أو جعل مدرسة عليّكده كذلك . وقد قدر الرئيس في خطبته  
نصفه لإنشاء هذه المدرسة بمئتي مائة روبيّة . إن إنشاء كوتور  
وما أجل قول الخطيب : ألا تشترون مجد الإسلام بمئتي مائة روبيّة ؟ أهذا  
الذي كنتم ؟؟ ومن بعد فكمه وصائب رأيه أنه ذكر في هذا المقام صلة مسلمي الهند  
بالمسلمين والأيرانيين والأفغانين ، وأشار بوجوب جعل المدرسة الكلية كعبة العلم لجميع  
المسلمين ، كأنه لم يخطر في باله نزغات شيطان «الوطنية» الحقّة ، التي يدعو إليها بعض  
الأحداث في مصر وهي قطع صلات الأمة الإسلامية ومجافة بعض شعوبها لبعض حق  
الذين لهم لذة واحدة في انتمون الى دولة واحدة !!!



هذا الرأي الحميد رأي توفيق نجاح الأمة على المدارس الكلية الجامعة قد نوهنا به من قبل وطالبنا به عقلاء المصريين وأصحاب التأثير فيهم قولاً وكتابةً. وإذا يسر الله تعالى ووفق المسلمين إلى إنشاء كليتين واحدة في الهند وأخرى في مصر فذلك منتهى السعي الحميد في إحياء المسلمين وإعادة مجدهم ولا توجد بلاد إسلامية غنية والتعليم الأهل فيها حر إلا البلاد الهندية والبلاد المصرية. ولا يتم هذا العمل في مصر إلا بسعي مثل السعي الذي في الهند وهو أن يتألف مؤتمر ويكون جميع أفراد دعاة إلى هذا العمل وساعين في جميع المال له من كل مكان. نعم يظهر أن أهل مسلمي مصر أقل استعداداً من مسلمي الهند بالنسبة إلى المجموع ولكن في مصر رجالاً ربما لا يوجد خير منهم في بلاد إسلامية أخرى ولهم أن يجعلوا كليتهم في أول الأمر صغيرة ثم يوسعون دائرتها بالتدريج. وقد سمعت أكبر مرجو فيهم لمثل هذا السعي يقول أنه يمكن الإقدام على العمل إذا تيسر جمع مئة ألف جنيه فقط. ولو اعتبر أغنياء مصر بالسركاسل الانكليزي الذي بذل من ماله أربعين ألف جنيه لأجل دراسة مرض الرمد في مصر ليتيسر لهم بذل ما ينشئ مدرسة كلية تكون حياة قومهم وأمتهم، ومنشأ عزهم وسعادتهم.

### ﴿ تونس — أو حادثة صفاقس ﴾

بينما مسلمو الهند يصفقون لرئيس مجدهم وخطيب مؤتمرهم الإسماعيلي المذهب رجوعاً إلى تساهل الإسلام في الصدر الأول أيام كان الحافظ البخاري يتلقى الحديث عن عمران بن حطان الخارجي وإذا بمسلمي البلاد التونسية يهيجون ويحتمون على مدرس من أهل مذهبهم في الأصول والفروع لأنه أنكر عليهم بعض البدع التي أنفوها وألصقوها بالدين وتكلفوا لهذا الإلصاق ضرراً من التأويل تصادمها معصوص الكتاب والسنة. تلك البدعة أو البدع هي التي أقام «المنار» بها القيامة على أهلها وكتب فيها أكثر من سبعين مرة وهي ما يفعله الجهلاء عند قبور الأولياء، من التضرع والدعاء، والاستغاثة والاستجداء، والطواف والاعتكاف، والتذلل والاستعطاف، والقيام والقعود، والركوع والسجود. وما رخص الدين في زيارة القبور بعد التهيئ عنها ليدعى أربابها من دون الله، ويقول المأول «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» ولا لينسخ بهم قوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» وقوله «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» الخ الخ الواقعة هي أن عالماً مدرساً في مسجد صفاقس اسمه (الشيخ محمد شاكر) كان



يقراً عقيدة التوحيد فلما انتهى إلى وحدانية الأفعال التي يكاد يكون الكلام عليها في بعض كتب العقائد جبراً محضاً نهى عن بدع القبور، والاستمانه بأهلها والتقرب اليهم بتقديم النذور، فكبر ذلك على الذين يأكلون تلك النذور فوشوا ومحلوا وحرفوا وتمحلوا، ورفع الأمر إلى المحكمة الشرعية ثم إلى العامل الذي في صفاقس ثم إلى الوزارة في الحاضرة (تونس) فحكم بعزله من التدريس في جامع صفاقس وانتطوى في جامع الزيتونة وقد ذكرت الواقعة بعض الجرائد المصرية نقلاً عن جرائد فرنسية وذكرت أن قاضي تونس ومفتيها اللذان طالبا من الوزارة عزله وما ظن ذلك صحيحاً وإذا كان القاضي والمفتي وشيخ الجامع الأعظم لم يسموا بعزل هذا المدرس تبي قرر التوحيد ونهى الناس أن يستعينوا بغير الله على أمور دنياهم أمّا كان يجب عليهم أن ينصروه ويعززوه؟ إلى ومن هنا تعرف الفرق بين تونس والهند بل بينهما وبين مصر فأننا قررنا هذه المسألة وشددنا فيها التأكيد في الجريد الحسيني وكان يحضر درسنا كثير من العلماء والفضلاء فالتصير أحد من حضر ومن لم يحضر لبعض الجهات الموقر الذين كبر عديهم ما قررناه ولا سمعنا كلمة تخففة من شيخ الأزهر ولا من مفتي الديار المصرية ولا من غيرها من كبار العلماء.



ولابد أن يكون تشديد التوزيع في ذلك مبنياً على ما كان ينبغي أن يكون درس ذلك المدرس أحدث شفاً وهيجاء في العامة والسياسة مبنية على مراعاة أمر العامة بالحق وبالباطل. وإن كان الذي يجب منه هو رد المسألة إلى الحكومة (الفرنسية) بإضطرار رجل صالح كهذا المدرس يحاول هدم مناشي الخرافات التي نشأت منها تعصبات أهل الطريق الذين يرددون الحكومات في تقديراً وهم خطر دائم عليهم وعلى قومهم ولا علاج لها إلا أن ينادى الديني الصحيح الذي يهدم تلك الساحة أو يرشد أهلها إلى الحق الذي يعرفون به أنفسهم فلا يكلفونهم العمل بالبدع أهلاً له وقد جاءتنا جريدة فرنسية تونسية تشرح مسألة صفاقس وتبين خطأ الحكومة في إيواء مدرسيها في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى.

### ثورة سرا كش ونبأ عظيم

لا تزال الثورة تنهت في بلاد سرا كش وتترسأ على الحدود جيش جرار وقد أرباب بعثة عسكرية إلى سلطان سرا كش فتقوى بذلك نفوذها عند على نفوذ الكتلة أما البنا العظيم الذي حدث أخيراً فهو أن البرقيات أفادت اليوم أن حكومة المغرب اللاحقة



قد اقترحت من مصرف ( بنك ) فرنسا والبلاد الواطئة ( هواندا ) سبعة آلاف ألف وخمسة مائة ألف فرنك ( ٧ ملايين ونصف ) بفائدة ستة في المئة . قال ( روتر ) : ولما كان السلطان هو الكافل لهذا القرض فالتبادر أنه حيلة سياسية يقصد بها زيادة نفوذ فرنسا عنده : وهذا وإن من عرف حال الأوروبيين في الاستعمار يعلم أن الاقتراض . مبدأ الاقتراض . أي أن الحكومة الشرقية التي تقترض من دولة أوروبية تقرض حكمها باليد التي تعطى المال . وكأن هذه الحكومات الجاهلة لا بد أن تهدم سلطاتها بأيديها . وكأن بلادها لا تحمي إلا إذا ماتت موتة . وكأن الله قضى أن لا تكون حياتها . إلا على أيدي من تسميهم عدائهم . لا على أيدي كبارها وساداتها . ولا يشترط أن تكون أمانة الأجنبي لنا . قصوداً بها الإحباء . فيقال لنا أحسننا الظن بالاعداء .

### ﴿ المنار في السودان ﴾

كان المنار يرسل الى بلاد السودان فلا يلقى معارضة ولا منعا وفي أثناء هذه السنة ( الخامسة ) صار يشكو اليها بعض قرائه من احتجاب بعض أجزائه ووصول بعض . ثم كتب اليها بعض من طلب الاشتراك وأرسل القيمة أنه لم يصل اليه شيء من الأجزاء . فقلنا صاحب السعادة حاكم السودان العام السردار السرونجيت باشا وشكونا اليه ذلك شفاهيا وقدنا مع ذلك عريضة الى وكيل حكومة السودان باشكوى الرسمية فصدر الأمر في أول رجب من هذه السنة بالإذن للمنار في دخول السودان وعدم معارضته وكنا أمسكنا عن إرساله فعدنا اليه . وكنا نظن أنه يصل في أوقاته ولكن لم نلبث أن علمنا من بعض من طاب الاشتراك في تلك البلاد وأرسلنا اليه المنار أنه لم يصل اليه فكتبنا ثانية الى وكيل حكومة السودان نعلمه بذلك لانه ظهر لنا أن الحكومة السودانية لم تأمر مكاتب البريد بعدم المعارضة فورد اليها الجواب الآتي بنصه :

نمرة ٢١٨٤ إدارة وكيل حكومة السودان

٨ في ٢٦ - ١ - ١٩٠٣

حضرة العلامة الفاضل منشي جريدة المنار الغراء

« علم بما أفضتكم به بجوابكم المؤرخ في ٢٢ يناير الجاري وتفيد حضرتكم بأنه »  
« قد صدرت الإشارات اللازمة لعموم الجهات بعدم منع جريدتكم ( المنار الغراء ) »  
« من الدخول الى السودان فاقضى ترقيه الإحاطة » ( الامضاء )



### ﴿ هبة الانكليزي الجواد ﴾

نوهنا في النبذة التي كتبناها عن مؤتمر التربية الاسلامي في الهند بان السير ~~كان~~ الانكليزي تبرع بأربعين الف جنيه لتفق على دراسة مرض الرمد في مصر . ونقول الآن ان هذا السخي الجواد قد نحى بهته هذه أغنياء المصريين إذ قال انه تبرع بذلك ليفتح لهم باب البذل في هذا المشروع الذي يقيد هذه البلاد التي يكثُر فيها المرض فيها . ولكن أغنياء المصريين مشغولون بالبذل في سبيل السرف والمخيلة ، عن البذل في المشروعات النافعة الجليلة ، فهم يقلدون الأروبيين في شر مناعيه سفهاؤهم ، ولا ينظرون الى ما يفعله كرمائهم . ويتوهمون أن مدنية القوم بالفجور ، ومعاقرة المحور ، وحب الذات ولو فيما يضر الجمهور . وأنى لهم أن يعقلوا ان الأوربيين ماسادوا على العالمين ، الا بسخاء أولئك المتبرعين ، الذين في أموالهم حقوق لتأييد العلم ، ونشر ألوية السيادة والحكم ، ولعل التقليد يفضي ببعض أغنيائنا الى فهم هذه القضية ، والتأسي بهذه الأريحية ، فذحتسي من كأس التقليد رحيقاً ثمزجاً بتسنيم . بعد ما تجرعنا منه شراب الحميم .

### ﴿ المسلمون في سوريا ﴾

سنوه بحال المسلمين في جميع أقطار الارض وقامنا نذكر شيئاً عن مسلمي بلادنا السورية . وماذا عسانا نذكر عنهم غير البؤس والحرمان من الترقى في العلم والعمل . وقد كتب بعض كتابهم الفضلاء حجة في تقرير كتاب ( الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ) بلغ بها شأواً بعيداً في فن الاحتراس عند ما أثني على الكتاب وكتبه ونشره وطابعه . فدلنا ذلك على الفرق البعيد بين مسلمي مصر ومسلمي سوريا

### ﴿ مأثرة حميدة ﴾

أمرنا مولانا السلطان الأعظم ( أيده الله تعالى ) بمنع المسلمين من الجلوس في الحانات والمجاهرة بشرب الخمر وأوجب معاقبة المخالف . فمضى ان يعتني الحكام والشرطه بتنفيذ هذا الامر بالدقة والإحكام

### ﴿ حج سلطان زنجبار ﴾

توجه في هذه السنة سلطان زنجبار الجديد الى الحجاز لاداء فريضة الحج فدعوا الله تعالى بأن يوفق سائر السلاطين والأمراء لمثل ما وفق اليه ، وان يكتب له السلامة في هذا السفر الشريف الذي امتاز به على أقرانه



# المسحاة

١٣١٥

فقدت عبادي الدين يستمعون القول  
بأنهم من أتباع الله أو الذين  
الله وأولئك هم أولو الألباب

بأنهم من أتباع الله أو الذين  
الله وأولئك هم أولو الألباب

( قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صوري و مئارا ، كثر الطريق )

( مصر يوم السبت ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ - ١٤ فبراير ( شباط ) سنة ١٩٠٣ )

## باب ردة الشبهات عن الاسلام

( السلطان الدينية والمدنية )

نحن المسلمين نعتقد ان دين الله تعالى واحد في جوهره وان البيان  
والهدى فيه اما اختلف باختلاف الأزمنة وان الناس كانوا في كل زمان  
ياخذون من هداية الدين بقدر استعدادهم ، وأن حالة الاجتماع في الأمم  
تتغير كالتغيرات في صناعة نسيج الدين كلها أو بعضها انما تتغير  
من جاء بها وأن أقرب الملل ظهورا من الاسلام لم تسلم من هذه الاضاعة  
وان الاسلام هو الدين الوحيد الذي حفظ كتابه كله وظهر في وقت  
ارتقت فيه حالة الاجتماع حتى يمكننا ان نحكم بأنه لم تتلاش ثمرة من ثمار  
المقول بمد الاسلام وان تتلاشى فهو مبدأ تاريخ جديد في البشر  
قلنا ان أقرب الملل زمنا من الاسلام لم تسلم من الضياع وظاهرا اننا  
نمضي اليهودية والنصرانية فكل من الفريقين قد فقد السند المتصل لكتبه  
( ١٠٥ - الثاني )



المقدسة فهو غير موجود قولاً ولا كتابة . وهذا هو المراد بقوله تعالى  
 فيهم أوتوا نصيباً من الكتاب « وقوله عز وجل في كل منهما « ففسوا  
 حظاً مما ذكروا به » والحظ بمعنى النصيب أي أنهم حفظوا بعض ما  
 أوتوه ونسوا بعضه . ومتى ذهب بعض الدين صار الباقي غير موثوق به  
 وإن سلم من التحريف فيه والإضافة إليه فكيف إذا لم يسلم . وقد أنزل  
 الله تعالى القرآن « مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه » والمراد  
 بالكتاب الجنس والميمن المراقب الذي عنده نأ ما يرقبه فما صدقه  
 القرآن من تلك الكتب فهو من النصيب الذي أوتوه ، وما أخبر به وليس  
 موجوداً فهو من الحظ الذي يسود ، وما كذبه فهو مما زادوه وأضافوه  
 فهو الحكم المدل ، وإنه لقول فصل وما هو بالهزل ،

وكان الواجب أن يحكمود فيما شجر ، وينتهوا عما نهى ويأثمروا بما  
 أمر ، وكذلك فعل الموفقون ، وصد عنه الآخرون ، والسبب في الصدود  
 هو السلطة الدينية التي جعل ذروها الدين لمصلحتهم تقايدياً محضاً عقود عقائده  
 بأيدي الرؤساء مثل الأخبار والأئمة يقادونها الناس ويحمونهم سواها  
 وينشئون الأحداث ، من الذكران والإناث ، على اعتقاد وجوب التسليم  
 لهم ، والرجوع في كل أمر الدين إليهم ، ولا يزال أثر هذه التنشئة ظاهراً  
 فيمن يربي في مدارس القسيسين فتراه يناظر في المسألة فإذا قامت عليه  
 حجتك قال إن هذا الذي تقول ، ظاهر في نفسه ومقول ، ولكنه من  
 أمر الدين والقسيس يقول بخلافه ولا قول في الدين إلا ما يقول القسيس ولا  
 يشترط أن يكون قوله معقولاً ولا مفهوماً !!

فإذا قال النصراني إن السلطة الدينية مثار التعصب الذميمة ، ومبمته



العداوة والبغضاء بين الجيران والأقربين، والحجاب دون المساواة بين أهل الوطن الواحد في الحقوق، والقيود الذي تقيد به الإرادة والعزيمة، والنفل الذي يفأل به المتفل والفكر، = فالمسلم يصدق ولا ينازعه يصدق حامداً لله تعالى أن ليس في دينه طائفة جعل لها الإسلام حق السيطرة على العقول والأرواح نودع فيها ما تشاء وتحرمها ما تشاء وتصرف في المسلمين باسم الدين كما تشاء. ثم يلتفت فيرى أن المسلمين الذين قلّدوا الرؤساء الروحيين عند النصارى لم يلبثوا أن صار لهم سلطة حقيقية منتظمة يحاسبون بها الأفكار على خواطرها والعقول على معارفها بل هؤلاء هم الذين كانوا يتسامحون مع الفكر والخيال مالا يتسامح غيرهم ويعدون كل معرفة تقرب من الله تعالى لأنهم يقولون : إن الله طرائق ، بعدد أنفاس الخلائق ، ثم يلتفت من جانب آخر فيرى أن هؤلاء المتأدين في السلطان الروحاني لا تعظم سلطتهم الا حيث يصغر العلم بالدين ، ولا يقوى نفوذهم الا حيث يضعف نفوذ الحكم الاسلامي ، وما عندهم سلطان في مكان ، الا وكان وبالاً على المسلمين والاسلام ، فان كنت نسيت حوادث مهدي السودان ، فأمامك حادثة خارجي مراکش الآن ،

للعلماء والمقلاء ، والكتاب والخطباء أن يقولوا في السلطة الدينية النصرانية ما شاؤا ، ولهم أن يسموا في فصلها وإبعادها عن السلطة المدنية ما استطاعوا ، فإنها سلطة كانت ولا تزال ضارة حيث وجدت وتوجد وكان معظم ضررها أيام كانت مقرونة بالسلطة المدنية . لهم ان يسموها سلطة فان لها في كل مملكة رئيساً عاماً يولي سائر الرؤساء في المملكة وهؤلاء الرؤساء الذين هم أركان سلطته منبثون في كل مدينة وفي كل قرية



ولا يوجد حكماء مدنيون في جميع القرى والمزارع كما يوجد هؤلاء الحكماء  
الروحانيون . ولهم أن يقاروا هذه الحكومة ويقاوموها ، ولهم أن يخفوا  
من شوكتها ، ويفقهوا من صوابها ، ولهم أن يقولوا إنه لو لا فصلنا عن  
السلطة المدنية ، أأنتما نسيم الحرية ؟ ولهم أن يعذروا الأمة الفرنسية ؛  
إذا حاولت اضطلام هذه السلطة بالكلية ؛ المسلم يعذرون في كل هذا لأنه  
من الإصلاح الذي جاء به الاسلام كما ألفنا في صدر هذا المقال فمن لم يأخذه  
من الاسلام مباشرة فله أن يأخذه من نظام الفطرة إذا هداه العلم اليه وما  
الاسلام الا دين الفطرة الهادي الى نظامها وستن الله فيها

ومن الظلم البين ان يرمى الاسلام نفسه بتقرير السلطة الدينية المعروفة  
عند النصارى . والاسلام هو الذي أبطل كل سلطة يكون بها فريق مسيطر  
على روح فريق وحاكما على حرية في غير ما يحرمه الشرع على كل رئيس  
ومرؤس او لطالب به كل رئيس ومرؤس . ان الذين اتبعوا سنن من  
قبلهم وقلدوهم في مثل هذا الامر لم يتقنوا التقليد وكان روح الاسلام مانعا  
أن يلبسوا منه كل ما أرادوا . ولكن الاسلام لم يسلم من أعداء يلصقون  
به كل عيوبهم ويقولون عليه الكذب وهم يعلمون ، نعم أنهم يعلمون أنهم  
يخلقون عليه إفكاً لأنهم اضطلموا على ما كتبنا وكتب بعض الأئمة في بيان  
نفي هذه السلطة ثم يفتأون يعميرون الاسلام بها ولهم غرض يرمون اليه  
وراء تشكيك المسلمين في دينهم وتغييرهم منه وقد اشرنا اليه في مقال مضى  
ووعدنا بيان الحق فيه كما بناء في غير ذلك من شكوكم وشبهاتهم

( شاهد في الموضوع من منار السنة الاولى )

صدرنا العدد ٧٢ من منار السنة الأولى بمقالة في ( سلطة مشيخة



(طريق الروحية) قلنا في أولها : « لقد أتى على الإنسان في طور جماعته أدوار ؛ وصرت عليه أجيال وأعصار ، وهو مغلول إلا برادة ومقيد الجوارح بسلطتين عظيمتين قويتين لا قائمتين عليهما النبوة التامة في أفراد ، والتسرف المطلق في آحاده ، وهما سلطة الدين وسلطة السياسة -- أو كما يقول أهل العصر -- السلطة الروحية والسلطة الزمنية »

ثم قلنا بعد كلام في حال هاتين السلطتين وتأثيرهما وحال الأمة التي تحكم بهما ما نصه :

« وبالجملة إن أمة عندما شأنها تكون دائما متقلقة كمدح الراكب لا تثبت على حال ولا تستقر على شأن . وجميع ما انتاب الأمم من رفقة مخيضة وعلم وجهل وسعادة وشقاء فقد كان مرجعه إلى تصرف الأوصياء والعاكفين ، والرؤساء الروحيين ، واتد كان الشر أغلب على الإيمان من الخير والشقاء أشمل لها من السعادة لأن الرئيس القاضى الحكيم لا يمان من المثار وإذا عثر عثر معه الأمة وهوت وقد يهدم الرئيس الجامع القوي في مدة قليلة ، ما بته الحكماء في الأجيال الطويلة ،

ولهذا كانت سمادة البشر موقوفة في نيلها أو كآلها على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية (المدنية) وجعل الناس فيها شرعا (أي - واء) لامرية لرئيس على مرؤس الأئمة يمتاز به المرؤسون بمصهم على بعض وبما لا تقوم الرئاسة بدونه كوجوب الطاعة للإطان ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون . ولكن لم تأت شريعة سماوية ولم يوضع قانون بشري لهذا التحديد والامساواة حتى جاءت الديانة الإسلامية فحدثت الشرعيتين (المدنية والروحية) مما أوجعات الناس ففهموا - واهل الفضل لأحد



على أحد إلا بالعلم والعمل ، واقتضت جذور الطاعة العمياء وبينت ان الدعوة الى الحق لا تكون الا بالحجة والبرهان بمثل قوله تعالى ( قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ) فسر العلماء البصيرة بالحجة الواضحة . وقوله تعالى « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

« وبناء على هذا كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم الراي فأتين : هل هذا شيء فله من عندك يا رسول الله أو نزل به وحي ؟ فان قال هو من عندي جاؤا بما عندهم من اراي وربما رجع النبي الى رأيهم كما جرى في بعض النزوات (منها بدر وأحد) . وأوقف أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الامام علياً مع رجل من آحاد يهود الحماكة وعاتبه على بمد الحماكة بأنه لم يسار بينه وبين خصمه لأنه كآه وسعى خصمه وفي التكنية تمظيم وتمظيم أحد الخصمين ولو بمثل هذا منافي للعدالة والمساواة . وراجعت امرأة عمر وهو على المنبر في مسألة تحديد المهر محتجة عليه بآية « وآتيتن إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » فقيل : أصابت امرأة وأخطأ عمر : « وأبلغ من هذا ان النبي عليه الصلاة والسلام ظمن سواد بن غزيرة

بقدح (سهم لا ينصل له ولا ريش) في بطنه وهو مكشوف ليستوي في الصف يوم بدر فقال : قد أوجمتني فأقذني : فكشف له عن بطنه ليقتص منه فطعن فتمسح به وكان ذلك منه توسلاً للتوصل الى هذا الشرف العظيم . وأذن الناس قبل موته بأن من له حق عنده فليطلبه واذا كان نحو ضرب فليقتص منه وأذن لرجل أن يضربه حين ادعى انه ضربه يوماً فقال الرجل : انني كنت عاري الكنف أو الظاهر : (شك من الراوي) فأتى له الرداء عن عاتقه الشريف وكان شأنه في ذلك شأن سواد بن غزيرة .



« والنتيجة ان الاسلام قرر المبودية لله وحده والحرية في ضمن دائرة الشريعة والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات وإطلاق الارادة واتكبر من سلطة كل زعيم وسيطرة كل رئيس روحي ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبدا كاملا لله حراً كاملاً بالنسبة للمساواه »  
 هذا بعض ما قلناه في المسألة من نحو خمس سنين وبعده كلام في سلطة مشيخة الطريق كيف ظهرت وماذا أعقبت

( بحث الدلائل على نفي السلطة الدينية في الاسلام )

(١) أقوى الدلائل على أنه لا سلطة دينية في الاسلام كما في النصراية تحديد وظيفة الرسول في القرآن بأنه مبلغ لا مسيطر ولا وكيل ولا جبار على الناس قال تعالى « إن عليك إلا البلاغ » وقال عز وجل « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء » . قال تبارك شأنه « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقال عز اسمه « وما أنت عليهم بجبار » وقال تعالى جده « قد ذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال جل جلاله « وما أنت عليهم بوكيل » فأين هذا كله من ملة يدعي رباً أوها أنهم وكلاء الله في الأرض . هل يقاس القبض على الزمخشري ؟

(٢) سيرة النبي عليه السلام فقد سمعت أنفا أنه كان يقيد من نفسه ويرجع عن رأيه الى رأي أصحابه . وأعجب من هذا أنه رجح الرأي الموافق لرأيه في مسألة أسرى بدر وكان الرأي الآخر هو الاصلح فمات به الله عتاباً شديداً حتى بكى عليه الصلاة والسلام

(٣) سيرة الخلفاء الراشدين كما سمعت أنفا عن عمر وبوثر مثله عن سائرهم ولم تكن سيرتهم في المساواة وفي تحكيم الأمة بأنفسهم من مزايام



الشخصية وإنما هو شيء أخذوه من القرآن ومن السيرة النبوية كما علمت  
وإنما زعمهم أنهم فهموا الإسلام كله وكانوا أشد من غيرهم غيرة عليه وعملابه .  
(٤) لو كان الإسلام شرع هذه السلطة المروفة في الملل السابقة عليه من  
البوذيين والبراهمة والاسرائيليين والنصارى أو أجازها لوجد لها في المسامحة  
نظام ورؤساء كما وجد عند غيرهم ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد وإنما وجدت  
طائفة تصدت للتربية والإرشاد ثم انقسمت إلى طوائف وجماعات ولم يكن لهم  
سلطة على أحد وإنما يقبضهم من شاء باختياره ولم يسلموا مع ذلك من رمي  
الفتناء لهم بالانحراف عن الدين ومن تفريق الأحكام شملهم ولذلك لم يكن  
لهم ظهور إلا حيث يصف علم الدين وحكمه كما قلنا آنفاً . وأما لقب  
« شيخ الإسلام » فهو من اختراع الملوك والأمراء الذين يمدوا عن المظهر  
الديني فاستعانوا بمن له هذا المظهر لأجل الأثر في نفوس العامة المقلدين  
نعم إن السلطة الدينية وجدت على حقيقتها في طائفة الباطنية ثم  
وجدت لهذه الطائفة حكومة مدنية في المبيدين ( الفاطميين ) ولكن  
مذهب الباطنية ليس من الإسلام في شيء ولذلك لم يستطع المبيدون أن  
يؤيدوه بسلطتهم تأييداً ظاهراً فيقال إن السلطة الدينية قد اجتمعت مع  
السلطة المدنية في طائفة تنتمي إلى الإسلام في الجملة . فلم مما تقدم أنه  
ليس في الإسلام سلطة دينية فها هذا الذي يعيب الإسلام به بعض كتاب  
النصارى وما هذه النصائح التي توجهها تلك الأفلام إلى الأمة الإسلامية  
لتقنمها بوجوب الفصل بين السلطين الدينية والمدنية ؟ الجواب أن المراد  
بذلك أن يترك المساءون شريعتهم كما يعلم من الفصل الآتي



حجج الشريعة والدين في الإسلام

جري عرف الكتاب الأوربيين ومن تبعهم من الشرقيين لاسيما كتاب النصراني بأن يطلوا اسم الدين على ما يتعلق بالاعتقاد بالله وبالوحي وما يمد به من أهوار الغيب وما يفرضه من العبادة ويخصوا كلمة الشريعة بما يتعلق بالمعاملات والاحكام القضائية والمدنية والسياسية . وكل باحث في التاريخ من هؤلاء الكتاب يدلم ان الاسلام جاء بدين وشريعة ومن ذلك قول بعضهم : ان محمدا (عليه الصلاة والسلام) كوّن في عشرين سنة أمة وجاءها بدين وشريعة ولم يتفق لغيره في العالم الجمع بين هذه الامور الثلاثة : فهو هؤلاء يعلمون ان الشريعة قسيمة الدين في الاسلام وان ما يدين به المسلم ربه وما يعامل به الناس كله مقتبس من نور واحد وهو نور الوحي الذي أوحاه الله الى محمد عليه الصلاة والسلام

لا فرق في الاسلام بين القسم الديني البحت والقسم الشرعي الا في شيء واحد وهو ان الاعتقاد والعبادة لما كانا لا يختلفان باختلاف الزمان والمكان وأحوال الأئمة وجب الاعتماد فيهما على الوحي في الجملة والتفصيل والسكيات والجزئيات . وأما المعاملات الدنيوية فلاختلافها باختلاف ما ذكر قد وضع الاسلام لها قواعد كلية وأصولا عامة وفروض استنباط الجزئيات التي تحدث الى أولي الامر العارفين بمقاصد الاسلام وبأصوله العامة وقواعده الكلية فهم يبينون الاحكام بالشورى في كل ما يحدث للناس من المصالح استنباطا من تلك الاصول والقواعد . قال تعالى يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » فذكر أولي الامر بصيغة الجمع . وقاله ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلهم



الذين يستنبطونه منهم» ذكر أولي الأمر بصيغة الجمع أيضا وأناط بهم استنباط الحكم الذي يحتاج اليه أو يتنازع فيه

ثم ان الاحكام الشرعية المنصوصة او المستنبطة تحتاج الى منفذين ولا بد ان يكون لهؤلاء رئيس لئلا تكون الأمور فوضى وقد سمي الرئيس الاول في الاسلام بعد وفاة النبي صلى عليه وسلم خليفة له وسمي من بعده أمير المؤمنين واستمر هذا اللقب ووظيفة هذا الرئيس حماية الدين وأهله وتنفيذ أحكام شريعته فليس هو مسيطر على الناس في دينهم ولا مستقلا بوضع الاحكام الشرعية لهم وإنما هو حافظ للنظام؛ ومنفذ للأحكام؛ وسلطته هذه كإحدى مدنية شورية، لا مطلقة ولا استبدادية؛ ولكن الاسلام أوجب عليه أن يعمل بالشرع وحرّم عليه أن يكون شارعا بنفسه وأوجب طاعته بالمعروف، كما أوجب على الأمة إزالة سلطانه ان حملها على غير المشروع؛ فصح بهذا الاعتبار أن يقال ان السلطة المدنية في الاسلام مستندة الى الدين أو انها سلطة دينية. ولكن لا يصح أن تشبه بالسلطة الدينية عند غير المسلمين ولا أن يجعل صاحبها جامعا بين سلطتين إحداهما على الأرواح والمقولات والثانية على الأجسام والأعمال

هذا هو ديننا وهذه هي سلطته فبماذا يطالبنا ذلك الكاتب النصراني وبماذا ينصح لنا؟ هو يطالبنا بأن نجعل رئيسنا المدني شارعا ومنفذا لما يشرعه لنا من الأحكام وينصح لنا بأن نترك شريعتنا القائمة على أصول ديننا ونزعم أن بناء الشريعة على قواعد الدين وجعل الأحكام حماة للدين ومنفذين له هو الذي أزال الدولة العباسية، وفرق شمل الأمة الإسلامية، ومن رأيه ان المسلمين لا ينجحون ولا تقوم لهم قاعة مادام سلاطنتهم مكفلة



بالعمل بشريتهم الدينية وتنفيذها!!!!

لوجمت كل ما ورد من الكلام في جميع اللغات ايدل على . حتى التعجب  
وأضفت اليه كل أمارات التعجب ودلائله في الحركات والاشارات المضوية  
والقلمية وقدرت على تصوير جميع أنفعالات المتعجبين وتأثراتهم النفسية  
وألصقت ذاك كله بهذه النصيحة النصرانية للأمة الاسلامية لما وفيت حق  
البيان في كونها عجيبة غريبة مذهشة للمتعبين !!

( شبهات المشكك )

(١) يقول هذا الناصح الأمين، أو المشكك في الدين : إن غرض الدين في  
الأرض مناقض لغرض الحكومة في الأرض فكيف يجمع الإسلام بين  
التقيضين؟ ونحن نقول له ان الإسلام جاء للاصلاح في الأرض وكل ما  
يناقض الاصلاح فهو إفساد يجب إزالته فالواجب أن يكون غرض الحكومة  
الاسلامية موافقا لغرض الدين الإسلامي . وما لا خلاف فيه بين  
فقهاء الاسلام أن أحكامه الشرعية كلها مبنية على قاعدة « درء المفاسد  
وجلب المصالح » فأي حاكم من - كما نأقدر ان يأتي بشرع اصليح من هذا  
الشرع اذا نحن تركناه عملا بنصيحتك وجعلنا الحاكم هو الشارع ؟؟؟

(٢) يقول الناصح الامين : أو المشكك في الدين : إن من التناقض بين  
وظيفة الدين ووظيفة الحكومة أن الدين وضع قواعد وتقاليد للمقل وطرقا  
لسير الفكر فقيد بذلك الحرية العلمية . والحكومة لا تكلف الانسان بأن  
يسير في فكره على طريق مخصوص وإنما هي حامية لحرية النفس وما  
يتبعها من المال والدم والشرف : ونحن نقول اذا كان دينك كذلك فدين  
الاسلام مناقض له غير مناقض لوظيفة الحكومة التي ذكرتها . وذلك أنه



تقرر فيه حرية العقول فلا يخرج المسلم عن حكمه في عقائده (كما ينبغي في الجزء الماضي) وتقرر أن أحكامه ترجع إلى خمس قواعد يسمونها الشكليات الخمس وقد جمعها صاحب عقيدة الجوهرة بقوله:

وحفظ دين ثم نفس مال نسب ومثابا عقل وعرض قد وجب

(٣) يقول الناسح الأمين، أو المشكك في الدين، : يجب أن تكون الحكومة مساوية بين من تحكمهم وإن اختلفت أديانهم وأن تكون حامية لهم على السواء أيضاً والدين مناقض لها في ذلك : ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا مناقض له لا لما يجب أن تكون عليه الحكومة . وذلك أن المساواة من أصوله وقد أشرنا في الفصل السابق من هذا المقال إلى مساواة عمر بين الإمام علي ورجل من آحاد اليهود ومطالبة علي له بالمساواة في القرب أيضاً وهذه مساواة لم تصل إليها حكومة وإن تصل إليها حكومة إلا أن تكون مقيمة للإسلام على حقه . وأما الحماية فمن الأصول الماثورة في ديننا هذه الكلمة الجليلة « وإن تحميهم مما نحمي منه أنفسنا » وهذه الكلمة الغضبية « لهم مالنا وعالهم ما علينا »

(٤) يقول الناسح الأمين، أو المشكك في الدين، : إنه ليس من شأن السطة الدينية، الدخول في الأمور الدنيوية؛ لأن الأديان شرعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا . ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا ليس كذلك فانه شرع لييات مصالح الدارين، والارشاد إلى طرق السعادتين، فكيف تحكم على الأديان كافة بما تعتقده في دينك هو هل كنت أنت الواضع للأديان كما تقول إني وضعت دين الإسلام هكذا أيضاً وأهله قد زادوا فيه فانا الآن أطالبهم بالرجوع إلى الأصل؛ إن المسلمين



لا يقبلون منك ذلك لان ائمتهم عرفوا الدين بأنه وضع الهى سائق لتدوي  
 القول السليمة باختيارهم الى ما فيه صلاحهم فى الحال ؛ وفلاحهم فى المآل ؛  
 (ه) يقول الناصح الامين ، او المشكك فى الدين ، : ان الجميع بين السلطين  
 يضمن الامة ضعفا مستمرا لانه يقتضى اضطهاد العقل والذكا . ويعرض  
 الحكومة لثورة الامة بانغمراء عدو يثيرها عليها ويكون سبب للشقاق  
 الدينى بين الطوائف التى تتألف منها الشعوب ويعرض الدين لأكاذيب  
 السياسة ومفاسدها . ونحن نقول ان كل هذا قد وقع فى دينه فلا ننكره  
 وإنما ننكر قياس ديتنا عليه وهو مبين له . وحسبنا ان الذى وقع عندما  
 هو تقيض ما وقع عندهم فان الحكومة الاسلامية التى يسميها جما بين  
 السلطين ( وقد فهمت . منها ) قد أعطت الامة قوة لم يقاوها فيها أحد  
 فى زمنها وما ضعفت الامة الاسلامية الا بضعف الشرع وعدم إقامته  
 وهذا أمر لا خلاف فيه . وكذلك لم يضطهد العقل والذكا . فى الاسلام  
 فى عصر اقامة شريعة الاسلام وانما وقع شبه اضطهاد بعد ضعف الشرع  
 والتهاون فى تنفيذه . اما اثورات التى يخافها الناصح على الحكومات  
 الاسلامية اذا بقيت على شريعتها فهي أجدر بالوقوع اذا خرجت الحكومات  
 عن الشريعة لأن اخرج على السلطان لا يجوز فى الاسلام الا اذا خرج  
 السلطان من الاسلام بترك الشريعة واذا أخطأ قالوا يجب ان ترجعه الامة  
 عن خطاه بالمعروف : قال صاحب عقيدة الجوهرة :

|                         |                            |
|-------------------------|----------------------------|
| وواجب نصب إمام عادل     | بالشرع فاعلم لا بنظم العقل |
| فليس ركنا يعتد فى الدين | فلا تند عن حكمه للمين      |
| الا بكفر قاتلن عهده     | فانه يكفينا اذاه وحده      |



وأما الشقاق الديني بين الطوائف والمال فلم يهد في بلاد الإسلام أيام إقامة الشريعة والعمل بها بل كانت الطوائف في هدون وسلام لأن الدين يوجب ذلك وكان معمولاً به . والذي يوجب الشقاق هو جعل الدين مصلحة لرؤساء مخصوصين يناهض كل رئيس بطائفته سائر الطوائف فهو الصق بالفصل بين السلطين وجعل كل واحدة مستقلة لها رؤساء يدبرونها منه بالجمع بينهما خصوصاً جمع الإسلام بالمعنى المتقدم . وقد ذقت الأمة النصرانية بأس هذه الرياسة وكانت هي التي ابتدعت الحرب بين طائفتين من أهل دين واحد للخلاف في الدين . ولو لم يكن لكل طائفة رؤساء مخصوصون لما وقع شيء من ذلك . وقد سرت عدوى النصرانية إلى غيرها وأصاب المسلمين شرر تلك النيران فحدث بن أصحاب المذاهب شيء من الشقاق لتصب كل طائفة لآمام مخصوص وعلماء مخصوصين . وقد علمت أن رجال الدين لم يهتم لهم في المسلمين رياسة لأن طبيعته الإسلام تأتي ذلك ولهذا لم يهتم النفور والشقاق بين أصحاب المذاهب الإسلامية كما عظم بين أرباب المذاهب النصرانية . على أن المذاهب المتعددة في الدين هي مخالفة لوضع الدين لأنها تفرق فيه والله يقول « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ويقول « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » ولكن جاءنا من كتاب النصارى في هذا العصر من يقول أن التفرق إلى شيع من طبيعته ديننا ولا علاج لهذا التفرق إلا ترك حكامنا شريعتنا !!!

وأما تمريض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها إذا كانت الشريعة مستمدة من الدين فهو تقيض المقتول وخلاف الواقع فإن السياسة كما قال الكتاب مبنية على الرياء والمخاتلة ولا علاج للرياء إلا الدين وقد شدّد فيه



الإسلام حتى سماه « الشرك الأصغر » فإذا بُنيت السياسة على قاعدة الدين سلمت وسلم معها الدين وإذا انفصلت من الدين فسدت وأفسدت الدين ولذلك استعاذ منها الإمام كاتب مقالات ( الإسلام والنصرانية ) بما استعاذ ووصفها بما وصف . وقد قلب الحقيقة الناصح أو المشكك فجعل انفصال الحكومة من الدين هو سبب السلامة !!!

الوحدة الدينية . والوطنية

يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين ، ان الوحدة الدينية التي يطالبها الاسلام مستحيلة الوقوع ومحاولتها كان اكبر اسباب الفتن التي حدثت في الاسلام والمسيحية . ويزعم ان البشر قد ارتقوا عن طلب الوحدة الدينية التي كانت عامة فيهم الى الوحدة الوطنية وتدرج في البيان الى ذكر فرنسا التي ارتقت فيها هذه الوحدة الجديدة التي حصر فيها سعادة البشر حتى حكمت بابطال مدارس الرهبنة وحتى حرمت على رئيسها ذكر اسم الله تعالى أو ذكر العناية الالهية في خطبة . وههنا شمر بأن هذا التدريج قد أنهى به في هوة الباطل فماد يعترض على هذه « الطريقة الجديدة » ويذكر من مفسدها . وهكذا شأن من يهرف بما لا يعرف . وقد استدلل على استحالة الوحدة الدينية بما كان في أوروبا من المفسد والفتن بسببها وبعدم نجاح البابا فيها وبسعادة أوروبا بعد إقامة السد بينهما وبين الأحكام . ثم جرى على عادته في تشبيه الاسلام بالنصرانية فزعم ان الذي أسقط دولة بين المباس هو عجزهم عن حفظ الملكية بالوحدة الدينية وعدم اهتمامهم الى الوحدة الوطنية !!! سبحانه الله ما أعلم هذا الكاتب بالتاريخ وما أقدره على استخراج طبائع الملل منه !!!



خبرونا أيها المؤرخون والمطالعون على كتب التاريخ أي مؤرخ قال  
 ان سبب سقوط بني العباس هو حكمهم بالشريعة الاسلامية أو قال ان  
 أصحاب الملل المختلفة في بلادهم كانوا ساخطين على الحكم بالشريعة  
 وطالين أن تستبدل بها قوانين غيرها يرضها الحكام أو المحكومون وأنهم  
 لذلك ثاروا على الدولة حتى أقطوها بالحروب الأهلية التي ماثرتها المصبات  
 الدينية؛ لم يقل بذلك عالم ولا باحث زانا هو زعيم افتخروا افتخروا اخترعه  
 وابتدعه ناصح المسلمين الأمين أو مشككهم في الدين

لسقوط دولة العباسيين أسباب أهمها أمران ذكرهما مؤرخ الدولة  
 العثمانية الأكبر جودت باشا ناظر العلية ( رحمه الله تعالى ) قال بعدما  
 ذكر فضل المأمون في ترويح العلوم وتوسيع نطاق المدينة مات رحمه  
 « لأنه أخطأ خطأً بيّنا في أمر يتعلق بتدبير الممالك وهو أنه أعطى ولاية  
 خراسان لرجل يسمى طاهراً مكافأة له على قتل أخيه الأمين فأتخذ نيسابور  
 عاصمة لها وجعلها وروثة له ولأعقابيه من بعده فكان ذلك باعثاً على إزالة  
 رهبة الخلافة من صدور العيال ، وسبباً في الخروج عن الطاعة والتزوع  
 إلى الاستقلال ، ثم جاء بعده الخليفة المعتصم فجمع بعض الأحداث من الترك  
 وجعلهم عسكرياً خاصاً به ولما اشتد ساعدتهم خرجوا عن طاعته وأحدثوا  
 ثورات هائلة كما وقع قديماً في عسكر قياصرة رومية »

وظاهر أن ما عمله المأمون مخالف للشريعة الاسلامية ومناف للوحدة  
 الدينية . وإن ما عمله المعتصم كان لا يخلو بأصول الاحكام الاسلامية من  
 الشورى وكفالة الامة للإمام والتعري في تخاذ البطانة فقد قال تعالى « يا أيها  
 الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتم »



الآية • وللمفسرين وجهان في قوله « من دونكم » قيل هم المنافقون وقيل الكافرون • وكان أولئك الأحداث أحد الفريقين فإنهم اتخذوا بطانة ولما يدخل الإيمان في قلوبهم كما علم من مقالات ( الإسلام والنصرانية ) وقد تحقق فيهم قوله تعالى « لا يألونكم خبالا وذكروا ما عثم » ولكن ناصحنا الأمين حرف قول الإمام في هذا المقام إلى فتنة سياسية فزعم أن مراده الحكم بأن الترك والفرس لا يمتد بالإسلام وان الدين خاص بالمرب أي أنه لا يمتد بالإسلام مثل البخاري ومسلم وأبي حنيفة والقرطبي الخ !!!

نعوذ بالله نعوذ بالله

يا حصرة على أعداء الشريعة الإسلامية التمسوا لها عيافها فأعيانهم وأعوزهم، فالتمسوه في المقيمين لها ( كابي بكر وعمر ) فأعيانهم وأعجزهم؛ ففتنوا عنه فيمن انحرفوا عن سراطها فكذبوا فأصابوه وألصقوه بها وقالوا إنها شريعة ضارة يجب تركها واختراع شريعة بدلها !!!

كانت رابطة الوحدة في الاجتماع البشري محصورة في البيوت ( العائلات ) ثم اتسعت فصارت في القبائل ثم اتسعت بناموس الترقى فكانت الشعوب والأمم الكبيرة التي وحدتها الجنسية بالغة أو الدين أو البلاد ( الوطن ) وكان الدين خاصا لا يمتد إلى الشعب الذي وجد فيه إلى أن ظهر الإسلام فان في الأناجيل المعتمدة عند النصارى إلى اليوم أن المسيح عليه الصلاة والسلام قال : « لم أرسل إلا إلى خراف إسرائيل الضالة » وقال « ما جئت لأقضى الناموس وإنما جئت لأتمم » والناموس هو شرع الإسرائيليين الخاص بهم وتتميمه بيان الحق فيما اختلفوا فيه منه وفي بيان أسرارهِ والتوسع في التسم الروحاني منه • وأما ما ينقلونه عنه من أنه قال « اكرزوا بالانجيل



في الخليفة كلها « فهو مخزن لما تقدم في الظاهر ويمكن أن يتفق معه بجمل  
رئيس في الخليفة المعهد أي الخليفة الممبودة وهي الأمة الاسرائيلية حيث  
كانت وأبن وجدت

بعد هذا استمدد البشر بناءه وس الارتقاء الى وحدة أوسع من كل  
ما تقدم - الى وحدة يمكن أن تدخل فيها جميع الشعوب والقبائل والأمم  
والأجناس المختلفين في البلاد واللغات والأديان - الى وحدة لها رابطتان  
(إحداهما) جثمانية اجتماعية عمرانية دنيوية وهي أن يحكموا البشرية عادة  
تساوي بينهم في الحقوق لا يمتاز فيها كبير على صغير ولا غني على فقير ولا  
عربي على عجمي ولا متدين بدين على متدين بغيره (وثانيتهما) روحانية أخوية  
أخوية تختص بمن يحكمهم الاعتقاد الصحيح، المبني على البرهان العصري،  
وهذه الوحدة هي الوحدة التي جاء بها الدين الاسلامي وعمل بها المسلمون في  
المصدر الأول فكان المخالفون لهم في الدين يفضلون حكمهم على حكم الموحدين  
مهم في الدين واللغة والوطن - ولم توجد المساواة ولا العدالة المسيحية الى  
اليوم الا في الاسلام فهذه الدول الاوربية الراقية بالوطنية لا تساوي بين  
ابنائها وأهل مستعمراتها في الاحكام بل ألزمت الحكومات الضعيفة في غير  
بلادها بالخروج عن العدل والمساواة وتميز أجناسها على رعايا كل  
حكومة من تلك الحكومات فالمصري يقتل في مصر اذا قتل أجنبيا ولكن  
الاجني لا يقتل بالمصري - وقد كنا أوضحنا هذا المبحث في مقالة غزواتها  
(الجنسية والدين الاسلامي) المتراجع في المجلد الثاني من المنار - وفي  
أر مجلات السرايا - كثيرة تزيد هذه المسائل المتفرقة وتضد  
القضايا المتعددة في هذا المقال



فحينئذ يجمع ما تقدم ان الوحدة التي جاء بها الاسلام هي أعلى ما  
يرتقي به البشر وأفضل ما يتوجهون اليه ولكن الرياسة الروحية في الديانة  
النصرانية التي جمات الدين مصلحة من المصالح يتفقم بها الرؤساء وخروج  
الحكام المنتسبين للإسلام عن قواعدهما المبدئية المأثورة من انتفاع  
البشر بها واستدك الحرية الدينية ويجمع البشر بالإسلام بين السعادتين،

الموسم

(تكملة الاجتماع الثاني عشر لجمعية أم القرى)

قال (الاستاذ الرئيس) ما نحن أولاء بعد استوفينا قراءة القانون للمرة الثانية أيضاً ولم يستمر كعاليه أحد من الاخوان شيئاً فهل أسم مقروه . فاجاب جميع الاعضاء نعم نقره .  
قال (الاستاذ الرئيس) اتى باللياقة عن هيئة الجمعية أشكر الحاضرة الاستاذ المسكي الرئيس برأعه في حسن ادارة الجمعية كما انني أقدر لاندق التركي ورفقائه واضمي  
سائحه انما تون قدر فضاهم وحسن انطهم .

وإني لأرى في هذا الشان أن الله نور بين القمقار والعلو نور يشرق على  
الأمم فيبهر الأهلة ويهر النور نور معقود اللواء انشأة جديدة، وحياة جديدة،  
ومحبة جديدة، نور يشرق دجور النور أو يحيي من الشور، وما ذلك على الله بعزيز .  
قال ( المحقق المدني ) بمناسبة أبي جابر الذي صلى الله عليه وسلم أرى كأن رسول  
الله . . . ورأيكم أيها الإخوان الكرام يتفزع إلى ربكم أن يوفقكم في مشروعاتكم  
خدمة لدينه وأمة خدمه . تحفكم بالمجاهدين الصديقين الأوفياء .

والاستاد الرئيس . . . . .  
 ان الكبر . . . . .  
 الاملا . . . . .  
 الاسباب . . . . .  
 رجة ذلك الى بقية اهل اللغات الاسلاميه التركية والعارسية والاوردية فيعلمانها  
 وينشرانها ذكرى وبشرى للمؤمنين .



ثم بعد استطلاعهما ما يلزم استطلاعهما من آراء وأفكار ذوي الهمم السامية ،  
 مباشرة أسباب تشكيل الجمعية مع التروي والثاني اللذين حكمت به ، لا يساعدها  
 الزمان فيحتاجان لتقرب الفرصة ولو تأخر الأمر إلى اجتماعنا الثاني . وأخونا السيد  
 القرآني بعدنا بأنه لا يقطع عنا رسالته وإعلامنا بسير المسألة والأمل بعنايته تعالى أن  
 نجد في اجتماعنا الثاني بعد ثلاث سنين الجمعية الدائمة متشكلة على أحسن نظام .

ثم قال ( الأستاذ الرئيس ) واني على أمل أن الجمعية الدائمة ستحققنا بأعضائها  
 المخربين فنخدم مقاصدها الجارية المتعلقة بإعزاز ديننا وأخواننا وأنفسنا فتال بذلك  
 أجر المجاهدين وشرفاً عظيماً نفتخر به نحن وأحقابنا من بعدنا إلى يوم الدين .

ثم قال وإن جمعيتنا هذه قد اختارت أن تجعل مركزها الموقت في مصر ومصر دار العلم  
 والحرية وكانت أخذت في العمران بسرعة ولولاها لولاهون سعيدون تطاول السباعيل وسقوط نفوذ  
 الفرنسيين محارب السبعين وانفراد الانكاريين وبأسهم من قبول المريض المريض وسهارة  
 قوات الدول بنوازيها بقيت تلك الحركة العمرانية مستمرة ولما رجع الشيع إلى دور الاحتلال ،  
 لا قبله إلا في دور الاحتلال ،

ثم خاطب ( السيد القرآني ) هيئة الجمعية فقال : أيها السادة لا غرو أن أكون  
 أنا الأخوان سروراً بأنتاج سعي وسياحي هذه الخطوة الكبيرة في هذا السيل  
 و... من السهل الذي تولى البداية أن يسهل السير إلى النهاية ولا يسر على الله  
 ثم قال : لا شك كذلك النظام .

وأيها السادة سأراكم إن شاء الله بمهمات ما يحصل ويتم ولا استغني أن  
 ترغد في بارادكم ولو عن بعد وتنفوني بأدعيتكم بالتوفيق . وليس هذا اليوم آخر  
 عهد جمعيتنا بل يلزم أن نجتمع أيضاً في هذا المحفل رابع أيام التشریق فتكون تلك  
 جمعية الوداع . وفيها يكاتفكم حضرة الأستاذ الرئيس ببعض تدابير وبشار يجب  
 اسرارها فؤقر في العصور لا تسجل ولا تذاع وفي ذلك اليوم يتم بتسهيل الله طبع  
 سجل مذكرات جمعيتنا إلى هذه الساعة ( بتعليمة الجلالتين ) فيوزع عليكم نسخ منها  
 كما يقال لكم أن يخرج من ضبط المناقشات على القانون ونسخ جديدة من مفتاح الكتابة  
 المزمرة في... الأول مذيلاً بتراجم الأخوان بصورة أكثر تفصيلاً

ثم قال : ثم إننا بعد هذه البداية التي أخذت بالأمس رسالة من أخينا  
 لدراسة... من مواقف الجمعية كما بينت ذلك قبلًا فهو



بقرئكم السلام ويدعو للجمعية بالتوفيق ويطلب أن أتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين

فقال ( الاستاذ الرئيس ) وعاليه السلام وأمر بقراءة القصيدة فقرئت وأثبتت بها بإشارة الاستاذ الرئيس بعض أبيات وهي .

غير تم يا حيارى ما بأنفسكم فقير الله عنكم سابق التهم  
الله لا يهلك القسرى اذا كفرت وأهلها مصلحون في شؤونهم  
ترك التأمر بالمعروف وأورثكم ما حاق من نذر يازلة القدم

يا قومنا صححوا توحيد باريكم بدون إشراك أحياء ولا ريم  
وتقحوا الشرع من حشو ومخترع رُجعى الى دين أسلاف ذوي ذم  
خيفوا بمحكم آيات منزلة وستة بينت في الفعل والكلم  
دعوا البدائع في الدين وان حسنت ولا يفرتكم تأويل محتكم  
سباحة الدين في فكر وفي عمل خير من الإصر والأغلال والسقم  
سباحة الدين من الله خالفكم بها عايكم دعوا انكفرا ان بالهم  
وحافظوا ملة بيضاء سالمة وسمحة قد حببكم كل مقتم  
راقت فضائلا في كل فلسفة قوامها حكمة تنفي الى شمم

هذي وسيلكم لا غيرها أبدا فاسموا نهضتكم يا خيرة الأمم  
في غير جامعة التوحيد ان تجدوا من جامع لكم اسم ذوي رحم  
سياسة الدين أولى ما تأس به شتى الخلائق من عرب ومن عجم  
فيها الحياة وفيها حفظ زابنكم خضراء سوداء حول الكرن والحرم

هـ ذيل هـ

قررت الجمعية في اجتماع الوداع المتقد في رابع أيام العيد بعض أمور مهمة ينبغي أن تسر ولا تذاع غير أنها رأت أن يلحق منها بهذا السجل ما يأتي فقط .

قرار عدد ٦

ان الجمعية بعد البحث الدقيق ، والنظر العميق ، في أحوال وخصال جميع الاقوام المسلمين الموجودين وخصائص مواضعهم والظروف المحيطة بهم واستعدادهم وجدت



أن الجزيرة العرب والأهالي، تنظر إلى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم، فرأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متميزة عليهم لا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً وإن انتظار ذلك من غيرهم عبث محض، على أن لبقية الاقوام أيضاً خصائص ومزايا تجعل لكل منهم مقاماً مهماً في بعض وظائف الجماعة الإسلامية، مثل أن معاناة حفظ الحياة السياسية ولا سيما الخارجية متميزة على الترك العثمانيين (١) ومراقبة حفظ الحياة الدينية التنظيمية يليق أن تناط بالمصريين والمفصّل بتوابع الحياة الحنبية يناسب أن يتكفل بها الأتقان وتركستان والحزر والقوقاز عينا ومراكش وإمارات أفريقيا شمالاً، وتدير حفظ الحياة العلمية والاقتصادية خير من يتولاها أهل إيران وأواسط آسيا والهند وما يابها.

ولما كانت الجمعية لا يعنيها غير أمر النهضة الدينية رأت من الضروري أن تربط آمالها بالجزيرة وما يلبها وأهلها ومن يحاربهم وأن تبسط لأنظار الأمة ما هي خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموماً وذلك لأجل رفع التعصب السياسي أو الحنبي ولأجل إيضاح أسباب ميل الجمعية للعرب فتقول

١ (الجزيرة) • هي مشرق النور الإسلامي

٢ «الجزيرة» • فيها الكعبة المعظمة

٣ «الجزيرة» • فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة

٤ «الجزيرة» • أنسب المواقع لأن تكون مركزاً للسياسة الدينية لتوسطها بين أقصى آسيا شرقاً وأقصى أفريقيا غرباً

٥ «الجزيرة» • أصل الأقاليم من الأخطاط حنبية وأديان ومذاهب

٦ «الجزيرة» • أبعد الأقاليم عن مجاورة الأجانب

٧ «الجزيرة» • أفضل الأراضي لأن تكون ديار أحرار أبعداً عن الظالمين والزاحمين نظراً لاعتدالها الطبيعي

٨ (عرب الجزيرة) • هم مؤسسو الجماعة الإسلامية لظهور الدين فيهم (٢)

٩ «عرب الجزيرة» • مستحكم فيهم التحاق بالدين لأنه مناسب لطبائعهم الأهلية أكثر من مناسبتهم لغيرهم

(١) لأنهم من رفقاء النبي صلى الله عليه وسلم أي المراوغة في المقالة والتمون في الأحوال

(٢) وكذلك من بينهم من امتسأرت الفاطنة بين الفترات ودجلة والنازحين إلى أفريقيا



- ١٠ «عرب الجزيرة» . اعلم المسلمون بقواعد الدين لأنهم أعرفهم فيه وشهود لهم في أحاديث كثيرة بالمتانة في الإيمان
- ١١ «عرب الجزيرة» . أكثر المسلمين حرصاً على حفظ الدين وتأيدته والتمسك به والمصيبة النبوية لم تزل قائمة بين أظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والمزاق وأفريقيا
- ١٢ «عرب الجزيرة» . لم يزل الدين عندهم خيفاً سلفياً بعيداً عن التشديد والتشويش .
- ١٣ «عرب الجزيرة» . أقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من خصائص البدوية . (١)
- ١٤ «عرب الجزيرة» . أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والأمهات والزوجات فلم تختل عندهم .
- ١٥ «عرب الجزيرة» . أقدم الأمم مدنية مهيبة بدليل سعة لغتهم وسمو حكمتهم وأدبياتهم
- ١٦ «عرب الجزيرة» . أقدر المسلمين على تحمل قسوة المعيشة في سبيل مقاصدهم وأنشطهم على التغرب والسياحات وذلك لبعدهم عن الترف المذلل أهله .
- ١٧ «عرب الجزيرة» . أحفظ الأقوام لخصيتهم وعاداتهم قهراً بخالفون ولا يختلطون .
- ١٨ «عرب الجزيرة» . أحرص الأمم الإسلامية على الحرية والاستقلال وإلغاء الخدم . (٢)
- ١٩ «العرب على الإطلاق» . لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بأقران الكريم من أن تموت .
- ٢٠ «العرب» . لغتهم هي اللغة العمومية بين المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون .
- ٢١ «العرب» . لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين وغير المسلمين .
- ٢٢ «العرب» . أقدم الأمم اتباعاً لأصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية .
- ٢٣ «العرب» . أعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية . (٣)

(١) وبقوه ذلك لا يزالون يأخذون خراجاً ممن يأخذون باسم هدية (٢) هذا هو سبب عدم انقياد أهل اليمن ومن يليهم للأمانيين (٣) يشهد لهم بذلك القرآن في قصة بلقيس . مع سليمان عليه السلام إذ قالت مخاطبة الملك أي المستشارين الاشراف «يا أيها الملك أفقوني في أمري ما كنت قاطعةً أمراً حتى تشهدون» قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمراك فانظري ماذا تأمرين . قالت إن الملك إذا دخلوا قرية أغدوها



- ٢٤ « العرب » « أهدي الأمم لاسون الميشة الانتراكية »
- ٢٤ « العرب » « من أحرص الأمم على احترام اليهود وعزة وامتيازهم فأنما ناسية واحترام الجوار شهامة وبذل المعروف مروءة » (١)
- ٢٦ « العرب » « أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعاً في الدين وقوة للمسلمين فإن بقية الأقوام قد اتبعوا هديهم ابتداءً فلا يأمنون من اتباعهم أخيراً »
- فهذه هي الأسباب التي جعلت جمعية أم القري تعتبر العرب هم الرعية الوحيدة بجمع الكلمة لدينية بل الكلمة الشرقية والجمعية تسأل الله تعالى أن يوفق ملوك المسلمين وأمرأهم لاعتدال في الدين وللعزم والمزم عليهم بحفظ دينهم وسمعتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وأن يحميتهم من التعصب الذي تسببته الجنسيات ومن الكبر والافتقار ومن اتخذوا والانقسام ومن اتقوا إلى وسوس الجانب الأضداد فلا يتألمهم الخطر القريب المحقق بهم ويتخلفهم التهور الحياتة في سبيلهم والله الموفق وإلى ترجع الأمور »
- وهكذا تمت الاجتماعات وحققت المذاكرات وأوفض الجمع على وعيد التلاقي »

## باب التبرير والتعليل

الجزيرة العربية (٢)

(الاسلم وجه الشمس من كلف)

مما لا يخفى من سببها في أمور الأقطار الإسلامية من قبل و  
 وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون » (١) يكفي برهاناً على ذلك بحملة أهل  
 الجزيرة لسياح الأفرنج — ماعداً تلك البقعة التي أتاها إليها الأفرنج ونال عليها بعد  
 ما بين ربة بئنا — وترجع اليهود المهجرة لبلاد المربية — وهم أتراك الباز  
 المربية التي نسبة في حوادث الأرم من الأسيرة كانوا مل وماردين و— مردونيين والمدن  
 المربية من ولاية باب وأما حادثة أربل و— الشام وحلب في القرن الرابع فما كانت  
 متولدة من قسب ديني أو جنسي نفس بل من غشور جماعة من الأروار وكان  
 وجماعة من المربية بن بنابدين الأرم — أم  
 (\*) « العرب من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية



بعبارة من المبادئ الا وقد وجه اليها العلم ضرورة من البحث لا قبل لها بمقاومتها  
 وأصبح ما كان يخذه الناس من اللغات والنقوش اليربانية والحروف معميات لا يميل  
 الى الاهتداء الى معانيها وقد نبذت مغاليقها وألقت بين يدي العلم مقاليدها وأسلمت  
 اليه أسرارها ولم يفن عن الاغاليط التي شيها من الادوية انها قيمت رؤسها في ظلماتها  
 وسرت نواحيها في حنادسها فانه لم يبق في كتبها ان تفاح في التفرير بالعقل بما لها  
 من القدم فقد عرف سبب حدوثها وكشف الستار عما كانت ترمدله فرائص الافنديين  
 من المجردين الحيلية فمرف الانسان نفسه وكله دهش واستغراب لحروفه وفزعه لانه  
 قد عرف اليوم كيف نشأت الآله (١) ورأى مذاهب كان لها مالبدييات من القوة  
 والرسوخ تصان وتلاشت امام العلم بالرواميس الكونية التي كان يتوهم ان هذه  
 المذاهب فوقها وأبصر أسراراً مستغلقة كانت تماصت على العقل أذغنت اليه الآن  
 قضى بحكم فيها بكشف أصاها وبيان منشأها

من الظلم والإجحاف عدم اعتبار هذه الحركة العلمية في تربية الناشئين فكيف يدع  
 ان لا يدخل المدارس ما وصل اليه العلم من نتائج مجته الا بعد قرن من ظهوره لو دخلها  
 ( انتقاد آداب اللاتين اليونانية واللاتينية )

أنا لا أريد الآن ان اشتغل من وجوه الانتقاد الا بما يتعلق بآداب اللاتين  
 اليونانية واللاتينية وأقول قد اعتاد الملحدون ان يفرّدوا هذه الآداب بالدرس دون  
 بقية آثار الاقدمين كما لو كانت آداب كل لغة فرطاً مستقلاً عن تلك الآثار ولا أراهم  
 يستأذنون في ذلك الا الى وهم عُنيت من قبل بدحضه ولهذا تراني ذكرت ولا ميل  
 أسماء آلهة مصر وما ورد من صفاتهم في أساطير الجنود وقصص عليه أشهر وقائعهم  
 وسيكونون من معارفه القدماء ولم يبق عليه الا ان يعرف كيف أنهم كانوا يؤمنون

(١) يشبه كلام المؤلف ما هنا ان يكون تقريراً لمذهب الماديين ويدل بفحواه على  
 أنه لا يعتقد بالله ولا بعلائقته ولا بصحة المذاهب الدينية في هذين المصنفين وينسب  
 الى التواميس الكونية كل ما كان وما يكون ويزعم ان العلم قد هداه الى أصل معنى  
 الالهية وهذا كله من غرور العقل نموذ بالله منه ومن الغلو في النظر وما يؤدي اليه  
 من الاشر والبطر كيف يصل العقل الى كنه الآله وهو لم يصل الى كنه نفسه تعالى  
 الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً والمنزلة ولا مثاله أنهم نشأوا على دين مناقض للعقل



الاستفارة ويجوبون الاقطار وكيف ان الواحد من كل البشر في هذه الحياة هو في  
حيات متباينة وهو أمر لا يحصى وقته .

فذكرت من شعراء الاقدمين عمير وابان القاصية أودا لو أدري ماله في يسود  
على التلامذة من تفهيم المعلمين أيهم ان ديوانيه الموسوم أحدها بالملباد (الولاية) والثاني  
بالمدني هما من ابتكار رجل من الغابرين اذا كان جميع الناس اليوم يعلمون كيف  
تولدت القصص الشعرية الخرافية في الامم القديمة والحديثة

لاريب ان في هذه القصص سخافات كثيرة وعبراً جليلة غير اني سأخبر كل  
الإنسان ان أجمل نسخة أشيل (١) مثلاً نموذجاً لا يزل في تحديق في سيرته فان  
هذا البطال الذي عيش وابان عن بواب قاضيته من منزله أدياًها في حرم كروني  
ان أبي عليه قومه حارية رقيقة كانت محلاً لاطماعة وكان هذا سبباً في طول مدة  
وزايا الحرب وشدة أذىها لم يكن حقيقة من الأتاهة منه وميامهم التي فهم بالظلم به  
واعانتهم اياه على خصمه لشجاعته غير مراعين إغفاله لواجبه قد جعلوا عاقبة الحرب  
عبرة سيئة وهي ظفوره بهكتور (٢) أي ظفر الطيش الحربي بالواقعية العجيبة

لم يقتصر الاقدمون فيها جهلو من الامور على انكرهم بعض الاستقوال التي هي  
الآن أساس وجدان الانسان بل اهتم تركوا انما يراهم من الابطال والمذاهب التي  
التي تدعو دراسة كتبهم التي يقاتلوا لم يقاتلوا الا عتاس والمذرفان بغير ما في الناس  
من آثارهم فدعى كثيراً من المظالم القومية قرونا عديدة من ويلات القتل والازال  
يدودها عنها وان المخرج منا بالمعالم المفرط في المعيشة بين كتبه المفرط فيها بين ابناء  
وقته ترى في أكثر أوقاته قتل التأثير جداً في الناس من العادات القديمة  
الكثيرة التي يرجع أصلها الى أخلاق الاقدمين وعواظهم

ان الحضارة اليونانية كان لها من وجود الحسن ما يشير إلى عجائبها ولو ان  
أشيل و كلفت بارانها كما ما انقلا كما كتبت الا في غاية الرضى عن ذلك ولكني  
لأحب ان يكون خدعة التشدد في ميله اليها لما فيها من وجود القبح أيضاً فمثلاً  
ما احتقر فيها الرقيق وبخست قيمته ونسيت حقوق البؤساء والمغلوبين فلم يحض عليها

(١) أشيل في الأصل كان هو بطال يوناني أسماه يتيسر في قتل باريس في  
حصار طروادة (٢) كاتور في هذه الاماطين هو ابن رايان وعقوبة وزعيم اسبرووك ومالك  
استيناكس قتل أشيل أخذاً بشارية وقل



أحد أهم الأسباب في أنزلنا أثبتت من أنماق و جسدان الإنسان و وبيان إليها  
 بعد اختراق حجب راس من الزمان ولكم هلك في سبيل تلك الحضارة من أجيال  
 وباد من إنسان ولم يكن فيها أحد يمتن بتخفيف مفضل البؤس الذي كانت تقاسيه الدهاء  
 ولم يكن العمل يستوجب للمعامل أدنى حق من الحقوق لأنهم لم يكن يصلح إلا لأيدي  
 الطغام نعم ان ظاهرها ومنظرها كان موقفاً فان ما زادت به من الفنون والشعر والدين  
 السمع والالهة الباسمين في وجوه الأبطال كان يكسو تلك الأمة المفتطة بروداً جمعت  
 كل ماله كمال المنشود من خروب المظلم والبهاء ولكن العبرة بالخبر لا بالنظر  
 التاريخ الروماني هو دون التاريخ اليوناني بكثير لا لان رومة لم تنجح ورجلا  
 كباراً بل لأنها كانت تفرط في عبادة القوة وقد لاقت جزاء هذا الإفراط فانه بعد  
 ان استبدت غيرها من الأمم آل أمرها الى استعباد نفسها فالتقل لي هذه الأمة  
 الدائمة وقد أظهرت للعالم مالا فتح من النتائج اللازمة ماهي الأمم التي علمتها والشعوب  
 التي أساحت شؤونها؟ أرى الناس تملأهم أخبار غزواتها ونهزم أحاديث نصراتها ولا  
 أرى أحدا منهم يدق بصمى أسباب مصائبها لبشفي من جنون الحرب وبيراً من هوس القتال  
 اني اذا أقرأت «أميل» اليونانية واللاتينية وفجرت له بذلك ينبوع الآداب  
 القديمة والتاريخ كان قصدي منه ولا شك توسيع عقله وتنمية إدراكه بيد اني ارمي  
 الى غاية أخرى أمكن في نفسي من هذا وهي ان أنتى في نفسه الاستعداد للسلوك  
 في هذا الكون ذلك لان ما تضمنته تلك الآداب من أسى الإقدام النفسي والإخلاص  
 في العمل وحب الوطن أشد في قلب اليافع تأثيراً وأبلغ في نفسه موعظة من جميع  
 ما يقوله الخطباء ويوصي به الحكماء بل ان في نفس النحس الذي يبدو منه في  
 استحسانها بذلاً لنفسه لانه يخرجها من معقل امتاعها ويخلصها عن عرش صلفها  
 ليسويها بمن استحق الحياة استحقاقاً صحيحاً واني لأقنط من فلاح الطفل الذي لا يروقه  
 شيء وأما من آتس من نفسه التأثير بما نصيره من بهاء المظلمة وروقتها فذلك الذي  
 أوتيت نفسه سرّاً من أسرار الله ان فضائل الفايدين أبلغ من فضائل الحاضرين في  
 خلاب الخيال بما عليها من مسحة القوة واليسالة وأعمال اليونان والرومان لبعدها عنا  
 بحسب ترتيب الزمان محلها البعد والغربة ببعض السمات التي قد تغالي بها فتجعل  
 لها من القيمة فوق ما تستحقه ولكن ذلك لا يزيدنا الا الحاجة في دعوة الناشئين الى  
 أجلالها واعظام قدرها واذ علمت ذلك رأيتني غير مخطئ في التعميل على تأثير الاقدمين



في رقية أفكار ولدي وتهذيب خلقه

على أني أعلم حق المسلم أن جميع ما خلفوه لنا لا يدعو الى الإعجاب على السواء  
فما سيديون (١) الذي جندل آييال (٢) ودمر قرطاجة (٣) مثلاً بالبطل الذي ساسترعى  
الى سيرته ذهن « أميل » كلا بل اني سأوجه كل همي الى تفهيمه أن ما يلاقي من  
الهمائم اجلاً لا لوجدان الحق أعلى منزلة وأعظم خطراً من الانتصار ببيض الصفاح  
وسمر الرياح وأن المجد الصحيح انما هو في علو النفس وشرفها وسأقول له أرايت  
اليوم الذي انتصرت فيه رومة على قرطاجة فذلك هو اليوم الذي وفي فيه ريجولوس (٤)  
بهدوء فانطلق الى أفريقيا وحده لا يتيه عنه حاجة زوجته وأولاده ولا دعاء اخوانه  
وأصدقائه مع علمه بأنه ملاق حقه وساع الى هلاكه . في ذلك اليوم ظهر أن رومة  
قد برزت على قرطاجة في صدقها ووفائها ولم يكن تبريزها عليها في غير هاتين الفضيلتين  
الا أمراً مرتهنا بوقته اذ كان لابد لقرطاجة من الغلب والفهر

لا مرء في ان الجمهورية الرومانية أيام مجدها وعلوها كانت تسفر عن أخلاق  
شريفة وطباع كريمة وليس كذلك حالها في عصر تدليها واضمحلالها ولو اني أردت  
تبعيت « أميل » علة هذا التدلي له لحصرتها في إعواز القضاء الجمهورية إعوازا كان  
سيداً لتجتاح الحكم المطلق في رومة وطول مدته فالتفت على الحرية ما قد  
يتأبها من الاخطار المادية ولا أُرهب على رومة ان يقف بابوابها التركينيون (٥) او  
بورشينا (٦) يتهفون الاستيلاء عليها مادام فيها امثال موشوس سيفولا (٧) وانما الذي

(١) سيديون واسمه ايمليان الملقب بالافريقي الثاني كان رابع أولاد بولس أميل  
ولد في سنة ١٨٥ ومات في سنة ١٢٩ ق . م تبناه عمه الذي هو ابن الافريقي الاول  
من أسرة سيديون وكان على يده انتهاء الحرب الثانية بين رومة وقرطاجة فنكسب هي  
خاتمة هذه الحروب فانه أخذ قرطاجة في سنة ١٤٦ ق . م ٢٥٠ ايال هو قائد  
قرطاجة تولى قيادة الجيش في الحرب الثانية التي حصلت بين قرطاجة ورومة وبعد  
انتصاره في مواقع كثيرة هزم سيديون فاعتبر بالسم تحلصاً من انتقام الرومانيين  
٢٥٠ قرطاجة مدينة أفريقية قديمة « ٤٠ » ريجولوس قائد روماني قتله القرطاجيون  
لانه أرسل من ق . م الى رومة لتفاوض في المبادلة بالأسرى فكلم في مجلس الشيوخ  
عائناً في هذا الطلب وعاد الى قرطاجة فمات صبراً (٥) التركينيون هم بعض ملوك رومة الاوانين  
(٦) بورشينا هو ملك اروريا حاول إعادة التركينيين الى ملك رومة فهدده موشوس



هو خلية الشهير، أو يوم السبت



نفسنا هي موارد الظلم ومكان البني والذي علينا هو أن نحارب فيها ونجلبه  
 منها قبل تحريك الملوك الظالمين واجلاء الجيابة الفاشمين ومن أجل هذا لم يك ينفع  
 بروفس إلا أن صار أن يقرأوا بطن القيصر فان قلب رومة كان مقر وحاً بالداء القيصري  
 كان أولى بذلك الرجل وقد أراد أن ينزع تاج الملك ممن كان مستعداً له أن  
 يرجع أولاً الى قلبه فينزع منه كبر الاشراف وآفة السراة ثم ينزع أن استطاع من  
 نفوس قرناؤه ما علق بها من الرذائل والتفائض التي تقتضي وأزغاً يرد من جاحها  
 ويكشف من براتها ولولا تقصيره في ذلك لاستحق ما اتاه من الأعمال الدالة على  
 الشهامة والبالة أن تفيض به صحت التاريخ بل أن هذه الأعمال كان من شأنها أن  
 تؤخر استمرار حكم الاستبداد ولكنها لا تستطيع أن تقوم بالامة من وحدة الخطاطها  
 أحدثت في أخريات أيام الجمهورية الرومانية أحداث كثيرة شوهت محاسنها كالنظام  
 العسكري الوحشي وإمداد الدماء وضرب التعذيب والإطعام الحبسية وبيع  
 الفقراء وبيع أولاد الفقراء والأولاد والاعلى بمجلة الطائر على أنه كان لا يزال  
 يظهر في جهات مختلفة من قرارة الدهاء المتهوكن المتهطين بعض الاخلاق الفاضلة  
 ظهور الصغور التي تشرف على إحولها من المياه المنخفضة، ولا قوط من ارتفاع شأن  
 الحرية ما بقي في الناس أباة للضميق موقوفون بظفرهم في الذود عنها فان هؤلاء يشهدون  
 الجهاد في سبيلها وقد يلاقون الهزيمة فيه ولكنهم لا يشهدون اندثارها اندثاراً لا قيام  
 منه وإنما ترهق روح الامل من حياتها متى انحازت العقول بعد كلالها وهي صامنة  
 الى حكومة مائلة لكنها ساكنة مظنة تلين للمحكومين كلما شمرت بازدياد أمنها  
 وزوال مخاوفها فأفسر نظام سياسي على أمة من الأمم أنها هو الحكم الاستبدادي  
 المجرد من الصرامة والقسوة وكذلك كان حكم أغسطس للرومان

كان عجب الأمة في ذلك الحكم لا يزال يتقذى ببعض ضروب من القور وغريبة  
 ككونها لا تزال خير أمة بل أميرة الأمم وكون أعلامها وألويتها لا تزال مبهجة في  
 في الخارج وكونها تنصر على المتوحشين من حين الى حين وكونها صاحبة الآلهة

سيفولا فولي مذعوراً (١) موشوس سيفولا هو رجل روماني أراد أن يقتل بورشنا  
 ملك الرومان فأخطأه وقتل كاتم أسرار وأراد يظهر لهذا الملك ثبات الرومانيين  
 فوضع يده اليمنى في جذوة نار مستعرة



وكتب الكائنات و... الأثار الفخيمة التي تروق الأجانب وكونها  
جذبت بناء رومة وهي المدينة الأبدية من قواعدها إلى مقوفها — كل هذا صحيح  
ولكن واحسرت أنه ليست تعب الحيوث ولا إنشاء القلاع والحصون ولا بناء المعابد مما يغني عن  
الامة من مقوطها شيئاً فقد بقي معبد المشتري المسمى بالقابitol في رومة بمقدناه الرومان  
ليس لي الا كلمة أقولها في شعراء عصر أغسطس وهي ان أحسن هؤلاء الشعراء  
قطما في نظر المعلمين فرجيل وهوراس فهما اللذان أحب ان يحمل كتبهما في أيدي  
الناسين أكثر من غيرها وان كان كلاهما قد تجرد في معظم ما كتب من شرف النفس  
وكرامتها ألم يلاحظ من قرأ غنيته (١) في فرجيل ان نفس منزاها ملكي وهو مغري  
ما كان يرد على ما أرى في ذهن شاعر زاهر الخيال في أيام الجمهورية الجلية فقد  
وصف فرجيل مدوحة المسمى عني بالانسان الذي تجلت فيه العناية الالهية وتوحدت  
في شخصه الامة وبانه المنجي لامة المؤسس لحياه ومثل هذه المعاني يرى عليها أنها  
موسومة بعسم الملك الذي برزت في عهده ومطبوعة بطابع القرن الذي ظهرت فيه  
وسواء كانت حسنة او قبيحة من حيث النفس فهي تشف عن حالة العقول في ذلك العصر  
وتسفر عن الحطة التي رسمتها نفسها للحكومة الداتية حتى في نفوس الخيار من الامة  
ان أجود الاشعار وأحسنها ليس في استطاعته ان يخجيب دناءة النفس ولا ان  
يسر حنة الطبع وان قد كان شعراء اللاتين قدوة سيئة لحلفهم بما كان يسد عتهم  
من ضرور التليق الخبيثة وانواع المدايح التي كانوا يطرون بها أغسطس تحقيقاً  
لاغراضهم وتبلا لامانهم فأسسوا به في الدنيا من حيث لا يشعرون وظيفة الكتاب  
والشعراء المترافين على ان فرجيل وهوراس كانا أميرى هذه الصناعة ولم يكن غيرها  
فيها الا من أتباعهما

أخص لك ما تقدم فأقول : ان دراسة آثار الاقدمين تختلف ثمراتها باختلاف  
الطريقة التي تبشر بها فاجلال هؤلاء بلا قيد ولا تغيير ولا قد يؤدي الى ما تؤدي اليه  
جميع ضرور الوثنية وهو صغار النفس وخدمها ذلك بان ما يؤثر عنهم من المحفوظات  
والخرافات والكتب والاشعار الحسنة له من الظلم والتحكم في النفوس مالا تقل  
الحشية منه على الناس عن خشية ظلم الحكام الفاسقين وتحكم الطغاة المستبدين

(١) غنيته فرجيل قسمه في ثلاثة في مدح عني وهو أمير طروادي ابن انشير  
الزهراء وصفه فيها بأنه مؤسس النسل الروماني



وبهذا يعلم ان يجب من انه بعد اليوم من تلامذة اليونان والرومان من يلتمسون  
في ملون تيران وسائل للذود عن مصالح الغابرين ومصلحة الطائفة ودمهم من يرومون منها  
دواء مدينة البحرية تكلف عنها عوادي الباقين

نحن على ما فينا من النقائص كلها احسن من الاقدمين حالا وأرفع شأننا وان جاز  
عنا ان نلي والاعمة لا يحجز عليهم ذلك لان فينا قوة النفوس والارتفاع الى ما انحطعت  
من ان اعلم انهم انما كبراً بسرو وجنابنا فكاننا بتأخرنا عنهم في الوجود قد  
أخذنا على أنفسنا ان نكون خيراً منهم لان وجدنا الواجب كوجدان الحق نحو  
وبرقي بمرور الزمان وامبري انه لا ينكر ما لتمدن المصري من ضروب التأثير في  
النفوس والمقول الا مكابر خيث العلوية ولست أريد بما قلته انما أصبحنا بهذا  
التمدن اكثر من الاقدمين أخلاقاً فاضلة وطباعاً بائسة ومعارف واسعة ومحنناً في  
الميل الى الحسن كلاً ثم كلاً بل أريد ان مماني المدل واحترام حق الغير قد شاعت  
فينا ورسخت في نفوسنا فصرنا اكثر منهم اهتماماً بان يحالفونا في المناصر والاحوال  
انقومية والاقاليم والوان الجلود فحين الآن من حيث كوننا من بني الانسان أقل  
من اليونان والرومان بعداً عن كل ماله مساس بالانسانية . اهـ

### ﴿ مسألة الشيخ محمد شاكر ﴾

جاء في العدد ٥٥٤٥ من جريدة الديش تونيزيين تحت هذا العنوان مانده  
نشرت جريدة الديش تونيزيين الصادرة بتاريخ ٣٠ نوفمبر الأخير فصلاً خافياً بيان  
سماحة الشيخ محمد شاكر أفاضاً انذة جامع متناقض الذي استحضرت الحكومة مقالة نسبية  
الى الحاضرة بناء على شكوى قدمها اليها قاضي تلك المدينة ومفتيها ويردده بامرين  
من وظيفة التدريس

وقد أوردنا في ذلك الفصل موضوع هذه الشكوى إذ قلنا ان الشيخ كان في ملال  
دروسه بالمجد يعظم في التقاليد وينكر المتقدمات الباطلة والظواهر الخارجية المنتهية  
من خرافات المجاز وتخرصاتهن وأوردنا مثلاً عليها زيارة قبور الأولياء المصحوبة  
بتقديم الذود على اعتقاد الحظوة بواسطة هؤلاء الأولياء في تحصيل المانع ووقاية الذات  
من طواري الخلدان وقالاه نسب هذه الأضاليل الى ما أزال في دين الاسلام الصافي  
المهل من بقايا عقائد الوثنيين وقال إن كثيراً من التقاليد التي تسير عليها بعض الطرق  
الاسلامية كالمسوية مثلاً مناقضة كل المناقضة لا قواعد التي بني عليها الدين الاسلامي



ولا يخفى ما يشتم على تلك العادات والمعتقدات من إهانة للأهم عن الشروع من  
كبرية التأخر ومنعها عن بلوغ الشأو البعيد من التقدم والارتقاء وأسدائها ظلمات  
الجهل الذي يزيد تلك الأمم وأمثالها مصابا على صاحبها

فمن الواجب والحالة هذه إنفاذ تطبيقات الناس من ظلمات التقاليد ولبدع والمعتقدات  
الفاسدة التي لا غرض لأصحابها غير انتزاع بها لتبصير سعادة الدنيا بحمل البهائم  
والسذج على الاعتقاد بأنهم من الدين وماهي من الدين في شيء بل الدين منها براء

وقد حتمنا ذلك الفصل يومئذ بقولنا «فإذا كان» ذكرناه قد وقع فعلا قائما بالأمر  
الوظيفي في أن تطلع الحكومة التونسية عن متابعة أهواء الثائمين بأمر الشرع في  
صفاق من قاض ومفت به أن تغلب منها إيماء في النظر وسمه في الصدر»

وكنا نظن أنه يكفي مجرد سرد دقائق تلك الحادثة كي تكفل الوقاية من الاضطهاد  
لرجل فاضل لا عيب له سوى أنه فاق عن أشباهه في عظمة بعمد النظر وحرية اللسان  
ومصدق القول وكان ينبغي أن يحازي عنى هذه الزاوية بالتشجيع والتعظيم

نأسف للأسف المر أن تكون الحكومة التونسية قد منعت مادعوناها إلى حقائق  
في أصغر فاتها إلى تفرقات المفردين مما لا يربى من مبدؤة عن البحث في عواقبه ونتائجه

ففيها لم تكف بحصل الأستاذ عن وزير من الوزراء الأول بل سلبت منه  
لقب «مناوغة» الذي يفيد أنه حائر على إمتزاج بين في العلوم والفنون في الجامع الأعظم  
ولذا رأينا أن لا نجر ذيل التغافل والسكوت عن هذا الحادث الذي يوجب الكدر والأسف

ليكن الشيخ محمد شاكر الذي فصل من وطنيته من الطاعنين في العمر كما قدم خطأ  
وأنه أسوأ شارب في متجلى العصر ونضرة شريفة في تاريخه من التفتيش ومن كونه  
كفيع البصر كان في مقدمة طلبة الجامع الأعظم بدمياط كما وصل اجازة المالية التي  
استردت منه ظلما وعمداً وكان ذلك الشيخ الشاب يتلقى غير الدروس المعتادة في  
الجامع الأعظم علوم المدرسة الخلدونية (١) ونجاها هنا بأعلى صوتنا بأن الفضل الأول  
لهذه المدرسة إلى القيس منها تلك الأفكار العالية التي اتفقت عليه بسببها صواعق  
غضب الطبقة المتيقنة من المسلمين

ويضاف إلى ما تقدم أن ذلك المصنف لم يمتدح الآن في النصارى المصري من

(١) المدرسة الخلدونية تأسست في تونس تشبه مدرسة دار العلوم في مصر يتعلم فيها بعض طلبة  
جامع الزيتونة العلوم العصرية



التقدم العلمي به في مقدمة المنجيين بالشيخ محمد عبده قاضي القضاة في مصر (٢)  
الذي هو من كبار علماء عصره الذي لا يفكر البيرة التي توافق المدنية ومن ثقاتهم وله مؤلفات  
ومدونات في آخره تشهد بسمه اطلاعه بقصد إعادة الاسلام الى ما كان عليه من  
الزواني والفساد من التكاليف والبدع التي من شأنها أن تفرس في القلوب التمهيب الديني  
وعدم الاحتمال والتسامح وتحمل بين العالم الاسلامي والمدنية سدا منيعا

هذه الخطة تسير عليها جريدة "عصرية" تدعى "النار" يكتب فيها الشيخ محمد عبده  
بدون أن نذكر كتاباته بامضاءه وهي حريصة على ملازمة خطها هذه حرصاً يزداد كل يوم  
إن تنسب الاسلامي في هذا المهد — ومنه الناشئون في تونس — قد أيقنوا ان  
لان تكون نهضة المسألة العربية الا ببيت مثل تلك الافكار ولهذا تالفت كتابات الشيخ  
محمد عبده ومقالاته بالصدر الرقيب ومن واجبات الحكومة التونسية في هذا الوقت  
الذي تلبه التمهيب فيه من سبانه بالبلاد المراكشية وزعرع عرش سلطان منهم نشدة  
البل الى الحديث أن تساعد بما في وسعها من الجهد الافكار التي من شأنها ان  
تكون الاحتمال والتسامح بين طبقات العالم الاسلامي وانعكاسها بدلا عن ذلك عاملت  
الرجل الذي لم يحسن بأساً بالمجاهرة بأفكاره معاملة الساعي في غرس بذور الفتنة بل  
معاملة أحقر الناس وأدناهم اذ طردته طرد الاشقياء فأصبح على قارعة الطرقات لا  
مال في يده ولا أمل في قلبه

ولو أن هذا الرجل حاول ان يقلب معالم الدين الاسلامي أو لو أنه أبدى من  
الافكار واخواتها ما يخالف مبادئه وقواعد هذا الدين اقلنا أن الحكومة التونسية  
رأيت الاحتفاظ على الامر العام والسلام بين الناس فالتفت قلبه وسيلة من وسائل  
الشدة والخبروت لتكون البيرة الزاجرة وانكسرها اضطهدته اضطهاداً ديني الصيغة في  
حين أن حاية فرنسا على تونس تفيد تهدي دولة متدنة لا فاضة أنوار العلوم على  
جوع من الناس في حاجة الى العلم والترقي وأي جناح على رجل لجأ الى الاحاديث  
النبوية الشريفة مستهدداً بها على فساد ما تذهب اليه العامة من ضرورة ارسالي  
الهدايا الى أضرحة الاولياء لكي تنال المنافع بحسن تأثيرهم في أحوال المعيشة اليومية  
قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث له "لا تتخذوا قبوري وثناء"

وحقيقة الأمر أن ذنب الشيخ محمد شاكر ندي لا يغفر ولا يمحي عنه بسببه

(٢) المراد بقاضي القضاة المفتي الأكبر لأنه مفتي للقضاة وقد وضع له هذا اللقب ابتداء



هو معروف على الناس بعاداته بخلافه ما شاخ الزهيا والمستفيدون منها مصدر آمن مصادر  
الكسب ويرون ان سيؤل أمرها الى التصوب اذا سادت الافكار التي يري الشيخ  
في بها وبين طبقات العامة

قلنا ان الشيخ محمد شاكر كان استادا في مفاقر وان الزاوية التي كان يقوم فيها  
بوظيفته تسمى بزاوية سيدي (كراي) التي يري العامة في الولي المسجون بها انه  
الحامي لتلك البلدة وقد استفادت سلاطه بشهرته فمكفوا الى الآن فيها يستأثرون بالذور  
التي تقدم اليه وهم يعيشون بواطها في نعم ورخاء فلما اطلعوا على ما كان يلقيه  
الشيخ محمد شاكر للطلبة من الافكار المغيرة لمصلحتهم نارت عليه نورهم فبدأوا  
أولا برفع الشكوى الى كل من القاضي والمفتي اللذين استدعيا اليهما الاستاذ وأنبوه  
على الخطة التي انتهجها في التدريس فاراد الشيخ ان يقيم لهم الدليل على انه لم يمس  
الدين بشئ مستهدا بالكتب مؤيدا بحجته باقوال السلف الصالح ولكنه عينا  
جاهد في هذا السبيل لان المناقشة بينه وبين القاضي انتهت بقول هذا الاخيرة «ان  
الضوء لا يأتي من اعشى» فأجاب الشيخ محمد شاكر «وانا ادعو ان يخاص الناس من  
عمالتهم» فاعتبر القاضي ان هذه الاجابة قاضحة له استلزم استدعاءه الى الوزارة حيث  
حاول التبرؤ من الذنب الذي عزي اليه ولكنه لم يكن امامها سمد حظا منه امام القاضي  
ولكن من الاسف ان الحكم عليه كان صادرا من قبل لان للقاضي والمفتي  
الصفاقسين اركاناً في الحكومة يستندان اليهم فطلبوا الاقرار على العزل بالرغم عن  
المساعي العديدة التي بذلت لديهم في مصالح الموزول وقد أمضى الوزير الاول هذا  
القرار بدونه ان يكون مقتما بصفة السد الذي انشئ اليه

هذا تفصيل شرح حادثة الشيخ محمد شاكر استاذ مسجد سيدي كراي. نفي  
على هذا الرجل لانه يجاسر على القول بان الاباطيل والبدع والتمايلد موانع الامة  
وان ارباب الطرائق الدينية يعيشون من سداجة الأفراد وسرعة اعتقادهم وبهذه  
الثابة يتون التعصب في نفوسهم

ولا نسي ان حوادث مرغريت ومشاكل مراكنس الحديثة ليست في الحقيقة  
سوى نتيجة من نتائج التعصب الذي مادام كامنا في أفئدة المسلمين فلا بد لنا ان نتوقع  
حدوث امثال تلك الحوادث. فلا ضربة اذا زاد عجبنا بعد ذلك من اضطراد رجل  
لا يملك الا الوعظ لا تقاذ أبناء دينه من ربيعة الجهل الذي قوس ظهورهم منذ  
أجيال ومنهم من المشاركة في التقدم الذي يدفع بالانسانية الى الامام اه



# نار الحجب والاكاء

هو عربي كريم وولي حميم

في أوائل هذا الشهر جاء ناساً برقي من بومبي (الهند) يقول فيه مرسله ان صديقكم  
(محمد عبد الوهاب باشا شيخ دارين) قد سافر اليوم الى الحجاز في باخرة  
البحر الأحمر على السويش. وقد علمت ان باخرة الامبراطور تصل الى  
البحر الأحمر (في فبراير) فيمت السويش في ذلك اليوم لقاء صديق  
عظيمي وأحبتي على السويش. احبني في الله بحبه للامانة ورضاه عن خدمته  
والتي هي في الله بغير رياء. وفيه في امر الدين. وأحبته في الله لما تقدمته في  
الدين من الامور الدينية والاخلاص في كل ما يقول

في فائق من الفضائل العربية، والاخلاص الاسلامي، الأمانة والوقار والشهامة  
وكرم النفس واليد. ومن كرمه انك ترى منه أبا القري. يقصد ام القري، فهو يسير اليها  
ركب يبلغ ثلاثين رجلاً أكثرهم من جماعته وحاشيته العرب الكرام وبعضهم من  
مسلميه الهند. ومن كرمه انه يمد لكل غداء وعشاء الخوان، وينصب الخفان،  
وفيها ما شئت من الألوان، ومن كل فاكهة زوجان، ومن كرمه انه رأي في  
السويش كثيراً من الفقراء الغرباء ينفون الحج والتمسوا المساعدة عليه بأن يحملوا  
بغير أجر في سفينة الخاصة الحديوية قارناح الى حماهم على نفقته وأرسل يطلب  
من محافظ السويش بيان عددهم وأسماءهم وان كانوا. ومن كرمه انه لم يرض عليه  
في السويش يوم أو يومان، حتى عرف منزله فقراء البلد فاتحوه من كل مكان، قالوا  
لا يرؤسائلا، ولا يخيب آمل، حتى اننا عدنا على ببط يده لهم. عند ما كاد يتعذر  
علينا أن نقف معه من بينهم، ولعمري ان هذا الجواد قد أرانا خير نموذج من كرم  
خلفاء العرب وأمرائهم الاولين الذين حفظ التاريخ مناقبهم وخلد ما أثرهم

وقد احذر أن يسافر بجماعته في باخرة الخاصة الحديوية (البحيرة) اذ رأى  
مما كان من القذارة وتيسير العبادة وأخبرناه ان سموه وزير مصر قد انشأ هذه  
الباخرة لتسهيل سبل الحج على المسلمين وانه يسره ان تكون العبادة متيسرة فيها



للمسافرين ولذلك جبال مستخدمين من المسلمين فسر صاحبنا بذلك ورفع الى سمو  
الوزير رسالة برقية يشكر سموه عنايته بإنشاء هذه الباقرة لتسهيل الحج بها على  
النفراء ويشكر حفاوة حكومته به لاسيما محافظ السويس ووكيل المحافظة ويعتذر بضييق  
الوقت عن عدم التشرف بزيارة سموه وتقديم الشكر الشفاهي فأجابه سموه بالبرق  
جوابا لطيفا هذا نصه

سراي عابدين

حضرة الامير الجليل محمد بن عبد الوهاب امير دارين تحت لواء نجد بالسويس  
نشكر حضرتكم خالص الشكر على التمراف الذي ارسلتموه الينا وتمنى لكم حرجا  
مبرورا وصحة وسلامة في السفر والاقامة (عباس حلمي)

### موكب الحج المصري وضعف الدين في مصر

احتفل في هذه السنة بموكب الحج المصري أو الحمل المصري كما كان يحتفل في غيرها  
من السنين وما الحمل وهو كبه الا تمظيم وإنهار لركب الحج ومن العار السليم  
والحزني القبيح على مصر وهي المملكة الاسلامية الثانية التي للحجاج فيها موكب رسمي  
أن يكون الحجاج منها أقل من حجاج قرية من قرى نساير البلاد الاسلامية أو أقل من  
الركب الذي جاء به صديقا الفاضل الهمام محمد عبد الوهاب باشا من بلدة الصغيرة (دارين)  
يتشدد الدين دين السنن وأقلامهم قوي متين ، ودين عقولهم وقلوبهم ضعيف  
مهين ، ويقولون لا لوم ولا عار على الأمة المصرية ان لم يخرج الى الحج منها في هذه  
السنة الا ٢٧ رجلا فان الاغنياء الذين يستطيعون دفع مافرضته الحكومة والخروج  
الى الحج إنكارا كره ، احتجاجا على الحكومة ، قاله عار محصور في الحكومة !! وهذه  
الحجة أضف من حجة من جاء المسجد فوجد الباب مغلقا فترك الصلاة معتذرا بان  
المسجد لم يقبله ! وإنما كان عذر القاعدين عن الحج من الاغنياء أضف لان باب  
الحرم أو باب الطريق غير مغلق في وجوههم واذا فرضنا أن التشدد بما ذكر  
نغيدار (الغيدار هو الرجل يسمى الظن فيصيب) وكانت الحكومة تحب أن تصد  
الناس عن الحج في باطنها أو بإلجاء المحتلين لها على ذلك فهل تقضي قوة الدين بان  
تضعف الأمة مامها ، وتجمل دينها هداها مامها ، أم الواجب عليها بذل النفس  
والنفس في مقارمتها وحفظ شعار الدين ، واقامة هذا الركن الركين ، الامر ظاهر



والذين هم من الحكومة من هو أشد رغبة في تغييرا وتغييرا عن إقامة ركن  
الاسلام الذي يدعي الدفاع عنه فحينئذ والله نعم الوكيل

### سكة حديد الحجاز - وضريبة لها جديدة

تلقت ارادة مولانا السلطان بأن يؤخذ قرش مباح عن كل ورقة تقدم للحكومة في  
المدنية وغيرها من الدوائر سواء كانت الورقة مستقلة أو تابعة لأوراق أخرى  
كلاوراق التي يحتاج بها الخبلاء في الدعاوى (المستندات) والمسال الذي يجمع من  
هذه الضريبة مخصوص بسكة حديد الحجاز لان نفقاتها تزيد كل يوم باتساع العمل  
وفي هذا المقام نذكر اخواننا مسلمي الهند واهتمامهم بهذا المشروع  
الاسلامي الكبير ونخص بالذكر الاستاذ الهمام الملا عبد القيوم فان الجرائد الهندية  
توافقنا دائما بذكر نجاحه في البلاد وخطبه المؤثرة في الحث على جمع مال الاعانة للسكة  
ولم نسمع بأن عالما مصرياً او تونسياً تبس بكلمة خير في هذا الموضوع ، نعم ان  
الحرية المنوحة للمصريين لم تقدر ان تقدر قلوبهم من الاستعداد للحكومة فلو ان  
حكومتهم ارادت جمع اعانة لأرادوا او لو ظنوا انها تريد ذلك لبادروا اليها كما امتنعوا  
عن الحج لانهم ظنوا ان حكومتهم لا تريد ان يحجوا في هذا العام «هذا وما فكيف لو»

### ( اصلاح لبنان - لائحة للمتصرف الجديد )

أهدتنا جريدة المناظر الغراء التي تصدر في البرازيل رسالة مطبوعة أو «لائحة»  
من جماعة اللبنانيين المهاجرين الى صاحب الدولة مظفر باشا متصرف لبنان وهي رسالة  
جلية صادرة عن فكر حي تقطع منها ما يأتي

«مولاي: الأمة اللبنانية مستقلة في شؤونها الداخلية فهل استقلت على سبيل الاستعداد ؟  
ينبئنا التاريخ وتدلنا الحالة الحاضرة على أن الأمة لا تتحرك فيها عاطفة الاستقلال الا متى  
أنفت من الرضوخ للسلطة الاجنبية وأنها لا تأنف من هذا الرضوخ الا متى ثمرت  
بطاقتها على ان تحكم نفسها » فالأمة اللبنانية لم تستقل على سبيل الاستعداد

« قد تقدم الاستقلال الداخلي اللبناني نبي عما يتقدم الاستقلال غالبا » تقدمته  
دماء ولكن ليست كالدماء التي جرت في أميركا سنة ١٧٧٥ وما يليها الى سنة ١٧٨٣ .  
تقدمته معارك ولكنها ليست كالمعارك التي حدثت في بولونيا سنة ١٨٣٠ . تقدمته جهاد  
ولكن ليس كالجهاد الذي حدث في جنوبي افريقية في السنوات الثلاث الاخيرة إنما الدماء



التي تقدمت استقلالها كاهنة دماء لبنانية لم تخرج بها نقطة من دماء جيوش الدولة الانتدابية ولا دار في خلد اللبناني في السنوات التي تقدمت استقلاله أن يخرج على الدولة التي كان ولا يزال يرفع رايستها والمعارك التي حدثت قبيلا الاستقلال كاهنة هلية نازل فيها اللبناني أخاه اللبناني . والجهد الذي حدث لم يخالفه من "روح الوطني ولا نسمة دماء تمصب ومعارك صليبية وجهاد ملأني . تلك مقدمة الاستقلال اللبناني أو مقدمة المؤتمر الدولي الذي التأم في بيروت في حزيران سنة ١٩٦١ وقرر للبنان حالة السياسة الحاضرة . فانظر يا مولاي ما هي مقدمات الاستقلال اللبناني الداخلي تعلم سر اختلال اللبناني في حكومة نفسه . سر اختلال اللبناني في حكومته لنفسه أو سر الاختلال السياسي في لبنان هو الفساد الاجتماعي الذي كان مصدر المقدمات الاستقلال . فالاصلاح في لبنان يجب أن يكون اثنين - اصلاحا اجتماعيا ينتهي بالاصلاح السياسي الاختياري واصلاحا سياسيا يستمر حتى تستقر نتيجة الإصلاح الاول . ما استقلت ( يا مولاي ) الامة اللبنانية وهي قادرة على سيادة نفسها ولكنها استقلت فيجب ان نجعلها اهلا لهذه السيادة .



ثم قال الكاتب بعد ان ذكر ان المصاحبة العامة لم تربط اللبنانيين ولم تربطهم وحدة اللغة بل قال انه ليس لهم حتى الآن مصاحبة عمومية وانهم مادموا كذلك فهم في حكم العدم وبعد ان اوجب البحث في سبب ذلك وجزم بأنه أهم ما يقال في الفساد الاجتماعي قال : مولاي ؟ الارض التي يسكنها الدرزي اللبناني يسكنها المسيحي اللبناني . الهراء الذي يتشقه الواحد يتشقه الآخر . اللغة التي يتكلم بها هذا يتكلم بها ذاك . اذا راجت سوق الحاصلات اللبنانية في الخارج استفاد كلاهما معاً واذا كسدت انصردا معاً قلماذا وعلام اقتتلا ؟

مولاي : ما هو الفرق بين الارثوذكسي والماروني وبين كل منهما والملكي وبين كل منهم والمسلم وبين كل من هؤلاء والشيعي في كل ما هو لبناني دنيوي على الإطلاق ؟ لا تستطيع يا صاحب الدولة ان تجد من فرق فما هو سبب استقلال كل واحدة من طوائف لبنان عن الأخريات فيما هو دنيوي

لا يوجد في لبنان الا أربع مدارس دينية . والمدارس الدينية مشروعة الاستقلال . فهل اقتصر الاستقلال عليها ؟ كلا يا صاحب الدولة ان الاستقلال الطائفي تناول كل مدارس الجيل الاستعدادية والعالية . فما هي مشروعية هذا الاستقلال الطائفي في



التي هي من جملة ما ينبغي ان يكون عليه

الاصول التي ذكرها في هذا كتابه سوانية انفراد أبناء هذه الطائفة عن أبناء تلك في  
تفهمهم للدين والادب والعلوم مشتركة مما يعني اصطلاح المجتمعات الدينية  
والعلمية بالاجبات العقلية

اذاً انما هي الحاضرة العلية السلطانية على ابن منذ الطائفة بوسام اورتية عاليين  
سرا أبناء الطائفة نفسها واستاء أبناء الطوائف الاخرى  
المؤلف يتشبع اسم في صدر كتابه بنسبته الطائفية ومؤلفه عندئذ مفيد عند طائفة غير  
منه عند الطوائف الاخرى

الطيب الذي هو طيب روز والمحمي الماروني محام المارونية والناسم الارثوذكسي  
بوسام عرفة الارثوذكس فقط والكاتب الملكي ممبر عند الملكيين فقط

في هذا التناقض هذه المواقف ههنا التناقض هذا الاستقلال في قلوب  
جميعهم المصاحبة الطائفية واللعنة هو التعصب الذي يسيطر على الدولة - - التعصب القديم  
الذي يزين لكل طائفة في لبنان انها مستقلة عما يحثها عن الطوائف الاخرى . ولا  
صلاح لها في الحقيقة يصح ان تسمى مصلحة طائفية عمومية . ولا قيادة من استقلالها  
في مثل ما قدمنا من الامثلة الا فندقوا انها لرميت - قائدة استخدام هذا الاستقلال  
فيما يفيد الرئيس وانبياء واصدقاء باسم الطائفة - قائدة استخدام الدين في المنافع  
الدنية . التعصب الذي هو سبب الاستقلال الطائفي . وهذا الاستقلال هو سبب  
انقضاء المصاحبة العمومية . فكيف نال شي هذا الاستقلال لتستب لنا تلك المصلحة .  
ثم اننا في ثلاثة كتب بالاشارة المذكورة في الجزء الثاني من كتابنا الله تعالى

### في المنار في انبلاء الاسلامية

جاءنا من طهران كتاب يقول فيه مرسله ان المنار ذكر اسيراً في مجاليس  
العلماء والمجاهدين والامام العلامة ملاذ الانام السيد محمد الطباطبائي المحقق  
المشهور قد نال في تجديده الفاضل بالعلماء في تفرغ محبتكم واتناء عليكم . . وان  
الفاضل الممدام . علامه علماء الاسلام الحاج الشيخ زين الدين . الملقب بملك  
الواعظين . به اول واعظ ومفتكم على المنبر في هذه الاقطار كان يعظ في شهر  
رمضان في سنة . . مع طهران النوسوم بالجامع المروزي وهو جامع كبير معروف  
فيه مدرسة كبيرة لافقه وسائر العلوم . . وقد انشأ عليكم وقرض مجلة المنار على



منبر الجامع أثناء الوعظ والمسجد مملوء بجماهير الناس من الخاص والعام .  
والنار يفتخر بصداقة هذين المعلمين في الأمة المحمدية ، ولا غرو فالبلاد الفارسية  
جديرة بهذه الأريحية ، فاتها كانت ينبوع العلم والاجتهاد وستبقى كذلك الى يوم التناد ،  
وجاءنا من تونس ان الجزء الواحد من النار يدار على عشرات من الناس  
وجاءنا من بلاد أخرى عربية ان أهلها لا يرجحون على قنوى النار قنوى وان  
بعض القضاة الشرعيين يتمد على النار في جميع بعض الاحكام ويحتج به وهذا دليل على  
حياة العلم هناك لاننا لا نقول في الدين شيئاً الا بالدليل فهم يأخذون به لا بقولنا  
وجاءنا من بعض المدرسين في بلاد روسيا أنه سمع كثيراً من عدى النار وخدمته  
للإسلام وأحب ان يطلع عليه ولكنه لم يعرف اسم صاحبه فاكثفت بأن يكتب اليها  
باسم « النار في مصر » طالباً ارسال النار اليه . فنشكر لهؤلاء الفضلاء الاعلام  
تنشيطنا على هذه الخدمة المالية ومساعدتنا عليها بالدعوة اليها والترويج بها

### ﴿ انتقاد المقتطف الاغر ﴾

قرظ المقتطف الاغر كتاب الاسلام والصرانية وانتقد علينا ما أوردناه في  
مقدمته من تمثيل الاسلام بنبوع تفجر في أرض ثم قاض في أرض أخرى فأنتأ به  
أهلها حدائق ذات بهجة الخ وتلطف كاتب الانتقاد الفاضل فأورد النقد بصفة  
سؤال سنجيب عنه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

### ﴿ تنبيه لقراء النار ﴾

قد أصدرنا الجزء التاسع عشر الذي موعده غمرة شوال مع الجزء العشرين في  
نصف شوال . فبما سببنا واحداً مؤلفاً من عشر كراسات فلم ننشر كثير  
من جههم شيئاً . وقد غفل عن كبر الجزء . وعفا كتب عليه من العدد ( ١٩ و ٢٠ )  
بعضهم فكتبوا يطلبون منا الجزء التاسع عشر

### ﴿ إزالة وهم ﴾

يتوهم بعض الناس أن مما ينشر في النار غير معزى الى أحد ما هو بقلم الأستاذ الامام  
أوبايغازه وقد تذكرنا هذا عند نشر تعريب ( مسألة الشيخ محمد شاكر ) وبهذه المناسبة  
نذكر ان كل ما ينشر في النار غير معزى وأصلا فهو لصاحب النار فكل او عبارة . وهذا لا ينافي اننا  
اقبلنا كثيراً من المسائل العلمية التي تنشرها من « عارف الشيخ في الدروس والمذاكرات  
ولكن الذي نو - بياحه أن منشئ النار مستقل في عمله استقلالاً تاماً لا يدخل لأحد فيه



بؤنى الحكمة من بشاء ومن يؤت  
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما  
يذكر إلا أوّل الألباب

# المجلد الخامس

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول  
فيصرون أحسنه أولئك الذين هداهم  
الله وأولئك هم أولو الألباب

( قال عليه الصلاة والسلام : إن بالإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر يوم السبت غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٠ - ٢٨ فبراير ( شباط ) سنة ١٩٠٣ )

## مسألة النساء

( مضارّ تربية النساء الاستقلالية في الافرنج )

( تمهيد ) للامم طريقان تسير عليهما في حياتهما الاجتماعية طريق الهداية الدينية مع النظر والتجربة وطريق النظر والتجربة بدون استعانة بهداية الدين . ولا يعرف التاريخ أمة من الامم أرتقت في الحياة الاجتماعية بدون دين ولكن كثيراً من قادة الافرنج في السياسة والعلم قد صرخوا صرخة النصرانية واستدبروا تعاليمها الاعتقادية والادبية والعملية في طريق مدنيتهم . هم مقررّين أنه لا يعتمد في شؤون الحياة الاعلى النظر والتجربة معاً دون ما عداها فاشتهر في العالم أن الافرنج صرخوا من الدين في الواقع وإنما ينصرونه ويتعصبون له لأجل السياسة الخارجية وأنهم لم يرتقوا إلى فنة حضارتهم هذه إلا بهذا المروق والاستدبار . وهذه شبهة أوحجة على بطلان النصرانية إذا كان الدين كما يقول المسلمون سائماً إلى صلباح



الدارين، وسعادة الحياتين، ولكنتا رأينا من كتاب النصارى من يقول ان الدين خاص بطالب الدار الآخرة ومراعاة تعاليمه في أمور الدنيا مفسد لها. وقد خدع بمثل هذه الأقوال والأحوال بعض المسلمين الجغرافيين الذين لا يعرفون من الاسلام الا بعض ما يرون ممن عاشوا معهم فحسبوا ان المسلمين لا يرتقون الا بمثل ما ارتقى به الأفرنج من استدبار الدين والاعتماد على النظر والتجربة اللذين هما طريق تمحيص العلم . يقيسون ديناً على دين يخالفه في حقيقة معناه وفي تعاليمه الاعتقادية والأدبية والعملية وفي آثاره الاجتماعية والمدنية ولا حجة لهم الا أن الأفرنج باستدبار الدين ناجحون، والمسلمين في الواقع ونفس الامر خاسرون، ولوا أبصروا الراوا ان هذا الخسار، إنما تولد من المروق والاستدبار . وان قياسهم انما هو قياس الضد على الضد، والله الأمر من قبل ومن بعد،

لقد سبغ القلم الى ما ليس من موضوعنا في هذا التمريد والذي نريد ان نقوله هو أن الإنسان على كونه أرقى الأحياء في هذه الارض لم يستغن وان يستغني بنظره وتجاربه عن هداية الدين وإرشاده ولدين وثي خير له من ترك التدين بالمرّة . وأن كل أصول الارتقاء التي بني عليها عمل مستدبري النصرانية في أوروبا مستفادة من الدين إما من بقايا دينهم تقليداً وإماماً وصل اليهم من الاسلام اجتهاداً . وأنه يجب على المسلمين الذين وجهوا وجوههم للحضارة الأفرنجية بالتربية والتعليم ان يترووا في نظام هذه التربية وقوانينها فلا يجماعوها تقليدية خالصة . وأنه يجب ان يكون أول هذا التروي تقوية الرابطة المالية التي كانوا بها أمة لئلا تكون التربية مفرقة لاجتماعهم مزرقة لشملهم فيكونوا كالباحث عن حقيقته بظلمته . وأنه



يجب إقامة ما قرره الدين على سبيل القطع والتروى والاجتهاد فيما وكله الى الناس والاعتماد فيه على النظر والتجربة والاعتبار بسير الامم ونتائجها .  
وان أكبر العبر ما وقع فيه الافرنج من الامراض الاجتماعية بشذوذهم عن هداية الدين في كثير من المسائل وان انتفعوا نفماً عظيماً في أمور أخرى اذا خالفت النصرانية فانها توافق الاسلام بل هي لا بد ترجع الى أصل من أصول هدايته كما تقدمت الإشارة اليه آنفاً

مسألة النساء : وبعد هذا التمهيد نقول ان لدينا الآن مسألة كبيرة وهي مسألة النساء كيف يُعلمن وكيف يربين ليكن عوناً للرجال على الارتقاء وعجالة الامم الحية .

ان طلاب تغيير سير الامة بالتربية والتعليم قد وضعوا نصب أعينهم أوروبا وارتقاءها فمنهم من يطلب محاكاتها أو مجاراتها وهم الحكماء وبعض العقلاء ومنهم من يستحب تقليدها نظراً أو ترفاً وهم الذين أخذوا قشوراً من العلوم المصرية في مدارس أوروبا أو مدارس بلادهم التي أنشئت لهذه العلوم وفتنوا بزخرف المدينة الأوربية وبهرجها . كانت فرنسا هي القبة الأولى الاستانة ومصر في طاب هذا التحول لأنها أم هذه المدينة الجديدة في الغرب والشرق . ثم إن مصر وجهت وجهها في هذه السنين الى انكترابحكم طبيعة الاحتلال الانكليزي ومثلها الهند في هذا التوجه . ويرى هؤلاء ان الانكليز أقوم تربية من الفرنسيين ولذلك نورد لهم ما استفدناه بالمدارة والمناظرة مع بعض أهل العلم والخبرة التامة من الانكليز في مسألة النساء ليعلموا ان التروى الذي قلنا بوجوبه في التمهيد لا بد منه . ثم نتقل الى الحكم بضرورة اتباع الهداية الاسلامية في مسألة النساء والتربية



القويمة التي تنطبق عليها ليتبين لهم أن طريقة النظر والتجربة في هذا القرن لم تكن عن الهداية التي جاءت على لسان نبيٍّ أميٍّ منذ ثلاثة عشر قرناً ونيفاً الغرض من التربية والتعليم سعادة الأمة بهناء المعيشة وشرف المنزلة وإنما يطالب الهناء والشرف للحَيِّ النامي فإذا كانت طريقة التربية والتعليم تؤدي إلى قلة النسل وعدم نموه فتلك هي الطريقة السوءى وسلوكها هو الجنابة الكبرى على البشر، وتربية الاناث تربية استقلالية كما يترتب الذكور سواء مَحَلٌّ بوظيفة النساء الفطرية وهو دُود إلى تلك النتيجة المخيفة - قلة النسل المؤذنة بهلاك البشر

إنجبت هذه التربية في انكثار النتائج الاتية (١) اعتماد النساء على أنفسهن في المعيشة والكسب (٢) توجيههن إلى الأعمال الخارجية أي التي تكون خارج البيوت وتنافي تدير المنزل (٣) رغبة الكثير منهن عن الزواج بالمرّة وقال بعض أطباء الانكاز إنه عرف بالاختيار أن نحو أربعين في المئة من النساء كذلك . وقال بعض أطباء فرنسا إن إناث البشر كانوا سائر الحيوانات الأصل فيهن الرغبة عن مباشرة الرجال إلا في وقت مخصوص وهو وقت الاستعداد لقبول التلقيح وإن ما عدا هذا فهو عارض على البشر وبين أسبابه وذكر أن هذا العارض يكون في بعض الأفراد مرضاً من نوع (المستيريا) وليس هذا محل شرح أقواله .

(٤) أن أكثر النساء المتميزات بالتربيات يكرهن الأمومة إما لما في الحبل والولادة من المشقة والتعب وإما لاضطرارهن إلى ملازمة البيوت في معظم مدة الحبل والرضاعة إذا هن أرضعن أولادهن والبيوت صامتة في نظرهن كالسجون لتمودهن على كثرة الخروج . وإما لاحتياجهن في ذلك إلى



نفقات كثيرة تعوزهن أو يفضلن التوسع بها في الترف . ومنهن يذهب في ذم الأمومة مذهب الخيال الذي يلتبس عليهن بنظريات الفلسفة أو تقاليد الدين المسيحي في جعل الانسان ملكوتيا فيقتل ان الحمل والولادة من صفات الحيوانات فينبغي الترفع عنه . وهذه جهالة بمعنى الانسان وما هو الا حيوان أرقى من سائر الانواع في جنسه . وليس في استطاعة الخيال أن يخرج عن كونه حيوانا وان استند الى الفلسفة او الدين

(٥) انه قد فشأ في النساء تناول الادوية لمنع الملقوق وللإسقاط بعد تحققه  
(٦) ان البنت قلما تزوج في أول طور الاستعداد للأمومة وهذا التأخير من اسباب عسر الولادة لأن الأعضاء في طور الخدانة تكون مرنة تتمدد بسهولة فاذا كبر السن قلت هذه المرونة المسهلة للولادة . ويريد العسر عسرا ضعف الاجسام بالإفراط في الترف والنعيم فصار من الضروري ان لا تلد المرأة الا وهي مخدرة بالكافورم وبمساعدة الاطباء

(٧) ان الولادة قلما تنتهي بسلامة من مرض خطر فهذه سبع نتائج بعضها سبب لآخر واضيف اليها نتيجتين عامتين في النصارى وهما

(٨) ان المرأة ملزمة في عرف النصارى بان تدفع لمن ترغب في الزواج به مهورا وكثيرا ما يعسر عليها ذلك فتضطر الى التبتل أو البغاء

(٩) ان الرهبانية مشروعة للنساء كالرجال ومعدودة في الفضائل الدينية عند اكثر النصارى . فهذه تسع أسباب من اسباب قلة النسل ومقدمات انقراض الامم . وما عدا الاخيرين منها فهو من آثار التربية الاوربية . ولما كانت فرنسا هي السابقة في هذه التربية النسائية ظهر فيها قلة النسل واطباؤها وساستها في حيرة من أمره . وستبعضها انكثرا في ذلك



بعد سنين ، وإن خفي ذلك على المعجبين بتربيتها من الشرقيين  
 وإذا التفتنا الى جانب رجال نراهم في انكلترا يأخذون إخذ الذين  
 سبقوهم بهذه المدنية الفاسقة في فرنسا فاكثر الشبان يرغبون عن الزواج  
 بالمسافة والمخاضة ولا يكاد أحدهم يتزوج حتى يناهز الأربعين سنة أو  
 يجاوزها ثم هو لا يود أن يكون له ولد كثير وإنما يتغني ولياً يرث ماله  
 ويحفظ اسم بيته إن كان من اصحاب البيوتات ولا يكره ان يكون له ثمن  
 يخلف الاول اذا هو درج فإن عزر بثلاث احتمله وكره كرها شديداً ان  
 يزيد ولده عن عدد «الاقانيم الثلاثة» ويتفق مع زوجه على الاجهاض اذا  
 كانت ودوداً ولوداً

ولا تحسبن هذا المياع والمويل من ساسة فرنسا وبعض كتابها في  
 الشكوى من قلة النسل عامة في الامة بل الاكثرون يرون ذلك شرطاً في  
 سعادة الامم كما يرونه شرطاً في سعادة البيوت فان الامة التي يتضاءف  
 سكانها في مدة قريبة لا تلبث أن تضيق بها بلادها وتضطر الى المهاجرة الى  
 بلاد دونها لتعمرها وتغالب اهلها عليها وفي ذلك من الشقاء استبدال الدار  
 الخربة بالدار العاصرة . ويقولون إن الدولة لا تشكو من قلة النسل حياً في  
 الامة ولكن طمعاً في مباراة الدول المستعمرة فالسبب في ذلك طمع الملك  
 الذي لا يكتفون ببذل رفاهة الامة في سبيله وإنما يبذلون ايضاً أموالها  
 ودماؤها . لهذا يمسر على مثل فرنسا ان تعالج هذا الداء الاجتماعي  
 القاتل مادامت على هذه الطريقة في التربية والتعليم وفساد العقيدة  
 وحرية الفسق والفجور

بقي علينا ان نلفت لفتة نائلة الى البيوت لننظر كيف يعيش الزوجان



الاذان نظارتهما منفردين او وصفنا من حالهما منفصلين . يتوهم المفتونون بمدينة أوروبا ان السعادة المنزلية ، ونعيم المعيشة الزوجية ، يوجدان في الغرب حيث توجد العلوم العالية والتربية المشتركة بين الصنفين . ويتوهم أكثر الذين قرأوا ذلك الوصف البايغ المؤثر للحياة الزوجية السعيدة في كتاب (تحرير المرأة) أنه وصف منتزع من البيوت الأوروبية فمنهم من يتنى مثله بتربية مثل تلك التربية وتعليم مثل ذلك التعليم ولا مانع لنا منه كما يقول الكتاب . ومنهم من يرى ان المسلمين محجوبون عن تلك السعادة بحجاب النساء وأنه لا سبيل اليها فمالنا إلا أن نسأل الله ان يعوضنا عنها في الآخرة ما هو خير منها

الحق الذي لا مصرية فيه ان هناء المعيشة الزوجية لا يتحقق الا بتحقيق أمور (أحدها) ادعان المرأة بأن الرجل هو سيد المنزل ورئيسه وانها هي تابعة ومروسة له . ولا تدعن في نفسها هذا الإذعان الا اذا تربت عليه واعتقدته ديناً (ثانيها) ثقة الزوجين بالاختصاص بأن يعتقد الرجل أنه لا يشاركه أحد في زوجه وتعتقد المرأة ان زوجها لا يختلف الى غيرها من خدن أو بنى . وهذان الامران متحققان في الشرق بالدين أكثر من تحققهما في الغرب . ولا استثنى من الشرق مصر التي هي أفسق بلاد المشرق وأكثرها فساداً في البيوت (المائلات) . (ثالثها) المشاكلة في الطباع والمقاربة في السجايا والافكار . وهذا الامر ظاهر في الغربيين وهو في الشرقيين كذلك في الغالب . ومن غير الغالب بعض المتعلمين من المصريين فانهم لا يجدون في النساء من يقاربهم في أفكارهم . وهم الذين يشكون من حال النساء ويطلبون تغييرها بتربية وتعليم جديدين وان لرغبتهم تأثيراً كبيراً في



الامة لانها موافقة لرغبة الحكومة وسميها . والعمل على هذا وان أنكره  
بالقول الا كثرون

نعم يجب ان يكون النساء على مقربة من الرجال في الافكار والاخلاق  
والمقاصد والرغبات فالبلاد التي انتشر فيها تعليم البنين ينبغي ان ينتشر فيها  
تعليم البنات حتى لا تتسع مسافة الخلف بين الصنفين ولما في التربية والتعليم  
من الفوائد الكثيرة ولاكن يجب علينا ان لا نتبع خطوات الاوروبيين  
قدما بقدم وأن لا نحتذي شاكلتهم حذو القذة للقذة بل علينا ان نتوقى من  
أول السير كل ما رأينا سبي العاقبة فيهم وذلك يرجع الى أصول أهمها  
تربية الاتى تربية استقلالية تامة وتعليمها كل ما يتعلمه الذكور فهذان  
الامر ان يناهزان إذعانا لسيادة الرجل باطنا وظاهرا ويفضآن اليها ملازمة  
البيوت وهي وظيفتها الطبيعية الشرعية التي ليس لها تركها الا لسبب  
مقتض كما أنهما يرضانها لتدنيس عرضها وإهانة شرفها الذي لا تسمو  
عند الرجل ولا تملك قلبه الا به .

وحسبي ان أقول في التربية النافعة للنساء يجب ان تكون إسلامية وأن  
أقول في تعليمهن الاول انه كتعليم الرجال أي ينبغي ان يعرفن مبادئ  
المعلوم المدرسية كلها وأما ما رواء هذا فيجب ان لا يتوسعن الا فيما يلزم  
للبيوت من تدبير ونظام وتربية أطفال . ومن ذلك صنائع اليد والحياطة  
فعلم مما تقدم انه يجب علينا التروي في تربية البنات وتعليمهن وان لا تقلد  
فيهما الغربيين تقليداً أعمى لاسيما فيما يحظره علينا ديننا فقد تبين بسير العلم  
والتجربة في أوروبا عدة قرون ان كل ما خالفوا فيه الاسلام كان ضاراً فقد  
رجعوا الى الطلاق الذي كانوا يمدونه من اضر الامور في الاجتماع البشري



فصاروا يعدونه مثلنا من ضروراته. وتبدأوا يشعرون بأن تعدد الزوجات من ضرورات الاجتماع أيضا ووجد من نساءهم داعيات اليه لاسيما في بلاد الانكليز حيث يزيد عدد النساء على الرجال ضعفين فيكثر الزنا ويكثر عدد النساء اللواتي لا عائل لهن كما بيناه في مقالة مستقلة بالنقول والشواهد عن جراند انكلترا (راجع ٤٨١ م ٤) وإنما ان نعبر أن تأييد سير الممران وحوادث الزمان لاحكام الاجتماع في الاسلام من جملة الدلائل والبراهين على صحة أصله وكونه وحيا من الله تعالى لا وضعا من حكماء البشر كما يتوهم الملحدون. وقد طال بنا الكلام والمسألة تحتاج زيادة في البسط نرجئه الى فرصة أخرى

### باب رد الشبهات عمه الاسلام

( احياء الاسلام لمدينة اليونان والرومان والمصريين )

ذكرنا في آخر الجزء الماضي ان المقنطف الاغريق كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) وانتقد في تقريره التمثيل الذي أورده في مقدمة الكتاب موردا انتقاده في صورة سؤال يستحب أن يسمع جوابه ان كان عندنا جواب، وهما نحن أولاء نوافيه بما يجب بعد ايراد السؤال أو الانتقاد. قال الكاتب الفاضل بعد ذكر اسم الكتاب ونسبته الي من نسب اليه: « وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب. قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعه لها ما نصه:

« ينبوع تفجر في أرض وفاض مأؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد»



موتها ولكن القامئين على حراسته وتعهده وضموافوقه أنقذت آمن خزانة  
 حيرانهم ففيض الماء وما بقي منه سار من استعانت تحتوى - ولم يلبث بعد  
 ما غاض أن قاض منه شيء في موضع آخرى فأنشأ أهلها به وحافظوا عليه  
 ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل ينبوع  
 المنتسبين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر من تلك المواضع  
 فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم وأنهم لو أزلوا عنه  
 تلك الانقاض لقاض ورجع إليهم به خصهم ونماؤهم كأحسن ما كان لأنهم  
 تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء الأحياء - ذلك مثل المسامين اليوم مع  
 الأمم القريبة الحية الراقية - أخذ النريوت من الإسلام كل أصول  
 الإصلاح الذي هم فيه .

(ثم قال الكاتب بعدما نقل هذه الجملة مانصه : ) « وبا حيداً لو بين  
 لنا حضرة الأستاذ القاضل من أين أتى الماء الذي أحيى مدينة اليونان والرومان  
 فأنشأوا به الحدائق والجنات والماء الذي أحيى مدينة المصريين الأقدمين  
 فبقيت آثارهم الصناعية إلى الآن لم يقو ملوك العرب على محوها مع ما بذلوه  
 في ذلك من العناء وآثارهم الأدبية مرسومة في صنائع الصغور تعلم اسمي  
 الفضائل وأفضل الآداب »

### ﴿ جواب المنار ﴾

كنا بالأمس أو بالأحرى أمس نردّ شهادات بعض المثمنين على مؤنّد  
 المنار ، والمتجهين على النظم في الاستعجاب بهم ، ونحن اليوم إنما نذكر  
 علماً غريباً للمادة واسعة الاطلاع ونناظر أدباً ذكياً البؤاد ؛ دقيق الانتقاد ،  
 إلا أن قلعه عثر في هذا الميدان وقد يكبو الجواد ؛



من حسنات المقتطف أنه ينتقد الكذب التي يقرظها ولا يتبع سنن الجرائد في مدح كل ما يهدى إليه من كل وجه وإن كان مذمومًا من وجوه كثيرة . وانتقاد الكذب التي تنشر بين الناس أمر نافع ولكنه وعبر المسلك لأن وقت كتاب المجلات والجرائد قصير يضيق عن قراءة كل ما يهدى إليهم من المطبوعات لانتقاده ولأن أصحاب تلك المطبوعات من المؤلفين أو الناشرين يألون من الانتقاد وإن كاذبًا حقًا ومقننًا . وبعض الانتقاد يؤلم الجماهير من الناس إذا كانوا على خلاف رأي المنتقد . فالنصدي للانتقاد مع هذه العورة في طريقة يمد فضيلة توجب الثناء والشكر على من يعرف فوائد الانتقاد في تبلي الحقائق وتحري الصواب وتنقيح العلوم والفنون . ولقد قلت من قبل قولاً في ذلك كشفت به عما في نفسي وهو : سواء غندي من مدح قولي ومن انتقده لأنني في حاجة إلى معرفة ما يستحسن منه وما يستقبح على سواء بل ربما كنت أخرج إلى معرفة موضع النقد ، مني إلى معرفة موضع الحمد ، لأن هذا أبت على إصلاح العمل ، وأهدي إلى توفي الزلل ،

أما عشرة المقتطف فهي ظاهرة لأول وهلة في تحويل التمثيل عن موضعه فإنه صريح في كون الكلام في « المسلمين » يوم مع الأمم العربية الحية الراقية ، لا مع المصريين الأولين ، ولا مع اليونانيين والرومانيين ، وصريح في كون الأمم الحية أخذت من ينبوع الإسلام كل أصول الإصلاح الذي هم فيه . وهذه المسألة الجملة في مقدمة الكتاب مفصلة بعض التخصيص في الكتاب نفسه ولذلك لم يطلب المنتقد بيانها لأنه طلب تحصيل الحاصل أما مدينة المصريين واليونان والرومان فالناقد يعلم أنها قد ماتت قبل



ظهور الاسلام وإن بقي لها آثار تدل عليها ويعلم ان الاسلام أحياءها بعد موتها فأنشأ أهلها - لا أهلها - بها حدائق العلم والعمل في بغداد ومصر وقرطبة أو في الشرق والغرب والوسط ومن هذه البلاد انتقل العلم والمدينة الى الامم الغربية الحية بلا نزاع

ولم يكن الكلام في ذلك التمثيل في المدينة الصناعية وإنما كانت في الإصلاح البشري أي الإصلاح الذي ارتقت به عقول البشر وتهذبت نفوسهم وتوثقت روابطهم الاجتماعية وعرف بعضهم لبعض حق الإنسانية فإذا كانت تلك الامم التي سبقت الاسلام بالمدينة الصناعية وبن أهلها أهرا ما لم يبن مثلها المسلمون فالاسلام قد أفاد البشر ما لم تفده تلك الصناعة أفادهم ارتقاء في العقول علمهم أن تلك الأهرام وما يشابهها قد بنيت باستعباد البشر وأسر أرواحهم واشباحهم وتسخير الملايين منهم لخدمة شهوة ملك من الملوك الظالمين أو لخدمة وساوسه الدينية

علمهم أن تلك المدينة كانت تسحر بامها المحصور في طبقة مخصوصة أبصار الأمة وتخيل للناس ما ليس له حقيقة فتستبره بهم وتحملهم على الخضوع الاعمى لأولئك الرؤساء الضالين المضالين ، الفارين المغرورين

علمهم كيف يحكمون على اليونانيين بفساد الفكر في الخضوع لآلهة لا وجود لها الا في الخيال وتحكم تلك الأوهام في مدنياتهم وحربهم وصناعتهم فريكل جوبيتر الذي يدهش الناظرين بديع صناعته هو آية على ان تلك المدينة الصناعية كانت مقترنة بضلال العقل وفساد الفكر في المسائل التي يعتاز بها البشر على النحل والنمل الأبرش والكبوت وهي حشرات أتقنت أعمالها من الصناعة كانت فيها من أساندة الإنسان كما يقول بعض العلماء



علمهم كيف يحكمون على شرائع تلك الأمم وقوانينها بالظلم وهضم حقوق الإنسان بما يفضلون شعوبهم على سائر الشعوب في الحقوق فإنه لم توجد رمية وضعية ولا مساوية معروفة قبل الإسلام تساوي بين أهلها وبين جميع من يقبل حكمها من المخالفين وإن كانوا قوما معادين «ولا يجر منكم شأن قوم على أن لا تمدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما تعملون» وهذه الآية من سورة المائدة التي هي آخر القرآن نزولا ومعناها لا تحملكم معاداة قوم على ترك معاملتهم بالعدل فإن العدل واجب مع الولي والعدو لأنه من تقوى الله الخبير بالأعمال والمجازي عليها. والمصريون كانوا يستعملون ظلم غير المصري بل يعبدونه تعبدا للملكهم كما فعلوا بالأسرائيليين. وكذلك اليونان والرومان وهذا تاريخ اليهود شاهد بأن الرومان قد ظلموا الأسرائيليين ظلما يضاوي ظلم المصريين لهم. فأين هؤلاء وأولئك من معاملة الإسلام لليهود. تقدمت الذكرى في الجزء الماضي بمساواة عمر بن علي بن أبي طالب (وما أدراك من هو) ورجل آحاد اليهود. وعندنا ما هو أعظم من ذلك وأشرف

روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن زينة بنت سمنة وكان من أخبار اليهود أنه ابتاع من النبي صلى الله عليه وسلم تمرا إلى أجل وأعطاه الثمن فلما كان قبل الأجل بيومين أو ثلاثة أتاه يطالبه بالتمر (قال) : فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حتى فوالله إنكم يابني عبد المطالب مظل : فقال عمر : أي عدو الله أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى



عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أخرج الى غير هذا منك يا عمر -- أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعاً كان مارعته « ففعل ثم أسلم هذا الخبر الجليل وقال بعد ذلك إنه فعل ما فعل ليختبر أخلاق النبوة وعلاماتها فلما رآها كانت فيه عليه السلام آمنت به

وجملة القول إن الإسلام علم البشر أصول السعادة الحقيقية التي لم تكن معروفة عند المصريين ولا اليونان ولا الرومان وأهمها (١) صقل العقول بصقال التوحيد الخالص وتطهيرها من صدى الخرافات والأوهام ليكون الفكر مستقلاً فيما يعتد يرفض التقليد ويعتمد على البرهان . و (٢) بيان أن لا يكون سناً ونواميس ثابتة ينبغي أن يهتدي بها الإنسان في سيره العلمي والعمل . و (٣) توسيع دائرة الجنسية بجعل شريعته تساوي بين جميع الأمم والملل إذا قبلوا حكمها وقد كانت جنسية المصريين مصر واليونانيين أثينا والرومان رومية و (٤) القصد في المعيشة فقد اسرف القوم في الشهوات اسرافاً صاروا بها سراً من البهائم ولو شئت أن اسرد محاسن الاسلام وأعدد مساوي تلك المدينيات القديمة خرجت من جواب سؤال الى تأليف اسفار كبيرة وقد نشرنا في الجزء الماضي نبذة معربة من كتاب أميل القرن التاسع عشر في انتقاد آداب اليونان والرومان وفيها عبرة لمن اعتبر

فإن قيل ان النصرانية قد سبقت الاسلام الى إخراج اليونان والرومان من ظلمة الوثنية أقول أولاً إن النصرانية لم تنتشر في تلك الامتين الا بعد ما دخلها هي الوثنية ولاكتها قريبتهم من التوحيد لانها نقلتهم من عبادة مخلوقات



كثيرة الى عبادة مخلوق واحد على أن فيه معنى من الألوهية مركب من ثلاثة أقانيم . وثانياً ان النصرانية لم تجتمع مع مدنية الأمتين وإنما أجهزت عليها حتى تحت تلك المعلوم قبل أن تبلغ كمالها ، وطمست تلك الاعمال الصناعية وشوهت جمالها ، وما زالت في تدل وانحلال ، حتى جاء الاسلام فانتاشها من برائن الانحلال ، ذكر المؤرخون أن المسيحية تمكنت في أثينا أثناء القرن الخامس وفي أول القرن السادس قطع يوستينانوس أجره المعلمين المهويين في أثينا ومنع تعليم الفلسفة لأن المدارس كانت مفسدة بالنصرانية ومن ذلك الوقت أخذت أثينا بالانحطاط

ونحنم القول بنف من التاريخ في مساوي وخرافات اليونان والرومان الذين يباري المقنطف بهم الاسلام . قال في برهان البيان : « بينما كان الرومانيون مختلفين بعمل موسم تشریف لروح قيصر إذ ظهرت نجمة ذات ذنب طويل ومكثت سبعة أيام فظنت الأمة الرومانية أن روح قيصر صعدت الى السماء وتعودت بهذه الصورة وانتظمت في سلك العالم العلوي !! »  
فلولا وجد من الروانيين من يقول كما قال النبي الامي ( عليه الصلاة والسلام ) لقومه عند ما كسفت الشمس يوم مات ولده ابراهيم وظنوا أنها كسفت لموته : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكفان لموت أحد ولا لحياته »

وجاء في ذلك التاريخ أيضاً : كان من ثوابت عادات اليونان وأهل آسياء بناء هياكل للملوك بل وللكبار الحكم ليكون ذلك أقوى في الدلالة على الانتیاد والعبودية . وأما الرومانيون فكانوا يعبدون اسلافهم في معابدهم الخاصة فقط : ثم ذكر انه من عهد رومولوس الى عهد قيصر لم ينتظم أحد



في سلك الآلهة التي لها هياكل ومعابد عامة

ومن ظلمهم ان طيباريوس اتخذ القانون الفاضل بمقوبة كل من ياتي الى الامة الرومانية آله للانتقام كما يشتهي . وكانت الامة استعدت لذلك من زمن اغسطوس الذي سلب الامة حق التشريع والحكم في احوالها . ثم في عهد طيباريوس الذي سلب الامة حق الاستئناف ايضا لانه كان يعاقب كل من منهم يقول او يحسن . شارح هذا اذا عني بامانة وكل الامة كانت عيوننا ولا بد للناس من ان يدينوا في حقهم . واما في الاشرار من كانوا يحاسبون الناس على خوارسهم و ما يقبضونهم ولم يكن القضاء يتوهمون في حكم على المتهم بأدب تشبه . وكانوا يعاقبون على امور لا تخاطر في بالها احد من أهل الملك المستبد التي فيها يشبه تلك المظالم في اليوم من ذلك ان طيباريوس اخذ رجلا باع بيته وكان فيه صورة الاله برانطور . وان دومنيانوس حكم بالقتل على امرأة علم أنها رعت لبنها امام صورته !! قبل كانت تلك المدينة محتوية في بصلاحها التي يشوع المدينة في ذلك التي يستوي فيها الخليفة مع أدنى السوقة من غير المسلمين في الخوف منهم لأنها كانت في أشد الحاجة اليه ولذلك انتشر نور الاسلام بسرعة البرق

وقال صاحب برهان البيان : ولما كان الرومانيون متعسدين على التلاعب بالطبيعة البشرية في أولادهم وأرقائهم كما يعلم ذلك بالوقوف على قوانين الرومانيين المتعلقة بحكم الآباء والامهات على أولادهم كان لا يمكنهم غالباً معرفة ما نسميه إنسانية وهي فضيلة الرفق . . . . . وإذا كانت عادة الملة الجبر والقسوة في الحالة الداخلية الملكية فكيف ينتظر منها الرفق والعدالة الطبيعية . وكثيراً ما يطلع القاري في تاريخ القياصرة على قتل أناس كثيرين



لقصد مجرد ضبط أموالهم للدولة: — ثم قال — : ومن نظر في مرآة تاريخ  
الرومانين رأى فيها صور الأشياء البشرية فيجد في هذا التاريخ كثيراً من  
الحروب الواقعة والدماء المسفوكة والامم المدمرة ووقائع الجسيمة، والنصرات  
المظيمة، والتدابير الجمة، والحكمة البالغة، والاحتراص والثبات والشجاعة،  
ويجد فيه أيضاً تصميم النية على التغلب على كل شيء وأنه حصل كما ينبغي واستمر  
وانتهى كذلك وأنه لم يترتب عليه إلا إسماد خمسة رجال أوسنة من الأشرار:  
نقول: فهل كانت مثل هذه المدينة محتاجة الى ينبوع العدالة الإسلامية  
لإصلاحها وإحياء النفوس التي أمتها الظلم والجبروت، نعم كانت في أشد الحاجة  
الى هذا الإصلاح ولذلك قبلت الإسلام بسهولة. ونسكت الآن عن  
الكلام في فساد اخلاق الرومانين وتهتكهم في الخلاعة والفسق وانغماسهم  
في الترف والملاذوفساد أخلاقهم الشخصية فقد أوغلوا في ذلك إغلالاً  
مدهشاً ثبت أن أرواحهم ماتت وكانت محتاجة للإحياء. وهنا نخطر في  
بال القارئ أن النصرانية هي التي سبقت لإصلاح نفوسهم وإحياء مدنيهم  
التي أمتها الظلم والفسق ونقول إن النصرانية مهدت بعض التمهيد للإسلام  
ولكنها لم تكن محيية بل كانت مجهزة على تلك المدينة كما أشرنا الى  
ذلك في مسألة مدينة اليونان

(تأثير النصرانية في المدينة الرومانية)

جاء في تاريخ القرون المتوسطة ان النصرانية لم تكد تنتشر وتقوى  
في بلاد اليونان والرومان ومنها بلاد مصر حتى رأى رؤساؤها وجوب هدم  
الحياكل وكسر التماثيل ونحو الصور اليونانية والرومانية لأنها آثار الوثنية  
فقاموا بهذا الواجب حتى محوا آثار صناعة البناء والفنون الجميلة أو كادوا ولولا



أن بعضهم رأى تحويل بعض الهياكل إلى كنائس لما بقي لتلك الأمم أثر في الوجود . وقد أصدر تاودسيوس أمراً رسمياً بهدم الهياكل وتكسير الصور سنة ٣٩٠ للميلاد . ثم رأوا أن في علوم تلك الأمم خطراً على النصرانية فطفقوا يحرقونها في كل مكان فقد أحرقت مكتبة الاسكندرية بأمر تاودسيوس سنة ٣٩٠ للميلاد وأحرقت مكتبة اوكتوغونه في القسطنطينية سنة ٤٧٦ للميلاد وحملت الحمية الدينية لاون اللوزرياني على تحريق ما بقي من الكتب سنة ٧٣٠ . وكان في هيكل ابولون بلاثين بمدينة روميه مكتبة فيها أنفس كتب الآداب من عهد غسطينوس فكانت غيرة البابا اغرغوار وتقواه عاملتين على إحراقها وحرمان الناس من تلك الوديعة التي جعلها العالم وارون في حماية إله الشعر وكنفه . ( على اعتقادهم )

والامر الذي لا خلاف فيه هو ان انحطاط الامة الرومانية كان مقارناً لانتشار النصرانية فيها . فالوثنيون الرومانيون كانوا يقولون إنها هي السبب في ذلك الانحطاط والنصارى يقولون ان ذلك كان لأسباب سابقة ولكن لماذا أجهزوا على تلك المدينة ولم يصلحوها وينقوها من أضرارها بدلاً من محوها وطمس معالمها؟ وماذا أبقى النصارى للعرب بما بقوا لهم إلا نزاراً من الكتب أحيوها به أما تمهيد النصرانية للإسلام الذي أشرنا إليه فهو إضعاف تلك الوثنية وإضعاف تلك الحمية الجاهلية وذلك السرف في الترف بالفلو في الزهادة والانتقطاع إلى العبادة ثم إضعاف الامة بالخلاف في الدين والتنازع بين دولة القياصرة ودولة الرهبان والاساقفة والتمسار هؤلاء وتحكمهم بخرافاتهم في الامة ، فالذي مكن المسلمين من الانتارة على عقبة الانحطاط على سيرا قوسة هو إزلام القسيسين القيصريين بأسياة الأول المندوني بأن يشغل الجيش ببناء كنيسة



القديس . يوحنا . وكذلك أرموا خلفه القيصريون بأن يشغل عسكر  
الاسطول بمثل ذلك فتيسر بذلك للمسلمين الاستيلاء على جزيرة لنوس  
وأما خلافتهم في عبادة الصور وما نشأ عنه من التنازع والفشل فحدث عنه  
ولا حرج . فثبت بذلك أن النصرانية قد زادت اليونان والرومان جهلا ووهنا  
فكانه بذلك في أشد الحاجة إلى ذلك ينبوع الذي فاض في أرض العرب  
وتفجر ماؤه على غيرهما فأحيا البلاد والمباد كما هو شأن الأنهار والينابيع تفيض  
من مكان وتحيي ما تسير إليه . وصح تمثيلا حتى على الوجه الذي صرفه  
إليه . كقول الشاعر :  
و هذا جواب سؤاله بالاختصار

### لاحقة سجل جمعية أم القرى

يقول ( السيد المرآي ) أنه بعد تفرق الجمعية نحو شهرين ورد إلى من صاحب  
الكتاب المذكور فيه أنه بعد مفارقتها مكة المكرمة اجتمع بأمر جليل فاضل من  
أعظم نبلاء الأمة ورجال السياسة . فاستطلع رأي الأمير في شأن النهضة الإسلامية  
وبعد أن دار بينهما حديث طويل تحقق من خلاله سمو فكر الأمير والتهاب غيرته  
ذكر له اطلاع على سجل جمعية أم القرى وأشياء من مذكراتها ومقرراتها فأظهر  
الأمير سروره من الخبر وشديد شوقه للاطلاع على السجل الذي ذكره له فتمتد  
وعدها بعارته نسخة من السجل ثم أرسلها إليه وبعد أيام تلافيا فدارت بينهما المحاورات الآتية  
قال الأمير : أشكر لك أيها صاحب هذه الهدية العزيرة وبالذات لآية أحبتها في  
طاعة لك المذكرات النفيسة التي لم أتصلاك أن أتركها تلك الليلة حتى أتيت على  
آخرها ثم في الأيام التالية أعدت النظر فيها بالتدقيق .

قال صاحب : يظهر من عبارة مولاي الأمير استحسانه كيفية تشكل الجمعية  
واستأنه من مجرى مذكراتها .

قال الأمير : كيف لا أعجب بذلك واعلموا كنت أتمنى انمقاد جمعية يتضافر  
أعضاؤها على مثل هذا المقصد وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية



الذين حلوا المشكلة حلاً سياسياً وديناً معاً وكنت استبعد وجود أكفاء كهؤلاء .  
وأعظم إعجابي هو في هذا الرجل الملقب بالسيد الفراتي كيف اهتدى في رحلة قصيرة  
مع اقامته أياماً قلائل في مكة لأتخاب هؤلاء الاعضاء الاجلاء .

قال صاحب : لا بد ان يكون هذا الرجل مخلصاً في قصده فأعانه الله عليه كما  
ورد في الخبر : اذا أراد الله أمراً هبأ أسبابه : فاعل في الاقدار شيئاً آن أوانه  
قال الأمير : نعم الاقدار دلائل وانتم انبشروا .

قال صاحب : اود ان استفيد من مولاي الأمير وجوه إعجابه بهذه الجمعية  
ومذاكراتها لأصحح رأيي في بعض انتقادات الخليل في فكره المصغر فان أذن لي  
أعرضها عليه مسألة مسألة .

قال الأمير : قل وابعني أقف على ما لم انتبه اليه .

قال صاحب : يظهر أن أعضاء الجمعية ليس منهم بعض من السياسيين المحذرين  
فلو وجد ربما كانت تأتي القرارات أهدأ حكماً .

قال الأمير : لا أشك أن في الأمراء والوزراء المسلمين المعاصرين من هم أعلى  
كعباً في السياسة من بعض هؤلاء الاعضاء الذين تشب آراؤهم عن سياسة اطلاع  
وسمو فكر وبعد نظر مع ملاحظات السياسة الدينية والحالة العلمية والتدقيقات الاخلاقية  
قال صاحب : أرى ان الجمعية اعطت لمباحث السياسة الدينية الموقع الاول وقد  
أصابنا على ان السياسة الادارية أيضاً جديرة بالاهتمام فتركت بدون تدبير كاف

قال الأمير : لا شك ان السياسة الادارية مهمة أيضاً وقد باتت الجدية بها ولكن  
رأت أفضل وسيلة للحصول المطلوب هي رفع علة الفتور إذ انجبت مباحثاتها ان علة  
الفتور هي الخلل الديني فخواتمها كلها لجهة العلة حتى اذا زالت العلة زال المعلوم  
ومع ذلك لم يترك السيد الفراتي في فصل الأسباب الادارية شيئاً من أهيات أصول  
الادارة الا وأشار اليه بما يعني عن تفصيله

قال صاحب : ليس بعض الأعضاء كالعالم النجدي والمجاهد البريزي قد اسهب كثيراً  
بما كان يشبه يكفي عن باقيه

قال الأمير : ان مسائل الدوحيد والاستهداء وكنان مؤمن في الدين وقد تلمر في  
اليهما الخلل منذ قرون كثيرة فصار إصلاحهما ورددهما الى أصلهما من أصعب  
الأمور وفي مثل ذلك لا بد من الاسهاب في البحث والتعميق فيه أولاً يرى والله المثل



الأعلى كيف جاء القرآن الكريم بألف أسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد والحث على اتباع الكتاب والنبي دون التقليد .

قال صاحب: إني أرى أيضاً بعض مكررات في المذاكرات خلافاً لما قاله السيد الفراتي ولذلك أرى أنه لو اهتم ذو غيرة في اختصارها يكون حسناً

قال الأمير: إني لا أوافقك على هذا أيضاً لأنك إذا دقت النظر لا تجد مكررات وإنما هي آراء فلا بد أن يعاد فيها بعض ما سبق وعلى كل حال هذا سجل قد ضبط فيه ما وقع فلا يجوز اختصاره والتصرف فيه وإني أرى من أكبر محاسن هذه المذاكرات أن جاءت مباحثها متسلسلة مترقية فكل موضوع فيها يتلوه ما هو أهم منه فلا يمل منها سامع ولا مطالع .

قال صاحب: ما هو رأي مولانا الأمير في القانون الموضوع لأجل تشكيل جمعية تعليم الموحدين هل هو قانون محكم الترتيب وهل هو قابل الاجراء والتطبيق على الأحوال الحاضرة والمتنظرة

قال الأمير: القانون هو أهم ما اثرته الجمعية وقابل الاجراء مع الصعوبة قال صاحب: لا أدري هل أصابت الجمعية أم أخطأت في تعليق أكبر أملمها في اعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها المظالم

قال الأمير: لا يفوتك ان مطمح نظر الجمعية منحصر في النهضة الدينية فقط وتوهم ان يأتي الانتظام السياسي تبعاً للدين ولا شك انه لا يقوم بالهدي الديني ويقار على الدين أمة مثل العرب

قال صاحب: أليس دولة راسخة الملك إدارة وعسكرية وسياسة وافرة القوى مالا وعدة ورجالاً تكون أقدر على تمحيص الدين وإعرازه من العرب الضعفاء من كل وجه . واذ قد ألفت الأمة سماع لقب خدمة الحرمين قديماً ولقب الخلافة أخيراً في حضرة السلطان العثماني فلا تستكف عن الازعان الديني له بسهولة .

قال الأمير: إن حضرة السلطان المعظم يصلح ان يكون عضداً عظيماً في الأمر أما اذا أراد ان يكون هو القائم به فلا يتم قطعاً لأن الدين شيء والملك شيء آخر والسلطان غير الدولة

قال صاحب: ما فهمت المراد من أن الدين غير الملك وان السلطان غير الدولة فهل يفضل مولاي الأمير بإيضاح ذلك



قال الأمير : أريد ان احترم الشماثر الدينية في أكثر ملوك آل عثمان هي ضواهر  
محضة وايس من غرضهم بل ولا من شأنهم ان يقدموا الاهتمام بالدين على مصالحة  
الملك وهذا مرادي بأن الدين غير الملك وعلى فرض إرادتهم تقديم الدين على الملك  
لا يقدرّون على ذلك ولا تساعدهم الظروف المحيطة بهم لأن دولتهم مؤلفة من افيق  
أهل أديان ونحل مختلفة كما أن الهياكل التي تشكلها الدولة أعني الوزراء هم كذلك  
افيق مختلفة الأديان والجنسيات وهذا مرادي بأن الساجان غير الدولة • نخدمة  
الحرمين واقب الخلافة وروح الملك ووفرة القوى كلها لا تكفي لالمرجع في الدين  
نعم اذا بذل آل عثمان العظام قوتهم في تمهيد وتأييد من يقوم بذلك يأتون بفضل عظيم  
قال صاحب : قد وجد في هذا البيت الكريم بعض أعظم خدموا إعرار الدين  
وما كبر كالسلطان محمد الثاني والسلطان بايز سليم والسلطان سليمان والسلطان  
محمود والسلطان الخالي المعظم هم أولى وأجدر بالخلافة من غيرهم

قال الأمير : أرجو ان لا تنظر للمسألة بنظر العوام بل بنظر حكيم سياسي  
فإنه بالنظر مائياً ومستقبلاً وفاب صفحات التاريخ بدقة نجد ان ادارة الدين وادارة  
الدول لم تجد في الامم ما في الامم في هذه الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز  
عنه رضي الله عنهم واتخذوا نوعاً ما في الامور والمياسين ثم افرقت الخلافة عن  
الملك وأما سلاطين آل عثمان الفخام فاني اذكر لك أنموذجاً من أعمالهم أتوها  
بشيء للملك وان كانت مصلحة الدين . فأقول هذا الملك محمد الفتح وهو أفضل  
آل عثمان قد قدم الملك على الدين فالتقى معاً مع ( فرديناند ) ملك ( الاراغون )  
الاسبانيولي ثم مع زوجته ( ايزابلا ) على أن يخلص ما من ازالة ملك بني الأحمر آخر  
الدول العربية في الاندلس ورضي بالمال العام والأكرام على التمسك بالأحراق  
وضياع خمسة عشر مليوناً من المسابين بعائهم بأثمانه أساطيل أفريقية عن نجدة  
المسابين وقت فعل ذلك في متابعة ما قامت له به رومية من خذلان الامبراطورية الشرقية  
عند ما جعله محمد كدونيأتم التمسك بالمال العام . وهذا السلطان سليم بن محمد بن آل العباس  
واستأصلهم حتى انه قتل الامهات الأجل الأجيال وبينا كان هو قتل العرب في الشرق  
كان الاسبانيولي شرقون يقتلهم في الاندلس . وهذا السلطان سليمان ضايق ايران  
بما كان في انحرافه الى الغرب . ثم لم يقبل الدانيون ان يفت آدرشاه لرفع  
الحدود بينهم . ثم لم يقبلوا من أن يفت آدرشاه لرفع



اقتسام فارس كي لا يجاورهم ملك سني . وقد سمعوا في انقراض خمس عشرة دولة وحكومة إسلامية ومنها انهم أغروا وأعانوا الروس على التآمر المسلمين وهو لانه على الحياة والهنديين . وتعاقبوا على تدويع الذين فاهلأكوا الى الآن عشرات ملايين من المسلمين يقتل بعضهم بعضاً لا يترمون فيما بينهم ديناً ولا اخوة ولا مروءة ولا انسانية حتى ان المسكر العثماني باغت المسلمين مرة في صنعاء وزييدوهم في صلاحة العيد وهذا السلطان محمود اقتبس عن الافرنج كسوتهم وألزم رجال دولته وحاشيته بلبسها حتى عمت أو كادت ولم يشأ الا ان يغيروا منها الا كمام رعاية للدين لانها مانعة من الوضوء أو مسيرة له . وهذا السلطان عبد المجيد رأى من مؤيدات إدارة ملكه اباحة الربا والخمر وابطال الحدود . ورأى مصلحة في قهر الاشراف وإذلال السادات بالعلم نفوذ الدانات ففعل .

وفي هذا المقدار كفاية لإيضاح قاعدة ان مؤيدات الملك عند السلاطين مقدم على المحافظة على الدين . أما صفة خدمة الحرمين وألفة مسامع العثمانيين للقب الشاذفة فهذا كذلك لا يقيد الدين وأهله شيئاً وليس له مايتوهم البعض من الاجلال عند الأجانب (١)

ولو ان السلطان المظلم أخذ على نفسه تأييد الدين بما أمده الله به من القوة المادية بدون استناد الى حجة معنوية لتمكن من ان يخدم دينه وملكه حقاً خدماً مقبولة عند الله مشكورة عند المؤمنين كافة ولرفعت له راية الحمد في شرق الارض وغربها واحترمه الابيض والاحمر وعظمه المسلم والكافر . وأظن أنه قد قرب اليوم الذي يتنبه فيه فيترقى في الأمر فيعدل عن الاعتماد على غير الماديات ويضرب على فم الغشاشين المتعلقين الخائنين الذين ينسبون حضرة الى مالم يتناسب هو اليه ويشعرون عنده دعوى مادعها قبل أحد من أجداد النظام بوجه رسمي

وهؤلاء الغشاشون يعرفون حضرة السلطان بهذه الدعوى بما يعرفون به عليه وبما يؤمنونه هم وأعوانهم من الكتب والرسائل التي يمزون بعضها لأنفسهم وبعضها لغيرهم من الدافقين أو لأسماء يسمونها أو كتب يخلطونها فيجعلون تارة آل عثمان النظام يتصلون نسباً بعثمان بن عثمان رضي الله عنه وأخرى يرفعون نسبهم الى أعالي

(١) الجانب لا يتفوهون بأن السلطان إنما الاستدما يريدون إقامة الحجة على

المسلمين المحكومين لهم ببعض أعماله في ملكه



قريش ويطلونها حق الخلافة صرة بالتنازل والإدلاء من العباسيين وأخرى بالاستحقاق والوراثة وآونة بالسهد وأخرى بالبيعة العامة وحينئذ بخدمة الحرمين الشريفين ووقتاً يحفظ الخلفاء النبوية . وكان هؤلاء الفشاشين يريدون بهذه الدسائس أن يحملوا حضرة السلطان نظيرهم دعي نسب كاذب كدعواهم لأنفسهم السيادة ومتسم مقام موهوم كدعواهم الولاية والقطبانية في أنفسهم وآبائهم وأجدادهم فيحشون في تلك المؤلفات أنساباً اتحلوها لأنفسهم مقرونة بنسب السلطان ويستطردون لحكايات كرامات لأجدادهم ملفقة مخترعة لا يعترف بها لهم أحد من المسلمين يدسونها بين حكايات وقائع الخلفاء والسلاطين

ومن المعلوم عند أهل الوقوف أن التلقب بالخلافة أو الإمامة الكبرى أو إمارة المؤمنين في آل عثمان العظام حدث في عهد المرحوم السلطان محمود إذ صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك أحياناً تفتناً في الأجلال وغلوّاً في التعظيم . ثم توسع استعمال هذه الألقاب في عهد ابنه وحفيديه إلى أن بلغ ما بلغه اليوم بسمي أولئك الفشاشين الذين يدفعون ويقودون السلطان الخاضر لا تزال عن حقوق واسخة سلطانية لأجل عنوان خلافة وهمية مقيدة في وضعها بشرائط ثقيلة لا تلائم أحوال الملك ومعرضة بطبيعتها للقلقلة والانزعاج والخطر العظيم ولذلك لا يزال السلاطين أنفسهم إلى الآن يأتون التلقب بالخلافة رسمياً في منشوراتهم ومسكوكاتهم وإنما تمضغها أفواه البعض فيسلوكها التركي تعظيماً لقومه والعربي تفاقاً لسلطانه والمصري اتباعاً للمرائين والهندي اعتزازاً بالوهم والახي هزواً ومكراً بخلاف سلطان مراکش وأمير عمان وإمام اليمن المتنازعين في هذا المقام رسماً المتقاطعين لأجنه على أنهم قد شمعوا أو كادوا يشعرون بضررهم السياسي في ذلك ولا نعلم متى يخاف الله من يسمي في إقناعهم جميعاً بترك هذه الدعوى الداعية للأفراد والتخاذل ويرتب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسي ومراسم التشريفات والمحاطبات وروابط التعاون والاتحاد بصفة سلاطين وأمراء كما آل إليه الأمر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلاطين الخارضية والديلم والايوبيين وغيرهم

ثم قال الأمير وقد حملتني إشارات السيد القرآني في كلامه على الجامعة الدينية تحتلوا بالخلافة أن أفكر في القواعد الأساسية التي ينبغي أن يبنى عليها ذلك فلاح لي ما قيدته في هذه المفكرة وأخرج من جيبه ورقة قرأها وعند ختام مجلسنا استفسرنا عنها وهذه صورتها .



- (١) إقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرائط في مكة
- (٢) يكون حكم الخليفة سياسة مقصوداً على الحطة الحجازية ومربوطاً بشورى خاسة حجازية
- (٣) الخليفة ينيب عنه من يرأس هيئة شورى عامة إسلامية
- (٤) تشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين مندوبين من قبل جميع السلطات والإمارات الإسلامية وتكون وظائفها منحسرة في شئون السياسة العامة الدينية فقط
- (٥) تجتمع الشورى العامة مدة شهر في كل سنة قبل موسم الحج
- (٦) يسكر الشورى العامة يكون مكة عندما يصادف الحج موسم الشتاء والصائف في موسم الحج
- (٧) تفرع الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس ويمينه الخليفة
- (٨) تعيين وظائف الشورى العامة بقانون خاص يصدر في مواسم الحج ويصدق عليه من قبل السلطات والإمارات
- (٩) يرتبط سمعة الخليفة بشرائط مخصوصة ملائمة للشرع بناء على أنه إذا تمسدى بمرء منها لم يجمع بينه وفي كل ثلاث سنين يعاد تجديد البيعة
- (١٠) انتخاب الخليفة يكون منوطاً بهيئة الشورى العامة
- (١١) الخليفة يبايع قرارات الشورى ويراقب تنفيذها
- (١٢) الخليفة لا يتدخل في شيء من الشؤون السياسية والإدارية في السلطات والإمارات مطلقاً
- (١٣) الخليفة يصدق على تولية السلاطين والأمراء التي تجري احتراماً للشرع على حسب أصولهم القديمة في وراثتهم للولاية
- (١٤) الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقاً ويذكر اسمه في الخطبة قبل الصلاة
- (١٥) لا يذكر في المسكوكات
- (١٦) يخطب الخطب الأمن في الحطة الحجازية بقوة عسكرية تتألف من ألفين إلى ثلاثة آلاف من جنود الخلافة ترسل من قبل جميع السلطات والإمارات
- (١٧) تكون الهيئة العامة للجنود الحجازية منوطة بقائد من قبل أحد الإمارات الصغيرة
- (١٨) يكون القائد تحت أمر هيئة الشورى مدة انعقادها
- (١٩) هيئة الشورى تكون تحت حماية الجنود المختصة



أما وظائف الشورى العامة فيقتضي أن لا يخرج عن تمحيص أمهات المسائل الدينية التي لها تعلق مهم في سياسة الأمة وتأثير قوي في أخلاقها ونشاطها . وذلك مثل فتح باب النظر والاجتهاد تمحيصاً للشريعة وتيسيراً للدين وسد أبواب الحروب والغارات والاسترقاق اتباعاً لمقتضيات الحكمة الزمانية . وفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وإن كانت غير مسلمة وسد أبواب الاتقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) . وفتح باب أخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس وسد باب إضاعة الاوقات بالعبث ونحو ذلك من أمهات المنجيات والمهلكات

ثم قال الأمير وبمثل هذا الترتيب تحل مشكلة الخلافة ويتسهل عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني يقتبس ترتيب من قواعد اتحاد الألمانين والامريكيانيين مع الملاحظات الخاصة . وبذلك تأمن الحكومات الاسلامية الموجودة على حياتها السياسية من الغوائل الداخلية والخارجية فتفرغ للترقى في المعارف والعمران والثروة والقوة بما لا بد منه لإنجاة من الممات . وما أجدر نهارات الحرية بالسبق الى مثل هذا الاتحاد

قال صاحب : يستشف من ظاهر فكر مولاي الأمير انه لا يجوز الاتكال على الملوك العثمانيين العظام في أمر الخلافة علاوة على الساطنة

قال الأمير : اني أجب الثمانيين لاطف شمائهم وتعظيمهم الشرائع الدينية ولكن المسيحية للدين مستلزم قول الحق وعندي أن آت عثمان العظام أنفسهم اذا تدبروا لا يجدون وسيلة لتجديد حياتهم السياسية أفضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي قال صاحب : أشرت كفايها الأمير أحد أعضاء الجمعية انه لما رأى السيد الفرائي يميل للتنقيب عن سياسة العثمانيين واستمالة الجمعية عليهم لا لهم ذكر له مرة ذلك متلوماً وقال له : ألا ينبغي ستر أحوالهم والذرافمة عنهم لانهم أعظم دولة اسلامية موجودة ؟ فأجابه بأن ذلك كذلك لولا أن فيه تغريب المسلمين وتركهم متكئين على دولة ما توقفت انفع الاسلامية بسى في عنفوان باسها بل أضرتها بمحو الخلافة السياسية المجمع عليها وتخریب ما ينشأ العرب وإنشاء الأمة بتوحاها شر في أوروبا ومدافعاتها عنه وان لا يقصد بكشف الحمية والاعمال غير إزالة الغرور والاتكال المتواليين على قضاة المسلمين بسبب عدم التأمل . ثم قال له :

يتركوا قوا وفوقه الما جين بعورين ثائمين . وتركوا الما كثرين برين .



عمره ثمانين ، وتركوا تراثي ملكهم طاعة المتغلبين ؟ أمّا أن لهم أن يستقظوا  
ويصحبوا من ثمانين على ما فرطوا في القرون الخالية فيتركوا الخلافة لأهلها والدين  
لجانها ويحتفظون هم على بقية سلاطنتهم ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين وبذلك  
يتقون الله في الإسلام والمسلمين ؟

وقال أيضاً أنه غير متعصب لأمر أو أمر ما لا بد أن يراه كل حر مدقق  
يتفحص الأمر من أن الغيرة على الدين وأهله والاستعداد لتجديد عز الإسلام  
محصران في أهل الميمنة البدوية من العرب الذين أن المشيئة الإلهية قد حفظهم  
من تلك الأمراض الأخلاقية التي لا دواء لها كفالج الحرية في الحواضر باعتقاد أهلها أنهم  
تقدموا على الأمر ، وكجذام الحرية في المدن بوضعهم النساء في مقام ربانها الاستمتاع ،  
وكطاعون الحياة في بعض الأقوام بأنهم المواطنين المميت الأخلق الشريفة دفعة الذي جرى  
الله أهل بخسب الأرض بهم بظهور أهلها منهم . وكوأن النشاط في أهل الأراضي  
الجزرية حيث سهل أن يغتوا فطر وأفضس أخلاقهم فيخسر والدنا والآخرة .

قال الأمر : نعم الرأي ونعم التدقيق

وقال أيضاً : إن هذا من حصر صف الخلفاء في خليفة فرنسي في  
مكة ترتبط به جميع السطحات والامارات الإسلامية أرباطاً دينياً وما وصف من  
تسامح الدول مع هذه المأذمة لهذا الارتباط الديني لأمر عظيم جداً ، والنسب أن  
الدول المسيحية التي لها رعايا من المسلمين أو المجاورة للمسلمين تحذر من أن يجر  
جمع الزكامة الدينية إلى رابطة سياسية تولد حروباً دينية فتعتمد هذه الدول إلى عمل  
الدسائس والوسائل لمنع حصول هذه الارتباطات بلورة فما هو التدبير الذي يقتضي اتخاذه  
أولاً من الدول من ذلك

قال الأمر : لا يفكر هذا الفكر غير القديس وأحزاب الجزويت وأمثالهم أما  
رأي السياسة في ذلك ؟ وروى في ذلك وهي الدول العظام التي يهملها التفكير في  
هذا الآن فقد علمتهم التجارب النتائج الآتية وهي :

(١) أن المسلمين لا يتصرفون أبداً لاسيما في زمان يتمد فيه النصارى عن نصرانيتهم

فإن المسلمين المستعيرين أغرتهم وجوب البعد عن الفتن من الجاهلين

وأنهم يترددون بين المسلمين أقرب من غيرهم نذائفة وحسن المعاملة والثبات  
على العهد ، فإذا أرشد أولئك السياسيون لأن يضموا إلى معرقهم هذه علمهم أيضاً



بالحكام الاسلامية في مسألة الجهاد التي تهيبونها علما يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم لامن مؤلفات متعصبين الفريقين حيث يجدون نحواً من خمسين آية بأساليب شتى كلها تنهى عن الإلحاح في الهداية الى الدين فضلاً عن التشديد والالزام بالقتال كقوله تعالى «إلّا لا تهدي من أحيت» «وجادلهم بالتي هي أحسن» «لست عليهم بمسيطر» ويجدون آيتين في التشديد أحدهما (فاصدع بما تؤمر) والآخرى (وجاهدوا في الله حق جهاده) وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون انهما نزلتا في حق المشركين والكتابيين من العرب ولا يوجد في القرآن ملزم لا اعتبار عمومية حكمهما. وإذا دققوا البحث يجدون أن ليس في علماء الاسلام مطلقاً من يحصر معنى الجهاد في سبيل الله في مجرد محاربة غير المسلمين بل كل عمل شاق نافع للدين والدنيا حتى الكسب لأجل العيال يسمى جهاداً. وبذلك يعلمون أن قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنياً على إرادة الفتوحات والتوسل للتشجيع حين كان مجال للفتوحات كما أعطى اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبية التي أشعل نارها المسيحيون ثم بعطف نظرهم الى التاريخ يجدون أن العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حرباً باسم الجهاد وما كانت تهديدات اساطيل إمارات الغرب الا من قيل القرصان الذي كان متوفاً عند جميع امارات الارخبيلين الصقلي واليونان وكلهم نصارى. أما غارات التتار على شمالي اوربا وغارات الترك على شرقها فكذلك ليست من نوع الجهاد ولا من الحروب الدينية وإنما هي من ملاحظات غارات البرابرة الشماليين على أوربا. ويجدون انهم كما أغاروا على أوربا أغاروا على البلاد الاسلامية ثم أسلم التتار وحسنت اخلاقهم اما الترك فاذا دققى الأوروبيون في سياستهم يجدونهم لا يقصدون إلا تناد للدين غير التلاعب السياسي وقيادة الناس الى سياستهم بسهولة وإرهاب أوربا باسم الخلافة واسم الرأي العام. وعدم اشتراك البلاد العربية في المذابح الارمنية الأخيرة برهان كاف على أن الاسلامية بمنزل عن المجافاة لأن العرب يفهمون معنى القرآن فيدينون به. وقد يندهش الأوروبيون اذا علموا أن السياسة التركية لم يوافقها أن تترجم القرآن الى اللغة التركية الى الآن.

ولدى رجال السياسة دليل مهم آخر على أن اصل "الاسلامية" لا يستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم بل يستلزم الاثمة وذلك أن العرب انما حلوا من البلاد جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولغتهم كما أنهم لم ينفروا من الامم التي حلت بلادهم



وحكمهم فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الأتراك بل يعتبرون دخولهم تحت سلطة غيرهم من حكم الله لأنهم يدعون لكلمة ربهم تعالى شأنه « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (كذا) فإذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لا يحذرون من الخلافة العربية بل يرون من صوالجهم الخصوصية وصوالج النصرانية وصوالج الانسانية أن يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محددة السطوة مبروطة بالشورى على النقي الذي قرأته عليك.

ثم على فرض أن الدول ولو المسلمة أرادت عرقلة هذا الأمر فهي لا تقوى عليه لأن أفكار الأمم لا تقاوم ولا تصادم على أنني لا أظن بمثل فرنسا أن تخدع لرأي أنصار الجزويت لاسيما بعد أن تعلمت من الانكليز كيف تسوس المسامير فأبقت لتونس أميرها فاستراحت مما عانتة قبلا في الجزائر بسبب السياسة التعصبيه الخرقاء قال صاحب : أستشف من كلام مولاي الأمير أن أمله ضعيف في تشكيل جمعية تعليم الموحدين مع أنه معجب باتقان التدبير.

قال الأمير : ان دون تشكيل الجمعية عوائق مالية شتى وأرجو الله تعالى أن يزيلها. قال صاحب : أنني جاهد في الوقوف على خبر السيد الفراتي ولعلي أنظر بمعرفة فاجتمع به أو أكتبه فهل لمولاي الأمير رأي أو أمر أبلغه إياه إذا ظفرت به . قال الأمير : نعم إذا ظفرت بمعرفة فاقربه مني السلام وبلغه عني هذه الجمل وهي أنني على صدق عزيمته . وعلى حسن انتخابه رفقاءه وأوصيه بالثبات والإقدام ولو طال المطال . وأن يحرص على إبقاء علاقته مع أعضاء جمعية أم القرى باستمراره على مكاتبتهم . وان لا يفتن من مساعدة القسطنطينية أو مصر أو مراکش أو طهران أو كابل أو حائل أو عمان لاسيما بعد انعقاد جمعية تعليم الموحدين ورسوخها . قال صاحب : إذا ظفرت به ان شاء الله أبشره بتحية مولاي الأمير وأبلغه كل ما أمر به .

### ﴿ انتهت المحاوره ﴾

يقول ( السيد الفراتي ) قد ألحقت هذه المحاوره بسجل المذاكرات وكتبت بها الى باقي الاخوان تسويها بشأن حضرة الأمير المشار اليه وشكراً على غيرته وتبصيراته وافتيخاراً بحسن ظنه ونظره في هذا العاجز وتبشيراً لجنابه وللمسلمين بأن جمعية أم القرى قد أحكم تصورهما وتأسيسهما فهي بضاية الحبي القيوم الابدية قائمة أبداً



### تذكرة

ربما يتأخر تشكيل جمعية تعالج الموحدين مدة فالتأمول من الجمعيات الإسلامية الموجودة في الهند وقازان والشرق ومصر وغيرها أن لاتأفف من تنوير أفكارها بمباحث هذا السجل فتقتبس منه مايناسبها وتتخذ القانون والوظائف مثالا وذكري

### رجاء

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعنده شئ حية ومروءة فلا يجتس من جمعية أم القرى وأعضائها بقصد إيصال سوء اليها ولا يعلم أن يده وإن طاولت الأفلاك أقصر عن الإضرار بها لأن الجمعية في أمان الإخلاص ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله

### تهنئ

أعلم أسراء التقايد وورثة الأوهام ومعظمو العظام ومؤهلو العظام أن تألمهم من سدة بعض هذه المباحث لما ألفوه عمرهم هو تألم مبالغت لا يلبث أن يزول متى خالوا بعتو لهم ونكمو الحكمة والإصاف وتأمروا بحق الإيمان وناقض القرآن وحيا يحلي لهم الحق ويندمون كما ندم قباهم الأولون فيتوبون ويتوب الله عليهم والله يهدي من يشاء

### إعلان

من أحب أن يحدد مقاصد جمعية أم القرى برأي فائق أو عمل مهم أو رغب في تعاضدها بجاه أو مال وأراد مراسلة الجمعية أمكنه أن يرسل وكالة الجمعية بدون اسم بل بارسال كتاب مضمون الى مدينة الى صندوق البوستة عدد

وأذا أراد التخفي يمكنه أن يكتبها أنه لا باسمه مخافا ثم بعد أخذ الجواب الأول يستعمل الكتابة الجفرية الموضحة في الجدول المذيل به هذا السجل

والذين يرجى منهم تعاضد مهم كخبرات الأسراء العظام والأغنياء الكرام فلهم أن يطالبوا رسولا من قبل الجمعية ليوضح لهم ما يستوفون ( انتهى )

( المنار ) قد انتهى كتاب سجل جمعية أم القرى وما الحق به وقد كنا اتفقنا مع جامعة السيد القرائي ( توفى الله روحه ) على نشره في المنار بتصرف يختص بتصحيح عبارته وحذف مساوي الدولة النميلة ( أيدها الله تعالى ) منه ثم استحسن فضلاء القراء عدم نشره في منار فلهذا سجدت على ما أشرته من أول سنة المنار الى الآن ان يتقوا بأنهم إذا طالعوا على هذا السجل كله بعبارة أصح الأجمة واحدة ذكر فيها خديو مصر بأنه مرجو مساعدة الجمعية ولا بدول الخاطبة الرمنية



## باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) أحوال الآخرة : على افسدي مهيب بتفتيش التاخرافات بمصر : جاء في كتاب الاحياء للإمام الغزالي في باب العقائد من الجزء الاول أنه لا يقبل إيمان المبد حتى يؤمن بالأمر الآتية وهي (١) سؤال منكر ونكير (٢) عذاب القبر (٣) وزن الاعمال يوم الحساب : يزان ذى كفتين وصنح (٤) صراط ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف (٥) حوض مورود لمحمد صلى الله عليه وسلم (٦) شفاعة الانبياء والعلماء والشهداء (٧) فضيلة النبي عليه الصلاة والسلام على جميع الناس ومن بعد أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . فهل كل ذلك صحيح ثابت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول صاحب الاحياء أفيدونا أثابكم الله ونفعنا بعلمكم (ج) إنما ذكر الغزالي ما ذكره في أصول الاعتقاد على الوجه الذي عليه الأشاعرة وأشار إلى الرد على مخالفهم من المعتزلة والشيعة وبعض أهل السنة الذين أولوا ما ورد في بعض ذلك . والغزالي لا يقول بكفر أو أنك المخالفين للأشاعرة بل صرح في مواضع من كتبه ( لا سيما كتاب إحياء العلوم من علم الكلام ) بأن المؤمن إذا عاش ومات ولم يعلم بتلك المسائل التي اختلف فيها المتكلمون من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم لا يخل ذلك بإيمانه . ومن تلك المسائل الخلاف في صفات الله تعالى هل هي عين لذات أو غير الذات والخلاف المعروف في كلام الله تعالى الخ فكيف يكفر أهل القبلة بعدم الإيمان بالمسائل التي ليست من أصول الدين وعقائده كالتفاضل بين الصحابة . فقوله : أنه لا يقبل إيمان أحد حتى يؤمن بما أخبر به ( النبي ) بعد الموت : صحيح فإن أركان الإيمان ثلاثة الإيمان بالله وصفاته والإيمان بالنبوة والإيمان بالآخرة وأحوال الآخرة تعرف بالسمع فكل ما صح بالتواتر وجب الإيمان به قطعاً وكان إنكاره كفرًا بشرطه ويؤخذ على ظاهر المفهوم من أسلوب اللغة إذا لم يكن إلا عقائداً فإن كان ظاهراً محالاً فاعتقاد المحال غير مكلف به في الإسلام فلذلك إن تأول ذلك أن تفوض . وإن كان ما ورد غير متواتر فجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره . ومن ثبت عند الحديث وجب عليه الإيمان بمضمونه وله أن يأوله إذا كان ظاهراً غير مقبول حتى ينطبق على وجه مقبول وأما ما فصله الغزالي بعد تلك الكلمة الصحيحة في اجهاها فلا يريد به أن هذا التفصيل شرط في تقبل الإيمان وإنما يريد أن هذا هو الراجح عند أهل مذهبه



ولذلك أشار إلى توجيهه والرد على مخالفه في ركن السمعات من الفصل الثالث في  
لوامع الأدلة ولم يذكر هناك الخوض وفيه أحاديث صحيحة وأما وصف الصراط بما  
ذكر فقد رواه مسلم عن أبي سعيد موقفا عليه فإنه قال بلغني ولم يرفعه إلى النبي  
صلى الله عليه وسلم ولكن رفعه أحد من حديث عائشة والبيهقي في الشعب والبعث  
من حديث أنس وضمه وهو المأولون يقولون إن الصراط هو صراط الدين أي طريقه  
ورد عليهم بقوله تعالى « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » ولكن الآية لا تدل على أن المراد  
بالصراط ما كان بذلك الوصف.

وأما الميزان فلم يرد في وصفه بما وصفوه به من الكفتين واللسان والصنح أحاديث  
صحيحة . وفي القرآن ذكر الوزن والموازين قال بعض المفسرين إنها جمع . ووزون .  
والأكثر على أن هناك وزنا حقيقيا وذهب بعض إلى أنه تمثيل المراد به العدل  
قال تعالى « ونضع الموازين القسط يوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا » روى  
الطبري من طريق أبي نعيم عن مجاهد أنه قال : « إنما هو مثل كالمحرر الوزن  
كذلك يحزر الحق » ومن طريق أبي ثعلبة عن أبي سالم عنه أنه قال « الموازين العدل »  
وقد نقل هذا القول عن غيره من السلف كالضحاك والاعمش . ولما أخذنا معتزلة بهذا  
القول عرف بهم وصار ينسب من يقول به إلى الاعتزال حتى قال أبو داود عن أبي سلمة  
عنه بن مقسم البري المحدث الثقة الصدوق : أنه قدري معتزلي : وما كان معتزليا إلا أنه  
أنكر الميزان . والمنقصود من هذا القول أنهم لا يقولون بكفر من خالف الجمهور في هذه  
المسائل قسین بهذا أن ما ذكره الجمهور في وصف أحوال يوم القيامة بالتفاصيل المعروفة ليس  
شرطا في صحة الإيمان بحيث يكفر من لا يعتقدوه وما ورد فيها ليس كله قطعي الثبوت والدلالة  
والأسلم في الأمور الغيبية أن لا يبحث الإنسان في كيفية بل يسنم بما ثبت في النصوص  
القطعية ويفوض الأمر في الكيفيات إلى عالم الغيب والشهادة ولا يعتمد على العقول

### ﴿ الجهر والأسرار بالصلاة وخطبة الجمعة والميدين ﴾

(س ٢) و. ز. في سوريات لماذا شرع الجهر بالقراءة في الفجر والركعتين الأولىين  
من المغرب والمشاء؟ ولما كانت خطبة الجمعة قبل صلاتها وخطبة العيد بالمعكس؛ أفيدونا  
لأزائم ملجأ للإسلام

(ج) إنما الجهر في الصلاة تنبيه التي تصلى ووقت الظلام غالباً فقد جاءت السنة  
الصحيحة بأنهم كانوا ينصرفون من صلاة الصبح ولا يكاد يرى بعضهم بعضاً . ومن











( الجوهرة الوسطى ) ثم انه لما رأى في هذه السنة اقبال المدارس على عقيدته  
نقيحها وألف رسالة أخرى سماها الجوهرة الوسطى ساك فيها مسلكا لطيفا في التبصرة  
والاستئلال ينبغي أن يختص بتلامذة المدارس الثانية أو الثالثة وقد طبعت الرسالتان  
معاً بحرف دقيق في شكل صغير فكانتا ١٢٠ صفحة فتصح لمدارس مصر الأهلية  
بأن تقرأ هذه العقيدة في مدارسها وثمها قرشان صحیحان

( كتاب لسان الصدق جوابا للكتاب المسمى ميزان الحق في الرد على انصارى )  
تأليف الشيخ على البحراني أحد علماء الإمامية الأعلام في الهند وهو كتاب جليل  
في بابه محكم الوضع قوي الحجج حسن الترتيب فيه مقدمة في اثبات الصانع وصفاته  
واثبات الرسالة أشار فيها الى ضعف مذهب الاشعرية وغيرهم في بعض المسائل ويتلو  
للمقدمة ثلاث مقالات في كل مقالة مقدمة وعدة مناطق يرد بها على القسيس مؤلف  
كتاب ( ميزان الحق ) ومن مباحث المقالة الأولى اثبات النسخ في الشرائع والتحريف  
في التوراة والأنجيل وبيان كون القرآن يغني عنهما، ومن مباحث المقالة الثانية تفنيد  
دعواهم اتفاق اليهود والنصارى في ما عدا الاعتقاد بالمسيح وبيان تناقض الأنجيل  
وابطال ألوهية المسيح. ومن مباحث الثالثة تفنيد مطاعنهم في القرآن وفي النبي عليه  
السلام. وبيان بشارات كتبهم به. والكلام في الأحاديث النبوية. وبالجملة انه لم  
يترك مطاعنا من مطاعنهم الا وقد رد وأزال شبهتهم فيه. ثم ختم الكتاب بخاتمة في  
اثبات مذهب الإمامية وجملي في آخرها قصيدة أشار فيها الى مطالب الكتاب ومباحثه.  
وذلك ان فرقة الشيعة أشد عناية من سائر المسلمين بالدعوة الى مذهبهم

وقد كان الكتاب يباع في الهند طبعاً سقياً كسائر المطبوعات الهندية. فانتدب  
الكتبي الغيور الشيخ محمد الميحي وأعاد طبعه بمطبعة الموسوعات في مصر فكان طبعاً  
متقناً نظيفاً وبلغت صفحاته ٤٧٥ من القطع المتوسط وهو يطلب من مكتبته بقرب  
الازهر وغيرها فاحت أهل العلم والفضل على مطالعته

( وقاية الشبان . من المرض الافرنجي والسيلان ) كتاب جديد ألفه الدكتور  
سعيد ابو جرة مؤلف كتاب ( حياتنا التناسلية ) أما حاجة أهل هذه الباز التي فشا  
فيها الوباء فمأثرة وما كون الكتاب وافياً بهذه الحاجة فانا أن محكم به او نستأنس له  
بتوجيه همه المؤلف وعنايته الى هذه المباحث حتى انه ألف فيها كتابين . وطبع  
هذا الكتاب كسابقه في مطبعة الهلال وصفحاته زهاء مئتين وثمته ١٢ قرشا وأجرة



البريد قرشان وبطلب من مكتبة الهلال بمصر  
( الراوي ) جريدة يومية سياسية تجارية أنشأها في العاصمة يوسف بك طاعت  
وأنشأ لها مطبعة خاصة واختار لها عدة محررين من كتاب السويين المشهورين  
بالاشتغال بالصحافة فنودوا تصادف دواجا ونجاحا ولكن رجاءنا في ذلك ضعيف إلا  
أن تسلك الجريدة مسلكا تمتاز به ولا يحسد القراء في سائر الجرائد الأخبارية وما  
ذاك الآن تبرا من المبل إلى إحدى القوتين الموجودتين في البلاد ونصبر زمنا طويلا  
على قول الحق المخلص من غير نظر إلى مرضاة الناس وغضبهم وأنني بهذا أن  
تكون تاريخية لا سياسية • وبعد ذلك تكون موضع ثقة جميع العقلاء والفضلاء

## بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِلْهَامِ

هو العربي الجواد • وهل سلم من سعاية وانتقاد

ذكرنا في الجزء الماضي خبر أخرج صديقنا محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين  
( واسمهم تباركوا في خاتمة الحج ) على السويين في طريقه إلى الحج وكيف ساعده  
يديه بالنوال حتى صار كل من لفق خبره يذكر كرم أمراء العرب الأولين ، وعطايا  
الحكام والسلاطين ، وتقول الآن أنه بعد أن وزع المذقات على القراء ، وأهدى  
الهدايا الأغنياء ، وبعد أن بذل المساعدة لدارس الإسلامية والتبعية والأجنبية وبعد  
أن أخذ على ثقته نحو مئة وعشرين حاجا من الفقراء وبعد أن ظهر ابتعاضه لأن  
سائر قاصدي الحج جمعوا خاشئين لأن سفينة ( البحيرة ) لم تسلمهم وأوصى من كان قائما بشؤنه  
( وهو السيد السيد مصطفى هاشم وكان أباشا في السويس اصفه صيف وزيار في هذا  
البيت الكريم ) بأن يجمع من بقي من الفقراء وهم يعدون بالآلئ ويرسأهم على  
ثقته في أول دبور يحمل حججا من السويس ، وبعد أن جاز في بعض الجرائد  
أن السيد المذكور وفي هذا عهد إلى أن يجمع ثلثة مائة من دواب شركه لبيت  
( بواخر البواخر الخيرية ) في سائر الحاج الباقين بعد هذا بمضاه أو كله كذا  
يعني الناس في مصر هذا الحس الجواد ، بالسعاية والانتقاد



بينا كنا نسمع بعض الوجهاء في السويس يقول أنه لم يبق بيت في هذه المدينة لم يصبه نوال هذا الأمير العربي إذا بعضهم يقول أن أكثر هذه المطايا في غيره وضمها ولو كان بنى هذه الأموال جامعا مثالا لكان أفضل وأبقى لذكره !! فأجابه كاتب هذه السطور : ان الكرم عالي قسمين كرم العقل وكرم النفس فالأول يجري فيه الحساب والتقدير واختيار الطريق الذي يوصل الى نباهة الذكر أو زيادة النفع وهذا الكرم يكون في الغالب مكتسبا بالتربية والتعالم . واما الثاني فهو سجية في النفس يكون لصاحبها أريحية وهمة تبعه على البذل متى وجد له طريقا ما ولا يأتي فيها الحساب والتقدير ، ولا توخي نباهة الذكر ولا حسن المصير : وكرم صاحبنا من هذا النوع ومنه كرم سائر الأجواد المعروفين كخاتم الطائي وكرم بن مائة ومن بن زائدة

ثم رأينا جريدة ، صباح الشرق تسأل سؤال قضاة التحقيق عن تاريخه ونسبه وحدود بلاده وعدد رعيته ومقادير المطايا التي جاد بها وعن الحجاج الذين حملهم هل دفع عنهم التأمين الذي فرضته الحكومة على الحجاج المصريين وعن منافع ثروته واستتجبت من ذلك توهين خبر الجرائد : ونحن نحيب بأن رواية الجرائد كتبوا اليها ما رأوه بأعينهم وسمموه بأذانهم فلم يكن لهم حاجة في تصديق الخبر بامساك هذا الرجل عن عمل البر وإشغاله بملاء تاريخه وتاريخ بلاده عابهم لأنه يوجد في مصر جريدة ساء ظنها بالناس حتى أنها تكتفي في مقام الذم بأضعف الشبهات ، ولا تكتفي في مقام المدح بالشهادة حتى يؤيدها جميع ما يخطر بالبال من النظريات ،

قلنا ان الرجل أمير أي أنه أمير في نفسه وقومه لا أنه سلطان ذو مملكة ورعية وقلنا أنه شيخ دارين أي أنه رئيس تلك الجهة وإن شئت قلت أنه أميرها ولكن العرب هناك يفضلون كلمة (شيخ) على كلمة (أمير) فيقولون شيخ الكويت وشيخ البحرين . وأما دارين فهي ميناء نجد على خليج المعجم من زمن الجاهلية وفيها قال الشاعر العربي ما يعرف في شواهد كتب النجو وهو :

يمرون باللهنا خفافاً عيابهم ويرجمن من (دارين) بجُر الحَقَّاب  
وقد كانت عفت فأحيا معالمها محمد عبد الوهاب هذا . وأما ينبوع ثروته التي استكبرها صاحب المصباح فهو تجارة اللؤلؤ على أنه كان غنياً قياها . ومن لطائف الاتفاق أن جريدة ثمرات النور الغراء كانت في أثناء وجود هذا الرجل مبحراً من السويس تعرب نبذة في صيد اللؤلؤ وقد جاء فيها ما نصه :



« واليك بيان كمية اللؤلؤ الذي صيد في هذا العام : جهزت سواحل الخليج ٤٢٠ سفينة فيها ٧٥٦٠ ثمناً فأصعدوا ما قيمته ٨٤٠٠٠٠ روبية ( الروبية فرنك واحد و ٦٨ سنتياً ) فاشتري هذا الصيد كله تاجر واحد من جزيرة داربان ( الصواب من دارين ) وجهاز من البحرين سبعمائة سفينة فيها اثني عشر ألف رجل فعادوا بما قيمته ٢٠٠٠٠٠ روبية . هذا ما كان من المنافع المشهورة وأما ما أخرج في غيرها من المنافع فلم نزل قيمته مجهولة . اهـ »

ونحن قد علمنا من صاحبنا انه مجهز السفن وأنه يعطي الفواصين الدراهم في أثناء السنة ويحاسبهم عنها عند اخراج اللؤلؤ . فتزيد مصباح الشرق قول بعض الجرائد انه جهز ثلاث مئة حاج بقوله ان ذلك يقتضي أن يكون قد دفع عنهم تأميناً للحكومة قدره خمسة عشر ألف جنيه على الأقل وقوله عنه اذا كان قد بذل من خرائمه مثل هذا القدر العظيم من المال الذي يكاد يكون أبغى ثروة تدخر بين ساكني نجد وتهامة من أول الزمن الى هذا العهد فهو بلا شك حاتم هذا الزمان وقارون هذه الأيام !! كلاهما غير سعيد وقد ذهل صاحب المصباح عند كتابة الكلمة الاولى عن كون التأمين الذي تطالبه الحكومة المصرية عن كل حاج في هذا العام هو خاص بالمصريين الذين لا يباح لهم السفر الى الخليج بعد سفر الحمل وقد سافر هذا الأمير بفقرائه المحتاج بعد سفر الحمل بأيام . هذا وجه خطأ عبارة الاولى وأما استكبار ثروة الرجل وقوله فيها فقد علم أيضاً انه في غير محله . ونؤيد له القول بأن ثروته أكبر مما أسكبه على أهل نجد وتهامة من أول الزمن الى هذا العهد .

وبقي أن نشير الى معنى كلمة « السماية » التي أشرنا في العنوان الى أن هذا الحسن لم يسلم من إساءة أهلها . وذلك أننا علمنا أن عقارب بعض السماة المحالين الذين يسمون هنا « جواريس الاستانة » قد دبت الى منجمها ودبرت حياة لا يذاء هذا الرجل الحسن في بيت الله وحده الآمن بواسطة من هم أهل لذلك في الاستانة وكادوا له كيداً فندأ الله أن يرد كيدهم في منحورهم « قاله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين »

### ﴿ اصلاح لبنان ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي نبذة من اللائحة التي قدمت الى متصرف جبل لبنان على أنها من جماعة المهاجرين اللبنانيين وعلم من تلك النبذة أن الغرض منها إثبات أن سبب تأخر لبنان وأنحطاطه هو التعصب الديني في طوائفه أو « الاستقلال الطائفي » الذي



ينبغي الاستقلال الوطني الذي تعمربه البلاد وبقي علينا أن نشير الى رأي اللائحة في  
 «الاشارة الاستقلال الطائفي الذي هو شرط الاستقلال الوطني المطلوب  
 بدأ كاتب اللائحة رأيه بخطة القانون اللبناني في جعل وظائف الحكومة مقسمة  
 بحسب المذاهب الدينية وقال ان هذا يزيد التعصب ثم اتبعها بنبرة افنتحها بكلمة  
 واشنطون محرراً في أول خطاب أرسله الى الندوة بعد استقلال الولايات المتحدة  
 وهي « يجب أن نوحّد مبدأ الشعب الأميركي المستقبل بالمدرسة » ثم قال بعد تمهيد:  
 « يجب أن نجعل الشعب لبنانياً ولا سبيل لنا الى هذه الأمنية الا بإعداد رجال  
 المستقبل فكيف نعدّهم ؟ بالمدرسة ؟ نجعل واشنطون العظيم الشعب الأميركي بمبدأ  
 واحد . وبالمدرسة ؟ نجعل هكذا عظيماً . وبالمدرسة الحرة نجعل هكذا حراً . بالمدرسة  
 يقول بسمرك انه استطاع أن يتغلب على فرنسا . بالمدرسة استطاعت اليابان أن  
 تخرج من الظلمة الاسيوية الخالكة المدممة . ان الأفكار القديمة لا تجد لها  
 ما نعادون عقول الصغار الا المدرسة . فبالمدرسة فقط يستطيع الشعب اللبناني أن  
 يسير وطنياً وان يتحد على مصالحه الطبيعية »

« مولاي قد قال الشارع الفرنسي في نظام التعليم الإلزامي: من حق الحكومة  
 حماية المنافع العمومية أن تحتاط بكل وسيلة لتلا يكون في الشعب أفراد مجهلون  
 حقوقهم وواجباتهم فاتكن المدرسة من حق الحكومة التي ترأسونها ومن واجباتها ايضاً  
 « ان المدرسة التي نرجو ان تكون حائزاً بين صغارنا وافكارنا القديمة ليست  
 المدرسة الفرنسية ولا الانكليزية ولا الأميركية ولا الألمانية ولا الإيطالية . لأننا  
 لا نريد أن يكون صغارنا مثلنا اوروبيين واميركيين في لبنان وليست المدرسة الجزويتية  
 لأننا لا نريد ان يكون صغارنا مثلنا متواكلين ضعفاء خبيثاء . ولا المدرسة الطائفية  
 لأننا لا نريد ان يكون صغارنا مثلنا موارنة ودروزا وارثو ذكسا وملكيين ومتاوله  
 واسلاماً . ولا المدرسة الدينية لأننا لا نريد ان يكون صغارنا مثلنا لاهوتين  
 يتجادلون على ما لا يعلمون . ان هذه المدارس موفورة لنا وحالتنا الاجتماعية لا تزاد  
 الا فسادا وتقهقرا . فالمدرسة التي نرجو ان تكون لنا باباً الى الحياة الجديدة هي  
 المدرسة الوطنية الحرة . هي المدرسة التي تتولاها حكومة منفصلة عن الكنيسة  
 كالحكومة اللبنانية « اه باختصار قائل . ثم بين طريق ايجاد المدارس الحرة والنفقه  
 عليها وبحث عن عيوب الحكومة وبين سبيل الاصلاح

ونحن نقول ان هذه هي « الوطنية الحققة » لا التي يلفظ بها بعض أحداث المصريين







يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت  
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما  
يذكر إلا أولو الألباب

# المناجاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول  
فيتبعون أحسنه أو لعل الذين هداهم  
الله وأولئك هم أولو الألباب

( قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق )

( مصر يوم الأحد ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ — ١٥ مارث ( آذار ) سنة ١٩٠٣ )

( رأي في إصلاح المسلمين أو رأيانه )

كتب الناوكيل للمناظر في بعض الأقطار رأييه في طريقة إصلاح  
المسلمين في خاتمة جواب يتعلّق بأمر الاشتراك والمشاركة فأجبنا أن  
يطلع عليه القراء لما فيه من دقة النظر وبعد النور قال حياه الله :  
« رأيك بالعبادة في إصلاح النفوس والمقول والأفكار والأخلاق  
لا أظن أنه يوجد من يخالفك فيه على شرط أن تجمع من أيدي الناس  
كتب التصوّف النظري وكتب العقائد التي أُلِّفت على طريقة أرسطو  
( لا كتب أرسطو نفسها ) والتفسير التي البسها أصحابها لباس الفلاسفة اليونانية  
وكذا الكتب الفقهية التي كتبها الاعاجم ومن احتذى حذوم لا الكتب  
التي كتبت بطريق الرواية كالموطأ وغيره وطرح القواعد التي دونها  
الأصوليون وجعلوها من أصول تعاليم الدين وتحويل تكايا الطرق إلى مدارس  
تعلّم فيها العلوم الكونية بأسرها على شرط أن تكون إدارتها بيد أناسي من



علماء أم أوربية صغيرة كسويسرة والبلجيكا ويعزل الشبان المتعلمون عن الأمة حتى يتمتع سريان عدوي الأخلاق التي أرزأت أم الاسلام من الاساذف الى الأخلاف. وبعد أن تدرس هذه الرمم التي صارت مع طول الزمن ركام أقدار مفسد للتمدن يتسنى للمصلحين ان يشيدوا على انتاضها ما قبل إصلاح « وهيئات هيئات ان يفوز المصلحون بتلك المطالب العسيرة التي أعيت هما ، وبقيت لما ، وأشفت أمما ، ظهر ككنفشيوس قبل عصرنا هذا بأحدى وعشرين قرنا لمعانة إصلاح مذهب سكياموني وتجديد ما تدعى من بنيانه القتيق الذي كرت عليه الدهور الدهارير وبالرغم مساهمة الكبيرة وهمة القمصاء وعزمه الصارم بقيت آراء سكياموني كما هي محتكرة في اليبا كل لكومية الشعب ولم يزدها ذلك المصلح بقارعة المظنى الاثباتا وتمكيننا . وهذا المسيح قام ليعدل ساطة الكيروس اليهود وليجدها اخلاوق من مذهب التورا فلم يقبل له رأيا الا من خذله في اداء الشهادة وقت المحاكمة وماعسى ان اقول ونبينا الكريم عليه السلام قد ارسله الله مهيمناعلى الكتب ومجددا لشرائع الكون التي اقتضت سنة الامر ان تجديدها بتجدد مقتضيات فلم يقبل دعواه من أرباب تلك الاديان الا من نكب عن فقهه ، وانحاز لغير بثة ، وهكذا شأن كل مصلح يفلت من أسر العادة وينسلت من قيود المصطلحات وتؤثر في نفسه الحقائق وتشمل بصيرته المشاهدات الصحيحة يستكر ما يستحسنه الناس وليستحسن ما يستكره فيسفه أحلامهم ، وبين أوهامهم ، الى أن يشوبوا الى رجوة الهدى ، او يكون نشأ جديدا ، ودون ذلك خراط الفساد على قران سلامة الظروف المحيطة

على أن هناك مهيما آخر اقرب الى السلامة ، وضمن النتيجة ، وهو



سبيل وجالات أوروبا الكبار ، ودهاقها العظام ، وبيان ان يشتغل المصلح بعد  
ترقية نفسه ، وترتيب منزله ، وتنظيم معيشته ، وتدير ما كله ، بتنمية ثروته  
بالطرق القانونية ويختار له منها الطريق الأضمن على شرط أن يحتذي  
مذهب الصدق ويتقبل نط الأمانة ولا يعتمد الا على نفسه فلا يمر عليه  
غير زمن قليل حتى يكون من أكبر المثرين في العالم مثل مرجان وسيسل  
رود وغيرهما فلا يعب عليه بعد تكوين الثروة تأسيس المشروعات وعقد  
الشركات وإنشاء المدارس وفتح المعامل وإرسال الفلك تمخر عباب اليم  
تجمع له كنوز المخلوقات

« وأما طريقة إصلاح الأمم والنفس بإلقاء الخطب وكتابة المقالات  
فلا نفيد المسلمين في شيء اللهم إلا من كان له هوس منهم فيهما لأن العالم  
والصانع والزارع والصراف والتاجر في البلاد المربلة <sup>(١)</sup> لا يصيخون  
الأسماع للخطب ولا يعيرون الأبصار للمقالات الا في أوقات الفراغ من  
الاعمال فهي عندهم بمثابة المسليات والمنبهات والذي يصيخ وينظر في بلادنا  
المعجزة هو المكسب المتعاقس عن حير نفسه ونفع جنسه واذا تنبه له  
واستأذنت بصيرته فلا يكون منه غير التأوه على الاسلام والبكاء على المسلمين  
ولمذا تمت كلمة المرابين على ان ترقى الامم لا يفيد الا اذا كان مادياً  
محتماً مطايا على أثافي الصناعة والزراعة والتجارة وطائفة الإقدام والحزم  
والعزم والنشاط والثبات ، وحققوا أنه لا يتوقف على دين ولا يحتاج الى  
بعثة رسول وإنما تدعو اليه الحاجة ويثبت اليه اختلاط العناصر المختلفة بمضها

(١) لا يفتون ولا يفتون ولا يفتون ولا يفتون ولا يفتون ولا يفتون ولا يفتون ولا يفتون

تحت الأرض وهو شجر م ولا معنى لهذا هنا



«يدن سكان الجابون بدين وثني أخذ نفوس اهله آلاف السنين وأبقاهم خاملين تحت سجن طقوسه الواهنة حتى ذاق أفراد منهم عسيلة الإثراء فأنبرت نفوسهم ساعة وراء التأسيسات النافعة وما فتؤا يفكرون حتى تنبه لهم الأقران فتلاحقوا بهم ثبي وما كادت تنبه لهم الحكومة حتى اضطرها تفاهم المساعي الى التنازل عن كثير من حقوقها المكالة بطيئان الكهنوتية المقدس وأتاحت لهم بغير عناد حكومة مقيدة باحتساب الأمة عليها وقد صارت الآن تضارع أعظم الأمم شوكة واقتداراً ، وما دين المسيحية بأصفي منها من المنبع البوذي وهذا مبتدع وذاك مخترع والمتزع القديم في الغالب مقتبس ومتبع (كذا) ومع ما هو عليه من التشويش والتشويه والتلبس بتلك الحجب التي حاكها يد المجامع المقدسة لم يزل ديناً للأمم الراقية ذات الطول والحول والمنعة والعزة رغماعن النهضة العلمية والاخلاقية لا أحاول الجدال ولا أريد الحوار وإنما غايتي أن أطلعك على فكري الخاص في اصلاح الأمة الاسلامية بالوسائل الصحيحة التي لا تستلزم زمناً طويلاً ولا تكلف تعباً كبيراً وهي ان تترك القادري يعمه في قدرته والرفاعي يمشو في رفاعيته كما تركنا النصراني يتخبط في ظلام نصرانيته والوثني يهرف في وثنيته ونسعى مع الجميع متكاتفين لنحصل فرنكا واحداً عن كل شخص من المسلمين ذاك لروح شيخه وهذا باسم وليه وذا في سبيل النهضة وهذا باسم الوطنية الى ان تتمكن من جمع مال كثير فتؤسس به مشروعاً يكون جزيل الفائدة ، كبير المائدة ، وما علينا والصراخ في انواء ، والنمك في الأجواء ، والأشجار من ثمرتها ، والوثني من الرياسة ، فذاك في مذهبي شيء لا يجدي والسلام»



## ﴿ رأي المنار في الموضوع ﴾

لقد أحسن الكاتب النبيل القصد في قوله ولكن فيه إجمالاً يحتاج إلى بيان ونظراً في بعض الجزئيات . وما كان الإجمال منه إلا لأنه كتبه لمن يغنيه الإجمال عن التفصيل وفرق بين ما كتب ليطوى وما كتب لينشر . ولقد سرنا توارده الخواطر وتلاقى الأفكار بيننا وبين الكاتب النبيل ، والوكيل الأسيل ، في وجوب عزل المعلمين عن الأمة لأن قوام التربية بالقُدوة والمحاكاة المتولدتين من المعاشرة والمخالطة وقد بدأ الله تعالى تربية نبيه الأكرم ( صلى الله عليه وآله وسلم ) بعزله عن الناس فحبب إليه الوحدة ، وألهمه الانزواء والعزلة ، ثم علمه بالوحي ما شاء أن يعلمه ، ولقد قال « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فعلمنا أن نستفيد من هذه الحكمة ، مع من منحه الله العصمة ، وموافقة أخرى في الرأي وهي الاستمانة على تعليم الفنون والعلوم الكونية ، بأساتذة من أصغر الشعوب الأوروبية ، لأن هؤلاء أبعد عن السياسة التي تفسد كل صلاح ، وتحول دون كل نجاح ،

الذي لاح لي من كلام الكاتب في إخفاق رجال الإصلاح المعنوي هو أن غرضه منه تحويل وجوه المعلمين عنه ليتولوا شطر الإصلاح المادي الذي يراه والا فان كل واحد من المصلحين الذين ذكرهم قد كان له تأثير كبير في أنواع الانقلاب الذي حدث في العالم المرة بعد المرة وليس من شرط النجاح في المشروع ان يأخذ به كل أحد ولا ان يكمل فيه كل من أخذ به . فاذا كان الإصلاح المعنوي لم يعم أفراد الأمم التي ظهر فيها فكذلك الإصلاح المادي والسبب في هذا وذاك أن الاستعداد في البشر متفاوت تناوتا كبيرا وكل يعمل بحسب استعداده ففي أوروبا من يملك ألوف



الآلوف وفيها من يموت جوعاً وكأين من عالم يطلب الثروة ، وتموزه الكسرة  
والحسوة ، وليس هذا مقام بيان تأثير أو تلك المصلحين العظام في الأمم  
والكتاب يعرفه ولكن غرضه ما ذكرنا

والقول في تأثير الخطب والمقالات يتصل بالقول في تأثير رجال  
الإصلاح المعنوي لأن الخطباء والكتاب الداعين إلى الإصلاح هم ورثة  
الأنبياء والشارعين وهم أركان الإصلاح الاجتماعي والسياسي ومن ينكر  
أن للوثر وأشياءه وميراثه وأضرابه تأثيراً عظيماً في تحويل أوربا عما كانت  
عليه ، ونقلها إلى ما انتهت إليه ؛ ومن ينكر تأثير تلك المقالات والرسائل  
التي كانت تنشر في فرنسا قبل الثورة الكبرى وأن ذلك التأثير هو الذي ثل  
تعرش الملك وسلط الصليان على الأمراء والنبلاء ؛ فالإصلاح في جميع  
الأمم إنما جرى على أيدي الفقهاء والمتوسطين بباعث معنوي ولم يوجد  
إصلاح في الأرض بدأ به الأغنياء تأسيس المشروعات المادية النافعة وإن  
ثبت فقل أنه لم يوجد إصلاح مادي بحت ولكن كل إصلاح يرقى البشر  
ينتج العمران والعمران مادي ، إنما يكون في النهاية لا في البداية

كل هذا يعرفه الكتاب الفاضل ولكن الرأي الذي أبداه إنما هو  
في اختيار أقرب الطرق ولعمري إنه الطريق أهم له لأن فيه من العفبات  
الكؤود ما يتعذر معها سلوكه على الضعفاء المحتاجين إلى الإصلاح كالمسلمين  
فبا دارها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

يقول إن الواجب على صريدي إصلاح المسلمين أن يسلكوا سبيل  
الروس بعد إصلاح سنون منازلهم ونظم طرق عيشهم . من هم  
هؤلاء المريدون للإصلاح وما هي طبيعة بلادهم التي يعيشون فيها ؟ هم نفر



من وسط الناس سامت فطرتهم، وصفت فكرتهم، وحسنت في الجملة  
وبالمصادفة تربيتهم، وامتازوا بالميل الى البحث في الأمور العامة والاهتمام  
بأمر الأئمة والملة . ولم يكن لهم شيء من هذه الخصائص بواسطة تعليم  
وتربية أو دعا في نفوسهم إذ لا يوجد للمسلمين مدرسة في قطر من الاقطار  
تذكر فيها مصلحة الأئمة أو توجه نفوس تلامذتها في تعليم كل علم وفن  
الى أن المراد به الإصلاح وإنقاذ الأئمة مما هي فيه . وإنما هو الاستعداد  
الفطري مع مساعدة التوفيق الذي يعبرون عنه بالظروف والمصادفات . ولو  
أن هؤلاء اشتغلوا بغير البحث في الأمور العامة وطرق الإصلاح لضعف  
مدادهم فيه لأنهم لم يتربوا عليه ولم يتعلموا طريقة تعلمها فيكون همهم  
بعد المدرسة السعي في اتخاذ الوسائل لما وجههم اليه الربون والمعلمون

وأما طبيعة بلادهم فهي كما يعلم الكاتب ليس فيها موارد قريبة للثروة  
الواسعة من الطرق القانونية كالثروة التي جمعها سسلرود . والاعمال  
الكبيرة التي يتوقف عليها إيجاد الموارد لا تكون الا من قوم تعلموا طرقها  
وفنونها وتربوا تربية صاروا بها محلاً للثقة في إنفاضة الاعمال بهم وأتى لبلاد  
المسلمين هؤلاء الماملين الماملين !! وجملة القول ان الذين يفكرون في  
الإصلاح من المسلمين ليس عندهم استعداد لجمع الثروة الكبيرة وان  
بلادهم ليس فيها الآن منابع لهذه الثروة مفجرة يسهل عليهم ورودها وان  
الأمة التي يعيشون فيها ليس لها استعداد انفجير ينابيع الثروة الطبيعية التي  
خص الله بلادهم بها لجهلهم وفساد تربيتهم . ونسكت عن حال حكوماتها  
وما يفتقر ان يلاقى منهم صريد الإصلاح اذا حاول سلوك الطرق  
المشروعة الشريفة لجمع المال



إن العمران المادي كان نتيجة للاصلاح المعنوي وكذلك يكون .  
 أما اليابون ( اليابان ) فلم يكن السائق لهم إلى الاصلاح طلب الثروة  
 ولم يكن تقدمهم مادياً بحتاً لاشائبة فيه للدين بل كان السائق اليه هو صاحب  
 السلطة الدينية المقدسة والسلطة المدنية القائمة على أساس الدين وهو عاهلهم  
 ومليكهم ( الميكادو ) فهذا العاهل العظيم هو الذي قيد سلطة نفسه بعد ان كانت  
 حكومته استبدادية مقدسة وهو الذي دعى أمته إلى العلوم والفنون دعا ولا  
 نقول انه دعاها دعاء . ولقد كانت التقاليد الدينية مساعدة للسلطة الدينية في  
 عمران اليابان الحاضر كما يعلم من المقالات التي نشرت في المقتطف الأغر  
 معربة عن أصل انكليزي لبعض كبار الكتاب السياسيين . ويذكر  
 العارفون بالتاريخ ان أول عاهل ( امبراطور ) اشتغل بالاصلاح في أوربا  
 وهو ( شارلمان ) كان مندفعاً بدافع معنوي مشوب بالاعتقاد الديني ولولا  
 الاصلاح الديني الذي قام به زعماء البروسنت لحبط عمله وكان هباءً منثوراً  
 والقول الفصل في الاصلاح الاسلامي هو أن الواجب على العقلاء  
 الذين يتألمون من ضعف الأمة وهو أنها أن يسعوا في إصلاح العقول  
 والنفوس بتعليم الصغار وتربيتهم بالمدرسة ووعظ الكبار وتنبههم بالخطابة  
 والكتابة ايكثر بذلك حزبهم ولا بد لهم في سلوك هذه السبيل من  
 مسالة القوة سواء كانت اهلية أو أجنبية

فعلم من هذا ان أول واجب على من يشعر بالحاجة إلى الاصلاح في  
 بلد من البلاد الاسلامية ان يشتغل بالدعوة إلى ما يعتقد في ذلك ليكون  
 له حزب بالدعوة خطابة وكتابة فاذا صار له حزب فالواجب عليه وعليهم السعي  
 في التربية المالية والتعليم الذي يعد الناشئين لأعمال العمران والاسمعة



على ذلك بالأساتذة المهرة الذين ليس بيننا وبينهم مطامع سياسية . وهذا يختلف باختلاف البلاد الإسلامية وأتمها استعداداً الآن بلاد الهند وبلاد مصر وقد بدأ مسلمو الهند يسعون في التعليم الأهلي وشعروا بأنه لا يكون تاماً نافعاً إلا بإنشاء المدارس الكلية فاقترح مؤتمر التربية الإسلامي في هذا العام جمع ألف ألف روبية لإنشاء مدرسة كلية والمرجو أن يتم لهم ذلك في وقت قريب وأن تكون التربية في هذه المدرسة ملية إسلامية كما وافق على ذلك كبراء الإنكليز هناك . ولا بد لمسلمي مصر أن يتلوا تلو مسلمي الهند في ذلك عن قريب إن شاء الله تعالى وسيكون للخطب والمقالات تأثير عظيم في جمع المال اللازم لذلك فإن الجرائد كالحداة ولا حياء إلا أن يكون مسير كما قلنا في العدد الثاني من منار السنة الأولى ولا يرجي من الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، وربطوا قلوبهم بقبور الأموات وقيدوا عقولهم بخرافات الأحياء ، أن يساعدوا على إنشاء مدارس للعلوم الكونية ، وهم يشعرون بأنها القاضية على تقاليدهم الوهمية

هذه هي الطريقة المثلى للإصلاح ولا يجد المصلحون من الأمم غيرها . أما الملوك والأمراء فإن لهم إذا أرادوا الإصلاح عملاً آخر وهو أن يبدأوا بالقوة العسكرية فيعززوها ما استطاعوا لتكون الدولة آمنة من اعتداء الأعداء الذين يشغلونها عن الإصلاح الداخلي متى آتوا منها الضعف ثم يوجهون الأمة إلى تعميم التربية والتعليم وتنمية الثروة بالزراعة والتجارة والصناعة وقيمون حكومة الشورى ويجهدون في توثيق الصلات بينهم وبين أمثالهم من الأمراء والسلاطين . ولكل حكومة إسلامية ضرب من السير في الإصلاح يختص بها ولا تبلغ الغاية بدونه ، وقد أخطأ



سلطان مراکش ما يليق بحاله من السير في طريق الإصلاح فزلت قدمه  
وكان الواجب عليه قبل كل شيء إصلاح الجندية كما سبق لنا القول في غير  
هذه الجزئ ليأمن المدوان الداخلي والخارجي ثم يشرع في تعليم الأمة  
وتربيتها مستعينا في أول الأمر بالمسلمين كالمصريين المواقين لأهل  
بلادهم في اللغة ثم بالأجانب الذين لا طمع لهم في بلادهم عندما تستعد بلادهم  
لذلك فلا تأنف منه .

على أن أملنا في جميع حكام المسلمين ضعيف بل نحن أقرب إلى  
اليأس منهم منا إلى الرجاء فيهم . وهكذا شأن الملوك الذين القوا الاستبداد  
وما كان عمل عاهل اليابان؛ الافة من فترات الزمان ، والظاهر لنا أن كل  
ما هو مخبوء في الغيب من الخير لهذه الأمة قائما يكون بسعي بعض العقلاء  
من أفرادها دون الملوك والأمراء والله في غيبه شؤون ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون  
﴿ مدينة العرب ﴾

البذة السادسة تابعة لما نشر في الجزء ٢٣ من المجلد الثالث

ينبغي للإنسان أن يجتنب الوعد ما استطاع وأن يجتنب تحديد الوعد  
بزمان أو مكان إذا هو وعد إلا إذا اضطر إلى ذلك اضطرارا وقلما يأتي  
الاضطرار في الأمور العامة . ككنا شرعنا في السنة الثالثة للمنازل بكتابة  
مقالات في مدينة العرب أو مدينة الاسلام في عهد الدول العربية فكتبنا  
خمس نبد في منشآت تلك المدينة وكونها قامت على أساس الدين وتولدت من  
تعاليمه ثم في اشتغال العرب بالعلوم الكونية وما اكتشفوه واخترعوه في  
علم الملك وسائر العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة ووعدنا بأن تتم  
هذا المبحث في السنة الرابعة فمرت السنة الرابعة ولم يتح لنا فيها الوفاء بالوعد



ولكننا استأنفنا وعداً آخر في آخرها بأننا نتم ذلك في هذه السنة وقد  
مرت السنة حتى لم يبق منها إلا هذا الجزء ولم نتكمن من إنجاز الوعد لأن  
المقالات المتسلسلة زادت في هذه السنة عما قبلها بنشر مقالات جمعية أم  
القرى ومقالات « الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » التي كان فيها  
شيء إجمالي من موضوع مدنية العرب . وقد رأينا أن نختم هذا الجزء ببند  
سادسة وفاء بالوعد بقدر الامكان فنقول :

### ( الجغرافية الرياضية وتقويم البلدان )

اشهر كتب الجغرافية اليونانية كتاب بطليموس وأزياجه وقد كانت  
آراء بطليموس تؤخذ على علاتها لان العلم صار تقايديا حتى تناوله اجتهاد  
العرب فطبقوا من عهد المأمون يصححون أغلاط اليونان في الفلك وسائر  
الرياضيات كما تقدم ومن ذلك انهم صححوا أرساد المجسطى بالزيج الجديد  
وأعادوا تحديد أطوال الارض فكان أتمها تصحيحا تحديد بلاد العرب  
والخليج العربي والجزيرة وبلاد فارس والبحر المتوسط . ولما اشتغل  
الأوروبيون بهذه العلم ظلوا زمنا طويلا مغرورين بكتاب بطليموس حتى  
ظهروا بكتب العرب وتصحيحهم لاغلاط بطليموس . بدأ العرب بتصحيح  
أزياج بطليموس في أول القرن الثالث على عهد المأمون ولكن ذلك التصحيح  
لم يكن تاما فان البيروني في أول القرن السابع هو الذي صحح الغلط في حساب  
أطوال بلاد الروم وما وراء النهر والهند وألف قانونا جغرافيا كان قدوة  
للمسلمين بالاسموسرافية من بعده

في شهر ربيع الثاني من سنة ١٢٧٠ هـ وحدث مدة الملكية أصبح محمدا . وصنع الشريف



الأندلسي في أوائل القرن السادس خريطة جغرافية من القصة لملك صقلية حفر فيها باللغة العربية صور جميع الممالك المعروفة في ذلك العهد وألف كتابا في الجغرافيه بين فيه أول نقطة التماس بين جغرافيه الاتينين وجغرافيه المدارس الاسلاميه وقد مكف رسامو الخرائط الجغرافيه في أوروبا على مؤلفه ثلاثة قرون ونصف يتقدرون كما هو لا يزيدون فيه ولا ينقصون منه . وكان من علماء هذا الفن في المغرب ابو الحسن علي المراكشي في أول المئه السابعة للهجرة الشريفة وقد قال سيديو ان كتابه كان أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافيه . وكان لعلم الجغرافيه خرائط بحرية أيضا عشر الأوربيون على بعضها في أول المئه التاسعة للهجرة . ووجدوا خريطة بحرية أخرى من رسم عمر العربي سنة ١٦٤٨م أي سنة ١٠٥٨ هـ

اما الجغرافيه الوصفية أو التخطيطية فقد عرفها العرب قبل الجغرافيه الرياضية واتسعت سرفتهم بها باتساع فتوحاتهم وتجارتهم . قال سيديو: انهم حين امتدت مملكتهم من المحيط الاطلسي الى تخوم مملكة الصين انشاؤا بالدريج أربع طرق طرق عظيمة تجارية توصل بين مدينتي قانس وطنجة الى أقصى آسيا . (إحداها) تخترق أسبانيا وأوروبا وبلاد سلاوونه الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجر جز (والثانية) تخترق بلاد المغرب ووادي النيل ودمشق والكوفة وبنداد والبصرة والاهواز وكرمان والسند والهند (والثالثة والرابعة) تعبران البحر الابيض المتوسط وتجه إحداها من الشام والخليج الفارسي والاخرى من الاسكندرية والبحر الاحمر للتوصل الى بحر الهند . فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى أقصى البلاد ما عند العرب من الافكار والتقدم واستفاضت الأخبار العلمية الفوائد



فنورت أذهان الملاحين وعرقهم الأخطار التي يخشى عليهم الوقوع فيها  
إذا سافروا في ولايات غير مكتشفة تمام الا اكتشاف واشتلت الأزياج  
التي حررها البتاني بالرقعة سنة تسعمائة (٥٢٨٧) وابن يونس في القاهرة سنة  
ألف (٥٣٩٠) على كتاب رسم الارض بلا تغيير كبير . وأما ابن حوقل  
والاصطخري والمسمودي المشهورون في نصف القرن العاشر من الميلاد  
فوصفوا في كتبهم صورة الاكتشاف الجديد . وحسب العلامة الكومي  
سنة ١٠٦٧ الاطوال من ابتداء الطرف الشرقي من الارض القارة

وزعم بعض الفرنج ان العرب كانوا متبعين في أول عصر بني  
العباس الروايات الهندية مع أن كتاب مبادي الفلك المسمى بسند هند  
في نسخ نقله في ذلك ورة سنة ٧٧٥ (١٥٨) لم يكن له عظيم اعتبار عند  
العرب فأنهم ظنوا عما قال برالات يونانية وتركوه لا يتفوهون  
باسمه الا ليبينوا ما فيه من الغلط . ولم يعملوا في شيء من الجغرافية على  
كتاب محمود الساعدي فيها أن شبه جزيرة هندستان في مركز العالم وان  
خط امتداد النهار الذي بين نقطة وسطها يخرق مدينة أوجين وجزيرة  
سيلان . وبحث العرب في كتبهم عن خط نصف نهار القبة الأرضية  
وهي في غير التعريف على الاول فالظن ببعض الفرنج ان المراد من  
(عرين) مدينة أوجين وهو خطأ فان القبة المسنوبة الى عرين هي نقطة  
نطاق الدائرة التسمينية من حساب بطليموس مع خط الاعتدال على بعد  
متساو من الجهات الأربع الأصلية وليست هي قبة أوجين فان العرب كانوا  
يعرفون حق المعرفة محل أوجين الجغرافي رأما « عرين » فكلمة اصطلاحية  
ارادوا بها جزيرة موهومة بين هندستان وبلاد الحبشة سماها المؤرخ



ديودور الصقلي جزيرة اورانوس . وبذل العرب خط نصف نهار عشرين  
اوقبة الأرض بخط نصف النهار المار بالجزائر الخالدات فاتبع ذلك من  
ابتداء القرن الحادي عشر الى الثالث عشر » اهـ

وقد ألف العرب كتباً مخصوصة في مسالك البلدان حتى صار علماء مستقلاً  
وفي أسماء البلاد والاماكن ككتاب مرصد الاطلاع على أسماء الامكنة  
والبقاع ومعجم ياقوت والمشارك وتقوم البلدان للملك المؤيد صاحب جماء  
وتقوم البلدان للبلخي وكتاب اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك  
( وهذا الف في عهد الدولة العثمانية واهـ مداه مؤلفه محمد ابن علي الشهير  
بسباهي الى السلطان مراد الثالث ٩٨٠ ثم اختصره بالتركية )

### ﴿ العلوم الطبيعية ﴾

الكيمياء والصيدة : قد ارتقت العلوم الطبيعية عند العرب واتسعت  
مذاهبها وكثر الاكتشاف والاختراع فيها على أن حظها كان دون حظ  
العلوم الرياضية لأن العمدة في العلم الرياضي العقل والعمل مؤيد له والعمدة  
في العلم الطبيعي العمل والعقل مساعده وما يتوقف الارتقاء فيه على العمل  
لا يرتقي الا بالزمن الطويل . كانت العلوم الطبيعية من عهد استاذها الاول  
أرسطاطاليس ضئيلة ضاوية ثم ماتت بضعفها ولما أحيها العرب بأحياء الاسلام  
لهم تنكبوا طريق النظر المحض فيها واعتمدوا على التجربة فحولوا الكيمياء  
الوهمية الى كيمياء حقيقية واشتقوا منها فن الصيدة ( تركيب الادوية )  
وانتقلوا الى التاريخ الطبيعي فاكشفوا بذلك خواص نبات بلادهم ووصفوها  
البسمية وأفادوا بها الطب والصناعة فوائدها جليلة . قال سيديو : إن البحث  
عن الجواهر الطبية الذي مدحه ديوسقوريدس لاهل مدرسة الاسكندرية



كان من مخترعات العرب فانهم هم المنشؤون للصيدليات (الأجزخانات) الكيماوية والموروث عنهم ما يسمى الآن بقواعد تحضير الأدوية الذي انتشر بعد من مدرسة سالرنه في الممالك التي في جنوب أوروبا :

ومن مخترعات العرب في الكيمياء الكحول أو الفول الذي صار قوام الأعمال الكيماوية والصيدلية وتركيب حمض الكبريت والماء الملكي والماء المعشر والجلاب وغير ذلك من الأدوية والمماجين والمربيات والهلامات. قال في دائرة المعارف : « وهم أول من اخترع السواغات لإذابة الاصول الفعالة للأدوية سواء كانت معدنية أو نباتية أو حيوانية واخترعوا الأنيق والتقطير والتسامي ووضعوا في أيام الخلفاء قانونا اقرباذينيا كانت جميع التراكيب الاقرباذينية المذكورة فيه مثبتة من طرف الحكومة لا يجهز خلافها : » أي انهم هم الذين جعلوا عمل الصيدلة رسميا بمعرفة الحكومة

واشهر العلماء المخترعين في الكيمياء والاقرباذين (الصيدلة) ابوبكر الرازي صاحب كتاب (الترتيب) فيها والكتب الكثيرة في الطب والفلسفة (توفي سنة ٣١١ هـ) وهو المخترع للمسيلات اللطيفة ولاستعمال كثير من النبات في الطب والرئيس ابو علي بن سينا فيلسوف الشرق واكبر اطباء وابن رشد فيلسوف الغرب واكبر اطباءه وقد ترجم الاوربيون اكثر كتب هذين الفيلسوفين وانفعوا بها كما انفعوا بكتب الشيخ ابي بكر الرازي ويشهدون للجميع بالبريز في العلوم

الطب : لا يعرف التاريخ أمة أقدم عهدا في صناعة الطب من المصريين فهم أساتذة اليونانيين وانتمهم ولكن طبهم كان ممزوجا بالأسهام والتقاليد الخرافية كاعتقادهم أن الصرع يكون بدخول عفريت من الجن في جسم



الإنسان وكانوا يعالجونه بالرقى والعزائم وإنما برعوا في فرع واحد من فروع الطب وهو التعذيب وكانت التشريح مذهبهم والاطباء من غير الكهنة محقرين يعاقبون اذا مات من يعالجون . ثم لما دالت دولة العلم الى اليونان بعد انحلال المصريين عنوا بالطب فكان علما محترما ثم قضى الرومانيون على علم اليونان كما قضوا على دولتهم وكانت عنايتهم في المعالجة مقصورة على الرقى والطلاسم وحجرات العامة التي يتناقلونها . ثم أحوجتهم الحضارة اليه فأجلوا الاطباء بعد احتقارهم ولكن الرومان أنفسهم لم ينبغوا في الطب وفنونه بل احتفروه في أول دولتهم . احترموه في عنفوانها ثم عتادوا نحن بانحلال دولتهم حتى اذا نهض الاسلام بالعرب لم تكن لهذه العلوم سوق نافذة في الارض فاسيروا بعد موتها .

دائرة المعارف : ولما كانت فتوحات العرب و ضربوا في طول البلاد وعرضها كان الطب كسائر العلوم في اسفل درك الهوان والخنول فهضوا به نهضة جديدة والتفتوا اليه من كتب اليونان وغيرهم واودعوه كتبهم مع زيادة مما توسعوا فيه بالبحث والتحري وأجادوا بتعريفه ووصفه وتقسيمه : ( ثم قال ) : ولم يكدر يفرغ الخلفاء ومن واهبهم من بنى أمية من بسط جناح الإسلام حتى أخذ الخلفاء يلجئون باب العلم كما ولجوا باب الفتوحات فكان للطب سهم وافر واستعانوا بعلماء اليهود والنصارى عملا بالحديث القائل « استعينوا على كل صنعة يصالح أهلها » فكانت للامويين من ذلك بعض الآثار ولكن الآثار المشيدة والمساكن الجميدة إنما كانت للمباسين في بغداد ومن ثم للأندلسيين فاتخذ السفاح العباسي أطباء ماهرين أقام بنختيشوع النسطوري رئيسا عليهم وطيبيا خاصا له كما كان جوييه اليهودي



عند عمر بن عبد العزيز الأموي :

— ثم ذكر بعض كبار أطباء العرب ووفائاتهم واكتشافاتهم وقال — :  
 « وعلى هذا كانت دولة العرب عمروة الوصل بين طب المتقدمين وطب  
 المتأخرين ولولاهم لانتثر ذلك العقد وعفا الكثير من معالم العلم والعرفان  
 فانه معظم ما تناوله الأفرنج من علم الأقدمين قبل فتح القسطنطينية إنما  
 كان عن العرب وظل اشغال العرب مدة مديدة منحصرًا في النقل والتقليد  
 لا يأخذون إلا بما ينقلون ويذهبون مذهب الأقدمين فبينما تراهم عالمين  
 بالأصرفة والأغذية وبأحسين في الداء والدواء وإذا بهم يقولون بالتنجيم  
 والمزائم والرقى والطلاسم؛ وكان هذا شأنهم إلى أن نبغ منهم علماء حكماء  
 فاستجروا كثيراً من الحقائق العلمية وثقروا الخلف من مبتكراتهم وتوسعاتهم  
 سباحث واكتشافات . فهم أول من دقق البحث في الحيات النفاطية  
 كالجدري والحصبة والحمى الفرصية وحسبنا من ذلك رسالة الرازي . وهم  
 الذين اطنوا المسهلات وأشاروا باستعمال المن والسنا والتمر هندي والراوند  
 والكافور وغير ذلك . وان كانوا عرفوا منافع أكثر تلك المواد بما ترتب  
 لهم من الملاحة التجارية مع الصين والهند فليس في ذلك ما يخفص من  
 قدرهم ويقال من فضلهم . وهم الذين حسنوا صناعة التقطير والتخمير  
 وتشكيل الأواني الكيموية بأشكال يسهل بها تناول واستخرجوا كثيراً  
 من الأملاح المعدنية وكانت لهم اليد العاولة في فن الصيدلة فوضعوا  
 أسسه ووطدوا أركانه فأفادوا العالم فائدة خلد لها لهم التاريخ :

ثم قال الكاتب : وفوق اشتغالهم بطلب البشر عنوا بعض العناء ( كذا )  
 بالبيطرة وهي طب الخيل والزرذقة وهي طب الطيور وسائر العلوم التي



لها علاقة صريحة أو غير صريحة بالطب كالبزدره وهي صناعة الفرس والطبوعات : ( الى أن قال ) ولهذا قبضوا على ناصية الطب كما استقلوا بأزمة العلم من فلك وهندسة ونبات وكيمياء ومنطق وطبيعيات وما وراء الطبيعيات . ولبنوا أربعة قرون متوالية مستودع المعرفة وملجأ الحكمة أي منذ تولى الرشيد في بغداد أو قبيل توليه الى موت ابن رشد . ولا عبرة بالفترة التي حصلت بعد وفاة ابن سينا فان العلم لم يمت في خلالها . ( قال ) والمعجب كل المعجب أنه قامت بعد ذلك للمسلمين دول شتى ذات قوة وشأن عظيم فكان منها العرب والعجم والترك والتتر ولم تفلح دولة منها هذا النجاح وان لذلك بلا ريب أسبابا أضرب عنها صفحا لخروجها عن دائرة بحثنا : اهـ

نقول ان المدة التي ذكرها هي التي كان فيها العلم العربي في غفوان ضبابيه وقد ولد قبلها ومات بعدها بزمن . وابن رشد مات في ٥٩٥ هـ ولم يكن بعد ذلك للعرب دولة قوية بروح الدين وحياة الخلافة الإسلامية وان كان لدولة الترك من القوة الحربية ما لم تصل اليه دولة سواها ولم تكن حياة العلم في دول العرب بالقوة الحربية ونما كانت القوة الأدبية التي يأتونهم من الاسلام، ولم يقيم الاسلام غيرهم كما يجب أن يقام . وقد ظهرت الدولة السليمانية بعد موت ابن رشد بنحو مئة سنة فان انقراض الدولة السلجوقية كان سنة ٦٩٩ وعلى انقاضها بنى السلطان عثمان الأول بناء سلطنته خلدتها الله تعالى بتوفيق القائمين على سيرها للعدل والإصلاح آمين (للمقالات بقية)

﴿ الكرامات والحوارق ﴾

( المقالة السابقة تابعة كما في العدد ٤١ من المجلد الثاني )

نشرنا في منار السنة الثانية مقالات في كرامات الاولياء ذكرنا في



مقدمة المقالة الاولى منها ( ٢:٢٦ ) أن النظر في هذه المسألة من وجوه  
 حقيقتها والحكمة فيها . حجج القائلين بجوازها ووقوعها . حجج المنكرين  
 لها . ادعاء جميع الأمم لها . منفعة الاعتقاد بها ومضرته . تمحيص الحقيقة  
 فيما نقل من الكرامات . وقد بينا هذه الوجوه والمباحث الامبحث منفعة  
 الاعتقاد بالحوارق ومضرته فقد كنا عازمين على أن نرجئه الى أن ننقل  
 طائفة من الحوارق التي تؤثر عن كنه الوثنيين والكتابيين أيضا لما جاء  
 في عرض القول من ان جميع الأمم تدعي لرؤساء دينها الحوارق والكرامات .  
 ولما كان هذا يتوقف على مراجعة كتب الدين لتلك الملل وذلك لا يتيسر  
 الا في وقت الفراغ ظللنا نتربص هذا الوقت فمرت السنة الثالثة ولم نصبه فيما  
 بعدها فوعدنا في آخرها بأن سنتم في الرابعة بمبحث الحوارق ومبحث  
 مدينة العرب وصرت الرابعة مختومة بوعد آخر لم نربدا من الوفاء به مع  
 الإيجاز كما بدأنا الوفاء بمبحث مدينة العرب ونسأل الله تعالى ان يتوب علينا  
 من الوعود المحدودة ؛ وان كانت آجالها ممدودة ،

اضطرونا الى الوفاء بهذا الوعد ( إكمال مبحث الكرامات ) الذي  
 ضاق منه حولان كاملان في أضيق الأوقات علينا وأكثرها شواغل —  
 في جزء آخر سنة تقدمه عييد لا عمل فيه وانحراف في المزاج من النزلة  
 الوافدة ( الانفلونزا ) وزاحمه مع الاعمال الإدارية والحسابية الاشتغال  
 بالانتقال من المنزل الذي نحن فيه الى منزل آخر مجاور له والاشتغال بتأسيس  
 مطبعة انوار . وهذه عاقبة من عواقب التسويف السيئة ذكرناها تأديبا  
 لنفسنا و . اميرنا وانكون عذرا لنا في الاختصار والإيجاز في موضوع  
 كنا نود أن يطول فيه لأن الاعتقاد بالحوارق تأثرا في الأخلاق والآداب



والعادات وشؤون المعيشة والكسب وإن شئت فقل إن لها التأثير العظيم في سير الأمم فمفسوخ هذا الاعتقاد في قوم وزلزاله أو زواله من نفوس قوم هو من عال ما عليه الأقوام من التقدم والتأخر في السيادة والثروة وضدها (الخوارق عند الوثنيين)

كانت الأديان الوثنية كلها قائمة بخوارق العادات وكان لقدماء المصريين منها النصيب الأوفر ولا يزال وثنيو الهند إلى اليوم يأتون بخوارق مدهشة ومن أغرب خوارق البراهمة الجلوس في الهواء ولكن الأوربيين تمكنوا بصناعتهم من محاكاة هذه الخارقة. ومن خوارقهم أنهم يضعون النار في أفواههم فلا تضرهم على أنهم يلفظونها غير مطلقاً. ومنها أنهم يظهرون أشياء من الصدم. ومنها أنهم يستنبئون الشجرة من البزرة في مدة قليلة خارقة للعادة. ومنها أنهم يذبحون الإنسان ثم يحيونه. ومنها أنهم يخبرون عن المغيبات فيصيبون. ومن أحقرها ملاعبة الأفاعي والثعابين والتعرض للسعها. وقد نشرت جريدة الاهرام من مده قرية بعض المجانب والخوارق التي تظهر على أيدي هؤلاء الهنود. والهنود معروفون بهذه الخوارق من قديم الزمان وقد اعترف لهم بعض المتصوفة بشئ مما وصل اليهم وعلموا ذلك بأنه أثر الرياضات الشديدة التي تكون منهم (راجع كتاب الجواهر والدرر للشمراي وغيره) ومن هذا التعليل يعلم أن أصحاب تلك الخوارق لم يكونوا كلهم من الأشرار أو الذين يتعرضون لايداء الناس فتأتي التفرقة التي يفرق بها بعض المتكلمين بين المعجزة والسحر بل الكثيرون منهم عباد زهاد نساك مستسكون بدينهم أتم الاستسكان، أما التفرقة الحقيقية بين السحر وآيات الأنبياء فقد تقيمت في بحث الآيات من الإلهام الدينية



## الحوارق عند النصارى

كل ما ذكره الذين ألفوا الكتب منا في مناقب الصالحين وكل ما تناقله الناس فيما بينهم من كرامات أولئك الصالحين أحياء وأمواتا فيوجد مثله في كتب النصارى وفي رواياتهم المسماة التي يدعون أنها عن مشاهدة أو ترتقي إلى المشاهدة . ومن ذلك ظهور المسيح ووالدته عليهما السلام للعباد في البقعة والثام وظهور غيرها من القديسين . ومنه استجابة الدعاء والإخبار بالمفيات الذي يسميه المسلمون كشفاً ويسمونه نبوة . ومنه طي الأرض وتقريب المسافات البعيدة . ومنه إشراف الوجوه بالألوان وقت العبادة . ومنه نزول المصاب والمزايين يؤذي القديس . ومنه قضاء الحاجات . والفوز بالخيرات لمن يتوسل بأحد القديسين والرهبان المتوحدين ويتخذ شفعاً عند الله . ومنه شفاء المرضى والمجانين ببركات القديس الحي إذا لمس المريض أو صلى له (أي دعا) والقديس الميت إذا زار المصاب قبره . ومنه حبل النساء العواقر بالبركة والزيارة . ومنه إخراج الشياطين من المصروعين . ومنه ظهور الملائكة للقديسين ومصاحبهم ومساعدتهم أياهم في بعض الشؤون . ومنه الصبر عن الأكل والشرب زمناً طويلاً ولكن الذي ينقل عن الهنود من هذه الخارقة لم ينقل مثله عن غيرهم فإن أحدهم يدفن في الأرض نحو شهر أو أكثر ثم يخرج منها حياً . وينقلون من كرامات القديسين ما هو أعظم مما ذكر ويدعون في بعضها النوار فقد جاء في كتاب « العيشة الهنية » في الحياة النسيكية « أن من عجائب القديس اغناطيوس التي تزيد على مئة عجيبته ما ثبت بشهادة سبعة وسبعين رجلاً

هذا تواتر حقيقي والتواتر حجة عقلية باتفاق علماء المسلمين وغيرهم وللذين يدعون هذه الدعوى للقديس اغناطيوس يسهل عليهم أن يسردوا أسماء أولئك الشاهدين ومن نقل عنهم فلا يبقى للمنكر عليهم إلا أن يلجأ إلى تأويل تلك الحوارق وإثبات أنها خوارق وهمية لا حقيقية . وهنا يحكم العقل السليم من شوائب التحيز والتعصب الذي ينظر إلى الأمم نظراً واحداً لا يريد منه إلا استجلاء الحقائق بأنه التأويل إذا جاز فيما ينقل عن قديسي النصارى وكهنة البراهمة جاز فيما ينقل عن شيوخ المسلمين . فإذا كانت طرق النقل عند جميع الأمم واحدة فلماذا أن نصدق الجميع وأما أن نكذب الجميع وأما أن تأول الجميع ولا رابع لهذه الوجوه . ومن قال من هذه الفرق أنني أثق بنقل قومي غيرهم لأنني عالم بحسن سيرتهم يقال لهم غيرك



كذلك فليس لك أن تحتج بأن ما يقال عن ساحلي ملك دابل على صحتها لأن هذا الدليل هو الذي يسميه علماء النظر مشترك الإلزام

واذ ذكرنا القديس أغناطيوس — وهو لويولا مؤسس طائفة الجزويت التي يستقيت من طعمها سائر فرق النصرانية — قاتنا نشير إلى بعض عجائبه أو خوارقه على سبيل النموذج . قال القس أفرام في ترجمته عند ذكر رياضته الأولى بعد تركه الجنسية ودخوله في الأكاركية : « وقد اتفق له مرة أنه نهض لممارسة رياضته هذه الاعتيادية فتقدم إلى أيقونة والدة الله » تعالى الله عن الوالدة والولد « وجنا أمامها بأقوى ما يكون من العبادة . وقدم نفسه للسيد المسيح بواسطتها وخصص حياته لخدمة الابن ووالدته الجيدة وأعداً أباهما بكل نشاط نفسه أنه يخدمهما خدمة دائمة . وفي انتهاء صلواته هذه سمع صوتاً عظيماً وتزلزل المكان الذي كان فيه وانكسر كل زجاج النوافذ حتى أن حائط المكان انشقق أيضاً وأظهر الله تعالى بذلك سروره بتقدمة عبده نفسه لخدمته عز وجل » له

وكأني باخواني المسلمين وقد تسكروا من هذه الاعجوبة ونظموها في سجع الخوارق التي سماها المتكلمون - ثلاثاً تلو أقواله عز وجل : تكاد أن ينفخ الروح منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هتاً . أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً . ولكني أذكر لهم ، لا عكر أن يعدوه خذلاً . قال نفس أديب : « وقد شاء ابن الرجل الذي كان أندلسياً من ساجدين أن يعرف كيف يتضي الليل فرآه مرة ساجداً متأملاً بوجه مائت مبتلئ بالدموع ومرة أخرى أبصره مرتفعاً من على وجه الأرض ولدهماً بالوجه والشمس مبهمة وفلكه راكبة كثيرة بالانقياد يا حبيب قلبي وسرور نفسي ابت الجحيم بعد ذلك حتى لا يحسم أحد منهم أن يعطاك . فيما أعظم جودك ورحمتك لأنك محتمل خاطئاً مني » وكأني بهم يقولون : إن هذه رواية آحاداً وولداً لا يهملها في هذا المقام وإن كانت : وأني أرى هذا القول بشرط أن لا يقبل قائله مثل هذه الروايات الأحادية عن ساحلي نفسه لأنه لما جاء على خلاف سنن الكون لا يقبل إلا بالدلائل القاطعة الذي لا يزل الناس كمعجزات الأدياء عليهم السلام ومن قيل هذه الاعجوبة عمل نفس البشري لا شيء من الخوارق . وكان في ذلك سبباً في الكيفية لا كرام مريم العذراء التي رأى منة صوفية في الثبوت والتمسك بربها . ثم رأونا نقرة ومجرة جسد حتى أنه لم يقدار في ذلك الهاركله أن يكف عن ذرف



الدموع ولم يتكلم الا عن التالوث الافدس بنوع جلي سام بحيث كان يذهل بخطابه عقول أجل علماء اللاهوت مع انه كان لا يعرف حيفد الا القراءة والكتابة ومرة أخرى رأى في القديس حقيقة وجود جسد المسيح ودمه في القربان المقدس انه : ولهم أن يقولوا في الكلام اللاهوتي الذي قاله من غير تعلم انه ليس من الحواري لأن الاذكاء اذا توجهوا الى شيء واعتوا به فلا يبعد أن يقولوا فيه قولاً غير متظر ممن في درجتهم العلمية وليس في درجتهم العقلية . ثم اننا لا نعرف ما هو ذلك القول لحكم أنه محل الاعجاب في الجملة فكيف نحكم بأنه علم لدني الهى جاء بغير تعلم وربما كان في الواقع خطأ . نعم أن أهل العلم والمقل من المسلمين يقولون هذا ولكن فينا كثيراً من المدعين للولاية ليس لهم كرامة الا الأقوال التي يسمونها علوماً لدنية وما هي الا من اللغو والجهالة ومنهم دجال الزقازيق الذي يدعي أنه يفسر القرآن بالإلهام ويعتقد صدقه الجمل الفقير فيقصده من كل جانب بالهدايا والتذورات مثله كثير . وأما رؤية جسد المسيح ودمه في القربان ، فهي دعوى بغير برهان . ومثل ذلك دعوى ظهور الشيطان له بزي ملك النور وحته على الرياضات والعبادة ليصرفه عن العلم عندما قلل العبادة واشتغل بالعلم ( قالوا ) ولكنه صرفه ولم يتخدد . ولكن عندنا مثل هذه أيضاً فقد ذكروا ان الشيطان ظهر للشيخ عبدالقادر الحلي بصورة نورانية وقال له انه رفع عنه التكليف فصرفه عبدالقادر وقال : اخساً ياملعون : فعند ذلك تحول الى ظلمة وقال له نجوت مني بعلمك يا عبدالقادر واتي قد قتلت بهذه الحيلة كتما من العباد وذكر عدداً كثيراً

ومن عجائب اغناطيوس وحوارقه التي دونوها انه عند ملوحيه من القدس الى أوروبا طلب من ربان سفينة « الربان رئيس الملاحين » أن يحميه الى ايطاليا حياً في الله فأبى وحمه ربان آخر فانكسرت سفينة الذي أبى ونجت سفينة الذي حمه . ومثل هذه انه رأى مرة جماعة يلعبون « فطلب منهم الصدقة فنظر اليه واحد من الجمهور وهتف قائلاً نحو القديس : ليحرقني الله حياً ان كان هذا الرجل لا يستحق أن يحرق حياً : وفي ذلك النهار عينه حضر فرجة دنيوية مبهجة وكان واقفاً على برميل ممتلئ باروداً واذا بشرارة ملتهبة وقعت على ذلك البرميل فاشتعل البارود حالاً وأحرق الرجل حياً . وعجيبه أخرى من هذا القيل وهي انما جمع [ ينسى ] بأمره الرهبان في مكان ليقراء عليهم قوائمه التي وضعا لهم وذلك بعد الخروج من المائدة واجتمعوا انهم



الرواق الذي كانوا يتذاكرون فيه بعد الأكل ولولا هذا الاجتماع لانهم علمهم الرواق . ومنها يقول القارئ ان هذه الوقائع هي التي نقاهم الكثيرون وغندوها بحجبه متواترة وما هي بحجبه وانما هي وقائع حدثت بأسبابها وكان حدوثها بعد ما ذكر من باب المصادقة والاتفاق لا أن سر القديس كان سبباً في حدوثها . ومثل ذلك يتفق لكل أحد ولكن الناس لا يلتفتون الى هذه المصادقات الا اذا كان هناك من يعتقدون صلاحه . وهذا القول صحيح وهو يصدق فيما ينقله قومنا من مثل ذلك عن مقتديهم من الأحياء والأموات .

ألم يقل كثير من الناس ان الشيخ محمداً عبده تهم في المسألة المرابية وحبس وهو بري لأن الشيخ عليشاً كان نائباً عليه فكان ذلك كرامة للشيخ عليش . ولم يلتفتوا الى أن الشيخ عليشاً قبض عليه وحبس أيضاً ولم يقولوا ان ذلك كرامة للشيخ محمد عبده لأن الشيخ عليشاً سمع فيه وشاية وحاول إيذائه . وذلك ان الشيخ محمداً عبده كان متهماً بالعقل والحكمة لأنه أول من قرأ في الأثر كتاب العقائد النسفية وبعض كتب المنطق والحكمة التي لم تكن تقرأ لذلك العهد ثم صارت تقرأ بعد ذلك بلا نكير . ألم يقل بعض الناس ان ابن الشيخ الضواهري أخذ شهادة التدريس لأن والده يخدم ضريح السيد البدوي فذلك كرامة للسيد ؟ وقد أخذ مثل هذه الشهادة كثيرون ولم يعد ذلك كرامة لأحد . بل قال بعض الخلق في هذه الأيام ان الشيخ علياً البيللاوي صار شيخاً للأثر بسبب سيدنا الحسين ( عليه ارضى والسلام ) لأنه كان خادماً للمسجد الذي فيه الضريح المنسوب له ! وقد خدم هذا المسجد غيره ولم يكافئهم سيدنا الحسين بهذه المكافأة ونال مشيخة الأثر كثيرون لم يخدموا المسجد الحسيني فلم يعد ذلك من الكرامات وخوارق العادات !!!

ذكرنا هذه الشواهد المتعلقة برجال معروفين من أهل الطبقة العليا في المسلمين ويعرف كل واحد من الناس ، الا يحصى من أمثال هذه الشواهد التي ياهج بها الناس في كل مكان . وهي عندهم أقوى من كل برهان ، بل أقوى من الحس واليمان والإحساس والوجدان . بل هي ركن الاسلام والإيمان ، ويخشى بعض الخواص من تشكيكهم فيها ان يرقوا من الدين ويتفكروا من جماعة المسلمين . وقد نقاه هذا الرأي فيما سبق عن بعض كبار الشيوخ وهو انه يجب تثني في بيوت الخلق في مسألة الاعتقاد بالأولياء والتماس المنافع ودفع المنار من الحجاب التور و جعل ذلك تدريجياً



لا تشكك في إمامة النبي لا يعرفون من دلائل الدين غير ذلك . وقد تقدم في  
 مقالات البحث في إثبات الكرامة وسنذكر في الجزء الآتي الحق الصريح الذي ينبغي  
 إثباته للناس في المسألة وبيان منافع هذا الاعتقاد ومضارّه ووجوه تأويل ما ينقل  
 عن جميع الأئمة من الخوارق فلا يجعلن القسارى المغرم بهذه المسائل بالحكم حتى  
 يقرأ المقالة الآتية مفصلة تفصيلا

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

إسكان ومسائل عبد الله بن سلام (س ١) ١. ز. ع بالسويس : سأل عبد الله بن سلام رضي الله عنه وسلم قبل إسلامه وكان اسمه أشمويل ألقاً وأربعاً مائة مسألة وأربع مسائل من غواص التوراة أذكر منها سؤالاً نصه : أخبرني أين مقعد المالين من العبد وما قلمهما وما لوحهما وما مدادهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : مقعدهما بين كتفيه وقلمهما لسانه ودواتهما ريقه ولوحهما فؤاده يكتبان أعماله إلى مماته : فقال صدقت يا محمد ، الخ . وقرأت حديثاً في عجلة مكارم الأخلاق الألفية أتى به السؤال عنوانه | انقضاء والقدر | وهذا معناه : كل يوم ينزل على العبد كتابان مع كل منهما صحيفة إحداهما بيضاء والأخرى مكتوب فيها أعمال العبد من حسنات وسيئات فيكتبان في الصحيفة البيضاء ما عمله طول يومه حتى إذا انتهى إلى طائفة الملائكة في الصحيفة البيضاء يكتبان على الأخرى فيجدها مثل بعضهما حرفاً بحرف ، الخ فهذان الحديثان ينفي أحدهما الآخر ففي الأول إن لوحهما فؤادهما وفي الثاني أنه صحيفةان ينزلان بهما فلترجاء الاستفادة هديتم للهدى .

( ٢٠ ) كل من الحسين غير صحيح ولا يجوز ان تأخذوا بحديث تروونه في كتاب أو حجة أو جريدة إلا اذا كان موصولا بذكر من خرج من أئمة الحديث حتى نقبل مراحضه ومعرفة تحت من عدوها أن لم يذكر مخرجه ذلك ولم يكن في المخرجين . وهذه القصة المؤلفة في سائن عبدالله بن سلام المذكورة في خريدة السمجانب — حجة الكذب — قصة موضوعة والذي في صحيح البخاري أن عبدالله بن سائم سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاث عن أول الساعة وعن أول أيام من أريد من الموت عن أول ما يزرع إلى أبيه وأمه . والرواية هكذا في غير البخاري من كتب الحديث وفي كتب السير . قالوا وكان اسم ابن سلام الحسين فلما أسلم سماه



رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله

### ﴿ ماروي في الإسراء . مستقر الأرواح . عذاب القبر ﴾

( س ٢ ) منصور أفندي رفعت بمصر : ما ذارأي نبينا محمد في ليلة الإسراء ؟

( ج ) « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

( س ٣ ) ومنه : أين تستقر أرواحنا بعد الممات ؟

( ج ) لم يرد في هذا نص صريح قطعي والعلماء مختلفون فيه والراجح عندنا اتباع طريقة السلف في تفويض الأمر الى الله تعالى في الأمور الغيبية وعدم البحث فيها وحسبنا أن ما ورد جائز عقلاً وقد أخبر به المصنوع

( س ٤ ) ومنه : ماهو عذاب القبر النصوص عنه وهل هو عذاب مستمر أو وقتي وهل يقع على الروح فقط أو الجسم فقط أو كليهما ؟

( ج ) الإحساس بالألم أو اللذة من شأن الأحياء والجسد لأحياءه إلا بالروح فإذا كانت الروح في الجسد ووصل إليها الألم بواسطة يصح أن يقال إن هذا الألم ألم بالروح والجسد وإن كان الشعور للروح وحدها . وإذا كان الروح خلقاً مستقلاً مدركاً كما نعتقد فلا شك أنه يجوز أن يدركه الألم في حال تجرده كما كان يدركه في حال تقيده بالجسد فلم يهنا أن قول العلماء : إن عذاب القبر — أي الألم الذي ينزل بالإنسان بعد الموت وإن لم يقبر — يكون على الروح والجسد : يتضمن القول بأنه يبقى للروح بعد الموت علاقة واتصال بمادة الجسد الذي كانت فيه وإن تفرقت هذه المادة وأنحلت الى أجسام كثيفة وغازات لطيفة . وينتظم هذا القول أحد أمرين إما عدم فناء مادة الجسم وإما انقطاع العذاب بفنائها . والمشهور عن المتكلمين الأشاعرة أن الجسم ينعدم على الراجح كما قال اللقاني

وقل يُعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

والقول بالتفريق أي بعدم تلاشي مادة الجسم هو الراجح عند متكلمي المعتزلة وبعض الأشاعرة وهو الموافق لرأي الفلاسفة القائلين باستحالة العدم . والراجح عندنا ما قلناه في جواب السؤال السابق من تفويض أمر عالم الغيب الى عالم الغيب سبحانه وتعالى

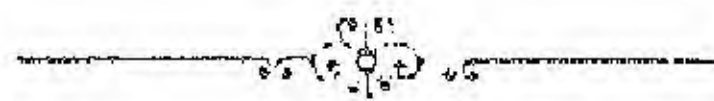
تأثير العين ( س ٥ ) أحمد أفندي : إن الكاتب بمحكمة شين الكوم : جاء في القرآن وغيره من كتب الشرائع والديانات وكذا الأمثال قديمة وحديثة ما أثبت وبرهن على وجود العين الحاسدة وتأثيرها في المحسود فأرجو بيان حقيقة تلك المؤثرات التي تخرج



من العيين أو القلب وكيفية تأثيرها في المحسود من جهاد ونبات وانسان بطريقة شرعية (ج) ليس في القرآن الكريم ما يثبت العيين ولكن ذكر المفسرون مسألة العيين وجهاً في تفسير قوله تعالى « وان يكاد الذين كفروا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ » والمعنى المتبادر أنهم كانوا ينظرون اليه نظر الغيظ والحنق وفي آية أخرى في المنافقين « ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت » نعم قد ورد في حديث الشيخين وغيرها « العيين حق » أي أمر ثابت عند الناس وواقع فيهم ولم يرد في بيان كيفية تأثير العيين شيء في الشرع وإنما ورد ما يدل على أنها تؤثر ولا حاجة في فهم هذا التأثير الى أكثر من المعروف المشهور فان لبعض الناس استعداداً نفسياً قوياً في التأثير ولبعضهم مثله في التأثر ومن ذلك صناعة التوبيم المغناطيسي المعروفة عند الغربيين . وانتقال مطلق التأثير من نفس الى نفس مهود في جميع الناس أو أكثرهم فقل من ينظر صاحب تأثر شديد بحزن أو خوف الا ويجد في نفسه أثراً من ذلك

المسألة المأمونية (س ٦) شيخ العرب ابراهيم جلي بالسعدين : نرجو من سيادتكم أن تفيدونا عن المسألة المأمونية التي سأل الخليفة المأمون يحيى ابن أكرم عنها حين ولاد القضاء ماهي وما جوابها

(ج) المسألة المأمونية مسألة في الفرائض وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت إحدى البنات وتركته من في المسألة . وقد سأل المأمون عنها يحيى عند ما وُفد له وأراد توليته القضاء فقال : يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة؟ فعلم المأمون من هذا السؤال أنه قد فهم المسألة لأن الاشكال فيها كان من ابهام الميت الأول الذي مات عن أبوين وبنتين . وبيان الجواب أن الميت الأول اذا كان رجلاً تصح المسألتان من أربعة وخمسين وان كانت امرأة لم يرث الجسد في الثانية فتصح المسألتان من ثمانية عشر



### ﴿ وصية بطرس الأكبر قيصر روسيا ﴾

(نشر هذا الوصية تمهيداً لمقال سنكتبه في فترة مكثنا في روسيا وحال الدولة العلية وروسيا وأوروبا)

المادة الأولى -- من اللازم أن تقاد العساكر دائماً الى الحرب وينبغي للامة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتكون اليقة الوغى . وترك وقت لراحة العساكر أو لأجل اصلاح المالية وتوفيرها وان كان ضروريا يلزم معه ان يكون تنظيم المعسكرات







المنافع اذ بهذه السورة يمكن اجراء نفوذهم في داخل المانيا ويربطون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافقنا ومصالحنا.

المادة الرابعة - ان دولة انكلترة هي الدولة الأكثر احتياجاً اليها في امورها البحرية ولهذا الدولة فائدة عظيمة جداً أيضاً في أمر زيادة قوتنا البحرية فلذلك كان من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول وبيع حاصلات ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء الى انكلترة وجلب الذهب من عندهم الى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والصلات الدائمة بين تجار وملاحى الطرفين فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا.

المادة الخامسة - على الروسين أن يتشروا يوماً فيوشيا في سواحل بحر البلطيق وخابوفا في سواحل البحر الأسود.

المادة السادسة - ينبغي التقرب بقدر الامكان من اسبانيا والبرتغال وإن من القضايا المسامة أن من يحكم على استانبول يمكنه حقيقة أن يحكم على الدنيا بأسرها لأن من اللازم احداث المحاربات المتابعة نارة مع الدولة النمساوية وتارة مع الدولة الروسية والاستيلاء على البحر الأسود شيئاً فشيئاً وذلك لأجل انشاء دور صناعات عربية قيسه والاستيلاء على بحر البaltic أيضاً لأنه خير موقع لحصول المقصود والتعجيل بمضاف بل بمحمودية ايران لتكون من الوسائل الى خارج البصرة وربما تتمكن من المدة تجارة الممالك الشرقية المديعة الى بلاد الشام والوصول منها الى بلاد الهند التي هي بمثابة مخزن للدنيا وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب انكلترة.

المادة العاشرة - ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بشروع افكار الدولة المشار اليها من جهة ما ينبغي اجراءه من التمرد في المستقبل في بلاد المانيا واما الباطن فينبغي لنا فيه أن نسي في تحريك عروق حديد وعداوة سائر حكام المانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاعتماد من دولة روسيا ومن اللازم اجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل.

المادة الحادية عشرة - ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا على طرد الاتراك وتحريرهم من قطعة الروملي وحينما نستولي على استانبول يجب علينا أن نسلط دول اوروبا القديمة على يده وسيرياك تأخذها حرباً أو نسكن حديدنا ومراقبتها لئلا يعطائها حصصاً صغيرة من



الاماكن التي تكون قد أخذناها من قبل وبعد ذلك نسعى بنزع هذه الخدمة من يدنا  
المادة الثانية عشرة — ينبغي ان نستعمل اليه جميع المسيحيين الذين هم من  
مذهب الروم النكرين رئاسة البابا الروحية وكاثوليكين في بلاد المجر والممالك النمساوية  
وفي جنوبى ممالك (له) والمجرهم الى ان يتخذوا دولة روسيا من جملة دولهم ومن  
اللازم قبل كل شيء احداث رئاسة مذهبية حتى تتمكن من التباد نوع من الحكومة  
الرهبانية عليهم فتسهي بهذه الوساطة لاكتساب اصدقاء كثيرين ذوي نفوذ استعملهم بهم  
في كل ولاية من ولايات أعدائنا

المادة الثالثة عشرة — حينما يصبح الاسوحيون مشتتين والايونيون مغلوبين  
والاهيون محكومين والممالك النمساوية مضطربة ايضا نجتمع معسكراتنا في محل  
واحد مع المحافظة على البحر الاسود وبحر الباطيق بقوتنا البحرية وعند ذلك نختار  
أولا لدولة فرانسى كريمة قادمة حكومات الدنيا بأسرها يفتتا بدولة اوسترىا ويمرشن  
ذلك على كل من الدولتين المشار اليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جدا لقبول  
ذلك واذا كان لابد من ان احدهما تقبل هذه الصورة فعند ذلك ينبغي مداواة  
واحترام كل منهما ونجعل من تلك منهما قاعدة لما عرضناه عليهما واسطة لتسكيل  
الآخرى. واذا تكون دولة روسيا حينئذ قد استولت على جميع الممالك الشرقية ويكون  
مثل ذلك أعظم قطع أوروبا حديثا لدخول في يد تصرفنا ففنده يسهل علينا أن تظهر  
وتشكل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين

المادة الرابعة عشرة — على فرض الحال ان كلا من الدولتين المشار اليهما لم تقبل  
بما عرضته عليهما روسيا فينبغي حينئذ لروسيا ان تصرف الأفكار لمراقبة ما يحدث  
من النزاع والخلاف بينهما فاذا وقع ذلك فلا بد أن أحد الفريقين يشترك مع الآخر  
ويضعف كل منهما وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة المظيمة وتسوق  
حالا معسكراتها المجتمة أولا بأول على ألمانيا فتحجم على تلك الجهات ثم تخرج قسمين  
كبيرين من السفن أحدهما من بحر أزق المملوء بالمساكر الوافرة المجتمة من أقوام  
الاناضول المتنوعة والثاني من ليمان ارخانكل في البحر المتجمد الشمالي فتسير  
هذه السفن وتغر في البحر الابيض والبحر المحيط الشمالي مع الاسطول المقيم في  
البحر الاسود وتغر الباطيق وتهاجم كالسيل على سواحل فرانسى وأما ألمانيا فانها تكون  
اذا ذلك مشغولة بحالها. وبما ذكرناه تصبح الممالك المذكورتان الواسعتان المذكورتان مغلوبتين



على هذه الدورية فالقائمة التي تبقى من أوروبا تدخل بالطبع تحت الانقياد بسهولة  
و بدون تنافية وتصير جميع قطعة أوروبا قابلة للفتح والتبجير

## أثر على البرية

باب التقرير

(أحسن الكلام . فيما تفاق السنة والبدعة من الأحكام)

يعلم بأن أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا عصر ألف كتاباً أو رسالة وإنها  
توزع على جميع المحاكم الشرعية وعلى جميع أئمة الدين الذين فتشروا نفوسنا  
للاطلاع عليها طائفتان منها في إصلاح هذه المحاكم التي يشكو الناس من سوء سيرها  
ومما لم يتطهر من الفساد منها هي كراسة الشيخ محمد نجيب الشهور في مسائل  
اختلاف الناس فيها هل هي بدعة ينبغي تركها أم لا وقد مررنا المؤلف لها بكلام في السنة  
والبدعة . أما الأصل فله و قد مررنا أيضاً التي اعتادها المسلمون في المساجد يوم  
الجمعة وكذلك فرائض سور الكهف في المسجد الجامع عند اجتماع الناس لصلاة  
الجمعة . لا سيما في الأوقات الخاصة المراح والمولد وفضائل ليلة النصف من شعبان ورفع  
أسماء الشهداء وغير ذلك . وقد كان شيخ الجامع الأزهر السابق الشيخ  
إمام البصري . قال عن الترقية : ما في منها فافتي بأنها بدعة تجنب ولكن ديوان  
الأول . يجب الانتباه على الناس في هذه الفتوى لأن السلطة الإدارية  
لا تزال كما كانت في حال الدين . إن كانت رئاسة من قبل رؤسها . وفي الكراسة  
على سمرها فمررنا كثيراً منها ما يسمونها ما هو متفق . وما كان المؤلف من كبار علماء  
الأزهر . قال في معنى كلامهم وجب علينا الاعتناء بكلامه ونبحث فيه فنقول

ما ذكره الشيخ من الاستدلال الذي كتب رسالته جواباً عنها أن الأصل في الأحكام  
الشرعية الثابتة والسنة والأجماع والقياس الصحيح وأن كل ما استند إلى أصل من  
هذه الأسس فهو حكم الله وأمره . وأن كل ما لم يكن مأخوذاً من واحد منها فهو  
بدع . والله أعلم . إن ما ليس من الدين فيه . قال : وليس كل ما لم يعمل في عهد  
صلى الله عليه وسلم بدعة شرعية مدعومة بل إذا حدث فعله بعد زمنه عليه الصلاة



والسلام كان بدعة جديدة وحديثة فسميها الإلهام الخمسة  
ونقول ان ما ذكره هو المعروف عن العلماء وذاكره ابن حجر في فتاواه الحديثة  
وسبقه الحافظ في التلخيص فيحتاج الى ان يذكر ان ما حدث بعد ذلك من  
ان كان دخلا فيما لا قياس ولا اجتهاد فيه كالأموال الاعتقادية والمبدئية فهو  
وضلالة قطعاً لا سيما اذا اتخذ شعاراً دينياً أو الأخلاق ان ترد في الدين عبادات وادوات  
كثيرة يعرف بها النصارى وهي مما لم يعرف عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم  
نسميها بدعاً مستحسنة . فليحفظ القارى هذا

وكما اتقدنا الإجمال في هذا الموضوع فنقد فيه التحليل فقد مثلنا في  
المخالفة للأدلة القطعية بالقول بفرضية المسيح على الرجلين دون ثبوتها  
في نص الكتاب . وما جاء في الكتاب ليس صريحاً في ذلك بل هو في قوله  
نعمالي « وامسحهم برؤسكم وأرجلكم الى الأبد » على قراءة أخرى في قوله  
ابن كثير وحزرة والي عمرو وعاصم أي أكثر السبعة ( ظاهر في وجوب المسيح  
وأنك أوله العلماء اختلفون بعد ذلك كقولهم المسيح بان الخبر في الركنين المتساويين  
وقد رده القائلون بالمسيح بأنه قد عدلنا لأنه لا يرد إلا شاذاً في الآية الذي يقتضيه  
مالا يقتضيه غيره . وكان أولنا « أنه على شرط من رده بالمعاني كفي في قوله  
يشترط فيه الأمن من الناس ولا أمن هاهنا كقولهم لا يجوز ببلاغة عن التمسك  
والألباس . وتأويل قراءة العصب بالفتح على التحليل أقرب من التأويل بالضم  
ان الفصل مسيح وبنوه وفيه ثبت في الآية الصحيحة وعيد الجماعة الا انهم وبنوه  
أحوط ولكن هذا كله لا يوجب تحليل المؤانف بأن التأويل في الآية  
لمخالفة نص الكتاب .

ثم ذكر البدعة شكروية وعدة منهار مرفقة المساجد من التمسك . وقال  
كما قال ابن حجر « وإلا كانت من القسم الأول » أي المحرم . ثم ذكر البدعة الواجبة  
فقال « وتارة يكون بدعة واجبة كمنصب الأدلة للرد على أهل الفرق الضالة وتعلم  
العلوم التي يتوقف عليها فهم الكتاب والسنة » ولا أدري كيف ساء ثم عدت نصب  
الأدلة للرد على الفرق الضالة من البدع وانقر أن الكريم طافح . قد الأدلة نعم ان  
التكلمين سلكوا فيها غير مسلك النصارى . فبعضهم في الأدلة النظرية المحضة وأكثر  
أدلة القرآن مستندة الى المحسوسات . ولكن الأتيان بأدلة جديدة لا يعني أن يكون



أصل نصب الأدلة بدعة فان البدع والبدعة في اللغة ما كان على غير مثال سبق  
ثم طفق يستدل على أن البدعة تنقسم الى الاقسام المذكورة فذكر أموراً منتقدة  
أولها إخراج الصحابة اليهود والنصارى من جزيرة العرب وإنها قتالهم غير العرب من  
الكفار . والثاني منصوص في الكتاب والأول جاءت به السنة . أخرج أحمد ومسلم  
وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عمر « ان عشت  
لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها الا مسلماً » وأخرج  
الترمذي والحاكم من حديثه أيضاً « ان عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى  
من جزيرة العرب » وأخرج أحمد وأبو يعلى في مسنده والحاكم في الكنى وغيرهم  
عن أبي عبيدة قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أخرجوا  
يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب وأعلموا ان شر الناس الذين اتخذوا  
قبور أنبيائهم مساجد » . وأخرج أحمد من حديث عائشة « لا يبقى في جزيرة العرب  
دينان » وبقيت أحاديث بمعنى ما ذكر

وقد أحسن المؤلف في قوله : « نعم ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود  
بعض أفعاله كان تركه سنة وفعاله بدعة مذمومة ولذلك كرر ما صح به عليه الصلاة  
والسلام تركين الشاميين والصلاة عقب السجى بين الصفا والمروة تركه النبي صلى الله  
عليه وسلم لذلك مع أنه كان يعلم الناس ذلك » نقول وكذلك يقال في جميع البدعات  
والشعائر الدينية لأنها مبنية على الاتباع المحض ولا مجال لاجتهاد الناس فيها . فليست  
بمختلفة باختلاف الزمان والمكان . تقدم أيضاً هذه المسألة في غير هذا الجزء من المنار  
هذا ما نقوله في تمهيد هذه الرسالة ولما قول آخر في المسائل المقصودة منها بالذات  
ترجئه للجزء الآتي

الاسلام في عصر العلم — صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو مؤلف من  
أربع كراسات [ كل كراسة ١٦ صفحة صغيرة ] الأولى في الفصل الاول من الباب الأول  
من بحث الإنسان وهو في معرفة الإنسان نفسه . والثانية في تمهيد للبحث في حياة  
النبي صلى الله عليه وسلم . والثالثة في البحث عما وراء المادة وعظم شأنه عند علماء أوروبا  
المشتغلين بمسألة استحضار الارواح . والرابعة في ملحق الكتاب الموشوع للبحث في  
داء الأمة ودوائها . وقد اختار المؤلف ان يصدر في كل جزء كراسة من كل باب من  
أبواب الكتاب لئلا يطول على القراء الكلام في المقدمات فيملوا







( تفسير الغريب ) ابن سبهان وابن جراد قائدان من قواد ابن رشيد والتقى واد  
في أرض القدس . والالاف العذائف الذين يتقدمون الجيش وله أصل في الفصيح  
قال في الأساس : وسام القوم تقدموا سلوفاً وهم سلف ابن ورائهم وهم سلاف  
السكر : وحروب يريد به طوائف من بني جرب وعلى هذا النحو جمع قحطان وصليبة .  
والأخيرة مؤنة الذخر بمعنى الأخيرة . وقوله « زين بريدة » اي لجأ إليها وهي قرية  
من قرى القصيم الكبيرة . والزين في اللغة الدفع ومنه سمي الشرطة واعوان الناس  
زباية لأنهم يدفعون الناس ويدعونهم وجاء في كلامهم « تحت جمل زين المطي بمنكيه »  
أي يسيرونها . كأن البدوي هنا يريد أنهم لجأوا الى بريدة مدفوعين بقوة أعدائهم .  
والخفر بين البصرة وبغداد يخبرون . وشمل سار الى جهة الشمال . وفي الفصيح  
شمل من أمانات الشمال . والبطان - وقال لنا من ارسل اليه الكتاب : الصواب  
البيانات . ثم جاء يقول علي في جهة الدعاء والذلولة المذلة عربية فصيحة  
« السحرة بالذبح من الكويت » هي مذوبة الى ابن صباح . وجار هذا هو ابن  
مبارك الصباح شيخ الكويت . والكون « يريد به الغزو الذي ذكره

### مشيخة الجامع الأزهر ونقابة الاشراف

قضت إرادة الأمير بمنزل الشيخ سليم البشري من مشيخة الأزهر وقد استشار نظاره  
في المرة فمن يولي بدلا منه فكان لهم في كل واحد من كبار الشيوخ المرشحين من سمو لهذا  
المنصب عليه تحول دون توليته أيام حتى إذا رشح السيد الشيخ علي البيلاوي نقيب الأشراف  
تلقوا عليه فأصدر الأمير أمره بتوليته فنهته بهذه الثقة ونسأل الله تعالى أن يجعل  
أيامه أيام إصلاح يتقدم فيها الأزهر تقدماً مديناً . وان لنا مع هذا الدعاء رجاء فأنسا  
نمنا بالسيد الرفق وهو عنوان الأمير والله يحب الرفق في الأمر كله كما في حديث  
عائشة عند أحمد والشيخين والنسائي وابن ماجه . وقال صلى الله عليه وآله وسلم  
« ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه » زواه عبيد بن حميد  
والزياد عن أنس . وأما الخرق « ضد الرفق » فإن صاحبه يشغله الغرور عن الاحساس  
بالحاجة الى الإصلاح . وان لنا لعودة الى الكلام في الأزهر ان شاء الله تعالى  
ثم قضت إرادة الأمير بأن يعيد منصب نقابة الاشراف الى نصابه الأول وهو  
بيكري الشهير فأمر بإعادة النقابة الى صاحب الساحة السيد محمد توفيق أفندي  
البكري شيخ مشايخ الطرق وكانت تحولت عنه من بضع سنين . وعهد الى ديوان الأوقاف



العمومية بالنظر في أوقاف الاشراف وإدارتها وكان النقيب هو الذي يديرها

### ﴿ مدرسة ماهر ﴾

كنا استبشرنا عند ما علمنا بأن المرحوم عثمان باشا ماهر أوقف أرضاً واسعة على إنشاء مدرسة إسلامية ونوهنا بذلك تنوهاً حسناً . ولكن قد خاب أملنا في هذه المدرسة منذ علمنا أنه عين في الوقفية لكل معلم يعلم فيها راتب لا يزيد على أربع مئة قرش في الشهر وما كان لأحد يحسن التعليم أن يرضى بهذا الراتب في مصر وإنما فائدة المدرسة بالمعلمين . ولقد كان الذي أشار بهذا التعيين هو الذي أحبط عمل الواقف بما جملة صورة بغير معنى . وإن هذا لمن البراهين المثبتة لرأينا بأن نجاح الأمة لا يعوزه المال وإنما يعوزه الرجال فللحال كثير والرجال قليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

### ﴿ إصلاح حروف المطابع العربية ﴾

للحروف العربية شكل في الأفراد وشكل في تركيب الكلمات بل أشكالاً فائدتها الاختصار فإن الكلام إذا كتب بالحروف المفردة يشغل من مساحة الورق أكثر مما يشغله إذا كتب بهذا التركيب المسروف وبهذا يفضل خطنا خطوط اللغات الأخرى ولكن له سيئة في الطباعة وهي كثرة أشكال الحروف التي تتألف منها الكلم وقد زاد هذه السيئة سوءاً وأضعف أشكال حروف الطبع فأنهم جعلوا أشكالها بضع مئين لأنهم جعلوا للحرف الواحد أشكالاً مفردة وأشكالاً مركبة مئتين وثلاث ورباع فبلغت أشكال الحروف في مطبعة بولاق الأميرية تسعمائة شكل وهي في غيرها من مطابع أوروبا والاسنة والشام أقل من ذلك ويرغمون أن كثرة الأشكال لحفظ جمال الخط العربي وليكتنا نرى أن أكثر هذه المطابع أشكالاً أقلها جمالاً .

وقد ارتقت الطباعة العربية في الاسنة والشام وقات أشكال الحروف الاسنة بولية ووجدت هذه الحروف في مصر فحسنت بها الطباعة وصار طبع المطبعة الأميرية — وهي أشهر المطابع العربية في الدنيا — أقبح الطبع وإن كانت لا تزال بمتازة بالتصحيح لذلك توجهت عناية نظارة المالية إلى إصلاح هذه المطبعة فألفت لجنة للبحث في طرق الإصلاح رئيسها إبراهيم باشا نقيب وكيل الداخلية وأعضاؤها الشيخ حمزة فتح الله مفتش أمنه في نظارة المعارف وشيخو بك نظارة المطابع الأهلية والجراند الرسمية وأمين سامي بك ناظر مدرسة الناصرية وأحمد ركي بك الكتات الثاني لاسرار مجلس النظارة وكان عمل هذا النظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيل



جمع الحروف فاختبر حال المطابع العربية في الأستانة وأوروبا فوجد أن أقل المطابع حروف مطبوعه أكثر من ٢٨٢ حرفاً في أشكال حروفها ٢٨٢ شكلاً وبمد البعث والتدقيق انتهى إلى جعل هذه الحروف ١١٢ يضاف إليها بعض الحروف الأعجمية المستعملة في اللغات الشرقية التركية والفارسية والهندية والجاوية والماليزية وبعض المركبات والأرقام والعلامات التي لا بد منها فيكون ١٧٨ وفاته أن يضيف علامات العلوم الرياضية أيضاً وذكر أن قومه في الآونة القليلة أدوات الطباعة والاقتصاد في المال والوقت والمال والتسويق في تسهيل السطور . وقد كتب مذكرة في رأيه فقبلتها اللجنة وبحثت مقارعة أمبالي ثمانية آلاف جنيه وتيف لتنفيذ الإصلاح

وأهل الصناعة يشارعون في بعض الفوائد ولكنهم لا ينكرونها من أصلها وقد سألوا إلى زعمهم أن هذا لا حصار يذهب ببعض جمال الخط الذي يحفظ الطبع صورته بسبب حذف بعض الأشكال واستبدال المفضل بالافضل ولو اتخذت المطبعة الأميرية سبعة قوائم أكثر من الأشكال التي قضى بحذفها وخصصها بكتابة المناوين ورقاع الزيارة والدعوة ونحو ذلك لا حسنت عملاً . الاقتصاد في الوقت يظهر بادي الرأي ولعله لا يتم تجربة لأن العامل يمد يده إلى الصندوق الذي كل حروفه مفردة بعدد حروف الكلمة وإلى ما فيه حروف مركبة أقل من ذلك . ومن الجلي أنه لا اقتصاد في ثمن الحروف لأن قلة الأشكال لا يقتضي قلة عدد الحروف . ولكن قلة الحروف مسهلة لتعليم جمع الحروف وسرعة التمرن بل هي مسهلة لتعليم القراءة والكتابة أيضاً

### ﴿ تنبيه المشتركين ﴾

يذكر القراء من الخاتمة الآتية أن ستريد المنار اتفانا ولكتنا لم نرد ثمنه الا قليلا بالنسبة الى خارج البلاد المصرية . فكل من قبل المدد الأول من السنة السادسة في المنار المصري فهو يعد مشتركا الى نهاية السنة ويلزم بدفع خمسين قرناً صحيحاً . وقيمة الاشتراك في خارج القطر ١٨ فرنكاً وفي الهند ١٠ روبيات وفي روسيا ١٠ روبلات ( روبل )

### ﴿ خاتمة السنة الخامسة للمنتار ﴾

قد تمت بهذا الجزء سنة المنار الخامسة وكان انتشاره فيها فوق ما كنا نرجو ونتوقع فقد زاد عدد المشتركين عما كنا نقدر بالقياس على السنين السابقة زيادة صالحة تجاوزت عدد جميع المشتركين في السنة الأولى والثانية . ثم أن نموّه الممتوي قد زاد أيضاً واتضاءل حزب الشيطان المعارض تضاملاً أو أملاً أملاً لا يوتيه المسلمون الى



أنهم مجلة دينية تخدم ملتهم بحق كما أن أسائر الأمم مجلات وجرائد دينية تخدم ملتهم  
ومجلتهم المتفرقة. نعم صار النصارى موضع ثقة العلماء والفضلاء والعامة في بلاد العرب والمسلمين  
وقد سبق القول بأنه صار يخطب به على المنابر. ويحتج به في المحاكم، ويعتمد عليه في  
رد شبهات المعترضين على الدين، وإقامة حججه للمستترشدين.

أشرنا فيما سبق إلى شهادات بعض أعلام المسلمين المخلصين بالمصالح العامة كوزير  
مصر الأكبر رياض باشا وكمحسن الملك بربر سيد من <sup>مصر</sup> ، ناظم مدرسة العلوم <sup>في</sup>  
في عليكم (الهند) وبعض المجتهدين والعلماء في إيران وغيرها. ونقول الآن إن  
النداء ظفر برضاء كبار شيوخ الطريقة أصحاب النفوذ الروحي. ونذكر كلمة لأشهرهم  
في بلاد مصر والسود. وهو الشيخ علي الميرغني رئيس الطائفة المرغنية الكبيرة فقد  
كتب إلينا في ٢٩ ذي الحجة الماضي كتاباً يقول فيه: «ويسرنا أن نبلاغكم مزيد  
سرورنا وارتياحنا لهذه المجلة القائمة بالخدمات الصادقة الجليلة للإسلام والمسلمين ونسأل  
الباري أن يكلل عملكم المفيد بالخير والفلاح».

ولا شك عندنا في أن هذا أثر الإخلاص وحسن النية في العمل فهذه هي بضاعتنا  
التي لا ربح لنا في سواها والتي نرجو أن تكون مكفرة لجميع سيئات ضعفنا في العلم  
والتحرير، وما يلزم عنهما من الخطأ والزلل، فإنا نشكر من حولنا وقوتنا إلى  
حول الله وقوته وهو نعم المولى ونعم النصير.

كما نذكر تقرير الفضلاء عملنا تحديداً بنعم الله وشكره وأعباده الأخيار الذين بنوهون  
بالنداء ويرغبون الأمانة فيه نذكر انتقاد أهل الفضل مع التناء والشكر أيضاً لأن حاجتنا  
إلى الأمرين واحدة إذ الفائدة واحدة وهي زيادة البصيرة في العمل. فإذا كان  
رياض باشا يثني على النصارى في غيتنا على مسمع الملا ويقول في محفلة الخافق: ينبغي  
لكل ذي احساس ديني أن يقرأ النصارى ويساعده: فهو يذكر لنا إذا خلونا به كل ما يراه  
متقدماً وقد انتقد مما نشر في هذه السنة أمران أحدهما الكلام في محمد علي باشا  
الكبير والثاني لاحقة سجل جمعية أم القرى التي فيها ما فيها من مساوي الدولة العلية  
(أيدها الله) وقال إن ذلك ليس من موضوع النصارى ولا ينبغي له.

وإذا كان الشيخ محمد محمود الشنقيطي ينوّه بالنداء كثيراً وسبق له تقريره بقصيدة  
فهو يذكر لنا ما يراه أحياناً متقدماً وقد كنا ذكرنا انتقاده كلمة (الاستغاثات) وتهديفة  
التمزية بالباء داخلة على المعزى عنه. ونذكر الآن أنه انتقد ما ورد في تفسير قوله:



تعالى «وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» من حكاية قول العلماء في أن الملائكة للموكلين بالموالمة الحية هم من قبيل القوى أو أرواح يكون بها نظام حياة تلك الأحياء ومن ذلك خواطر الخيز في الإنسان كما أن خواطر البشر من أرواح خيئة تسمى الشياطين . قلنا هذا القول من تفسير الأستاذ الإمام . وذكرنا في الهامش كلمة في المسألة للإمام الغزالي في كتاب شرح عجائب القادر وقد سمي الأستاذ الإمام هذا الرأي في هذا النوع من الملائكة تأويلاً بل ذكرنا بهتفي أنه من باب الإشارة إذ قال «فيه إيماء إلى الخاصة» الخ ولم يجعله العمدة في تفسير الملائكة . وقد اشتبه هذا القول على كثيرين وتعلقوا به وفتلوا عن تصريح الأستاذ الإمام بأن الواجب اعتقاده أن الملائكة خلق غيبي مستقل وانهم فرق كذلك عليه قوله تعالى «وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون» وأجل دور الصافات والمرسلات والرازعات . ونرى أن سبب انتقاد الشنقيطي نقل تلك القول وإن كان من الإشارة إلى الخواص «وهو منهم» هو أنه مثار لأوهام العوام وهو مصيب في ذلك .

وانتقدنا نشر في هذه السنة أيضاً تشبيه النساء المهذبات بالملائكة الذي ورد في نصيحة لثالث (ج ١٥ - ٥) وقد سرى هذا التشبيه إلينا من كتاب العصر الذين يكثر من منه وهو تشبيه قديم كما يدل قوله تعالى «ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم» وإنما ينكره الأستاذ في الكوافر

وانتقد منه أيضاً افتتاح المقالة في الرد على كاتب نصراني بقوله تعالى «يحرفون الكلام عن مواضعه» الخ والآية نزات في اليهود باتفاق وإنما قصدنا بها الاقتباس لا التفسير وقد قلنا أن نذكر من قبل انتقاده ما جاء في بعض مقالات المحاضرة بين المصلح والمقلد التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع من ترجيح أحد المتناظرين حل المتعة وقد رغب إلينا الأستاذ بأن نشر احتجاج القاضي يحيى بن أكرم على المأمون عند ما أباحها ورجوع المأمون عن ذلك واستعمل أن شاء الله تعالى . وعسى أن يحفظنا الأستاذ دائماً بما يراه منتقداً في المنار ونعده بأننا نتقبل ذلك بقبول حسن ونشكره أفضل الشكر وههنا ننبه جميع العلماء إلى القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كاد يفتح الدين بها لها ولا ترجى حياته إلا بالقيام بها وتدعو من يطلع على المنار منهم إلى تنبيهنا على برونه خطأ بالقول أو الكتابة ومن أحب منهم أن ينشر انتقاده معزواً إليه فأننا ننشره له مقروناً برأينا فيه مع الأدب والشكر وليس من شأن أهل



الدين أن ينكر الإنسان عمل أخيه في غيبته ويكتمه عنه. وأما نسمع عن بعض الذين يطرون النار أمامنا كلاماً لا يرضي. هذه شذوثة المنافقين وشر الناس يوم القيامة عند الله ذو اللسانين الذي يأتي هؤلاء بوجه هؤلاء بوجه كما في حديث أحمد والشيخين من الناس من يعتذر عن نفسه في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن الناس لا يقبلون أو بأنهم يؤذون من يأمرهم وينهاهم بالله أو الفل. وهاتين أولاء نقول على رؤس الشهاد إن أمن الناس علينا وأحقهم بالشكر منا من يدلنا على ما يراه خطأ في المنزل من يدعي أن في المنزل خطأ في المسائل الدينية أو غيرها ولم يذكر لنا قولاً أو كتابة فهو فاسق ينكره فريضة النهي عن المنكر من غير عذر وعلى الناس أن يستدلوا من قوله على أنه فاسق أو منافق ومن كان كذلك لا يقبل له قول في العلم والدين. روى ابن عدي والحاكم عن أنس وغيرهما عن غيرهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم». وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين». لا تلج هذا الالتجاء في حق الناس على انتقاد المنار احتجاجاً به وتوها أنه يملو عن الانتقاد ولكن حرصاً على بيان الحق الذي نعاله واستماعة عليه بانصاره. والراغبين في اعلاء مناره ، ونقول هنا ما قال الأستاذ الامام : انه ما من أحد باسم من أن يعين ولا أكبر من أن يمان.

وأما القراء بأن سريد المنار بقانا في السنة السادسة فنجعل ورده أجمود من هذا الورق ونحري المباحث التي تراها أكبر فائدة وأكثر نفعاً. وفي الزية المود الى التوسع في باب العقائد وباب [ آثار السلف وغيره للتحالف ] وفي مباحث آداب الالفسة مع الاستمرار على نشر التفسير القريب من مفتي الامة المصرية والمود الى باب [ البدع والخرافات والتقاليد والمعادن ] وربما نجعل الجب في شؤون النساء وما يتعلق بهن من أمر الزواج والبيوت. باباً يطر في أكثر حزاءه وان أجل تحفة تحفهم بهافي السنة الجديدة تلك المقالة أو المقالات التي وعد بها ذلك الامام الحكيم صاحب مقالات الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية التي بين فيها كيف تكون البدع التي رجعت بالاسلمين الفقهري هي السبب في حياتهم المالية المستقبلية. ونختتم المجلد الخامس بحمد الله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله ، وآله وصحبه ومن والاه .